أمين أبو عساف

ذكرياتي

الإهداء

- إلىٰ وطني الغالي الذي بذلتُ في سبيله كلّ ما استطعت من جهد وتضحية لأجل رفعته والمحافظة على استقلاله.

- إلىٰ رؤسائي الذين خدمت تحت إمرتهم وإلىٰ كلِّ الذين خدموا بإمرتي في السلم والحرب وأولوني ثقتهم وساعدوني علىٰ القيام بواجبي.

- إلىٰ أرواح شهداء الأمة العربية الأبرار الذين دفعوا ضريبة الدم فداءً للأمة.

- إلىٰ روح والدي الشيخ «حمد أبو عساف» الذي وجّهنيٰ وسدّد خطاي وأخذ عليّ عهداً أن أبقىٰ أميناً للقيم التي زرعها بي وأن التزم الاستقامة في حياتي العامة والخاصة.

- إلىٰ روح زوجتي «أم عادل» التي قاسمتني الآلام وعملت الكثير لتوفِّر لي الوقت والاطمئنان الذي ساعدني في عملي وكانت مثالاً في تفانيها وإنكار ذاتها في خدمة البيت والأسرة.

أهدي هذا الكتاب.

اطلالة على الماضي

بقلم العماد اول مصطفى طلاس

لا بد لي، وقبل الدخول في عالم المذكرات التي كتبها اللواء المتقاعد امين حمد أبو عساف. . من أن اشير الى أهمية الحقبة التاريخية التي مر بها الوطن منذ عام ١٩٢٠ وحتى عام ١٩٥٨ والتى كانت مسرحاً لأحداث جسيمة وتفاعلات سياسية واجتماعية متنوعة تحتاج الى شاهد عيان يقدم لنا الصورة الحقيقية لما جرى في زمانه تفصيلاً وصدقاً

وقد تداعى الى فكري عندما وضعت المذكرات بين يدي أن مؤلفها هو المؤهل لذلك وسيكون اقدر من غيره في القاء الضوء الكاشف على الأحداث بأمانة وحرص وذلك لسببين لا مهرب منهما في قناعتي الشخصية والوطنية.

اولهما: انه واحد من ابناء بيئة اجتماعية عرفت بحسها الوطني النبيل، وكان لها قصب السبق في رفع راية الثورة على الانتداب الفرنسي تلبية لنداء الواجب المقدس، ووقع عليها العبء الاكبر في مواجهة الاعداء ولم تبخل بالتضحيات المرهقة حتى وصلت بعطائها حداً يفوق التصور فما من بيت الا ومنه شهيد قضى نحبه في ساحات المجد حيث للرايات حماتها، وللشعارات معانيها السامية وللرجولة سباقها لانتزاع النصر دون حذر من الموت او حساب لتفوق العدو عدة وعدداً. . وذاكرة التاريخ تروي عن المعارك التي خاضوها الأساطير. . . معارك الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ م التي قادها سلطان باشا الاطرش قائداً عاماً للثورة في جميع ارجاء الوطن وحمل رايتها خفاقة عالية من حوله من ابناء جبل العرب الاشم فكانوا الطليعة الرائدة والقدوة الصادقة في المواجهات الضارية القاسية ورفعوا النداء الصارخ في وجه العدو: الاستقلال والحرية للوطن تراباً وشعباً. . . ولا ينكر احد انهم اشعلوا الارض لهيباً تحت اقدام المعتدين وكان املهم بالنصر او الشهادة شعاراً لا محيد عنه.

فأذهلوا العالم بنخواتهم التي اربكت العدو بالرغم من امكانياته وخبراته وغطرسته، ومن كان يعيش في هذا المناخ المتأجج حماساً والثائر موقفاً وسلوكاً لا بد وان يتسم بمصداقية القول والفعل.

اما السبب الثاني الذي يفرض واقعه على المؤلف فهو حياته العسكرية من بدايتها عام ١٩٣٣ م الى عام ١٩٥٨ اي عايش الجندية في ظل الانتداب ثم انتقل الى العهد الوطني مع من انتقل، وكان احد الضباط الوطنيين الذين انسحبوا من قوات الشرق الخاصة ووضعوا انفسهم تحت تصرف الحكومة السورية آنذاك وشارك في الحياة العامة من خلال المسؤوليات التي تولاها او كلف بمهامها.

وأرى ان من المهم جداً الوقوف عند احداث هذه المرحلة من مراحل تكوين الجيش العربي السوري، جيش الوطن وحامي ترابه وقيمه.. وتأريخ هذه الحقبة من احد المخضرمين - كما يقول نقّاد الادب - يلقي الضوء على البدايات والتطور وهذا لا يعني افتقار المكتبية العسكرية في مثل هذا الموضوع ولكن الحاجة الى اطلالة موثقة على مرحلة النشوء والتأسيس تظل قائمة لانها تغني بدقتها ورصدها المراحل الاولى التي تم فيها انتقال السلطة العسكرية من حكومة الانتداب الى قيادات وطنية، ومن ثم الوقوف على الاحداث التي وقعت بعد ذلك ومدى مشاركة الجيش في هذه الاحداث والوقائع.

من هذين السببين تنبع قناعتي بفائدة هذه المذكرات التي تقدم للقارىء بعد مضي ما يقارب خمسين سنة لانها ستكون مرجعاً وافياً بالتفاصيل من خلال مؤلفها الذي حرص على تقديمها بمسؤولية أمينة نابعة من احترام الذات الوطنية والعسكرية.

وايضاحاً لذلك لا بد من الحديث المقتضب عن المؤلف اما التفاصيل فأترك امرها للقارىء وسأتوقف عند محطتين من حياة المؤلف متداخلتين ولكنها متكاملتان.

الاولى: مشاركته في الحياة العامة واهتمامه بالقضايا السياسية والاجتماعية التي برزت في هذه الحقبة فقد كان بحسه الوطني والاجتماعي يشارك من خلال المعايير الوطنية في مواجهة المشكلاتَ اذكر بعض مواقفه على سبيل المثال لا الحصر،، منها اعتراضه على واقع التعاون العربي في اثناء حرب عام ١٩٤٨ حيث لم يكن هناك أي تنسيق بين الجيوش العربية.. ووقوفه عام ١٩٤٩ ضد الإنقلاب الاول ثم تعاونه مع قادة الإنقلاب الثاني في الاعداد والتنفيذ وكان دوره حاسماً لأنه تحرك بقوات فوج المدرعات الاول مؤيداً حركة الإنقلاب الثاني وعندما احس بأن العهد الجديد يريد ربط سوريا بالأحلاف مع العراق قام بإعتقال رأس المجموعة وإثنين من معاونيه.. وفي عهد الشيشكلي حيث كان قائداً للمنطقة الشرقية ورتبته الاعلى بين القوات الثائرة على

النظام.. وظل يراعى شخصه ومركزه حتى قيام الوحدة عام ١٩٥٨ م وإحالته إلى المعاش.

المحطة الثانية: إلتزامه العسكري وقيامه بواجبه عندما يكلف بمهمات القيادة فقد عرفته عندما كان قائداً للمدرعات رفيق سلاح سبقنا الى شرف الخدمة في الجيش العربي السوري وتولى المسؤوليات العسكرية في مواقع متعددة.

وختاماً أقول كان شخصية إيجابية فاعلة ومنفعلة لم يتخل عن واجباته وقبل العمل في الحقل المدني بعد خروجه من الجيش ويسجل له ذلك فاللواء امين ابو عساف رشح نفسه عن محافظة السويداء عن الاتحاد القومي وانتخب رئيساً للإتحاد القومي عن المحافظة ثم عضواً في مجلس الأمة عن سورية ثم نائباً لرئيس لجنة الدفاع في المجلس وبعدها رئيساً للجنة الدفاع. وبعد قيام حكم الانفصال توقف عن ممارسة نشاطه السياسي ترفعاً عن المشاركة.

وبعد أرجو ان اكون قد وفقت في التقديم من خلال هذه الإطلالة الموجزة واترك للقارىء ان يستمتع بالتفاصيل وان يطلع على ما جاء فيها من معلومات آمل ان تكون وافية بالغرض الذي يطمح اليه بعد الفراغ من قراءتها.

الشام ربيع العام ١٩٩٦

العماد اول

مصطفى طـــــلاس

«مقدمة»

طلب مني كثير من الأصدقاء أن أدوّن ما أعرفه عن الأحداث الجسام التي شاهدتها وشاركتُ في أكثرها. وبما أنني أعتبر ما قمت به ونفذته في خدمة الوطن، شهادة للتاريخ، فمن الواجب عرضها على الرأي العام وبصورة خاصة الأجيال الصاعدة حتى يعرفوا حقيقتها.

إن معاملتي أثناء خدمتي، ثم إحالتي على التقاعد لم تكن طبيعية، ولم يكن عندي ميل للكتابة آنذاك حيث صُدمتُ بالوعود الكاذبة التي أعطيت لي حتى من أعلى المستويات، وقد شغلتني الأعمال الخاصة، والحالة المادية السيئة وقتاً طويلاً قبل أن أبدأ كتابة هذه الذكريات.

إن الحقائق ملك للتاريخ، وليس من الأمانة إخفاؤها... ونظراً لأنني قد عاصرت أحداثاً كثيرة وهامة، إذ انتسبتُ إلى الكلية العسكرية عام «١٩٣٣» في عهد الانتداب الفرنسي، وأحلتُ على التقاعد في أواخر «١٩٥٨» بعد قيام الوحدة بين سورية ومصر.

عينتُ لاستلام مهمات حساسة:

– في عهد الانتداب عام «١٩٤١» عيّنتُ على رأس قوة من المصفحات والفرسان من أجل استتباب الأمن في البادية.

– وقبل تسليم قطعات الشرق الخاصة من قبل الفرنسيين، عُيّنتُ من قبل السلطات الوطنية لاستلام قيادة الهجانة في تدمر ومهام ضابط العشائر فيها وما رافقها من أحداث وملابسات.

– في «جبل الدروز» وهو الاسم الذي كان يطلق على «جبل حوران» في عهد الاستعمار الفرنسي عيّنتُ من أجل إعادة الانضباط والنظام إلى كتيبة الفرسان الأول.

ثم حدثت الحركة السياسية بين «آل الأطرش» ومؤيديهم من جهة والهيئة الشعبية من جهة ثانية.

– اشتركت في حرب فلسطين عام «١٩٤٨» والتي تبعها عهد الدكتاتوريات العسكرية والتدخل الخارجي في شؤون سوريا الداخلية.

– استلمت قيادة كتيبة المدرعات الأولى؛ وهذا مكنني على رأس القوة الضاربة من القضاء على الحكم الفردي أو الذين لهم صلة بالخارج... ووضع حدّ لتصرف بعض المدنيين الذين تآمروا على استقلال سوريا وحكمها الجمهوري.

– استلمت قيادة اللواء الأول، ومن ثم قيادة الجبهة مع العدو الإسرائيلي وما رافقه من أحداث.

– استلمت قيادة المنطقة الشرقية. ثم عصيان المناطق الشمالية والشرقية والغربية ونجاح الخطة وطرد «الشيشكلي» وإعادة الحكم المدني ممثلاً بالرئيس «هاشم الأتاسي» حتى انتهاء ولايته.

– استلمت قيادة سلاح المدرعات وما رافقه من إعادة لتأهيله وتدريبه.

– عودة الرئيس «شكري القوتلي» بالانتخاب إلى رئاسة الجمهورية وتحول الأمور إلى ما كانت عليه في عام «١٩٤٩»

– قيام الوحدة بين سوريا ومصر والحشود التركية واستلامي قيادة المنطقة الشمالية حتى أحِلتُ على التقاعد.

«تمهيد»

لقد تمخضت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) بين فرنسا وبريطانيا وروسيا من جهة، وألمانيا وتركيا من جهة ثانية عن عدة وعود متناقضة. . . ثبت منها ما يضر بمصلحة العرب.

ففي عام «١٩١٦» وبعد مفاوضات جرت بين الشريف «حسين بن علي» شريف مكة المكرمة والوزير البريطاني «مكماهون» تم الاتفاق على الاستقلال وتوحيد الأقطار العربية التي كانت تابعة للحكم العثماني تحت التاج الهاشمي في حال تم إعلان الثورة على تركيا من قبل الشريف «حسين». وقد نفذ الشريف «حسين بن علي» الاتفاق وأعلن قيام «الثورة العربية الكبرى» ضد الحكم العثماني.

في عام «١٩١٧» وإرضاءً للولايات المتحدة الأمريكية، لتدخل الحرب إلى جانب فرنسا وبريطانيا أصدر وزير خارجية بريطانيا «بلفور» وعداً من أجل إنشاء وطن قومي للصهاينة في فلسطين العربية.

وعندما ظهرت تباشير النصر للحلفاء، تمّ عقد اتفاقية سرية عام «١٩١٨» هي معاهدة «سايكس بيكو» بين بريطانيا وفرنسا لتقسيم تركة الدولة العثمانية فيما بينهم، وفرض الانتداب على الأقطار العربية. وتم لهم ذلك.

خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) اجتاحت الجيوش الألمانية فرنسا، فاستسلمت تحت سلطة المارشال «بيتان» إلا أن الجنرال «ديغول» لم يعترف بالهزيمة، وشكل حكومة «فرنسا الحرة» بالمنفى، وتابع القتال مع الحلفاء ضد ألمانيا النازية، وقد تسبب هذا في حرب عام «١٩٤١» في سوريا بين حكومة «فيشي» التابعة للمارشال «بيتان» وضمنها قطعات الشرق الخاصة من جهة، وبين الجيش الثامن البريطاني وقوات فرنسا الحرة من جهة ثانية؛ مما أدى إلى حلول سلطات فرنسا الحرة كممثلة للانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان بعد انتصارها في هذا القتال.

وبعد هزيمة ألمانيا النازية في عام «١٩٤٥» تنكرت السلطات الفرنسية لوعودها التي

قطعتها على نفسها عند دخولها؛ مما استوجب متابعة النضال الوطني الذي اشترك فيه الشعب العربي السوري بكل طبقاته مع عدد كبير من الضباط السوريين وكتيبة الفرسان الأولىٰ. . . حتى تحقق جلاء المستعمر الفرنسي عن أرض الوطن وبدأ عهد الاستقلال وسمّي «العهد الوطني».

الفصل الأول

الثورة العربية الكبرى
وسوريا تحت الانتداب

الثورة العربية الكبرى

تنفيذاً لاتفاقية (حسين - مكماهون) أعلن الشريف حسين بن علي عام ١٩١٦ ا
«الثورة العربية الكبرى» من مكة المكرمة، وقد اشترك في الجيش الذي شكله لتحر
البلاد العربية من الأتراك، عدد كبير من الضباط العرب الذين انسحبوا من الجيه
التركي، وكثير من الجنود الذين خدموا فيه ومن كلِّ الأقطار العربية.

بعد تحرير الحجاز من الأتراك سيَّر الملك «حسين» جيشاً بقيادة نجله الأم
«فيصل» فاحتل العقبة، واتجه بعدها شمالاً داخل فلسطين، بينما كان الجيش البريطا
بقيادة الجنرال «اللنبي» يزحف بمحاذاة الساحل شمالاً آتياً من مصر... حتى تمَّ احتلا
فلسطين بالكامل.

تقهقر الجيش التركي باتجاه دمشق، وتوقف الجيش البريطاني عند حدود فلسطين
بينما تابع الأمير «فيصل» تقدمه، وقد انضمَّ إليه الكثير من فرسان القبائل العربية م
البداية، فكان منهم فرسان «بني معروف» في جبل حوران بقيادة الشاب «سلطان باش
الأطرش».

وقد جرت معارك عديدة في سوريا؛ أهمها معركة «جبال المانع» ومعركة «دمشق
حيث اندحر الجيش التركي باتجاه الشمال، ورفع العلم العربي على المباني الرسم
لأول مرة بعد تحرير دمشق.

بقي الجيش العربي يلاحق فلول الجيش التركي، ويخوض المعارك حتى حلب
والحدود التركية السورية، وبذلك تمَّ جلاء الأتراك التام... وفي ذلك الوقت أ
«دمشق» أعيان العرب وبصورة خاصة الطبقة المثقفة من سائر أجزاء سوريا الطبيعية أي
سوريا الحالية وفلسطين ولبنان وشرق الأردن.

انعقد المؤتمر السوري في دمشق، ونودي بالأمير «فيصل» بن «الحسين» ملكاً على

سوريا في الثامن من آذار عام «١٩٢٠»، وشكل الملك أول حكومة عربية منتهجاً سياسة عربية قومية فالتف حوله الأحرار والمثقفون العرب في كل مكان، وهم لا يدرون بمعاهدة «سايكس - بيكو» التي فرضت الانتداب على كلّ الأقطار العربية التي تحتلها تركيا.

احتلت فرنسا في هذه الفترة أجزاء من الساحل السوري في اللاذقية ولبنان، وأرسلت إلى الملك «فيصل» إنذاراً يتضمّن مطالب جائرة؛ القصد منها إيجاد المبرر للزحف إلى دمشق.

ورغم استجابة الملك «فيصل» لبعض هذه المطالب ومنها تسريح قسم من جيشه، إلا أن فرنسا زحفت باتجاه دمشق... فكانت معركة «ميسلون» في ٢٤/تموز/ ١٩٢٠. غير المتكافئة بين القوات السورية المحدودة العدد والعُدَّة من جهة... وبين القوات الفرنسية حديثة التسليح والتنظيم والمنتصرة في الحرب العالمية الأولى من جهة أخرى، فاستشهد البطل «يوسف العظمة» وزير الحربية، وتمَّ احتلال دمشق.

غادر الملك «فيصل» وحكومته إلى الأردن حيث كان أخوه الأمير «عبد الله» الذي عيّن أميراً على الأراضي الواقعة شرق نهر الأردن، ثمّ تابع إلى العراق حيث نوديَ به ملكاً هناك حسب تخطيط بريطانيا.

احتفظت بريطانيا بفلسطين العربية مؤقتاً ريثما يتم تنفيذ «وعد بلفور» وتسليمها إلى الصهاينة، وقامت أيضاً باحتلال دول الخليج واليمن الجنوبي، وجزأتها إلى عدد من المشيخات تابعة للحكم البريطاني.

سوريا تحت الانتداب الفرنسي

بدأت فرنسا بتنفيذ سياستها الاستعمارية في سوريا؛ فانتزعت منها أقضية طرابلس وصيدا وبعلبك وراشيا وضمتها إلى متصرفية جبل لبنان التي أنشأتها بعد الأحداث الطائفية الدامية عام «١٨٦٠» بحجة حماية المسيحيين وبذلك تم إنشاء دولة لبنان الكبير بحدوده الحالية.

ثم قامت فرنسا بتقسيم ما تبقى من سوريا إلى ست دويلات:

دمشق - حلب - دير الزور - سنجق لواء اسكندرون - دولة العلويين - ودولة جبل الدروز، وقد أُطلِقَ على هاتين الدولتين الأخيرتين أسماء طائفية.

في الرابع من شهر آذار عام ١٩٢١ وضعت في دمشق الأسس لحكومة «جبل الدروز» من قبل مندوب المفوض السامي «دوباور دي كاي» حيث بلغها إلى مندوبين عن الجبل؛ بإحداث إمارة تتمتع بحرية واسعة تحت الانتداب الفرنسي وعلى رأسها أمير من آل الأطرش، يعاونه مدراء دوائر ولجنة إدارية تدير الشؤون تحت إشرافه... وحفظاً لحقوق الدولة المنتدبة يجري تعيين مستشارين لمراقبة الحكومة، وقوات فرنسية تتمركز في جبل الدروز لحماية تلك الحقوق... وعيّن المندوب السامي الجنرال «غورو» زعيم الجبل «سليم باشا الأطرش» أميراً وحاكماً على الجبل ورئيساً للحكومة، كما عين الكومندان «ترانكا» مستشاراً لدى الحكومة المحلية.

دخول الاستعمار الفرنسي إلى الجبل

في الخامس والعشرين من شهر حزيران عام «١٩٢١» دخلت البعثة الفرنسية إلى الجبل مع الأمير «سليم الأطرش»، وتضم المستشارين والتراجمة والكتَبة وقوة من الجيش الفرنسي لفرض سلطة الحكومة الجديدة.

بالرغم من ضخامة الحدث لم أدرك شيئاً من أبعاده؛ فقد كنت طفلاً وكنت أسمع الأخبار بدون تأثرٍ أو إدراكٍ لمغزاها.

قبل الانتداب كانت المنطقة أي محافظتي درعا والسويداء تعرفان باسم «حوران» ومحافظة السويداء باسم «جبل حوران» حتى أن محافظة درعا قبل صدور التعليمات بتسميتها باسم عاصمتها كانت تسمى محافظة حوران...

إن فرنسا وقد مضى أكثر من قرن من الزمن على استعمارها لدول إفريقيا وآسيا وأمريكا أصبحت ذات تجربة عريقة في فنون الاستعمار؛ ومما سهل مهمتها هو جهل الشعوب التي تسيطر عليها.

فقد مهد لها الحكم التركي ذلك في البلاد العربية خلال أربعة قرون ونيف من الخلافة التركية الذي عمّق الهوة الطائفية بين كل سكان سوريا وبصورة خاصة في الجبل حتى يضمن بقاءه معزولاً وغارقاً في الجهل والتخلف. تلك كانت السمات البارزة لحكم الأتراك في جعل البلاد العربية كلها غارقة في ظلمة الجهل رغم النهضة العلمية التي بدأت في أوربا وانتشرت إلى بلدان كثيرة باستثناء البلاد التي تحكمها تركيا المستبدة الرجعية.

إن الرأي العام في الجبل لم يكن يشعر أن دمشق عاصمته، وهو جزء من الأمة العربية العظيمة؛ لأنه لم يلقَ إلا العداء والكراهية من كل من يحيط به... ولكن سرعان ما تغيرت الصورة بعد بدء انتشار التعليم، فأصبح أبناء الجبل في طليعة القوى الوطنية والسباقين إلى كلِّ عملٍ قومي ووحدوي.

إن الجهل وعدم التوجيه ساعدا في الوصول إلى هذه الحالة البائسة، لكن العلم وبذرة الوعي القومي كانا كفيلين بتغيير الحال.

بداية حكم الانتداب الفرنسي على الجبل

بدأ الأمير «سليم الأطرش» مع وجهاء الجبل القيام بجولات عامة؛ شملت كلّ المناطق لتصفية الخلافات القديمة، ولوضع أسس للحكم من خلال القانون... وفي هذه الأثناء كان والدي الشيخ «حمد أبو عساف» من المشاركين في هذه الجولات كممثل عن العائلة.

وقد تمّ الاتفاق على إجراء التشكيلات التالية: تعتبر السويداء مقراً للحكومة التي يرأسها الأمير «سليم الأطرش»، وتعتبر كلٌّ من صلخد وشهبا مراكز أقضية؛ وتمّ تشكيل عدد من النواحي لإرضاء كلِّ عائلات الجبل... وشكل مجلس تمثيلي من أربعين عضواً بالتعيين. أما في مركز الحكومة فقد شكلت مديريات تابعة للمستشار الفرنسي وهو بدوره تابع للأمير، وتمّ تعيين مستشارين فرنسيين في بعض هذه المديريات كالأشغال العامة والمعارف والمالية، كذلك انضمّ إلى هذه الدوائر موظفون من داخل الجبل وخارجه، وفي الأقضية كان القائمقام من زعماء الجبل ومعه مستشار فرنسي.

وقد عين في صلخد زعيم من آل «الأطرش» وفي شهبا من آل «عامر»، أما في النواحي فقد تمَّ تعيين مدير الناحية من عائلة والضابط المعاون له من العائلة التي تليها حسب العُرف. . . وشكلت قوة من الدرك مؤلفة من ثلاثمائة خيال يقودها ضابط فرنسي ويعاونه «توفيق بك الأطرش» الذي عُيِّنَ برتبة «ليتنان كولونيل» وتمَّ توزيعها في السويداء والأقضية والنواحي.

وكان من أهم ما قامت هذه الحكومة هو افتتاح المدارس في المراكز والأقضية والنواحي. وكانت قريتنا «سُليم» كمركز ناحية من القرى التي تمَّ فيها افتتاح مدرسة تستفيد منها القرى المجاورة. أما المعلمون فغالبيتهم من لبنان، ولبعضهم مهمات خاصة غير التعليم كقيامهم بالدعاية للدولة المنتدبة، وتوجيه ومراقبة الأهالي حسب رغبتهم، وما يخدم مصالح المستعمر.

كان التدريس بمجمله باللغة الفرنسية حيث تدرّس مواد الحساب والقراءة والقواعد والإملاء والتاريخ والجغرافيا لكلٍ من فرنسا وسوريا، ولا يدرَّس باللغة العربية إلا مادة القراءة والإملاء والقواعد العربية.

فكانت هناك كتب مخصصة للمستعمرات باللغة الفرنسية. . . مثلاً كنا نقرأ في كتاب التاريخ العبارة التالية: «بلادنا فرنسا كانت شمس لاغول». وأهلنا يسمون «لاغولوا». . . ونردد هذه العبارات دون أن نعرف معناها أو مغزاها سواء كنا سوريين أو جزائريين أو فيتناميين.

بقينا على هذه الحال حتى قيام الثورة السورية الكبرى عام «١٩٢٥» حيث انقطعنا سنتين عن الدراسة، انسحب خلالها الفرنسيون من الجبل وبضغطٍ من الثورة وبعد انتهائها اعيد افتتاح المدارس وتابعنا ما بدأناه. . .

الثورة السورية الكبرى

هناك أسباب كثيرة مباشرة وغير مباشرة أدت إلى تفجر الثورة السورية الكبرى وهي مذكورة في كثير من المصادر، فبذور هذه الثورة وجدت منذ بداية الاحتلال الفرنسي سوريا. . . فلقد أرسل «سلطان باشا الأطرش» أحد مبعوثيه للاتصال مع الملك «فيصل»

وذلك بعد مغادرته دمشق وطلب منه الحضور إلى الجبل والبدء بمقاومة الاحتلال الفرنسي انطلاقاً منه إلا أن الملك «فيصل» اعتبر أن الوقت قد فات للقيام بمثل هذه الخطوة. ومنذ ذلك الحين والأحداث تتفاعل.

خلال عام «١٩٢٤» وبعد وفاة الأمير «سليم الأطرش» حاكم الجبل حدث خلاف بين زعماء آل الأطرش حول من يخلفه وكان هناك ثلاثة مرشحين من آل الأطرش وهم الأمير حمد وعبد الغفار باشا ومتعب بك...

استغل الفرنسيون هذا الخلاف وحاولوا تثبيت وانتخاب الكابتن «كاربيه» حاكماً أصيلاً على الجبل، وبما أن المجلس التمثيلي المعين أصلاً من قبلهم لم يؤيد ذلك، قاموا بحلِّه، وحاولوا انتخاب مجلس جديد على مرحلتين.

يقوم السكان بانتخاب الأعضاء الثانويين في المرحلة الأولى، وهؤلاء بدورهم يقومون بانتخاب أعضاء المجلس التمثيلي بالمرحلة الثانية.

إن غاية الفرنسيين من هذا الإجراء الحصول على مجلس من أعوانهم، فأوعز الكابتن «كاربيه» إلى عملائه لترشيح أنفسهم، وكانت الانتخابات تجري في القرى بحضوره شخصياً ليقوم بالضغط على السكان لتمرير المخطط.

مثالاً على ذلك فقد حضر الكابتن «كاربيه» إلى قريتنا «سُليم» وجمعوا سكان القرية لهذه الغاية. طلب من والدي الشيخ «حمد أبو عساف» أن يرشح نفسه للمرحلة الأولى حتى يتمّ إبعاده من الوصول إلى المجلس التمثيلي، فأجابه والدي بأنه قد ترشح إلى المجلس التمثيلي والكابتن يعرف ذلك...

وجرت الانتخابات للمرحلة الأولى ومن ثم انتخابات المرحلة الثانية حيث ضغطوا على والدي كي ينسحب لصالح مرشحهم؛ فأبى؟! وبالانتخاب فاز بعضوية المجلس... لم يتمكن الفرنسيون من تحقيق مآربهم؛ لأن المجلس الجديد لم يخضع للضغوطات الكبيرة التي وجهت إليه، ولم يقم بتثبيت الكابتن «كاربيه» حاكماً للجبل. وبقي يمارس عمله حتى اندلاع الثورة.

في الأول من أيار عام «١٩٢٥» غادر حاكم الجبل بالوكالة الكابتن «كاربيه» إلى فرنسا بإجازة مدتها ثلاثة أشهر وعيّن وكيلاً عنه الكابتن «رينو» وخلال غيابه شعر السكان وأعضاء المجلس بحرية أكثر، فبدأوا بكتابة العرائض وإرسال الوفود إلى المندوب السامي يصفون أعماله ويطالبون بعدم إعادته إلى الجبل. . . في داخل المجلس رفض أربعة أعضاء التوقيع على عريضة إقصاء الكابتن «كاربيه» وأيدوا بقاءه.

بتاريخ ٣/ تموز/ ١٩٢٥ وخلال انعقاد الدورة العادية للمجلس التمثيلي قام أهالي السويداء بالتجمع أمام دار الحكومة، وعند خروج الأعضاء المعارضين الأربعة الذين لم يوقعوا على عرائض الاحتجاج؛ هاجموهم وأهانوهم بالكلام والضرب. . . تدخل اليوتنان «موريل» مع قوة من الدرك محاولاً تفريقهم، فلم يتمكن وحدثت اشتباكات استخدمت فيها العصي والحجارة من الجانبين. . . تدخل عدد من الوجهاء والنواب الآخرين وفرقوا المظاهرة، وعملوا من أجل التسوية مع السلطة. إلا أن الحالة لم تهدأ!! فحضرت قوة من الجيش الفرنسي ووضعت حراسة مشددة على دار الحكومة. وقامت الدوريات المصفحة بالتجول في شوارع المدينة. بعد ذلك قامت السلطات الفرنسية بعزل الكابتن «رينو» من منصبه وعينت مكانه الكومندان «توما مارتان» وحضرت لجنة للتحقيق بأعمال الكابتن «كاربيه». . طلبت السلطات الفرنسية من بعض زعماء الجبل الحضور إلى دمشق للتشاور معهم إلا أنها قامت مباشرة بنفيهم إلى مناطق نائية «كتدمر - والحسكة - والميادين»، وفرضت عليهم الإقامة الجبرية، وكان «سلطان باشا الأطرش» من المطلوبين للذهاب إلى دمشق إلا أنه تخلّف ولم يُلَبِّ الدعوة، وبدأ بجولة مع فرسان «القريّا» وغيرهم من القضاء الجنوبي للتحضير للثورة. فزار كلاًّ من «ملح» و «متان» و «عرمان» وقام ومن معه من الفرسان تتقدمهم البيارق بمهاجمة مركز القضاء في «صلخد»، وأحرقوا مقر المستشار ومركز القضاء.

أرسلت القيادة الفرنسية من السويداء قوة مؤلفة من سرية مشاة معززة بالفرسان لإلقاء القبض على «سلطان باشا الأطرش» فخيمت في طريقها على نبع الكفر وعندما علم «سلطان باشا» بتحركها لاقاها بسرعة مع القوة التي معه إلى الكفر هاجمها وقضى عليها بالسلاح الأبيض وكان ذلك بتاريخ ٢١/ تموز/ ١٩٢٥ بعد هذه المعركة مباشرة تحصنت القوة الفرنسية الباقية في قلعة السويداء وانسحب جنود الجبل إلى قراهم.

بعد معركة الكفر التي قام بتنفيذها أبناء القضاء الجنوبي رغب «سلطان باشا الأطرش» أن تعم الثورة كل أنحاء الجبل. وبالاتفاق مع الشيخ «أحمد الهجري» دعي إلى اجتماع عام تمَّ عقده في قرية «قنوات» المقر الروحي؛ وضمَّ ممثلين عن كلِّ أبناء الجبل، وقرر المجتمعون إشعال نار الثورة ضد الفرنسيين حتى جلائهم التام عن أرض الوطن.

رغب «سلطان باشا» القيام بجولة في القضاء الشمالي مع وجهاء الجبل كما فعل في الجنوب فزاروا «شهبا» وبعض مراكز النواحي حيث جرت اجتماعات عامة شملت أبناء القضاء وتقرر فيها الاشتراك بالثورة حتى الجلاء التام عن أرض الجبل.

بعد أيام جرت معركة المزرعة والتي استمرت ثلاثة أيام متتالية، وفي ٣/آب/ ١٩٢٥ انتصر الثوار وقضوا على جيش الجنرال «ميشو» بكامله وغنموا كل أسلحته من مدفعية ورشاشات وبنادق، وتمَّ أسر المئات من جنود العدو، أما الجنرال «ميشو» وعدد قليل معه فقد انسحبوا بالمصفحات من أرض المعركة.

هذا الانتصار العربي أيقظ الهمم، فسارع رجال السياسة الوطنيون من سورية ولبنان إلى جبل الدروز من أجل الاتصال والتنسيق مع «سلطان باشا الأطرش» ورفاقه.

وفي اجتماع عقد في قرية «عرى» وضمَّ زعماء الثورة في الجبل مع الزعماء الذين قدموا إليه ومنهم الدكتور «عبد الرحمن الشهبندر» و «نسيب البكري» و «نبيه العظمة» والشيخ «محمد حجازي»، وغيرهم ومن لبنان الأمير «عادل أرسلان» و «فؤاد سليم» و«عادل بك النكدي» و «رشيد بك طليع» وغيرهم قرروا ما يلي:

يطلق على هذه الثورة اسم الثورة السورية الكبرى وانتخبوا «سلطان باشا الأطرش» قائداً عاماً لها، وأكدوا على ضرورة انتشار هذه الثورة لتشمل كل أنحاء الوطن وتحقيق الوحدة السورية، وتمسكوا بمبدأ أنه لا يجوز إجراء صلح منفرد مع أحد الأطراف المشتركة ما لم تتحقق كل هذه الأهداف.

أرسلت السلطات الفرنسية الوفود من سوريا ولبنان إلى الجبل لبحث الصلح فرفض «سلطان باشا الأطرش» الصلح المنفرد وطالب بجلاء فرنسا التام وتحقيق الوحدة

السورية. . . ولكي تعم الثورة كل أنحاء سورية كما نص الاتفاق سُيرت قوات من الجبل إلى دمشق ولكنها لم تتمكن من اختراق الحماية المشددة من قبل القوات الفرنسية وعادت بعد أن خاضت معارك عديدة أثناء سيرها مع القوات البرية الفرنسية والطيران.

أما القوة التي اتجهت إلى منطقة «قلعة جندل» و «عرنة» فقد انضم اليها سكان هذه القرى وجوارها وهاجموا مراكز الجيش الفرنسي في «قطنا» فلم ينجحوا، وبعدها هاجم الجيش الفرنسي هذه القرى وأجبر المجاهدين على الانسحاب منها. . . بالنسبة للقوة التي اتجهت إلى «مجدل شمس» فقد انضم إليها أيضاً سكان المنطقة وتابعوا جميعاً إلى «حاصبيا» و «راشيا» وتمكنوا من احتلال هذين الموقعين وجوارهما لعدّة أشهر بمساعدة سكانها، ثم اضطروا إلى العودة بعد أن قام الجيش الفرنسي وبقوى كبيرة برية وجوية بالهجوم على مواقعهم.

اشتراك حوران بالثورة

في ٢٢ تشرين ثانٍ ١٩٢٥ بعث «سلطان باشا الأطرش» بطلب إلى والدي الشيخ «حمد أبو عساف» ليوافيهم رجالاً وفرساناً مع بيرق قرية «سليم» إلى قرية «الثعلة» وكانت هذه جزء من دعوة عامة وُجِّهت إلى كل قرى الجبل.

وعند وصولهم وجدوا بيارق «القريّا» و «صلخد» و «عرمان» و «متان»، وفي اليوم التالي عقد اجتماع ضم بعض زعماء الجبل من بينهم «سلطان باشا الأطرش» و «عبد الغفار الأطرش» و «هايل عامر» و «حمد أبو عساف» و «شبيب القنطار» مع الشيخ «محمد الحسن الحريري» والشيخ «مصطفى الحسنين» اللذين قدما من حوران للتشاور بعد أن تمَّ الاتفاق بينهم وبين «فضل الله باشا هنيدي» على أن تمتدَّ الثورة لتشمل حوران السهل. . . وقد طلب الشيخان بتوجيه قوات من الجبل لتتجول في قرى حوران تشجيعاً للرأي العام واستنهاضاً للهمم حتى يتسنى لهم المشاركة في الثورة وإجلاء المستعمر.

وافق المجتمعون على الطلب وكتبوا إلى زعماء حوران رسالة سلمت إلى الوفد الذي حضر منهم أخبروهم فيها أنه قد تمَّ تعيين «عقداء» للقوات التي ستتوجه إلى حوران وهم السادة «يوسف هلال الأطرش» و «سليم هنيدي» و «عبد الكريم أبو

عساف» و «هلال عزالدين» و «حمد عزام» و «شبيب القنطار» و «سليم كيوان» و«إبراهيم نصر» وشرحوا لهم مهمة هذه القوات.

بتاريخ ٢٤/ تشرين ثانٍ/ عاد الشيخ «محمد الحسن الحريري» و «محمد الحسنين» حاملين معهما بلاغاً موقعاً من شيوخ ومخاتير قرى «الحراك» و «الحريك» و «علما» و«خربة غزالة» وغيرها يرحبون فيها بحضور القوات من الجبل ويعلنون عن استعدادهم لتقديم كل الدعم لها.

تحركت القوات مع البيارق ووصلت إلى «المليحة» و «الحراك» وكان الاستقبال رائعاً تخللته الأهازيج والنخوات ثم تابعوا طريقهم بعد أن انضمَّ إليهم سكان هذه القرى وقرىً أخرى، إلا أن قصف الطيران المستمر ومهاجمة القوات الفرنسية لهم أفشل مهمتهم فانسحبوا دون تحقيق هدفهم.

اشتراك عرب اللجاة بالثورة

عقد اجتماع عام موسع في «قنوات» حضره أكثر زعماء الجبل وتقرر فيه الاجتماع مع ممثلي عرب «السلوط» في اللجاة، تنفيذاً للاتصالات الجارية معهم وتم تشكيل وفد ضمَّ كلاً من «سلطان باشا الأطرش» والشيخ «يوسف الهجري» و «هايل عامر» و «حمد أبو عساف» وانضم اليهم فيما بعد «خليل أبو فخر» و «حمد عزام» وحدد مكان الاجتماع على الحدود بين قرية «داما» التابعة للجبل وقرية «جدل» من قرى اللجاة عند بئر «فحيمة» وقد تمَّ اللقاء في الوقت المحدد حيث حضر وفد عرب اللجاة برئاسة الشيخ «طلال أبو سليمان» رئيس عشيرة السلوط و «أحمد الغصين» وغيرهما من وجهاء العشيرة... وبعد أن طلب الشيخ الأمان من الدروز وذلك بسبب خلافات قديمة أعطاهم «سلطان باشا الأطرش» الأمان وقال لهم (باسم الوفد الموجود هنا) وقام بتسمية أعضائه ونيابةً عن الغائبين: كونوا آمنين مطمئنين على نفوسكم وعيالكم وحلالكم ولا فرق بيننا وبينكم، وأضاف: إن الدروز من أهل الشيم... وعندما تنتهي هذه الحرب بجلاء المستعمر عن بلادنا وبجهود كل أبنائه، لنا «محاويل» عند بعضنا وسيأخذ كل فرد حقه.

رحب الشيخ «طلال» بهذا الاقتراح باسم عشيرة السلوط وقال: إننا نعتبرك يا باشا بمقام الوالد «تمون علينا جميعاً» وسنكون معكم جنباً إلى جنب ضد المستعمر ولن يحصل من قبلنا أي شيء يؤثر على هذه الثورة. . . بعد ذلك طلب «أحمد الغصين» مهلة يوم واحد يقوم به بإبعاد بيته القريب من أحد معسكرات الجيش الفرنسي وبعدها يقومون مع ثوار الجبل بتعطيل خط السكة الحديدية الذي يربط «دمشق بأزرع ودرعا».

بتاريخ ٢٩/ تشرين ثانٍ/ توجهت إلى قرية «صور» في اللجاه قوة تضم أهالي قرية «عريقة» والفرسانَ المتواجدين فيها من قرى «قنوات، والكفر» وغيرها.

وبدأوا عملياتهم بتعطيل خط السكة الحديدية، لمنع وصول الإمدادات للقطعات الفرنسية المتواجدة في المنطقة. . . وبعد مدة تمكن الجيش الفرنسي وطيرانه من القضاء على هذه القوة بعد أن تمكنت من تعطيل هذا الخط الحيوي بعدة أماكن.

في أواخر ربيع عام ١٩٢٦ استغل الجيش الفرنسي بدء موسم الحصاد وانشغال الأهالي في العمل للحصول على قوتهم حيث إنهم لا يستطيعون العيش دون جني موسمهم فهاجم وبكثافة كلاً من «السويداء» و «شهبا» وتمكن من احتلالهما ثم استطاع احتلال «صلخد». . . استسلمت في البداية قرى القضاء الغربي وتبعتها القرى الواقعة في وسط الجبل على خط «شهبا السويداء صلخد» عدا بعض القرى القليلة التي بقيت تقاوم ومعها القضاء الشرقي وأطراف الجبل. . . وتحت ضغط جيش الاحتلال انتقل المجاهدون إلى اللجاه والقضاء الشرقي. . . عندها طبق الفرنسيون خطة مدروسة مستغلين الوضع القاسي للسكان، فأعلنوا فتح باب التطوع برواتب مجزية تصل إلى عشرة ليرات ذهبية للجندي وطوعوا أيضاً من ذوي النفوذ برواتب مغرية وبرتب رمزية (رئيس - ملازم - رقيب) دون أن يكون لديهم أية كفاءة للحصول على هذه الرتب وشكلوا عدداً من الكوكبات بقيادة فرنسية أضافوها إلى جيشهم الغازي لتساعدهم في القضاء على بقايا الثورة. عندها انقسم الجبل إلى فئتين متناحرتين وفقدوا بذلك تضامنهم ووحدتهم أمام عدوهم.

هاجم الجيش الفرنسي مدعوماً بهذه الكوكبات الخفيفة وبقيادة فرنسية أولاً اللجاه ثم القضاء الشرقي، والجنوبي الشرقي حتى تمكن من إخراج الثوار في عام/١٩٢٧/إلى خارج حدود الجبل حيث لجأوا إلى الأردن.

متابعة دراستي وانتسابي إلى الصف الخاص

في نهاية العام الدراسي/١٩٢٨ - ١٩٢٩/ دعينا نحن الطلاب من كل مدارس الجبل في الصف الأول، وهكذا كانت تسميته لامتحان عام في السويداء، اعتبروه كامتحان للشهادة الابتدائية وكان العدد ثمانين طالباً. . . تمَّ انتقاء اثني عشر طالباً لإتباع دورة خاصة سموها (الصف العالي) وهي أشبه بدار المعلمين وكنت منهم، مدة الدراسة ثلاث سنوات أما باقي الطلاب فقد تركوا الدراسة.

تم تعيين ضابط احتياط فرنسي ويدعى «جران» كمدير لهذه الدورة. . . وقد بدأ يعلمنا بالإضافة الى المواد التي كنا نتلقاها - العلوم الطبيعية، الفيزياء، الكيمياء، الهندسة، الجبر، وتاريخ فرنسا وجغرافيتها بالتفصيل ومختصر عن تاريخ وجغرافية سوريا ولبنان باللغة الفرنسية، وكان يساعده الأستاذ «بولص هاشم» ويعلم دروس القراءة والقواعد والإملاء باللغة العربية.

وقد وجد الأستاذ «جران» طلاباً أذكياء وعندهم قابلية ممتازة لتلقي العلوم فتوسع في البرنامج، مما سبب له انتقادات من رؤسائه. . . في السنة الثانية أبعدوه عن التدريس وأتوا بمعلمي الابتدائي ليكملوا ما بدأه «جران» وبما أننا كنا نعرفهم فقد شعرنا بالفرق؛ فأضربنا عن متابعة الدراسة ولأول مرة في تاريخ حكومة «جبل الدروز» تقوم فئة بالإضراب فلقد بدأنا نشعر كيف يعطوننا العلم المبتور. . . إذ لا يمكن لأي طالب أن يتابع دراسته في أي مكان آخر. . . الشهادة الممنوحة محلية وصالحة في جبل الدروز فقط. يمكن لحاملها أن يمارس عمله كمعلم أو موظف وفي دويلة جبل الدروز حصراً.

لقد كانت نتيجة الإضراب جيدة فأتوا بضابط احتياط آخر يخدم في البحرية ويدعى «دونرىٰ» وإن لم يكن مندفعاً مثل الذي سبقه إلا أنه كان جيداً وقد أمضيت باقي الدراسة معه. . . صار بإمكاننا فهم أوضاعنا على حقيقتها في ظل الانتداب وواجبنا نحو الوطن الكبير. . . مثلاً حكم الجبل العسكري، وكيف يعامل الشرطة والدرك والجنود الأهالي؛ مهزلة الكوكبات الخفيفة وكيف يقودها الضابط الفرنسي يعاونه الرقيب الفرنسي المحاسب الذي له حق الطاعة على الكبتن من أبناء البلاد. وقد كوَّن الطلاب رأياً أنه لا

يمكن أن نحصل على حريتنا ما لم تبدأ الطبقة المثقفة من كلِّ أنحاء سورية بالدخول إلى الكلية العسكرية لتخريج ضباط نظاميين يمكنهم السيطرة على جيش الشرق الخاص، القوة الوحيدة التي يمكنها الوقوف في وجه الفرنسيين.

خلال السنة الثالثة سنة التخرج سألني الأستاذ «دونرى» ماذا سأفعل بعد التخرج. أجبته ليس لدي خيار إلا سلوك طريق من سبقني أي أن أكون معلماً. قال: أقترح أن تتخصص في الزراعة، تذهب إلى مدرسة «بوقا» في اللاذقية إذ أن أراضيكم واسعة يلزمها مهندس زراعي: أجبته أن أرضنا قسمت وهي محدودة جداً وليست مروية ولا تحتاج إلى مهندس زراعي.

قبل ذلك كان المستشار قد طلبني مع أفراد صفي وكنا خمسة في قرية «سُليم» لينتقي منا واحداً لتعيينه ترجماناً في الكوكبة الخامسة قيد التشكيل وكان والدي موجوداً، فوقع الاختيار عليّ. رفض الوالد وقال: إذا دخل الكلية العسكرية فلا مانع لدي، أما تعيينه في الكوكبات فلن أوافق على ذلك أجابه المستشار قائلاً: يدخل الآن جندياً وفيما بعد ندخله الكلية العسكرية؛ رفض والدي هذا الطلب أيضاً وعدنا. كنت أرغب في التطوع طمعاً في الراتب وترك المدرسة وقد وسّطت من يقنع والدي بهذه الرغبة وغيرها ولكن والحمد لله ولحسن الحظ رفض. ولقد كان والدي على صلة دائمه مع مدير المدرسة «الصف الخاص» حيث كان يأتي بشكل دائم ويقابل المدير ويسأله عني وعن نشاطي المدرسي وسلوكي وملاحظاته ولقد دعاه عدة مرات إلى قرية «سُليم».

بعد مدة رآني الاستاذ «دونرى» ممتطياً صهوة جواد وكان واسطة نقل في ذلك الوقت. فعرض عليّ إذا كنت أرغب الدخول إلى الكلية العسكرية حتى يؤمن لي المساعدة مع الليوتنان «فييت» مدير المعارف فوافقت شخصياً ووافق والدي أيضاً.

عندما بدأنا بتحضير الوثائق تبين أن سني في الهوية أصغر من المطلوب؛ سعينا لتكبير السن، كان مدير الداخلية «توفيق بك الأطرش» وكان يشرف على دائرة النفوس أيضاً فرفض تكبير السن ولم أتمكن من تقديم الإضبارة. كان ذلك في نهاية العام الدراسي / ١٩٣١ - ١٩٣٢/ وقد حصلت على شهادة التخرج.

وعدني مدير المعارف الليوتنان «فييت» ومدير المدرسة الأستاذ «دونري» إن بقيت في المدرسة سنة أخرى أي بإعادة سنتي الدراسية فهما يتكفلان بإدخالي إلى الكلية العسكرية. وافقت على ذلك وأعدت السنة وكان والدي قد شجعني على ذلك، خلال صيف عام /١٩٣٢/ جرى إحصاء نفوس جديد وكان رئيس اللجنة «سليم بك هنيدي» جرى تصحيح السن ضمن المطلوب...

عند تقديم الطلبات خلال حزيران /١٩٣٣/ فوجئت بعرض لم يكن في الحسبان. فقد أخبرني مدير المدرسة أنه ومدير المعارف لا يمكنهما ضمان قبولي بالكلية العسكرية إلا بمساعدة الجنرال الحاكم أو المستشار الإداري أو قائد الجيش في السويداء.

فقد كان الحاكم يدعم الطالب «صالح بن عبد الغفار باشا الأطرش» والمستشار يدعم الطالب «نعمان أخو الأستاذ نجيب حرب» مراسل صحف، أما قائد الجيش فكان يدعم المساعد «توفيق الشوفي» واقترحوا حلاً أن أتطوع في الكوكبات كي أدخل الكلية في العام القادم. لم اوافق على هذا العرض وقلت لهما إذا حدثت عقبة في العام القادم ماذا سأفعل؟ لقد وعدتموني سابقاً أن أعيد السنة الدراسية لأدخل الكلية وقد تخرج رفاقي للتعليم وبقيت مع الذين جاؤوا بعدي بسنة فلن أوافق على ذلك. عندما سئلت عمّا سأفعل إذا لم أقدِّم للكلية العسكرية أجبتهم سوف أعمل بالزراعة... طلب مني إرسال والدي للاتصال بهما... أخبرته بما جرى وجاء لمقابلتهما طلباً منه أن يقنعني بقبول عرضهما فقال لهما لا يمكنني أن أفرض رأيي في موضوع يتعلق بمستقبله وهو بهذا السن والثقافة وعاد دون أن يتّخذ أي قرار... بعد أيام من التفكير وقبل إرسال الإضبارة عدت إليهما وقلت لهما أنتما في حلّ من مساعدتي ولكن أطلب إليكما ألاّ يكون في إضبارتي أي شيء يؤثر على قبولي؛ وعداني بذلك، وتقدمت بطلبي وكنا سبعة من حكومة الجبل ممن تقدموا للإمتحان... أثناء الامتحان في دمشق كان المراقبون من ضباط الجيش الفرنسي، كانت المادة تاريخ فرنسا وقف الكبتن المراقب يقرأ ما أكتبه... سألني أين تلقيت دراستك، أجبته في السويداء سأل هل يعلمون هكذا في السويداء، قلت نعم ما رأيك في الجواب؟ قال: أكمل وقد لمست بارقة الرضى عليه.

خلال شهر آب عندما ظهرت النتيجة كان مدير المعارف ومدير المدرسة في بيروت

وقد أطّلعا على أسماء الناجحين في المفوضية الفرنسية؛ فأرسلا إليّ برقية تهنئة قبل أن يصلني الإعلام الرسمي. وبعد عدة أيام وصلني كتاب القبول وتعليمات الوصول إلى الكلية العسكرية. ثم وصلني طلب رسمي لمقابلة الجنرال الحاكم «ماسييت». ذهبت مع الوالد وعندما قابلناه قال لي: كيف قدمت طلباتك إلى الكلية العسكرية ولم تطلب مساعدتنا؟ أخبرته بما جرى لكن الوالد قال له هذا بمسعاكم واهتمامكم؛ أجابه إن أبنك نجح بجهوده الخاصة ولم نساعده. فردَّ والدي: أنه تعلم بمدارسكم وشكراً لكم.

طلب الجنرال أن أزوره قبل ذهابي إلى الكلية العسكرية كي يعطيني توصية لمدير الكلية، وعندما جئت لزيارته كان استقباله لي لطيفاً وحاراً. قال لي ما دمت تعتمد على نفسك فلا حاجة للتوصية قلت له أنت طلبت ذلك ولا أصرّ عليها. قال: يجب أن تعتمد على نفسك في كل حياتك العسكرية كما فعلت حتى الآن. ولكن أطلب منك أن تأتي لزيارتي كلما أتيت إلى الجبل أثناء العطل. وهكذا كان طيلة وجوده في الجبل؛ يستقبلني بسرور ويسألني عن العمل في الكلية ويعطيني النصائح، وكنت أزور اليوتنان «فييت» والأستاذ «دونرى» وقد بقي في السويداء حتى تخرجت.

كان رسم الدخول إلى الكلية العسكرية خمسين ليرة سورية سنوياً وكلفة بدلات الخروج الصيفية والشتوية في السنة الأولى ستين ليرة والمصروف الشخصي ما بين خمس إلى عشر ليرات وكذلك أجور السفر أي كنت بحاجة إلى أكثر من مائة وعشرين ليرة سورية، وهذا أكثر من عشرين ليرة ذهبية والحالة المادية في الجبل سيئة.

أرسلني والدي إلى مستشار القضاء لأشرح له الوضع علّه يعطينا قرضاً زراعياً فأبى؛ وأخيراً تمكن والدي من بيع قطعة أرض واقترض جزءاً آخر لأنه لا يوجد من يشتري؟ رغبت في شرح هذه القضية لأبيّن صعوبة الحالة المادية في ذلك الحين.

في ٨/أيلول ١٩٣٣/ ذهبت إلى حمص، وقد شاع خبر وفاة الملك «فيصل» الأول والتأثر بادٍ على الجميع، وفي اليوم التالي ذهبت إلى الكلية العسكرية حيث قضيت مدة ثلاث سنوات.

الدراسة في الكلية العسكرية

بتاريخ ١٩٣٣/٩/٩ وصلت إلى الكلية العسكرية، ووصل الرفاق تباعاً حيث وجدنا أنه لكل طالب مستجد طالب قديم في انتظاره. وبمجرد وصول أحدنا وإعلان اسمه إلى رئيس الحرس يتقدم الطالب القديم ويعرّفه على نفسه ويخبره أنه مكلف باستقباله وإعطائه كل المعلومات التي يحتاجها والقيام بها وكان «متقدمي» هو «حسين أبو زين» من لبنان، ذهبنا إلى المكتب لتسجيل الوصول؛ سجلت اسمي وأخذت رقمي العسكري وهو (١٥٨١٢) وبقي هذا الرقم يرافقني حتى حصلت على رتبة «ملازم». ثم ذهبنا إلى المستودعات حيث استلمت مخصصاتي من الألبسة وهو ما يعطى لجندي متطوع... صعدنا إلى المهجع وارتديت البزة العسكرية لأول مرة... جمعنا الثياب المدنية ضمن طرد ووضعناها أمانة في المستودعات إلى أول عطلة ليأخذها صاحبها... في المهجع كان لكل واحد منا سرير حديدي وفراش وبطانيات وخزانة؛ علمني كيف أرتب الأغراض في الخزانة والبطانيات على السرير بحيث يكون التنسيق واحداً في المهجع، وعندما يمر التفتيش والذي يشمل السرير والخزانة يجب أن يكونا في الوضع المناسب... أمضينا باقي النهار في التعرف على صالات الكلية، صالات الدروس والراحة والتسلية والمطالعة والطعام ومكان الاجتماع وملاعب الرياضة بجوار المدرسة... في صباح اليوم الثاني بدأنا نحن الطلاب المستجدين بمقابلة «الكولونيل» مدير الكلية من (١٥ - ٢٥) دقيقة لكل طالب، المقابلة كأنها امتحان ثقافة وذكاء وإمكانيات ويناقش مواد فحص القبول ومواضيع أخرى. تتم هذه المقابلة أيضاً بعد كل امتحان فصلي حيث يتم الامتحان الأول والثاني من قبل المدرسين أما الامتحان الثالث في نهاية العام الدراسي تقوم به لجنة من خارج الكلية تعين من قبل القيادة وكذلك امتحان التخرج... الكلية مخصصة لكل الحكومات السورية واللبنانية، مدة الدراسة سنتان أو ثلاث أي ثلاثة صفوف. الدخول إليها يتم بعد امتحان القبول ونظراً لكون المستوى الثقافي غير موحد في الحكومات السورية فإن البرنامج يحتوي على ثقافة عسكرية، وثقافة عامة تعادل البكالوريا.

يُقبل الطلاب الذين ثقافتهم العامة جيدة في الصف الثاني مع الذين ترفعوا لهذا الصف من السنة الأولى السابقة... أما الذين ثقافتهم ضعيفة فهم في الصف الأول.

وكان اللبنانيون بأكثريتهم يدخلون الصف الثاني لأن لغتهم الفرنسية جيدة.

وفي نهاية السنة الثالثة يجب على الطالب أن يحصل على شهادة الثقافة العامة والشهادة العسكرية حتى ينجح ويرفع لرتبة ملازم.

بدأنا نمرُّ بمرحلة جديدة من حياتنا كلها حيوية ونشاط، أوقاتنا منظمة بصورة دقيقة جداً، الاستيقاظ في الساعة المحددة وبعد نصف ساعة الرياضة البدنية فطعام الفطور ومن ثم التمارين العملية حتى الظهر وبعدها دروس ثقافة عامة ونظرية حتى العشاء؛ بعد العشاء ساعتان في مطالعة حرة لتحضير دروس اليوم التالي وعندما تعلن ساعة النوم تطفأ الأنوار ولا يسمح لأحد أن يشعل النور أو إجراء اية حركة.. المدربون كلهم فرنسيون للعلوم العسكرية والثقافة العامة، على كلِّ دورةٍ ضابط ورقيب من أجل العملي على الطبيعة قبل الظهر وفي الخارج... ثم دروس نظرية تشمل (إشارة، أسلحة، خدمة داخلية) تحت إشراف صف ضابط اختصاصي، الأساتذة ضباط أكفاء برتبة «كبتن» أو مقدم كل باختصاصه من علوم ولغة وتاريخ؛ أي برنامج البكالوريا المقرر في سوريا ولبنان. أما اللغة فهي الفرنسية.. خلال الفصل الأول كان الكبتن «هنري غازي» اللبناني المدرب العسكري لدورة السنة الثالثة يعطي درساً لطلابه حيث قال لهم: كان رفيقكم الملازم «جوزيف صايغ» اللبناني خريج الكلية ترجماناً مع الكبتن «نورمان» قائد حملة الكفر وعندما هاجم الدروز الحملة وقضوا عليها قتلوا الملازم «صايغ» وشقوا بطنه وأخرجوا القلب وأكلوه بدمه وهذه عادتهم.. كان في الكلية ثلاثة من دروز لبنان هم «يوسف شميط» و «علي حماد» و «حسين أبو زين» في السنة الثالثة وكنت أنا الوحيد من الجبل في السنة الأولى - استغرب بعضهم هذه الرواية - وجاء من يسألني عن هذه الحادثة ويستوضح! فقلت هذا غير صحيح، إن الدروز قد خاضوا معارك كثيرة ضد الأتراك، ومع البدو أيضاً ووصلوا إلى زحلة عام /١٨٦٠/ ومما هو قريب جداً «الثورة السورية الكبرى» ضد فرنسا عام /١٩٢٥/١٩٢٧/ فلم يتهمهم أحد مثل هذه التهم الباطلة فهم يحافظون على حياة من يستسلم، وحرمة الميت مقدسة عندهم وإنني أستغرب كلّ الاستغراب أن تصدر هذه الأخبار الكاذبة عن مواطن عربي... كان عليه أن يعرف الدروز أبناء وطنه على حقيقتهم... ولكني أنصحهم أن يطالعوا في مجلة «جراند يلستراسيون» مقال لعدو الأمس الجنرال «كليمان كرانكور» عن الدروز في قاعة المطالعة. وكنت قد قرأت هذا المقال؛ والجنرال من الذين شاركوا في إخماد الثورة

حيث كان حاكماً للجبل وقد كتب هذا المقال بعد إحالته للتقاعد وقد وصف الدروز: «شجاعتهم وصدقهم وكرمهم» وكيف كان تصرفهم أثناء الثورة واستشهد على ذلك برجال الدين مثل الشيخ «أحمد الهجري» والشيخ «حسن جربوع» وأن الدرزي شجاع يقول الحق لا يكذب ولا يشهد بالزور.

في أوائل عام /١٩٣٤/ صدرَ عن المفوض السامي «الكونت ده مارتل» وكان قد استلم مهامه في أواخر العام الماضي، تعليمات تقضي بتعديل شروط التخرج من الكلية العسكرية وبدلاً من التخرج برتبة ملازم يتخرج الطالب برتبة مرشح يقضي في القطعات بهذه الرتبة من تسعة أشهر إلى سنتين.

أضربنا عن العمل لأننا دخلنا على الشروط التي تسمح لنا بالترفيع إلى رتبة ملازم مباشرة عند التخرج.. عُدِّلَ القرار وكان الحل أن يتخرج الستة الأوائل خلال ثلاث سنوات من الدورات الموجودة حالياً برتبة ملازم والباقون برتبة مرشح وبعدها يطبق القانون الجديد على الدورات الجديدة.

في الفصل الأول من العام الثاني وأثناء الفحص حدث أن نَقَلَ عنّي رفيقي عملية في الفيزياء ولم أتمكن من منعه، طلبت منه أن يغير الأحرف فلم يفعل بل نقلها حرفياً، أثناء التصحيح تبين أمر النقل وقد وضع درجة «صفر» لكلٍّ منا وعلّقت الأوراق على لوحة الإعلانات.

قُلت لرفيقي عليك أن تعترف إلى «الكولونيل» المدير أثناء المقابلة بأنك نقلتَ عنّي وافق ولكنه لم يفعل.. وعندما سألني «الكولونيل» أثناء مقابلته لي وكنت أدخل قبله أنكرت النقل ولم أقل له كلّ الحقيقة معتمداً على رفيقي ليقول الحقيقة. أما جواب رفيقي فقد كان مقنعاً للمدير أكثر من جوابي وثبتت التهمة عليّ، تأثرت كثيراً.. وكتبت طلب إستقالة لأنني خالفت قوانين الكلية، ولم أتمكن من إقناع رؤسائي ببراءتي (على أمل أن يفتح تحقيق بالموضوع وتظهر الحقيقة. لاحظ صديقي ورفيقي «مأمون بيطار» ما أكتب أخذ الورقة مني ومزقها وقال هل أتيت إلى الكلية لتستقيل يمكن أن تقبل الاستقالة، قلت له بإمكاني كتابة غيرها، قال: اترك هذا الموضوع حتى مساء الغد فإن بقيت مصراً على رأيك ندرس الموضوع.

في اليوم التالي وأثناء الدرس العملي في الخارج كان الملازم «محمد صفا» مدير الدورة قد وجّه سؤالاً لأحد أفراد الدورة وقد سأل طالبين قبل أن يوجه السؤال إليّ، لم انتبه تماماً للسؤال ولم يكن الجواب صحيحاً.

لاحظ الملازم ذلك إذ كنت من المبرزين في العلوم العسكرية انتحى بي جانباً وقال: ما بك وليست عادتك أن يشرد فكرك أثناء العمل! أخبرته بما حدث بقضية النقل وقلت له إني أفكر بالاستقالة، إذ يعتبرني الكولونيل قد كذبت عليه ولست بكاذب. . قال لي: عُدْ إلى عادتك لجدك ونشاطك وثابر على عملك ولا تفكر بهذا الموضوع ولا بالاستقالة. وأعلم أنك تدرس أشياء هامة كالعلوم العسكرية والثقافة العامة وهذا غير موجود في منطقتك ومن المفيد أن تطلع عليها، وحرام أن تضيّع الفرصة. في هذه اللحظة اقتنعت وعدت إلى نشاطي السابق.

في نهاية السنة الثانية يجري انتقاء طلاب للتخصص في سلاح الفرسان والمدفعية والهندسة، وكنا نتلقى علوماً أساسية وعامة تنطبق على كل الأسلحة مع درس (ركوب الخيل) أسبوعياً والسنة الثالثة تكون سنة تخصص كلٌ بسلاحه. . قدرت أهمية سلاح المشاة وتطوره وكانت رغبتي أن أبقى بهذا السلاح.

في المقابلة السنوية التي جرت في آخر العام سألني الكولونيل مدير الكلية عن السلاح الذي اخترته. قلت له: إني أفضل سلاح المشاة نظراً لتنوع إمكانياته، أجابني بقوله أنت الفارس الأول في الدورة وتختار المشاة؟! الأفضل أن تكون في سلاح الفرسان فيما بعد أخذت المصفحة ثم الدبابة مكان الحصان، كانت نصيحته قيمة وقد ساعدتني كثيراً أثناء خدمتي.

كان تشكيل سلاح الفرسان في قطعات الشرق الخاصة كالآتي:

١- كتيبة فرسان نظامية من كوكبتين، مركز القيادة «حمص» مع كوكبة واحدة الكوكبة الأخرى في مدينة «حماه» ضمن ثكنات حيث يقيم الجنود والرواحل، آمر الكتيبة المقدم «رفعت خانكان» وآمروا الكوكبات والرعائل ضباط سوريون نظاميون من خريجي الكلية العسكرية، ولا يوجد فرنسيون في هذه الوحدات. في الوحدات النظامية الفرنسي من أي رتبة له حقّ القيادة على السوري مهما كان قدمه. . السوري له حق

القيادة على الفرنسي إذا كان هذا الأخير دونه رتبة.

٢- ثلاث كتائب من كوكبات خفيفة غير نظامية وتشمل:

أ- الكتيبة الدرزية وهي مؤلفة من /٦/ كوكبات، وقيادة الكتيبة في السويداء.

ب- الكتيبة الشركسية وهي مؤلفة من /٤/ كوكبات، وقيادة الكتيبة في دمشق.

ج- كتيبة المنطقة الشمالية وهي مؤلفة من /٤/ كوكبات، قيادتها في حلب.

د- جرى فيما بعد تشكيل كوكبات (علوية، وكردية، وحورانية)..

آمروا الكتائب والكوكبات الخفيفة ضباط فرنسيون وكذلك موظفو المكاتب والمحاسبة كلهم فرنسيون.. أما ما تبقى من ضباط وصف ضباط وجنود فهم سوريون غير نظاميين فالرواحل ملكهم وهي في بيت العسكري مع سلاحه.

جرى تشكيل هذه الكوكبات خلال الثورات وجرى تعيين الضباط وصف الضباط والعرفاء والجنود بصورة عشوائية وبدون شروط.

فالضابط من عائلة معروفة في المنطقة ذات نفوذ!.

كان الفرنسيون يعينون من رتبة «عريف» حتى رتبة «رئيس» حسب مزاجهم وربما كان المعين برتبة ضابط أمّي أو شبه أمّي وغير أهل للقيادة لكن الاعتبارات السياسية هي التي تفرض التعيين.

الكوكبة مستقلة إدارياً آمرها «رئيس» أو «ملازم أول» فرنسي ومحاسب فرنسي من صف الضباط.. وهذا المحاسب الفرنسي له حقُّ القيادة حتى على الضباط غير النظاميين ويقدمون له الصف عند الاجتماع.

التخرج من الكلية العسكرية - وتعييني في الكوكبة الثالثة

تخرجتُ من الكلية العسكرية برتبة ملازم إذ كنتُ الأول على خمسة من الفرسان، والرابع في التصنيف العام على خمسة وعشرين طالباً.

أتذكر الفحص الفصلي الأول حين قبلت في الكلية العسكرية كان ترتيبي قبل الأخير باثنين فقط. أثناء وجودي في الكلية العسكرية لم يقبل أي طالب من أبناء الجبل؛ وقد تبين أن خطة الكلية تقضي بعدم قبول أحد حتى يتخرج الطالب الموجود في الكلية. كنا نجهل ذلك وكل سنة يتقدم طلاب للامتحان؛ فلو قبلتُ نصيحة مدير المعارف وأستاذي ربما ضاعت الفرصة عليّ!.

أحملُ أجمل الذكريات لأيام الكلية وقد كانت أساس تربيتنا العسكرية إذ كان «الكولونيل» المدير ومعاونه والضباط المدربون والأساتذة على درجة عالية من الثقافة والأخلاق، أما صف الضباط فقد كان منهم الجيد وبعضهم لم يتخلَّ عن عجرفته وغروره باعتباره مستعمر.

عيُنتُ في الكوكبة الثالثة اعتباراً من ١/ ٩/ ١٩٣٦ مركزها«حماه» تابعة للكتيبة النظامية في حمص.. آمر الكوكبة الرئيس «عزالدين البوشي» من الضباط الذين تخرجوا من تركيا؛ استلمت قيادة رعيل وأصبحت مسؤولاً عن تدريبه والإشراف على الاعتناء بالعتاد والخيول: ثلاثين عسكرياً مع سلاحهم وألبستهم وثلاثة وثلاثين حصاناً مع سروجهم ومهجع الجنود وأسطبل الخيول ومستودع للأسلحة والسروج.

تغير الحال من منفّذ في الكلية العسكرية إلى آمر رعيل مرؤوس لآمر الكوكبة!.

أصبحت مسؤولاً عن هؤلاء الجنود وخيولهم وعتادهم. وبالمقابل فقد تمّ تعيين جندي يعتني بحصاني ويأتي به مسروجاً وجاهزاً للعمل إلى بيتي وهو يرافقني على حصانه، وجنديٌ آخر لخدمة البيت وتنظيفه وتحضير الطعام.

سرّني هذا العمل وحسب البرنامج المقرر يكون التدريب إما للرعيل بمفرده أو

للكوكبة مجتمعة بحضور آمرها. أصبحنا نجد وقتاً كافياً لتدريب الجنود والخيول وقفز الحواجز.

في الثكنة يكون أحد الضباط بالتناوب ضابطاً أسبوعياً ويشرف على كلِّ أعمال الثكنة ويراقب التنفيذ من كل عناصر الكوكبة حسب البرنامج، مثل الاعتناء بالخيول وسقايتها وإطعامها في الوقت المعين وكذلك إطعام الجنود وخروجهم ودخولهم، ونظافة المهاجع وترتيبها وكذلك الاصطبلات.

دُعيت إلى مكتب آمر الكوكبة ليعرض عليّ ترشيحي لدورة ضابط محاسب للكتيبة بناءً على طلب آمر الكتيبة. قلت له ليس عندي رغبة لأعمال المكاتب وأفضل العمل في الصف لأطبق ما تعلمته في الكلية رجوته ليساعدني وفعل.

وجدت في هذه الكوكبة الملازم «محمود بنيان» آمر رعيل، ضابط نشيط ذو إمكانياتٍ ويتقن فنّ الفروسية عملياً. اتفقت معه وبموافقة آمر الكوكبة أنشأنا في حقل التدريب ساحة لقفز الحواجز على اختلاف أنواعها.. بدأت معه تدريب كل عناصر الكوكبة، وبعد أن دربنا عدداً من الخيول على قفز الحواجز، عممنا هذه الرياضة على كل العسكريين من صف ضباط وأفراد. شكلنا فريقاً ضمن الكوكبة من أجل التمارين واختيار فريق منهما للدخول في مباريات مع الكوكبة الأخرى من الكتيبة ومركزها «حمص». واقترحنا أن تمثّل الكتيبة في مهرجانات الفروسية التي تقام سنوياً مع القطعات الفرنسية.

اكتشفنا إمكانيات عسكريي الكوكبة إفرادياً، وصنفنا كل الخيول حسب إمكانياتها في القفز أو الجري السريع لمسافات قصيرة أو طويلة من أجل وضعها في المكان المناسب.

تمكنت مع الملازم «محمود» من القفز معاً على جوادين متحاذيين للحواجز الصعبة وكنا في طريق تعميم هذه القفزة المبتكرة على باقي العسكريين عندما صدر أمر نقلي إلى الكوكبة الخفيفة /٢٥/ حيث الخيول ملك للأفراد ولا يمكن التصرف كما كنا نفعل في الكوكبة النظامية.

نقلي إلى كتيبة شمال سوريا الكوكبة /٢٥/

في ١٥/ ٧/ ١٩٣٧ نقلت إلى الكوكبة / ٢٥/ من كتيبة شمال سوريا آمر رعيل ومركزها منبج. ما أن وصلت واستلمت عملي حتى بدأت المشاكل؟

آمر الكوكبة فرنسي الليوتنان «دور جفال» ضابط مشاة لا يترك مكتبه إلا نادراً، كل قضايا الكوكبة يحلها الرقيب الأول المحاسب «ناجييل» وهو مفوض من آمر الكوكبة.

في اجتماع الصباح يقدمون له الكوكبة عندما يحضر بالرغم من وجود ضباط.

اعترضت على ذلك وطلبت منه أن يحترم من هو أعلى منه رتبة وأن يؤدي التحية لي. وليس له حق بتقديم الكوكبة خاصة عند وجود ضباط، أجاب هكذا تجري الأمور بمعرفة آمر الكوكبة.

ابتدأ يسلّم علي برفع يده بتكاسل ولكنه كان يتجنب مقابلتي. وعندما يكون دور الخدمة علي لا يأتي إلى الاجتماع. وأنا لا أحضر الأجتماع عندما يكون دور الآخرين.

بعد التفقد صباحاً نذهب إلى التمرين في الخارج، وقد فوّضني الآمر بتدريب الكوكبة وكان في الكوكبة ملازم أول غير نظامي يدعى «محمود علي» آمر رعيل راجعت آمر الكوكبة حول موقف الرقيب الأول «ناجييل» وكيف تُقدّم له الكوكبة بحضور الضباط، وهذا مخالف للقانون، وهو لا يسلم عليّ بالتحية العسكرية الرسمية. أجاب منفعلاً هكذا تسير الأمور هنا ولست مستعداً لتغييرها؟! لماذا أتيت إلى هنا؟! لقد مرَّ ضباط نظاميون قبلك ولم يطلب أحد تغيير هذا؟ وهل تطلب حق القيادة على الملازم الأول «محمود علي»؟ أجبت: أتيت إلى هنا بأمر القيادة والملازم الأول «محمود» باعتباره أعلى رتبه له حق القيادة عليَّ. وكل ما أطلبه هو العودة إلى القانون العسكري الذي يحدد الحقوق والواجبات. وإذا كنت غير مستعد لتطبيق القانون فإني سأضطر لعرضه على آمر الكتيبة.

تقدمت بتقرير مفصل إلى آمر الكتيبة عن طريق التسلسل عن حقوق وواجبات ضابط

نظامي خريج الكلية العسكرية في الكوكبات الخفيفة غير النظامية شرحت فيه مفصلاً ما يجري في الكوكبة، وإذا كانت هذه الأعمال ستبقى على حالها أطلب نقلي. احتفظ آمر الكوكبة بهذا التقرير مدة خمسة عشر يوماً وكنت أسأله إذا كان رفع تقريري إلى القيادة يجيب بالنفي؟ أخيراً قلت له سأكون مضطراً لرفع تقرير مباشرة إلى آمر الكتيبة إذا لم ترفعه؟

في أواخر شهر آب استدعاني الكومندان «فيلار» آمر الكتيبة لمقابلته في حلب على أن أكون جاهزاً للسفر بمأذونية.

جرت المقابلة وقال لي: معك حق في كلِّ ما ذكرته في تقريرك، والجيش الفرنسي يطبق القانون بحذافيره. أما معاملة الرقيب الأول «ناجييل» فإنها ترتدي طابعاً خاصاً ضمن القانون لأنه صف الضابط الفرنسي الوحيد في تلك المنطقة وافقته على ذلك. سألني: كيف يجري التدريب أجبته إن التدريب غير مرضٍ وإن أكثرية الضباط وصف الضباط أُميّون أو شبه أميين لم يتبعوا دورات ولم يرفعوا عن جدارة لذلك لا يمكنهم القيام بواجب وظيفتهم. حبّذا لو تفتح دورات تعلمهم واجباتهم قدر الإمكان وتسمح لهم القيام بتدريب جنودهم. وذهبت بمأذونية مدتها عشر أيام.

بعد عودتي وجدت كلّ شيء قد تغير. وكنت أنوب عن آمر الكوكبة في الاجتماعات والتدريب. ولا يتدخل الرقيب الأول «ناجييل» في شؤون الخدمة خارج مكتبه.

خلال شهر أيلول حضر آمر الكتيبة لتفتيش الكوكبة. أثناء التمرين قال: أرغب في رؤية رعيلك. أجبته إني أدرب كل أفراد الكوكبة ومسؤول عنهم جميعاً. وبعد تمرين قتال أخبرني أنه أصدر أمراً لفتح دورة لتعليم عدد من الرقباء لكل كوكبات الكتيبة وعُيّنتُ مديراً للدورة.

مكان الدورة (إعزاز) وهي مركز كوكبة، مدة الدورة ثلاثة أشهر. كان مركز الكوكبتين الباقيتين في «عفرين وإدلب»، وضعت برنامجاً عاماً بالمواد التي تدرس موزعة على أسابيع وأرسلت نسخاً عنه إلى قيادة الكتيبة.

أثناء الدورة زار آمر الكتيبة إعزاز وشاهد الدورة في التدريب، طلبت منه الموافقة على تشكيل لجنة فاحصة وقد دعمت ذلك خطياً.

في نهاية الدورة حَضرت لجنة فاحصة واختبرت أفراد الدورة ضمن البرنامج وكانت النتائج جيدة نسبياً، وهي أول دورة تفتح في الكتيبة.

في شهر آذار /١٩٣٨/ عينت لاتباع دورة اطلاع على أجهزة الاتصالات اللاسلكية الحديثة في «بيروت» خضرها عدد من الضباط من القطعات النظامية والذين يملكون أو سوف يملكون مثل هذه الأجهزة. وهي دورة مفيدة جداً. وحسب التعليمات كان عليّ أن أقابل آمر الكتيبة في حلب بعد انتهائها.

سألني القائد إذا كنت أرغب في اتباع مثل هذه الدورات. أجبته إن الدورة مفيدة جداً. ولكن نظراً لعدم وجود مثل هذه الأجهزة في الكتائب الخفيفة سوف أنسى ما تعلمته إذ لا يمكن تطبيقه وتبقى الدورة بدون فائدة.

طلبت منه أن يقترح تعييني في دورة إلى مدرسة الفرسان والمدرعات في «سومير» بفرنسا، ومن العادة أن يذهب إليها ضباط سوريون ولبنانيون. أو في دورات آليات في سوريا أو لبنان حيث إني قَدَّرْت نظراً لتقدم الأسلحة وغزارة نيرانها وظهور الطائرة والمصفحة والدبابة أنه سينتهي سلاح الفرسان، ويحلّ مكانه سلاح الدروع ورغبتُ في التخصص في هذا السلاح الحديث.

يوجد أوامر دائمة في القطعات تبين الدورات وكيفية الترشيح لها. أما الدورات المستحدثة فإن القيادة العامة تعمم شروط الترشيح في الوقت المناسب.

في أول زيارة قام بها قائد الكتيبة إلى الكوكبة /٢٥/ قال لي: يؤسفني إبلاغك عدم قبول اقتراحي بتعيينك في دورة «سومير» لأن وزير الدفاع السوري يرغب تعيينه من سوريا.

على أثر معاهدة /١٩٣٦/ كانت حكومة جبل الدروز قد أُلحِقَت بسوريا مع المحافظة على استقلالها المالي والإداري بموجب قرار من المفوض السامي.

شرحتُ لقائد الكتيبة أَن قوات الشرق الخاصة تتبع حتى الآن إلى القيادة الفرنسية. والتحقت حكومة الجبل بسوريا ولم يعد هناك فرق بين الضباط السوريين وأنا منهم في حال ترشيح عدد من الضباط أرجو أن تكون كفاءة الضباط هي مقياس قبوله. من خلال الرجوع إلى إضبارته الشخصية، أو الامتحان بين الضباط المرشحين ويذهب الناجح.. وعد بدراسة ذلك مع القيادة.

خلال شهر آب أتى القائد لزيارة الكوكبة وعند وصوله كنا في استقباله على الجياد، حين رآني فاجأني بقوله «أبو عسّاف» نبأ جيد يخصك؟ لقد تمَّ قبولك لاتباع دورة في فرنسا.

إجراءات السفر إلى «سومير»

تبلغت قبولي لاتباع دورة الضباط في «سومير» فرنسا دورة عام /١٩٣٨ - ١٩٣٩/.

بدأت بتحضير إجراءات السفر حيث كان مقرراً في /٢٠/ أيلول ولكنه تأجل إلى /٢٠/ تشرين أول بسبب تحركات ألمانيا العسكرية واحتلال «تشيكوسلوفاكيا» كانت الكوكبة قد انتقلت إلى «ديريك» في الجزيرة، وعندما تأجل السفر التحقت بها حتى انتهى سبب التأجيل وتمَّ السفر.

أخبرني الملازم الأول «جدعان الشعراني» أنه والملازم الأول «حمد الأطرش» قد حصلا على منحة من حكومة الجبل عندما عينا لهذه الدورة مقدارها /٢٣/ ألف فرنكاً لكل منهما. نصحني أن أطلب ذلك رسمياً نظراً لغلاء الحاجيات والأجور في فرنسا، وأن الراتب لا يسدد المصاريف.

تقدمتُ بطلب إلى مندوب «المفوض السامي» في [illegible] عن طريق التسلسل وذهبتُ لمقابلته، سألني: لماذا تطلب ذلك؟ أجبته لا توجد مهمات لهذه الدورة وأخبرني من أتبعها أن الراتب لا يكفي، وأَنهم حصلوا على مساعدة من حكومة جبل الدروز.

قال: اصرفوا من الذهب المخزون عندكم أفضل من صرفه على الثورات؟!.

أجبته: لو بقي ذهب لما طلبت المساعدة! عندها قال كنا نقدم المساعدة عندما كان لنا صلاحية، أما الآن فإن المحافظ هو المسؤول عن ذلك ولا يمكننا التدخل؟!

تقدمتُ بطلب للمحافظ وكان الأمير «حسن الأطرش» ولم أحصل على نتيجة وذهبتُ بإمكانياتي الخاصة معتمداً على الراتب فقط.

كانت الغاية من اتباعي هذه الدورة هي اطلاعي على أحدث العلوم العسكرية حتى أتمكن من خدمة الجيش والوطن بأفضل ما يمكن دون الاكتراث بالناحية المادية.

أخذت الباخرة من بيروت مروراً بحيفا ثم الإسكندرية فمرسيليا، كنتُ في الدرجة الأولى، وفيها حتى الدرجة الرابعة؛ أقمتُ في غرفة نوم منفردة. يوجد في الباخرة مطعم وصالات للموسيقى حيث تقام حفلات رقص وغناء وهناك أنواع كثيرة من المأكولات والمشروبات حسب برنامج معيّن وكأننا في فندق عصري عائم.

لم نَسلَمْ من دوار البحر الذي يصيب أكثرية الركاب إذ يتعرضون للإقياء والدوخة بنسب مختلفة. . وصلنا «مرسيليا» صباحاً أطلعونا على تعليمات للتفتيش الجمركي في المرفأ والأشياء الممنوعة ووزعوا علينا كرَّاساً ومخطط دَليلٍ لأشهر المدن الفرنسية - فنادق - مطاعم - مَلاهٍ، مع الأسعار المحددة.

عندما قابلتُ الملازم الأول «جدعان الشعراني» أعطاني نصائح كثيرة منها أن آخذ معي أنواعاً من الدخان الفاخر ومصدرها فرنسا والذي يبيعونه إلى العسكريين في سوريا؛ وقد قال لي: تحتاج هذا لتضييف زوارك وإن كنتَ لا تدخِّن وبذلك يعتبرونك من رؤساء قبائل أفريقيا الغنيّة.

أخذت من الأنواع الجيدة، منها ما هو ضمن علب معدنية ونثرتها بين الألبسة في الحقيبة الكبيرة وضمن صندوق السرج والجزم وهما في مستودع الباخرة لا يمكن الوصول إليهما، لقد جلبتها معي بقصد الضيافة إذ إن ثمنها في فرنسا يزيد كثيراً عن ثمنها في سوريا.

كرّاس الجمرك يسمح بمرور علبة سجاير مفتوحة فيها أقل من عشرين سيجارة ويحدد العقوبات في حال المخالفة ومنها إعادة المسافر في أول باخرة تعود إلى موطنه. . . عندما قرأت الدليل رميت علب الدخان التي بقيت معي . . .في البحر وخشيت أن أعود إلى سوريا حين اكتشاف علب الدخان بين العفش. كنت أحمل حقيبة يد بها بيجاما ومنشفة وقميص وأدوات الحلاقة بينما يوجد في مستودع الباخرة حقيبة ألبسة كبيرة وصندوق يضم السرج والجزم. . . كان وصولنا إلى مرسيليا صباحاً والوقت المحدد لتحرك القطار الذي سأتابع سفري عليه في آخر النهار.

صعد مندوبو شركات نقل عفش الركاب إلى الباخرة، أعطيت مندوب الشركة «لوشار دونه» بطاقات العفش وهي نصف بطاقة مسجل عليها الاسم والرقم أما النصف الآخر المشابه فهو ملصق على الحقيبة والصندوق وسلمته المفاتيح على أن يسلمها لي الساعة الخامسة مساءً في محطة القطار وأخذت منه إيصالاً. سألني مندوب الشركة إذا كان يوجد بين الأغراض أشياء ممنوعة؛ أجبته يوجد علب دخان منثورة بين الأغراض لا أعرف عددها. أسرعت بالنزول من الباخرة حتى يتسنى لي زيارة معالم مرسيليا بدلاً من انتظار استلام الأغراض الذي يستغرق وقتاً طويلاً، وأنا أخشى العودة.

نزل الركاب مروراً بغرفة التفتيش مع حقائب اليد فقط. كان الموظف يمسك القميص أو أي شيء آخر يرفعه ويَنفِضُه ويرميه جانباً ثم يسمح للراكب بالمرور.

ساعدني الدليل والمخطط على زيارة بعض معالم مرسيليا التي اخترتها، وفي الساعة المعينة حضرت إلى محطة القطار وجدت مندوب الشركة وقد أودع الأغراض في القطار وأعطاني الإيصال، سألته عن الأجرة، أجابني مائة فرنك، وهي أجرة معقولة دفعتها عن طيب خاطر. سألته وعلب الدخان؟ أجابني لم يفتشوا الأغراض.

تحرك القطار باتجاه «ليون» المناظر خلابة، أراضٍ زراعية خضراء وأراضٍ مشجرة وأحراش لا توجد صحراء ولا أراضٍ قاحلة كما في بلادنا وما هي إلا فترة حتى خيم الليل وحرمنا من رؤية المناظر الجميلة.

في «ليون» وقفة لتغيير القطار خلال ساعة. . . فكرت أن أغير الرحلة حتى يتسنى لي رؤية المناظر نهاراً. ذهبت إلى رئيس المحطة وعرضت عليه الفكرة! قلت له إني

أزور فرنسا للمرّة الأولى وبدلاً من السفر ليلاً أرغب أن يكون نهاراً حتى لا أحرم من رؤية المناظر الجميلة.

لبى طلبي وغيّر بطاقتي وأخبرني عن موعد سفر قطار الصباح وأَن عفشي يبقى في القطار استلمه في «سومير».

اخترت فندقاً قريباً من المحطة وطلبت من سائق تكسي أن يوصلني إليه. أشار بيده إلى الفندق وقال: إنه قريب اذهب بمفردك حاولت السير ولكني لم أتمكن من الاهتداء إليه. طلبت من سائق تكسي آخر أن يوصلني إليه وإن كان قريباً. حجزت في الفندق وخرجت أتجول حتى آخر السهرة.

في صباح اليوم التالي أخذت القطار وتابعت الرحلة وكانت ممتعة.

«سومير» في منطقة «تور» على نهر اللوار وسط فرنسا لجهة الغرب وصلتها بعد الظهر وطلبت من رئيس المحطة أن يبقى العفش في المستودعات حتى أجد سكناً.

نزلت في الفندق وذهبت إلى منزل عائلة كان الملازم الأول «جدعان الشعراني» قد أعطاني عنوانها حيث كان يسكن. أجابتني السيدة أننا أجّرنا غرفنا ولكن نسأل لك، ولو كان رفيقك أخبرنا عن حضورك كنا حجزنا لك!.

وبعد ثلاثة أيام وجدت غرفة قريبة من المدرسة.

مدرسة سومير للفرسان والمدرعات

تطورت مدرسة سومير مع الزمن حيث كانت للفرسان وأصبحت تضم المدرعات وهي في تطور مستمر.

إن الضباط الذين تخرجوا من سان سير «الكلية المعادلة للكلية العسكرية عندنا» يتبعون دورة فروسية ومدرعات نظري وعملي وقد اتبعت الدورة معهم. عددهم ثلاثون ضابطاً موزعون على فئتين الخامسة والسادسة وكنت مع الفئة الخامسة.

وُزِّعت علينا مراجع الأنظمة التي سندرسها ضمن جدول عام. لاحظتُ أن الكتب التي سُلِّمت لي لا تضمُّ كلّ الأنظمة. وعندما راجعت بهذا الخصوص قالوا: إن هذه الأنظمة لا تعطى للأجانب لأنها سرّية. أقنعتهم بأن قطعات الشرق الخاصة تابعة للقيادة الفرنسية وأسلحتها هي أسلحة الجيش الفرنسي وأنا أتبع الدورة حتى اطلعَ على الأسلحة الحديثة والاضطلاع بدور المدرب فيما بعد. وافقوا على إعطائي كلّ الأنظمة.

جرى امتحان خطي بمادة نظام الرمي ولم أعطَ ورقة الفحص! سألتُ عن السبب قالوا: الضباط الأجانب مستمعون ولا يشتركون في الامتحانات.

شرحتُ لهم أننا قد تلقينا علومنا العسكرية باللغة الفرنسية وأنا أتبع هذه الدورة من أجل الفائدة ولا أريد أن يفوتني شيء. أُجِبتُ إلى طلبي واشتركتُ بكل الامتحانات الخطية والعملية.

في كل فروع التعليم شعرتُ أن المستوى لا يختلف بين كلية «حمص» في سوريا و «سان سير» في فرنسا إلاّ في الآليات فهو معدوم في سوريا. أما ضابط الفرسان خريج «سان سير» فإنه يحمل شهادة قيادة سيارة ومصفحة ودراجة نارية والدبابة مع معرفة ميكانيك هذه الآليات والإصلاحات الأولية.

طلبتُ أن أتخصص مثل أفراد دورتي أجاب الضابط المدرب: هذا صعب إذ ينقصك الكثير من المعلومات ولا تفقه شيئاً في السيارة. اعترضتُ وقلتُ: يجب أن تكون الدورة تامة.

وصل الأمر إلى رئيس الفرع فقام في الوقت المعين لهذه الدروس.. بتعيين مدرب خاص لي للسواقة والميكانيك ودراسة أجزاء السيارة وبعد ستة أشهر أمكنني الحصول على شهادة سوق سيارة ومتابعة دروس الآليات مع رفاقي واتباع برنامج إصلاح السيارات مع الزملاء.

كانت إمكانيات التدريب ممتازة، لكل نوع من الآليات يوجد نموذج للتعليم، المحرك مكشوف وأجزاؤه ظاهرة وفي آخر السنة كان المدرب يعطِّل آلية عن قصد. ويطلب من الطالب إصلاحها، ويتمكن أكثرية الطلاب من الإصلاح.

وبالنسبة لدروس الفروسية توجد أماكن واسعة ومسقوفة، حيث السقف مرتفع ويوجد نوافذ من البلور فوق مستوى رأس الخيّال من أجل التهوية. الأرض من زبل الخيول الناشف طرية يمكن نكشها باستمرار وكل مكان من هذا النوع يوجد به مستودع لكل أنواع حواجز القفز. يوعز المدرب أن تكون الساحة معدة حسب التمرين المطلوب. كل ضابط يتدرب له حصان خاص بالعمل وعليه أن يدرب حصاناً آخر غير مركوب من قبل ويجعله صالحاً للركوب ويجري فحصاً في آخر السنة تشمل كل الحركات ومنها القفز.

في نهاية العام الدراسي يجري مهرجان عام للفروسية يحوي على سباقات وقفز حواجز فردي وجماعي لكل طلاب المدرسة وتشترك فيه فرق من كل قطعات الفرسان في منطقة «تور» العسكرية ضمن مجموعات. وقد اشتركتُ به في مجموعة أفراد دورتي وحصلتُ على الجائزة الثانية وهي جائزة رمزية للذكرى أبرزُ صورة عنها في نهاية الكتاب أما بالنسبة للمواد الأخرى فيوجد غرف فيها لوحات تبين كل أجزاء السلاح أو الجهاز.

في الخارج الأراضي مناسبة للعمل من أجل التدريب على القتال والتمارين الشاقة في النادي وجدت لائحة لضباط الموقع المتقاعدين. وفيها عنوان الكولونيل «ماسييت» وعلمت أنه أخ الجنرال «ماسييت» أرسلت له بطاقة أطلب مقابلته. عين الوقت وأثناء المقابلة أخبرني أنه كان مدرباً للملازم «حمد الأطرش» عندما كان في المدرسة ولديه أفكار غامضة عن الجبل وأعطاني عنوان أخيه الجنرال «ماسييت» وهو رئيس هيئة التفتيش للفرسان والمدرعات مركزه «الانفاليد» أي القيادة العامة للجيش بباريس.

زيارة باريس

أرسلت كتاباً إلى الجنرال «ماسييت» وأخبرته أني في مدرسة الفرسان في «سومير» وأني سأقضي عطلة عيد الميلاد في «باريس» وأرغب مقابلته وقد حدد لي الوقت في رسالة خطية. . قابلته في «الانفاليد» مركز قيادة الجيش الفرنسي. حضرت باللباس العسكري، أخبرت رئيس الحرس وكان يعلم بهذه المقابلة. والغريب في فرنسا أن يأتي «ملازم» لمقابلة جنرال كبير وهم لا يعرفون جنسيتي.

البناء ضخم، الذي أوصلني إلى جناح الجنرال أخذ مخطط دليل يحوي رقم المدخل، ورقم الدرج، حتى أوصلني إلى جنرال رئيس أركان الجنرال «ماسييت» وهذا طلب مرافق آخر أوصلني إلى المكتب.

في الغرفة الكبيرة رأيت الجنرال واقفاً. وما أن أديت التحية العسكرية حتى تحرك نحوي ومدّ يده للسلام، عاد إلى مقعده وطلب مني الجلوس سأل عن الجبل، عن العمل وأعلن عن سروره لاستقبالي في فرنسا.

ثم قال: سوف تزور متحف «الإنفاليد» العسكري وبعد وداعه أرسل معي ضابطاً وذهبنا إلى المتحف. وهو جناح من البناء الضخم.

قال لي مدير المتحف ماذا ترغب أن ترى؟ أجبت ليس لدي فكرة!

قال: الزيارة يلزمها أيام. ولكن سوف تزور المهم. وعين لي دليلَ خبير...

١- زرنا جناح نابليون ومعاركه... صوره بأوضاع مختلفة أثناء المعارك في (المانيا - النمسا - ايطاليا - وروسيا). في كل غرفة مخطط المعركة وتاريخها والقائد المهزوم والخسائر والغنائم، الأعلام نموذج عن الأسلحة، الدليل يشرح ويجيب عن الأسئلة. كنت قد طالعت معارك نابليون والآن أراها مجسمة!.

٢- معارك الحرب العالمية الأولى «١٩١٤ - ١٩١٨» صورة المارشارل «فوش» قائد جيوش الحلفاء، مكتبه لعام «١٩١٨» بكامل أثاثه حيث وقع مندوب المانيا الهدنة. الدواة والريشة التي وقعت بها الهدنة حتى النشافة التي استعملت مع صورة لهذا الحدث العظيم. ثمّ غُرف معارك الحرب؛ «معركة فردان» الشهيرة والتي غيّرت مجرى الحرب. والتي حوصرت ثم فكُّ الحصار عنها بقيادة الجنرال «بيتان» الذي أصبح فيما بعد «مارشالاً» وقد عيِّن بعدها قائداً عاماً للجيش الفرنسي. ومعارك أخرى كمعركة «المارن» وغيرها.

٣- معارك الثورة السورية الكبرى عام /١٩٢٥/.

رأينا معركة «المسيفرة» هجوم الدروز عليها ثم خروجهم منها مع البيارق...

«أعلام الحرب» كما يسمونها غنائم المعركة.

أي أن معركة «المسيفرة» صنِّفَتْ مع معارك «نابليون» ومع معارك الحرب العالمية الأولى وهذه المعركة انتصر فيها الفرنسيون لكنهم لم يذكروا شيئاً عن معركتي «الكفر» و «المزرعة» اللتين هزمت بهما جيوش فرنسا شرَّ هزيمة.

زرتُ معالم «باريس» تلك المدينة العظيمة وبقيت بها كل أيام العطلة الى أول السنة حيث زرت: (الأوبرا، متحف اللوفر، قوس النصر، فرساي، أوتيل «ده لافيل»)... الخ.

أثناء وجودي في «منبج» ذهب اليوتنان «دورجفال» آمر الكوكبة في إجازة لمدة شهرين وعين الرئيس «حمد الأطرش» آمراً للكوكبة بالوكالة طيلة غياب الآمر الأصيل. في تلك الفترة حضرت فرقة آثار إلى «منبج» مؤلفة... من ثلاثة أشخاص مع توصية من المسؤولين لتأمين ما يلزمها. وبما أنه لا يوجد فنادق، والرئيس «حمد» لم يتمكن من استقبالها نظراً لوضعه المؤقت! استضفناها في بيتي طيلة مدة إقامتها.

علم رئيس البعثة أَني سأذهب إلى فرنسا فطلب مني أن أزوره في باريس وأعطاني العنوان ورقم الهاتف... وما أن علم بوجودي في فندق «اينفرسال» حتى اتصل بي هاتفياً وقال لي أنت غداً بضيافتنا؛ سآتي في حوالي التاسعة لاصطحابك.

ذهبنا إلى بيته حيث زوجته وابنتاه الشابتان وشابٌّ من أقربائهم خطيب إحدى بناته. قال: سنقضي نهارنا في غابة بولونيا. بعد تناولنا طعاماً خفيفاً ذهبنا إلى غابة بولونيا وجدنا بها أعداداً ضخمة من المتنزهين تجولنا بها ثم استقرَّ بِنَا المقام في إحدى الساحات العامة المعدّة للّعب على الجليد بالأحذية الخاصة وكانت رفيقتي إحدى بناته وجدت صعوبة في بادىء الأمر ولكن وبمساعدة ولطف المدربه تمكنت أن أتعلم لعبة رياضية لم أعرفها من قبل. ولم أعاودها مرة ثانية...

أمضينا في غابة «بولونيا» حتى المساء وعدنا إلى منزل المضيف تناولنا العشاء وبقينا حتى آخر السهرة. كان يوماً لطيفاً جداً ملؤه الود والجو العائلي في بلد بعيد... وأعادني إلى الفندق كما أخذني صباحاً بسيارته.

عدت إلى «سومير» لأتابع التدريب. وفي أحد الأيام حضر الجنرال «ماسييت» للتفتيش على المدرسة. حَضرَ ودوري في ساحة الفروسية وعندما عرفني كلمني باسمي؛ استغرب المدربون والطلاب معرفته لي. وقد أخبرتهم فيما بعد أنه كان حاكماً عسكرياً في بلدي. في المساء دعيت إلى مكتب الجنرال مدير المدرسة. سألني عن سبب اهتمام الجنرال «ماسييت» بأمري أخبرته عن الواقع. قال إن إدارة المدرسة تقدر جهودك حتى الآن. ثم ذهبت إلى مقابلة الجنرال «ماسييت» قال: سألت عن عملك؟ إن إدارة المدرسة تثني على اجتهادك وليس لها ملاحظة عليك إلى الآن. ثابر على عملك.

في عطلة عيد الفصح. قررت أن أزور جنوبي فرنسا وايطاليا. أخذت القطار إلى «نيس» وكانت مزدحمة بالسياح، وكان حجز الفنادق مؤمَّن أمضيت فيها يومين، انتقلت إلى مدينة «كان» وعند وصولي وجدت خبر استدعائي وقَطْعُ المأذونية قد سبقني نظراً للاستنفار وقد أسِفتُ لأنه فوّتَ عليّ زيارة إيطاليا والوصول إلى «نابولي».

عدتُ إلى «سومير» وجدت المدربين والطلاب قد عُبِئُوا والبعض قد التحق.

طلبوا مني التريث بعض الوقت فإذا بدأت الحرب تلغى الدورات.

جرى وفاق دولي وتأجلت الحرب. وتابعنا الدورة حتى /٥/ آب. في نهاية الدورة طلبني الجنرال «بريدو» مدير الكلية وقال: أنا مسرور لمعرفتك وإن لدى الجيش السوري ضباطاً على مستوى الضباط الفرنسيين. وقد حصلت على شهادة المدرسة.

انتقيت باخرة العودة «تيوفيل غويته» التي تمرُّ في مرافىء (ايطاليا - اليونان - تركيا).

كانت الحرب تبدو وشيكة الوقوع وكانت الباخرة تحمل تعزيزات من الجيش إلى سوريا وهذا ما جعلها تبتعد عن مرفأ «نابولي» والذي كان مقرراً في رحلتها.

وصلنا «أثينا» في اليونان حيث تقف الباخرة مدة خمس ساعات. نزلت وتجولت. زرت المتاحف طبعاً زيارة خاطفة. وصلنا إلى «استانبول» زرتُ أيضاً «آيا صوفيا» على الضفة الغربية ثم قصر «يلدز» وتجولت في المدينة ثم عدت إلى بيروت حيث ختمت

الرحلة.

إعلان فرنسا الحرب على ألمانيا النازية.

في ١٩٣٩/٩/١ وقبل انتهاء إجازتي دعيت بسبب الاستنفار وعينت في الكوكبة الرابعة من كتيبة الفرسان النظامية وقد رابطت هذه الكوكبة بجوار طرابلس بلبنان ومهمتها مراقبة الشواطىء ومنع الإنزال البحري. ثم نُقلتُ إلى بانياس للقيام بنفس المهمة.

أحالت القيادة الفرنسية علاماتي التي حصلت عليها من مدرسة الفرسان «بسومير» وتقديراً من مديرها الجنرال «بريدو» لتوضع في سجلي الخاص، وقد تسلمت من الرئيس «جميل رمضان» آمر الكوكبة نسخة عنها وكانت علاماتي جيدة ومن المؤسف أنني فقدتها عندما تمَّ نهب بيتي وبيتَ الرئيس «حمد الأطرش» في «حمص» وأعلمت القيادة في حينها.

في ١٩٣٩/٩/٢ أعلنت فرنسا وإنكلترا الحرب على المانيا وذلك بعد قيام الأخيرة في ١٩٣٩/٩/١ بمهاجمة بولونيا. وعملياً لم تقدم فرنسا وإنكلترا أية مساعدة فعلية لبولونيا ولم تحدث سوى مناوشات بسيطة على الحدود بين المانيا وفرنسا حتى تاريخ ١٠ أيار ١٩٤٠ حيث قامت الجيوش الألمانية باختراق حدود كلٍّ من (هولندا - بلجيكا - لوكسمبرغ - وفرنسا)..

استسلم الهولنديون في ١٤ أيار ١٩٤٠ والبلجيكيون في ٢٨ أيار وفي الفترة الواقعة من ٢٥ أيار حتى ٤ حزيران من نفس العام سُدَّت كل المنافذ وتمّ تطويق القوات الفرنسية والبريطانية المرابطة في فرنسا.

في /٤/حزيران/ تمكن الجيش البريطاني من الانسحاب عبر المانش وعاد إلى إنكلترا تاركاً القسم الأعظم من عتاده الثقيل. وتمّ أسر حوالي مليونين من القوات الفرنسية والبريطانية والبلجيكية والهولندية.

تابعت الجيوش الألمانية توغلها داخل فرنسا وأنهت مقاومة الجيش الفرنسي بتاريخ /٢٥/ حزيران/١٩٤٠/ حيث استسلمت فرنسا.

في/٢٨/حزيران/١٩٤٠/ تمّ توقيع معاهدة الاستلام والمتضمنة للنقاط الرئيسية التالية:

١- إعلان باريس مدينة مفتوحة لتجنيبها الدمار وقد دخلها الألمان دون مقاومة.

٢- يحتل الألمان شمال وغرب فرنسا من خط يمتد من «جنيف» إلى مدينة «تور» ومن هناك جنوباً إلى الحدود الإسبانية بما في ذلك الموانىء الفرنسية الواقعة على بحر المانش والمحيط الأطلسي.

٣- تبحر قطع الأسطول الفرنسية إلى مرافىء فرنسية معينة وتجرّد من سلاحها.

٤- تشكيل حكومة فرنسية يكون مقرها منتجع «فيشي».

نقلي إلى الكوكبة الثالثة مدرباً لطلاب الكلية العسكرية

في ١/٩/١٩٤٠ نقلت إلى الكوكبة الثالثة في حمص مدرباً لطلاب الضباط الفرسان في الكلية العسكرية. حضرنا للاشتراك في سباق الخيول في بيروت، أثناء التدريب على قفز الحواجز سقط عن الحصان ثلاثة ضباط فرنسيان وأنا حيث كسر عظم الترقوة. حتى ذلك الوقت كان الكسر ليس له دواء في الطب الرسمي.

في الصورة رأيت تبدّلاً شديداً في الكسر. وضع الطبيب القطن وربط اليد بوضع معين ولم يمسِ الكسر، سألته: كيف سيعود العظم إلى حالته الطبيعية؟ أجاب: مهمة العصب تعيده كما كان.

أخذتُ نقاهة شهر ونصف وعليَّ أن أراجع الطبيب في نهاية الشهر.

كنتُ أسمع عن «المجبّر» المشهور «أحمد ميدعه». طلبت من المرشح «فيصل أتاسي» أن يأتي به؛ ذهبَ إلى قريته القريبة من حمص وأحضره... عندما رأى الكسر قال: بسيطة بإمكاني تجبيره ولكن السلطة مانعة عنّي العمل تحت طائلة المسؤولية والعقاب. وعدناه أن يبقى الأمر سرّاً بيننا. طلب أربعة جنود وبيض وصابون... أما

الجنود فقد أمسكوا بيدي وبإشارة منه شدوا إلى الخارج وهو ممسك بالكسر فأزال التبدُّل وأحسن ربطه. وقال: يجب أن يبقى الجبار أطول مدة ممكنة بعد الشهر. في نهاية الشهر بدأ الطبيب مدير المستشفى يلُحُّ عليَّ لأحضرَ إليه. بقيت أماطله خلال عشرة أيام، راجعته بعد أن نزعنا الجبار العربي وبقيت ثلاثة أيام حتى تغيَّر اللون مكان الجبار، وأعدنا رباط المستشفى كما كان. كان الطبيب مسروراً من النتيجة وقال: ألم أقل لك إِن العصب يقوم بواجبه؟ أحد الضباط الفرنسيين وكان كسره في عظم الترقوة كون عقدة بحجم الجوزة مكان الكسر.

أما السباق فقد أُلغيَ بسبب الظروف الراهنة واحتلال فرنسا. كانت العادة أن يقوم الضابط المعين من قبل القيادة من الكوكبة الثالثة بالإضافة إلى وظيفته بتدريب طلاب ضباط الفرسان دورة التخرج باختصاصهم وإعطائهم دروس المعلومات العسكرية العملية والفروسية التي تؤهلهم الحصول على شهادة آمر رعيل.

تقدم الكوكبة رعيل التدريب لهذه الغاية. كما وتقدم الكوكبة ومركزها حمص الخيول اللازمة لدروس الفروسية لكل دورات الكلية العسكرية.

خلال المناورات السنوية التي تشترك فيها الكلية العسكرية والكوكبة الثالثة وقطعات من كلِّ صنوف الأسلحة «مشاة - فرسان - مدفعية - هندسة» في النبك عادة. يفرز طلاب ضباط الفرسان إلى الكوكبة الثالثة أثناء المناورة وينتقلون معها على الخيول. ويشتركون في أعمال الكوكبة تحت إشراف الضابط المدرب، يعودون بعد انتهائها إلى الكلية العسكرية.

قمت بتدريب الدورة التي تخرجت عام /١٩٤١/ باختصاص الفرسان ونجح طلابها الأربعة.

افتتاح دورة مؤهلة للترفيع - وتعييني مديراً لها

أصدر آمر الكتيبة النظامية أمراً بافتتاح دورة للعرفاء والجنود مؤهلة للترفيع إلى رتبتي (رقيب وعريف).

مدير الدورة: الملازم الأول «أمين أبو عساف».

معاون مدير الدورة: المرشح «فيصل أتاسي».

يتبع هذه الدورة /٨/ عرفاء و /١٢/ جندياً، بدأنا التدريب حسب البرنامج المقرر.

بعد مدة أتى لمقابلتي في المنزل العريف «عايد فلوح» من الكوكبة الرابعة، بعد جلوسه قال: أقدم هذا المبلغ قيمة فنجان قهوة ومد يده بالمبلغ!.

سألته كم المبلغ؟ أجاب ثلاثمائة ليرة سورية هذا ما تيسر معي وبعد شهر يمكنني دفع مائتين زيادة على هذا المبلغ. أمرته ارجع المبلغ إلى جيبك. وقلت له: فنجان قهوة قيمته ثلاثماية ليرة سورية هذا كثير!. لماذا تدفع هذا المبلغ؟ أجاب: قيل لنا إن الذي لا يدفع لا ينجح في الدورة؛ وهذا ما فعله غيرنا من قبل. سألته كم هو راتبك أجاب /٣٥/ ليرة سورية، وأفراد عائلتك أجاب خمسة أشخاص... المبلغ الذي قدمه يعادل راتب تسعة أشهر تقريباً وسيزيد عليه!. وكيف تعيش عائلته؟

أجبته أنت تستحق الطرد من الدورة لقاء تقديم هذه الرشوة ولكن لن أفعل ذلك شفقة على عائلتك على أن لا تعود أنت وغيرك إلى مثلها مرة ثانية. تبقى في الدورة إذا أخذت العلامات المطلوبة تنجح وتستحق الترفيع.

وإذا كانت علاماتك دون المعدل ترسب. وهذا ما يطبق على كل أفراد الدورة.

أنا أستلم راتب مقداره سبعون ليرة سورية وأنا عازب وما نقوم به من تدريبكم هو واجبنا ليعلم الجميع هذا!..

بعد انتهاء الدورة نجح /٧/ عرفاء و /١١/ جندياً ورسب اثنان، وكان العريف «عايد فلوح» من الناجحين وترتيبه السادس.

محاضرة عن الدروز في «جبل الدروز»

كان ناظر الموقع بتوجيه من قائد المنطقة يضع برنامجاً لإلقاء محاضرات في مواضيع مختلفة في نادي ضباط الموقع - قاعة المحاضرات - يحضرها جميع الضباط. غالباً تلقى هذه المحاضرات من قبل ضباط فرنسيين وأحياناً سوريين.

عُينت لإلقاء محاضرة موضوعها «الدروز في الجبل» - طبيعة المنطقة - العرق - الأصل - التقاليد - العادات. الغريب في الأمر أن ناظر الموقع الفرنسي أعطاني أسماء مراجع معينة في مكتبة نادي ضباط موقع حمص. وجدت عدة مراجع وبدراستها تبين أن بعض الكتاب الفرنسيين يرجعون نسب الدروز في الجبل أو قسماً منهم إلى الفرنسيين!. بحجة أنه عند جلاء الصليبيين عن فلسطين والشرق كان في الجهة الشرقية من القدس في حوران أو جوارها مجموعة من الفرنسيين تعدادها بضعة آلاف بقيادة الكونت «درى Dreut» الفرنسي محاصرة من قبل جيوش العرب، هذه المجموعة انقطعت أخبارها ولم تلتحق بجيوش الصليبيين عندما جلت عن بلاد العرب.

الكتاب الفرنسيون رجحوا أن تكون كلمة «درى Dreut» قد تحورت إلى درزي أو دروز!.

قبل إلقاء المحاضرة سألني ناظر الموقع عما وجدته في المراجع التي ذكرها لي. أجبته أن سكان جبل الدروز هم عرب مسلمون... أصلهم من اليمن هاجروا إلى العراق وبعد اعتناقهم الإسلام هاجروا إلى سوريا وبعدها إلى لبنان. وعند وصولهم إلى جبل حوران آتين من لبنان في القرن السابع عشر لم يكن فيه غير البدو وقد رحلوا عنه واحتله الدروز.

أما تسمية «دروز» فهي نسبة إلى أحد الدعاة الفاطميين الذي انشق عن الدعوة واسمه «الدرَزِي».

ألقيت المحاضرة في الوقت المعين بما يثبت عروبة الدروز التامة وينفي كل علاقة للكونت «دري Dreut» وجماعته بهم.

الحرب عام ١٩٤١ بين قوات «فيشي» وقوات فرنسا الحرة والجيش البريطاني»

على أثر هزيمة فرنسا أمام المانيا النازية عام ١٩٤٠ تمكن المارشال «بتان» العجوز ذو الماضي اللامع من السيطرة على فرنسا بجيشها وأسطولها ما عدا نفر قليل من الضباط ورجال السياسة.

«ديغول» الذي ترفع حديثاً لرتبة جنرال على أثر المعارك الناجحة التي خاضها مع فرقته المدرعة أثناء المعارك في فرنسا كان قد أصدر كتاباً عام ١٩٣٦ عن استعمال المدرعات في المستقبل بكتل كبيرة متحركة تساندها مشاة محمولة ومدفعية ذاتية الحركة، لا كما هو الحال في الجيش الفرنسي في ذلك الوقت إذ كانت المدرعات موزعة على فرق المشاة. لم يأبه العسكريون الفرنسيون بهذا الكتاب إلا أن الألمان قد طبقوا نظرية «ديغول» واجتاحوا اوروبا حتى أوقفهم السوفييت فيما بعد.

لقد قاوم الجنرال «ديغول» الاستسلام ولم يجد من يؤيده في فرنسا في ذلك الحين، فتمكن من الهرب إلى لندن بطائرة الجنرال «سبيرس» ضابط الارتباط الإنكليزي مع الجيش الفرنسي آنذاك.

وبعد وصوله إلى لندن ومقابلة «تشرشل» رئيس وزراء بريطانيا الذي يحاول أن يجنب بلاده المصير الذي وصلت إليه فرنسا واتفقا على متابعة الحرب.

أذاع الجنرال «ديغول» أول بيان له من لندن موجه إلى الفرنسيين أينما كانوا يعلن به مواصلة الكفاح حتى النصر. وأن فرنسا خسرت معركة ولم تخسر الحرب!. ويطلب من الفرنسيين حمل السلاح والالتحاق به لمتابعة القتال وتحرير الأرض.

بقي في لندن يشكل قوات فرنسا الحرّة. ثم انتقل إلى «برازافيل» عاصمة مستعمرة فرنسية في غربي إفريقيا وهي المستعمرة الأولى التي استجابت لندائه.

بدأت المانيا بالتدخل في شؤون المستعمرات الفرنسية بواسطة لجنة الهدنة. ولما كانت سورية تحت سلطة انتداب حكومة «فيشي»... تدخلت المانيا فيها لدعم ثورة «رشيد عالي الكيلاني» في نيسان /١٩٤١/ بالعراق ضد الحكم الملكي وضد الإنكليز

(وقد قضى الجيش البريطاني والجيش الأردني على هذه الثورة الوطنية). أما في ليبيا فلقد هاجمت دول المحور مصر.

ونظراً لأن سورية منطقة حساسة وخوفاً من أن تشكل ممراً ومستقراً لجيوش «هتلر» من الشمال، كان من الضروري احتلالها. اتُّفِقَ أن تدخل قوات رمزية من فرنسا الحرّة تدعمها بريطانيا مع قيادة بريطانية لاحتلال سوريا. كان السلاح الثقيل بريطانياً (دبابات، مدفعية، طيران).

عين الجنرال «كاترو» مفوضاً سامياً باسم فرنسا الحرّة ليخلف المفوض السامي التابع لحكومة «فيشي» في سوريا، وأذاع قبيل الهجوم البيان التالي:

(باسم الجنرال «ديغول» رئيس فرنسا الحرة وبالاتفاق مع حليفتنا بريطانيا العظمى أُعلِن انتهاء الانتداب على سوريا وحصولها على استقلالها ووحدتها، ينظم ذلك معاهدة مع فرنسا).

لقد إضطررت لهذه الاستطرادات لأنَّ لها نتائج هامة حول سير الأحداث في سورية بهذه الفترة، ولشرح الصعوبات التي تعرضنا لها في السيطرة على قوى البادية التي كان لبريطانيا أهداف واسعة في استخدامها لتحقيق مآربها.

ذهاب الكتيبة إلى الحدود الفلسطينية

في /٢٨/ أيار/ ١٩٤٠/ تلقت قيادة الكتيبة في حمص أمراً بالتوجه إلى الحدود الفلسطينية والأردنية لحراستها ومواجهة احتمال هجوم قوات فرنسا الحرة وبريطانيا على سورية وكانت بقيادة المقدم «رفعت خانكان».

وتمركزت بمواقع الكتيبة الشركسية التي التحقت مع آمرها الكومندان «كوليه» بقوات فرنسا الحرة في فلسطين كاشفة بذلك جزءاً كبيراً من الحدود.

في /٢٩/ أيار أخذنا القطار من حمص إلى إزرع.

وفي /٣٠/أيار/ بدأ انتشار الكتيبة وتغطية الحدود. وأرسلت الكوكبة الرابعة إلى درعا.

الكوكبة الثالثة بقيادة الرئيس «حمد الأطرش» إلى فيق حيث استلمت مهمة الدفاع عن جبهةٍ تعادل /٢٠/ عشرين كيلومتراً وتمّ تنظيم الدفاع على خطين:

١- الخط الأول: يحوي قيادة الكوكبة في فيق وفيها معاون القائد الملازم «إبراهيم الحسيني» الرعيل الأول بقيادة الملازم الأول «أمين أبو عساف» يدافع عن فيق على جبهة من نقطة ارتفاع /٣٢١/ حتى كفر حارب خارجاً مع الاهتمام خاصة بطريق الحمة، وطريق قلعة الحصن.

الرعيل الثاني بقيادة الملازم «الفريد مسعد» يدافع عن كفر حارب حتى وادي اليرموك ولديه اتجاه هام هو طريق (الحمّة - سمخ).

الرعيل الثالث بقيادة الملازم «بديع بشور» يتمركز في «سكوفية» ويدافع عن جبهة من المرتفع /٣/ كيلومتر شمال سكوفية حتى النقطة /٣٢١/ جنوباً مع الاهتمام خاصة بطريق البطيحة.

٢- الخط الثاني: حول الجوخدار على بعد /١٥/ كيلومتر شرق الخط الأول حيث يوجد نقطة محصنة تشغلها سرية سنغال مسلحة برشاشات وهاون يقودها كابتن فرنسي. وفي حال تراجع الكتيبة من الخط الأول تخضع لقيادته.

لا تحوي المنطقة إلا طريقاً محورياً واحداً معبداً: يشمل (سمخ - الحمة - عمرة عزالدين - فيق - العال - ناب - خسفين - جوخدار - بطحيه - تل الفرس).

حيث يلتقي عند الرفيد بطريق يربط شيخ مسكين بالقنيطرة. باقي الطرق في منطقة تمركز الكوكبة ترابية والمسالك صعبة والأرض مرتفعة وتشرف على فلسطين وفي نهاية التمركز بدأت الكوكبة تحصن مواقعها وتستعد لصدِّ الهجوم المتوقع.

معركة فيق

في ٨/٦/ استنفار منذ الساعة الثانية صباحاً، أخذنا أماكن الدفاع.

تقدمت طلائع المهاجمين راجلة واستولت على مخفر المراقبة أمام كفر حارب فاجأته وأسرته دون أن يطلق النار واحتلت كفر حارب. وصلت الطريق العام وقطعته على جنود «عمرة عز الدين» و «الحمة» من رعيل الملازم «مسعد» واستولت بذلك على الطريق العام عند هذه النقطة. تمكن المرشح «فيصل أتاسي» مع ما تبقى من حضيرته وكان في كفر حارب، من التسلل والوصول إلى فيق ملتحقاً بالكوكبة.

في الساعة الخامسة وصلت طلائع المهاجمين أمام فيق وقد تمكنتُ من الدفاع عنها مدة ثلاث ساعات أمام عدوٍّ متفوق عُدَدَةً وعدداً.

- تقدر قوة العدو في تلك المنطقة بخمسين آلية بين ناقلة جنود ومصفحة. لكن الأراضي غير صالحة لحركة الآليات. انسحبت خلالها مصالح الكوكبة من (تموين ومكاتب وغيرها).

في ذلك الوقت أخذنا أمراً بالانسحاب عن طريق اللاسلكي وتأخير العدو أطول مدة ممكنة حتى الجوخدار حيث الخط الثاني. اقترح آمر الكوكبة أن أتراجعَ لأحضرَ مركز قتال في الخلف.

لم أوافق على فكرته. واقترحت عليه أن ينسحب قبلي وأنا أتبعه.

اتخذتُ ثلاثة مواقع دفاع في العمق في كل منها أجبرُ المهاجمين على الوقوف واتخاذ تدابير القتال لإعاقته.

في المركز قبل الأخير اقترحت على الرئيس «حمد» أن يصل إلى الخط الثاني في الجوخدار يستطلع الأوامر.

في الساعة /١٢/ الثانية عشرة وصلتُ الجوخدار وإذ الموقع الذي كنّا نعلق عليه الآمال بدون قائد وبدون ضابط. لقد التحق الضباط وصف الضباط الفرنسيون جميعهم بقوات فرنسا الحرّة. والقيادة لا تعلمُ عن وضع هذا المركز الهام شيئاً؛ وهو مزود

بهاتف وجهاز لاسلكي إلاّ أن باقي العسكريين السنغال والأسلحة على حالها.

اتصل الرئيس «حمد» بالقيادة كان الكولونيل «مييّه» قائد الدفاع عن الجبهة ومركزه القنيطرة وأخبره عن وضع سرية السنغال، أوعزَ إليه أن يستلم قيادتها بالإضافة إلى الكوكبة.

ولما وصل المهاجمون أمام هذا المركز بدأوا حركة التفاف واسعة لأنهم يعلمون خطة دفاعنا من الضباط الذين انسحبوا إلى صفوفهم، وأصبح من الضروري أنسحاب سرية السنغال لأن حركتها بطيئة (مشاة - بغال).

أمرت القيادة بالانسحاب إلى تل الفرس. سرية السنغال أولاً وبقي معها الرئيس «حمد» بعد أن طلب دعماً بالطيران.

بقيتُ في الجوخدار أحمي المؤخرة الوقت الكافي لوصولهم وتمركزهم، لحقتُ بهم. في الطريق حلقت ثلاث طائرات فرنسية لدعمنا ولكن بدلاً من تدمير رتل المهاجمين! أفرغت حمولتها علينا! لا أدري إذا كان خطأً أو أن الضباط الطيارين يعطفون على قوات فرنسا الحرة. إذ إِن الفَرْقَ واضحٌ بين الآليات والخيول!!.

عندما ألقت الطائرات قنابلها غمرتنا زوبعة من الغبار استمرت بضع دقائق ونحن بظلام دامس لا نرى شيئاً. كنتُ الأقرب إلى إحدى القنابل ومن شدة الضغط ارتفع الحصان وانتقل بي إلى الجنوب مسافة أربعة أمتار تقريباً ولم نصب بأذى، الحصان لم يقع ولم أشعر بألم، تلمستُ جسمي أتحسس الدم لم أجد دماً. عندما انقشع الغبار رأينا نتيجة القصف حيث سقط ثلاثة قتلى وأربعة جرحى وقتلت خمسة خيول. أحد القتلى كان خلفي وقد اختفى رأسه مع جزء من الكتف. ضمدنا الجرحى بالضماد الفردي وأرسلناهم مع سيارة التموين إلى المستشفى في القنيطرة مع القتلى.

وصلت تل الفرس، اتصل الرئيس «حمد» مع القيادة أخبرها نتيجة قصف الطيران.

لعن القائد الطيران وأعطى الأمر التالي:

١- تبقى في مكانك دفاعياً حتى تتلقى أمراً بالانسحاب.

٢- أرسل عربات التموين إلى القنيطرة فوراً، ريثما تتلقى الأمر بالانسحاب وتلحق بها.

بعد ذلك انقطع الاتصال مع القيادة!! اللاسلكي لا يجيب على النداء؟ والهاتف مقطوع؟ كنا لا نزال غربي طريق القنيطرة شيخ مسكين في أماكننا المقررة الوحدة الوحيدة التي نفذت الأوامر! لكن ضغط الهجوم خفّ بعد تطويق الجوخدار فالقوة الرئيسية اتجهت إلى شيخ مسكين، بقيت وحدات للمشاغلة والضغط.

وضع الكوكبة: لم يبقَ سوى الرعيل الأول بإمرتي، الباقي منه عدا القتلى والجرحى اثنان وعشرون صف ضابط وجندياً. خمسة جنود مع المرشح «فيصل أتاسي».

سبعة جنود من رعيل القيادة عمال لاسلكي، جنود اتصال، مراسلون. الرعيل الثاني بقيادة الملازم «بشور» وضعه مجهول منذ بدء المعركة. بقايا الرعيل الثالث بقيادة الملازم «الفريد مسعد» وضعه مجهول أيضاً وكان عليهما الاتصال والالتحاق بقيادة الكوكبة منذ الصباح.

أما باقي رعيل القيادة فقد انسحب تنفيذاً لأمر القيادة إلى القنيطرة ويضم عربات التموين والمطبخ والخدمات بإمرة الملازم «إبراهيم حسيني» وقبل وصولهم كانت القنيطرة قد احتُلت. تركوا العربات على الطريق وتسللوا شرقاً وبقينا بدون تموين طيلة يومين.

إن خطوات القوات المهاجمة كانت مدروسة، من كيفية الاستيلاء على كفر حارب وقطع الطريق الرئيسية (فيق - الحمة).

برهن الرئيس «حمد الأطرش» عن شجاعة وهدوء أعصاب عند إعطاء الأوامر وأثناء المعركة وفي علاقته مع مرؤوسيه تستحق الإعجاب والتقدير وكان قد أشترك في معارك الثورة السورية الكبرى.

إنها المعركة الأولى التي أخوضُها في حياتي، تعمّدت بالنار كما يقال... وكنت

طبيعياً رغم غزارة الرصاص الذي تساقط حولي، حافظت على هدوئي وتمكنت من دراسة أفراد الرعيل والأشراف عليهم وكيف كان تصرفهم أثناء المعركة وتحت النار.

الانسحاب من تل الفرس

في الساعة الثامنة عشرة تلقينا لاسلكياً من القيادة البرقية التالية:

(الشيخ مسكين محتلة منذ الصباح. سقطت القنيطرة واحتلها العدو، انتقلت القيادة إلى سعسع حيث يجري تحصين خط دفاع سعسع - الكسوة، أتلفوا الأسلحة الثقيلة التي لا يمكن حملها، فور تلقي هذه البرقية التحقوا بسعسع خارج الطرق على مسؤوليتكم).

تركنا مركزنا وانتقلنا إلى الرفيد أمضينا الليل بعيداً عن الطرق مع كلِّ أسلحتنا وبصورة خاصة سرية السنغال مع كامل أسلحتها ولم ندمرِّ أيّ سلاح، كان تموين السرية وأسلحتها الثقيلة على البغال لأنها وحدة جبلية.

في /٩/ حزيران تحركنا بمجموعات صغيرة خوفاً من الطيران. الفرسان يشكلون الطليعة والمؤخرة، سرية السنغال في الوسط. كنا نتوقف من أجل إطعام الخيول عندما نجد أرضاً بها كلأ لأننا أرسلنا عربات التموين إلى القنيطرة ولم نتمكن من اللحاق بها نظراً لاحتلالها. وبقينا مع رواحلنا بدون طعام. مررنا بقرى «كودنا، نبع الصخر، جبا» ووصلنا مساءً إلى «مسحرة». عرفنا أن المسؤول هو الشيخ «محسن» طلبه الآمر وطُلب إليه تأمين ما يلزم لإطعام الجنود لقاء دفع الثمن فأبى وسأل عن العدد لتأمين الطعام. أعطيناه عدد الفرسان لأن السنغال تموينهم معهم. قال: أنتم جميعكم بضيافتي. قدّم لنا الطعام وأمضينا الليل بسلام.

إن تلك المنطقة تسكنها قبيلة «النعيم» وهي نصف حضرية أي تسكن في القرى وتعمل بالزراعة بعد أن استملكوا الأرض التي كانت مخصصة للرعي وبعضهم يسكن بيوت الشعر ويذهب بمواشيه شتاء إلى البادية.

في /١٠/ حزيران/ وصلنا قرية «التيخة» وقفنا استراحة من أجل إطعام الرواحل،

وجدنا أمامنا بيتاً «مسوبعاً» (أي واجهة البيت مكون من سبعة أعمدة) وهو خاص برؤساء القبائل من البدو. قصدناه، الرئيس «حمد» والمرشح «فيصل» وأنا، ونحن في طريقنا إليه قابلنا صاحبه الشيخ «ممدوح الطحان» شيخ عشيرة النعيم، ومعه بضعة أفراد من عشيرته. سأل الرئيس «حمد» لمن هذا البيت؟ فعرّفنا صاحب البيت على نفسه، أجابه الرئيس «حمد» أنا «حمد الأطرش» من جبل الدروز عمي سلطان باشا الأطرش وهذا الملازم الأول «أمين أبو عساف» من العائلات المعروفة في الجبل وهذا المرشح «فيصل أتاسي» أبن أخ هاشم بك الأتاسي رئيس الجمهورية السابق.

أجاب الشيخ ممدوح لم يبقَ للفرنسيين أثر، هزمهم الإنكليز ونظراً لحسن الجوار بيننا وبينكم نعرض عليكم أن تعطونا سلاحكم وخيولكم ونحن نوصلكم إلى السويداء سالمين. أجابه الرئيس «حمد» منفعلاً ما هذا الكلام؟ نحن لدينا أسلحة وذخيرة يمكننا بها إفناءكم إذا أعتديتم على جندي واحد من جنودنا. فقال الشيخ «ممدوح» نتنازل عن هذا الطلب مقابل تخليكم عن سرية السنغال. فقلنا له نحن وسرية السنغال واحد لا يتجزأ وسنقاتلكم إذا أتيتم بأية حركة. وكان واضحاً أن الشيخ وقد رأى انهيار فرنسا. أراد الاستفادة من الوضع لصالحه وكان الفرق واضحاً جداً بينه وبين الشيخ «محسن» في «مسحرة» وكنا ننتظر منه استضافتنا وبدلاً من ذلك أخذ يساومنا كي نتخلى عن جنودنا وأسلحتنا وكان الطمع قد أعمى بصره. لكننا لم نتنازل له عن أي شيء.

تركناه وتابعنا طريقنا إلى «دير ماكر» شيخ القرية «جاسم الطحان» دعانا أحد أبناء القرية «صالح سلامة» فنزلنا في ضيافته وقدّم لنا الطعام.

ومساءً ذهبتُ مع دورية لاستطلاع طريق الدخول إلى سعسع. أخذت دليلاً هو «ممدوح بن أيوب عقيل» وأخاه «محمود» ووصلنا أمام المخافر الأمامية، وتكلمنا على مدى الصوت مع عناصر المخافر وطلبنا رئيس المخفر فحضر لمقابلتنا. طلبنا منه أن يعلم القيادة عن وصولنا لتحديد مكان وساعة العبور وانتظرنا إلى أن وصل الجواب. حسب الأوامر نفّذنا العبور ليلاً، يتقدمنا دليل الألغام حتى وصلنا إلى سعسع ومنها إلى خان الشيح حيث تعرّضنا لقصف طيران. لكن لم تحصل خسائر.

قابل الرئيس «حمد الأطرش» آمر الكوكبة قائد الجبهة الذي أبدى سروره لوصولنا مع سرية «السنغال» بكامل أفرادها وعتادها بعد أن قطع الأمل وكانت أجمل هديّة

للقيادة.

سجل الكولونيل «مييه» قائد الجبهة أسماء الضباط الذين بقوا مع الرئيس «حمد» وأسماء صف الضباط والأفراد الذين تميزوا بالشجاعة.

علمنا أن بعض الجنود أو مجموعات منهم من قطعات أخرى قد جُرِّدت من سلاحها في تلك المنطقة.

العودة إلى حمص بالقطار من محطة القدم

بتاريخ /١١/ حزيران تحركنا من خان الشيح إلى داريا - القدم لنأخذ القطار إلى حمص في المحطة جاء ضابط برتبة «مقدم» واجتمع بالرئيس «حمد» على حدة وطال اجتماعهما.

في القطار سألت الرئيس «حمد» من هو الضابط الذي اجتمعت به وماذا يريد؟ وقد طال اجتماعكما؟ أجاب هو المقدم «حسني الزعيم» كنت أعرف اسمه وأراه لأول مرّة، وهو مكلف من القيادة بالدفاع عن دمشق بواسطة متطوعين - أي حرب شعبية وهو مفوض بانتقاء ضباط يساعدونه في تنفيذ مهمته وقد استلم أموالاً لهذه الغاية. الضابط المحاسب هو الرئيس «حسين غزي» يجب أن يكون الضابط متطوعاً برضائه للقيام بهذه المهمة المؤقتة. تطبق عليه قوانين الجيش في كل الحالات وبعد انتهاء مهمته يعود إلى وضعه السابق. ما رأيك بهذا العرض والانضمام إليه؟.

سألت هل هو مستقيم وموضع ثقة حتى يضع الضابط مصيره بين يديه؟ أجاب: كلا هو مغامر قليل الوفاء، قلتُ له هذا لا يُرافق.

من /١٢/ إلى /٢٢/ حزيران بقينا في الثكنة لإعادة تنظيم الكوكبة. بدأت عناصر الكوكبة بالالتحاق. التحق الملازم «مسعد» وعناصر الحضيرة الباقية معه إفرادياً، لقد تسلل بجوار مجرى نهر اليرموك. حيث كانت الأراضي صعبة وتاهوا. طلبوا من الأهالي أن يرشدوهم إلى الطريق. طلب هؤلاء منهم أن يعطوهم السلاح مقابل ذلك. ولما استلموا منهم السلاح هددوهم بالقتل واستلموا الخيول والألبسة وأوصلوهم إلى

الطريق حفاة عراة. وصل رعيل الملازم «بشور» إفزادياً مع نقص بالرواحل والأسلحة.

رعيل القيادة ترك العربات (الطنابر) على الطريق العام نظراً لاحتلال القنيطرة من قبل العدو وتسلل باتجاه سعسع. أما سيارة التموين التي كانت تنقل القتلى والجرحى فقد وصلت القنيطرة قبل احتلالها وتابعت باتجاه سعسع وانتظرت وصولنا. تبين أن العدو قد هاجم بعنف على محوري: بانياس القنيطرة، وجسر بنات يعقوب القنيطرة. وعدم دفاع الخط الأمامي المدة الكافية أدت إلى سقوط القنيطرة قبل الوقت المحدد من قبل القيادة والذي أدى إلى قطع الطريق على وحدات - محور الحمة - فيق - تل الفرس، لكن رغم الهجوم الشرس تمكنت الكوكبة من تأخير العدو.

أما الهجوم على محور درعا فلم يلقَ مقاومة تذكر فبعد احتلال درعا انطلق الهجوم منها شمالاً إلى الشيخ مسكين واحتلها بدون مقاومة وتوجه رتل آخر باتجاه السويداء حيث جرت معارك استشهد فيها الملازم الأول «جدعان الشعراني».

أذيع ثناء على الجيش مع وسام صليب الحرب الفرنسي لعام /١٩٣٩ - ١٩٤٠/ لكل من الرئيس «حمد الأطرش» والملازم الأول «أمين أبو عساف» والمرشح «فيصل الأتاسي» وبعض الرقباء والجنود لصمودهم أمام عدوٍ يفوقهم عدداً وعُدّة وتنفيذ المهمة الموكولة إليهم. ويعد تطويقهم تمكنوا من الانسحاب مع أسلحتهم وعتادهم والالتحاق بقيادتهم.

إعادة تشكيل الرعيل واستلامي مهمات دفاعية على طريق تدمر ودمشق

من /٢٣/ حزيران إلى /٤/ تموز تمّ إعادة تشكيل الرعيل الأول بقيادتي واستلمت منطقة /فيروزه/ شرقي حمص، تل هارون، طريق رياق، جديدة شرقية، زيدل، طريق سكره.

وبتاريخ /٢٩/ حزيران تمّ تشكيل الرعيل الثاني بقيادة المرشح «فيصل اتاسي» واستلم مهامه مكاني. وتقدمت برعيلي على طريق تدمر إذ كنا ننتظر هجوماً من هناك.

في /٧/ تموز/الساعة/ ١٩/ تلقينا أمراً بالرجوع إلى حمص، كانت قوات فرنسا الحرة قد احتلت دمشق والنبك وتتقدم باتجاه حمص.

وفي اليوم التالي أي /٨/ تموز استلمت مهمة الدفاع عن «قطينة» جنوب حمص، جرى يومها قصف مدفعي. وبنفس اليوم نُحّي المقدم «رفعت» عن قيادة الكتيبة وانتشرت إشاعة باستلام الرئيس «حمد الأطرش» مكانه.

وفي /١٠/ تموز زار وحداتنا العقيد «عبد الله عطفة» وقد كانت هذه الفترة مميزة بتشويش الأفكار وانتشار الشائعات، كما كان الجو مغبراً من شدة الرياح والعواصف الرملية. وربما ساعد هذا على كثرة التوتر العصبي وانتشار الشائعات المختلفة.

في يوم /١١/ تموز تراجعت قواتنا من شمسين، شنشار، دميقة وقد انسحبت إلى «نقين» مع أربع مصفحات وفجأة سمعنا أصوات نيران كثيفة من مكان تمركز المرشح «صفدي» فأخذنا الاستعدادات اللازمة لكننا لم نرَ شيئاً. ذهبتُ إلى المرشح «صفدي» استطلع الخبر فأجاب رأيت خيالات وأشباحاً حسبتها مصفحات. هكذا فالتوتر والخوف يجعل من الخيال والشبح مصفحة. وهذا الحادث سبب عدم تغييري من مكان تمركزي وبقائي حتى إشعار آخر.

الهدنة وعودتنا إلى المعسكر البولوني بحمص

وصلت أخبار الهدنة لذا عدنا لاحتلال الخط السابق من أجل تحديد حدود الهدنة هذه فعدتُ إلى قطينة كما عاد زملائي إلى شنشار وشمسين ودميقة وحوالي ظهر اليوم وصلنا أمر بتغيير الوضع لذا عدت إلى تل الشور.

في /١٣/ تموز مدد خط هاتفي لموقع تل الشور ولكن في وقت متأخر من نفس اليوم تلقينا الأوامر بالعودة إلى حمص كما أعيد المقدم «رفعت» لقيادة الكتيبة.

في /١٤/ تموز عدنا إلى حمص وتمركزنا في المعسكر البولوني حيث تمَّ في هذا المعسكر حشد الكثير من وحدات جيش الشرق الخاصة فرسان ومشاة وأخذت القوات تعتني بالأسلحة والتجهيزات حيث تمَّ في /١٨ - ١٩/ تموز تفتيشها من قبل الكولونيل

قائد المنطقة.

كما يحدث في مثل هذه الظروف تزايدت الإشاعات المتناقضة حول حلّ قطعات الشرق الخاصة وقد طلب الكولونيل «كوله» وباسم الجنرال «ديغول» إلى الضباط أن تقوم قطعات الشرق الخاصة بالتعاون مع فرنسا الحرّة لقاء رواتب مغرية وترفيع سريع على أن يتمّ تنفيذ كلّ المهمات التي تأمر بها القيادة الفرنسية داخل الأراضي السورية وخارجها.

عقدنا اجتماعاً لبعض الضباط الموجودين في المعسكر وتدارسنا الوضع وقررنا الاتصال بالحكومة السورية لحثّها على استلام الجيش وتمويله.

شكّلنا وفداً من ضابطين للاتصال برئيس الوزارة «خالد العظم» من أجل تحقيق ذلك. كانت بريطانيا تقوم بتمويل فرنسا الحرّة ومنها قطعات الشرق الخاصة.

طلبنا أن يكون تمويل هذه القطعات عن طريق الحكومة السورية وأن تعمل هذه القطعات لصالح الحكومة السورية. لم يوافق رئيس الوزارة. والحمد لله أنه رفض. ولم نرتبط مع بريطانيا.

قررنا أن نرفض العرض الفرنسي بخدمة فرنسا الحرّة وقلنا لا نشترك بحرب إلاّ باسم سوريا. تبقى المبادرة الفردية واردة (أي التطوع إفرادياً)، وقد تطوع عدد قليل من الضباط وذهبوا إلى ليبيا مع وحدات فرنسا الحرة.

في /٢٠/ تموز بُلغنا أن خدمتنا تنتهي في /٣١/ تموز /١٩٤١/ دون أي تفصيل عن التعويض أو التقاعد.

في /٢٨ - ٢٩/ تموز بدأنا بتسليم السروج والسلاح بعد ظهر يوم /٢٩/ توقف التسليم حتى إشعار آخر بموجب برقية.

/ ٣٠ - ٣١/ بدون تغيير - شبه تمرد بين الجنود - تفشي القمار - وعدم إطاعة الأوامر.

هذا ما جرى معنا. بماذا تفكر بريطانيا وفرنسا الحرة لا علم لنا بذلك. وهل تسريح الجيش في /٣١/ تموز كان للضغط علينا حتى نغير موقفنا، كل هذه الأمور كان يُبَتُ بها بين البريطانيين والفرنسيين بدون مشاركة سورية.

في /١/ آب تغيب أكثر من /١٢/ جندي أثناء نوم الظهر، تمّ زجهم بالسجن بعد عودتهم، شبه مظاهرة باجتماع المساء مع «أتاسي» الضابط الأسبوعي وحبسه المحرِّضين.

في /٢ - ٣/ آب هرب بعض العناصر إلى البريطانيين في نفس المعسكر ولكن هؤلاء لم يستقبلوهم فعادوا وأودِعوا السجن.

في /٨/ آب وصل الجنرال «ديغول» والكولونيل «كوله» وفي /٩/ آب قابلنا الكولونيل «كوله» وأبلغنا أننا سنبقى على وضعنا السابق.

وبعد تلك الأحداث حصلت على مأذونية وذهبت لزيارة أهلي.

تعييني آمراً لرعيل المدرعات الثاني

بتاريخ ١٩٤١/٩/١ عينتُ برقياً آمراً لرعيل المدرعات الثاني مركزه اللاذقية في الأصل لكنه حالياً تحت تصرف قيادة المنطقة الشمالية. إن هذه النواة للتشكيلات المدرعة ثلاثة رعائل مستقلة كانت قيادتها ومحاسبتها وقيادة الحضائر من الفرنسيين. إن هذا التشكيل هو أكثر من رعيل. إذ يتكون من رعيل مصفحات عددها /٥/ خمس وحضيرتين محمولتين وحضيرة قيادة، تضم محاسبة رواتب ومحروقات وتموين ورحبة تصليح بالإضافة إلى السيارات اللازمة للنقل وسيارة خفيفة لآمر الرعيل ودراجات أي وحدة مستقلة إدارياً.

إنني الضابط الأول في قطعات الشرق الخاصة (أي سوريا ولبنان) الذي يستلم مثل هذه القيادة. سرّني هذا التعيين نظراً لأهمية الوحدة التي أقودها، ولأتمكن من تطبيق ما تعلمته في فرنسا «سومير» عملياً على تشكيل مدرعات.

امتثلتُ أمام قائد المنطقة الشمالية في حلب الذي أحالني إلى قيادة المنطقة الشرقية بدير الزور. كان الرعيل يعمل تحت تصرف سرية الهجانة الثانية بدير الزور، وهو يعمل الآن بمنطقة الحسكة تحت إشراف قائد الموقع بمهمة أمن بين القبائل المتناحرة.

لقد ترك آمر الرعيل الفرنسي قيادته عندما علم أن فرنسا الحرة تستلم قوات الشرق الخاصة والتحق بقوات «فيشي» مع صف الضباط بعد أن أعطى رأيه إلى عسكريي الرعيل بعدم الخدمة والذهاب إلى أهلهم. وهكذا على حدود فلسطين التحق الفرنسيون بقوات فرنسا الحرة والآن يلتحقون بقوات «فيشي» التي تُبحرُ إلى فرنسا وقد استلمت مهماتها قوات فرنسا الحرة.

وضع الرعيل عند الاستلام: كان الأفراد غير إنضباطيين لا يرغبون في الخدمة أثناء الدوريات يسرقون البنزين لبيعه. رتباء مهملون ومن دون كفاءة ولم يتعودوا من قبل على تحمل المسؤولية.

عند فرار آمر الرعيل عُين آمر سرية الهجانة المساعد «كافاري» لقيادة الرعيل مؤقتاً.

أخفق في السيطرة عليه وتركه. كان الرعيل موزعاً على عدد من المخافر.

كانت توجيهات قائد المنطقة الشرقية تقضي بإعلامه عن رأيي بعد الاطلاع على وضع الرعيل. بعد اطلاعي على وضعه الراهن وعدم جدوى إعطائه مهمات أمنية اقترحتُ أن تجمع عناصر الرعيل في أحد المواقع حتى يمكن السيطرة عليه وإعادة الروح العسكرية إلى أفراده. وكانت القيادة لا تجهل وضعه.

بتاريخ ١٩٤١/٩/٧ أخذتُ أمراً بالدخول إلى حلب عن طريق الرقة. تحت تصرف قائد المنطقة الشمالية، ونظراً لذهاب الرقيب الفرنسي المحاسب! كنت أقوم بدور المحاسب أيضاً مع عناصر المكتب الذين ليس لديهم شهادة محاسب!.

منذ استلامي قيادة الرعيل باشرت بإعادة تشكيله وأفهمت الرقباء أن عليهم تعبئة الفراغ بذهاب الفرنسيين. ويجب أن يعتمدوا على أنفسهم وينموا معلوماتهم ليتمكنوا من القيام بواجباتهم ليحلوا محل الفرنسيين وليستحقوا الترفيع. إن الرقباء والعرفاء كانوا

ينفذون الأوامر فقط دون أن يعرفوا واجباتهم ومسؤولياتهم. أكثرية العناصر كانت من اللبنانيين وكان أقدمهم الرقيب الأول «نعيم خداج» من كفرمتّى بلبنان وقد قدّم مساعدات قيمة إلى آمر الرعيل.

بتاريخ ٩/١٧ سألني قائد المنطقة إذا كان بالإمكان إسناد مهمات أمنية إلى الرعيل أجبته عن استعدادي لتلقي الأوامر.

مهمة أمنية في البادية:

بتاريخ ١٩٤١/٩/٢٠ انتقل الرعيل إلى قرية خناصر على حدود البادية كي يعيد الأمن إلى نصابه. من جراء تصادم بين القبائل البدوية في تلك المنطقة (عنزة – حديديين – موالي). استلمت الأمن في تلك المنطقة وكان تحت قيادتي بالإضافة إلى رعيل المدرعات رعيلان من الفرسان من الكوكبة الخفيفة /١٩/ ومجموعة من الدرك. كانت قيادتي في مخفر الدرك في خناصر مع هاتف وجهاز لاسلكي.

أما البدو الذين يسكنون القرى فقد كانوا نصف حضر منهم من يعمل بالزراعة وبعضهم يرعى المواشي ينتقلون في فصل الشتاء إلى البادية. ويعودون صيفاً إلى المعمورة.

أما القسم الآخر فقد بقي على طبيعته يسكن الخيام، يمضي الشتاء والربيع في البادية ويعود صيفاً إلى المعمورة طلباً للكلأ والماء.

كان الخلاف بين الفرقاء على الأراضي والآبار. في الماضي كان البدو يستخدمون هذه الأراضي للرعي والآبار للسقاية – الحدود غير واضحة تماماً. وعندما بدأ البدو في استثمار الأرض بالزراعة بدأ الخلاف بين القبائل.

منذ وصولي وضعت الفرسان والدرك في مواقع تفصل بين الفرقاء مع وسائل اتصال، ورعيل المدرعات في خناصر احتياط متحرك ويقوم بدوريات.

اتصلت بكل الفرقاء وطلبت منهم أن يكون البت بالقضايا المتنازع عليها من قبل السلطة مديرية العشائر أو المحافظ. كما هو جارٍ في أنحاء سورية. إذ يوجد قضاء

وحلول إدارية تشرف عليها سلطات مسؤولة وأن عادات البدو والغزو يجب أن تتوقف طالما يوجد قانون وهم يعملون بالزراعة.

في أحد الأيام علمت أن عشيرة «العنزة» جهزت غزواً كبيراً باتجاه عشيرة «الموالي» يقوده الشيخ «مجحم بن مهيد» منطلقاً من جب العلي حيث يوجد قصره وأملاكه وبيت الشعر المسوبع (ذو الأعمدة السبع) التقليدي. وضعتُ قوة في طريقه أوقفت طلائع الهجوم حتى اتصل بقائد الغزو. ذهبت مع دورية مصفحات لمقابلته. وكأنه شاء أن يظهر مدى قوته فهو على رابية مشرفة تحيط به جموع غفيرة.

عندما وصلت سألته ما هذا يا شيخ «مجحم»؟ أجاب: إليّ تشوفوا عينك. نقصد خصمنا لنأخذ حقنا!. أجبته إن خصمك سوف يدافع عن نفسه وإن الحكومة ستكون ضد المعتدي. أي إننا نمنعه بقوتنا من الوصول إلى خصمه، فإذا رغب تجنب شق عصا الطاعة على الحكومة، عليه الرضوخ للمفاوضات والحلول القانونية والتحكمية وأن يفرق جموعه. قال: حتى يعرف الحل...

قلت له التفاوض بعد تفريق هذه الجموع. وفعلاً تفرقت الجموع. وبعد يومين ذهبت إليه ووضعنا أسس المصالحة بعد المفاوضة مع عشيرتي «الحديديين — والموالي».

جاء إلى خناصر الشيخ «عبيد بن غبين» زائراً وهو من قبيلة «عنزه» ودعاني إلى مضاربه في البادية. واستغرب كيف مضت كل هذه المدة ولم أزره، وعدته في أثناء إحدى الدوريات سأزوره. عندما جئت لزيارته تركت المصفحات مقابل البيت مع طاقمها جاهزة لإطلاق النار إن حدث ما يوجب. بدأ حديثه بالهجوم على خصمه. أجبته إن الاتفاق قد تم مع الشيخ «مجحم بن مهيد» ووضعنا أسس الاتفاق لتسوية نهائية. ثار لهذا الكلام وقال إن الشيخ «مجحم» لا يمثله وهو صاحب الحق ويجب أن تحلّ الأمور كما يرغب!. ولكن الشيخ «مجحم» هو المعتَرَف به من قبل السلطات. فلم يقبل وبقي على رأيه.

علمت فيما بعد أن جب «عبيد» كان المسؤول عن القبيلة في الماضي ولكن قد تغيرت الأيام ولن تعود الى الوراء.

تركنا البيت بسبب هذا الاستقبال الجاف، بعد أن وقفنا طلب منا أن نبقى ليقدم لنا الطعام اعتذرنا وعدنا إلى خناصر.

بعد أيام أخبرنا رعيل الفرسان في منطقة «عبيد بن غبين» أن غزواً يقوده «عبيد» هاجم أماكن تخص «الحديديين» وبدأ النهب والتخريب. ذهبت مع المصفحات ووجدناهم في الجرم المشهود، أوقفنا / ١٥/ خمسة عشر رجلاً من المسؤولين ولم نجد «عبيد» الذي توارى. سقناهم إلى خناصر حيث حقَّقَ معهم الدرك وأحلناهم إلى حلب. وقد ثبت على أحدهم بالصدفة جرم قتل احد التجار في البادية، وقد رمى جثته في «جب» الماء. أخبرني محقق الشرطة عن ذلك وأن الحراسة ستشدد عليه لخطورته. بعد قليل طلب هذا المجرم مقابلتي بدون حضور أحد. وعندما قابلته منفرداً عرض علي أن يشركني بما يربح. سألته وماذا يربح؟ أجاب إنه يسطو على المحلات التجارية والبيوت ويعترض طريق التجار في البادية. سألته كيف تصمت الكلاب عن النباح عندما يدخل البيوت التي تحرسها الكلاب؟ قال: يوجد سرّ، مع حجاب كتبه لي خبير «تونسي» ومن يحمل هذا الحجاب لا تنبحه الكلاب. بعد إجراء التحقيق البدائي معهم أحلناهم إلى حلب.

في اليوم التالي أتى الشيخ «عبيد» يتوسط للموقوفين أخبرناه أَننا أحلناهم لإنهاء التحقيق معهم والبت بأمرهم إلى حلب.

عودة الرعيل إلى ثكنته في اللاذقية:

هدأت الحالة وأخذنا الأمر بدخول القطعات إلى ثكناتها. وصلنا اللاذقية بتاريخ / ١٤/ تشرين ثانٍ وبدأنا التدريب.

نقل إلى الرعيل (رقيب أول) لديه شهادة محاسبة. واستلم عمله، باشرنا بإكمال التعداد والتجهيزات، كان بعض أفراد الرعيل يتبعون دورة سواقة لم تنتهِ بسبب ذهاب الرعيل بمهمة. وبعد عودتنا أكملنا الدورة.

بتاريخ ٧/ ١/ ١٩٤٢ وبناء على أوامر القيادة ذهبت مع المحاسب ورقيب الآليات وأفراد الدورة بسيارة عسكرية الى بيروت.

في ١/٨/ امتحان طلاب سوق السيارات وملاحقة استلام التجهيزات المطلوبة.

في ١/٩/ سلمنا سيارة نقل قديمة، واستلمنا سيارة نقل «رينو» جديدة وسيارة خفيفة «بيجو ٢٠٢» ودراجة بسلة وبعض الإطارات وعدنا إلى اللاذقية بتاريخ ١/١٠ .

يوم الأربعاء /١١/ شباط جرى تفتيش عام من قبل المقدم «سمراني» وبعض الأخصائيين من مديرية القطعات الخاصة على (السجلات - الأسلحة - الآليات - التجهيزات).

لم يجد أي ملاحظة. بعد أنتهاء التفتيش أخبرني أني منقول إلى مكان أفضل. أجبته ليس لدي أفضل من هذه القيادة وقد رافقتها وقت الصعوبات والمسؤولية والآن بعد أن استقرت ابتعد عنها!.

قال: إن الجنرال «مونكلار» مندوب المفوض السامي في اللاذقية طلب تعيين أحد الضباط لأسباب سياسية في هذه الوحدة وأنت ستُنقَل معاوناً للجنرال «انجنو» مفتش الفرسان والمدرعات.

قلتُ بهذِه السّن لا أرغب الخدمة في المكاتب - قال ستتبلغ أمر النقل قريباً. هل كانت عملية التفتيش لوحدة عائدة من مهمة شاقة، تركها آمرها ومساعدوه في البادية تقوم بمهمة أمن لإيجاد مبرر للنقل! وعند عدم وجود ملاحظات. صارحني بالحقيقة الله أعلم.

نقلي معاوناً لقائد الفرسان والمدرعات:

وصل أمر النقل يحدد التاريخ في /١٥/ شباط وفي /١٦/ منه جرى التسليم والاستلام والتحقت الجمعة /٢٠/ شباط قابلت الرئيس «أنور بنود» في مديرية القطعات الخاصة والكولونيل «فرملان». ذهبت لقيادة تفتيش الفرسان والمدرعات ومقرها بيروت. قابلني رئيس أركان الجنرال «انجنو» وقال: ليس لك عمل هنا ولا أعلم سبب نقلك؟ هذا مكتبك وأشار إليه، وهذه جرائد من أجل تقطيع الوقت، بإمكانك المجيء والانصراف وقت تشاء - الجنرال في مهمة يحضر بعد غد يمكنك مقابلته نهار الاثنين.

ربما هذا الوضع يرضي كثيراً من الضباط! أما أنا فكنت أريد العمل الجدي المثمر لاكتساب التجارب في أول حياتي العسكرية ولا أرغب البطالة!.

في الموعد المحدد قابلت الجنرال وقلت له أنا لا أحبذ عمل المكاتب ولم أكن أنتظر هذا النقل بعد كل الصعوبات التي تعرضت لها في ظروف استثنائية حتى أوصلت الرعيل إلى وضعه الحالي.

قال الجنرال: تستحق المكافأة وأعدك بنقلك إلى مكان مناسب. وأنك ستقود أول وحدة مدرعات تشكل في سوريا ولبنان.

قرأت في الصحف عن وجود «عبد الغفار باشا الأطرش» أول وزير دفاع سوري في بيروت ذهبت بعد الظهر إلى فندق «نورماندي» حيث يقيم. أعلن الشرطي المرافق عن قدومي وأخبرني بأنه مجتمع مع «حكمت بك جنبلاط» وزير الدفاع اللبناني. بعد فترة طلبني بحضور الوزير اللبناني وعرّفنا على بعض.

سألني عن عملي أجبته قال: نحن نبحث استلام الجيش ونرغب أن يكون الضباط السوريون أكفاء وعلى مستوى المسؤولية ليحلّوا مكان الضباط الفرنسيين. أما بالنسبة لوضعك اتصل بالرئيس «أنور» وكان مرافقاً له ويعمل في مديرية قوات الشرق الخاصة.

قابلت الرئيس «أنور» والكولونيل «فرملان» أعطاني الكولونيل وعداً بأني سأقود أول وحدة مدرعات تشكل في سوريا أو لبنان؛ كما وعد الجنرال «أنجنو» من قبل.

في /٩/ آذار توفي «عبد الغفار باشا الأطرش» وزير الدفاع السوري بالسكتة القلبية وقد حضر مراسيم الدفن المفوض السامي الجنرال «كاترو» ورئيس الجمهورية الشيخ «تاج الدين الحسيني» ورئيس الوزراء «حسن الحكيم» والوزراء وجمهور كبير من الوجهاء وأبناء الجبل.

بتاريخ ١/ ٤/ نقلت إلى سرية الدبابات في بيروت معاوناً لآمر السرية وآمراً لها بالوكالة حتى التحاق آمرها الأصيل من مأذونيته. كان بها أربعة ضباط – اثنان سوريان واثنان لبنانيان. في لبنان المداخلات والوساطات كثيرة من أقارب الضباط اللبنانيين.

نقلي إلى الكتيبة الخفيفة للمنطقة الشمالية آمراً للتشكيلات الآلية

بقيت في السرية حتى ١٩٤٢/٦/١٩ حيث صدر أمر نقلي إلى حلب آمراً للتشكيلات الآلية في الكتيبة الخفيفة للمنطقة الشمالية. وودّعت الجنرال «انجنو» الذي قال لي لقد وفيت بوعدي وعينتك لأول وحدة مدرعات. وعندما قابلت الكولونيل «فرملان» قال من المؤسف أنه ليس عندك القدم اللازم لترفيعك لرتبة رئيس. أتمنى لك التوفيق في قيادتك الجديدة. وقد وفينا بوعدنا!.

وصلت حلب قابلت الكولونيل «ري مي» الذي قدّمني إلى الكولونيل «مارشان» قائد المنطقة الشمالية ولا يوجد سواهما ضباط فرنسيون في حلب. كان الكولونيل «ري مي» يقوم بمهمة رئيس أركان ورئيس شعب المنطقة وآمر الكتيبة الخفيفة للمنطقة الشمالية، وضابط عشائر يعاونه الرئيس «أورد كجي». قال: إن الكوكبة قيد التشكيل ويلزمها وقت لذلك سأتخذك معاوناً بالنسبة لقضايا العشائر تتصرف بها وتخبرني عما يجري. وكنت قد قمت بهذه المهمة في العام الماضي!.

ذهبت بمهمات معه إلى «ادلب - سلقين - حارم - دركوش - القنيه - جسر الشغور». وذهبتُ بمفردي بمهمة حل قضايا بين البدو إلى كل من (خناصر - بير حمام - رمله - إسريا).

في /١٩/آب/١٩٤٢/ حضر الجنرال «ديغول» الى حلب وكنتُ رئيساً لرعيل الفرسان المعين لمواكبة سيارته.

في تلك الفترة حضر الكومندان «بارييل» واستلم قيادة الكتيبة، والتحقتُ بها آمراً للوحدات الآلية وبدأنا التدريب والتحضير لتشكيل الكوكبة.

قبل حرب /١٩٤١/ كانت أفواج المشاة وكتائب الفرسان وأفواج المدفعية والهندسة قياداتها فرنسية. وكان الضباط السوريون آمري سرايا ومن يرفع لرتبة مقدم يعين معاون

آمر فوج بدون صلاحية.

بعد عمليات /١٩٤١/ جرت ترفيعات. واستلم قيادة الأفواج ضباط سوريون نظراً لعدم وجود العدد الكافي من الضباط الفرنسيين واشترك بعضهم في عمليات أمن محدودة. وحدث سوء تصرف وأخطاء وسرقات.

دعا مستشار ادلب الكومندان «فابر» الكولونيل «ري مي» والكومندان «باريبل» وضباطهم إلى الغداء. وقد كان حاضراً الرئيس «أورد كجي» ضابط نظامي خريج الكلية العسكرية والرئيس «أمين شركس» وضباط آخرون وكنتُ منهم.

بدأ المستشار يهاجم الضباط السوريين عموماً ويتحدث عمّا يعلمه عنهم بدون تسمية، من سوء أمانة وسرقات بقوله (حرامية - جبناء - عديمي الأخلاق)، ما إن استلموا قيادة الأفواج حتى ظهروا على حقيقتهم.

آلمني ذلك ولم اتمكن من تحمله. وقفت واخذت إذناً من الكولونيل للتكلم.

وجهت الكلام إلى الكولونيل لماذا يهاجم الكومندان كلّ الضباط السوريين. يجب أن يذكر ويحدد الضابط السارق باسمه!. لا يوجد جيش سوري مستقل حتى الآن. والقطعات السورية تابعة للقيادة الفرنسية. وهي مسؤولة عن هؤلاء الضباط. لماذا لا تحاسبهم على عملهم. تحاكمهم وتعاقبهم؟ بدلاً من توجيه تُهم جماعية!.

أثناء الحرب جرى تلاعب وسرقات في كل جيوش العالم الأمريكية والبريطانية والفرنسية وجرت محاكمات بحقّ المسيئين ولم يقل أحد أن كلّ ضباط هؤلاء الجيوش لصوص!. ربما كانت المرّة الأولى يعطى مثل هذا الجواب بحضور ضباط فرنسيين كبار. الكومندان «فابر» من قدماء ضباط الأستخبارات في سوريا وله سجل حافل ومعروف بتسلطه. عندما تحفز للرد لم يمكنه الكولونيل وقال: أنا من رأيه. يجب أن يكون النقد إفرادياً ويحاسب المسيء وانتهى الحديث بهذا الموضوع.

تشكيل أول كوكبة آلية وتعييني قائداً لها

بتاريخ ٢٠/١٢/١٩٤٢ صدر أمر تشكيل الكوكبة الآلية في كتيبة المنطقة الشمالية أُسندت قيادتها إلى الملازم الأول «أمين أبو عساف»، وقد جرى تشكيلها على الوجه التالي:

- رعيل قيادة آمره الرقيب الأول «فيليب» - رعيلان: مصفحات بإمرة الملازم «مترا» والوكيل «بريون». ورعيلان محمولان بإمرة الملازم «زيلكادار» والملازم «محمود شطرا». إن الملازم «محمود شطرا» والرقيب الأول «فيليب» سوريان وباقي آمري الرعائل فرنسيون.

استلمنا الآليات ولوازم الكوكبة وباشرنا التدريب بجدٍّ ونشاط. افتتحنا دورات (سائقين - رماة - مخابرين - دورات عرفاء ورقباء).

إن تشكيل وحدة آلية في قطعات الشرق الخاصة كان حديثاً ولا يوجد أخصائيون قديرون.

في ١/٧/١٩٤٣ انتهت كل مراحل التدريب، وأصبحت الكوكبة جاهزة لكل مهمة. من الناحية الانضباطية كان الفرنسيون يتقبلون الأوامر بصعوبة. ولو كانت العناصر كلها سورية لكان المردود أفضل!

في ١/٩/١٩٤٣ أثناء مروري في جولة تفتيش في المرآب وجدت بقايا حبوب حنطة في إحدى سيارات النقل. سألت رئيس الحرس المسؤول. من أين أتت الحنطة إلى هذه السيارة؟ أجاب: لا أعلم! أعطيت أمراً بتبديله وإيداعه السجن حتى يقول الحقيقة؟ بعد مرور ساعتين طلب مقابلتي، سألني هل يمكنك حمايتي إذا قلت الحقيقة؟ أجبته طبعاً! قال: يومياً يأتي الملازم «مترا» والوكيل «بريون» بعد المغرب يأخذان سيارتين ويعودان عند الفجر وبها بقايا حنطة، لا نستطيع ردعهما ولا نعلم ماذا يفعلان.

استنتجت أنهما يقومان بتهريب الحبوب، إذ كانت الميرة تمنع التجارة بالحبوب وقوى الأمن تكافح ذلك. إنما الضباط الفرنسيون والسيارات العسكرية لا تفتش! . ذهبت إلى آمر الكتيبة وأخبرته بالأمر وطلبت منه أن يشرف على التحقيق.

سألني إذا كنت متأكداً مما أقول؟ أجبت هذا ما أخبرني به رئيس الحرس، ولم أسأل أحداً غيره حتى أعرض الأمر عليك. أمرني أن أتابع التحقيق.

سألت رؤساء الحرس وبعض أفراد الحرس. أجاب جميعهم بأنهم شاهدوا ذلك ولم يتمكنوا من منعه منذ مدة طويلة، تبين أن أكثرية رتباء الكوكبة يعلمون ذلك ولم يخبرني به أحد.

استدعيت الملازم «مترا» والمساعد «بريون» كلاً على حدة لأحقق معهما، في البدء رفضا أن يعطيا إفادتهما ولما علما بأني تلقيت أمراً من آمر الكتيبة بمباشرة التحقيق عادا واعترفا بصورة غير صريحة. أنهيت التحقيق الذي يثبت إدانتهما بتهريب الحبوب بقصد التجارة في سيارات الجيش ورفعته إلى آمر الكتيبة لاتخاذ ما يراه مناسباً.

أصدر آمر الكتيبة على الفور أمراً لتسليم قيادتيهما والتوقيف في المنزل حتى يتمّ تسفيرهما إلى ليبيا وقد تمّ ذلك في ١٩٤٣/٩/١٥ للالتحاق بقوات فرنسا الحرة هناك.

لقد قمت بواجبي الذي أسعى أن يكون دائماً له الأفضلية مهما كانت النتائج سلبية أو إيجابية. المهم الإستقامة وراحة الضمير.

نقلي إلى الكتيبة الدرزية

في ١٩٤٣/٩/٢٠ نقلت الى الكتيبة الدرزية في السويداء. في الماضي كنت أتجنب الخدمة في هذه الكتيبة أو الكتائب الخفيفة غير النظامية. وعرضت عليَّ ورفضتها. الآن لا خيار لي، أخضع للأمر الواقع.

فوجئت بنقلي! هل هو مكافأة لي على جهودي في تشكيل كوكبة وتحضير عناصرها وتدريبهم وتجهيزهم والمحافظة على الانضباط! أم عقاب على صراحتي

وعدم سكوتي على المخالفات مهما كان مصدرها (فرنسياً أو سورياً). استلم قيادة الكوكبة ضابط فرنسي. وصلت السويداء مَثَلْتُ أمام آمر الكتيبة الكومندان «باريبل» ومعاونه الكبتن «باردوا» الذي قال لي بإمكانك التغيب حتى تجد سكناً ويتم تعيينك. بعد أحد عشر يوماً عين رعيل مصفحات ليذهب إلى قطنا يستلم مكان الكوكبة /١٤/ من الكتيبة الشركسية. أمرني الكبتن «باردوا» لأكون آمر المفرزة.

في /٨/ تشرين الأول تحركت المفرزة، كان الرعيل بقيادة الملازم «فارس دويعر» وهو تابع للكوكبة الآلية بقيادة الملازم الأول «توفيق الشوفي».

دفع راتب ايلول وكان راتبي مدفوعاً حتى /٢٠/ منه ثم راتب تشرين أول، ولم يدفع لي، وبعد مراجعتي واستلام راتبي تبين أنني لم أسجل في وحدة إدارية حتى ذلك الوقت.

كان في الكتيبة آنذاك أكثر من اثني عشر كوكبة منها في المجتمع الرابع ثلاث كوكبات ولم يجدوا مكاناً لملازم أول نظامي في هذه الكتيبة.

بقينا في قطنا ثمانية أشهر تحت تصرف قائد منطقة دمشق نقوم بالتدريب العادي مع مخافر لمراقبة الطيران في أماكن مرتفعة ومعينة.

تعييني معاوناً لآمر المجتمع الرابع

بتاريخ ١/٦/١٩٤٤ عادت المفرزة إلى السويداء وعينت معاوناً لآمر المجتمع الرابع بقيادة الرئيس «حمد الأطرش» كان أكثرية الضباط في الكتيبة التي كان يطلق عليها اسم «المجتمع الدرزي» ولا سيما غير النظاميين متمسكين بفرنسا ومخلصين لخدمتها في حين كانت البلاد السورية من أقصاها لأقصاها في حالة غليان وتململ ضد الوجود الفرنسي، وتقوم المظاهرات الطلابية في كل مكان. لذا بدأنا بدورنا نعقد اجتماعات سرية مساءً للتوعية وقد دعونا للاجتماع الأول قرابة عشرين شخصاً من الضباط النظاميين وصف الضباط غير النظاميين لدراسة أوضاع الكتيبة وواجباتنا الوطنية. وكيف ينبغي التصرف مع المستعمر الفرنسي، فوصل خبر الاجتماع لقيادة الكتيبة. ضيّقنا الحلقة إلى خمسة عشر فوصل الخبر أيضاً ثم اجتمعنا عشرة فوصل الخبر!.

وفي أحد الأيام كان عليّ أن أَنهض باكراً للذهاب إلى الرمي وكان طريقي يمرّ من جانب سكن الكبتن «باردوا» معاون قائد الكتيبة فرأيت الكبتن بالبيجاما جالساً على الشرفة وأمامه أحد الضباط ممن كانوا يحضرون اجتماعنا! فعرفت عندها من الذي يوصل أخبار الاجتماعات. أخبرت الرئيس «حمد» بذلك بعد عودتي من الرمي وذهبت بصحبته لزيارة قريب لذلك الضابط وبحضوره تحدثنا بهذا الموضوع أمامه. فادعى بأنه كان يبحث معه موضوعاً يتعلق بالخدمة. فقال له الرئيس «حمد» إن أمور الخدمة تبحث في الثكنة وليس في هذا الوقت المبكر. وبدوري قلت لهم إن فرنسا لا بد أن تجلو عن سوريا إن عاجلاً أو آجلاً وعلى كل ضابط أن يتبع الخط السليم وأن يسير في الاتجاه الوطني خدمة لأهداف الوطن. ولقد أردنا أن يكون الحديث أمام أقرب الناس إلى الضابط المشتبه به حتى لا يساء فهم الموضوع. وقد علّقَ القريب على ذلك بأن وجّه اللوم إلى قريبه وقال له: أريدك أن تكون ثالث الثلاثة أي الرئيس «حمد الأطرش» والملازم أول «أمين أبو عساف» وأن تسير معهما وبرأيهما لما فيه خير الوطن وخدمة القضية الوطنية وبذلك انتهى الحديث.

ومن حسن الحظ أنه أمكن تطويق الموضوع الذي كاد يتطور إلى خلافات عائلية بعد أن حاول الضابط المسيء أن يصور القضية بأنها خلافات شخصية وعائلية، لكن موقف قريبه الوطني حسم الموضوع تماماً.

إبعاد الضباط النظاميين إلى بيروت

في اليوم التالي صدر أمر بذهاب الضباط النظاميين الرئيس «حمد الأطرش» والملازم الأول «أمين أبو عساف» والملازم «توفيق الشوفي» والملازم «سلمان الشعراني» والملازم «عبد الله الفرا» لاتباع دورة على الدبابات. وفي اليوم الثالث وضعوا سيارة تحت تصرفنا وذهبنا إلى بيروت.

في بيروت ذهبنا في اليوم الأول والثاني صباحاً على طريق صيدا، وجدنا بعض الدبابات في التدريب، وشرحوا لنا كيفية سير الدبابة ومعلومات أخرى كنا نعرفها. وتبين لنا أن الغاية هي إبعادنا ولا يوجد دورة!.

اتفقنا أن نعترض على هذا الإبعاد. ولما كان لا يجوز الاعتراض الجماعي في الجيش. قررنا أن يقوم الرئيس «حمد» بمقابلة الكولونيل «فرملان» وأنا أقابل الجنرال «انجنو» وفعلاً قابلته وأخبرته عن واقع الحال وأن دورة الدبابات المفروض أن نتبعها ليست إلا تدريب سواقة؟ وتبين أن الغاية الإبعاد ليس إلا!! ونحن نطلب إما تحقيق ومحاكمة وإما استقالة ولا نطيق بقاءنا في بيروت.

إن الوقت كان مناسباً للتهديد، والفرنسيون لا يعرفون ماذا يفعلون بسبب ضعفهم ووجود الإنكليز. فيما بعد طلب الجنرال «انجنو» الرئيس «حمد» وقال له: يجب أن يهدىء الملازم أول «أمين» من روعه، وسندرس وضعكم.

بقينا أياماً بدون نتيجة لذلك قررنا القيام بزيارة إلى «بشامون» مقر قيادة الأمير «مجيد أرسلان» وزير الدفاع. خلال ثورة لبنان وإلقاء القبض على رئيس الجمهورية الشيخ «بشارة الخوري» ورئيس الوزراء «رياض الصلح» والوزراء.

نهار الأحد وهو يوم عطلة ذهبنا إلى «بشامون» استقبلنا أهلها بحفاوة على غير رغبة منّا بذلك. أمضينا النهار وعدنا.

في اليوم التالي صدر أمر بنقلنا إلى معسكر القرعون في البقاع. حيث تجري مناورات نكون حكماً فيها. وكان ذلك طبعاً نتيجة مباشرة لزيارة «بشامون».

وعندما غادرنا السويداء كان والدي مريضاً. وبتاريخ / ١/تموز أخبر أخي «أسد أبو عساف» الكومندان «سارازان» مندوب المفوض السامي أن والدي قد ساءت صحته وهو يطلب أن يراني. فأجابه أنه سيرى. أوفد الدكتور الرئيس «توفيق عزالدين» ليكشف عليه. في اليوم الثاني أعطى الدكتور تقريره إن والدي سيفارق الحياة خلال يومين.

في / ٤/ تموز يوم وفاته أرسلت برقية بعد الظهر إلى القرعون تدعوني لعيادة والدي. نقلتني سيارة عسكرية إلى شتوره، في تلك الأيام لم يكن من واسطة سير الا الباصات. بقيت أنتظر حتى العصر، وصلتُ دمشق وجدت الباصات قد سافرت ولا يوجد واسطة نقل سواها (بسبب تقنين البنزين) نتيجة الحرب. سفرات الباصات محدودة ولا يوجد سيارات أجرة في ذلك الوقت. اضطررت للمبيت في دمشق. في اليوم التالي

أخذت أول باص شيخ مسكين - السويداء ومنها امتطيت جواداً. وقبل وصولي القرية وجدت المعزين عائدين في الطريق بعد الدفن. ساءني جداً أن لا تلبى آخر رغبة لوالدي ولم يكن من موجب يتعلق بالخدمة لهذا الإجراء.

بعد يومين حضر خيال يطلبني للالتحاق من قبل الكومندان «سارازان». قلت له لن ألتحق في الوقت الحاضر، ولي حق بالمأذونية وإلا فليعتبرني مستقيلاً.

يوم الأسبوع حضر الكومندان «سارازان» وكل وجهاء الجبل وقدموا التعازي وعندما واساني الكومندان قلت له: لو كنت أخوض معركة، أو أن مصلحة الخدمة تقضي ببقائي في وظيفتي لما تأثرت ولكننا لا نعمل شيئاً. وقد أبيتم تلبية آخر رغبة لوالدي كي يراني قبل موته. وبعد يومين من وصولي تطلبوني للالتحاق! أجابني: ابقَ والتحق عندما ترغب.

في ٢٥/ تموز جاء مراسل وقال على لسان الكومندان إذا كنت ترغب في الالتحاق. مشيت فوراً والتحقتُ بمعسكرات القرعون وبقينا حتى أواخر أيلول.

عودتي معاوناً لآمر المجتمع الرابع

أثناء الحرب وضعت قيود على تجارة المواد الغذائية من أجل تموين الجيوش الموجودة في المنطقة والسكان. وكانوا يعطون إعاشة مقطوعة إلى العسكريين يومياً من المواد الأولية التالية توزع شهرياً وهي (طحين ٠،٥٥٩ كغ، سكر ٠،٠٣٥ كغ ورز ٠،٠٥٦ كغ، شاي ضمن صناديق ومغلفة بورق خاص لحفظها، قهوة ٠،٠٠٧ كغ مغلفة ومحفوظة ضمن علب تنك لتبقى صالحة للاستعمال).

كان الذين لهم حق في هذه المواد حوالي الألفين مع كوكبة حوران التابعة إلى السويداء.

في الماضي كانوا يعطون الجندي في الكتيبة مبلغ «خمسة عشر ليرة» مقطوعاً ويتصرفون في الإعاشة ببيعها في السوق السوداء، استحقاق الجندي كان يتراوح ثمنه من «ستين إلى مائة ليرة» كما قيل لي. وهم يبيعونه بوضعه الراهن كما هو مستورد.

ويشرف على هذه العملية الكبتن «باردوا» معاون آمر الكتيبة واليوتنان «بودوان»المحاسب يشرفان على التوزيع والتجارة.

بعد أكثر من سنتين تنبه العسكريون لهذا التلاعب وصاروا يستلمون استحقاقهم قبل مجيئي إلى الكتيبة.

بعد عودتي من معسكر القرعون عينت معاوناً لآمر المجتمع الرابع وانتدبت لاستلام إعاشة الجنود. ذهبت مع المحاسب المختص إلى المستودع وكان يشرف على التوزيع الكبتن «باردوا». قال: إنه يحسم على الجندي غرام في اليوم لكل مادة من مواد التموين بسبب تمزق الأكياس وضياع قسم من محتوياتها. قلت له لن أستلم الإعاشة ناقصة. يمكن التساهل في مواد (الطحين والرز والسكر) أما الشاي والقهوة فلا أوافق على حسم شيء منها.

قال: لنعرض الموضوع على آمر الكتيبة وخرجنا من المكتب وهو منفعلٌ وفي الباحة قال بصوت عالٍ أنت رفضت استلام التموين - قلت له: رفضت استلامه ناقصاً بصوت عالٍ أيضاً يجب أن لا يحرِّف الكلام. سمعنا كلُ الجنود الموجودون في الباحة وكان ذلك أوّلَ موقف يقفه ضابط سوري أمام رئيسه الفرنسي على مرأى من الجنود.

قال آمر الكتيبة: إذن تستلم مسؤولية التوزيع للكتيبة كلها.

وهكذا استلمت إعاشة الكتيبة ووزعتها بدون حسم إلا على مادة الطحين حسمنا / ٥٠٠/ غرام عن كل وزنة أي أقل من نصف غرام في اليوم لكل جندي.

كانت الإعاشة عن شهر تشرين أول والتوزيع في اوائل تشرين ثانٍ.

وزعت الإعاشة على مندوبي المجتمعات والكوكبات المنفردة. جرى الوزن من قبل مندوبي هذه القطعات بحضوري. رفعت تقريراً إلى آمر الكتيبة بذلك ولم يعترض أحد. كانت المرة الأولى والأخيرة التي أكلف فيها بهذا العمل.

خلال شهر كانون الأول / ١٩٤٤/ زار الكولونيل «فارملان» مدير القطعات الخاصة الكتيبة في السويداء. قابلته بحضور آمر الكتيبة والرئيس «سمعان» من مكاتب المديرية

وراجعته من أجل ترفيعي، كنت قد انهيت المدة اللازمة للترفيع في أول أيلول من هذا العام وذكرته بما قال لي قبل سنتين «من المؤسف أنه ليس عندك القدم اللازم للترفيع إلى رتبة رئيس كنّا رفعناك». أجاب حتماً سترفع في أول العام الجديد! ظهر جدول الترفيع ولم أرفع - رفّع الرئيس «حمد» إلى رتبة مقدم.

ان أحداً من الذين رفعوا إلى رتبة رئيس لم يكن في وضع أفضل من وضعي! رفع أفراد دورتي كلهم إلى رتبة «رئيس شرف».

ألخص فيما يلي النقاط الإيجابية التي لم تؤخذ وتساعد على الترفيع ولم تتوفر لأي ضابط من الضباط الذين رفعوا:

١- دورة دراسات عليا في مدرسة الفرسان والمدرعات في «سومير» فرنسا ناجحة وقد أطلعني على النتيجة بصورة قانونية آمر الكوكبة الثالثة الرئيس «جميل رمضان» عندما استلمها ليسجلها على اضبارتي.

٢- حصولي على ثناء باسم الجيش مع وسام صليب الحرب الفرنسي ذو النجمة المذهبة لعام /١٩٣٩ - ١٩٤٠/ أثناء حرب ١٩٤١ وهذا لا يحمله أحد من الذين ترفعوا!.

٣- قيادة رعيل المدرعات الثاني وحدة مستقلة إِدارياً في ظروف استثنائية صعبة.

٤- قيادة وتشكيل الكوكبة الآلية في الكتيبة الخفيفة للمنطقة الشمالية. مع العلم أن هاتين القيادتين يشغلهما ضابط برتبة رئيس عادة.

قدمت طلباً عن طريق التسلسل إلى القيادة أشرح فيه الظلم الذي أصابني رغم خدماتي التي أديتها ولم أتلقَ جواباً.

كنت مختلفاً في التفكير مع رؤسائي. فبينما يرون أَننا يجب أن نخدم فرنسا بدون التفكير في مستقبل وطننا. كنت أعارض ذلك عملياً ولا أساوم على مستقبله، بينما البعض يرضخ للإغراء.

اعتبرت تأخير ترفيعي من قبل الفرنسيين وساماً مُنِحتُهُ ولا أريد رتبة تُقيّدني.

تسارعت الأحداث والمشاكل بين المفوض السامي ومندوبه والحكومة الوطنية فيما يتعلق بالاستقلال. كنا ثلاثة ضباط الدكتور الرئيس «توفيق عز الدين» والملازم الأول «أمين أبو عساف» والملازم «خطار حمزة» قررنا الاتصال بالحكومة السورية.

كتبنا رسالة نضع أنفسنا مع جنودنا تحت تصرف الحكومة السورية ونتعهد بتنفيذ أوامرها ووقعناها. قام الدكتور الرئيس «توفيق» بتنفيذ هذه المهمة.

حمل الرسالة وذهب إلى دمشق، وقابل رئيس مجلس الوزراء «جميل مردم بك» وسلمها له قائلاً إننا نضع أنفسنا مع جنودنا تحت تصرف الحكومة وننفذ أوامرها عند اللزوم ونرغب أن نبقى على اتصال معها.

بارك رئيس مجلس الوزراء هذا العمل وطلب أن نتريث ولا نستعجل الأمور. وفي الوقت المناسب يخبروننا ماذا يجب عمله.

أثناء ذلك قامت مظاهرة طلاب بالسويداء اشترك فيها جميع الطلاب، كان على رأسها الطلاب: ابن أخي «طلال فهد أبو عساف» و «مزيد هنيدي» «برجس هنيدي» «فهد الشاعر» «فوزي جبور» وغيرهم. هدف المظاهرة المطالبة بتسليم قطعات الشرق الخاصة إلى الحكومة السورية. توجهت المظاهرة إلى أمام سراي الحكومة وألقيت الخطب النارية تطالب بتسليم الجيش.

كان «طلال» من الذين خطبوا وهو يقيم معي. وبعد هذه الخطب هاجموا نادي الضباط في السويداء، كسروا زجاج النوافذ وأحدثوا تخريباً في النادي ولم تتفرق المظاهرة إلا بعد تدخل الجيش. لأن الشرطة لم تتمكن من ذلك.

أتى من يطلب مني أن أمنع «طلال» من الاشتراك في المظاهرات وأن أذهب إلى الكومندان «سارزان» من أجل الاعتذار. فرفضت ذلك.

طلبني الكومندان «سارزان» وسألني من أي قرية الطالب «طلال أبو عساف» ومن هو والده؟ أجبته من قرية سليم ومن العائلة. قال كيف تسمح له العائلة القيام بمثل هذا

العمل؟ أجبت: العائلة غير مسؤولة عن عمل «طلال» وإن المدرسة هي المسؤولة عن عمل طلابها؟ قال: لكن لم يأتِ أحد من عائلة أبو عساف ليعتذر عما قام به أحد أبنائها. أجبت: أنا لا أتدخل في شؤون العائلة. وانتهت المقابلة.

استلامي قيادة الكوكبة الخفيفة الرابعة

كان «سليمان المرشد» من محافظة اللاذقية من أعوان الفرنسيين يحركونه كما يرغبون. ولديه قوة محلية سلموها له. وقد أعلن العصيان على السلطة في دمشق. فأرسلت هذه قوة من الدرك للقضاء على التمرد.

في أواخر شهر آذار /١٩٤٥/ تلقت الكوكبة الرابعة من الكتيبة الدرزية بقيادة الرئيس «سعدو عامر» أمراً بالتحرك إلى محافظة اللاذقية - جوبة البرغال تحت تصرف قيادة المنطقة لحماية «سليمان المرشد» والوقوف بجانبه ضد الدرك والحكومة.

عندما وصلت الكوكبة إلى النبك في طريقها لتنفيذ مهمتها لحق بها الأستاذ «طرودي عامر» قائمقام قضاء شهبا وزعيم المنطقة وبالاتفاق مع الحكومة لكي يعيدها حتى لا تصل لمساعدة «المرشد».

تمكن من التأثير على ابن عمه الرئيس «سعدو» وأعلنا حركة تمرد على الأوامر وعادا مع ثمانين فارساً إلى الجبل. عارض هذا الاتجاه وبقي مع الفرنسيين المساعد «يوسف أبو لوح» مع رعيله وبعض الافراد ومن صف الضباط الرقيب الأول «بادي النهار» والرقباء «جرجس بيطار» «مهنا الحلبي» «فارس عزام»، تابعوا سفرهم إلى حمص وعددهم /٤٥/ فارساً.

إن العمل الذي قام به الأستاذ «طرودي عامر» والرئيس «سعدو» هو الأول من نوعه أي أول حركة تمرّد تنفذها وحدة من جيش الشرق الخاص في سوريا. جرى التنفيذ في النصف الأول من نيسان عام /١٩٤٥/ - أي لم يمكنوا كوكبة ذاهبة بمهمة ضد الحكم الوطني من تنفيذ مهمتها وسحبها من الخدمة في الجيش وإلحاقها بالدرك السوري.

في ١٧/ ٤/ عُينت لقيادة بقايا هذه الكوكبة. كنتُ في السويداء وأتاني الكبتن «نايف

الأطرش» يطلب مني قبول المهمة - ما الفائدة من رفض الأمر والوقت غير مناسب. رافقني الرقيب «محمد الحمدان» الذي عين محاسباً للمفرزة.

إن هذا التعيين كان صدمة لي. كيف يمكنني تنفيذ مهمة ضد مصالح الوطن وقد رفضها الأستاذ «طرودي» والرئيس «سعدو عامر» بدأتُ أفكر كيف أحلّ هذا المأزق دون رفض الأوامر. وصلت حمص كانت المفرزة في المعسكر البولوني مع باقي القطعات السورية والفرنسية، منها حضيرة حرس أمام بيت المستشار.

إن المعسكر البولوني يضم كلّ القطعات العسكرية المتمركزة في حمص وسمي البولوني لأنه جُهز لاستقبال القطعات البولونية التي بقيت مع الحلفاء، بعد سقوط بولونيا في أول الحرب.

مثلت أمام قائد المعسكر. قال لي: مهمتك أن تذهب في أول فرصة إلى «جوبة برغال». كم يلزمك من الوقت يوم أو يومين، أجبت لا يمكن تحديد الوقت لأن حالة الجنود لا تسمح بذلك. قال أنا بانتظار جوابك.

وجدت مفرزة ينقصها الانضباط متمسكة بفرنسا وناقمة على الحكم الوطني!.

اهتديت إلى حل وهو أن أتصل بمسؤول الحزب الوطني في حمص. ولكن كيف يتمّ ذلك ونحن محجوزون في المعسكر لا يمكن مغادرته!. طلبت من الوكيل «حمد المعاز» الممرض البيطري في الكتيبة النظامية والذي يسكن حمص منذ مدة وله معارف أن ينزل خفية إلى المدينة ويؤمّن لي اجتماعاً. في بيته مع الأستاذ «سليمان المعصراني» رئيس فرع الحزب الوطني في حمص.

في اليوم التالي أثناء الليل، خرجت والمساعد «حمد» الى حمص خلسة، واجتمعت بالحاج «سليمان المعصراني» وعدنا ليلاً.

أخبرته عن وضع الكوكبة وكيفية انسحاب آمرها بواسطة الأستاذ «طرودي عامر» بعلم الحكومة، وتعييني لقيادة بقاياها. وإنني أرغب بتكليفه بمهمة إلى رئيس الوزارة!.

أعلن عن سروره لمقابلتي. قال في الماضي: كنا نخشى أن نبوح بأي كلمة لصالح

الوطن أمام ضباط قطعات الشرق الخاصة. الآن صار الضباط الوطنيون يطلبوننا لبحث هذه المواضيع. أنا حاضر لكل طلب.

قلت: أرجو أن تبلغ رئيس الوزراء «جميل مردم بك» عن استعدادي لتنفيذ رغبة الحكومة. وأعرض المقترحات التالية؛ وتنفيذها عند الإيعاز:

١- التمرد على الذهاب مع الأفراد أو منفرداً ورفض الالتحاق بالمكان المعين.

٢- الذهاب إلى المكان المعين والعمل في مصلحة الحكومة السورية وحسب أوامرها.

٣- تنفيذ أي مهمة تطلبها الحكومة.

٤- الجواب بأسرع ما يمكن لأنهم يطلبون مني تنفيذ المهمة.

سجّلَ هذه الطلبات واجابني إذا لم يكن رئيس الوزراء غائباً يصلك الجواب بعد غدٍ إن شاء الله. هنا في مثل هذا الوقت. وعدنا إلى المعسكر كما خرجنا.

وضع المفرزة:

يوجد مخفر من جنود المفرزة جنوبي المحطة لتفتيش الداخلين إلى المدينة والخارجين منها عن السلاح. أطلق هذا المخفر النار في الهواء على مجموعة من الفلاحين خارجة من المدينة ومرت بعيدة عنهم إلى قراها ولم تتوقف من أجل التفتيش.

وبما أن هذا المخفر قريب من المعسكر وإطلاق النار بكثافة شوش آمر المعسكر الذي أوفدني للتحقيق. أعطيتهم أوامر صارمة بعدم إطلاق النار بدون أمر، واقترحت على آمر المعسكر إبدال هذا المخفر، وتعيينه من وحدات أكثر انضباطاً ففعل.

كذلك مخفر المدينة المكلف بحراسة مقر المستشار أطلق النار في الهواء على مظاهرة عن بعد ومنعها من المرور في الشارع العام الذي يبعد كثيراً عن مقر المستشار. قلت لهم: لا أحد سواكم في الجيش... يطلق النار على المتظاهرين. يجب التقيد بالأوامر! وأهالي حمص مواطنون سوريون وليسوا أعداءً والمظاهرات تجري في كل

المدن السورية.

في الوقت المعين عاد الحاج «سليمان المعصراني» بعد أن قابل رئيس الحكومة أخبرني أن الرئيس يشكرني على المشاركة في خدمة الوطن وأنه يطلب إلينا أي الضباط التريث وعدم الإقدام على أي حركة ريثما يصلنا إشعار وأن نبقى في أماكننا وألا نترك جنودنا إلى الفرنسيين لأن ذلك في مصلحة الحكومة السورية.

في كل المدن السورية تشكلت لجان للدفاع عن الاستقلال ومقاومة الفرنسيين وعدد كبير من الضباط يؤيدون هذه اللجان. في حمص كنا على اتصال معها بواسطة ضابط نسيت اسمه وهو ابن المقدم قائد درك المحافظة. نرسله ليلاً للاتصال مع والده نستوضح عن الوضع. في أحد الأيام وكان جنود المفرزة يحرسون الجهة المقابلة لمهاجعهم بدون أمر من أحد، ألقوا القبض على الملازم وهو يهم باجتياز المعسكر.

قال لهم: أنا ذاهب إلى حمص للاتصال بالوطنيين بمهمة مكلف بها من قبل المقدم «حمد الأطرش» والملازم الأول «أمين أبو عساف» ظناً منه بمجرد ذكر اسمينا يخلون سبيله! بإعتبار أنهم من ابناء منطقتنا. هذا الخبر وذكر اسمينا زاد من حدة الموقف ولم يسمحوا له بالخروج.

على أثر هذا الحادث رجع الكمين وجمع كل عناصر المفرزة وصاروا ينددون بالاتصال بالمدنيين من دون علم الفرنسيين. عند الفجر أيقظني الجندي «يوسف الشيباني» وهو من قريتنا «سُليم» وأخبرني عن الوضع. ذهبت اليهم وطلبت من رقيب الخدمة أن يجمعهم بالصف حسب الأصول. سألتهم ماذا بكم؟ ليتكلم أحدكم؟ استلم الحديث المساعد «يوسف أبو لوح» وسرد الحادثة وقال: نحن سنبقى على إخلاصنا للفرنسيين ولا نريدكم أن تتصلوا بالمدنيين الوطنيين من وراء ظهرنا! وإفادة الملازم تثبت ذلك. نرغب في عرض الموضوع على آمر المعسكر. وتكلم غيره من الرقباء والجنود بذات المعنى (وهذا يدلنا الى أين وصلت الروح العسكرية والانضباط).

أجبت أن الملازم لم يرسل من قبل احد. أظن أنه هارب إلى عائلته، وقد قال لكم: إنه ذاهب بأمرنا حتى يسلم منكم باعتبارنا أبناء منطقة واحدة. وسأعرض رغبتكم بالبقاء مع الفرنسيين على آمر المعسكر. قال «أبو لوح»: بل نشكل وفداً أنت على رأسه

يضم مندوباً عن كل رتبة برئاستك يكون فيه / وكيل ورقيب وعريف وجندي/ . . . ونحن إذا بقيت امرأة فرنسية عوراء سنبقى بقيادتها! . قلت له: عوراء أو عمياء لا أحد يطلب منك ألا تبقى معها ولكني لا أوافق على الوفد؟ أنا آمركم وأتكلم باسمكم وكل مطالبكم ارفعها إلى القيادة وآتيكم بالجواب.

رفض هو وغيره ذلك واصروا على تشكيل الوفد. قلت: أنا لا أذهب مع وفد الى القيادة ومنذ هذه اللحظة لست آمراً لكم سأطلب نقلي من هذه المفرزة قليلة الانضباط. ويوجد أماكن كثيرة في الجيش يسرها استقبالي وليس لي رغبة بقيادتكم.

عندها تكلم الجندي «سليم الحلبي» من المجيمر وقال: نحن نتمسك بقيادة «الملازم الأول أبو عساف» ويجب ان نمنحه ثقتنا، يذهب بمفرده ويأتينا بالجواب كفى يا شباب، آزره البعض وانتهى الاجتماع وصُرِفَ النظر عن تشكيل الوفد.

كان عليّ أن أخبر آمر المعسكر عن صلاحية المفرزة لإتمام مهمتها أم لا. ذهبت لمقابلته. بدأ الحديث كيف وضع المفرزة؟ أجبته إن وضعها غير مرضٍ. قال: هل هي معنا أم ضدنا؟ قلت: قسمٌ معكم وقسم ضدكم. وبالنسبة للمهمة لا يمكنني الذهاب مع وحدة غير منضبطة. أظن أنه اقتنع وقال: لو تعلم الأخبار التي تضلنا وكان يتصل بهم الوكيل «يوسف أبو لوح» ولا أعلم إذا كان غيره يتصل؟. إن تعييني لهذه المفرزة المضعضعة كان بنظر قائد المعسكر أني في صف الفرنسيين. استلمت راتب شهر نيسان وقبل نهاية شهر أيار أتى معتمد المحاسبة من بيروت ليدفع المال. عرض عليّ المحاسب أن الوضع مضعضع، والفرصة مناسبة لنطلب مبلغاً كبيراً يكون من نصيبنا. وهم لا يسألون عن المبالغ المدفوعة. رفضت هذا العرض واستلمت المبلغ المطلوب بدون زيادة.

بعد عقد الهدنة في /٨/ أيار ١٩٤٥ واستسلام المانيا. صارت القوات الفرنسية تحتفل بالانتصار بتسيير دوريات آلية وإطلاق النار والتحرش بالأهالي. وقد زاد نشاطهم أيضاً. وصار التموين كي يصل المعسكر يجب أن يكون محروساً.

كان الفرنسيون يؤكدون للبريطانيين أن قوات الشرق الخاصة ستبقى مع فرنسا برغبتها. في أوائل حزيران اتصلت بنا القيادة الفرنسية وطلبوا منا أن تبقى قوات الشرق

الخاصة تابعة لهم على وضعها الراهن. وإن لجنة مشتركة من ضباط بريطانيين وفرنسيين ستأتي، ولربما سألتنا رأينا، وطلبوا منا أن نبقى مع قطعاتنا.

الانسحاب عن الفرنسيين

عقدنا اجتماعات درسنا هذا الطلب وكان هناك رأيان:

الأول يقول: إن بقاءنا مع قطعاتنا يعني أننا موافقون على البقاء مع فرنسا لذلك يجب ان ننسحب قبل وصول الوفد.

الثاني يقول: نبقى مع قطعاتنا وإذا سُئِلنا نعلن رأينا.

قرر أكثر الضباط أن نترك قطعاتنا وننسحب على مسؤوليتنا ثم نتصل مع الحكومة السورية كي نبدأ حرب عصابات لإجلاء الفرنسيين بالقوة.

بتاريخ ٦/٦/ ١٩٤٥ انسحب من حمص الضباط الآتية أسماؤهم: المقدم «حمد الأطرش» الرئيس «محمود بنيان» الرئيس «مأمون بيطار» الرئيس «صلاح البزري» الملازم الأول «أمين أبو عساف» الملازم الأول «إبراهيم الحسيني» الملازم «بديع بشور» الملازم «رياض كيلاني» الملازم «خطار حمزة». وبقي في المعسكر لم ينسحب كلٌ من:

المقدم «عزيز عبد الكريم» الرئيس «عمر خان تمر» الملازم «علاء الدين ستاسيس» وقد انسحب أيضاً بعض الجنود إفرادياً.

الملازم الأول «إبراهيم الحسيني» والملازم «خطار حمزة» خرجا بسيارة نقل الكتيبة وهي ملأى بالأسلحة والذخيرة يقودها الملازم «خطار» حيث سلموها إلى لجنة الدفاع عن حمص.

فور انسحابي ذهبت مع الرئيس «مأمون» إلى الكلية العسكرية. انسحب كل الضباط السوريين. وقد بقي في الكلية ضابط لبناني فقط لم ينسحب!.

عدنا إلى حمص واتصلنا مع لجنة الدفاع عن حمص، وجدنا أنها وزعت الضباط

من أجل الطعام والنوم على وجهاء المدينة. قلنا لهم: لم نترك قطعاتنا كي نأكل وننام. يجب أن نرسم خطة للمقاومة حتى نجبر الفرنسيين على الجلاء. قالوا: هذا فوق مستوى صلاحياتنا، هذا من صلاحية الحكومة.

ذهبنا في اليوم التالي إلى منزل فخامة الرئيس «هاشم الأتاسي» وعرضنا عليه طلبنا وجواب لجنة الدفاع عن حمص.

اتصل هاتفياً مع رئيس الوزراء وقال له عن رأينا وإنه يؤيده. طلب تسييرنا إلى دمشق والاتصال معه.

في الوقت المعين للاجتماع في المعسكر البولوني جاءت قطعات بريطانية وواكبت ما تبقى من قطعات الشرق الخاصة من مدفعية وفرسان إلى لبنان.

بالنسبة للمفرزة من بقايا الكوكبة الرابعة فقد تحركت باتجاه يعفور بالقرب من معسكرات قطنا حيث يوجد ما تبقى من الكتيبة الدرزية الذين يؤيدون فرنسا. وعند وصولهم إلى «الضمير» انسحب نصفها والتحقوا بالسويداء مع الرقيب «محمد الحمدان» ومن بقي وصل يعفور حيث عادوا بعد تسليم الجيش في ١/٨/ ١٩٤٥.

ذهبنا إلى دمشق. شكلنا وفداً قابل رئيس الوزراء. قال نحن لا يمكننا تشكيل مقاومة لأن بريطانيا تمنع ذلك في هذه الظروف حرصاً على سلامة جيوشها رواتبكم مؤمنة وسنستلم الجيش وتعودون إليه. اذهبوا وسجلوا أسماءكم في ثكنة الدرك حيث فتح مكتب لهذه الغاية، بإمكان كل منكم الذهاب حيث يشاء على أن يترك عنوانه لاستدعائه حين اللزوم.

بعد تسجيل أسمائنا في قلعة دمشق وكنا من أوائل المنسحبين ذهبتُ مع المقدم «حمد الأطرش» والملازم «خطار حمزة» إلى السويداء. وكان استقبالاً فاتراً. قال الرئيس: «شكيب وهاب» لماذا أتيتم إلى هنا؟ شعرنا أن الضباط تضايقوا من وجودنا.

كيف سارت الأمور في دمشق والسويداء

ذهبت إلى قريتي «سُليم» باللباس المدني مع الكوفية والعقال، الأكثرية لم توافقني على عملي، أخي أبو طلال «فهد» قال: بما أنك مقتنع بما فعلت لا تسأل عن رأي أحد.

أحد أعمامي قال لي: لو كان والدك حياً هل يوافق على ما قمت به؟ أجبت: لو كان والدي حياً كان سألني أولاً لماذا فعلت ذلك وبعد سماع رأيي يقرر التأييد أو التأنيب ولربما الحياد، أي لا يتدخل بهذا الأمر بل يوافقني عليه. لا كما فعلتم. وقد سمعت كثيراً من الهَمْس الخفي: لماذا ترك وظيفته ورتبته وماذا ينتظره، أتى لتعب البال.

إن الوطن له حقٌ علينا وهو أحقٌ بخدمتنا. عندما رأينا الفرنسيين قد نكثوا بعهدهم في إعطائنا الاستقلال وقفنا مع حق الوطن علينا. إذا نجحنا نكون قمنا بواجبنا. وإلا فالجهاد حتى النصر أو الاستشهاد.

تمكنت من الاطلاع على المعركة. لأننا في المعسكر البولوني كنا معزولين عن العالم، المعركة التي خاضها السوريون حكومة وشعباً وبعض ضباط الجيش ضد الاستعمار.

كانت الحكومة تتفاوض مع المفوض السامي من أجل استلام الجيش والمصالح المشتركة بالاتفاق مع الحكومة اللبنانية. كان المفوض السامي يطلب أن تبقى قوات الشرق الخاصة تحت القيادة الفرنسية حتى انتهاء الحرب. ولما أوشكت الحرب أن تنتهي. طلبوا عقد معاهدة تُمنح بموجبها فرنسا قواعد بحرية في لبنان وقواعد جوّية في سوريا مع امتيازات لمصالحها الاقتصادية والثقافية والعسكرية، وهذا ما رفضته الحكومتان السورية واللبنانية.

في /٨/ أيار أعلنت الهدنة واستسلام المانيا ونهاية الحرب معها. ومنذ التاسع من أيار بدأ جنود فرنسا يتجولون في الشوارع مع مصفحاتهم وسيارات ملأى بالجنود،

يطلقون النار في الهواء احتفاءً بانتهاء الحرب. ولكن في الحقيقة يستفزون الأهالي. وأتوا بتعزيزات من جنود المستعمرات أنزلتهم البواخر في بيروت قبيل الهدنة وبعدها استعداداً لمعركة تُحضر لها.

جرت مظاهرات وإضرابات وصدامات عنيفة في كل المدن السورية. وفتح باب التطوع في دمشق حيث تطوع بعض النواب وكثير غيرهم من أبناء الشعب، وعاد بعض الضباط والعسكريين المسرحين إلى الخدمة حيث التحقوا بهذه القوات للدفاع عن الوطن.

أما أبناء الجبل فكانوا السباقين لخدمة وطنهم. فقد بحث رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء مع نائب الجبل «يوسف باشا الأطرش» إمكانية القيام بعمل ما لتخفيف الضغط الفرنسي على دمشق وحلب وباقي المحافظات وقاموا باستدعاء الأمير «حسن الأطرش» الذي كان عضواً في تنظيم سرّي مدني وعسكري. وكان هذا التنظيم قد أعدّ خطة للعصيان يتمّ خلالها القبض على الفرنسيين في السويداء وأن تلتحق الكتيبة الدرزية بالحكومة وتتلقى الأوامر منها وتكون تحت تصرفها. فتمّ عرض هذه الخطة على الحكومة وعاد المحافظ مفوضاً من قبلها بتنفيذ ذلك.

وفي ليل /٢٨ - ٢٩/ أيار عقد اجتماع في دار الدكتور «توفيق عزالدين» حضره نخبة من أبناء الجبل (لم أكن حاضراً حتى أذكر الأسماء)! وفي الوقت المعيّن نفذوا حركتهم واعتقلوا كل الفرنسيين الموجودين في السويداء وعلى رأسهم الكومندان «سارازان» مندوب المفوض السامي وتمّ حجزهم في منزل الأمير «حسن الأطرش» حتى حضر البريطانيون واستلموهم.

ورفع أول علم سوري على ثكنات الجيش في السويداء. وزال كلّ أثر للاستعمار في محافظة السويداء. إنه عملٌ بطولي نفذه أبناء هذه المحافظة الأشاوس.

في ٢٩/ ٥ الساعة الخامسة عشرة وجّه الجنرال «اوليفاروجه» إنذاراً إلى رئيس المجلس النيابي الأستاذ «سعد الله الجابري» بأن تقوم حامية البرلمان... من الشرطة والدرك بأداء التحية إلى العلم الفرنسي عند إنزاله في المساء في بناية الأركان المجاورة. رفض الجابري الإنذار، وألغى جلسة كانت مقررة في المساء للمجلس لأنه

شكٌ في نوايا الجنرال وعلم أنه نوع من التحرش.

في الساعة السابعة عشرة والنصف قام الفرنسيون بمهاجمة البرلمان، قصفته مدفعية الدبابات والهاون ثم اقتحمته المشاة. دافعت حاميته بأسلحتها الفردية ولكن المهاجمين احتلوه وقتلوا حراسه، ومثلوا بهم. كذلك أمطرت المدفعية دار الحكومة، بلدية العاصمة، مديرية الشرطة، والقلعة مقر الدرك، السجون، ومصلحة مياه الفيجة، وبعض البنايات المجاورة خلال الليل وأحدثوا تدميراً وخسائر بالأرواح.

استمر القصف بالمدفعية والطائرات ورشاشات الطائرات متقطعاً خلال يومي / ٣٠ - ٣١/ ٥ في / ١/٦/ استلم الجيش البريطاني الأمن وأوعز إلى القيادة الفرنسية بسحب جيشها من الشوارع وواكبته إلى ثكناته خارج المدن.

تشكيل مديرية العشائر - وقيادة قوى البادية

وتعييني - ضابط عشائر وآمر سرية الهجانة بتدمر

وعلى أثر حوادث أيار وحزيران / ١٩٤٥/ ثار جنود الهجانة على رؤسائهم. وفي الضمير قُتل الفرنسيون كلهم برصاص الهجانة. وفي تدمر طوق البريطانيون الثكنة وأُخرِجَ الفرنسيون مع الأسلحة وتجهيزات السرية بأكملها.

في ذلك الوقت استلمت السلطات السورية المسؤولية على مراكز الهجانة وشكلت مديرية العشائر في دمشق برئاسة المهندس الزراعي «نوري الايبش» وقيادة قوى البادية تابعة لها وكان العقيد «رفعت خانكان» آمراً لقوى البادية.

تلقيت أمراً بتعييني تحت تصرف آمر قوى البادية اعتباراً من ٢٠/٦/١٩٤٥ والتحقت بذلك التاريخ. وكنا أول ثلاثة ضباط يتسلمون مهمات هامة في خدمة العهد الوطني.

الرئيس «توفيق نظام الدين» استلم مركز دير الزور ضابط عشائر وآمر سرية الهجانة.
الرئيس «محمود بنيان» ذهب لاستلام مركز تدمر ضابط عشائر وآمر سرية الهجانة.

الملازم الأول «أمين أبو عساف» بانتظار استلام مركز الضمير ضابط عشائر وآمر سرية الهجانة. قبل التحاقي بقيادة قوى البادية ذهب الرئيس «محمود بنيان» لاستلام مركز تدمر، عند وصوله وجد بعض العناصر تسعى لعودة الفرنسيين لتتسلم مرتباتها فلم يرضَ بذلك ووعد هذه العناصر وغيرها بأن الراتب سيسلم من قبل الحكومة السورية ولكنه اصطدم مع البريطانيين الذين طلبوا منه العودة وتعيين آخر مكانه.

كانت تدمر أصعب هذه المراكز الحساسة. إن دير الزور مركز محافظة، وفيها قوى أمن من شرطة ودرك، والمحافظ الذي يمثل الدولة إضافة إلى وجود فوج مشاة في الموقع وسكان عريقين في خدمة الوطن. الضمير وهي ضمن المعمورة وقريبة من دمشق مركز القوة. أما تدمر فكانت مركز ناحية بدون مدير تابعة إلى محافظة حمص تبعد عنها / ١٦٠/ كيلومتراً وتبعد عن آخر القرى. حوالي مائة كيلومتر في قلب البادية حيث سيطرة البدو. الطريق المعبدة تقف على حدود المعمورة في القريتين وبعده طريق ترابي. عندما عاد الرئيس «محمود بنيان» عُيّن في الضمير. وعُيِّنتُ في تدمر ضابط عشائر وآمر سرية الهجانة مكانه.

بتاريخ ١٩٤٥/٦/٢٩ ذهبت قوة آلية على رأسها آمر قوى البادية وأنا معها أحمل الرواتب ولأستلم قيادتي مع تعليمات بمسايرة البريطانيين وعدم الاصطدام معهم، وصلنا تدمر إلى مكتب المستشار السابق حيث وجدنا في استقبالنا بعض الرتباء.

أبلغهم العقيد أَني رئيسهم وطلب منهم إطاعة الأوامر والمساعدة. وبعد استراحة تابعت القوة طريقها إلى دير الزور.

وبانتظار جمع السرية لدفع الرواتب، جمعت صف الضباط وبينت لهم مسؤولياتهم وأنهم في الماضي كانوا ينفذون أوامر الفرنسيين. أما الآن فإن عليهم مسؤولية قيادة جنودهم ومساعدة آمر السرية في عمله أي أخذ مكان الفرنسيين. وإني أعتمد عليهم لتوعية الجنود واستقبال هذا العهد الوطني الجديد بأمانة وإخلاص.

ثم لخصت لهم كيفية قصف المجلس النيابي مساء ٢٩/ أيار/ الماضي وكيف تعاون السكان جميعهم على مختلف ميولهم والطلاب وضباط الجيش على مقاومة الانتداب وإِجباره على الجلاء.

عندما اكتمل العدد لاستلام الراتب جمعت السرية بأكملها. قلت لهم: إن فرنسا طردت من سوريا إلى غير رجعة. وقد شُكلت حكومة عربية سورية لكل أنحاء سوريا بما فيهم البدو الذين يمثلهم شيوخهم في البرلمان وقد شاركوا في الحكم. إن كلّ المدن السورية قاومت ودافعت عن الكرامة العربية. ويجب على البدو أن يحملوا الراية العربية ويخدموا الحكومة التي هي حكومتهم.

إن الوضع في تدمر غير طبيعي إذ إني أستلم وحدات مضعضعة بدون انضباط ولا يوجد رتباء يعرفون واجبهم. هل يعادل فرحي بالوظيفة المسؤولية التي أتحملها؟

متى كانت خدمة الوطن حساب ربح وخسارة؟ إن القيادة وضعت ثقتها بي وقلدتني قيادة تفوق رتبتي رغم وجود من هم أعلى مني رتبة. خدمة الوطن تتطلب التضحية وأنا سعيد بهذه الثقة. إن الصعوبات التي أتعرض لها هي مراحل طريقي، الاستشهاد قمة خدمة الوطن. وفقني الله بخدمة وطني المفدى!.

إن سرية الهجانة يزيد تعدادها على / ٤٠٠/ جندي. إن هذا العدد يعادل أكثر من سريتين ولكن بدون سلاح فقد أخذه الفرنسيون بمساعدة البريطانيين مع كل تجهيزات السرية. أما حرس العشائر والعدد يزيد عن المائة فقد بقي سلاحه على حاله وهو يؤمن مخافر الأمن خارج تدمر، وحراسة دائرة العشائر بواسطة فئة. وآلياته جاهزة وسليمة وكذلك دائرة المستشار مع منزله وهو مؤثث من قبل الدولة بقيت سالمة ايضاً.

كان الفرنسيون يديرون هذه الوحدات بعدد لا يقل عن خمسة عشر ضابطاً وصف ضابط فرنسي والآن أستلمها منفرداً. والمشاكل كثيرة بين عشائر البدو، ثم بين جنود البدو أنفسهم، بين جنود البدو وجنود الحضر وبين هؤلاء والمدنيين. أيام الفرنسيين لم يكن أي شيء ظاهراً.

في اليوم التالي درست الوضع على الطبيعة، واجتمعت مع العسكريين وتابعت تلقينهم واجباتهم بعد استقلال سوريا.

وفي اليوم الثالث ذهبت بجولة لأدفع رواتب جنود مخافر الأمن والاتصال ببعض شيوخ البدو حيث أخبرتهم عن الوضع ووضعتهم أمام مسؤولياتهم. وأخبرتهم عن ذهاب

الفرنسيين نهائياً. وإنهم تابعون منذ الآن إلى الحكومة العربية السورية. وواجبهم نحو بعضهم ونحو الحكومة. وطلبت منهم نسيان خلافاتهم حتى يساعدوا على الهدوء والسكينة. بعد الانتهاء من دفع الرواتب سلمت الباقي أي رواتب الغائبين في دمشق.

لقد لاحظت الآتي أيام الفرنسيين: كان الجنود البدو يسيطرون سيطرة تامة ويحصلون على ما يرغبون، بأيديهم ويفعلون ما يشاؤون دون معارضة. ويعتبرون التسلط حقاً مكتسباً لهم. أما الأهالي فكانوا يتحملون ما يفعله الجنود دون أدنى معارضة.

بعد ذهاب الفرنسيين شعر الشعب بحرّيته وارتفاع الظلم عنه فأخذ الأهالي يتحرشون بالجنود من أجل الانتقام، ويسمعونهم الكلام اللاذع ورفعوا أجور البيوت وامتنع التجار عن تسليف الجنود كما كان يجري في السابق باعتبار أن المستقبل غير واضح ومصير الجنود غير مستقر.

سارت الأمور سيراً طبيعياً. نظام عمل ودروس في الخدمة الداخلية للجيش، واجبات الجندي والصاعة لرؤسائه العسكريين وواجباته في الخدمة مع رفاقه، ومعاملة المدنيين، واجبات صف الضباط والعرفاء - الرقيب الأسبوعي - رئيس الحرس - آمر فئة، آمر حضيرة. كل هذه الأمور لم يكونوا يعرفون عنها شيئاً - لأن الفرنسيين كانوا يقومون بذلك ويستخدمون أبناء الوطن كمنفذين فقط!.

كذلك كنت أستفيدُ من دوريات الأمن التي أقوم بها أو حين الذهاب لدفع رواتب مخافر الأمن لأتصل مع المسؤولين في مضارب البدو وأعطي التوجيهات اللازمة.

وكنتُ أقوم بالاتصال أيضاً بوجهاء تدمر والمجلس البلدي فيها. حيث طلبت منهم توجيه الأهالي واعتبار العسكريين جنداً للوطن وهم من أبنائه وليسوا غرباء.

وطلبتُ إليهم أن تكون معاملة الجنود حسنة من قبل التجار وأصحاب البيوت التي يقطنونها. وأنهم أبناء وطن واحد والقانون فوق الجميع وكلٌ يصل إلى حقه.

خلافات البدو والحضر في تدمر ودور البريطانيين

في ١٧/٨/١٩٤٥ مرَّ من تدمر الميجر البريطاني «دردن» ضابط الارتباط في حمص وحماة مع قادة الحامية البريطانية في تدمر. سألني: في حال ذهاب الجيش البريطاني من تدمر هل تتعهد بحماية الفرنسيين الموجودين في محطة الطيران؟

أجبته: لا لزوم للفرنسيين هنا، والجيش السوري يقدّم الأخصائيين لإدارةِ محطة الطيران.

ومن الآن بإمكاني وضع بعض الجنود تحت تصرفه لهذه الغاية.

وبتاريخ ١٨/٨/١٩٤٥ ذهبت مع دورية إلى حمص لاستلام رواتب حرس العشائر وتسليمه إلى مخافر / سلمية وجبل البلعاس/. في ذلك اليوم جرى خلاف فردي بين «خريس المدلول» وهو جندي متقاعد من عرب /نجد/ و «أحمد أبو قصبة» من سكان تدمر. شكا «أحمد» إلى مخفر الدرك بأن «خريس» يهينه ويعتدي عليه منذ كان في الخدمة ولا زال - بعد عودتهما من التحقيق ووصولهما إلى سوق المدينة هجم «خريس» وضرب «أحمد» تجمع الباعة وضربوا «خريس» وأهانوه وذهب كل إلى عمله.

بدأت التجمعات: أهل تدمر وجنودها من جهة ومن جهة ثانية العنصر النجدي المدني والعسكري وجنود «شُمرّ» أيضاً وحوالي الساعة /١٤/ هجموا على بعضهم البعض وجرت معركة قوية استخدمت فيها (المدى - والخناجر - والمسدسات) وسقط فيها العديد من الجرحى. حضر الوكيل «حميد» الذي ينوب عني أثناء غيابي لم يتمكن من تهدئة الحالة. استنجد بحرس العشائر وبقائد فصيل الدرك ولم يتمكنوا من السيطرة. وخوفاً من الفوضى ونهب المخازن اتصل بالقائد البريطاني حيث أرسل قوة فرقت الجماهير واعتقلت بعض المسؤولين ورتبت دوريات تطوف الشوارع من جنود بريطانيين وحرس عشائر ودرك سوري.

طلب قوة من دمشق

في ١٩/٨/ ١٩٤٥ الساعة الثامنة عشرة عدت من مهمة دفع الرواتب. وفور وصولي استلمت مسؤولية الأمن وشكلت دوريات من حرس العشائر مع دركي واحد مع كل دورية. طلبت من القائد البريطاني سحب جنوده بعد أن شكرته على مساعدته. جمعت وجهاء المدينة وأعلمتهم أني أخذت الأمن على مسؤوليتي وطلبت إليهم الخلود إلى السكينة وفتح متاجرهم.

استنفرت كل الجنود في الثكنة وطلبت قوة من دمشق لحفظ الأمن. وفي مساء اليوم التالي وصلت القوة المطلوبة وهي رعيلان: مصفحات بقيادة الرئيس «توفيق الشوفي» وسرية مشاة بقيادة الملازم الأول «هشام سمان».

صباح ٢٠/٨/ ١٩٤٥ كنت في الثكنة باكراً. نشبت مشاجرة بين أربعة جنود اثنان من تدمر واثنان من البدو وقد تمكنت من فض الاشتباك في الحال.

أفهمت الجميع أن الجيش واحد ولا فرق بين تدمري وبدوي إلا بالعمل. إن الوحدة العسكرية تجمع كل الموجودين فيها بالأخوة والصداقة. إن القيادة هي التي تحافظ على حقوق أفراد الجيش ولا يجوز للجندي أن يأخذ حقه بيده.

كذلك التاجر ومالك البيت. السلطة تحصل له حقوقه بموجب القانون.

إن تصرفات شاذة تجري من قبل الرقيب المحاسب في حرس العشائر «عوض الحوش» وهو يقدم تقارير غير موقعة إلى القيادة، ويشكو بعض العسكريين، وقد ترك مكتبه ليلتجىء إلى مخفر الدرك. ثم ذهب إلى حمص واتصل بالمحافظ وكتب تقارير إلى قيادة قوى البادية. تأكد أنه كان يتصل بالفرنسيين الموجودين في المطار. طلبت من القيادة أن تأمره للالتحاق بوحدته أو اعتباره فاراً وتسريحه.

قبيل ذهاب الفرنسيين رقي الوكيل الأول «بركات المطلق» إلى رتبة ملازم شرف وهو من دائرة العشائر وأنه بإخلاصه ونشاطه وقوة شخصيته أبقى على دائرة العشائر

سليمة بسياراتها وأسلحتها وأثاثها ومصنفاتها وجنودها وكذلك على منزل المستشار المؤثث على نفقة الدولة. وله الفضل في انسحاب سرية الهجانة وبقائها في تدمر حتى استلامها من قبل الجيش السوري.

ومنذ استلامي القيادة قدَّم الملازم «بركات المطلق» أجلَّ الخدمات وهو من الموثوقين الذين يُعتمد عليهم طلبت تثبيته برتبة ملازم.

في ١٩٤٥/٨/٢٢ زرت القائد البريطاني مع الضباط «توفيق الشوفي» و «هشام سمان» أبلغني بصفتي مسؤولاً عن الأمن الأمر التالي: في حالة حدوث شيء ما في المدينة أن أخبره ولا يمكنني إطلاق النار إلا بأمره... سألته إذا كان يبلغني هذا الأمر باسم قيادته أم هو مسؤول عنه؟ أجاب: هو المسؤول عنه. أجبته بأني مسؤول أمام قيادتي وأنفذ تعليماتها ولماذا يرغب تقييدي بأوامره.

تراجع عن رأيه وطلب مني إعلامه فقط بما يحدث، أعلمت القيادة بما يلي:

أخبار تذاع هنا في الأوساط البدوية أن شيوخ البدو سيطلبون أن تكون حماية البادية بأيديهم. ووحدات الهجانة من البدو فقط عدا سائقي السيارات وبعض الكتبة والمحاسبين - كأن تكون بادية تدمر بقيادة «راكان بن مرشد» يعاونه في قيادة السرية رتباء البدو الحاليين أو المتقاعدين أو الذين سيتم تعيينهم وذلك ليتمكن من الاستغناء عن الضباط وصف الضباط والجنود الحضَر. هذه الإشاعات منتشرة في المحيط البدوي؛ هذه الأفكار تفوح منها رائحة الاستعمار الذي يعتمد على الجهل لبث الفرقة بين أفراد الشعب. أخشى أن يكون البريطانيون يحضّرون شيئاً، لا يخفى على القيادة كثرة الأسلحة الموجودة عند البدو من رشاشات وبنادق وسيارات وكل محيطنا يعلم أن سرية الهجانة في تدمر لا تملك ولا بندقية. أطلب سرعة تسليح السرية وتعيين ضباط فيها يتحملون المسؤولية. وبانتظار ذلك أطلب فرز رعيل مصفحات بصورة دائمة إلى تدمر حتى يتم تسليح السرية.

وصول «راكان بن مرشد» مع رؤساء قبائل آخرين وتحريضهم العسكريين التابعين لهم على الانسحاب

في ١١/٩/١٩٤٥ في الآونة الأخيرة كثرت تحريات الضباط البريطانيين عن أسباب حادثة تدمر الشهر الماضي وعن إمكان بحثها في البرلمان السوري.

وعن مدى التأثير الذي سوف تحدثه، وعن إمكانية مهاجمة البدو لتدمر وهم يسألون مدير الناحية وقائد فصيل الدرك وضابط مراقبة البدو.

هذه التحريات أجراها ملازم من قبل ضابط ارتباط حمص وحماه «دردن» وأيضاً ما جرى في المقابلة التي تمت في مكتب رئيس الوزراء بين الشيخ «راكان بن مرشد» والسيد «حميد الصالح» من وجهاء تدمر.

وصل تدمر رعيل مصفحات بقيادة الملازم «طارق كيلاني» تحت تصرف قائد موقع تدمر. قَدِمَ تدمر الشيخ «راكان بن مرشد» عضو المجلس النيابي السوري ورئيس عشيرة السبعة بطينات والشيخ «صالح بن هديب» رئيس عشيرة السبعة «عبده» والشيخ «محمد الباشا» رئيس عشيرة بني خالد و «محمود العبد الجادر» و «محمد الهويش» من وجهاء عشيرة بني خالد. وحلوا ضيوفاً على الوكيل «حميد حامد» والرقيب الأول «أحمد العبد الجادر». زارني هذا الوفد بدائرة العشائر وطلب مني الشيخ «راكان» أن أسمح لجنود الهجانة البدو من حرس المستشار وسرية الهجانة بالانسحاب لأن لهم مطالب عند الحكومة. إذا لبتها يرجعون إلى الخدمة وإلاّ فإنهم يبقون في بيوتهم. أجبته من واجبي ان أنبّه أن الجيش لا يشتغل بالسياسة أطلب اليكم أن تبحثوا المواضيع السياسية بعيداً عن الجيش خصوصاً وأن الشيخ «راكان» عضو في المجلس النيابي وبصفته نائباً يمكنه بحث مطالبه في المجلس النيابي حيث تبحث كل أمور الوطن. وباعتباره مسؤولاً يجب ان يترك الجيش بعيداً عن السياسة لأن أي مخالفة من قبل الجندي يطبق عليها القانون العسكري. أضاف الشيخ «راكان» نحن لا نطلب وزيراً أو محافظاً أو قيادة إنما يجب على الحكومة ان تترك لنا البادية نحن نديرها. قلت: إن الوضع لا يسمح ببحث هذه المواضيع الآن والحكومة مشغولة مع الفرنسيين الذين نقضوا وعودهم باستقلال البلاد

وتسليمها جيشها وأنتم يحق لكم ٱلمطالبة بكل شيء مشروع تحت قبة البرلمان. إن الفرنسيين بعد /٢٥/ عاماً من الانتداب ماذا عملوا لكم! الجهل متفشي بين القبائل لم يعلموا أولادكم حتى يشاركوا في الحكم. أول شيء يجب أن تطلبوه هو العلم وكل المواطنين سواسية أمام القانون وبالعلم يمكنكم الوصول إلى الوزارة او المحافظة ويمكن لشبابكم دخول الكلية العسكرية. أما تجزئة الوطن فهو مخالف للوحدة التي يسعى إليها المواطنون جميعهم. إن التجزئة التي صنعها الاستعمار في هذا الوطن لم تدم. وكان قد شكل حكومات في جبل الدروز - وجبال العلويين - السكان بذاتهم رفضوا هذا التقسيم وانضموا إلى سوريا الأم ولولا هذا الانفتاح لما رأيتم ضابطاً من جنوب سوريا يقوم بواجبه في أنحاء سورية الحبيبة.

العشائر لها عشرة نواب في المجلس النيابي هؤلاء يمكنهم المشاركة في سياسة الحكومة واختيار الطريق لتأمين حقوق عشائركم بصورة مشروعة لا تكونوا أول عقبة في طريق الحكومة في عهد الاستقلال وكل أجزاء سورية انضمت الى بعضها البعض بدون شروط. بقي مصراً على رأيه أرسلت برقية أعلم القيادة وأطلب إبعاد الشيخ «راكان» وأعوانه قبل أن تدب الفوضى في تدمر وفي سرية الهجانة وتأثير ذلك على الأمن. وأطلب توجيهاً عما يجب عمله.

في المساء حضرتُ مع الملازم «طارق كيلاني» آمر رعيل المدرعات وليمة العشاء التي حضرها كثير من عسكريي البدو وبعد الطعام بدأ «راكان» حديثه قائلاً: إني مفوض من قبل رؤساء العشائر كي أطلب جمع الهجانة وحرس العشائر البدو فقط في مؤسسة واحدة تحت إشراف ضباط وخبراء من البدو ما عدا بعض الضباط الذي يتّفق على قبولهم وبما أن جنود الهجانة يلاقون من عسف التدمريين ما لا يطيقونه فلذا أطلبُ منك أن تدع جنودنا ينسحبون، حتى يتم تلبية طلبنا فيعودون موفوري الكرامة. وتلاه بالحديث الرقيب «سلمان محمد الباشا» قائلاً: لقد تحملنا كثيراً من التدمريين ونخشى النتائج! ولا يمكننا الصبر على الذل وحينما نتذكر الماضي حيث كان الأهلون يخضعون لنا ويحترموننا. لا يمكننا اليوم تحمل ازدرائهم وبُغضهم. تبعه الرقيب «صفوق العيد» مؤيداً كلامه.

تابع النائب «راكان» حديثه أن التدمريين عرضوا على محافظ حمص تجنيد أبنائهم

براتب بسيط بغية إبعاد البدو عن الهجانة. هذه قضية مدبرة وهم البادئون بالتحرش.

أَجبتهم أن الحكومة تقوم بالتحقيق وعليكم انتظار النتيجة ومراجعة المسؤولين عند حدوث أي تقصير أو ظلم وكل إنسان يصل إلى حقه عن طريق القانون. ودعونا نبدأ صفحة جديدة بين البدو والحضر تتسم بالصدق والأمانة.

إن اقتراحات شيوخ البدو تعرض كلها في مديرية العشائر في دمشق أو البرلمان أو الوزارة وهناك يُبتّ بأمرها ويجب على الجنود أن يبقوا في مراكزهم لأن واجباتهم تجاه بلادهم وعلمهم تدعوهم إلى عدم التخلي عنها في الظرف الحاضر ومن يتمرد أو يطيع أوامر غير رؤسائه العسكريين تطبق بحقه الأنظمة العسكرية، والحكومة ستقطع دابر كل مؤامرة ودسيسة والقانون لا يرحم الخارجين عليه. وعلى الشيخ «راكان» وهو عضو في المجلس النيابي ومسؤول أن يسهل مهمة الحكومة والدولة المستقلة يكون لها جيش واحد وعلم واحد. لا عدد من الجيوش وأن لا يغرر بالعسكريين الذين يحكمهم القانون.

في ١٢/٩/١٩٤٥ الساعة الثامنة صباحاً جمعتُ حرس العشائر ونبهتهم إلى واجباتهم العسكرية والوطنية وبينت لهم المسؤولية التي يتحملونها في فجر الاستقلال.

رمى ثلاثة جنود من البدو بنادقهم على الأرض قائلين: نحن لسنا جنوداً بعد الآن! وكان قد سبقهم في الانسحاب جندي آخر في اليوم السابق حيث انسحب من مخفره في جب الجراح.

بعد ذلك ذهبت إلى سرية الهجانة. في الطريق قابلت الشيخ «راكان» و «صالح بن هديب» و «محمد الباشا». سألني الشيخ «راكان» لماذا سحبتم بنادق ثلاثة من حرس العشائر وطردتموهم؟ أجبتهم أن الجنود رموا بنادقهم ورفضوا الخدمة وانصرفوا. قال الشيخ «راكان»: إن «بركات» هو الذي قام بالعمل.

(بركات المطلق) هو ملازم شرف في حرس العشائر من تدمر. أَجبت: هذا غير صحيح لقد جرى الحادث بحضوري ولم يتدخل الملازم «بركات» بالأمر. وأعطيت أمراً بأن تودع البنادق في المستودع. تركوني وأكملوا طريقهم باتجاه المطار حيث يوجد

البريطانيون.

في سرية الهجانة تبين أن عدد الذين انسحبوا في ذلك اليوم خمسون عسكرياً منهم أربعة صف ضباط. وهكذا فشلت خطة «راكان» لأنه كان ينتظر انسحاب عدد أكبر. لم تتخذ الحكومة أي إجراء بحق «راكان» ومن معه ولم تصلنا أية تعليمات أو أوامر.

في الليل منعت التجول والتجمعات في المدينة من المغرب حتى الفجر، وسيّرت دوريات آلية لمراقبة ذلك.

في ١٩٤٥/٩/١٣ انسحب عشرة أفراد من سرية الهجانة. طلبت برقياً تسريح المتمردين جميعهم وإحالتهم للمحاكم العسكرية وإبعاد «راكان» وأعوانه عن المنطقة.

لا جواب من القيادة! عندما كنت في طريقي إلى الثكنة لأحضر اجتماع السرية قابلت «راكان» فشكا إن المصفحات وقفت أمام المنزل الذي يقيم فيه.

قلت له: إن المصفحات تقوم بواجبها في شوارع المدينة وليس من مهمتها مراقبة بيته ومرورها بقربه شيءٌ طبيعيٌ لأنه على طريقها!. وتابع باتجاه المطار حيث وجود البريطانيين.

زارني في مكتب دائرة العشائر وكيل مدير الناحية قائد فصيل الدرك وأخبرني أن النائب «راكان» قال له: إِن المصفحات وقفت أمام المنزل الذي يقيم فيه وإنه يعتبر هذا تحدياً له ولا خوف على الأمن طيلة بقائه في تدمر وإن الانسحاب سلمي.

قلت: إن «راكان» ليس مكانه هنا بل في دمشق حيث المجلس النيابي وهوعضو فيه وليس من حقه التدخل في أمور الجيش - وهو يعطي أمراً للجنود بالانسحاب ويفسره أنه انسحاب سلمي - إني أتلقى أوامر رؤسائي فقط.

علمت من نفس المصدر أن الميجر «دردن» كان سيأتي الى تدمر لمقابلة «راكان» ولكنه عدل عن ذلك وطلب مقابلته في بيوت الشعر غداً. طلبت من قائد الفصيل أن يكون حذراً في إجراءاته مع البدو وألا ينتقد رؤساءه مطلقاً أمامهم كما فعل أثناء الدعوة على العشاء وبإمكانه إعلام رؤسائه عن آرائِهِ واعتبره مسؤولاً إذا عاد إلى ذلك.

في ١٣/ أيلول/ ١٩٤٥ تحت رقم / ٢٧١/ أرسلت الكتاب التالي إلى آمر قوى البادية.

سيادة العقيد قائد قوى البادية

أتقدم إليكم بالحلول الواجب اتباعها للقضاء على فتنة «راكان بن مرشد» في سرية تدمر للهجانة:

١- إبعاد الشيخ «راكان بن مرشد» مع الشيوخ صالح بن هديب (السبعة) ومحمد الباشا و «محمود العبد الجادر» و «محمد الهويش» (بني خالد) الى خارج منطقة تدمر وإجبارهم على الإقامة في مكان تعينه الحكومة.

٢- إلقاء القبض على الرتباء الذين كانوا أداة في يد الشيوخ لبث الفتنة والتفرقة بين الجنود / عددهم سبعة/ وتجريدهم من رتبهم ومحاكمتهم أمام المحاكم العسكرية على أن يتخذ قرار بأمر العرفاء والجنود فيما بعد. ونقترح تسريح البعض ونقل البعض الآخر (العدد الكلي بين رتباء وعرفاء وجنود لا يزيد على / ٥٥/ هجاناً).

٣- مكافأة العناصر الطيبة التي لم تؤثر بها الدعايات والوشايات والتي ساهمت في القضاء على هذه الفتنة. وأظهرت شعورها وإخلاصها نحو علمها. (أرجو ان يكون ترفيعها فوراً).

٤- إرسال قوة مسلحة إلى تدمر لتآمين تنفيذ الأوامر من القيادة ولتثبيت الأمن في المنطقة. نقترح إرسال رعيل آخر من المصفحات ورعيل محمول.

٥- تأليف لجنة لدراسة الخلاف الناشب بين البدو والتدمريين والبتّ بهذه القضية البسيطة التي استغُلت لرمي بذور الفتنة ضمن حدود الحق والإنصاف.

أنتظر الدعم للقضاء على هذه الحركة ومعاقبة المسيء كي لا ندع المجال لشيوخ البدو للتدخل في قضايا الجيش وبث بذور الفتنة فيه كلما عَنَّ لهم ذلك على بال أو اقتضت مآربهم الشخصية ذلك وأن يكون قمع هذه الحركة صارماً حتى يكون عبرة لأبناء

البدو الذين بدأوا يفقدون ثقتهم بقيادتهم العسكرية حتى أن الفريق الذي بقي على ولائه طرح عليّ السؤال التالي:

هل بإمكان الحكومة حمايته من اعتداء «راكان» وأعوانه عليه إن بقي على تعلقه بالحكومة؟. نرجو البتّ عاجلاً في هذه القضية وبيان رأيكم في تقريرنا هذا وتقاريرنا السابقة وإرسالها مع الملازم «طارق كيلاني» آمر رعيل المصفحات المفرزة في تدمر ليحملها إلينا.

في ١٩٤٥/٩/١٤ معنويات الجنود الباقين في الخدمة عالية وهم ينتظرون الإجراءات التي تتخذ ضد المتمردين حتى يتبينوا قوة الحكومة وعدم مسايرتها لشيوخ البدو. ما يُزعجني هو اهتمام البريطانيين المفرط بهذه الحركة، وإبلاغي حركاتهم وحركات «راكان» من قبل آمر الفصيل.

استدعت السلطات البريطانية «راكان» إلى حمص. ذهب الوكيل «حميد» والرقيب الأول «أحمد العبد الجادر» من المنسحبين، الحالة هادئة نسبياً.

بتاريخ ١٩٤٥/٩/١٥ وصلت سرية المؤازرة من دمشق صباحاً. زارني قائد الحامية البريطانية وطلب مني عدد المنسحبين وهو يبلغ /٦٠/ صف ضابط وجندياً من سرية الهجانة وأربعة من حرس العشائر. قال: إنهم أعطوه لائحة تحمل /١٧٠/ اسماً وهذا غير صحيح. في المساء اطّلعت على لائحة تحمل /١١٦/ اسماً منهم جنود البدو الموجودين بدمشق وغيرهم. في السابعة عشرة أجريت عرضاً للسرية أمام البلدية وفي السوق حتى يطمئن الأهالي.

عاد إلى تدمر «راكان» ورفاقه والميجر «دردن» وأعلن «راكان» لأعوانه أن كل شيء على ما يرام. تناول الميجر «دردن» طعام العشاء معهم ومنذ وصولهم ابتدأوا اتصالاتهم بالجنود الذين بقوا في السرية مستعملين لغة التهديد والوعيد فلم يفلحوا. وبقي كل شيء على حاله.

استلمت كتاب ولاء من رؤساء عشيرة الموالي الأمير «الشايش» والأمير «عبد الإبراهيم» يستنكرون عمل «راكان» ويعلنون استعدادهم مع عشيرة الحديدين رئيسها

الشيخ «نواف الصالح» لتجنيد قبائلهم. أعلمتُ القيادة ومديرية العشائر بذلك.

في ١٦/٩/١٩٤٥ زار الميجر «دردن» وكيل مدير الناحية قائد فصيل الدرك ثم دائرة العشائر. جرى بيننا الحديث التالي:

سألني عن الحالة وعن معنى جلب قوى لتدمر، ولماذا العرض، وإن البريطانيين في الهند يبقون قواهم بعيداً عن المدن وعن عيون الأهلين حتى لا يثيروا شعورهم. وإن هذا الأسلوب مأخوذ عن نزق الفرنسيين وانظروا إلى نهايتهم، وكيف ستعاملون المنسحبين؟ أجبته الحالة هادئة، وجلب القوة هو في سبيل الاحتياط فقط لأن سرية الهجانة ليست مسلحة وقد أخذ الفرنسيون أسلحتها عن طريقكم!. أما إجراءاتكم في الهند فهي بين مُستعمِر ومُستعمَر والقوة تثير المُستعمر. نحن في سوريا ليس لنا هدف الفرنسيين، كلنا سوريون متساوون أمام القانون - والمواطن إذا رأى قوة جيشه يفرح ويطمئن-. وسوف يطبق القانون على المنسحبين. أضاف الميجر قائلاً: إن المسألة بسيطة وإن شاء الله بهمتكم جميعاً سنلقى لها حلاً ملائماً لأني أخبرت محافظ حمص وهو اتصل برئيس الوزراء وسيحضر لهنا «نوري بك إيبش» مدير العشائر ومحافظ حمص وندرس القضية سوية.

أجبته لا أرى مانعاً أبداً ولكن ما رأيكم بالقضية؟ وكيف أُخبرتم عنها؟ أجاب علمت ان شيوخ البدو سحبوا جنودهم ولكن هذه ظروف استثنائية أيضاً وأنتم عندما تركتم القيادة الفرنسية لم تحاسبوا على عملكم؟

أجبت: إن انسحابنا عن الفرنسيين كان واجباً وطنياً، وكنا نقدر نتائجه لو تمكن الفرنسيون منا كان قد طُبِقَ القانون العسكري الصارم علينا. إذا صح هذا التشبيه. ولكن هل تجرأ أحد شيوخ البدو اثناء حكم الفرنسيين الذي استمر ربع قرن أن يسحب جندياً واحداً، لا ستين جندياً كما فعل العضو في مجلس النواب الشيخ «راكان» مع العلم أن جنود البدو لم ينسحبوا جميعهم بل عدد ضئيل منهم؟!. أجاب: لم يحدث شيءٌ من هذا ولكن الأخ لا يقسو على أخيه وأنت وضعت المصفحات أمام البيت الذي يقيم فيه «راكان» وهذا تحدٍّ.

أجبت: ليلة الانسحاب وخوفاً من الفوضى وحرصاً على الأمن ومنعاً لحوادث

النهب والسلب وتطميناً للأهلين عينت دوريات تطوف المدينة خلال الليل، والمكان الذي تقف فيه الدورية بعد الجولة هو أمام دائرة العشائر. مرّت الدورية أمام الدار الذي يقيم فيها «راكان» ولم تتوقف كثيراً. وهذا التوقف غير مقصود ولكن هناك فسحة حيث بقيت المصفحات فترة قصيرة وليس من مهمة الدورية مراقبة هذه الدار. وعلى كل الأحوال إن القيادة التي أتبعها تحاسبني على عملي. وفي حال الخطأ لا تتأخر عن تصحيحه وتقويمه!..

أجاب: أنا أبحث معك هذا الموضوع كرفاق سلاح ولا أتدخل في عملك. أرسلت الى القيادة: لقد بلغت الجنود أوامركم المرسلة مع الملازم «كيلاني» وأمر القيادة رقم ٣/١١٣ تاريخ ١٤/٩/١٩٤٥ والقاضي باعتبار الجنود المنسحبين والملتحقين بالشيخ «راكان» جنوداً فارين وترقين قيدهم.

ما زال «راكان» ورجاله يستعملون كافة الأساليب لسحب جنود السرية منها التهديد والشتائم لمن لا يلبي طلبه. لمستُ من الميجر «دردن» أنهم سيعرضون وساطة صلح ويعيدون كل شيء لما كان عليه، لربما يقصدون عودة الجنود المتمردين. إذا جرى ذلك لا يمكن التوفيق بينهم وبين الذين بقوا تحت إمرة رؤسائهم. لا يمكن أن أوافق على عودة أي من الجنود المنسحبين. وكل إهمال من هذه الناحية يكون وخيم العاقبة وإذا فتحنا هذا الباب أمام شيوخ العشائر يهددوننا به دائماً.

أطلب من القيادة أن تبقى على قرارها باعتبار الذين تبعوا الحركة فارين وعدم قبولهم في الجيش السوري.

أنا مقتنع بل أجزم أن «راكان» لو لم يجد فيَّ موقفاً حازماً بدون استفزاز ولو تهاونت ولم أنبه الجنود لواجباتهم، ولو لم يبقَ العدد الكبير مع قائده!.. كان عمل انقلاباً وأروى غليله بنهب تدمر وسلبها من قبل البدو جميعهم عدا عن التدخل الأجنبي...
نهار الانسحاب كان الأهلون يائسين وغير آمنين على أرواحهم وأرزاقهم ولولا الدوريات التي حافظت على الأمن كان جرى ما لا تحمد عقباه!.

في ١٧/٩/١٩٤٥ تلقيت البرقية التالية: رقم /٤٥٩/ص تاريخ ١٧/٩/١٩٤٥ إلى الملازم الأول «أمين أبو عساف» ضابط عشائر تدمر من أجل تسوية الخلاف بصورة

نهائية. قررّت المراجع إعادة الجنود الموقوفين إلى مراكزهم السابقة جميعاً. أفيدونا برقياً اليوم عن الوقت المناسب لعودتهم لطرفكم.

التوقيع «رفعت»

الجواب: رقم /٢٨١/ص تاريخ ١٩٤٥/٩/١٧

قيادة قوى البادية دمشق...

لا أرى مانعاً من إعادة الجنود الموقوفين بأي يوم كان. أظن أن جنود البدو سينسحبون حين وصولهم ليلتحقوا برفاقهم، أطلب من القيادة أن تبقى على قرارها فيما يختص بالجنود المتمردين أي طردهم من الجيش. في حالة رجوعهم إلى السرية لا أكفل عدم قيام حوادث بين الجنود المتمردين والذين حافظوا على انضباطهم. إذا أعطي الأمر برجوع المتمردين أطلب تعيين من يتحمل مسؤولية ذلك وأطلب نقلي من مديرية العشائر حالاً.

ضابط مراقبة البدو «أمين أبو عساف»

عندما عُرضت البرقيتان على مدير العشائر «نوري الإيبش» طلب استدعائي إلى دمشق لدراسة الموقف. وصلت دمشق يائساً لأني كنت أنتظر من القيادة أن تجيب على تقاريري وبرقياتي الكثيرة وطلبي إبعاد «راكان» ومن معه، وماذا يجب عمله وتدخل البريطانيين. فوجئت ببرقية القيادة وكانت أول اتصال منذ بدء الحركة.

أعتقد أني قمت بواجبي وفشّلتُ حركة «راكان» ولم يحقق ما يرغب نظراً للعدد المحدود الذي التحق به وبقاء القسم الأكبر من جنود البدو في الخدمة ولم يتقيدوا بآرائه، التحق به ستون جندياً من أصل خمسماية. إن الباقين على ولائهم لثقتهم برئيسهم العسكري الذي كان دائم الأتصال بهم ومعرفته الشخصية لكل فرد خصوصاً الرتباء وقناعتهم بواجبهم لخدمة الوطن.

قابلت العقيد «رفعت» طلب مني تنفيذ البرقية لأن القيادة والمسؤولين قرروا ذلك. أجبته لا أقبل بعودة أحد من الذين تمردوا إلا بعد المحاكمة العسكرية أو انقلوني وافعلوا

ما تشاؤون!.

ذهبنا إلى المدير: العقيد «رفعت» وأنا، وسألني عن رأيي قلت: لماذا لم تعطوني أمراً بإطاعة أوامر «راكان» وخط السير الذي أتبعه منذ البدء. لم أتلق أي أمر أو توجيه ولم يحضر أي مسؤول مدني أو عسكري لدراسة الموقف على الطبيعة. لو تساهلت معه هل وقف الأذى عند هذا الحد! ولو فشلتُ ونجح «راكان» ماذا سيكون مصيري؟ وكيف كنتُ سأعامل؟.

كانت نهبت المدينة وأصبح سكانها لاجئين. فشل «راكان» وأتى إليكم ليحصل على ما يشاء. يعود الجنود الفارون منتصرين إلى عملهم! والذين بقوا في الخدمة ماذا أقول لهم؟ سيندمون لأنهم لم ينفذوا أوامر «راكان» وتكون النتيجة عدم الثقة بقيادتهم. لا أقبل بغير محاكمة عسكرية لكل الذين تمردوا. أو انقلوني وافعلوا ما تشاؤون!. أجاب المدير «نوري الإيبش»:

معك حق في كل ما قلته. النقل غير وارد. أنت تحملت المسؤولية بشجاعة ووقفت بوجه المخربين وحققت نجاحاً باهراً في تهدئة الحالة. لكننا مغلوبون على أمرنا وعلينا ضغوط. ولا يمكن إجراء المحاكمة أو التسريح. وعليك إيجاد الحل المناسب الذي يتفق مع الموقف. وكان علينا أخذ رأيك قبل البت ولم نتمكن.

كلام المدير هدّأ من ثورتي وعلمت أن قوة قاهرة تفرض رأيها. فكرت وأجبت: إذن ينقل صف الضباط والعرفاء الذين انسحبوا إلى دير الزور - أو الضمير.

أما الجنود فيمكن نقل بعضهم وإبقاء البعض الآخر بعد دراسة أوضاعهم وسأقدم لوائح بذلك.

أجاب: هذا الحل مقبول وسينفذ كما اقترحته. وهكذا أسدل الستار على حركة «راكان بن مرشد».

ملاحظاتي:

إلى أي مدى كان البريطانيون متورطين في حركة «راكان» هل كان من رأيهم أن تلتحق الهجانة بهم بواسطته وكان دائم الاتصال بهم. هل كان «راكان» يحضّر لإنشاء إمارة تكون قواتها تحت إمرة ضابط بريطاني شبيهاً «بأبي حنيك». الضابط البريطاني في جيش شرق الأردن.

البريطانيون بارعون في خلق الإمارات!. «راكان» ذكي وشجاع وأناني لا يفكر بوطنه ووحدته واستقلاله، يمكن استخدامه كمطية لتحقيق المآرب ولو بخيانة البلاد.

قبل عشرين يوماً من حركته بتاريخ ٢٢/٨/ ١٩٤٥ أرسلتُ تقريراً أشرح فيه إشاعات تقول إنّ البادية سيستلمها البدو كأن تكون بادية تدمر بقيادة «راكان بن مرشد» يعاونه البدو المتقاعدون أو من في الخدمة.

والغريب أن المسؤولين لم ينتبهوا لذلك. وأثناء حركة «راكان» لم يحضر أحد من العسكريين أو المدنيين لدراسة الموقف على الطبيعة. ولم يحاولوا استدعاء «راكان» أو إبعاده.

إن آمر قوى البادية ومحافظ حمص ومدير العشائر لم يتصلوا بي مباشرة أو بواسطة مرؤوسيهم ولم يعطوا توجيهاً أو رأياً. هذا الموضوع يجب أن يدرس على مستوى وزير الداخلية ورئيس الوزراء ورئيس المجلس النيابي وحتى على مستوى رئيس الجمهورية نظراً لأهميته ولا أعلم كيف تمّ تدارس هذا الموضوع؟.

إن النائب الشيخ «راكان بن مرشد» يرأس قبيلة «السبعة بطينات» عدد بيوتها ١٠٢٨ بيتاً. الشيخ «صالح بن هديب» يرأس قبيلة «السبعة عبدة» عدد بيوتها /١٥٨٧/ بيتاً. الشيخ «محمد عبد الكريم الباشا» يرأس عشيرة «بني خالد» عدد بيوتها ١٣٧٣ بيتاً هؤلاء أكبر العشائر في بادية تدمر. والرؤساء الثلاثة اشتركوا بالحركة... بزعامة «راكان» فهل كانت تجربة؟ وفي حال نجاحها تطبّق في الجزيرة؟.

بعد أن انتهت هذه الأحداث واستقرت الأوضاع الأمنية في المنطقة وتوقفت تدخّلات شيوخ البدو والبريطانيين في شؤوننا تمّ استلام المطار العسكري وثكنته بحفل

رسمي كنتُ مشاركاً كمندوب عن مديرية العشائر وحضره مندوب عن محافظ حمص. تخلله عرض عسكري وبذلك تمّ جلاء كل القوات البريطانية والأفراد الفرنسيين الذين يديرون المطار عن تلك المنطقة

بعض تصرفات مستشار العشائر الفرنسي وشيخ القبيلة

كان مستشار العشائر الفرنسي حاكماً مستبداً ومطلق الصلاحيات يرتبط به مباشرة. رئيس القبيلة أي الشيخ الذي يتحكم في قبيلته كما يشاء بالاتفاق مع المستشار. خلافات أفراد العشيرة أو الأفراد يحلّها المستشار كما يرغب بذلك شيخ العشيرة أي لا يمكن لأي كان المطالبة بحقوقه الخاصة أو بخلافاته مع جيرانه إلاّ عن طريق الشيخ وتكون أفخاذ القبيلة منتشرة على مساحات واسعة من الأرض ويجب على صاحب العلاقة أن يخبر الشيخ أولاً ثمّ الشكوى إلى المستشار. وكذلك خلافات القبيلتين يحلّها المستشار مع رؤساء القبيلتين.

القبائل الكبيرة تستخدم العبيد وهي الشرطة التنفيذية الظالمة بيد الشيخ لا يوجد قانون يحدّ من سلطاتها. بالإضافة الى سلاحها من البنادق والمسدسات يحمل الأفراد الخيزرانة من أجل جلد كلّ من يتقاعس في تنفيذ الأوامر أو ينتقدُها.

خلال فصل الربيع تستحقّ ضريبة جمع الذبائح إلى بيت الشيخ يكلف العبيد بجبايتها وهناك أيضاً ضرائب أخرى - نعجة حائل أو أكثر حسب عدد المواشي في البيت وهي العملة الرائجة تطرح حسب رغبة الشيخ ولا أعلم إذا كان المستشار يشارك في ذلك.

وإذا علمنا وكما ذكرت سابقاً أن ثلاث قبائل في بادية تدمر يزيد عدد البيوت في كلّ منها عن الألف لأمكننا تقدير فداحة الضرائب المقتطعة.

في أوائل الربيع طلب منّي بعض شيوخ القبائل أن أقبل هدية من الخراف جرت العادة أن تقدم للمستشار. رفضت ذلك وطلبت منهم إعلام القبائل بهذا الرفض. وأمنعُ تقديمها لأي من حرس العشائر أو المخافر.

علمتُ أن المستشار الفرنسي ضمن تعداد المواشي في قبيلتين «السبعة بطينات» و«السبعة عبدة» وبالتعاون مع رئيس القبيلتين. فأعطوا الحكومة بواسطة المسؤولين عن تعداد المواشي مبلغاً مقطوعاً يعادل الربع أو الخمس والباقي تقاسمه شيخ القبيلة مع المستشار وقدره مائة وعشرون ألف ليرة سورية من القبيلة الأولى ومائة وتسعون ألف ليرة سورية من القبيلة الثانية.

لا يمكن لعملية عدّ المواشي أن تتمّ بدون مساعدة مدير العشائر وقوى الأمن على تلك المساحات الشاسعة وقد جرى التعداد عام ١٩٤٦ بصورة طبيعية.

بالنسبة للمراجعات وحل الخلافات صارت تقدّم مباشرة إلى مكتب العشائر ويُبَتُّ بها بصورة مباشرة بدون تدخل أحد وسارت الأمور على ما يرام.

تشكيل فوج البادية بتدمر

في ١/ ١٠/ ١٩٤٥ وبعد استلام الجيش من قبل الحكومة السورية صدرت الأوامر لتشكيل لواء البادية. قيادته في دمشق والأفواج في (الضمير، وتدمر، ودير الزور).

تمّ تشكيل الفوج الثاني لقوى البادية في تدمر من سريّة الهجانة الأولى وحرس العشائر. وعُينتُ آمراً للفوج وهو يتألف من سرّية القيادة - سريّة المصفحات - سرية الصحراء - وسرية العشائر.

نقل إلى الفوج أربع ضباط هم: الملازم الأول «برهان حسن» والملازم «أنور تامر» والملازم «حمود الخطيب» والملازم «فايز حديفة».

أمكن تعيين ضابط لكل سرية، باشرنا باستلام التجهيزات والأسلحة والآليات. انصرفنا إلى التدريب بجدية مع القيام بمهام الأمن في مضارب البدو وحل الخلافات ضمن العشيرة الواحدة ومع العشائر الأخرى. وتمكنا من حسم الخلافات قبل تطورها والسيطرة التامة رغم كثرة المشاكل. كنا نطبق العدالة دون تمييز، ندين الاعتداء، ونصون حق الضعيف.

ذهبت لاستلام الراتب من دمشق. لم يكن في صندوق البادية ما يكفي لدفع الراتب في تدمر، إذ إن الملازم «عرنوق» الضابط المحاسب كان قد فرَّ وأخذ معه مبلغاً من المال. مدير العشائر الذي دفع في الماضي سلفاً من ماله الخاص رواتب ثلاثة أشهر توقف عن الدفع خوفاً من المسؤولية، اقترح قائد قوى البادية ومديرالعشائر أن أحسم جزءاً من راتب كل جندي حتى يبت بأمر النقص وندفعه فيما بعد. رفضت هذا الحل وقلت: على الدائرة المالية أن تتحمل المسؤولية وتدفع بالكامل إلى الجنود خصوصاً ونحن في بدء العهد الوطني. حتى لا يأخذ الجنود فكرة خاطئة. طلبوا مني أن نعرض الموضوع على وزير الدفاع وكان الأستاذ «سعد الله الجابري» رئيس الوزراء - وزيراً للدفاع.

عندما عرضنا الإشكال عليه أيد وجهة نظري. وكان الحل أن أعود فوراً إلى تدمر أدفع كامل الراتب. وعندما يتم تأمين باقي المبلغ. أستلمه من حمص لأدفع لمخافر سلمية وجبل البلعاس.

على أثر فرار الضابط المحاسب وهو المسؤول عن قوى البادية في الضمير وتدمر ودير الزور كان ذلك قبل استلام الجيش حضرت لجنة تفتيش مدنية على لواء البادية. كانت خطتي منذ استلامي القيادة في تدمر باعتباري المسؤول الوحيد ماليا حتى ذلك التاريخ. ذكرت سابقاً إن الذي يحضر جداول الرواتب ليس لديه شهادة محاسبة، أستلم الراتب من الضابط المحاسب حسب الجدول وبموجب وصل وبعد الدفع أعيد الباقي وأستلم وصلاً به أيضاً. ولدي حتى الآن سجل صندوق نموذج خاص.

عندما حضرت اللجنة إلى تدمر وكانت قد قامت بعملها في الضمير ودير الزور لم تجد عندي أية ملاحظة. إذ إني لم أدفع لغائب عن الخدمة! وكانوا كثرا! . وعندما يعود الغائب أعمل له استدراك على جدول الدفع ومنهم من لم يعد. أعجبت اللجنة بهذا الأسلوب وقالت إنه المركز الوحيد الذي ليس لنا ملاحظات عليه.

/١٧/نيسان /١٩٤٦/ عيد الجلاء الأول - العيد الوطني لاستقلال سوريا

في هذا اليوم حصلت سوريا على استقلالها التام بدون قيد أو شرط، وجلت عنها سلطات الانتداب الفرنسي وجيوشه ومؤسساته، وقد تم ذلك قبل هذا التاريخ قُبِلَت سوريا في الأمم المتحدة كدولة مستقلة ذات سيادة وهي الدولة العربية الأولى التي انتزعت استقلالها الكامل والدولة العربية الثالثة التي دخلت الأمم المتحدة بعد مصر والعراق اللتين ترتبطان بمعاهدات مع الاستعمار تكبلهما.

وبهذه المناسبة السعيدة جرى العرض العسكري الأول للجيش العربي السوري، وقد اشترك في العرض فصائل من جيوش الدول المشتركة في الجامعة العربية.

إن هذا النصر قد تحقق بعد أن دفع الشعب السوري الثمن غالياً بجهاده وبدماء أبنائه. فمنذ اليوم الأول للاحتلال بدأت المقاومة الباسلة واندلعت الثورات في أنحاء متفرقة من أرض الوطن. ابتدأها «إبراهيم هنانو» في جبل الزاوية عام /١٩٢٠/ تلتها ثورة الشيخ صالح العلي عام /١٩٢١/ وثورة دير الزور ثم الثورة السورية الكبرى عام /١٩٢٥/ بقيادة «سلطان باشا الأطرش» والتي استمرت سنتين وانتشرت إلى مناطق عديدة من سوريا ولبنان.

وفي سنة /١٩٣٦/ هبت سورية بمختلف فئاتها تطالب بالاستقلال وحدث الإضراب المشهور الذي استمر ستين يوماً وقامت مظاهرات صاخبة وسقط العديد من الشهداء مما أجبر فرنسا على دخول المفاوضات. . .

وذهب وفد سوري إلى باريس حيث وقع مع الحكومة الفرنسية معاهدة أيلول /١٩٣٦/ وتنص على اعتراف فرنسا باستقلال سوريا. وقامت بعدها حكومة وطنية إلا أن الاتفاقية أبقت بعض القيود التي تكبلنا وتجعل مقدراتنا في يد فرنسا، مما حدا بالشعب لمواصلة النضال من أجل الجلاء التام عن تراب الوطن.

وفي عام /١٩٣٩/ قامت الحرب العالمية الثانية. فعطلت فرنسا الحياة البرلمانية في سوريا وبدأت بتسخير قدراتنا من أجل الحرب. ولكن الضغط الشعبي على فرنسا جعلها تعترف باستقلال سوريا عام /١٩٤٣/ وجرت انتخابات وطنية وتشكلت حكومة برئاسة «سعد الله الجابري» فبدأ دور جديد للشعب العربي السوري من أجل استلام السلطات والصلاحيات التي كانت تمارسها فرنسا باسمنا. وبعد مفاوضات مريرة استردت سوريا سيطرتها على ما كان يسمى بالمصالح المشتركة كإدارة الجمارك، ومراقبة حصر الدخان، مصلحة العشائر، المراقبة العامة للبريد والبرق وغيرها.

وبقي لسورية حق كبير ظلت فرنسا تعاند بتسليمه وهو حقنا بتشكيل جيش سوري وطني وجلاء القوات الفرنسية. حيث بدأت المفاوضات في عام /١٩٤٥/ لتحقيق هذه الأهداف. بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية واستسلام المانيا في ٨/ ٥/ ١٩٤٥ حاولت فرنسا جاهدة نقض الاتفاقات المبرمة مع سوريا وبدأت بجلب التعزيزات من مستعمراتها لتحقيق ذلك. إلا أن يقظة شعبنا أفشلت مخططاتهم وجرت أحداث البرلمان وقصف دمشق فلم تضعف من عزيمة الشعب.

وفي /١/آب/ ١٩٤٥ تمّ استلام الجيش بعد أن انسحب عدد كبير من الضباط وصف الضباط والجنود السوريون من قطعات الشرق الخاصة وفي /١٥/ نيسان تمَّ جلاء آخر جندي أجنبي عن أرض الوطن. وتحقق هدف الشعب العربي السوري بالحرية والاستقلال حيث بدأت مرحلة جديدة.

الفصل الثاني

سوريا - فجر الاستقلال وحرب فلسطين

نقلي إلى كتيبة الفرسان الأولى في السويداء

خلال شهر حزيران دعيت لمقابلة رئيس الأركان، أخبرني الرئيس «مأمون بيطار» رئيس الشعبة الأولى أن رئيس الأركان يرغب في نقلي إلى السويداء. لإصلاح شؤون الكتيبة الدرزية، هذه تسميتها في عهد الفرنسيين!.

في العهد الوطني أطلق عليها اسم (كتيبة الفرسان الأولى) لأن جنودها غير انضباطيين لا ينفذون الأوامر. طلبنا نقلَ جنودٍ، تمردوا على الأوامر وقال أحدهم إذا أتانا أمر من «سلطان باشا» ننفذه ونحن نأتمر بأمره!. («سلطان باشا» ليس له علم بذلك). ولما أراد آمر اللواء العقيد «جميل برهاني» أثناء الاجتماع اقناعهم بتنفيذ الأمر هاجموه واضطر لترك الاجتماع. يعملون سخرة في دار المقدم «حمد الأطرش» لا تدريب ولا انضباط، قلتُ بعد أن استتب الأمر في تدمر وأنهيت المشاكل، أنقل إلى مكان آخر. أجاب إنك تنقل لصالح الخدمة، ولا يمكن لسواك القيام بهذا العمل. وكما اخترناك إلى تدمر لتنفيذ مهمة صعبة نطلب اليك إصلاح هذه الكتيبة. وهي مهمة صعبة أيضاً.

كيف يمكنني إصلاحها وآمري الكوكبات رؤساء، وبها مقدم! وأنا بهذه الرتبة؟. أجاب: نحن نفكر بتعيين المقدم «تركي عامر» آمراً للكتيبة (وهو ضابط غير نظامي) وأنت معاون له. وتقوم بكل الأعمال. ونتفق معه على ذلك. أردنا أن نأخذ رأيك أولاً وبعدها نصدر الأوامر.

قلت إذا كان عندكم نوايا سيئة نحو أفراد الكتيبة خارجة عن القانون العسكري فأنا لا أقبل بها. عندما أعين معاوناً لآمر الكتيبة يكون هدفي خدمة المصلحة العامة، ومصلحة الجنود الذين تحت قيادتي على أن يقوموا بواجبهم العسكري. أجاب الرئيس «مأمون» لنذهب إلى رئيس الأركان لتسمع منه.

قال الزعيم «عبد الله عطفة» نحن نكنُّ كل التقدير والاحترام لأبناء بني معروف نظراً لبسالتهم ووطنيتهم. نرغب في إصلاح الكتيبة ويجب أن تكون قدوة بانضباطها وتدريبها. ولولا اهتمامنا بها لما طلبنا إصلاحها. قلت: طبعاً الانضباط له الأفضلية وهو أساسي في تشكيل الجيوش. ولكن ما أعرفه أن الكتيبة مهملة لا ألبسة ولا آليات ولا يلبى لها طلب. أجاب الزعيم: إن الكتيبة تعمل في دار المقدم «حمد الأطرش» إذ يوجد سخرة يومية تصل من أربعين إلى ستين جندياً.

يستعمل سيارات الجيش لنقل الحجارة إلى الخارج تعود محملة بالتراب إليها. ولا تنفذ الأوامر العسكرية. وعندما تكون قيادة الكتيبة موثوقة ومنضبطة وتقوم بواجبها وتنفذ الأوامر نعاملها مثل باقي القطعات.

وعلى هذه الشروط صدر أمر بنقلي إلى كتيبة الفرسان الأولى وعين الرئيس «محمود بنيان» معاوناً لمدير العشائر في تدمر وآمر الفوج الثاني لقوى البادية. سلمته الفوج كامل التسليح والتجهيز والآليات (مصفحات وسيارات) وهكذا غادرت تدمر بعد أن قضيتُ على الفوضى وساد ربوعها الأمن والنظام. مرتاح الضمير لما قمت به من أعمال. وكان الرئيس «مأمون بيطار» قد أخبرني أن عدداً من الضباط برتبة مقدم طلبوا أن يستلموا مكاني قيادة الفوج ولم يُستجب لطلبهم.

تمّ الاتفاق على نقل المقدم «حمد الأطرش» ثم نقل معاونه المقدم «توفيق بشور» في مرحلة ثانية. ثم تعيين المقدم «تركي عامر» آمراً للكتيبة وتعييني معاوناً له ومسؤولاً عنها.

تعيين المقدم «توفيق بشور» آمراً للكتيبة.

وصلتُ دمشق وقابلت رئيس الشعبة الأولى. قال: حدث تعديل على الاتفاق فوق إرادتنا. وعين المقدم «توفيق بشور» آمراً للكتيبة وستكون أنتَ معاوناً له. أجبته أنا سلمت القيادة في تدمر وعفش بيتي محمل على السيارة التي نقلتني وبما أن الاتفاق قد نقض من قبلكم فأنا على استعداد للنقل إلى أي مكان آخر. حتى إلى الجزيرة.. وأعفوني من نقلي إلى السويداء!.

قال: لنرَ رئيس الأركان؛ ذهبنا إليه وطلبت منه أن ينقلني إلى أي مكان آخر في

سوريا عدا السويداء لأني أشعر بما سألاقي من صعوبات أجاب رئيس الأركان: نقلنا المقدم «حمد الأطرش» والتحق ثم نقلنا المقدم «توفيق بشور» ولكن تدخل «سلطان باشا الأطرش» وأرسل برقية إلى وزير الدفاع الأستاذ «نبيه العظمة» يطلب بها بقاء المقدم «توفيق بشور» آمراً للكتيبة. لبى الوزير الطلب وأمر بإلغاء النقل وببقائه في السويداء آمراً للكتيبة وأنت الآن تبقى معاوناً له حتى تمرَّ هذه الفترة ولا بد من نقله.

وصلت السويداء في ١/٧/١٩٤٦ وباشرت عملي معاوناً لآمر الكتيبة.

أنا لا أعرف المقدم «توفيق بشور» من قبل وهي المرة الأولى التي أخدم معه ولكني سمعت أنه سرح أيام الفرنسيين. بسبب اشتراكه في عمليات التهريب على الحدود التركية. ثم تلاعبه في مواد التموين المخصصة لإطعام سريته - أحيل إلى المحاكمة وسرح بموجب حكم المحكمة.

في حوادث /١٩٤٥/ مع الفرنسيين وتشكيل الحرس الوطني وإذاعة نداء إلى المسرحين والمتقاعدين للالتحاق بهذا الحرس التحق الرئيس «توفيق بشور» ورفع لرتبة مقدم مثل رفاقه الذين كانوا في الخدمة.

رحب المقدم «بشور» بقدومي ولكن لم يمضِ وقت طويل حتى اكتشفت عدم صراحته.

استلمت عملي كمعاون وهو يقضي أن أطلع وأشارك في إقرار كل الأمور التي تهم الكتيبة. لكنه أبقى أشياء كثيرة مرتبطة به شخصياً ومباشرة: مثلاً إدامة الثكنات - مصلحة الهندسة فيها مواد كثيرة مسجلة أو غير مسجلة من زمن الفرنسيين - إصلاح البيوت التابعة للجيش التي خربت ونهبت أبوابها ونوافذها - تموين الكتيبة الذي يوزع على الأفراد. كل هذه الأمور يجري حلها معه مباشرة من قبل رئيس المصلحة المختص، ورائحة الاختلاسات تزكم الأنوف.

دعينا إلى حفلة غداء مقامة في السويداء على شرف «سلطان باشا الأطرش» حضرها وكنت معه. كما حضرها مشايخ العقل والوجهاء. طلب الشيخ «يحيى الحناوي» إلى النائب «عقله القطامي» أن يساعده مع المقدم «توفيق بشور» على نقل أحد العسكريين

وكنا حول بعضنا نسمع الحديث أجابه: (شيخ أنت تعطي أمراً إلى المقدم «توفيق بشور» وما عليه إلا التنفيذ).

سأل المقدم عن الاسم المطلوب، وسجله معه قائلاً: ليراجعني صاحب العلاقة. (رويت هذه الحادثة لأبين الجو الشعبي الذي كان يعيش به في السويداء)!

كان يقول أمام البعض نحن أقليات (أي المسيحيين والدروز) إذا لم نساعد بعضنا ضاع حقنا!. وعندما يأتي إلى دمشق يقول أمام ضباط الأركان (الدروز عنيدون لا يمشون إلا بالعصا وأنا أحمل هذه العصا وبغير ذلك لا يمشي الحال). هذا ما قاله لي الضباط بدمشق.

لا يوجد انضباط في صفوف العسكريين. أيام الفرنسيين كان الانضباط رائعاً وبعد ذهابهم دبت الفوضى. السبب أن الفرنسيين خلقوا هوةً عميقة بين دمشق والسويداء، وقيادة الكتيبة لم تقم بواجبها بعد الجلاء لردم هذه الهوة. وتوجيه العسكريين نحو واجباتهم، وما هو مطلوب منهم في هذا العهد الجديد.

طلب مني المقدم أن أقوم بدوريات على الخفر. قمت بالدورية المطلوبة سجلت أربع مخالفات كتبت تقريراً وقدمته. طلب مني أن أفرض عقوبات بحق المهملين ففعلت. وفي اليوم التالي وجدت مخالفات من بعض رؤساء الخفر أو الخفراء وحسب توجيهاته فرضت عقوبات بحق المهملين وقدمتها أيضاً. ومن حقه أن يحقق إذا شاء، ويوافق على العقوبة أو يلغيها أو يزيدها حتى تصبح نافذة.

ماذا فعل المقدم «بشور»؟ طلب المعاقبين إفرادياً وأطلعهم على العقوبة قائلاً لهم: هذه عقوبات فرضها الملازم الأول «أمين أبو عساف» أنا لا أقدر على حمايتكم! لذلك سأوافق على العقوبة دون زيادتها!.

أتى بعض المعاقبين وأعلموني بما جرى!... طلب بعد أيام أن أقوم بالدورية وهو يعلم أنّ الإهمال واقع. قمتُ بالدورية وقدمت تقريراً يبين المخالفات وأطلب من آمري الكوكبات القيام بواجبهم وتوعية الجنود وفرض الانضباط على جنودهم وتذكيرهم بواجبات الرقيب الأسبوعي ورئيس الخفر والخفير. وعندما طلب مني فرض عقوبات

أخبرته أني علمت بما فعله المرة الماضية! ولن أفرض عقوبات حتى يستغلها.

إنّ هذه الدوريات يقوم بها عادة الرتباء الذين يعملون في الصف وليس الذين يعملون في المكاتب. وكقيادة كتيبة إن المسؤول أمامنا هو آمر الكوكبة وليس الأفراد.

كان هدفه أن يخلق العداوة بيني وبين الجنود مستغلاً الجو الشعبي غير الانضباطي حتى يسبب مشاكل بيني وبين عناصر الكتيبة.

طلبت منه أن يخصص لي منزلاً للسكن من بيوت الجيش. قال: يوجد ضباط قبلك يطلبون سكناً وعندما يصلك الدور نخصص لك. لم يأخذ بعين الاعتبار نقلي حديثاً إلى السويداء. وإن الضباط الذين يعطيهم الأفضلية يقيمون منذ فترة طويلة في السويداء وسكنهم مؤمن.

كانت الورشة تصلح البيت على طريق الكفر. أخبرت الأركان وسمحوا لي باستئجاره فور انتهائه. وهكذا كان وسكنت البيت... قال لي: كنت أرغب في سكن هذا البيت. رغم أنه يسكن بيتاً كبيراً وحديقته واسعة.

كان يقيم فيه مندوب المفوض السامي «سارازان» وعندما انتقل من السويداء سلمه إلى «يوسف باشا الأطرش» على أساس أنه مبني على أرض كانت تخصهم. استملكها الفرنسيون وبعد فترة عادت ملكاً للدولة بعد أن ثبتت ملكيتها بصورة قانونية.

إن وجود المقدم «بشور» في السويداء كانت لتقطيع الوقت لا مراقبة ولا تدريب عسكري عملي أو نظري ولا توجيه - آمرو الكوكبات شبه أميين أو أميون يقطعون الوقت بدون هدف يسعون إليه، ولا يشعرون بواجبهم الوطني مع أكثرية جنودهم. طفح الكيل ولا أعلم كيف التخلص من هذا الوضع الشاذ الذي لا يخدم مصالح أفراد الكتيبة ولا مصلحة الوطن...

مقابلة «سلطان باشا الأطرش»

ذهبت إلى «سلطان باشا الأطرش» وقلت له: أنت قدت الثورة السورية الكبرى ذات الأثر الكبير على توحيد سوريا واستقلالها وضحيت كثيراً. . . من أجل هذا الاستقلال وبقيت على مبدئك رغم النفي والتشريد، فالذي لا يحافظ على كرامتك ليس عنده كرامة. يتساءل الضباط في دمشق؟ لماذا يحمي «سلطان باشا» المقدم «توفيق بشور»؟ أهو شريك له أم يجهل صفاته؟ رأيت من واجبي أن أطلعك على بعض المعلومات عن المقدم «توفيق بشور» وبعدها تقرر ما يجب عمله؟.

لقد سرح من الخدمة لاشتراكه في التهريب عندما كان على الحدود التركية ظهر عنده تلاعب في إعاشة الجنود. أحيل إلى المحكمة حكم عليه وسرح.

في عام /١٩٤٥/ التحق بالحرس الوطني الذي شكلته الحكومة السورية بسبب الحوادث مع الفرنسيين. وهو الآن في السويداء بحماية «سلطان باشا الأطرش» يتلاعب بإعاشة الجنود والمواد المخصصة للثكنات. ويقول في الجبل نحن أقليات يقصد المسيحيين والدروز، إذا لم نحافظ على بعضنا ضاع حقنا. وفي دمشق يقول أمام الضباط إن معاملة الدروز صعبة ولولا استعمالي القوة لما مشى الحال. وإن الدروز لا يخضعون إلا للعصا!!.

وأخبرته أن برقيته إلى وزارة الدفاع هي التي ألغت نقله إكراماً له وأبقته هنا. وإن الكلام الذي قلته بإمكانه السؤال عنه والتحقق من صحته.

أجاب «سلطان باشا الأطرش» إني أسمع هذه الأمور للمرة الأولى وأنا أصدقها منك.

في الماضي كان عليه تحامل من «توفيق عزالدين» و «سلمان الشعراني» وهذا ما دعاني لمساعدته. على أساس أنه مظلوم.

بإمكانك إعلام الأركان أنني منذ الآن وبعد سماع المعلومات التي ذكرتها لن أتدخل

بموضوع المقدم «توفيق بشور» مطلقاً.

ذهبت إلى دمشق قابلت رئيس الأركان الزعيم «عبد الله عطفة» مع رئيس الشعبة الأولى وأخبرتهما أن «سلطان باشا الأطرش» لن يتدخل بموضوع المقدم «بشور» بعد الآن.

أكدت على رئيس الأركان إن كان عندهم نوايا مبيتة ضد عناصر الكتيبة الأولى فأنا لا أقبل بها ولا أنفذ أي أمر غير عادل ضد مصلحة الجنود.

ثم إن الإهمال يسود الكتيبة، تجهيزاتها سيئة، لا يوجد سيارات. أجابني رئيس الأركان: إن أبناء الجبل مشهورون بشجاعتهم وأنا كرئيس أركان ولمصلحة الوطن من واجبي أن أستفيد من هذه الصفات الطيبة. وعندما نثق أن قيادة الكتيبة منضبطة وتنفذ أوامر القيادة نعامل الكتيبة مثل باقي قطعات الجيش.

عودة المقدم «حمد الأطرش» آمراً للكتيبة

كان من المتفق عليه أن يعين المقدم «تركي عامر» آمراً للكتيبة وأكون معاونه. ولكن في أواخر عام /١٩٤٦/ نقل المقدم «توفيق بشور» ليعود المقدم «حمد الأطرش» آمراً للكتيبة مكانه. هذه المرة بواسطة الأمير «حسن الأطرش».

طلبت نقلي لم توافق القيادة. ولكن المقدم سيبقى مؤقتاً. لا يوجد أي خلاف شخصي بيني وبين المقدم «حمد» إنما هو لا يفعل أي شيء من أجل إعادة الانضباط والتدريب إلى الكتيبة. يتصرف بعيداً عن القانون. مثلاً يومياً يوجد عنده سخرة في داره تصل إلى ثلاثين جندياً وأكثر. هؤلاء الجنود يفضلون هذا العمل على النقل خارج المحافظة لأسباب مادية. يستعمل سيارات الجيش لنقل الحجارة إلى الخارج والعودة محملة بالتراب. وكان بيته في سفح جبلي استصلحه وشجّره ولم أتمكن من إقناعه بالغاء هذه السخرة حتى انتهى العمل.

كنت معاوناً له ورغبته أن أبقى بدون عمل حتى لا أتدخل بشؤون الكتيبة يحل قضايا الكوكبات مباشرة عن غير طريقي. اعترضت وقلت له: القانون بيننا.

كل موضوع أدرسه وأعطي رأيي فيه من ترفيع ونقل واتباع دورات. والقرار النهائي له وهو يرى أني تحت تصرفه أنفذ ما يرغب إحالته إليّ دون التقيد بالقانون.

كنت أرغب في انفتاح الكتيبة على الجيش السوري من أوسع الأبواب رأيت أن عناصر الكتيبة الشابّة عندها إمكانيات. والتعليم الابتدائي منتشر في الجبل وإمكانية الجنود ممتازة للتعليم والانخراط في الجيش وأن ظروف عزلة أبناء محافظة السويداء قد انتهى أمرها مع ذهاب الفرنسيين.

أتى الملازم «جميل زهر الدين» من قبل القيادة ليأخذ عناصر من أجل تشكيل فوج المدرعات الأول. عملنا اجتماع للعناصر الموجودة في السويداء.

طلب الملازم «جميل» من المقدم «حمد» ومن آمر الكوكبة أن ندعم طلبه في الاجتماع... بدأ الحديث المقدم «حمد» قائلاً: إن الملازم «جميل» يرغب الحصول على رتبة على ظهركم وأنتم أحرار في الذهاب معه، أو عدمه.

أوشك أن يتكهرب الجو. استلمتُ الحديث ومما قلته: إن خدمتنا عند الفرنسيين في زمن الانتداب كانت مرحلة للحصول على التدريب العسكري وتطبيقه في خدمة الوطن. والمهمة التي كانت تقوم بها الكتيبة في السويداء لا وجود لها اليوم بعد الوحدة المباركة. ولا يمكن أن يبقى هذا العدد الكبير من العسكريين في الجبل. والجندي يخدم في المكان الذي يعين له وهذا واجبه. ومن مصلحتكم الانتقال إلى هذا الفوج الذي يشكل حديثاً. وكونوا سباقين لخدمة الوطن المفدى في فجر استقلاله.

بدأ العسكريون يسجلون أسماءهم وزاد الطلب عن الحاجة. كانوا نواة هذا الفوج الذي لعب دوراً هاماً في العمليات ووقت السلم.

عندما عدنا إلى المكتب قلت له: إن كلمتك فيها تحريض على الملازم «جميل» لو تعرض له الجنود ماذا سيكون موقفك؟... بدأ يجمع العناصر التي تنسجم سياستهم مع سياسة عائلته في كوكبة قيادة الكتيبة وفي المراكز الحساسة. يعينهم لدورات الترفيع دون التقيد بآراء آمري كوكباتهم.

والجديد دخول الأمير «حسن الأطرش» على الخط بصورة واضحة. وهو الذي عيّن كل رؤساء الدوائر في المحافظة من عائلة «الأطرش» ومراكز محدودة لأعوانهم الذين يماشون سياسته مثلاً: الأشغال العامة، الداخلية، والدرك وغيرها. . . وهو يُضيف الجيش الآن!.

كانت حركة المعارضة تنمو في الجبل من أجل وضع حدٍّ لتصرفات الأمير «حسن» التعسفية وإجباره على اتباع طريق أكثر ديمقراطية وإعطاء الوظائف لمستحقيها بدون الاعتبارات العائلية. على هذه الصورة أنتهى عام /١٩٤٦/.

في /٦/ شباط /١٩٤٧/ زار السويداء رئيس مجلس الوزراء «جميل مردم بك» لدراسة أوضاع المحافظة. يصحبه مدير الداخلية وقائد الدرك العام ومدير الصحة ومحافظ حوران وحضر «سلطان باشا». اجتمعوا مع المحافظ وفتشوا الدوائر كلٌّ باختصاصه وعادوا.

في /١٠/ شباط زار قطعات السويداء آمر اللواء الأول العقيد الركن «عبد الوهاب الحكيم» ثمّ ذهب إلى القريّا لمقابلة «سلطان باشا الأطرش» وعاد مساءً.

من /٦ - ٩/ آذار حضر العقيد «زهران» والرئيس «صلاح الدين البزري» حيث فتشا الثكنات في السويداء وصلخد وشهبا.

في /١٠/ ٤/ توجهت الكوكبة الأولى والسادسة على الجياد إلى حمص للاشتراك في أعياد الجلاء.

نقل قيادة الكتيبة إلى دمشق وتعييني قائداً لمنطقة جبل العرب ومهماتي خلال الأحداث الشعبية وآل الأطرش وأعوانهم المؤسفة

انتقلت قيادة الكتيبة إلى دمشق مع المقدم «حمد الأطرش» ونقل معه ثلاث كوكبات. وبقي في الجبل ثلاث كوكبات تابعة إدارياً للكتيبة.

أرسلتُ التقرير التالي: إلى الزعيم رئيس الأركان - الشعبة الأولى.

لي الشرف أن أعرض ما يلي:

إنّ الأمر الإداري رقم. . . تاريخ. . . القاضي بتعييني قائداً لمنطقة جبل العرب يجعلني مسؤولاً دون إعطائي أية واسطة لتحقيق هذه المهمة. وقد جاء الأمر غامضاً جداً لم أتمكن من فهمه.

يشير الأمر في الفقرة الأولى. . . بصدور الأمر بتشكيل اللواء. بينما تشير الفقرة الأخيرة. . . ريثما يصدر الأمر بتأليف اللواء!.

يُفهم من ذلك أن الكتيبة تبقى بقيادة المقدم «حمد» وهل يمكنني التدخل مباشرة إذا حدث نقل أو تعيين لغير صالح الخدمة؟. معنى ذلك أن آمر الكوكبة مسؤول أمام رئيسين آمر الكتيبة وآمر المنطقة.

لماذا هذا التعقيد؟ لم يعد خافياً على أحد في القيادة أننا مختلفون في الآراء مثلاً بينما يرى المقدم إبقاء الكوكبة الثالثة في صلخد. أرى أنه يجب تغييرها. والدليل على ما أقول عمله الأخير!. . . لقد أقدم على تعيين رتباء لاتباع دورات بدون علم آمري كوكباتهم. واعتراضاتهم ذهبت أدراج الرياح وبقي كل شيء كما أراد.

إن منطقة الجبل نقطة حساسة جداً ووجودها على الحدود يزيد من أهميتها ولا يمكن لرئيس قيادتها إن لم يكن آمراً للكتيبة والمنطقة معاً. وبدلاً من الأوامر الغامضة بالإمكان إعطاء قيادة المفرزة الثانية إلى الرئيس الذي ينال ثقتكم وحل الكتيبة الأولى ريثما يتم تأليف اللواء.

إن كل يوم يمرّ نتأخر به لنجد الحل النهائي يزيد من الفوضى في الكتيبة. ووضعها الحاضر لا يدعو إلى الاطمئنان. وهذا شيء يسيء إلى المصلحة العامة نظراً لوجود الكتيبة على الحدود.

أطلب من القيادة أن تضع الحل النهائي الأخير الذي يرتضيه القائد لنفسه وإلاّ أرى نفسي غير قادر على متابعة أعمالي بهذه الصورة وأطلب نقلي من الجبل لأنه لا يمكن أن نغمض أعيننا على القذى والحدود مفتوحة.

في /١٤/حزيران ألقيَت قنبلة على دار «يوسف باشا» وهي دار «سارازان» سابقاً وقد احتلها أيام المقدم «بشور» على أساس أنها مبنية في أملاكهم.

في /٢٣/حزيران هجم «آل أبو عسلي» وأتباعهم على دار الحكومة وخربوا الأبواب والنوافذ لأن المحافظ لم يقبل ترشيح الأستاذ «جميل أبو عسلي» وكان موظفاً جرح بعض الأشخاص وحدثت أضرار.

اتصل المحافظ هاتفياً وأعلمني أنهم احتلوا السرايا وقصدهم احتلال بيته يطلب حماية البيت من قبل الجيش والكتاب على الطريق.

كان الجنود مستنفرين في القلعة جاهزين للاجتماع والحركة وسلاحهم معهم أعطيتُ الأمر إلى الملازم «إسماعيل جبور» للقيام بهذه المهمة وحماية دار المحافظ. لم يكن متحمساً. قلت: هذا أمر عسكري وعدم تنفيذه يستوجب المسؤولية. وصل الجنود بسرعة إلى دار المحافظ في الوقت الذي بدأ المهاجمون فيه بتسلق سور الحديقة وتمكنوا من صدِّ الهجوم وحماية البيت - إن السرعة في تلبية الطلب ووجود الجنود ووصولهم بسرعة حال دون تعقيد الأمور.

استدعيت الرعيل الموجود في القريا تحت تصرف «سلطان باشا» ووضعته كاحتياط في الثكنة.. جمعت في القلعة كل العسكريين الموجودين في السويداء وقلت لهم نحن نمرُّ بأيام حرجة والمطلوب منا هو إنقاذ الشرف العسكري دعوا السياسة لأهلنا وليس لنا دخلٌ بهم ولنحافظ على التقاليد العسكرية والانضباط والنظام. على كلِّ جندي أن يقوم بواجبه وينفذ أوامر رؤسائه فقط. وكلُّ مخالف يُحال إلى المحاكم العسكرية. وكنت قد رددت ذلك دائماً وبقيتُ أعيده.

في /٢٣/ حزيران/ علمت أن دورية مسلحة بقيادة الرقيب «إسماعيل جربوع» من الشرطة العسكرية خرجت من القلعة بدون أمرٍ منيّ. بعد فترة أتى الرقيب الأول «حسن الحجلي» منفعلاً واحتج على مراقبة بيته من قِبل جنود بقيادة «إسماعيل جربوع» وإنهم قد أحاطوا البيت وأطلوا عليه من عدة جهات وإذا كان الجيش لا يؤمن حماية عائلاتنا سنذهب لحماية أنفسنا.

طلبت إليه التريُّث حتى أحقق بالموضوع. وكانت الدورية قد عادت. طلبت الرقيب «إسماعيل جربوع» أتى واعتذر فور وصوله وقال: أعلمني الرقيب الأول «نجيب الأطرش» أن الضباط مجتمعون في دار الرقيب الأول «حسن الحجلي» مع الملازم الأول «أمين أبو عساف» يخططون لمساعدة الشعبيين ذهبنا إلى هناك ولم نرَ أحداً؟ تسرعتُ وموقفي مخالف للقانون وافعل ما تريد.

سألته كيف تصدِّق «نجيب الأطرش» وأنا هنا في القلعة؟ وتخرج بدون موافقتي؟ قال: أخطأت ولن أعيدها وافعل ما تريد أنا تحت الأمر.

قلتُ: تعتذر إلى الرقيب الأول «حسن الحجلي». وبحضوري تمَّ الاعتذار وانتهى الموضوع بينهما. طلبت الرقيب الأول «نجيب الأطرش» وسألته عن هذه الوشاية. قال: هكذا سمعت! نبهته إلى التقيد بالنظام والتعليمات التي أُعطيَها.

بتاريخ / ٦/٢٤/ بتنا في القلعة جميعاً، حضر «سلطان باشا» باللباس الحربي (سلاح وجنادات) وحلَّ في دار المحافظ وكان الجنود لا يزالون هناك يحرسون الدار. حضرتُ للسلام على «الباشا» وعند خروجي من عنده وجدت جنوداً من رعيل «القريّا» على باب الدار. سألتهم ماذا تفعلون هنا؟ وقد أعطيتكم أمراً بالبقاء في الثكنة. قالوا: أعطانا الأمر «نجيب الأطرش» وقال هذه أوامركَ!. وكان «نجيب» حاضراً يسمع الكلام.

قلت له: ما هذا التصرف؟ قال هؤلاء مكلفون بحماية «سلطان باشا» وهو هنا الآن وعليهم أن يكونوا معه. قلت له: يجب ألا تتدخل بما لا يعنيك.

بالأمس عملت فتنة والآن تعطي أمراً عن لساني. وقلت للجنود: كان عليكم أن ترفضوا أوامره. أخذت «نجيب» معي ودخلنا أمام «الباشا» وقلت له إنَّ «نجيب» يتدخل بما لا يعنيه. وأخبرته أن رعيل «القريّا» بقي احتياط في الثكنة بإمرتي. أتى «نجيب» وأعطاه أمراً بالقدوم إلى هنا. كرر «نجيب» قوله.

قال «الباشا» له: ما معك حق يا «نجيب» يجب أن تطيع رؤساءك؟ عدت إلى باب الدار أعطيت امراً إلى أفراد الرعيل بالعودة إلى القلعة وتنفيذ أوامري فقط.

أرسلت طلباً بتسريح الرقيب الأول «نجيب الأطرش» من الخدمة في الجيش مع بيان الأسباب - وسرح فيما بعد.

أرسلت عائلتي إلى قريتي «سُليم» اجتمع آل الأطرش وأعوانهم في السويداء وقرروا إجتماعاً في عرى نهار الاثنين / ٣٠/ منه أي حزيران. عدتُ مساءً إلى القلعة. كان عندي في الدار من أجل الحراسة الجندي «إسماعيل الأعوج» والجندي «سليمان العفيف» والجندي «سلمان سرايا» على أساس أنهم من الحيادين! وقد أتى أخي «أسد أبو عساف» من القرية عند وصول العائلة إليها وبعدما علمَ بالأوضاع. أتى شباب من حزب الأطارشة ومعهم «نجيب الأطرش». وعند وصولهم أمام الباب الخارجي قال لهم الجنود لا نسمح بدخولكم. لم يعبؤوا بالأمر - قالوا يوجد جواسيس في الداخل نرغب التفتيش عنهم. نفى الجنود ذلك؟

عبأ أخي «أسد» البندقية وقال: كل من يدخل من الباب دمه مهدور.

ثم جاء جارنا أبو عادل «أمين جبور» وولده «عادل» وقال: لا يوجد في الدار سوى هؤلاء ولا نوافق على دخولكم الدار. أخذ الجنود وضعية القتال وعبؤوا بنادقهم. عندها وصل أبو هايل «أسعد عزي» وقال: ماذا تفعلون هنا؟ لا نقبل بدخولكم الدار اذهبوا من هنا. عندها غادروا المكان باتجاه الإنشاءات. وجدوها محروسة. قال لهم الرقيب رئيس الحرس: معي أوامر مشددة بحمايتها وإطلاق النار على كل من يحاول الدخول. داروا حولها، وجدوا الحراس من كل الجهات. عاد المشاغبون بدون نتيجة!.

أعلمني رئيس مخفر الإنشاءات عما جرى عنده، أما موضوع الدار لم أعلم به إلا في صباح اليوم التالي عندما نزلتُ من القلعة حوالي الساعة العاشرة.

بتاريخ ٢٥/ ٦/ علمت ما حدث الليلة الماضية. إنها خطةٌ من أجل الفوضى!. هل هي على أعلى مستوى. وعلى فرض وجود أي كان في الدار ما هي صفتهم حتى يفتشوها؟.

حضر عمنا أبو محمد «داود أبو عساف» من «ولغا» وبعض أفراد من العائلة وكان حيادياً. بحثنا في الأوضاع. ثم أتى لزيارتي «يوسف باشا الأطرش» معتذراً عما حدث.

لم أقبل العذر وقلت: كان عليكم أن تحولوا دون هذا العمل ولا أظن أن شباب الطرشان ورفاقهم يقدمون على هذا العمل دون معرفتكم ولولا وجود «أخي» والجنود وتدخل الجيران واتخاذهم موقفاً حازماً، كان نُهب البيت والإنشاءات ووقع عدد من القتلى. إني أقوم بواجبي مع الجنود الباقين معي ونحافظ على مؤسسات الدولة.

بالأمس حمينا بيت المحافظ عندما طلب منّا ذلك لن أتخلى عن واجبي ولن أنحاز لأحد، تدخّل عمي أبو محمد «داود» وقال: «الباشا» أتى ليعتذر وأنت تستعمل لغة التهديد والتأنيب لا لزوم لإهانته في بيتنا!.

قلت يجب أن أطلعه على حقيقة الموقف حتى نتعاون للقضاء على هذه الفتنة اعترف «الباشا» بالخطأ وأكد عدم معرفته بما حدث إلا بعد وقوعه. وإنهم لا يوافقون على ذلك. سحبنا الجيش من المدينة بناء على طلب المحافظ.

بتاريخ ٣٠/٦/ حزيران اجتماع عرى «آل الأطرش» وأعوانهم.

في /٣/ تموز/ ذهب الشيخ أحمد الهجري «والشيخ منصور أبو عساف» واسطة إلى القضاء الجنوبي.

في /٤/٧/ تلقيت طلباً لحماية الميرة والبنك السوري ولبيته باعتبار أن الدرك حلَّ نفسه.

في ٥/٧/ اجتماع المزرعة بدعوة من «داود باشا هنيدي» حضرته الهيئة الشعبية من كل أنحاء الجبل.

٦/٧/ تجمعات في السويداء مع نخوات وإطلاق عيارات نارية.

٧/٧/ كان مقرراً أن تجري الانتخابات... تأجلت ولم يحدث شيء

٨/٧/ تمكن «كمال بك جنبلاط» ومشايخ الدين من الخلوات والجبل من إجراء مصالحة بين الأمير «حسن» وآل «أبو عسلي».

٩/٧/ عينت في لجنة فحص الطلاب الضباط في الكلية العسكرية وذهبت إلى حمص.

١٠/آب/ عدت إلى السويداء مساءً.

١٠/آب/ إلقاء قنبلة على بيت الملازم «ممدوح رسلان» آمر كوكبة في الجبل.

١٤/آب/ اجتماع عريقة الهيئة الشعبية.

٢٠/آب/ اجتماع «رساس» آل الأطرش وأعوانهم. أخبار مزعجة من صلخد - وصول برقية من الملازم «ممدوح رسلان» ليلاً يطلب إرسال قوة.

٢٢/آب/ عادت القوة من صلخد بعد أن هدأت الحالة.

٢٤/آب/ اتصلت الشعبة الثانية تسألني عن سيارة اللاسلكي بقيادة أحد الملازمين وأنها تأخرت!. أجبت بعدم معرفتي بها. وتبين لي بعد التحقيق أن هذه السيارة تقوم بمهمة خاصة عن غير طريقي!. ذهبت إلى الحريسة للاتصال مع«حمزة باشا درويش» مع اللاسلكي لإعطاء الجواب. وقد وجه إلي السؤال خطأ.

٢٥/آب/ ذهبت إلى دمشق وقابلت رئيس الشعبة الأولى وطلبت مقابلة رئيس الأركان. أخبرته عن موضوع السيارة. أنا لا أقبل أن تجري الأمور بدون معرفتي في المنطقة التي أقودها. تعطى المهمات ووسائط النقل والاتصال عن غير طريقي. أنا لا أوافق على ذلك وأطلب نقلي.

أجابني: إنّ هذه الأوامر لم تصدر عن طريق الأركان. بل مباشرة من قبل الوزير «أحمد الشرباتي» وباعتبارك حيادياً وتقوم بواجبك العسكري خير قيام. من مصلحة الجبل وسكان الجبل أن تبقى هناك. لأنه لا يمكن إيجاد ضابط كفؤ وحيادي يأخذ محلك في هذه الظروف الخطرة التي نمرُّ بها.

اقتنعت بهذه المبررات... لم أصر على نقلي وعدت إلى السويداء.

٢٦/آب/ أرسلتُ قوة إلى الكفر للمحافظة على الأمن بعد قتل رجل من «آل عدنان» في صدامات بين الأحزاب المتناحرة.

٢٧/آب/ ذهب وفد مؤلف من الشيخ «أحمد الهجري» والشيخ «منصور أبو عساف» و «داود بك أبو عساف» إلى «القريّا» للاتصال مع «سلطان باشا الأطرش» ودراسة الموقف وايجاد الحلول.

٢٨/آب/ عاد الجنود من الكفر بعد هدوء الحالة.

٣٠/آب/ طلب «إبراهيم ارشيد» و «هايل كرباج» و «أسعد كرباج» من الملازم «إسماعيل جبور» إخلاء البيت الذي يسكنه وجرى شجار بينهم.

٣١/آب/ جرت المصالحة من قبل رجال الدين «وآل أبو عسلي» وقبل الملازم «إسماعيل» خاطرهم وتنازل عن حقّه ولم يشكوهم. بعد الظهر حضرت واسطة لإجراء الصلح بين «آل الأطرش» والشعبيين من مشايخ الدين في لبنان وفلسطين. وحلّ أكثرهم في المجالس. وقاموا باتصالات بين الفريقين.

١٣/أيلول/ أخبرنا الملازم «ممدوح» أن جنوده مشتبكة مع أهل ملح. وهناك إطلاق النار بين الفريقين. أرسلت القوة التي طلبها.

١٩/أيلول/ تعرض الجندي «محمد كيوان» لاثنين من أقاربه في سوق السويداء وهما أبناء المتهمين بقتل المرحوم «محمود كيوان».

٢٤/أيلول/ وصل المحافظ الجديد «سليمان بك نصار» آتياً من دمشق وقد استقبله جنود الدرك عند سميع والدور.

٢٧/أيلول/ جرى حادث للدرك في صلخد مع الأهالي وجرح الرقيب «أسعد كرباج» وإن المسبب هوالعريف في الجيش «زيد الشومري».

٦/تشرين أول/ حضر أحد الضباط وأعلمني أنه آت لأخذ بعض أغراضه. ولكني علمت أنه أرسل كتباً إلى الزعيم رئيس الأركان والملازم «قصيباتي» رئيس الشعبة الثانية

عن غير طريق التسلسل.

٩/ ١٠/ استلمنا برقية بإلغاء المأذونيات - استدعينا المأذونين. ثم برقية باستدعاء الكوكبة الأولى والثالثة إلى دمشق.

١٢/ ١٠/ تحرك فرسان الكوكبة الأولى والثالثة إلى دمشق.

٢٦/ ١٠/ كان مقرراً أن يعقد اجتماع من قبل حزب آل الأطرش في نجران اعترض آل أبو عسلي وأعوانهم. السيارات الذاهبة من القضاء الجنوبي من آل كيوان - ودرويش - وغيرهم. اجتمع الحزب الثاني بشكل عراضات وهجم آل جربوع وأتباعهم على دار الحكومة وكسروا الأبواب والشبابيك. طلبت فصيلاً من صلخد وقوة من دمشق.

٢٧/ ١٠/ لا تزال الحالة متوترة. في الليلة الماضية حاول ما يقرب من عشرين مسلحاً التعرض للإنشاءات ولما وجدوها مخفورة عادوا.

وصل في المساء الملازم «شعراني» مع خمسين جندياً.

اجتماع «نجران» حضره من آل الأطرش الأمير «متعب» نظراً لصعوبة التنقل على الطرق. ومن قراراته: قطع الطرق ومهاجمة المخافر.

طُلِبَ مني رسمياً تعيين حراسة من الجيش على دار الحكومة نظراً لانحلال الشرطة. نفذت الطلب.

٢٨/ ١٠/ وجدت الملازم «توفيق الشوفي» في القلعة آتياً من صلخد وأخبرني عن وجود تخريب على الطريق. وبعض الحواجز. أرسلتُ قوة فتحت الطريق وعادت.

أبرق قائد موقع شهبا يعلمني عن مقررات «نجُران» ويطلب قوةً احتياطاً إذا هوجم المخفر.

طلبتُ قوةً من دمشق وفي المساء وصل الملازم «غالب سيف» على رأس القوة.

تعرضوا له لمنعه من الوصول. عند قرية «سميع» ولكنه هددهم باستعمال القوة فسمحوا له بالمرور.

منذ يومين يتجول شبان من حزب آل الأطرش بين دار «يوسف باشا» ودور الضباط والجسر على طريق صلخد.

٢٩/ ١٠/ الحالة متوترة، طلبت قوة وسيارات وبنزين.

- أتلف جهاز شهبا اللاسلكي طلبت قوة دعم لهذا المركز.

- وصل الملازم «صومه» من سلاح الهندسة بمهمة - تعرّضَ له الرعاع.

٣٠/ ١٠/ طلبت معاطف للجنود وإطارات للسيارة الموجودة تحت تصرف الموقع.

- أُشيع عن وصول قوّة تحمّس حزب الأطارشة لصدها والثاني لمساعدتها قابل المحافظ وفد من حزب آل الأطرش. وطلب إليه توقيف القوة.

٣١/ تشرين أول/ اجتماع العائلات الحيادية من أجل التسوية والصلح.

- لغم جسر صلخد بجوار كرم الشيخ «أحمد جربوع» (مكان المستشفى الحالي).

- عندما علم حزب الهيئة الشعبية بلغم الجسر هجم شبابه باتجاه دور آل الأطرش. وحال المصلحون دون وصولهم بينما استعد الحزب الثاني للدفاع.

- غادر آل الأطرش (متان وعرمان وصلخد) قراهم الرجال فقط. بدون سلاح تحت الضغط من قبل الهيئة الشعبية.

١/ تشرين ثانٍ/ ابتدأ النهار باستعداد الفريقين للمعركة في السويداء. حالَ المصلحون دون ذلك - بوشر بإصلاح الجسر من قبل حزب آل الأطرش بناءً على تدخل الواسطة - حفرت خنادق على حافتي جسر السهوة - طريق صلخد.

- وصل «رساس» سيارات تقل أشخاصاً من درعا مطاردين من قبل الحكومة.

٢/تشرين ثانٍ/ قطع طريق دمشق صلخد وتوقف السير عليهما.

- عاد المحافظ عن الطريق دون بلوغ دمشق.

- في المساء أطلق الرصاص على سيارة وجهتها المزرعة تقلُّ «فضل الله جربوع» و«حمد بلان» وأحد أبناء غانم و «علي جربوع». أصيب الأخير بعيار ناري ما لبث أن فارق الحياة. الهيجان بلغ أشده عند سماع الخبر.

هجم شبان «آل جربوع» بإتجاه دور «أبو عسلي» حال عقال «آل جربوع». وبصورة خاصة الشيخ «أحمد جربوع» دون اتساع الخلاف.

- كان الجنود مستنفرين في القلعة وأنا معهم وبتنا فيها.

٣/ ١١/ في الصباح الباكر جرى دفن الجثمان من قبل عقال «آل جربوع» والشيخ «أحمد» بدون علم الشباب. وربطت الطرقات التي تؤدي إلى دور «آل عسلي».

- أُخذت هدنة لآل أبو عسلي من قبل المصلحين وتم إجلاء سبعة عشر شخصاً خارج السويداء منهم «جميل أبو عسلي» و «حسين مرشد» وخمسة عسكريين.

- احتلال أم الرمان من قبل الشعبيين في القضاء الجنوبي وسقوط قتيل وثلاثة جرحى وإجلاء آل الأطرش.

٤/ ١١/ السويداء بدون تغيير الطرق مقطوعة.

واصل الشعبيون تقدمهم واحتلوا ذيبين وبكا وأجلوا آل الأطرش عنهما. تجمع آل الأطرش وحزبهم في «القريّا» وبعد الظهر هاجموا بكا بقيادة الأمير «حسن» وكان النصر حليفهم. تفرّقَ الشعبيون بعد أن تركوا بعض الأسرى واثني عشر قتيلاً من المعروف منهم «حمزة درويش» (كان جريحاً وتوفي فيما بعد) و «صالح عزيز» وخمسةً وعشرين جريحاً. أما خسائر حزب آل الأطرش فكانت أربعة قتلى واثني عشر جريحاً.

٥/ ١١/ حضر «عارف بك النكدي» لأجل الصلح. وبعد اجتماعه بآل الأطرش

وجربوع وأبو عسلي توجه إلى «القريّا» وبات هناك.

٦/ ١١/ زار «عارف بك» بكا - ذيبين - أم الرمان - عنز - المشقوق - وعرمان وبات فيها ثم تابع سيره إلى صلخد.

توفي هذا الصباح «حمزة باشا درويش» متأثراً بجراحه في معركة بكا.

٧/ ١١/ عاد «عارف بك» من صلخد وتابع إلى دمشق.

- وصل مشايخ خلوات البياضة مع الشيخ «كنج أبو صالح» وشبلي العريان «واسطة من أجل الصلح».

٨/ ١١/ واصلت الواسطة مسعاها في السويداء وقامت بعدة زيارات.

- ذهب الشيخ «أحمد الهجري» مع لجنة إلى القضاء الغربي.

٩/ ١١/ فُتح طريق دمشق.

١٠/ ١١/ هاجم آل نصر مخفر الدور وقطعوا الطريق.

- فتح الطريق بواسطة مشايخ الدين.

تعيين الأستاذ «عارف بك النكدي» محافظاً للسويداء

١٦/ ١١/ عاد «عارف بك» من دمشق مفوضاً بحل المشكل ضمن شروط اتفق عليها وعين محافظاً.

١٧/ ١١/ مشاورات «عارف بك» في السويداء.

١٨/ ١١/ اجتمع «عارف بك» مع حزب آل الأطرش وآل عامر.

٢٠/ ١١/ توجه «عارف بك» إلى قضاء شهبا ومعه الشيخ «أحمد الهجري».

٢١/ ١١ عاد ليلاً بعد تناول العشاء في قرية ولغا.

٢٢/ ١١/ بوشر بتوزيع معاملات البذار.

٣٠/ ١١/ وصل عشرة أطنان حنطة لتوزيعها على الفقراء.

٩/ كانون الأول/ اشتباك في ملح بين الشعبيين وآل الأطرش.

١١/ ١٢/ اجتماعات وواسطة لعقد الراية في السويداء.

١٢/ ١٢/ عقد راية المرحوم «علي جربوع» بحضور المحافظ والشيخ «أحمد الهجري» وأعيان البلاد وعودة المبعدين من آل أبو عسلي - ورضوان - وارشيد.

١٥/ ١٢/ عقدت الراية في المجدل على رجلين «من آل عيد» وآل عريج قُتِلا من قبل آل نصر.

١٨/ ١٢/ حضر إلى السويداء القائد الكبير «فوزي القاوقجي». كنتُ في استقباله على مدخل المدينة بناء على طلب المحافظ الذي رغب في أن يكون في استقباله ضابطٌ. وطلب مساعدة بني معروف للمعركة ضد الصهيونية. وزار القلعة مع المحافظ. ثم ذهب إلى «القريّا» قابل «سلطان باشا» وعاد ليلاً.

١٩/ ١٢/ زار «فوزي القاوقجي» صلخد وعاد إلى دمشق.

- ذهب المحافظ مع الشيخ «أحمد» إلى صلخد.

٢١/ ١١/ اجتماع مع المحافظ من أجل التطويع. نبأ تفشي الكوليرا في حوران.

٢٢/ ١٢/تلقيح الجنود ضد الكوليرا.

٢٦/ ١٢/ ذهبت في جولة إلى القضاء الجنوبي. من أجل التطويع في فوج الإنقاذ الذي أتى من أجله القائد «فوزي القاوقجي» زرتُ الكفر - متان - وملح وبثٌّ فيها. عدت إلى عرمان - صلخد وبثٌّ فيها ثم عدتُ الى القريّا فالسويداء. أعطيت التعليمات

اللازمة وكان الحماس بارزاً.

منذ حضور «عارف بك» في ١٩٤٧/١١/٥ وقبوله المهمة وتعيينه محافظاً شعرت بوجود سلطة تتحمل المسؤولية. وارتحت نفسياً لأني كنت من الذين يرغبون في سيادة الحق والقانون. كنتُ مسؤولاً عن حماية كل مصالح الدولة بالإضافة إلى الثكنات. كلفتُ بحماية الميرة والبنك وحتى دار الحكومة إذ لم يبقَ لا درك ولا شرطة. ترك الرؤساء قبل الجنود وتخلوا عن واجباتهم وقت الحاجة.

إن عمل الحكومة هو الذي أوصلنا إلى هذه الحالة السيئة. هل يُعقل أن تترك الحكومة أبناء محافظة يقتتلون طوال هذه المدة وتشجعهم على ذلك متذرعة بسبب أن الفريق الثاني له اتصالات خارج الحدود دون اتخاذ أي إجراء إلا عندما أفلت الزمام من أيديها.

كنتُ أنفذ القانون بدون تحيُّز. طلب مني الشعبيون أن أسمح لجنود يعطونني أسماءهم لتنفيذ بعض المهمات رفضت. إن عمل شباب آل الأطرش وأتباعهم ومحاصرة بيتي ومحاولة نهب الإنشاءات اعتبرته نزق شباب ولم أعبأ به. بقيت أقوم بواجبي مع جنود ينتمون لكل الفئات. ولولا قناعتهم بصدق عزيمة قائدهم وتوجيهه الصحيح وثقتهم به لما التفوا حولي وبقينا نحافظ على الكرامة والقانون حتى أتى من يخلص المحافظة من محنتها.

عندما تأزمت الأمور ووصلت الى مأزق أتت الحكومة «بعارف النكدي» وكان رئيساً لمجلس الشورى أعلى سلطة قضائية. وضع شروطاً لقبوله هذه المهمة الشائكة منها: يذهب بجولة استطلاعية إلى الجبل لدراسة الوضع. وفي حال قبوله هذه المهمة ألا يتدخل أي من المسؤولين في شؤون محافظة السويداء. وحصل على وعود بتعويض الحرمان لهذه المحافظة من المشاريع. وأن تتحمل الدولة أعباء الخسائر التي حصلت. ومنها القتلى.

ولما كان «عارف بك النكدي» موثوقاً ومخلصاً وصادقاً في عَمَلِه قبل الفرقاء التعاون معه. إلا أن المسؤولين أرادوا التملص من تعهدهم وفي النهاية ورغم جهوده لم يتمكن من إرضاء الجميع ولكنه أرضى ضميره.

/ ١/ كانون ثانٍ/١٩٤٨/ اجتماع العانات من قبل الشعبيين في القضاء الجنوبي بحضره المحافظ والشيخ «أحمد الهجري» وتمديد الهدنة ثلاثة أشهر.

٢/ ١/ ذهاب الشعبيين من السويداء وقضائها وقضاء شهبا لتعزية الشعبيين في قضاء صلخد.

١٠/ ٢/ افتتاح المدرسة المتوسطة وعودة الطلاب.

٢٨/آذار/ تمَّ تشكيل فوج المجاهدين وقد ودّعهم المحافظ بحفل رسمي حضره جمع غفير وخطب فيهم - وفقهم الله في مهمتهم للمشاركة في إنقاذ فلسطين.

ولما استقرت الأمور وعادت الحياة إلى مجاريها وبوجود محافظ مسؤول وموثوق يمثل الحكومة والقانون. لم يعد للجيش أي تدخل توقفت عن متابعة أمور المحافظة.

ومن الأعمال التي بتَّ بها المحافظ: الدورة النيابية الحالية اتفق أن يكون المرشحون الشعبيون نواباً في المجلس النيابي السوري وهم السادة: «داود هنيدي» عن قضاء السويداء - «جميل أبو عسلي» عن مدينة السويداء، «حمد عزام» عن قضاء شهبا، «حسين الشوفي» عن قضاء صلخد. دفع المؤدى والتعويض من خزينة الدولة. وعقدت الرايات وجرى صلح نهائي.

جدد الجهاز الإداري: مدير تربية - قضاة - مدير شرطة - قائد درك - ورؤساء دوائر من ذوي المقدرة والأخلاق الحسنة واستلموا مهماتهم. افتتح بيت اليتيم وأمن له موارد ثابتة.

امتنع عن تسليم المصاريف المستورة إلى بعض الوجهاء وحولها إلى مشاريع إنسانية قائلاً: لا يُدفَعُ شيء لشراء الضمائر وخدمة الوطن واجب. (كانت هذه العادة قد نُقِلتْ عن الفرنسيين).

كانت الدور والبيوت التي بناها الفرنسيون على أرض مستملكة بصورة قانونية وبعد رحيلهم احتلها وسكنها بعض المتنفذين وموظفون مدنيون وعسكريون وأكثرهم لا يدفع الأجور. ومن الأمكنة ما هو باستلام الجيش تابع لوزارة الدفاع وغيرها من الوزارات.

توصل المحافظ إلى إعادة كلّ هذه العقارات إلى أملاك الدولة وتوجب جباية أجورها بموجب عقود وتعريفة رسمية اعتباراً من ١/ ١/ ١٩٤٨ وعمم ذلك على ساكني البيوت.

عندما عرضت عليه وضعي الخاص لم يكن مقتنعاً بما ذكرته له! طلب الإثبات. وبما أني سكنت البيت بموجب أمر رسمي صادر عن رئاسة الأركان مع تحديد الأجور. تقدمت بطلب إلى المحافظ أبين الواقع مع الوثائق القانونية.

قضت مذكرتكم التي تبلغتها مؤخراً بدفع إيجار البيت الذي أقطنه اعتباراً من ١/ ١/ ١٩٤٨ ولما كنت قد سددت ثلاثة أشهر في بداية العام المذكور أرفع إليكم كتاباً صادراً عن مديرية محاسبة الإدارة يثبت الدفع وبما أني مستأجر بموجب أوامر رسمية منذ عام ١٩٤٦ طيه الأمر الإداري رقم /٥٠١٣/ ٤/ الصادر عن رئيس أركان الجيش السوري تاريخ ١٨/ ٨/ ١٩٤٦ الذي يضع البيت تحت تصرفي ويحدد الأجور القانونية كنت أسدد قيمة الإيجار شهرياً ولا تنطبق عليّ الإجراءات المتخذة بحق الذين لم يدفعوا بعد استلامكم مقاليد المحافظة.

أرجو الأمر باستيفاء الأجور بموجب التعريفة المبينة في كتاب مديرية المحاسبة. وهي سارية المفعول في كل المحافظات السورية وكنتم قد طلبتم إثباتها. سيما ولم تصدر قوانين تجيز إعادة النظر في العقود ولم أوقع على عقد رسمي سوى المعاملات مع وزارة الدفاع الوطني. وإني على استعداد لتسديد المبالغ المستحقة ضمن المهلة المتفق عليها أثناء مقابلتي لكم. وبقي المحافظ يقوم بعمله بجد ونشاط كما هو معروف عنه حتى عام / ١٩٤٩ أوشك أن يُحالَ على التقاعد لوصوله السِّن القانوني ولم يشأ أن يجدد خدمته نظراً للعراقيل التي بدأ يواجهها ولعدم انسجامه مع الحكم ومع أبناء المحافظة. لم يقبل تمديد خدمته.

وعندما جرى انقلاب الزعيم «حسني الزعيم» قبل تمديد خدمته، وعين حاكماً عسكرياً مثل كل المحافظين. وتعاون معه آملاً في الإصلاح العام كما تمنى الكثيرون ولكن خاب أملهم.

إن سبب نقلي إلى الجبل هو إصلاح الكتيبة الأولى وإعادة النظام والانضباط إلى

صفوفها. هذا هو طلب رئاسة الأركان. ولكن هل تمكنت القيادة من تحقيق غايتها؟. كلا لاعتبارات سياسية - نقلت المقدم «حمد» ولم تتمكن من نقل المقدم «بشور» وعندما رُفعت الحماية عن «بشور» نقلته وأعادت «حمد».

المقدم «حمد» ضابط نظامي خريج الكلية العسكرية. واتبع دورة ضباط الفرسان في «سومير» بفرنسا بإمكان القيادة أن تطلب منه الانضباط وعدم المحاباة في قيادته وتأخذ منه موقفاً حازماً. وبما أن مصيره بيد الأركان من ترفيع ونقل وتعيين لا يمكنه إلا تنفيذ توجيهات رؤسائه والعمل بموجبها نقل المقدم «حمد» إلى دمشق مع القيادة وثلاث كوكبات. وبقي ثلاث كوكبات في محافظة السويداء. وعُينتُ قائداً لمنطقة جبل العرب.

اعترضتُ على التدخل العسكري في المنطقة أجابوا: إن ذلك عن غير طريقهم. في ١٢/١٠/١٩٤٧ نقلوا كوكبتين من الجبل إلى دمشق. ما هي الغاية من نقلهما؟ وقد اضطرتني الظروف لأن أطلب قوة على دفعات لصالح الخدمة. وصل الملازم «شعراني» إلى السويداء مع قوّة في /٢٧/ والملازم «غالب سيف» في /٢٨/ منه.

أتيتُ لإصلاح الكتيبة الأولى وأثناء وجودي اندثرت الإدارة المدنية بكاملها - جرى تبديل ثلاثة محافظين ونشبت الفوضى والقتال بين الشعبيين وآل الأطرش وأتباعهم. سعيت أن أضع حداً لهذه الفوضى تمكنت من إبقاء مفرزة السويداء خارجها. قادرة على تنفيذ ما يطلب منها من مهمات.

عند انسحابي مع رفاقي من قطعات الشرق الخاصة وكنا في حمص عام /١٩٤٥/ التحقنا بالسلطة المدنية ووضعنا أنفسنا تحت تصرفها. ونظراً للفوضى التي تسود الإدارة المدنية وخوفاً من تلاعب السياسيين بالجيش من حيث الترفيع كما يفعلون بالشرطة والدرك. قررت مجموعة من الضباط توقيف الترفيع حتى تستقر الأوضاع. كان من أعضائها البارزين الرئيس «مأمون بيطار» وأنا - وقد استلم فيما بعد الشعبة الأولى ولنا مُطلق الثقة به وبنزاهته وتجرده. لكنه انضمَّ إلى المجاهدين واستشهد في فلسطين على طريق القدس قبل صدور الترفيع. شُكلت لجنة في الأركان وأصدرت جدول ترفيع وتسوية أوضاع الضباط. وفي أوائل نيسان /١٩٤٨/ صدرت لوائح الترفيع. ولها مفعول رجعي. أن يكون الترفيع أعتباراً من /١/١/١٩٤٧ بالنسبة لرتبة رئيس وما فوق. وتمّ ترفيعي إلى رتبة رئيس.

تعليق على الترفيع - وضع ضباط الجيش

منذ التحاقي بالحكومة السورية وتعييني في قوى البادية مركز تدمر قبل إستلام الجيش من قبل الفرنسيين. تمّ نقلي معاوناً لآمر الكتيبة الأولى في السويداء. ونظراً للحوادث الكثيرة التي جرت في تدمر ثم في الجبل والمسؤوليات الجسام التي تحملتها. ولانعزال هذين الموقعين لم أتمكن من معرفة ما يجري من رؤسائي ورفاقي.

جدول الترفيع هو أول عمل هام تصدره القيادة وتقوم به مستقلة بعد سنتين وتسعة أشهر من استلام الجيش. وبما أن عدد الضباط محدود جداً كان على المسؤولين أن يعرفوهم شخصياً وبصورة خاصة مدى علاقتهم مع الفرنسيين، وموقفهم الوطني!. هل انسحبوا أم سلموا ومن ظُلم منهم بالترفيع مع الفرنسيين.

اشتركت قطعات الشرق الخاصة في العمليات الحربية عام /١٩٤١/ كان من الممكن دراسة وضع كل الضباط، ووضع كل ضابط اشترك بهذه العمليات!... ثم معلوماته - أهليته للقيادة - والقيادة التي يقوم بها!...

في بداية الانتداب عندما دخلت فرنسا إلى سوريا كان فيها ضباط خدموا في الجيش التركي وتخرجوا من مدارسه. احتفظوا بالضباط الأحدث منهم اتبعوا دورات وانضموا إلى قوات الشرق الخاصة. لكن لغتهم الفرنسية بقيت ضعيفة. وهذه نقطة ضعف رافقتهم حتى النهاية. إذ إِن اللغة في الجيش كانت الفرنسية.

افتتحت الكلية العسكرية لتخريج الضباط، وكانت مشتركة بين الدولتين: السورية واللبنانية، كان المدربون فرنسيين ضباطاً وصف ضباط. والثقافة العامة تعطى من قبل ضباط فرنسيين أيضاً الإقبال على الكلية كان محدوداً في بادىء الأمر. إذ لا يرغب الوطنيون الخدمة عند فرنسا. بعد سنة /١٩٣٢/ صار هناك قناعة عند الشباب أنه لا بدَّ من الانخراط في الجيش عن طريق الكلية العسكرية. حتى يتمكن هذا الجيش من القضاء على الانتداب. وبعد هذا التاريخ صار المدربون العسكريون من الضباط السوريين الذين تخرجوا من الكلية. كان التدريب بكلِّ أنواعه باللغة الفرنسية.

قوات الشرق الخاصة كانت قوة إسناد تابعة للجيش الفرنسي أي لا يمكنها العمل بدونه. قيادتها وقيادة وحداتها حتى الفوج فرنسية.

كانت فرنسا تفكر أَنها باقية إلى الأبد في سوريا كما في مستعمراتها. وهي لا ترغب في تحضير أو تدريب قادة لاستلام المسؤولية بعدها!... كان على الضابط السوري أن يطيع الأمر فقط بدون مناقشة حتى من أجل فهمه! ومن تظهر عنده الروح الوطنية يقضون عليه إما بنقله أو تسريحه.

بقيت هذه القوات تقوم بعملها ضمن تشكيلات الجيش الفرنسي. الضباط السوريون الذين ترفعوا لرتبة مقدم استمروا معاونين لآمري الأفواج الفرنسيين.

في الفترة الأخيرة بعد دخول فرنسا الحرة إلى سوريا. ونظراً لقلة الضباط عندها أسندت قيادة الأفواج إلى ضباط سوريين. كانت أعلى رتبة حصل عليها الضابط السوري هي رتبة مقدم يتقاعد بها. ولكن بعد عام /١٩٤١/ حدث تغيير إذ رغبوا في إغراء العسكريين واستمالتهم.

عندما جرت حوادث عام /١٩٤٥/ بعد استسلام المانيا. انسحب من الجيش الفرنسي الضباط الوطنيون وبقي الضباط الذين يخدمون من أجل الراتب!...

ونظراً لموقف الحكومة السورية القوي وثورة الشعب وانسحاب عدد كبير من الضباط. وضغط بريطانيا من أجل تنفيذ الوعود التي أعطتها عام /١٩٤١/ عندما هاجمت جيوشهما سوريا. اضطرت فرنسا إلى تسليم الجيش للحكومة السورية. إن كبار الضباط وغيرهم من الضباط الذين استلمتهم الحكومة السورية استلم أكثريتهم المراكز الحساسة في الأركان والإدارات! لا فرق بين ضابط ضحى بمستقبله في سبيل وطنه. وآخر سلّم مع التجهيزات والأسلحة والخيول. وصل هؤلاء ليشكلوا قيادة مستقلة لم يتدربوا عليها. واستقبلهم ضباط قدامى من بقايا العهد التركي مضى عليهم أكثر من ربع قرن خارج الخدمة. ونظراً لزمالتهم للفئة الحاكمة في السياسة وفي المدارس التركية. استلموا وظائف عسكرية - مثل: (مدير الدفاع - ومدير الأمن - ووزير الدفاع وغيرها) ولكنهم عجزوا جميعاً عن تخطيط ما يجب عمله.

رجال السياسة جاهدوا في سبيل الحصول على الاستقلال مع الشعب وحصلوا عليه بعد تضحيات كثيرة منهم وممن سبقهم.

استقلال غير مشروط ولكنهم استأثروا بالحكم بدون تجربة أو الاستفادة من تجارب الغير وبدون برنامج. والبلاد مقبلة على أحداث سياسية هامة في حياة الشعب العربي.

الصهيونية لديها خطة لاحتلال فلسطين، وسائر الدول العربية، ماذا فعلنا حتى نقفَ في وجهها؟.

حشد الجيش على حدود فلسطين

١٠/ ٥/ ١٩٤٨ عندما علمت بتحرك الجيش السوري إلى الحدود الفلسطينية وكنت قائداً لمنطقة جبل العرب. اضطربت وتساءلت كيف أبقى بعيداً عن المعركة وقد اخترت العسكرية مهنة لي؟ وهل من مهمة أسمى من قتال الصهاينة والانتقام لضحايا (طبريّا - ودير ياسين وغيرهم) والاشتراك بتحرير فلسطين.

أرسلت برقية إلى رئيس الأركان أطلب تعييني في الوحدات التي تشترك في القتال، لم أنتظر طويلاً وصلتني البرقية رقم /٣٩٨/ تاريخ /١٦/ ٥/ ١٩٤٨/ بتوقيع ركن تدعوني للالتحاق بمركز الكتيبة في «فيق» تحت تصرف قائد الرتل. التحقتُ بذات التاريخ كانت قواتنا قد احتلت معسكر سمخ وقرية السمرة جنوبي بحيرة طبريا.

تعييني ضابط ارتباط مع الجيش العراقي:

أعلنت حضوري لقائد الرتل العقيد «عبد الوهاب الحكيم» استقبلني وأبلغني أني عُينت ضابط ارتباط مع الجيش العراقي، وهو إلى الجنوب من الجيش السوري يفصلهما وادي اليرموك. سرني هذا التعيين لأنه يتيح لي مرافقة هذا الجيش حَسَنِ التنظيم وأنا معجب به وبضباطه عن بعد. بتاريخ ١٧/ ٥ تراجعت قواتنا إلى (الكرنتينا) تحت ضغط هجوم معاكس قوي للعدو رافقت قائد الرتل لأطلع على تمركز القطعات في الجبهة، حضرت اجتماع آمري القطعات، يتلقون الملاحظات والتوجيهات على هجوم فاشل على سمخ، آمرا أفواج المشاة هما: المقدم «حسن غانم» والمقدم «بشير

حواصلي»، آمرا الكتائب الرئيس «صبحي عبارة» والرئيس «قاسم الخليل» وآمر فوج المدفعية المقدم «عزيز عبد الكريم».

زار الجبهة وزير الدفاع «أحمد الشرباتي» ورئيس الأركان الزعيم «عبد الله عطفة» والفريق «طه الهاشمي» وهو رئيس أركان الجيش العراقي سابقاً ويشغل الآن وظيفة مفتش قوى الإنقاذ في فلسطين.

جرى قصف مدفعية وتحضير لهجوم الغد.

وبتاريخ ١٨/ ٥/ في الساعة الرابعة والنصف ابتدأ الهجوم بعد قصف المدفعية. كان الهجوم ناجحاً وأسفر عن احتلال سمخ بكاملها والوصول إلى نهر الأردن، وتقهقر العدو وراء النهر. وكانت خسائر الجيش السوري ثلاثة قتلى وثلاثين جريحاً. وخسائر العدو مائة واثني عشر قتيلاً وثلاثة أسرى.

بتاريخ ١٩/ ٥/ وصلتُ صباحاً إلى الجيش العراقي. امتثّلتُ أمام الزعيم قائد الرتل. طلبت منه إذا أمكن مرافقته في جولاته على القطعات ومعرفة خطته، أجاب لا يمكن وأحالني إلى رؤساء شُعب أركانه لدراسة تفاصيل المهمة معهم. اتفقت مع الرئيس «عبد اللطيف» رئيس شعبة العمليات على شيفرة خاصة للاتصال بين الجيشين. - (ويمنع الاتصال باللغة الدارجة). واتفقت مع الرئيس «محمد فايق» على الدعم من قبل المدفعية. يجب إعطاء الإحداثيات والوقت الكافي للتحضير - ضابط رصد - مسح - وكيفية طلب المساعدة - الدعم من قبل الطيران يُتفق عليه حين اللزوم.

طلبت أن يتمّ تنظيف المنطقة من بحيرة طبريا حتى جسر المجامع على نهر الأردن والقضاء على جيوب المقاومة بالتعاون بين الرتل السوري والرتل العراقي حتى نهر الأردن.

/ ١٩/ ٥/ كان جسر المجامع محروساً من قبل سرية من جيش الأردن ولكنها تركته قبل وصول الجيش العراقي، ودمره الصهاينة. احتل الجيش العراقي مشروع روتمبرغ لتوليد الكهرباء وهدمَه، وحاصر قلعة كيشر الجبارة. . . تبين أن المدفعية لا تؤثر إلاّ مكان الضربة.

هجمت دبابة يقودها ضابط وضربت الباب بقذيفة فأعطبته دون جدوى! . . . أُتبِعَت بأخرى فتحت القلعة دون إمكان احتلالها. تقرر الرجوع عن دخولها ومحاصرتها وعزلها. وقد تمّ احتلال باب الهوى وإخلاؤه عندما تأجل احتلال القلعة.

يتساءل الضباط العراقيون لماذا وضع الجيش العراقي في هذه المنطقة المحصنة وجسر المجامع المهدم وهو الطريق الوحيد في منطقة صعبة المسالك. والجيش السوري جنوبي بحيرة طبريا والطريق الوحيد المتعرج عند منحدر الحمّة وصعوبة السير عليه وعلى السهل جنوبي البحيرة يوجد ثمانية مستعمرات محصنة تحصيناً قوياً. وخط إيدن القوي حضّره البريطانيون لردّ أي هجوم ألماني يأتي من الشمال باتجاه مصر. عندما توغّل الألمان في روسيا خشيت بريطانيا أن يأتي الألمان عن طريق تركيا حليفتها ويهاجموا مصر من الشرق بينما يهاجمها «رومل» من الغرب.

بتاريخ /٢٠/ ٥/ قدّمتُ إلى قائد الرتل السوري معلومات وجدتها في القيادة العراقية عن المستعمرات الصهيونية الموجودة حالياً أمام الجيش جنوبي طبريا وهي ثمانية على أن أنقل معلومات باقي المستعمرات فيما بعد وفيها معلومات وافية عن قوة المستعمرة من رجال وأسلحة وتحصين. سأذكر فيما يلي المعلومات عن مستعمرتين على سبيل المثال حتى يتبيّن القارىء استعداد الصهاينة:

١- إشدوت يعقوب إحداثياتها /٢٠٥ - ٢٢٩/ سكانها /١٢١٨/ اشتراكيون. تسليحها /١٨٠/ بندقية /٦٠ - ٧٠/ رشيشة تومي /٨ - ١٠/ هاون وكمية من الذخائر يوجد بها /٣/ بيك أب و /٤/ شاحنات نقل. تحصينها أسلاك شائكة حولها، أكياس من الرمل /٤/ مخافر تضم /٤٨/ حارساً.

ملاحظات: يتفرغ الطريق إليها وعلى بعد /٦/ كيلومترات جنوب سمخ - على طريق سمخ - جسر المجامع. على هذا الطريق يوجد جسران نسفهما يعرقل تموين هذه المستعمرة. في هذه المستعمرة مصنع لتصليح السيارات وربما لتصفيحها، كما يحتمل أن يكون بها مصنع للذخائر والأسلحة ويظن أن بها مستودعاً كبيراً للأسلحة والذخيرة.

٢- انكيب - عين غيف إحداثياتها /٢١٠ - ٢٢٣/ سكانها /٤٠٠ - ٥٥٠/ اشتراكيون. تسليحها /٤٠/ قطعة فردية - رشاشات - مدافع هاون - مدافع جبلية

وذخائر كافية. تحصينها: سور من الأسلاك الشائكة - خندق مائي - أبراج للدفاع - /٤/ مخافر للحرس بها /٤٠/ خفير - كاشف كهربائي.

ملاحظات: فيها ثلاثة مخازن للسلاح اثنان تحت الأرض وواحد قرب المطعم - بها سراديب تستعمل كملاجيء ومنها واحد يصل إلى شاطىء البحيرة حيث ترسو الزوارق. تعتبر هذه المستعمرة نقطة ارتكاز هامة للصهاينة على الشاطىء الشرقي لبحيرة طبريا.

وبنفس التاريخ أيضاً أي في /٢٠/ ٥/ شُنَّ هجوم إسرائيلي عنيف على سمخ وجوارها. وقد تمّ الجلاء عن سمخ بدون انتظام.

هاجم الجيش السوري دكانيا «آ» ودكانيا «ب» ولكن دون نتيجة وفشل الهجوم.

العودة إلى الجيش العراقي:

في /٢١/ ٥/ نقلت رسالة إلى قيادة الرتل السوري. يقترح قائد الرتل العراقي سرعة طلب وضع طيران القيادة العامة تحت تصرفكم وتعينوا له الأهداف.

غداً يقوم الطيران العراقي بقصف الأهداف المطلوبة.

التوقيع ضابط الارتباط «أمين أبو عساف»

في /٢٢/ ٥/ وصلتُ مساءً للاتصال مع القيادة السورية.

في صباح اليوم التالي طلب إلي قضاء النهار في قيادة الرتل السوري، وحدات الجيش السوري تتمركز دفاعياً. دوريات نحو سمخ. الجسر بعد سمخ على النهر مدمَّر. قصف من قبل الطيران والمدفعية السورية.

في /٢٤/ ٥/ العودة إلى مقر عملي مع الرتل العراقي - لم أجد القيادة العراقية في مكانها مقابل جسر المجامع من الشرق - تبعتها إلى إربد.

بتاريخ /٢٥/٥/ أعلمتُ قائد الرتل السوري بما يلي: تحركت القوى الآلية العراقية مع قسم من المدفعية باتجاه نابلس بناءً على أوامر القيادة العليا. بقي في مراكز العراقيينَ المشاة وقسمٌ من المدفعية لحماية المراكز المحررة من قبلهم. انتقلت القيادة إلى إربد نظراً لوجود رتلين. لا تعلم هذه القيادة إذا كانت قواها ستبقى موزعة كما هي أم تُجمع لتأخذ مكانها قوات أخرى، كما أنها تجهل الاتجاه الذي تأخذه من نابلس.

تبلغت تعييني آمراً لفوج المدرعات الثاني والتحقت بمقر عملي الجديد.

ملاحظة: علمت فيما بعد أن المعلومات التي أتيت بها من القيادة العراقية عن المستعمرات الصهيونية هي من عمل اللجنة العربية العليا وتشمل كل فلسطين ومعممة على كل القيادات العربية لذلك اكتفيت بما أرسلته سابقاً.

تعيين الزعيم «حسني الزعيم» رئيساً لأركان الجيش السوري

على أثر الكارثة عام /١٩٤٨/ وبعد إخلاء سمخ استقال وزير الدفاع «أحمد الشرباتي» واستلم وزارة الدفاع رئيس الوزراء «جميل مردم بك» - أحيل على التقاعد رئيس الأركان الزعيم «عبد الله عطفة» والعقيد «عبد الوهاب الحكيم» نقل إلى دير الزور بانتظار المحاكمة. أسندت رئاسة الأركان إلى الزعيم «حسني الزعيم» وقيادة اللواء الأول إلى العقيد «أنور بنود» بدلاً من العقيد «عبد الوهاب الحكيم».

بعد عدة محاولات فاشلة لاحتلال سمخ أو احتلال دكانيا «آ» ودكانيا «ب». قررت القيادة المحافظة على الأراضي المحررة جنوب وجنوب شرق بحيرة طبريا والتمركز دفاعياً ونقل الهجوم إلى القطاع الأوسط على محور القنيطرة - بناية الجمرك كعوش - حيفا.

فوج المدرعات الثاني

وتعين الرئيس «أمين أبو عساف» آمراً له

قبل بدء العمليات كان فوجان مدرعان قيد التشكيل (الثاني والثالث) وفي كلٍّ منهما: سرية مصفحات وسرية محمولة وعندما تتوفر المصفحات يتم تشكيل سريتين متماثلتين في كل فوج. المصفحات «بنهارد» فرنسية قديمة وتسليحها قديم مدفع عيار / ٣٧ مم ورشاش عيار / ٧،٥/ مم. مع مصفحات من صنع بيروت استعملها الفرنسيون في البادية حيث لا يوجد سلاح مضاد للدرع. وذلك بوضع ألواح مصفحة حول قاعدة الشاحنة من الأمام والخلف وعلى الجانبين ومكشوفة من الأعلى، ووضع برج يحمل الأسلحة وهي مدفع عيار / ٣٧/ مم أو رشاش / ٧،٥/ مم - إنّ الدرع يقي من الأسلحة العادية فقط.

كان آمرا الفوجين ضابطي مشاة الرئيس «صلاح الدين النحاس» وهو من الضباط الذين بدأوا خدمتهم أيام تركيا والمقدم «رشاد نظمي» خريج الكلية العسكرية في حمص. عندما أعطت القيادة أوامرها لدمج الفوجين وتشكيل فوج واحد منهما والالتحاق بالجبهة تمارض الرئيس «صلاح الدين النحاس» ودخل المستشفى، فشكل فوج المدرعات الثاني وأسندت قيادته إلى المقدم «رشاد نظمي».

وعندما ذهب المقدم مع فوجه إلى الجبهة - ربما كانت الأوامر غير واضحة، سار الفوج بعدة مجموعات وبدلاً من الوصول إلى القنيطرة - وصل بعضهم إلى القنيطرة والبعض الآخر وصل إلى فيق أقصى جنوب الجبهة. وبصعوبة أمكن جمع عناصر الفوج في حرش المومسية حيث تمركزت القيادة على محور (القنيطرة - جسر بنات يعقوب).

أخذت كل من سرايا الفوج مهمة خاصة وبقيت قيادة الفوج وسرية المقر في مكانها كي تؤمن تموين السرايا.

السرية المحمولة الأولى مقابل المخاضة جنوبي الحولة لحمايتها ومنع تسلل العدو منها بقيادة «عبد الله الفرا»، السرية المحمولة الثانية بقيادة الرئيس «برهان حسن» مقابل

المخاضة جنوبي جسر كعوش لحمايتها ومنع تسلل العدو منها.

سرية المصفحات الأولى بقيادة الرئيس «توفيق الشوفي» رعيل حول بناية الجمرك حيث توجد قيادة القطاع لحمايتها ورعيل في الخلف احتياط، سرية المصفحات الثانية بقيادة الرئيس «عبد الرحمن شاويش» في العليقة احتياط لآمر القطاع.

في ١٩/٥ تسللت دورية صهيونية ليلاً قاصدة القيادة في بناية الجمرك، تمكنت من مفاجأة رعيل الحماية أحرقت مصفحتين وهرب جنودهما، دافع الباقون ولم يمكنوا الصهاينة من الوصول إلى المصفحات الباقية، ذهب الصهاينة باتجاه بناية القيادة حيث تمركز أمامها الرئيس «توفيق الشوفي» مع اثنين من صف الضباط يحملون رشيشات ومنعوهم من الوصول إلى هدفهم، استشهد الرقيب الأول «عبد العزيز داغوط» أثناء هذه العملية، استنفر المركز عندها انسحبت دورية العدو وكانت من المغاوير هدفها القيادة.

إن تعيين رعيل مصفحات لحماية القيادة هو خطأ فادح يجب أن تكون الحماية والحراسة من المشاة أو السرايا المنقولة على أن تكون آلياتها بعيدة في مكان آمن.

بعد هذا الحادث وأخذاً بعين الاعتبار كيفية وصول الفوج إلى الجبهة، قررت القيادة نقل المقدم «رشاد نظمي» وعينت المقدم «سليم ورد» مكانه ولكنه لم يستلم لعدم اختصاصه بالمدرعات، عندها تلقيت البرقية التالية:

برقية رقم /٩٠٢/ آب بتاريخ ٢٥/٥/١٩٤٨ إلى الرئيس «أمين أبو عسّاف»:

تعينت آمر «جاد» التحق فوراً إلى «أمية» / ٢٢٥/

التوقيع: قائد واحد

التحقت بنفس التاريخ إلى مقر قيادة الفوج في حرش المومسية، وجدت المقدم «نظمي» على عجلة من أمره، التصاريح من آمري السرايا جاهزة وموقعة بالاعتراف بأن تجهيزات وأسلحة السرايا مطابقة للقيود (إحداها مسجل عليه المستلم... المقدم «سليم ورد») ومن الضابط المحاسب بأن موجودات الصندوق مطابق لسجل الواردات والصرفيات وموجود مستودع الفوج مطابق لقيود السجلات.

طلبت منه أن نذهب لزيارة السرايا في الخط الأمامي كي أتعرفَ على أماكنهم، أجاب: إنه لا يعرفها! وقال: يدلني رقيب التموين عليها، ولا يمكنه التأخير ويرغب العودة، ذهب دون أن يودّع أحداً، طلبت من الملازم الأول «ظافر الجندي» آمر سرية المقر ومعاون آمر الفوج جمع كل العناصر الموجودة في مقر القيادة ليتعرفوا على آمرهم الجديد وأجري أول اتصال معهم.

طلبت منهم أن يكونوا يقظين وأن يبذلوا أقصى جهد في خدمة الوطن بهذه الظروف العصيبة وأن يقوموا بواجبهم على أتمّ وجه، ثم ذهبت مباشرة لزيارة مقرات السرايا في الخطوط الأمامية، قال الرئيس «عبد الله الفرا» عند وصولي: هذه هي المرّة الأولى نرى بها آمر الفوج! إن المقدم «نظمي» لم يأتِ إلى هنا مطلقاً.

نعاهدك على بذل كلّ جهد ممكن حتى نقوم بالواجب ويكون الفوج محلّ ثقة القيادة.

كما زرت أيضاً مقر سرية الرئيس «برهان حسن»، قلت لهما اليوم لا وقت لدي لزيارة كلّ المخافر، رغبت الاتصال بآمري السرايا واعتباراً من الغد سأبدأ بزيارة تشمل كل العناصر، وقد أبدى كلّ من آمرَيْ السرايا سرورهما بلقاء آمرهما ووعدا ببذل جهدهم مع سراياهم لخدمة الوطن، في اليوم التالي بعد اطلاعي على شؤون الفوج الإدارية، ذهبت إلى السرايا، زرت المخافر كلها وتحدثت مع رؤسائها ومع الجنود وكانت هذه عادتي منذ تخرجي من الكلية العسكرية.

بعد انتهاء جولتي في الفوج، ذهبت إلى قيادة اللواء الثاني والقطاع الأوسط. . . لأقدِّم نفسي إلى آمر اللواء المقدم «توفيق بشور» للاتصال المباشر ولأعرفَ ملاحظاته على الفوج.

جرت محاولة تسلل ليلية ثانية بعد استلامي قيادة الفوج من قبل سرية كومندوس قطعت المخاضة جنوبي بحيرة الحولة باتجاه الشرق ثمّ اتجهت جنوباً لكي تصل إلى بناية الجمرك حيث القيادة.

لكن يقظة الرئيس «عبد الله» وحسن تدبيره تمكن من صدّها، انسحبت بعد معركة

حامية، وفي اليوم التالي شوهدت دماء على خطّ سيرها.

كانت قيادة الجبهة تحاول التوغل في فلسطين من القطاع الجنوبي عن طريق سمخ ولما رأت صعوبة ذلك نقلت نشاطها إلى القطاع الأوسط.

في ٦/٣ أصدرت قيادة القطاع أمراً لقطعاتها لإرسال دوريات استطلاع ودراسة دفاعات العدو على كامل جبهة القطاع، كانت مهمة السرايا المنقولة استطلاع كعوش الموقع المحصّن المشرف على المنطقة:

سرية «عبد الله الفرا» من الشمال، وسرية «برهان حسن» من الجنوب، تمكنّا من الوصول إلى مشارف كعوش وأمنّا المعلومات المطلوبة، كما أن الرئيس «عبد الله» أحرق بيادر غلال بجوارها.

معركة كعوش

تقع كعوش على رابية غربي نهر الأردن، يمرّ بها طريق رئيسي (دمشق - القنيطرة - صفد - حيفا) وهو طريق الاتصال الرئيسي بين سوريا وفلسطين، حيث يوجد فيها مركز جمرك وإلى الشرق من النهر على المرتفع مركز الجمرك السوري، الجسر مدمّر من قبل الصهاينة والطريق إليها متعرجة من جهة الشرق أطلق عليها الصهاينة اسم (مشمار هاردن) (أي حارسة الأردن) يمكن التسلل إليها عبر مخاضة شمالية جنوبي بحيرة الحولة حيث ينفتح النهر وينخفض مستوى المياه، ويمكن مرور كل أنواع السيارات، حافتا النهر وقاعه صالحان لذلك. وأخرى جنوبي جسر كعوش غير صالحة للسيارات يمكن تسلل المشاة غرباً وشمال غربي من مجاري وديان جافة ومنخفضات وتلال.

كعوش قوية التحصين ببلوكوسات من الإسمنت المسلح لكنها معزولة ولا تحيط بها مستعمرات.

صباح /٦/٥/ جرى أول هجوم على كعوش من فوجي مشاة وسريتي فوج المدرعات الثاني، لكن الهجوم فشل وتراجع المشاة، كان الزعيم رئيس الأركان حاضراً، استدعاني وأمرني بالتدخل لوقف تراجع فوج المشاة غير المنظم وسدّ بعض

الثغرات وإبقاء باقي عناصر الهجوم غربي النهر تتمركز دفاعياً وقمت بتنفيذ أوامره.

نتيجة دراسة الأخطاء في الهجوم الفاشل والمعلومات التي حصلت عليها القيادة.. غيرت خطتها وعينت المقدم «محمود بنيان» آمر الكتيبة الثانية آمراً للهجوم ووضعت تحت تصرفه القطعات التالية:

(- سرية المغاوير - سرية متطوعين من فوج المدرعات الثاني وعددها /١٢٠/ تطوع لقيادتها الرئيس «برهان حسن» تقوم بعَمَلِ المغاوير وتحمل اسم السرية الثانية - الكتيبة الثانية (كتيبة الشركس) - فوج المدرعات الأول - فوجا مشاة).

ابتدأ التحضير لهذا الهجوم اعتباراً من /٦/٦ تمّ تشكيل سرية المغاوير واستطلاع الأرض ونقاط الدفاع من قبل الضباط على الطبيعة. مساء /٦/٩/ كان كلُّ شيء جاهزاً في ذلك المساء حضر المقدم «محمود بنيان» لمقر الفوج وطلب مني تحضير ماء ساخن وخيمة يستحم بها استعداداً للشهادة... «وهو ضابط شجاع وجريء ومتدين».

في ليلة /٩ - ٦/١٠/ أخذت القطعات أماكنها المعينة لها وفي الصباح بدأ الهجوم.

تقدموا حتى حدود البلد وحاصروها وباشروا باحتلال حصونها حتى سقطت جميعها.

في حوالي الساعة الثانية عشر وصل إلي القيادة ثلاثة أسرى منهم فتاة مقاتلة مهاجرة من تشيكوسلوفاكيا وعند بدء التحقيق معها طلبت أن تقتل بالرصاص لأنها أسرت في المعركة وهي تقاتل ولا ترغب حياة الأسر.

أثناء التقدم لاحتلال كعوش استشهد الرئيس «برهان حسن» آمر السرية المحمولة الثانية.

وفيما يلي نص تقرير تلقيته من الملازم أول «محمد علي هلال» الذي استلم قيادة السرية بعد استشهاد الرئيس «برهان حسن»....

الملازم الأول «محمد علي هلال» آمر السرية الثانية إلى آمر فوج المدرعات الثاني. . . بتاريخ ١٩٤٨/٦/٩ الساعة /٢٣،٣٠/ عبرنا مخاضة علمين وبتمام الساعة /٢٤،٠٠/ تمركزنا في الهضبة جنوب غرب كعوش. وبتاريخ ١٩٤٨/٦/١٠/ الساعة /٣،٢٠/ تقدمنا نحو تحصينات كعوش الجنوبية فاجأنا العدو في بساتين كعوش الجنوبية الشرقية.

تراجع تحت ضغط النيران. وقد أخلى العدو بعض مواقعه المتقدمة بعد استعمال قنابل (V.B) والقنابل اليدوية. احتللنا أماكن المنسحبين، أمّنا الاتصال بالمهاجمين المغاوير من الجهة الشرقية والغربية، في الساعة /٧،٣٠/ وصلنا المواقع المحصنة المحيطة بالقرية - هاجمنا هذه التحصينات وبدأنا باحتلالها وتطهيرها من العدو، في الساعة /١١،٠٠/ تمّ الاتصال مع قوات الرئيس «غزي» وقوات المشاة الأخرى. وبالاشتراك معهم قمنا باحتلال الحصون ثم البيوت حتى الساعة الرابعة عشر حيث أستسلمت المستعمرة. نتمركز دفاعياً غرب وجنوب المستعمرة لصد أي هجوم معاكس.

في تمام الساعة الرابعة عشر تمّ تحرير كعوش عين المقدم «محمود بنيان» آمراً لحامية كعوش والحاكم العسكري في الأراضي المحررة من فلسطين، في ذات الوقت تلقيت أمراً بعبور المخاضة جنوبي الحولة مع باقي الفوج تحت تصرف آمر الحامية واستلام مهام فوج المدرعات الأول الذي عليه أن يتراجع كاحتياط قيادة. أثناء سيرنا تلقينا برقية بإلغاء المهمة وكانت من العدو الذي دخل على شبكة اللاسلكي.

أخبرني العامل عن البرقية وكنت أسمعها ضمن مصفحة القيادة أجبته إنها من العدو لا تأبه لها.

بدأنا بالعبور تحت نيران رشاش رمي غير مباشر ومتقطع وقنابل هاون أحياناً، انطفأت محركات الآليات في النهر ولولا وجود قاطرة من فوج المدرعات الأول ساعدتنا على الخروج من الماء وسحبت الآليات لما تمكنّا من متابعة مهمتنا.

لاحظت أن هضبة شمال غرب المخاضة متحكمة بها غير محتلة ويمكن تسلل العدو إليها، اقترحت على آمر حامية كعوش أن يعين من يحتلها.

أرسلت أمراً بواسطة مراسل إلى ضابط مخابرات الفوج . . . إن الصهاينة دخلوا على شبكة الاتصالات اللاسلكية، يجب الاتصال مع المسؤول في اللواء من أجل تغيير التردد والرموز! . . كانت المهمة حماية كعوش من الغرب محور الطريق الرئيسي ومن الشمال الغربي باتجاه البقارة عينت مراكز الدفاع للسرايا المنقولة وحددت مهمات كل منها ومراكز سرايا المصفحات في الخط الثاني، وعدت إلى مركز الفوج غرب كعوش لنمضي أول ليلة في أرض فلسطين الحبيبة.

صباح /٦/١١ قرّر آمر الحامية توسيع رأس الجسر، أخذ آمر فوج المشاة الرابع أمراً باحتلال تل أبو الريش غربي كعوش والتمركز دفاعياً تدعمه سرية دبابات وأخذت أمراً مع فوج المدرعات الثاني باحتلال قرية البقارة شمال غرب كعوش.

إنضم إلى الفوج فصيل مصفحات من الدرك، قضينا على المقاومة وانسحب العدو من البقارة تابعنا التقدم واحتللنا التلال التي تحيط بها من الغرب والشمال وهي مواقع مشرفة على ما حولها وحصينة حيث تمركزت السرايا المنقولة خط أول وفي جوار القرية . تمركزت المصفحات خط ثاني.

في /٦/١٢/ أرسلت البرقية رقم /٢/١٣/ تاريخ ٦/١٢/ ١٩٤٨

آمر فوج المدرعات الثاني إلى آمر حامية كعوش.....

صدت قواتنا هجوماً قامت به قوى قادمة من الغرب والشمال الغربي الأرجح من نجمة الصبح بعد أن مهدت له بقصف هاون ورشاشات بغزارة وكثافة.

ابتدأ الهجوم الساعة /٠١،٣٠/ الواحدة والنصف من صباح ٦/١٣ وانتهى في الساعة العاشرة، خسائرنا جريحان الرقيب «إبراهيم حمود» جُرِحَ برأسه والجندي «خلف عبد الله» جُرِحَ بيده وقد أرسلا إلى المستشفى./

وقعت عدة إصابات بالعدو شوهد أحد القتلى يُسحب بالحبل كعادتهم.

في الساعة الخامسة أرسلنا فصيل الدرك تحت تصرف آمر فوج المشاة الرابع الذي تعرض لهجوم عنيف، شارك بالدعم فوج المدفعية - سرية الدبابات - وفصيل الدرك -

تكبد العدو خسائر فادحة، ولم يتمكن من نقل قتلاه فاراً بمن بقي إلا بعد انتهاء المعركة التي استمرت حتى الثانية عشرة والنصف بواسطة مراقبي الهدنة التي كانت قد بدأت ولم تنفّذ بعد، أجبت على برقية الرئيس «عبد الله الفرا» بما يلي:

إلى الرئيس «عبد الله»

أمّنوا شرب الجنود من الجُب الموجود في مقرّ قيادة الملازم «محمد هلال»، فور الانتهاء من تشييد الجسر سنأتي بصهريج الفوج - يوجد مقاومة أمام السرية الثانية - من غير المستحسن أن يتمّ النقل الآن، تلقينا أمراً بحفظ أماكننا مهما كلّف الأمر، تحت تصرفكم كل سريتكم بإمكانكم إبقاء نصفها بوضع استراحة، أعتمد عليكم.

آمر الفوج

١٩٤٨/٦/١٢

في المساء واحتياطياً للطوارىء أرسلتُ إلى ضباط المقر البرقية المستعجلة الآتية:

إلى الملازم الأول «ظافر»: اجمعوا كلّ الأفراد المفرزين لحماية المصالح واحضروا للالتحاق بالفوج مع تجهيزاتهم، لا تبقوا في المعسكر سوى الكتبة والطباخين واللازم لحماية الذخيرة.

- آمر الفوج -

- خسائر الفوج في معركة كعوش: (ثلاثة شهداء هم: الرئيس «برهان حسن» والرقيب الأول «مخائيل طبوسي» والعريف «حسن صالح إسماعيل» وسبعة عشر جريحاً).

صباح / ١٩٤٨/٦/١٤

آمر فوج المدرعات الثاني إلى آمر حامية كعوش

في ليل /١٣ - ١٩٤٨/٦/١٤ هاجم العدو آتياً من الشمال واحتل المرتفعات

شمال البقارة وقرية البقارة، وانسحبت منها إحدى سرايا الفوج السادس المكلفة بحمايتها.

وعلى الفور قمنا بهجوم معاكس بإمكانياتنا الخاصة ومدعّم بنيران المصفحات استردَدْنا القرية والمرتفعين قبل أن يتحصّن العدو فيها وسُلمت إلى الفوج السادس حيث تمركز فيها، وعاد إلى مواقعه في المرتفعات، غنائم أسلحة وألغام.

كان قرار بدء الهدنة قد اتخذ اعتباراً من صباح /١١/ حزيران/ ١٩٤٨ لكن القيادة كانت ترد على هجمات الصهاينة ولم تعلن عن تبلغ الأمر القاضي بوقف إطلاق النار.

وقررت توسيع احتلال منطقة كعوش من الشمال والغرب وتمّ بالفعل احتلال القرى والمرتفعات المشرفة اللازمة لحماية منطقة كعوش... المحررة.

وفي القطاع الشمالي تمّ احتلال تل العزيزيات من قبل الجيش بهجوم قوي، كما وأن العدو قام بعدة هجمات قوية ولكنه فشل في الوصول إلى أهدافه.

تاريخ /١٥/ ٦ مضى الليل بهدوء، بعض طلقات فردية لكن المخافر سمعت قصفاً بعيداً من قطاع بانياس حيث كان هجوم تل العزيزيات.

تلقيتُ برقية من السرية الثانية بأن الجنود بحالة من الإعياء ويطلبون إبدالهم، زرتهم في أماكنهم صباحاً كل سرية على حدة - مقر السرية ثم مع آمر السرية إلى المخافر الأمامية، وشرحت الوضع إلى آمري السرايا والجنود: «إن كل عسكريي الجيش قاموا بواجبهم مثلكم، وإن القوات التي سحبت من كعوش تهاجم في مكان آخر عليكم تحمل التعب في هذه الظروف الاستثنائية، حتى الذين في المؤخرة يعملون لتحضير الطعام وإيصاله إلى المخافر الأمامية وإن فرحتكم بالنصر على عدوكم تنسيكم التعب. إذ التعب مع النصر أفضل من الراحة مع الفشل. وأنتم الآن بأرض فلسطين. وجهودكم لم تذهب سدًى. هنيئاً لكم انتصاركم حتى الآن وثابروا بإنتظار إنتصارات أخرى. كان لهذا اللقاء ردّ فعل إيجابي، تعهد العسكريون جميعهم التغلب على التعب واستعدادهم لتنفيذ ما يطلب منهم بروح معنوية عالية.

يومي / ١٣ - ٦/١٤/ هدوء نسبي بعض طلقات فردية أثناء الليل. أمضينا هذين اليومين بتنظيف الأسلحة والاعتناء بالآليات وتحصين مواقع القتال من تعميق الحفر ومواقع الرشاشات. استقرت الهدنه لكن اليقظة واجبة لقد قام الفوج بواجبه خير قيام ضباط وصف ضباط وجنود ونفذوا كل المهمات بروح معنوية عالية وشجاعة نادرة. وبناء على طلب القيادة قدمت اقتراحات من أجل الترفيع والأوسمة.

أسجل أسماء الضباط الذين اشتركوا في هذه المعركة.

قيادة الفوج الملازم الأول «ظافر الجندي» آمر سرية المقر ومعاون آمر الفوج الملازم «أفرام سلاطيان» ضابط مخابرات الفوج.

سرية الرئيس «توفيق الشوفي»: الملازم «عزيز كيلو» الملازم «صبحي شربتجي» الملازم «أحمد حنيدي» الملازم «محمود هنيدي».

سرية الرئيس «عبد الرحمن شاويش» الملازم «توفيق جمال» الملازم «مصطفى دواليبي» الملازم «زهير عقيل» الملازم «عارف قنوت».

سرية الرئيس «عبد الله الفرا» الملازم «بشير صادق» والملازم «محمد النسر» والملازم «كامل رضا».

سرية الرئيس «برهان حسن» والملازم الأول «محمد على هلال» والملازم «حكمت داية» والملازم «أحمد زاهدة» والملازم «فضل الله كرباج».

في /١٩٤٨/٦/٢١/ قام رئيس الجمهورية السيد «شكري القوتلي» بزيارة الجبهة مع وزير الدفاع وقائد الجيش وجرى له استقبال رسمي.

ألقى خطاباً أشاد فيه بشجاعة الجيش وخص بالذكر بعض الضباط والشهداء اسمياً وبعض القطعات، ولم يأتِ على ذكر فوج المدرعات الثاني (والوحيد من عسكريي الفوج الذي نال وساماً هو الملازم الأول «محمد على هلال») لا الشهداء ولا الأحياء!..

طبعاً الرئيس يتكلم حسب المعلومات التي قدمت له، مما اضطرني إلى تقديم التقرير المرفق إلى قيادة اللواء الثاني.

الجيش السوري

اللواء الثاني | **من الرئيس «أمين أبو عسّاف»**

فوج المدرعات الثاني | **آمر فوج المدرعات الثاني لمقام**

رقم / ٢٢٣/ مم٢ | **المقدم آمر اللواء الثاني**

لي الشرف أن أرفع لمقامكم ما يلي:

منذ الخامس عشر من الشهر المنصرم والفوج في حالة الاستنفار التام يتلقى الليلة بعد الليلة الأمر بالمسير فلم يتوانَ قط عن تلبية الواجب، وإن السريتين المنقولتين كانتا دائماً في الخطوط الأمامية طيلة الأيام التي سبقت الهجوم على قرية كعوش وكم من مرّة دفعنا السريتين لتكونا على مقربة من أفواج المشاة المرابطة تشجيعاً لها، ورفعاً لمعنوياتها لما لمسه فيهما حضرة آمر اللواء السابق من معنويات عالية واندفاع حتى إنه طلب ضباطاً ورتباء من الفوج ليقضوا لياليهم في وحدات أخرى مما يبرهن على المعنويات القوية التي يتحلّى بها أفراد هذا الفوج ولم ينكرها عليهم آمر اللواء السابق!.

لأول مرة تخترق الجيوش السورية الحدود الفلسطينية من جهة كعوش اخترقتها فئتان من فوج المدرعات الثاني، إحداهما من الجنوب والثانية من الشمال وتمكنا من الوصول إلى مقربة من القرية وحرقتا بعض المزروعات ولغمتا خزان المياه، وللمرة الثانية هي سرية الشهيد الرئيس «برهان حسن» التي تقدمت الفوج الخامس واحتلت أماكنها حول القرية ولم تنسحب إلا بعد أن تقدم الفوج الخامس وفقاً للأوامر المعطاة.

وفي الهجوم الأخير مائة وعشرون جندياً من الفوج اشترك في عملية الاحتلال واستشهاد الرئيس «برهان» لم يؤثر على معنوياتهم بل تقدموا بقيادة الضابطين «محمد

هلال» و «حكمت داية» ودخلوا القرية من الجهة الجنوبية الجهة التي لم تطأها أقدام المغاوير ولم يتراجعوا حتى المساء حيث استُبدلوا ونتيجة هذه العملية كانت استشهاد أربعة وجرح سبعة عشر ومما يجب ذكره أنه عندما وُجِّهَ النداء لمن يريد الاشتراك بهذه العملية كان العدد أكثر من المطلوب، ومنهم من سريتي المصفحات وقيادة الفوج.

وفي مساء يوم الهجوم أمر فصيل مصفحات الدرك الموجود ضمن الفوج بمغادرة معسكر الفوج والمرابطة طيلة الليل في قرية كعوش وفي اليوم الثاني دخل الفوج بكامله واشترك باحتلال قرية البقارة وفي الليل أخذ مكانه في الخطوط الأمامية وصدَّ هجوماً عنيفاً قامت به الهاغاناه، مهدت له بنيران الهاون الكثيفة كما أن فصيل الدرك اشترك في مطاردة العدو طيلة اليوم الثاني بقيادة الملازم «عادل الميري».

وهكذا إلى أن كان اليوم الواحد والعشرون حيث شرف فخامة الرئيس الأول ليقلد الأوسمة لمن برهن على الجرأة والشجاعة، والفوج وحده مكلف بحماية كعوش وسراياه هي التي قامت باستقبال الرئيس الأول وتحيته، والجميع واثقون من الإتيان على أعمالهم ولكم كانت دهشتهم عندما انتهت المراسيم ولم يتسلم ما أصاب غيرهم حتى إنه لم يؤتَ على ذكر قتلاهم، والوحيد الذي أتى على ذكره هو الملازم «محمد علي هلال» يوم لم يتقاعس أحد منهم عن تلبية الواجب لم يتردد أحدٌ منهم عن تقديم نفسه رخيصة في سبيل إعلاء مكانة الجيش ومركز سوريا العالمي، فمحافظة على هذه المعنويات القوية التي يتحلى بها أفراد هذا الفوج أرجو أخذ اللوائح الاقتراحية المقدمة بتاريخ /٨/٦/٤٨/ تحت رقم /٢١٢/مم٢/ وبتاريخ /١٣/٦/ تحت رقم /٢/١٣/ ولائحة ضابط وأفراد الدرك المقدمة عن طريق آمر حامية كعوش بعين الاعتبار، وإن حضرة آمر اللواء وأركانه يدركون هذه الأشياء ويقدرون أعمال الفوج.

١٩٤٨/٦/٢١

أركان اللواء الثاني **التوقيع مع الختم**

الشعبة الأولى **خاص بالضباط**

رقم ٤٢٩/ي ض/١

يعاد لآمر فوج المدرعات الثاني

لإعلامكم بأن قيادة اللواء كانت قد اقترحت عند انتهاء المعارك الأخيرة ترفيع ومنح أوسمة لبعض عسكريي فوجكم الذين رأتهم أبلوا بلاء حسناً أثناء معركة كعوش وذلك عند تأخر ورود لوائح المستحقين لنيل المكافآت من عسكريي فوجكم.

وقد أخذت بعين الاعتبار هذه اللوائح واقترحت منح أوسمة للبعض منهم كما هو مبين بتعميمها رقم /١٤٦٩/ س/ ١/ الذي سيصلكم، ولما وردتنا لوائحكم التي تضم أسماء العسكريين الذين برزوا بأداء واجبهم، رفعناها مع موافقتنا لمقام القيادة لتقرر منح المكافآت المقترحة لكل منهم، ونأمل أن ينال كل منهم ما يستحقه، في اللوائح التي ستصدرها القيادة العامة قريباً والمشار إليها في حاشيتها المدونة على تعميمها المذكور آنفاً.

يتضح لكم مما تقدم أن قيادة اللواء لم تألُ جهداً لإيصال كل عسكري إلى حقوقه ومكافأته عند الاقتضاء، ومن المحتمل أن يكون عدم إتيان فخامة الرئيس الأول على الأعمال التي قام بها فوجكم لتأخر ورود لوائحكم وعدم عرضها مع باقي اللوائح التي كانت قد رفعت للقيادة العامة عقب انتهاء العمليات مباشرة.

١٩٤٨/٦/٢٧

آمر اللواء الثاني

المقدم «موسى يازجي» مع الختم

لقد أعادت قيادة اللواء الطلب مع تعليقٍ بعيدٍ عن الواقع

الفقرة الأولى: كيف عرفت قيادة اللواء الذين أبلوا بلاء حسناً أثناء المعارك وهي لم تتحرك مطلقاً لزيارة الجبهة ولم نَر أيّ ضابط من قيادة اللواء أثناء العمليات حتى ولا آمر اللواء نفسه بالإضافة إلى أن المعركة الهامة وهي احتلال كعوش وما يليها كانت بقيادة المقدم «محمود بنيان».

أما بشأن تأخير اللوائح لم يؤخذ بالاعتبار وجود سريتين من الفوج على خط التماس وصعوبة الاتصال معهم، وكذلك صعوبة الاتصال مع قيادة اللواء من الخطوط الأمامية.

كان على قيادة اللواء أن تحيل الطلب إلى القيادة العامة ولكنها لم تفعل، ربما لأنه يتناقض مع رأيها السابق، من واجب القيادة أن تحافظ على حقوق العسكريين أينما كانوا خصوصاً الذين يقومون بواجبهم على الخطوط الأمامية بعد معركة ناجحة، وبسبب لا مبالاتها لم يصل كثير من العسكريين إلى حقوقهم.

ومما يثبت إهمال قيادة اللواء، عدم ذكر أسماء شهداء الفوج مع الشهداء الآخرين لأن لوائح الخسائر ترسل فور انتهاء المعركة.

كان من واجب آمر اللواء أن يحقق بشأن تأخير اللوائح، وإذا ثبت الإهمال! محاسبة المسؤول عنه، وهو آمر الفوج! لا أن يعيد تقريراً يطالب بحقوق العسكريين الذين أبلوا بلاء حسناً في المعارك، ولكن قيادة اللواء هي المسؤولة ولا تخشى من يحاسبها!.

إن الملازم الأول «محمد علي هلال» قام بواجبه على أحسن وجه ولا اعتراض على منحه الوسام وهو يستحقه، ولكن كثيرين غيره من الضباط وصف الضباط وعرفاء وجنود قاموا بواجبهم مثله، وربما تعرضوا لصعوبات أكثر منه.

وتقليده الوسام يدلّ على أنه المرشح الوحيد الذي إقترحته قيادة اللواء وأهملت الباقي، أما في القطعات الأخرى فقد لاحظنا أن ضباطاً قد حصلوا على أوسمة دون أن يقوموا بعمل، هذا مع العلم أن اللوائح قدِّمت من الفوج بتاريخ /١٩٤٨/٦/٨/ و/١٣/٦/ منه وكان مجيء فخامة الرئيس في /١٩٤٨/٦/٢١/ .

إن القائد الذي يبقى بمكتبِهِ طيلة العمليات غير أهل للقيادة وتقييم أعمال مرؤوسيه!..

استمر الهدوء في الجبهة عاد سكان البقارة إلى قريتهم وكانوا قد هجروها أثناء القتال... يوجد قرًى وأملاك عربية في المنطقة وكان من الممكن احتلالها، لكن القوة غير كافية، ومن هذه القرى (الغنامة - الحنية - طليل - بستان الخوري).

أثناء الهدنة بدأنا التدريب، استناداً إلى أساليب العدو في القتال، وإلى الأخطاء التي حدثت من العسكريين أثناء القتال، وقد جرى تبديل الألوية.

استلم اللواء الأول بقيادة العقيد «أنور بنود» القطاع الأوسط وقيادته في مبنى الجمرك.

واستلم اللواء الثاني بقيادة المقدم «موسى يازجي» قطاع بانياس، وقد بقي فوج المدرعات الثاني في كعوش تحت تصرف اللواء الأول.

وما أن شارفت الهدنة على الانتهاء حتى شنَّ العدوّ هجوماً قوياً على تلّ «أبو الريش» غربي كعوش واحتل بعض المخافر، لكنَّ هجوماً قوياً معاكساً قوياً وسريعاً تمكن من ردِّ المعتدين، الخسائر فادحة من الطرفين - كان دور مدفعيتنا بارزاً تمكنت من أماكنها ويسدها الناري - في أراضي مكشوفة ومناسبة - منع النجدات من الوصول إلى العدو مما أجبره على التقهقر.

نقلي من فوج المدرعات إلى الكتيبة الأولى - وإلغاء الأمر

بتاريخ /١٥/٧/١٩٤٨/ تلقيت أمراً هاتفياً بتسليم قيادة الفوج إلى أقدم ضابط ريثما يصل الأمر، والتوجه إلى القنيطرة لمقابلة القائد العام، أثناء مروري من بناية الجمرك مقر قيادة اللواء، قابلتُ العقيد «أنور بنود» وطلبت مساعدته على عدم نقلي والبقاء في قيادتي؛ قال: هذا أمر القيادة، لم يأخذوا رأيي به، يجب تنفيذه. وصلتُ إلى القنيطرة وقابلتُ الزعيم «حسني الزعيم» في قيادته ومعه المقدم «محمد ناصر» والمقدم «عبد الرحمن مردم بك» من أركانه. قال: قررت نقلك إلى كتيبة الدروز قائداً لها!. أجبته لقد استلمت الفوج حديثاً وكان مضعضعاً وضعته على الطريق الصحيح وأظن أني أقوم بواجبي وأرغب البقاءَ فيه. قال: ننقلك لصالح الخدمة، وأعدك بإعادتك إلى المدرعات عندما تسير أمور الكتيبة. لأنك نجحت بقيادة الفوج. أذهب وأستلم قيادة الكتيبة، يجب القضاء على جماعة آل الأطرش وتريحني منهم. أجبت نحن في حالة حرب والجندي الذي يسلِّم دمه إلى رئيسه ويؤمنه على نفسه، يجبُ على هذا الرئيس أن يقدرَ الأمانة ولا يخونه!.

إذا استلمت قيادة الكتيبة لن أفرِّق بين جندي شعبي وجندي من حزب آل الأطرش وكلٌّ ينال نتيجة عمله. قال: سوف أسلمك الكتيبة لإصلاحها واسترجاع تل العزيزيات.

أجبت: الكتيبة موزعة على طول الجبهة من حدود الأردن في الحمة إلى حدود لبنان شمال بانياس في مخافر معزولة أحياناً، المخفر يؤمّن الاتصال بين قطعتين مختلفتين. وكل آمر قطعة ينسب المسؤولية إلى هذا المخفر. كيف يمكنني تحمل مسؤوليتها في هذا الوضع. أطلبُ أن تجمعَ الكتيبة خلف الجبهة خلال شهر لإعادة تنظيمها وتدريبها. قال: لايمكن؟. قلت خلال أسبوع! قال: لا يمكن - كررت عليه ورجعت إلى ثلاثة. أيام!. ورفض أيضاً. طلبت جمع الكتيبة وإعطائي مكان الفوج الذي يستلم أصعب مهمة في الجبهة. قال: لا يمكن، وخرج وكان كعادته يخرج أثناء الحديث.

قال الضباط «ناصر» و «مردم»: كيف تناقش الزعيم وهو يتحملك وليس من عادته؟

سألت: وأنتما ما رأيكما؟ لماذا لا تتدخلان وتبديان رأيكما؟

قالا: لا يمكننا التدخل. قلتُ: أفضّل أن يودعني السجن الآن أثناء نقاشنا لأسباب انضباطية؛ . . . من أن يودعني السجن أثناء العمليات بسبب الخيانة المزعومة!. إن ما يطلبه تعجيز وأنتما لا تبديان رأياً؟. وقد رجع.

صممتُ ألا أستلم قيادة الكتيبة للأسباب التالية:

- حتى لا اكون شريكاً في الانتقام بدون حق من جنود بإمرتي من الذين ينتمون لحزب آل الأطرش أو غيرهم. ولا أقدر على حمايتهم إذا صدرت أوامر مخالفة للقانون.

- واجباتي العسكرية التي أقدسها تقضي بأن أكون عادلاً في معاملة العسكريين الذين تحت إمرتي. وعدم إعطائهم ما يستحقون! أكان مكافأة أو عقوبة تعتبر خيانة!.

- حتى لا أكون شاهد زورا!.

عندما طلبت أن يجمع الكتيبة أو يعطيني أصعب مهمة يستلمها فوج في الجبهة. وبعد رفضي المساومة على حقوق جنود حزب آل الأطرش كنت أرغب في استلام القيادة لأني واثق من شجاعة الدروز وأخلاقهم. لكن لا يمكن السير على طريق. . لا تُعرف نهايته، وسأكون مسؤولاً عن كل مخالفة ضد القانون يرغبون تطبيقها. قررت ألا

أستلم قيادة الكتيبة. لأنهم لا يريدون إصلاحها! بل الانتقام من الجميع بدون تفريق بين (طرشاني أو شعبي) الظلم الذي لا يمكنني وقفه.

انتحلت العذر التالي وقلت له:

سيدي الزعيم: نحن في الجبل نطبق العادات العشائرية حتى الآن. ويوجد ضباط أقدم مني وضباط برتبتي من عائلات تأتي في الترتيب العائلي قبل عائلتي لا يمكنني قيادتهم. أعفني من هذه المهمة.

أجاب: إذن تكون معاوناً ونحن نختار آمر الكتيبة. وافقت على أهون الشرّين. (استلمت خلال خدمتي مهمات خطرة وصعبة وكنت أقوم بها نظراً لثقتي برؤسائي ولأن المهمات عسكرية وصريحة وضمن القانون. إلاّ هذه القيادة لم أجرؤ على تحمّل مسؤوليتها).

عُيّنَ المقدم «جميل ماميش» وهو من الضباط الذين بدأت خدمتهم أيام تركيا. آمراً للكتيبة وأنا معاون له.

ذهبنا إلى بانياس بعد أن تبلّغ المقدم «حمد الأطرش» الأمر بتسليم قيادة القطاع إلى المقدم «خليل حلو» آمر فوج المشاة. وقيادة الكتيبة إلى المقدم «جميل ماميش» وأنا معاون معه ويلتحق هو تحت تصرف القيادة.

وصلنا بانياس إلى مقر القيادة، وجدنا المقدم «حمد» والمقدم «حلو»، كان المقدم «حمد» منفعلاً. وجّه الكلام إليَّ وسألني: ماذا سيفعلون بي؟ أجبته: لا أعلم؟. قال: لقد هاجمنا تل العزيزيات وفشلنا ثم هاجموه مع سرية هجانة وفشلوا. وقد طلبوا مني تحضير خطة هجوم حضرتها... انظر... سألته: ما هي القطعات التي تهاجم بها؟ أجاب عناصر الكتيبة الموجودة هنا. أجبته: عناصر الكتيبة غير كافية هاجمت وفشلت وذهب منها قتلى وجرحى. كيف تقبل تحضير هجوم بعناصر غير كافية لتحقيق النجاح؟ لماذا لم تهاجموا بالهجانة والعناصر الموجودة من الكتيبة في وقت واحد؟. قال: الزعيم كان حاضراً وهذه أوامره! أجبتُ: تل العزيزيات حصين يلزمه قوة كبيرة لاحتلاله؟. قال: هكذا يريدون!.

وأخيراً توجهنا الضباط الأربعة إلى ك١ مركز الكتيبة الأولى مقابل تل العزيزيات المحتل من قبل العدو. وقبل وصولنا يوجد جسر وجدنا عليه حاجزاً من الحجارة وعدداً من جنود الكتيبة حيث أوقفوا السيارات وترجلنا.

قالوا: قائدنا «حمد الأطرش» لن نتخلّى عنه ولا نقبل سواه. حملوه على الأكتاف وبدون رضاه! بدأ الحداء. (تايه الشور يللي يحاربنا. . . .) ونحن وراءهم. عند وصولهم مركز الكتيبة الأولى قابلهم الملازم «أبو حسن الصباغ» رئيس النقطة قائلاً: ما هذا. . . (خربتوا بيت المقدم «حمد الأطرش») ما هذا العمل؟

دخلنا الغرفة الكبيرة. بقي الجنود مصرين على الاحتفاظ بموقفهم. لا نقبل قائداً إلا المقدم «حمد» وجاء بعضهم قائلاً لي: ليس لنا اعتراض على بقائك معاوناً!. قال لهم المقدم «حمد»: أنا منقول إلى قيادة أفضل من هذه!. يجب أن تبقوا تحت قيادة المقدم «جميل ماميش» لم يوافقوا رغم تنبيهنا لهم بمخالفة الأوامر. قال المقدم «جميل» كيف أستلم قيادة جنود ثائرين؟ هذا غير ممكن؟. ذهب المقدم «حلو» إلى الهاتف وطلب قيادة الجبهة أجابه المقدم «ناصر» طلب المقدم «حلو» بقاء المقدم «حمد» في قيادته وكرر القول يجب بقاؤه في قيادته لمصلحة الخدمة. لم نسمع، جواب المقدم «ناصر» ولكنه طلب أن يكلمني. سألني ما رأيك؟ قلت: لايمكن النقاش على الهاتف؟. تبقى الأمور على حالها وأحضر مع المقدم «حلو» إلى القنيطرة نناقش الموضوع وتقررون ما يجب عمله؟ وهكذا كان. ذهبت مع المقدم «حلو» كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة ليلاً. وصلنا القنيطرة. لم يكن موجوداً إلاّ المقدم «ناصر» شرح له المقدم «حلو» الوضع بالتفصيل. وطلب بقاء المقدم «حمد» في قيادته. سألني المقدم «ناصر» عن رأيي. قلت: إن الجنود خالفوا القانون العسكري، اعترضوا على نقل قائدهم. ثم قاموا بمظاهرة في الخطوط الأمامية وعلى مرأى من العدو وهذا لا يجوز. إذا كان عندكم قوة تستلم مكانهم أحيلوهم على المحاكمة وإذا كانت القوة غير موجودة. اختاروا الحلّ المناسب!.

المقدم «ناصر» ذكي وسريع البديهة قرر الآتي:

يبقى المقدم «حمد» آمراً للكتيبة والقطاع ويبقى معه المقدم «جميل» معاوناً.

المقدم «حلو» يبقى آمر فوجه. وأنا أعود إلى قيادتي...

كانت الساعة حوالي الواحدة من صباح /١٦/ منه. طلب مني المقدم «ناصر» أن أمضي الليل في القنيطرة حتى الصباح. نظراً لصعوبة السير ليلاً بدون أضواء.

لم أوافق؟ وعدتُ إلى كعوش وصلتها في الصباح وأنا لا أكاد أصدق أني تخلصت من هذه الورطة!.

مهمة سرايا الفوج واستلامي قيادة الهجوم على خان يردا

في /١٦/٧/١٩٤٨/ وعند وصولي إلى مقر قيادة الفوج حيث كان الرئيس «توفيق الشوفي» آمر الفوج بالوكالة وقد أخبرني أنهم تلقوا الأمر الآتي لعمليات اليوم:

سرية المصفحات الأولى بقيادته تدعم فوج المشاة الذي يهاجم مزرعة الخوري بالقرب من بحيرة الحولة والسرية الثانية بقيادة الرئيس «عبد الرحمن شاويش» تدعم فوج المشاة الرابع بقيادة المقدم «سامي حناوي» لمهاجمة خان يردا. وهو مركز دفاع قوي التحصين يقع على رابية مشرفة بناءه كبير مبني من الحجر ذو القطع الكبيرة وسماكة الجدار أكثر من متر له بابان فقط واحد من جهة الشرق والثاني من جهة الغرب. ولكي يدافع الصهاينة عن هذا الحصن من جهة الجنوب. اخترقوا الجدار تحت مستوى الأرض وحفروا خندقاً مسافة عشرين متراً وبعمق مترين كممر. وبنهاية هذا الممر تفرعت تحصينات جبهوية وفي العمق للدفاع عن هذا المركز الهام. باتجاه الجنوب والشرق والغرب.

في مثل هذه المهمات توضع سرية المصفحات تحت تصرف قائد الهجوم ويكون آمر السرية تحت قيادته المباشرة. وآمر فوج المدرعات ليس له عمل في هذه الحالات. ولكني رغبتُ في مراقبة هذا الهجوم مع سرية المصفحات الثانية ومن قاعدة الهجوم حيث الأرض مكشوفة على سفح تل حتى الهدف.

بعد إجتياز تل «أبو الريش» على طريق كعوش - منهايم روشبينا - صفد - وعلى مستوى خان يردا من جهة الجنوب بدأ تقدّم المصفحات غرب المشاة إلى اليسار باتجاه الخان شمالاً وسرية المشاة إلى اليمين. كنت أراقب الحركة من الطريق. وبعدما تقدموا

بتشكيلات القتال ورغم دفاع العدو فقد استعملوا النار والحركة حتى وصلوا قرب الخان وطالت وقفتهم. قررت أن ألحق بهم لأعلم سبب الوقوف. ذهبت بمصفحة القيادة لأجدهم واقفين بسبب النيران الغزيرة. وحتى في المصفحات يوجد إصابات!.

كنا لا نرى من العدو إلا مصدر النيران. فهو متحصن جيداً في خنادقه ومعه سلاح مضاد للدرع أيضاً. كان دفاعه المتقدم قد انسحب وهو الآن في مركز الدفاع الرئيسي. مكانه مرتفع قليلاً ويتحكم بالمشاة. ولا يمكنهم الحركة بسبب النيران الغزيرة المسلطة عليهم من أعلى. ونيران المشاة ليس لها تأثير على العدو، ولولا نيران المصفحات المؤثرة بسبب ارتفاعها كان الوضع أكثر صعوبة.

كنت بمصفحتي قريباً من المشاة. أتى الرئيس «البير كيلاجيان» آمر سرية المشاة المهاجمة وأعطاني برقية لإرسالها باللاسلكي إلى قيادة الفوج ومضى. وعند قراءتي البرقية وهذا نصها: (نيران العدو أوقفت حركتنا. أمّنوا لنا ذخيرة وماء وطعام) طلبت إليه العودة إليَّ. كانت الساعة حوالي الثانية عشر. سألته عن مهمته؟ قال: مهمة الفوج احتلال الخان سريّتي من الجنوب وسرية في الوسط من الشرق ومعها آمر الفوج وسريّة من الشمال. سألته: ألم تتصل بآمر الفوج؟ قال: انقطع الاتصال معه منذ الصباح. وسألته: كم يفصلنا عن العدو؟ قال: في حدود خمسة عشر متراً. قلت له: إذا أرسلنا البرقية وعرف العدو بمضمونها، وحاجتك إلى الذخيرة والماء والطعام ماذا يكون موقفه؟. أجاب: مسؤوليتي نحو جنودي تجبرني إعلام القيادة عن وضعي الحقيقي.

تبين لي أني أقدمُ الضباط في هذا الموقع والمسؤول الأول عنه. سألته: كيف وضع جنودك ومعنوياتهم؟ أجاب: معنوياتهم جيدة. قلت: إذن.. حضرهم للهجوم والمصفحات تدعمك بالنار والحركة. وسأستلم القيادة باعتباري الأقدم، وعندما تكون جاهزاً ارفع يدك. وانصرف... أعطيتُ أمراً لثلاث مصفحات لإسكات نار العدو والرمي من مواقعها أثناء تقدّم الهجوم، وثلاث مصفحات تتحرك إلى الأمام لتصل مقابل الجهة الغربية لمنع النجدات أولاً ثم الرمي على المنسحبين.

رفع الرئيس «البير» يده. وأعطيتُ أمر الهجوم. وقف (وكيل) وقال: من يرغب الهجوم يجب أن يُهاجم بمصفحاته - سقط في مكانه قتيلاً برصاص العدو وسار الهجوم بينما المصفحات تصلي الموقع ناراً حامية وأخرى تطوّق الخان وتساعد بنيرانها.

انسحب العدو من مواقعه إلى الخان ومنه اتجه غرباً في وادٍ سحيق أخفاهم عن الأنظار.

وصلتُ باب الخان من جهة الغرب، نزلت من المصفحة. نادى آمر سرية المصفحات بصوتٍ عال لينزل غيرك يستطلع الخان أولاً؟. ومعه حق بذلك... وهكذا كان. وعندما نزلت حيث كنت عطشاناً وجدت (خابية وعليها... طاسة مربوطة بسلسلة) أردتُ أن أشرب ولكني تذكرت غدر العدو وخشيت أن تكون مسمومة ولم أشرب.

رأيت آمر سرية المشاة هنأته مع جنوده بنجاح الهجوم وطلبت إليه التمركز غربي الخان وأن يؤمن حمايته، وبعد ذلك يحصي الغنائم الموجودة. عدتُ إلى مركز قيادتي. أخبرنا قيادة اللواء لاسلكياً عن سقوط خان يردا، أتى إليّ رقيب وقال: في الجهة الغربية أتت سيارة أطلقنا عليها النار. وقفت وهرب ركابها وتركوها. اسمح لنا أن نأتي بها. قلتُ: لا مانع ولكن خذوا الاحتياطات لئلا تكون تحت النار أو أنها ملغومة؟. ذهبت دورية ومعها «خليل سروبيان» وهو معلم إصلاح السيارات. وقد وجدوا كميوناً مصفحاً واقفاً بسبب انفجار أحد الإطارات الذي أصابه الرصاص. ركبوا إطار الاحتياط وأتوا بكميون مصفح يحمل /١٥/ فرشة صوف، احتفظتُ بواحدة ووزعت الباقي على المستحقين وسجلناها غنائم حرب.

عدتُ إلى الخان وجدت المقدم «سامي حناوي» قد وصل مع سرية. قلت له: استلم الخان وبوجودك انتهت مهمتي. قال: سيتم إخلاؤه بموجب أوامر قائد اللواء العقيد «أنور بنود». وكان مع الفوج هاتف يسير معه. ذهبتُ إلى الهاتف وطلبت آمر اللواء وسألته: هل صحيح سنخلي الخان؟ قال: نعم. قلت: ماذا نقول للجنود الذين دفعوا الثمن من دمهم وأرواحهم قتلى وجرحى؟ قال: هذا أمر. رجوته أن يؤجل أمر الإخلاء حتى أصلَ إلى القيادة وأقابله. وطلبت منه رافعات فوج المدفعية إذ لا يوجد عندنا رافعات لسحب المصفحات المعطوبة والعاطلة عن العمل. أجاب: سأعطي الأمر فوراً لتكون الرافعات تحت تصرفك. وأنا بانتظارك.

ذهبت إلى قيادة اللواء. كلمتُ قائد اللواء قائلاً: ما دمتم ستخلون الخان لماذا أعطيتم الأمر باحتلاله. ودفعنا الثمن شهداء وجرحى!. أجاب: لم نكن نعلم أنكم ستحتلوه؟. قلتُ: هو موقع ممتاز ومشرف. ومن المصلحة العامة الاحتفاظ به - قال:

إذا وصلت الجبهة إليه يلزمنا فوج بالإضافة إلى ما عندنا. وهذا الفوج غير موجود إذا كان حضرتك تعطيني فوجاً حتى أحتفظ به!. قلتُ: على كل حال يجب أن نسحب مصفحاتنا قبل إعطاء الأمر بالإخلاء.

كانت خسائر سرية المصفحات أربعة جرحى منهم الملازم «توفيق جمال» والرقيب «فارس عزّام». أما خسائر سرية المشاة فكانت ثمانية قتلى وخمسة عشر جريحاً، أما الغنائم فهي (أسلحة مختلفة - رشاشات - بنادق - قنابل يدوية - وذخيرة). ومن الملفت للنظر أن ذخيرة الأسلحة الفردية كان تاريخ صنعها الفصل الثاني من عام /١٩٤٨/ أي أنها وصلت أثناء الهدنة!.

عدتُ إلى مكتب قيادة الفوج في كعوش لأجدَ البرقية التالية: برقية رقم /٧/ ٣ ب.ع.

إلى قائد واحد اثنين وجسم وكفر وكسب....

يلغى مفعول الأمر الإداري رقم /١٣/ع.ب بتاريخ ١٥/٧/٤٨:

يعود الرئيس «أبو عساف» حالاً لقيادته ويبقى المقدم «ماميش» معاوناً لآمر كسب.

(وألغِيَ أمر النقل) **التوقيع**

القائد العام

أي الأمر الذي ذهبت بموجبه لأستلم قيادة الكتيبة بموجب برقية القائد العام.

عند بدء الظلام جرى انسحاب الفوج الرابع من خان يردا دون أن يشعر العدو. إذ بمجرد مغادرة الخان من جهة الشرق يبدأ النزول ولا يوجد مراقبة للعدو تشرف عليه. وبحلول الساعة /٢١،٠٠/ التاسعة ليلاً بدأ قصف عنيف مدفعية وهاون ورشاش، استمر حتى منتصف الليل حيث شنَّ العدو هجوماً قوياً وأعاد احتلال الخان ثانية.

قصف للطيران الإسرائيلي وإصابتي بجراح

فاجأتنا قوة العدو - بعد الهدنة - بعد أن كان طيرانه بدائياً إذ به يزجّ في المعركة أحدث الطائرات ذات الأربعة محركات ومدفعية ثقيلة وهاوناً ثقيلاً. لم يكن يملكها من قبل!.

الصهاينة لديهم الإمكانيات دائماً لاستعمال أي سلاح. وليسوا بحاجة إلى تحضير الفنيين. الطيارون وغيرهم من كلِّ الدول الشرقية والغربية التي فيها يهود يأتون إلى (إسرائيل) وبصورة خاصة من الولايات المتحدة الأمريكية حيث يسمح لأي كان بالتطوع في إسرائيل دون أن يفقد الجنسية الأمريكية.

في ١٩٤٨/٧/١٧ هاجمت خمس طائرات صهيونية. ثلاثٌ قاصفة واثنتان حماية. استهدفت جسر كعوش الذي شيدته هندسة الجيش السوري على نهر الأردن ولكنها لم تصبه بأذى لأن المدفعية تصدت لها ولم تمكنها من تدميره، وقصفت القيادة في كعوش. أصِبْتُ بجراح عدة في الكتف وهو الأخطر والرأس والعين والشفة من جهة اليسار والساق الأيمن. وسقط من الفوج قتيلان وخمسة جرحى.

بعد انتهاء الغارة ذهبت إلى مستوصف كعوش. قال الطبيب: يجب أن تذهبَ إلى مستشفى الميدان في القنيطرة - قلت له: لا لزوم لذلك. فالإصابات خفيفة. اتصل الطبيب بآمر اللواء وأخبره بأنه يريدُ تحويلي إلى القنيطرة. وأنا أرفض ذلك وأطلبُ أن أعالجَ وأبقى في الجبهة - اتصل معي آمر اللواء العقيد «أنور بنود». وقال: يجب أن تتقيد بأوامر الطبيب.

ذهبت إلى القنيطرة. وحاولت أن تكون المحطة الأخيرة. فلم يوافق رئيس الأطباء. وقد أحالني إلى مستشفى الشهيد «يوسف العظمة» في المزة حيث بقيت عشرة أيام. وعلى أثر وصول جرحى من الجبهة خرِّجوا غير الخطرين وكنتُ منهم مع نقاهة لمدة أسبوعين.

وقد زارني في المستشفى مندوب عن رئاسة الأركان. وأرسلت هدية (علبة حلوى)

من وزير الدفاع ورئيس الوزراء «جميل مردم بك» ولم تتمْ الزيارة لعدم الازعاج.

إن العناية الطبية كانت جيدة جداً. منذ مستوصف كعوش وحتى مستشفى الميدان في القنيطرة إلى مستشفى الشهيد «يوسف العظمة» وقد قام الأطباء بعملهم خير قيام مع تأمين الهدوء التام.

ولا أنسى يوم وصولي إلى المستشفىٰ حيث أخذ الألم يشتد. وبعد معالجتي من قبل الطبيب ووصولي إلى غرفتي قالت لي الممرضة التي كانت تقوم بواجبها على أكمل وجه: أريدُ أن أنظِّفَ وجهك؟ وأنا لا أعلم أن وجهي معفر إلى هذه الدرجة. وقد نظفت وجهي بالقطن المبلل. ثم قالت: أريد أن أجلبَ ماءً لتنظيف رجليك؟. قلت لا يمكنني ذلك لصعوبة الحركة!. قالت: أنا أنظفها. جلبت الماء وغسلت رجليَّ. بارك الله بتلك الممرضة إنها ملاك الرحمة بحق. ومن المؤسف جداً أنني نسيت اسمها حتى أسجله هنا اعترافاً بجميلها.

أمضيت ليلة مريحة بدون مسؤوليات وهدوء تام رغم ألم الجراح الذي اشتد. بعد انتهاء النقاهة في /١٩٤٨/٨/٧/ عدت إلى الجبهة لأجد الفوج في مسعدة في الخط الثاني يقوم بالتدريب - وقيادة اللواء الثاني في بانياس. كانت الهدنة الثانية الدائمة قد فرضت من قبل الولايات المتحدة الأمريكية. ليستغلّها الصهاينة في تحسين مواقعهم والحصول على أسلحة من وقت لآخر. وبقيت قطعات الجيش السوري تحتل الأراضي الذي استولت عليها في فلسطين.

انصرفنا إلى التدريب. وإتمام نواقص تجهيزات الفوج من أسلحة وآليات وألبسة وتحضير الفوج لتلقي الأوامر.

النقل من الفوج وتعييني رئيساً للشعبة الثالثة

في أركان اللواء الثاني:

بتاريخ /٨/ ٩/ ١٩٤٨/ فوجئت بنقلي من قيادة الفوج. وتسليمي قيادة سرية ضمنه وتعيين الرئيس «صلاح الدين النحاس» الذي ادعى المرض أثناء تحرك الفوج إلى الجبهة آمراً للفوج.

قابلت آمر اللواء وسألته عن سبب نقلي؟ قال: هذه أوامر القيادة. قلت: ما رأي آمر اللواء بالموضوع... بإمكانك التدخل لمنع النقل والمحافظة على حقوق مرؤوسيك إذا كنت غير مقتنع بهذا النقل!. قال: أنا لا أتدخل. عندها طلبت مقابلة قائد الجيش. وقد أرسل اللواء برقية بذلك.

عندما بدأت الهدنة الثانية الدائمة. كانت القيادة قد نقلت كل آمري الأفواج القدماء وجميعهم بدؤوا الخدمة في عهد الأتراك. نظراً لتقدمهم في السن. ولعدم أهليتهم وهم برتبة مقدم وعينتهم في قطعات غير محاربة - ومراكز ثابتة. وعينت مكانهم ضباطاً شباباً برتبة رئيس إلاّ المقدم «سامي حناوي» رُفِعَ لرتبة عقيد واستلم قيادة لواء.

كان الفرنسيون قد أخروا ترفيعي عن سابق تصور وتصميم. ورفعوا رفاق دورتي إلى رتبة رئيس مؤقت. ولما أتى التصنيف من قبل القيادة السورية. بدلاً من تصنيفي مع رفاقي برتبة مقدم! صنفوني برتبة رئيس وكنت رقم (١) واحد أي أقدم ضابط برتبة رئيس في الجيش السوري من الذين تمّ تصنيفهم. تنفيذاً للبرقية رقم /١٣١٦/ ١ب بتاريخ /٨/ ٩/ ١٩٤٨/ الصادرة عن القيادة العامة وبموجب أمر مهمة موقّع من آمر اللواء سافرتُ بتاريخ /٩/ ٩٠/ ٤٨/ إلى دمشق في سيارة عسكرية كي أقابل معاون القائد العام المقدم «بهيج كلاس».

أمام معاون القائد العام شرحت ما يلي:

منذ بدء العمليات، طلبت الالتحاق بالقوات المقاتلة. بتاريخ /٢٥/٥/١٩٤٨/ اسنِدَت إلى قيادة فوج المدرعات الثاني بعد أن أحجم ثلاثة ضباط عن قيادته اثنان برتبة مقدم، وقد كان الفوج مضعضعاً، حيث إنّ العدو قد فاجأ بعض وحداته وأحرق مصفحتين. وبعد أن استلمته أصلحتُ وضعه، ونفذت معه كل المهمات التي طلبت من قبل القيادة. وبصورة خاصة الاشتراك باحتلال كعوش والبقارة، والمشاركة في احتلال خان يردا المحصّن وغيرها من المهمات وقد جرحت وأنا في الجبهة. وعندما انتهى القتال!... وبينما كنت أنتظر المكافأة. أُنحّى عن قيادتي! ويُؤتى بضابط قديم ادعى المرض ولم يشترك في العمليات مطلقاً ليستلم القيادة!. إن كان هناك سبب يجب إعلامي عنه!. وهل الذي يصلح للقيادة أثناء القتال لا يصلح لها أثناء السلم؟.

إن رفاق الرئيس «صلاح الدين النحاس» القدماء في الخدمة من الضباط - وقد قادوا أفواجهم أثناء العمليات، نقلوا من قيادتهم. ليأتي ضباط شباب يستلموا مكانهم بقصد التجديد. أما الرئيس «نحاس» الذي لم يشترك في العمليات وكان آمراً لفوج المدرعات الثاني ولم يرافقه إلى الجبهة!. يعود ليستلم قيادته بعد انتهاء العمليات!.

عند استلامي قيادة الفوج كنت الضابط الوحيد برتبة رئيس الذي يُعهَدُ إليه بمثل هذه القيادة!... الآن كل قادة الأفواج برتبة رئيس وأنا أقدم منهم أعَيَّنُ لاستلام سرية في الفوج الذي قدتهُ أثناء القتال!.

وكان جواب المقدم «بهيج» الآتي: لا يوجد سبب يستوجب نقلك إنما الزعيم وعدَ الرئيس «صلاح» بقيادة الفوج من أجل ترفيعه. وكل ما يمكن عمله هو نقلك من الفوج رئيساً للشعبة الثالثة في أركان اللواء الثاني. جواب غير مقنع، لأنهم يستطيعون ترفيعه أينما وُجِدَ كما فعلوا بالترفيع فيما بعد.

ألغِيَ أمر النقل الأول وصدر الأمر رقم /١٥٠١/ س ص /١/

يُنقل الضباط الآتية أسماؤهم فيما يلي اعتباراً من ١٦/٩/١٩٤٨/ :

الرئيس «صلاح الدين النحاس»	لقيادة فوج
الرئيس «أمين أبو عساف»	المدرعات الثاني
للشعبة الثالثة في أركان اللواء الثاني	رئيساً

وكان تعليق آمر اللواء التالي: يلتحق الضباط بقطعاتهم المنقولين إليهما فورَ تلقي هذا الأمر وبعد تسليم ما بعهدتهم إلى الخلفاء. على أن يتمّ التنفيذ قبل ١٧/٩/١٩٤٨.

التحقت بأركان اللواء، واستلمت عملي. لا يوجد في أركان اللواء سوى الرئيس «فيصل الحسيني» وهو معين رئيساً للشعبة الرابعة إنّما يشرفُ على كلٍّ الشعب لعدم وجود ضباط.

قال آمر اللواء: أنتَ تهتم بالشعبة الثالثة فقط. والرئيس «فيصل حسيني» يشرفُ على باقي الشعب. لأني أتخذه كمعاون لي ويبت في كل الأمور بغيابي. أجبته: بإمكانه الإشراف على باقي الشعب بتكليف منك دون أن يكونَ معاونك... أما في حالِ غيابك الضابط الأقدم يستلم المسؤولية.

قال: اعتباراً من صباح الغد تذهب إلى الخطوط الأمامية، وتتعرف على وضع المخافر في قطاع اللواء. من حدود لبنان شمالاً حتى مخفر العقدة جنوباً. ذهبت... أمضيت ثلاثة أيام، زرت كلَّ المخافر. وتأكدت أن رؤساء المخافر يعرفون واجباتهم. وزرت أيضاً مقرات الأفواج ثمّ عدتُ.

أخبرت آمر اللواء عن انتهاء مهمتي وعن ملاحظاتي. قال: عدت بسرعة! هل تأكدت أن الرشيشات من أماكنها تتمكن من تنفيذ مهماتها وسائر أفراد الحضيرة؟. قلت: هذه مهمة آمري الفصائل والسرايا. قال: يوجد إهمال عند البعض منهم. أطلبُ منك أن نتأكد من وضع كل رشيش عملياً... أي تنبطح خلفه وإذا كان مكانه غير مناسب تغيير مكانه لتكون ساحة الرمي مناسبة ويتمكن من تنفيذ مهمته وإصلاح الأخطاء التي تكتشفها.

مهمةٌ غريبة رئيس الشعبة الثالثة يقوم بوظيفة آمر حضيرة!. ليتأكد أن الرشيش في مكانه المناسب!. . . بينما هذا الأمر من مسؤولية آمر الفصيل الذي يراقبُ آمر الحضيرة، وما عمل آمر السرية وآمر الفوج؟ لكن الواضح أن هذه المهمة هي لإبعادي فقط.

ذهبتُ وأمضيت خمسة أيام. زرت كلَّ المخافر وأماكن الرشيشات وأماكن القتال والمراقبة. وجدت أن شريط الهاتف ملقى على جانب الطريق الترابي وهو الذي يربط القيادة بالمخافر وهو قريب من حدود فلسطين. ونظراً لبعد المخافر عن بعضها. كانت دوريات العدو تتسلل في - أحيان كثيرة وتربط خطاً بهِ وتسحبه إلى داخل فلسطين للتنصت وأحياناً يتكلّم الصهاينة مع المخافر.

اقترحت إبعاد خط الهاتف عن الطريق إلى الداخل. وبما أن الإقامة دائمة لوضع أعمدة خشبية. وقد وجدت في مخفر تل خنزير هاون / ٦٠/ مم بدون منظار حيث قالوا لي إنه وصل حديثاً وبدون منظار هكذا.

في أحد الأيام كان قائد الجيش يزور المنطقة أعطى آمر اللواء المقدم «موسى يازجي» أوامره إلى الرئيس «حسيني» بدون معرفتي. وكأني غير موجود! جمع الفصيل الذي سيؤدي التحية. وذهب آمر اللواء لاستقبال القائد العام والحضور معه.

نزلت من المكتب لأرى ما يحدث. وجدت كلَّ شيء جاهزاً. لم أحتَمِلْ أن يقدِّمَ الرئيس «حسيني» فصيل الشرف بحضوري وأنا الأقدم. أو عزتُ إليه أن يدخلَ بالصف لأني سأستلم القيادة. قال: أنا معاون آمر اللواء. قلتُ: أنا الأقدم.. تخلّى عن القيادة، قدّمتُ السلاح وجرت المراسم حسب الأصولِ بقيادتي. كنت أشعر بمدى الألفة الزائدة عن الحد بين آمر اللواء والرئيس «فيصل حسيني» وكأن قيادة اللواء مِلْكٌ لهما ولا يريدان شريكاً.

في /٧/ ١٠/ صدر أمر بنقلي إلى فوج المدرعات الثاني آمر سرية مكان الرئيس «عبد الرحمن شاويش» المنقول إلى مكان آخر بعد عشرين يوماً فقط من استلام الشعبة الثالثة في أركان اللواء الثاني - النقل الذي تمَّ بعد مقابلة معاون القائد العام. لم يشأ آمر اللواء مساعدتي وطلب مني أن أنفذ الأمر ثم أراجع.

التحقت بالفوج واستلمت السرية من الرئيس «عبد الرحمن شاويش» بموجب محاضر تسليم واستلام تاريخ /٨/ ١٠/ احتفظ بها حتى الآن.

وفي ذات الوقت تقدمت بطلب إلى القيادة. أعرض الوضع باختصار. وأطلب نقلي إلى قطعة أخرى. . . لم أطلب المقابلة لأن المقابلة الأولى لم يمضِ عليها عشرون يوماً. أبرقت القيادة: أن أسلِّمَ السرية إلى الملازم الأول «فضل الله كرباج» من نفس الفوج. جرت عملية التسليم والاستلام. واحتفظ أيضاً بنسخة عن المحاضر. . . ثم أذهب لمقابلة معاون القائد العام. وضعوا تحت تصرفي سيارة (جيب) سافرت لمقابلة معاون القائد العام. بلَّغني المقدم «بهيج» أني عُيِّنْتُ ضابط ارتباط مع الرتل السعودي الذي سيصل إلى سوريا. وعليَّ الذهاب إلى مخفر جمرك أبو الشامات لانتظاره هناك. حتى يصل وأعلم القيادة. سألتُ: متى سيصل؟ أجاب: لا نعلم.

طلبت أن أبقى في دمشق بانتظاره. - أجابَ: يجب أن تذهب إلى مخفر «أبو الشامات» وتبقى هناك حتى يأتي. استلمت قسائم بنزين للسيارة وذهبت. (شيء غريب رتل سعودي سيصل إلى سوريا دون معرفة الزمان!!! رغم وجود الهاتف واللاسلكي والسيارة والطائرة!!).

في /١٠/ ١٠/ ذهبت إلى مخفر أبو الشامات. ولولا وجود مخفر الجمرك وإعطائي غرفة للنوم فيها سرير. واشتراكي في المطعم الذي يأكلون فيه. كنت سأبقى في العراء!. بقيتُ أنتظرُ الرتل الذي لم يصل حتى /١٩/ ١٠/ ١٩٤٨/ . عندها بلغتُ التعليمات التي أُعطيت لي خطياً، إلى رئيس مخفر أبو الشامات على نسختين وَقعتُها ووقع هو عليها. سلمته نسخة واحتفظت بالثانية وهي باقية عندي حتى الآن. وفيما يلي صورة طبق الأصل عنها:

«سرّي» تعليمات إلى رئيس مخفر أبو الشامات

في حال دخول إحدى الوحدات السعودية الأراضي السورية. يجب إعلام معاون القائد العام للجيش والقوات المسلحة المقدم «بهيج كلاس».

في حال وصولها إلى أبو الشامات

١- التمثل أمام آمرها. ويطلب منه قضاء أربعِ وعشرين ساعة في «أبو الشامات» شرقي المخفر وراء المرتفعات. بينما يحضر مندوبٌ عن الجيش ويدرس لوازمهم.

٢- تقديم كل مساعدة تلزم خصوصاً الماء.

٣- إعلام معاون القائد العام المقدم «بهيج» فور وصولهم.

١٩٤٨/١٠/٩

العريف «جميل السمان» **الرئيس «أمين أبو عساف»**

رقم /٣٥١٧/ **التوقيع**

التوقيع

عدتُ إلى معاون القائد العام. وقلت له: حتى الآن لم يصل الرتل السعودي ونحن في عصر السرعة. التعليمات التي أعطيت لي شفهياً سلمتها إلى رئيس مخفر أبو الشامات خطياً كي يقومَ بتنفيذها. ولا ضرورة لبقائي هناك. وعرضت عليه النسخة التي معي. (هذا مع العلم أن الرتل السعودي لم يصل مطلقاً إلى سوريا). اعترضت على هذه المعاملة الشاذة. وقلتُ: حتى الآن تقلَّدتُ قياداتٍ هامة. ونفذت مهمات خطيرة وناجحة في خدمة وطني، وسأبقى على استعداد لبذلِ دمي في سبيله. وبدلاً من مكافأتي على ما قمت به من أعمال ونفذت من مهمات. أرى أنه ليس لي مكان في الجيش السوري!. إذا كان من أسباب أجهلها لهذه الإجراءات أحيلوني إلى المحاكمة.

قال المقدم «بهيج»: لا يوجد شيء من هذا. اذهب اليوم مأذوناً إلى السويداء عند عائلتك والتحق غداً بالكتيبة الأولى في القنيطرة معاوناً لآمر الكتيبة.

نقلي معاوناً لآمر كتيبة الفرسان الأولى

صدر الأمر بتاريخ /٢٠/١٠/١٩٤٨/ بنقلي من سرية مقر اللواء الثاني إلى كتيبة الفرسان الأولى معاوناً لآمر الكتيبة المقدم «جميل ماميش». التحقت بمقر الكتيبة في

القنيطرة.

كان تمركز وحدات الكتيبة كما يلي: استناداً إلى البيان رقم /٣٣٩/ك ف١/ تاريخ /٢٨/ ١٠/١٩٤٨/ المقدَّم إلى القيادة.

مقر الكتيبة الآمر النائب الأول «محسن الصفدي» يؤمن مخافر مراقبة الطيران على تلِّ أبو الندى وتلِّ الخشنية. وحراسة مشفى وبريد ورحبة القنيطرة - مفرزة قطنا للاعتناء بالرواحل.

الكوكبة الأولى: آمرها الرئيس «عبد الغفور حميدان» مخافرها (ك.١ ك.٢ المقر).

الكوكبة الثالثة: آمرها الملازم «عبد الغني قنوت» مخافرها (عمرة الأحراج... ك.٤ ك.٣ ف٤ .ك٥).

الكوكبة الرابعة: آمرها الملازم الأول «خطار حمزة» مخافرها (الدرباشية - راوية - تل هلال - غرابة).

الكوكبة الثانية: آمرها الملازم «فرحان الجرمقاني» مخافرها (سكوفي - شكوم - الكرسي - الدوقة).

يوجد مفرزة في معسكرات قطنا بقيادة الضابط المحاسب الملازم «عبد الرحمن شومان» للاعتناء بالرواحل، مع مكتب محاسبة الكتيبة. أي انتشار الكتيبة من الحدود اللبنانية حتى سكوفي بجوار فيق. أثناء العمليات كانت تصل مخافر الكتيبة حتى الحمّة على الحدود الأردنيَّة.

أثناء مرورهم من القنيطرة جاء للسلام عليَّ إفرادياً الضباط «سلمان الشعراني» و«جميل زهر الدين» و «خطار حمزة» وقالوا: إنهم يائسون من المعاملة الشاذة ويفكرون بالاستقالة!. قلت لهم: الاستقالة تعادل الفرار من المعركة. ونحن نخدم وطننا وهذا واجب لن نتخلّى عنه. ونظراً لقدمنا في الخدمة. يمكننا المقاومة والاحتمال. حتى يبقى باب الكلية العسكرية مفتوحاً أمام شباب الجبل مهما كان نوع الظلم الذي ينالنا!. حضروا أنفسكم لما هو أقسى وأعظم وهو التأخير في الترفيع!. ولا بدَّ من إصلاح

الأمور!.

المعارك التي اشتركت بها كوكبات الكتيبة الأولى أو مخافرها

عندما عُيِّنتُ في / ١٥/ تموز لاستلام قيادة الكتيبة الأولى، ثمَّ أُلغِيَ الأمر، كانت القيادة ترغب الانتقام من المقدم «حمد الأطرش» ومن الدروز عامة! لأن العدو احتلَّ تل العزيزيات!. هذا الموقع الحصين من أرض فلسطين، وهو مشرف على مستعمرات العدو وعلى الجبهة السورية. وبصورة خاصة طرق المواصلات فيها. (طريق القنيطرة - بانياس) و (بانياس -ك١ - العقدة). ومن يحتله يتحكم في تلك المنطقة على الجانبين.

طلبت من الوكيل الأول «صالح العطار» أن يشرح لي ظروف معركة تل العزيزيات فأعطاني المعلومات التالية:

«على أثر إحتلال تل العزيزيات من قبل الجيش السوري وطرد العدو منه. كان المقدم «حمد الأطرش» آمر الكتيبة وقائد القطاع. سأله الزعيم القائد العام للجيش والقوات المسلّحة: كيف ستؤمن حماية التل؟. أجاب المقدم «حمد» أرغب تعيين سريّة لحمايته. قال الزعيم: لا لزوم إلى سريّة هنا مخفر من حضيرة أو نصف حضيرة كافية لحمايته.

فاجأ العدو هذه القوة وطردها واستولى على التل؟.

حضر الزعيم القائد العام وأعطى أمراً إلى المقدم «حمد» باسترجاع التل بوسائط الكتيبة الخاصة الموجودة في تلك المنطقة. لأن باقي الكتيبة موزع على مخافر على طول الجبهة.

جمع المقدم «حمد» كل العناصر المتوفرة وهي لا تتعدى نصف سريّة. وأمرها باحتلال ذلك الموقع المشرف الحصين. تقدمت هذه القوة حتى أوقفتها النيران وأجبرتها على التقهقر تاركة قتلى وجرحى......

لم يكن الزعيم مرتاحاً لهذه النتيجة ووجه ملاحظاته إلى المقدم «حمد» ومنها (سوف ترى كيف نسترجع هذا التل من قبل سِباع البر). جاء بسرية هجانة وأمرها بالهجوم. تقدمت قليلاً ولم تصل إلى المكان الذي وصل إليه أفراد الكتيبة ووقع قتلى وجرحى وتقهقرت.

علّق المقدم «حمد» قائلاً للزعيم: أين سباع البر؟ تتدخل في شؤون لا تتحمل مسؤوليتها!. رغبتُ وضع سريّة لحماية التل فلم توافق!. والآن أعطيت أمراً بتنفيذ هجومين فاشلين! في حين كان الزعيم يركب سيارته ويغادر المكان».

لقد أخطأت القيادة مرّتين: الأولى عندما لم تعين قوة كافية لحماية تل العزيزيات، هذا الموقع الهام. والثانية عندما هاجمته بقوة غير كافية أيضاً. ولماذا لم يكن الهجوم بهاتين القوّتين مجتمعتين مع دعم بالنيران من المدفعية والرشاشات.

عادت القيادة وطلبت من المقدم «حمد» تحضير خطة هجوم على تل العزيزيات بوسائط الكتيبة الخاصة الموجودة في تلك النقطة. نفذ الأمر بدون نقاش وكنت قد اطلعتُ على هذه الخطة عندما حضرت مع المقدم «جميل ماميش» ليستلم قيادة الكتيبة.

تابع الوكيل الأول «صالح العطار» حديثه قائلاً:

«عاد الزعيم إلى أركانه. وطلب تحضير هجوم لاستعادة تل العزيزيات. وبعد الدراسة شَكّلتُ قوّة للهجوم من: فوجي مشاة.. الكتيبة الثانية بكاملها - عناصر الكتيبة الأولى في ك١ - فوج المدرّعات الأول.

قبيل الهدنة بتاريخ /١٧/٧/١٩٤٨/ قامت هذه القوة بالهجوم وبدعم من الطيران والمدفعية. تمكنت من احتلال التل وطرد العدو مدحوراً مع خسائر من الجانبين».

بيان بالمعارك التي خاضتها وحدات الكتيبة الأولى

أو مخافرها حسب سجلات الكتيبة

تاريخ المعركة:

/ ٢٠/ ٥/ ١٩٤٨/ الهجوم على دكانيا: اشتركت الكوكبة الرابعة بالهجوم على دكانيا جنوبي بحيرة طبريا.

الخسائر: جرحى الملازم الأول «خطار حمزة» آمر الكوكبة، الوكيل «حسين أبو الفضل»، العريف «يحيى الحمدان»، الجندي «جديع عزام»، الجندي «طلال كرباج» والجندي «جابر المحيثاوي».

/ ٥/ ٦/ ١٩٤٨/ حصار طوبا: من الشهداء العريف «حسين كيوان» الكوكبة الرابعة.

/ ١٢/ ٦/ ١٩٤٨/ هجوم العباسية من تل خنزير:

الشهداء: نائب أول «أنيس الجباعي»، الجندي «فندي الشعراني» الكوكبة الأولى.

الجرحى: العرفاء «كامل العميري» و «منصور الجباعي» والجنود: «نقولا العيد» و «حمود غزالة» من الكوكبة الأولى.

الهجوم على كفر سلط: الشهداء: الجندي «شاهين معالي» - الكوكبة الرابعة.

/ ٩/ ٧/ ١٩٤٨/ معركة تل العزيزيات:

الشهداء: نائب أول «صياح أبو دهن» و «هندي العبد الله» والجنود: «سليمان حديفي» و «عطيه الجابر» من كوكبة القيادة.

/ ١٠/ ٧/ ١٩٤٨/ مخفر الدردارة: جريح الجندي «فهد نصر» - الكوكبة الأولى.

/ ١٧/ ٧/ ١٩٤٨/ معركة استرجاع تل العزيزيات:

الشهداء: النائب «نسيب حاطوم»، العريف «داود سمارة» من كوكبة القيادة.

الجرحى: العريف «فرعي سجاع» من كوكبة القيادة.

معركة قلعة الحصن:

الجرحى الجنود: «توفيق العبد» و «توفيق كيوان» و «أسد بلان» من الكوكبة الرابعة.

/ ١٩/ ٧/ ١٩٤٨/ معركة العقدة: طوق العدو هذا المخفر وحاصره. تمكّن المخفر من الصمود وفك الحصار وإفشال هجوم العدو.

الشهداء الجنود: «يوسف شحاذي الطويل» و «شحاذي حسن علبه».

الجرحى عرفاء: «حسن نوفل» و «مصطفى نعمة» والجنود «متروك نوفل» و «نايف عزام» و «متعب عامر» و «عيسى النعمة» وهم من الكوكبة الثالثة.

خلال شهر تشرين ثانٍ نقل عدد كبير من الكتيبة الأولى إلى الجزيرة. وهو نقل تعسفي لا مبرر له. وقد ودَّعتهم بهذه الكلمة:

أيها الجنود البواسل

يؤلمني جداً أن تحولَ هذه التدابير الزاجرة بينكم وبين جبهة القتال وقد مكثتم فيها طيلة سبعة أشهر. تهاجمون العدو، وتصدون هجماته بشجاعة فائقة، وتتحملون التعب والمرض وعدم العطف لأسباب لستم مسؤولين عنها.

أنحني أمام الذين استشهدوا من صفوفكم من أجل فلسطين، وإستمطر عليهم

الرحمة والرضوان. أرجو أن تثابروا على الخدمة بجدٍّ وإخلاص وتصبروا حتى يتمَّ الهدف الذي استشهد من أجله إخواننا.

إنها محنة حلَّت بنا ولا يخلصنا منها سوى الصبر والاستقامة في العمل لخدمة الوطن المفدَّى.

يَصعبُ عليكم أن تغادروا الجبهة، إلى تلك المنطقة النائية العزيزة من أرض الوطن، دون وداع عائلاتكم وتأمين لوازمهم في هذا الشتاء. ولكن ما العمل؟ وهي الأوامر العسكرية.

لم أتمكن من مساعدتكم كآمر وهو الموقف الأول من نوعه في حياتي العسكرية. لقد كان نقلكم مفاجأة لي. لم أتمكن من تدارك ما حصل إذ إن الكلامَ غير مسموع! والأعمال تجري بتكتم زائد وبصورة فجائية. أوصيكم بالصبر وشجاعتكم كفيلة بتذليل العقبات التي قد تتعرضون لها. حافظوا على الروح العسكرية والطاعة لرؤسائكم. يجب أن تربطكم جميعاً صلة الرفقة الجيدة والصداقة المتينة.

إياكم والتخاذل أو القنوط والصبر مفتاح الفرج. الرجل من يصبر على الشدائد. حافظوا على سمعتكم. وليكن سلوككم مثالاً يُقتدى به.

إن المصائب لها أول وآخر. فكروا في مستقبلكم ولا تتسرعوا في الاستقالات. إن واجبنا الخدمة في كل أنحاء الوطن. واعلموا أن سلوككم وخدماتكم هي التي تربط آمركم بكم. فإذا كنتم موضع ثقته حصلتم على تقديره ومساعدته. والعكس يضر مصلحتكم. فسيروا وفقكم الله.

يوم الأحد /٢٨/ ١١/ الساعة التاسعة عشرة دخلتُ إلى مطعم الضباط. سمعتهم يتحدثون عن موضوع احتلال الجليل، وهجوم العدو القوي على قوى الإنقاذ واحتلال مواقعها، ومتابعة تقهقرها. إذاعة الصهاينة أطلقت على القوات المهاجمة أسم اللواء الدرزي. كان رفاقنا من الضباط مقتنعين بصدق إذاعة العدو. إذ سَمِعتُ كلمة (خيانة الدروز وتسليم فلسطين للصهاينة). وعندما شاهدوني صمتوا.

قلت لهم: لا تصدقوا إذاعة (إسرائيل). الدروز في فلسطين البالغ عددهم أربعة عشر ألف نسمة لا يمكنهم تشكيل لواء حتى ولا فوج. شفا عمر وجوارها موطن الدروز في فلسطين سقطت حديثاً بيد الصهاينة بعد تراجع قوى الإنقاذ وهي من المناطق التي خصصت للعرب في الجليل.

ليس بإمكان إسرائيل أن تدربهم وتعتمد عليهم في هذا الوقت القصير. إنما هي تذيع ذلك من أجل التشويش والبلبلة وخلق الفرقة في صفوفنا. لا نزال في المعركة وقد تبين حتى الآن من قام بواجبه ومن تخاذل لنحاسب بعضنا. إن رؤساءَنا السياسيين هم الذين كانوا السبب في تسليم فلسطين. إن الرئيس «شكري القوتلي» والزعماء العرب هم المسؤولون عن تسليم فلسطين إلى الصهيونية. بسبب عدم إعداد القوة التي تحتل فلسطين، وتحافظ عليها. كان الحوار بصوت عادي لا يخلو من الانفعال.

عندها حضر آمر الكتيبة المقدم «جميلماميش» وسأل: ما الأمر؟ قلت له: تذيع إسرائيل أن اللواء الدرزي هو الذي احتلّ الجليل. وقد نبهت الضباط إلى عدم تصديق دعايات إسرائيل لأن غايتها أن تدبَّ الفرقة بين صفوفنا. وإنه لا يوجد لواء درزي، ولا يمكن للدروز بعددهم القليل هناك تشكيل لواء. وليسوا مدربين على ذلك.

أجاب: «طيب حبيبي طيب» هكذا كان يقول وخرج. . . .

ونظراً لمعرفتي به وبعدم صراحته خشيتُ أن يفسر كلامي تفسيراً خاطئاً أو أن يحرِّفوه. إتصلت مع المقدم «محمود بنيان» آمر كتيبة الشراكس في الجهة الثانية من القنيطرة، وهو من المقربين من الزعيم قائد الجيش نظراً لشجاعته أثناء العمليات. ولديه سيارة. طلبت إليه أن يأتي حالاً لأني بحاجة إليه.

وصل المقدم «محمود» أخبرته عما حصل بالتفصيل. قال: لماذا ذكرت الرئيس وما دخله بالموضوع؟ أجبته: إن ما قلته في حالة الغضب أتحمل مسؤوليته كاملاً. ولكن أخشى أن يُنْسَبَ إليَّ أشياء لم أقلها، أو يحرِّف الكلام. أبوح لك بكل ذلك حتى تكون مطلعاً على الحقيقة وبإمكانك أن تسأل من تشاء.

في الساعة الواحدة والعشرين، وصلت برقية بنقلي إلى اللواء الرابع رئيس أركان

اللواء، وهو لواء تدريب المجندين ومركزه معسكرات قطنا. بلّغني آمر الكتيبة البرقية. وهو يرغب التخلص مني وقال: التحق فوراً سيارة البيكاب جاهزة.

طلبت منه أن ألتحقَ صباحاً بدلاً من الذهاب في الليل. أجاب: نص البرقية الالتحاق فوراً.. وذهبت في الحال إلى معسكرات قطنا.

دراسة وتعليق

استلام قطعات الشرق الخاصة

عند استلام قطعات الشرق الخاصة. شكلت قيادة الجيش السوري على النمط الفرنسي رئاسة أركان وأربعة شُعَب تابعة لها مع مصالح مالية وإدارية. إن الانتداب لم يحضرٌ الضباط السوريين لمثل هذه القيادات رغم أنه أرسل أقدم ضابطين لاتباع دورة أركان بعد عام / ١٩٤١/ هما العقيد «عبد الله عطفة» والعقيد «عبد الوهاب الحكيم». ولم يعمل في أركان قطعات الشرق الخاصة سوى المقدم «أنور بنود» إذ كان الضباط اللبنانيون يستأثرون بهذه المراكز.

شُكلت القيادة العسكرية بدون خبرات سابقة تستعين بها. وكذلك القيادة السياسية التي تتدخل في الشؤون العسكرية دون أن يكون لديها سياسة مدروسة، تسعى إليها ودون خبرة أيضاً.

عين الزعيم «عبد الله عطفة» رئيساً للأركان وكانت السّيطرة لقدماء الضباط وتنقص الأكثرية منهم الكفاءة.

العمل الجليل الذي قامت به القيادة السورية مباشرتها تعريب المصطلحات العسكرية بكاملها من أنظمة وأسلحة. حتى تحلّ اللغة العربية مكان اللغة الفرنسية التي كانت سائدة حتى ذلك الحين... في الجيش.

تشكلت لهذه الغاية لجان فنية لكل سلاح أو مصلحة. ثم اللجنة العليا التي تضمّ

عضواً من المجمع العلمي هو الأستاذ «عارف النكدي» لتبتّ بأعمال سائر اللجان. ولم يمضِ وقت طويل حتى طُبِقّت اللغة العربية في القيادة والكلية العسكرية وسائر قطعات ومصالح الجيش.

كان الفرنسيون يأخذون لخدمتهم جنوداً من قطعات الشرق الخاصة ليقوموا بالأعمال المنزلية كالطبخ والتنظيف أُطلِقَ عليه اسم (وصيف) وكان للضباط السوريين مثل هذا الامتياز. هذا الإجراء كان مطبّقاً على جنود المستعمرات فقط ولا يشمل الجنود الفرنسيين مطلقاً. أُلغيَ هذا التقليد في الجيش السوري فور ذهاب الفرنسيين. ثمّ بالإضافة إلى المثابرة على التدريب في الكلية العسكرية. تمّ افتتاح مدارس الرتباء من أجل تخريج رقباء وعرفاء. فمن يحمل الشهادة الابتدائية يحصُل على رتبة رقيب، ومَن يُحسِنْ القراءة والكتابة يحصل على رتبة عريف. ثمّ تطور فيما بعد وأصبحت الشهادة الإعدادية للقبول إلى رتبة رقيب والشهادة الابتدائية إلى رتبة عريف.

. تحضير الجيش للمعركة:

أما تحضير الجيش للمعركة فلم يأخذ الاهتمام الكافي. لم تقم دراسات بين السلطات المدنية والعسكرية لتحديدِ الأهداف، وما هو مطلوب من الجيش. وإعطائِهِ الإمكانيات لتنفيذ هذه الأهداف.

الارتجالُ كان الصفة المميزة. كانت قناعة بعض السياسيين أن لا لزوم للجيش. باعتبار أن سوريا ليس لها أهداف عدوانية وبالنسبة للأمن الداخلي يمكن تقوية الشرطة والدرك، جرى تسريح أعداد كبيرة من قطعات الشرق الخاصة بعد استلامها. كان على القيادة العسكرية تحضير الجيش للمعركة على ضوء قوة العدو وإمكانياته. ونقاط الضعف والقوة لديه. دراسة الأراضي من جميع جهاتنا، والمكان المناسب لدخول فلسطين.

تحضير هذه القوة يشمل التدريب والتجهيز مع دراسة ما تحتاجه أثناء المعركة من رجال وعتاد وأسلحةِ متنوعة وحديثة وبصورة خاصة الذخيرة والدولة هي التي تمدنا بهذه التجهيزات.

أثناء المعارك لم نتمكن من تغيير بعض الأسلحة التالفة. لجأت السلطات لجمع

ذخيرة البنادق والرشيشات من رؤساء العشائر وقُنّنَ مصروف الذخيرة احتياطياً قبيل الهدنة.

على الحدود السورية الفلسطينية كل مواقع العدو حصينة، جنوبي بحيرة طبريا يوجد ما يسمى «خط ايدن» المحصن من قبل بريطانيا ضد جيوش ألمانيا وكثير من المستعمرات على جبهة طولها /٤/ كيلو مترات حتى الحدود الأردنية يلي ذلك بحيرة طبريا عرضها (من الشرق إلى الغرب) لا تقل عن /١٢/ كيلو متراً وطولها من الشمال إلى الجنوب /٢٠/ عشرين كيلو متراً.

القطاع من شمال طبريا حتى جنوب بحيرة الحولة حيث يوجد طريق رئيسي (دمشق - قنيطرة - كعوش - روشبينا - صفد - حيفا).

من جنوب بحيرة الحولة والمنطقة المرزغية شمالاً تصل إلى عشرة كيلو مترات وعرض الحاجز المائي ست كيلو مترات، يأتي بعد ذلك مستعمرات إسرائيلية على الضفتين الشرقية والغربية لنهر الأردن حتى الحدود اللبنانية تصل إلى أَحدَ عشر كيلو متراً، الأراضي السورية مُسيطِرة إلاّ في تل العزيزيات حيث السيطرة من الجانب الفلسطيني.

في /١٤/آيار /١٩٤٨/ تحرك الرتل السوري إلى الحدود اللبنانية الفلسطينية ثم إلى القنيطرة عن طريق مرجعيون بانياس ماراً بجوار مستعمرات الحولة الشمالية عارضاً كل قوته أمام أنظار العدو.

تمركز الرتل السوري على طول الجبهة وكانت القنيطرة مقر قيادة الرتل ومحور الحمة سمخ طبريا هدفاً للهجوم المعين من قبل القيادة العامة للدول العربية.

زج الجيش السوري بالمعركة أمام (خط إيدن):

المنطقة مكتظة بالمستعمرات ومحصنة تحصيناً قوياً بها ثمانية مستعمرات ويوجد بها ((خط إيدن)) للدفاع ثم نهر الأردن، الطريق من الجنوب كثيرة التعاريج من الأراضي السورية إلى منحدر الحمة وبعدها يتجه إلى سمخ ويجتازها غرباً حيث نهر الأردن، ثم يبدأ الطريق بالصعود باتجاه مدينة طبريا ومدينة حيفا، ومن سمخ يتجه جنوباً خط

الحديد الحجازي الآتي من سوريا مع طريق سياراتٍ محاذٍ له مسافة عشرة كيلو مترات ليصل إلى جسر المجامع ثم إلى بيسان - العفولة - حيفا.

بعد تغيير القيادة واستلام الزعيم «حسني الزعيم» مهام القائد العام للجيش والقوات المسلحة، وبعد محاولات فاشلة لإعادة احتلال سمخ أو احتلال دكانيا «آ» ودكانيا «ب» جنوب طبريا ولم يتمكن، قرر الهجوم على كعوش طريق قنيطرة - جسر بنات يعقوب - كعوش - روشبينا.

احتلال كعوش

كعوش مكان مرتفع، وقوية التحصين، بعدها عن المستعمرات من الشمال والغرب أمكن التسلل إليها ومحاصرتها واحتلالها والتقدم باتجاه الغرب إلى تل «أبو الريش» والشمال الغربي قرية البقارة والمرتفعات المحيطة بها، وشمالاً إلى مزرعة الخوري جنوب غرب بحيرة الحولة. ولم يعد بالإمكان توسيع منطقة الاحتلال نظراً لقوة الجيش المحدودة. وقد اضطرت قيادة القطاع بتاريخ /١٦/٧/ إلى إعطاء الأمر بإخلاء خان يردا إلى الغرب من تل أبو الريش بعد مهاجمته واحتلاله وطرد حاميته وسقوط عدد من القتلى والجرحى لعدم إمكانية تمديد خط الجبهة. لأن احتلال الخان يستوجب التمركز في نقاط أخرى لا تستطيع قيادة القطاع تأمين حمايتها. إن القيادة التي أعطت أمر الهجوم هي التي أعطت أمر الإخلاء.

كان لاحتلال كعوش تأثيرٌ معنويٌ قويٌ في صفوف الجيش والمدنيين على السواء. وباحتلال قريتي البقارة ومزرعة الخوري وقريتي طليل وجليبيني بالقرب من بحيرة الحولة وشاطئها الشرقي بكامله مع جزء من الشاطىء الغربي عاد السكان العرب إليهما واستأنفوا أعمالهم كالمعتاد.

خلال العمليات كنت ألاحظ عدم وجود قيادة عليا تراقب وتوجه. كانت قوى الإنقاذ قد دخلت من لبنان باتجاه الجنوب واحتلت مساحات واسعة من الجليل واحتلت صفد والناصرة. وكان الجيش اللبناني المدعم بفوج من الهجانة السورية قد تقدَّم قليلاً في فلسطين. ومع الأسف الشديد لا يوجد تنسيق بين القطعات المتجاورة أو البعيدة... كلٌ يعمل على هواه!. إذ عندما يهاجم العدو قوى الإنقاذ تكون الجبهة

السورية ساكنة والعكس صحيح. وعندما يكون الجيش المصري مُهاجِماً أو مُهاجَماً يكون هدوء على باقي الجبهات. إن العدو يملي إرادته على كلّ الجيوش العربية إذ لا يوجد تعاون ولا تنسيق بينها. ولا قيادة فعّالة.

على الأقل لماذا لم توحد القيادة على الجبهتين السورية واللبنانية مع قوى الإنقاذ؟.

كان على القيادة العامة أن تُحدِثَ قيادة فرعية لهذه القوى تنسق عملها حتى يكون التعاون مفيداً وفعّالاً. وبما أن القيادة العامة لم تنفذ أي عمل معقول. كان على القيادة السورية أن تقرر ذلك وتطلب تنفيذه.

لو كان بإمكان الجيش السوري التقدم إلى «مانهايم» وتتقدَّم قوى الإنقاذ من صفد إلى روشبينا، لو تمّت هذه العملية بلقاء هاتين القوتين لطوقت مستعمرات الحولة بكاملها.

في ظل القيادة الراهنة للدول العربية في حرب فلسطين لا يمكن أن يجري إلاّ ما جرى!.

أولاً: ولكن لنفرض على سبيل المثال لو كان الهجوم على فلسطين تمّ على الشكل التالي:

يبقى الجيش الأردني في مكانه في الضفّة الغربية ليحميها.

يهاجم الجيش العراقي والجيش السوري من لبنان باتجاه الجنوب ليحتلا شاطىء البحر المتوسط كما فعل الجيش المصري من الجنوب باتجاه الشمال وبالتقاء الجيوش يتمُّ عزل الصهاينة ويقطع الاتصال عنهم من البحر. علماً أن مدن الساحل الهامة (عكا - حيفا - يافا) كانت بيد العرب وسكانها عرب.

رغم كلّ هذه الأخطاء المقصودة وغير المقصودة وضعف إمكانيات الجيش السوري تمكّن من احتلال بعض الأراضي من فلسطين والمعينة بموجب مشروع التقسيم إلى الصهاينة والمحافظة عليها رغم هجمات العدو المتكررة. كما قام بحركات استعراضية

على بعض النقاط محاولاً إشغال العدو وتخفيف الضغط عن نقاط أخرى في الجبهات.

بالإضافة إلى منطقة كعوش احتفظ الجيش السوري بالنقاط التالية:

منطقة سمخ: مشروع الحمّة بكامله والطريق ضمناً من الحدود الأردنية حتى سمخ خارجاً. قرية السمرة العربية ثم ستة كيلومترات على ضفة بحيرة طبريّا الجنوبية والجنوبية الشرقيه ومنها يمتدُّ خط شمال شرق حتى كفر حارب السورية ومنها يتبع الحدود السورية - الفلسطينية حتى الحدود الأردنية إلى الشرق من الحمّة.

قرية الشمالنة: شمال بحيرة طبريا مع كامل أراضيها حتى المرتفعات غرباً ثمّ شريط غربي الحدود الدولية بعرض يتراوح بين /١٠٠٠ - ١٥٠٠/ متر أي ضفتي نهر الأردن حتى منطقة كعوش.

في أقصى الشمال إلى الغرب من بانياس - عين فيت حيث يوجد تل العزيزيات من الحدود اللبنانية حتى عشرة كيلومترات جنوباً وبعرض كيلومترين.

بيَّنت فيما سبق طبيعة الحدود السورية من حدود لبنان، حتى الحدود الأردنية، وبعدها جنوباً حتى جسر المجامع على الحدود الأردنية الفلسطينية. هذه المنطقة قوية التحصين جنوبي بحيرة طبريّا وجبال صعبة المسالك ثم في شمال الجبهة يوجد موانع طبيعية كبحيرة الحولة وأراضي مرزغية وإلى الشمال من هذه الأرض لا يوجد أي طريق يصل سوريا بفلسطين حتى حدود لبنان. وإنّي أتساءل كيف زجّت القيادة العامة الجيش السوري والجيش العراقي في هذه المنطقة الصعبة. هل من أجل تحطيمهما؟. إن هذه الخطة لا يمكن للصهاينة أن يحلموا بأفضل منها لجيوش أعدائهم.

ثانياً: كان على القيادة السورية السياسية والعسكرية أن تناقش هذا الموضوع مع المسؤولين في القيادة العامة وتختار الهجوم من لبنان مع الجيش اللبناني وقوى الإنقاذ حيث الحدود مفتوحة ولا يوجد خطوط دفاع كما أن الجليل الغربي مخصص للعرب في مشروع التقسيم. وتبقى قوات للدفاع الثابت على الحدود السورية الفلسطينية.

وكانت القيادة العراقية قد غيرت خطتها منذ الأيام الأولى للمعركة وعادت إلى الوراء واتجهت نحو نابلس في الضفة الغربية وأعلمت القيادة السورية بذلك عندما كنتُ

ضابط ارتباط مع الجيش العراقي.

وبالنسبة للقيادات العربية كان عليهم أن يستفيدوا من دروس الحروب السابقة وأخصُّ بالذكر منها، الحرب العالمية الأولى وقد سُمّيت لفترة ما بحرب الخنادق. والحرب العالمية الثانية حيث حصنّت فرنسا خط (ماجينو) القوي، وكان عملاً فنياً رائعاً، كثير التكاليف من الإسمنت المسلّح وأسلحة الدفاع القوية والثابتة من حدود سويسرا حتى حدود بلجيكا استناداً إلى حيادِ هاتين الدولتين المعترف به دولياً. وإن الألمان يحترمون حيادهما. ولم تهاجم ألمانيا خط ماجينو بل طوقته من بلجيكا. وبما أن قوة الطرفين غير متكافئة، وجرت المعركة بعيداً عن الحصون، تغلّب الألمان لأن عوامل جديدة دخلت في المعركة وهي كتل الدبابات.

إن البريطانيين كانوا في المعركة مع الفرنسيين في الحربين الأولى والثانية والجنرال «كلوب» قائد الجيش الأردني لا يجهلْ ذلك. وأي ضابط يعرف هذه الحقيقة من المجلات العسكرية المختصة. وفي العِلمْ العسكري البدائي أن الموانع الطبيعية والصناعية تطوّق.

كما أن لبنان دولة عربية عضو في الجامعة العربية ومشترك في الحرب. الجيش دخل إلى القنيطرة عن طريق لبنان - والفدائيون أيضاً كان لبنان قاعدة لانطلاقهم.

القيادة العامة التي فرضت إرادتها وكان لها تأثير سيىء على سير المعركة وعلى جيوش الدول العربية. لم أعلم بمجيء مسؤول منها لتفقد الجبهة السورية، للاتصال ودراسة الأوضاع.

إن أياً من قيادة الجيش السوري أو قادة القطاعات والألوية لم تكن حاضرة في جبهة القتال لمراقبة سير المعركة، ودراسة إمكانية الضباط ومؤهلاتهم بقيادة وحدات أعلى أو المحاسبة على الإهمال.

بعد إنتهاء القتال لم تجرِ دراسة لا خلال الهدنة الأولى، ولا خلال الهدنة الدائمة، لكل المعارك التي جرت. وموقف قواتنا بالتفصيل، وقوات العدو وبيان الخطأ والصواب.

إعطاء توجيهات بالدروس المكتسبة من هذه الدراسة وتعميمها على كافة المستويات.

الذي نعلمه أنه بعد كلّ تمرين قتال، كانت تجري دراسة التمرين على الأرض مع بيان النجاح والخطأ وتصحيحه وإعطاء التوجيهات اللازمة.

التعاون العربي لإنقاذ فلسطين - وتشكيل قيادة القوات العربية

كان تعاون الدول العربية لإنقاذ فلسطين عن طريق الجامعة العربية. في أواخر العام /١٩٤٧/ نشرت لجنة التحقيق الدولية تقريرها القاضي بتقسيم فلسطين. بعد الموافقة عليه وإقراره بالأكثريّة من قبل الأمم المتحدة قررت الجامعة العربية التدخل حسب البرنامج الآتي:

أولاً: تسليح عرب فلسطين بالأسلحة التي تقدّمها دول الجامعة العربية.

ثانياً: تشكيل قوى الإنقاذ من متطوعين من دول الجامعة العربية للدخول إلى فلسطين، ومساعدة العرب على حماية أنفسهم ومنع انتشار الصهاينة حتى نهاية الانتداب وقد حددته بريطانيا بتاريخ /١٤/٥/١٩٤٨/.

نظمت الجامعة العربية قيادة قوى الإنقاذ، وإدارتها وتموينها، وعينت القادة من الضباط المتقاعدين ومدتهم بالمال والسلاح، وعينت أماكن الدخول إلى فلسطين من الدول المجاورة.

ثالثاً: في /١٥/٥/١٩٤٨/ تتدخّل الجيوش العربية من مصر والعراق وسوريا والأردن ولبنان. أما المملكة العربية السعودية واليمن فإنها ترسل قواتها لتلتحق بأحدِ هذه الجيوش. حددت القوات المشتركة لكل بلد حسب إمكانياته. وعند البحث في تشكيل قيادة عامة لهذه الجيوش، أصرَّ الملك «عبد الله» على استلام القيادة العامة حتى يشترك جيشه بهذه المعركة.

رغم الاعتراض الشديد من قبل أطراف عديدة، تشكلت القيادة العامة للجيوش العربية المشتركة في حرب فلسطين، وقوى الإنقاذ على النحو التالي:

الملك «عبد الله» قائداً أعلى.

الفريق «نور الدين محمود» قائد الجيش العراقي قائداً عاماً.

الفريق «كلوب» قائد الجيش الأردني رئيساً للأركان. وهو بريطاني الجنسية ويعمل تحت إشراف الملك «عبد الله».

كانت بريطانيا تموّل الجيش الأردني بالرواتب والعتاد مقابل أن قائد الجيش وبعض أعوانه بريطانيين.

إن هذه القيادة التي عينت نقاط العبور والجبهات لهذه الجيوش ومهماتها التي تقضي باستعادة الأراضي التي استولت عليها عصابات الصهاينة بالقوة وتثبيت العرب في أراضيهم وعودة اللاجئين إلى ديارهم.

وضع الجيوش العربية خلال معركة فلسطين

عندما دخلت الجيوش العربية إلى فلسطين، رغم كل الأخطاء سيطرت على الموقف واحتلت مع قوى الإنقاذ الأجزاء المعينة للعرب حسب قرار التقسيم وتجاوزتها. إن الحماس الرسمي والشعبي كان بارزاً في الدول العربية. احتل الجيش الأردني والعراقي الضفة الغربية بكاملها، وكانت قوى الإنقاذ قد احتلت الجليل الغربي حتى الناصرة.

تمكن الجيش الأردني وفرق الجهاد المقدس الفلسطينية بقيادة «عبد القادر الحسيني» من تطهير القدس الشرقية من الصهاينة، وحاصروا القدس الجديدة من كلّ الجهات ومنعوا عنها التموين والماء. صار سكانها يستغيثون ويطلبون تزويدهم بالماء والمؤن والذخيرة وإلاّ اضطروا للاستسلام.

تدخّلت أمريكا ودول الغرب بقوة لتخلص إسرائيل من الطوق المضروب حولها وكان لها ما أرادت. وفرضت هدنة مدتها أربعة أسابيع تبدأ من ١٩٤٨/٦/١١ تمكن الإسرائيليون من استيراد الأسلحة التي تمكّنهم من التفوق على العرب من طائرات

حديثة ومدفعية ودبابات وكل أنواع الأسلحة والذخيرة. خلال الهدنة الأولى ورغم الأسلحة الحديثة التي زوِّدت بها إسرائيل لم تؤثر على العرب.

ومن نتيجة الهدنة الأولى ظهور خلاف خفي بين الحكام العرب أدى إلى عدم التعاون.

إن أهم هدف إسرائيلي للعرب والذي يضم السكان والقيادة هو: القدس الجديدة وقد حال التواطؤ والهدنة دون استسلامها. وتل أبيب وقد أحاطت بها ثلاثة جيوش عربية قوية أنقذها عدم تعاون هذه الجيوش للإطباق عليها.

قبيل انتهاء الهدنة تم إخلاء اللد والرملة من قبل القيادة الأردنية وهما مركزان هامان (ومخصصان للعرب بموجب قرار التقسيم) لحماية تقدم الجيش المصري باتجاه تل أبيب.

كل هذه العوامل أدت ليس إلى عدم تمكين الجيش المصري من التقدم فحسب بل سببت تطويقه وقطع خطوط مواصلاته. مما اضطر الحكومة المصرية لعقد الهدنة الدائمة مع إسرائيل بعد حصار دام عدة أشهر وبتاريخ /٢٤/ ٢/ ١٩٤٩/ احتفظت بجزء من قطاع غزة بطول /٤٠/ كيلو متر وعرض /١٠/ كم وتمكنت إسرائيل خلال شهر تشرين أول /١٩٤٨/ من القضاء على قوى الإنقاذ في الجليل الغربي واضطرتها إلى الانسحاب إلى لبنان ولم يتحرك أي جيش عربي لمساعدتهم.

وضع الجيش المصري: (أخذت هذه المعلومات من الضباط ذوي الاتصال مع القيادة العامة وقيادة الجيش السوري).

هاجم الجيش المصري فلسطين من الجنوب في مناطق قليلة المستعمرات. وبعد احتلال غزة وبئر السبع كقاعدة تابع باتجاه الشمال، حاول العدو القضاء على هذا الجيش أو إعاقة تقدمه بهجمات قوية ومركزة من الأمام وعلى الجوانب، وعلى خطوط مواصلاته الطويلة فلم يتمكن. قضى الجيش المصري على كل هذه المحاولات وانتصر

فيها وواصل سيره المظفر حتى وصل إلى جبهة اسدود - الفالوجة. وهي لا تبعد كثيراً عن يافا - تل أبيب ومجتازاً ثمانين كيلومتراً من الأراضي الفلسطينية. وعندما فرضت الهدنة الأولى في /١١/ حزيران /١٩٤٨/ كان الجيش المصري من مُحبِّذي هذه الهدنة لأنه كان ينتظر أسلحة وذخيرة من الخارج بعد أن صرف كثيراً منها في معاركه.

في تلك الفترة كان الجيش الأردني يحتل مدينتي اللد (حيث المطار الرئيسي) والرملة إلى الجنوب الشرقي من تل أبيب وهي من المناطق الهامة المخصصة للعرب. هذه المراكز القوية تحمي مَجنَبة الجيش المصري وتدعمه في حال تقدمه باتجاه يافا - تل أبيب.

كما كان الجيش العراقي يحتل جبهة طول كرم - قلقيلية - إلى الشمال الشرقي من تل أبيب ولا يبعد عن الساحل أكثر من اثني عشر كيلومتراً. إن وضع الجيوش الثلاثة المحيطة بتل أبيب مناسب جداً للتعاون والقيام بعمل حاسم لو كان هناك قرار وقيادة حكيمة وفعّالة.

قبيل انتهاء الهدنة وفي /٧/٧/١٩٤٨/ تعرض الجيش المصري لهجمات قوية من كلِّ الجهات وعلى خطوط مواصلاته، قضى عليها جميعاً خلال اسبوع من القتال، وهزم العدو وشتته. وعندما أصبح جاهزاً لمتابعة حركته باتجاه تل أبيب فوجىء بإخلاء اللد والرملة بدون ضغط وبدون هجوم من قبل الصهاينة. برّرَ الجنرال «كلوب» قائد الجيش الأردني عملية الانسحاب لتقصير خطوط المواصلات، وإنه مستعد لإعادة احتلالها في أي وقت. احتل العدو اللد والرملة وطرد أهلها وشردهم إلى الأردن.

اعترضت مصر على هذا الإخلاء المفاجىء. تعهد الملك «عبد الله» باستردادها من قبِل الجيش العراقي والأردني. ولكنّ الوعد لم ينفذ، ولو كان صادقاً بوعده لما أخلاها. فُرضت الهدنة الثانية الدائمة في /١٨/ تموز /١٩٤٨/ وكل شيء على حاله. أثناء الهدنة الدائمة وخلال شهر تشرين أول هاجم الصهاينة الجيش المصري وطوقوه في الفالوجة وقطعوا خطوط مواصلاته.

قررت الجامعة العربية فك الحصار بواسطة الجيوش العربية الأخرى. . . العراقي - الأردني - السوري. شكلت جمهرة الجيش السوري من فوجين مشاة وبطارية مدفعية

وكوكبة مصفحات حسب قرار الجامعة، وهذا كل الاحتياط لدى الجيش السوري، وهي مجازفة قامت بها القيادة السورية لفك الحصار عن الجيش المصري وكانت جاهزة للحركة. وعند الاتصال بالجيش العراقي والأردني تبين أن ليس لديهم رغبة بالاشتراك. وتركوا الجيش المصري وحده يقرر مصيره.

بقي الجيش المصري مطوقاً بدون مساعدة وقد كانت المدفعية المستوردة حديثاً قد وصلت غير صالحة للاستعمال مع الذخيرة الفاسدة التي طالما انتظرها وكانت من أسباب نكبته.

نقلي إلى اللواء الرابع رئيساً لأركانه

التحقت بمقر عملي الجديد في منتصف الليل، وهي المرّة العاشرة التي أُنقَلُ فيها منذ وصولي إلى الجبهة خلال ستة أشهر وعشرة أيام. اللواء الرابع في معسكرات قطنا، وهو لواء تدريب المجندين، التحقت ليلاً واستخدمت للنوم سرير الميدان في مكتب رئيس أركان اللواء.

آمر اللواء المقدم «توفيق بشور» وهو قائد المعسكرات. يقيمُ في المعسكرات بالإضافة إلى أفواج اللواء الرابع الثلاثة، وسرية المقر مع مركز التجنيد وفوج مدفعية وبعض الوحدات المستقلة، ومفرزة من مصلحة الهندسة تحت تصرف ضابط الثكنات لصيانة المعسكرات من مخصصات الإدامة. وهو تابع لقيادة المعسكرات مباشرة كضابط موقع.

معسكرات قطنا عددها عشرة متجاورة ومنفصلة عن بعضها. تشغل مساحات واسعة من الأرض تشكل كتلة واحدة. الحدود الخارجية تشمل كل المعسكرات أي تحيطها جميعاً. يحوي كلٌ منها على (براكات - مهاجع الجنود - ومستودعات أسلحة وتموين ومطابخ - ومكاتب - قيادة المعسكر - ساحات تدريب ورياضة) ولكلٌ منها مدخله الخاص. يحوي أحدها مشفى لكل المعسكرات. المعسكر رقم /١٠/ خاص لقيادة المعسكرات وسرية المقر. وعلى مكان مرتفع مسكنُ آمر المعسكرات، وبعض المساكن للضباط.

بنى البريطانيون هذه المعسكرات أثناء الحرب العالمية الثانية لاستيعاب فرقة أو أكثر. بالإضافة إلى حدودها الخارجية المستملكة يوجد حَرمٌ خارجي بعمق /٥٠/ متراً وهو مستأجر. توجد أراضٍ صالحة للزراعة في فجواتٍ وأحياناً داخل حدود المعسكر. رأيت فلاحين يزرعون هذه الأرض. سألت ضابط الشكنة: لماذا يسمح لهم بذلك؟ أجابني: إن قائد المعسكرات أمر بذلك. اقتنعت لأنه لا يمكن لأحد غيره القيام بهذا التصرف. ثم علمت فيما بعد أن قائد المعسكرات له نسبة معينة من المحصول.

في أوائل العام /١٩٤٩/ حضر رئيس الشعبة الثانية يطلب معلومات عن هذا الموضوع. أجبته بأني لست مخبراً حتى أجيب على أسئلته ولكن عندما يطرح السؤال رسمياً من قبل الأركان وعن طريق التسلسل أجيب عليه. ذهب ولم يَعُدْ ولم يطرح الموضوع أثناء وجودي في اللواء ثانية.

أوَدّ تسجيل هذا الحادث لأبيّن كيف كانت تسير الأمور وليس للتشهير بالمقدم «توفيق بشور» المعروفة أخلاقه جيداً في الجيش!!

الفصل الثالث

الانقلاب الأول بقيادة

الزعيم «حسني الزعيم»

الوضع العام قُبيلَ انقلاب الزعيم «حسني الزعيم»

اشترك السيد «شكري القوتلي» بمقاومة الاستعمار مع الرعيل الأول منذ نعومة أظفاره، ومن خلال الكتلة الوطنية التي نظّمت وقادت الكفاح الوطني منذ إنشائها في أوائل الثلاثينيات وكان عضواً بارزاً فيها. عرفت الكتلة كيف تحرك الجماهير من تجار وفلاحين وعمال وطلاب ضد الانتداب الغاشم.

تعتبر الكتلة الوطنية أول تشكيل سياسي يتزعّم مطالب الجماهير ويوجّه نضالها. أمكن لسلطات الانتداب أن تستميلَ بعض الشخصيات للتعاون معها. والحكمِ حسب مشيئتها ضد مصالح الوطن. لكن الكتلة الوطنية كانت تسيطر على الشارع في كلِّ المدن السورية وبعض الريف - كانت تمثّل الوجه الحقيقي لسوريا. تمكنت من إثبات وجودها وإجبار الانتداب الفرنسي على الرضوخ لمطالبها في ظروف كثيرة.

قبل دخول فرنسا الحرّة إلى سوريا بالتعاون مع بريطانيا عام /١٩٤١/ كانت قد وعدت بإعطاء الاستقلال إلى سوريا. - بعد أن استتب لها الأمر واستلمت مسؤولية الدولة المنتدبة تنكرت لوعودها - عرضت على الرئيس السابق «هاشم الأتاسي» وكان رئيساً للكتلة الوطنية تعيينه رئيساً للجمهورية. رفض إلا عن طريق الانتخاب. المجلس النيابي المنتخَب ينتخِبُ رئيس الجمهورية كما جاء في الدستور.

عينت سلطات الانتداب رئيساً للجمهورية من الموالين لها وهو «تاج الدين الحسيني» وهو بدوره يعين رئيس الوزارة ووزراء من أتباعهما. ولكنه مات مسموماً عندما طالب فرنسا أن تفِ بوعودها من أجل الاستقلال. عندما عجز الانتداب عن متابعة الحكم الذي أختاره وامتناع كثير من السياسيين من التعاون معه لبى مطالب الشعب وعلى رأسه الحزب الوطني الذي خلف الكتلة الوطنية.

عين السيد «عطا الأيوبي» في أوائل عام /١٩٤٣/ ليرأس وزارة أنتقالية لإجراء

انتخابات. فاز بها الحزب الوطني بالأكثرية المطلقة. وكان الحزب الوحيد في المجلس والباقي تجمعات وأفراد مستقلون.

في /١٨/٨/١٩٤٣/ اجتمع المجلس النيابي وانتخب السيد «شكري القوتلي» رئيساً للجمهورية وبدأ الحكم الوطني في سوريا مع تأييد مطلق من الشعب وبدون قيود خارجية. سارت الأمور سيراً حسناً إلى أن أوشكت الحرب على الانتهاء. ووقعت ألمانيا الهدنة في /٨/٥/١٩٤٥/ واستسلمت إلى الحلفاء. ضغطت فرنسا على الحكومة السورية من أجل عقد معاهدة معها قبل تسليم قوات الشرق الخاصة، مع امتيازات قواعد جوية وبحرية - ربط العملة السورية واللبنانية بالفرنك الفرنسي - الإشراف على معاهدها الثقافية مع وجود جيش دائم لها في سوريا ولبنان. جرت مظاهرات وصدامات بين الجيش الفرنسي والمتظاهرين في كلِّ المدن السورية. وفي دمشق قصف المدفعية الثقيلة المجلس النيابي وكل دوائر الحكومة.

رفضت قطعات الشرق الخاصة الاشتراك في قمع المظاهرات وانسحب عدد كبير من ضباطها. وبصورة خاصة الشباب منهم ووضعوا أنفسهم تحت تصرف الحكومة للدفاع عن الاستقلال حتى تدخلت بريطانيا وطلبت إلى فرنسا تنفيذ بيان الاستقلال، ووقف عدوانها المسلح والتزام الجيش ثكناته. وبعد مفاوضات شاقة بدأ الجيش الفرنسي طريق العودة جرى الحشد في لبنان ثمَّ إلى قواعده عن طريق مرفأ بيروت على أن يتمَّ الجلاء قبل /١٧/ نيسان /١٩٤٦/ .

/١٧/ نيسان اعتبر عيداً وطنياً بخروج آخر جندي أجنبي عن أرض سوريا كان مهرجاناً عظيماً شهدته وفود الدول العربية جميعها، وفصائل من جيوشها اشتركت بالعرض مع الجيش السوري. كان مشهداً رائعاً فحماسُ الجماهير شديدٌ والسرور عام وشامل.

دافع رئيس الجمهورية أثناء العدوان الفرنسي رغم مرضه عن الاستقلال وصانه. كان «القوتلي» من المجاهدين الصابرين معروفاً بنزاهته ووطنيته وإخلاصه. ولكن هل حقق وحده جلاء المستعمر؟ .

بدأت اليقظة العربية من أيام الحكم العثماني، واستمرت قوافل الشهداء،

والمناضلون يخططون داخل الوطن، والمبعدون خارجه يعملون لاستقلال الوطن.

معركة الجلاء خاضها الشعب بكل فئاته ومراحلها المختلفة من ثورات وإضرابات ومظاهرات وسجون ونفي وتشريد.

مع ذلك أصيبَ الرئيس بداء العظمة والغرور ولم يقتنع بالتطور. لم يكن على مستوى العصر. كان حكمه بعد ذهاب الفرنسيين رجعياً. ظهرت أحزاب تقدمية وأجيال مثقفة - لم يشعر بكل هذا بل أراد أن يحكمَ بأسلوبه الخاص وأنه الوحيد الذي يحقّ له أن يحكم. لم يقتنع بولاية واحدة عدَّلَ الدستور، وانتُخِبَ لولاية ثانية. بدأها في نهاية ولايته الأولى.

لا يوجد انسجام في الحكم، فهو لا يَثِقُ برفاق الجهاد كلهم. يُقال إن الملك «عبد العزيز آل سعود» قد نصحه أن يترك الولاية الثانية لـ «جميل مردم» أو غيره لكنه تمسك بالحكم. عند تشكيل الوزارات يَفرِض أفرادها ويُدخِلُ فيها البعض ممن ينفذون رغبته، وينسحبون بإيعاز منه. لتسقط الوزارة عندما يرغب بذلك. لم يكن موفقاً في اختيار معاونيه ولطيبِ قلبه خانه أكثرهم. عَمَّت الفوضى والسرقات، وفقد الحكم هيبته. فلا يوجد برنامج للعمل لا داخلياً ولا خارجياً ولا سياسة موجّهة بعيدة المدى.

في الأول من آب / ١٩٤٥/ استلمت الحكومة الجيش والقطعات الباقية مع فرنسا وكانت تعسكرُ في لبنان. وبدلاً من إعادة التنظيم والتسليح الحديث. بدأ التسريح!.

طالب بعض النواب ممثلي الأمة أنه لا حاجة لجيش كبير لأن سوريا ليس لها أهداف توسعية، يجب تقوية الدرك وإبقاء جيش محدود - إن هذه الآراء تمثل رغبة الطابور الخامس!. تُصدِرُ هذه الأفكار الهدامة دون التفكير بقضية فلسطين الشقيقة المجاورة والتي كانت جزءاً من سوريا. تواطأ الاستعمار على إعطائها للصهيونية ودقّ الأسفين في قلب الوطن العربي.

خلال الحرب العالمية الثانية، أثناء حالة الحرب والأحكام العرفية المفروضة على الدول العربية تحت الانتداب. سمحت أمريكا وبريطانيا بتسلل الصهاينة بأعداد محدودة أولاً. ثم بمجموعات كثيفة ومبرمجة لاحتلال فلسطين من قبل عصابات مسلحة

إشتركت في الحرب مع جيوش الدول المتحاربة.

كان على سوريا أن تجهّزَ جيشاً قوياً لتحرير فلسطين مع جيوش الدول العربية. كارثة حرب فلسطين وفشل الجيش السوري بإمكانياته المحدودة وعدم إعداده للقيام بدور فعّال أثناء العمليات. دخل الجيش السوري المعركة غير تامِّ التسليح وذخيرته محدودة ولا من دولة يعتمد عليها لإمداده. هذه الأمور حدثت بسبب عدم التخطيط المسبق.

كل هذه الأسباب مجتمعة وعدم وجود الرادع الأخلاقي والمسلكي والشعور بالمسؤولية والواجب الوطني دفعت قائد الجيش والقوات المسلحة بالانقضاض على الحكم الضعيف المهلهل والاستيلاء عليه.

الإنقلاب الأول بقيادة الزعيم «حسني الزعيم»

في /٣٠/٣/١٩٤٩/ منذ الساعة الأولى من هذا الصباح سمعتُ خبر الانقلاب من البلاغات الرسمية المذاعة. عن قيام الجيش بانقلاب واستِلام الحكم في البلاد لفترة مؤقتة. كان ذلك مفاجئاً لي إذ كنت خالي الذهن ولم أسمع شيئاً عن هذا الموضوع.....

أسجّلُ فيما يلي نص البلاغ رقم واحد. وقد أذاعته محطة الإذاعة السورية وقامت إحدى الطائرات العسكرية بإلقائه فوق المدن السورية.

بلاغ رقم (١)

مدفوعين بغيرتنا الوطنية ومتألمين مما آل إليه وضع البلاد من جراء افتراءات وتعسّف ممن يدعون أنهم حكامنا المخلصون - لجأنا مضطرين إلى تسلّمِ زمام الحكم مؤقتاً في البلاد التي نحرص على المحافظة على استقلالها كلّ الحرص، وسنقوم بكل ما يترتب علينا نحو وطننا العزيز غير طامحين إلى استلام الحكم بل القصد من عملنا هو تهيئة حكم ديمقراطي صحيح يحلُّ محل الحكم الحالي المزيف وإننا لنرجو من

الشعب الكريم أن يلجأ إلى الهدوء والسكينة. مقدماً لنا كلّ المعونة والمساعدة للسماح لنا بإتمام مهمتنا التحريرية. وإن كل محاولة تخلّ بالأمن والتي قد يمكن أن تظهر من بعض العناصر الهدامة الاستثمارية تُقمع فوراً دون شفقة أو رحمة.

/ ٣٠/ آذار/ ١٩٤٩ القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة

دعا آمرُ اللواء الرابع والمعسكرات باكراً إلى اجتماع في مكتبه يحضره آمرو الأفواج والوحدات المستقلة. حضر المدعوون وعددهم عشرة ضباط كنت جالساً إلى يسار آمر المعسكرات. قال المقدم «توفيق بشور» سمعتم عن الانقلاب الذي جرى اليوم. أرجو أن يبدي كل رأيه وإذا كان يؤيده أم لا!. لم يجب أحد. تابع بقوله: أصرُّ على سماع آرائكم ولنبدأ بالدور من الرئيس «أمين أبو عسّاف» ما هو رأيك بهذا الانقلاب؟ وهل تؤيده؟ سألته: هل كنتُ على علم به قبل حدوثه؟ وهل بُحِثَ موضوع الانقلاب معك؟ أجاب بالنفي رغم أنه قد تبين فيما بعد أنه قد شارك في التوقيع على العريضة التي رفعت لرئيس الجمهورية واشترك كذلك في الاجتماع الذي خصص لتنفيذ الانقلاب.

قلتُ: نحن أقسمنا يمين الولاء للنظام الجمهوري ولا أوافق على الانقلاب ويجب مقاومته والقضاء عليه من قبل الجيش. ولا أوافق على أي عملٍ مخالف للقانون من أي كان. تابعَ الدور. . . كان الجواب أؤيد أو لا اعتراض عما فعله رؤساؤنا حتى وصل الدور إلى الملازم الأول «سليم شطا» آمر سرية مقر اللواء (كان سابقاً مرافقاً لرئيس الجمهورية). أيدَ رأيي حرفياً ولما وصل الدور إلى الرئيس «محمد ذياب» آمر أحد أفواج اللواء قال: لا أؤيد الانقلاب. آمر اللواء وقائد المعسكرات لم يعلن رأيه بل قال: نتبع صوت الأكثرية. هناك ستة أصوات تأييد لم يعلّق أحد وانتهى الاجتماع.

ذهبنا نحن الثلاثة «أمين أبو عساف» و «محمد ذياب» و «سليم شطا» خِلسة إلى مكتب آمر سرية المقر. كتبنا رسالة موجهة إلى فخامة رئيس الجمهورية السيد «شكري القوتلي» نؤيده ولا نعترف بالانقلاب وندعوه للصمود وإن بعض ضباط الجيش لا يؤيد الانقلاب ووقعنا على الرسالة.

أرسلنا رقيباً من سرية المقر انتقاه الملازم «شطا» يحمل الرسالة إلى دمشق للقصر الجمهوري على أن يسير خارج الطرق ويتجنب النقاط العسكرية خوفاً من التفتيش.

عدنا إلى قيادة اللواء وما أن وصلنا حتى أعلنت الإذاعة عن إلقاء القبض على رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء وتوقيفهما. أوعزت إلى الملازم «شطا» ليسرع بإعادة الرقيب والرسالة. أرسل وراءه ثلاثة عسكريين من العدائيين بالاتجاه الذي عينه له كل بمفرده على جبهة عريضة حتى يكتشفوه، عاد الرقيب وأتلفنا الرسالة.

في تلك الفترة طلب المقدم «بشور» الملازم «شطا» وأعلن استياءه لتوقيف الرئيس وبكى أمامه خشية أن يكون الرئيس قد لحقه أذى حفظاً منه لخط الرجعة!. ثم طلبني وقال: وصلت برقية تأييد من «سلطان باشا» أذيعت في الراديو وكنتُ قد سمعتها. سألَ: ما رأيك؟ أجبت: هو الأمر الواقع وبتّ فيه في الاجتماع. قال: اكتب تقريراً بين فيه أن عموم العسكريين ضباطاً وصف ضباط وجنوداً تلقوا نبأ الانقلاب بغبطة وسرور وإن الجميع يؤيدونه. كتبت التقرير وبعد الموافقة والتوقيع عليه أرسلته في الحال مع مراسل على دراجة نارية.

الحالة العامة قبل الانقلاب

الملازم الأول «سليم شطا» يخبرني عن بعض أسرار القصر ودور «محسن البرازي» و «حسني الزعيم».

في أواخر تشرين ثانٍ /١٩٤٨/ على أثر مرور الذكرى الأولى لقرار تقسيم فلسطين المشؤوم الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة. جرى إضراب عام في دمشق وكل المدن السورية. وقامت المظاهرات تندد بالدول الاستعمارية وتطالب بإسقاط الحكم لأنه لم يقم بواجبه في فلسطين. استمرت مظاهرات الطلاب في العاصمة واستمر الإضراب. استغلت الوضع المعارضة فوقعت مُصادمات كثيرة بين المتظاهرين ورجال الأمن من الشرطة والدرك ذهب ضحيتها قتلى وجرحى من كلا الطرفين. لم تتمكن قوى الأمن من السيطرة على المتظاهرين، مما اضطر حكومة «جميل مردم بك» للاستقالة. ونظراً لصعوبة تشكيل الوزارة، طلب رئيس الجمهورية من الجيش استلام الأمن في البلاد حتى يتمَّ تشكيل الوزارة.

أستلم الجيش الأمن في البلاد وأذاع بياناً باستلامه الأمن ومنع المظاهرات

والتجمعات ومنع التجول أثناء الليل وعدم حمل السلاح. هدأت الحالة وظلت الأزمة الوزارية حتى وصل الأستاذ «خالد العظم» سفير سوريا في باريس شكّل الحكومة وعاد الجيش إلى ثكناته وكان ذلك في أواخر كانون أول عام /١٩٤٨/ .

في أواخر كانون ثانٍ /١٩٤٩/ وأثناء جلسة مجلس النواب انتقد النائب «فيصل العسلي» تسليم الأمن الداخلي إلى الجيش. وانتقد قائد الجيش (كان بينهما خصومة وسوء تفاهم سابقاً).

جمع الزعيم «حسني الزعيم» قادة المناطق والألوية والأفواج في الجبهة. وأخبرهم أنهم يهاجمون الجيش وقائده في المجلس النيابي وهذه إهانة لا يرضى بها.

وافقه الجميع وكتبوا عريضة احتجاج وقعها المجتمعون وحملها الزعيم إلى رئيس الجمهورية السيد «شكري القوتلي» وقدّمها له.

استنكر الرئيس هذا العمل وأنّب الزعيم على عمله وقال له:

«أصبح قائد الجيش مثل مختار الحارة يحمل العرائض الموقعة إلى المسؤولين. ومتى كانت هذه لغة الجيش؟ أنا لا أقبل بذلك وأعتبرك مسؤولاً عن كلّ ما جدث ولم يستلم العريضة منه وصرفه».

وغادر الزعيم «حسني الزعيم» القصر غاضباً.

(تعليق) إن هذا العمل يخالف أنظمة الجيش لأن الاحتجاج الجماعي ممنوع ولا يجوز عرضه أيضاً على عدد من قادة الجيش. بإمكان قائد الجيش عرض هذا الموضوع شفهياً على وزير الدفاع أو اجتماع مجلس الدفاع العسكري ودرس الموضوع.

في اليوم التالي اتفق رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وأعدا مرسوماً بإحالة الزعيم على التقاعد.

علم أمين القصر السابق ووزير المعارف حالياً الأستاذ «محسن البرازي» بهذا المرسوم من الرئيس. تدخّل وأقنع رئيس الجمهورية بإلغائه وطلب منه العفو عن هذه

الهفوة لأنه أفضل من غيره. وإن الزعيم يكنّ كل تقدير واحترام لسيادة الرئيس ويعتبر نفسه مِثلَ أولاده. وهو على استعداد أن يأتيَ بالزعيم للاعتراف بخطئه من جهة تلك العريضة ويطلب الصفح. وإنه يتكفل بالزعيم عدم العودة إلى مثل هذه الأمور.

أتى الأستاذ «البرازي» بالزعيم «حسني الزعيم» أمام فخامة الرئيس. طلبَ العفو والمغفرة وقبَّلَ يدَ الرئيس ووضعها على رأسه. سألتُ الملازم «شطا»: الزعيمُ يقبِّلُ يدَ الرئيس ويضعها على رأسه؟! أجاب: جرى ذلك بحضوري - قبَّلَ يَدَه ووضعها على رأسه.

إن الأستاذ «محسن البرازي» المثقف له سياسة خاصة!!.

لقد نبَّه أكثر من شخصٍ فخامة الرئيس إلى ذلك ولم يصدِّق. حال الأستاذ «البرازي» دون تسريح الزعيم حتى سنحت الفرصة وقاما بهذا الانقلاب. وهو من تدبيره.

مساء ذلك اليوم اتصل معي هاتفياً الملازم «شطا» من منزله في المعسكرات وقال: أرجو حضورك إلى منزلي فوراً. حضرتُ وإذا مفرزة من الشرطة بقيادة ضابط أتت لتوقيفه. سألت عن أمر التوقيف؟ أبرزه لي - أوصاني بعائلته وبتأمين سفرها إلى دمشق. وذهبوا به إلى سجن المزة. وفي صباح اليوم التالي أمنت سفر عائلته إلى دمشق.

في اليوم الثاني للانقلاب، وصلت برقية لوضع الرئيس «محمد ذياب» تحت تصرف وزارة الدفاع رئيساً لغرفة أمين عام الوزارة. عين بهذه الوظيفة الزعيم «عبد الله عطفة» خلفاً للعقيد «أحمد اللحام» الموقوف وسُرِّحَ فيما بعد. كما عين المقدم «أديب الشيشكلي» مديراً للشرطة والأمن العام واستلم مكان المقدم «محمود الهندي» الموقوف وسُرِّحَ فيما بعد.

بقيتُ وحدي ممن خالفوا رأي الأكثرية في الانقلاب ولكن لا أعلمُ حتى الآن سبب توقيف الملازم الأول «سليم شطا» إذا كانت لأسباب قديمة أم لا. أما نقل الرئيس «محمد ذياب» فقد كان لمصلحته بطلب من الزعيم «عبد الله عطفة».

بينما كانت أكثرية النواب مع رئيس المجلس بطلب من رئيس الانقلاب يسعون لحلٍّ الأزمة دستورياً ويتفاوضون مع رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء ورئيس الانقلاب بناءً على طلبه لإيجاد حلول مع المحافظة على الحكم الديمقراطي كان المقربون من الزعيم يسيِّرونه حسب خطتهم.

صدر الأمر العسكري رقم (١) عن المجلس الحربي الأعلى للجمهورية السورية القاضي بتسلّم القائد العام للجيش والقوى المسلحة مهام الحاكم العسكريّ للجمهورية السورية. ويتمتع بكافة الصلاحيات الممنوحة لرئيس دولة.

استناداً إلى الأمر العسكري رقم (١) صارت تصدر المراسيم اعتباراً من /٣٠/٣/١٩٤٩/ عن القيادة العامة للجيش السوري. أي عن الزعيم «حسني الزعيم». أعطى صلاحيات مجلس الوزراء إلى الأمناء العامين للوزارات المختلفة لإصدار القرارات الوزارية اعتباراً من تاريخ /٣٠/٣/١٩٤٩/ . ثم صدر مرسوم حل المجلس النيابي. وتشكيل لجنة دستور لوضع مشروع دستور للبلاد. وقانون للانتخابات النيابية العامة بالسرعة الممكنة.

اعتكف رئيس المجلس النيابي وتفرق النواب وانتهى الأمل بالحلّ الديمقراطي.

في /٢/٤/١٩٤٩/ وصلت برقية بتعييني آمراً لفوج المشاة الثامن في درعا. طلبت من المقدم «بشور» أن يساعدني مع المقدم «بهيج كلاس» لإلغاء النقل. قال: اذهب لمقابلته. أجبت: تكلم معه هاتفياً إذا كنت ترغب في بقائي هنا. أنا اختصاصي في سلاح الفرسان والمدرعات، لماذا لا أنقلُ لأحدِ هذين الاختصاصين. وأنا الوحيد في الجيش الذي أتبع دورة مدرعات في فرنسا! لماذا لا أنقل إلى قطعات المدرعات؟. أما إذا كانت القيادة ترغب إلغاء الاختصاص!! كثيرون أقدم مني. في سلاح الفرسان لستُ الأقدم بينهم ولست الأحدث بين الضباط. ليبدأوا حسب تسلسل الرتب أو القِدم.

طلبَ المقدم «بهيج» على الهاتف قائلاً: (الو - أبو فارس) وبعد السلام قال له: معك الرئيس «أمين» ليشرح موضوع نقله إذا أمكن مساعدته. شرحتُ له الوضع أجاب: خلال يومين إذا لم تلغَ البرقية تلتحق - الحمد الله أُلغيَ النقل. بعد أيام ذهب المقدم «بشور» بمهمة إلى بغداد مع الدكتور «فريد زين الدين» من وزارة الخارجية. واستلمتُ

قيادة اللواء حتى عودته.

في /١٣/ ٤/ ١٩٤٩/ ذهبتُ إلى الكلية العسكرية عضواً باللجنة المعيّنة لفحص الطلاب الضباط. أثناء وجودي في الكلية العسكرية صدرت لوائح الترفيع، كانت مجالَ شكوى كثير من الضباط. الكفاءة والقِدم لم تؤخذ في الحساب. ظهرت بِدعة جديدة وهي: يرفع الضابط ويُعطى قِدماً حسب مزاج الزعيم والذين يوافقونه، فهو لا يعرف كلّ الضباط، ويرفع ويمنح قِدماً للضباط الذين على مزاجه. مثالاً على ذلك - الضابط يأخذ سنة قِدَم حتى يتمّ شروط الترفيع. وبعضهم يأخذ سنة بعد الترفيع مباشرة وبذلك يكون قد تجاوز بالقِدم ضباطاً ترفعوا بصورة قانونية قبله.

رُفِّعتُ لرتبة مقدم مؤقت من تاريخ /١٦/ ٤/ ١٩٤٩/ ورُفِّعَ كثيرون معي. كان أحدهم المقدم «محمود شطرا» قد تخرّج من الكلية العسكرية عام /١٩٣٩-١٩٤٠/ . بعد تخرجه كان بيني وبينه خمس سنوات رتبة. في تصنيف /١٩٤٨/ صُنِّفَ بعدي بثلاثة أشهر. الآن رُفِّعَ معي بنفس التاريخ وكان قد أخذ سنة قدم برتبة رئيس صار أقدم مني وكثيرون بوضعه وبوضعي. في فترةٍ ما خطرَ ببالي ألاّ أحمل الرتبة الجديدة لكن الانضباط والتفكير حالا دون ذلك. وخيراً فعلتُ.

رسالة خاصة إلى المقدم الركن «رياض كيلاني»

رئيس الشعبة الثالثة بالأركان

لما قطعتُ الأملَ بالوصول إلى حقوقي عن طريق قائد الجيش ومعاونه وجهت رسالة إلى أحد أصدقائي رئيس الشعبة الثالثة في الأركان وهو المقدم الركن «رياض كيلاني» هذا نصها:

أخي

تحية وأشواق... رغبت في التحدث إليك ولكن الظروف لم تسمح بذلك. لا يخفاك المعاملة الشاذة التي عوملنا بها، أبناء جبل العرب، ولا نزال كأننا غرباء ولم نقدم الخدمات التي قدّمها المخلصون. ومن الغريب أن الخطيئة الفردية تعم وتشمل

الجميع، بينما الأعمال الشجاعة والبارزة لمصلحة الوطن تهمَلُ وتنسى!!. حبذا لو أجريت دراسة شاملة ودقيقة من قبل ضباط موثوقين لدراسة:

١- عملية الانسحاب من عند الفرنسيين (قطعات الشرق الخاصة) عام /١٩٤٥/ .

٢- حرب فلسطين عام /١٩٤٨/ .

- هذه الدراسة المفصلة تشمل كل الضباط والقطعات والوحدات والمخافر في الجيش السوري تؤخذ كمبدأ لمعرفة الخدمات التي قام بها كلّ على حده مع نسبة الذين استشهدوا في المعارك.

إني على يقين أن هذه الدراسة تثبت أن ما قام به الضباط الدروز وكتيبة الفرسان الأولى تجعلهم في الطليعة لخدمة الوطن.

هل نسي المسؤولون /٢٩/ أيار /١٩٤٥ حيث قامت كتيبة الدروز بواجبها الوطني. أوقفت الفرنسيين وسجنتهم، ورفعت العلم السوري ولأول مرة على ثكنات الجيش بدلاً من العلم الفرنسي وهو أول علم سوري يرفع على ثكنة في سوريا.

وقبل ذلك في /١٥/ ٤/ ١٩٤٥/ تمكن الأستاذ «طرودي عامر» والرئيس «سعدو عامر» من إعلان تمرّد الكوكبة الرابعة التي يقودها وعدم تنفيذ مهمة أعطاها الفرنسيون ضدّ مصلحة الوطن. وهو أول عصيان جماعي في قطعات الشرق الخاصة. كما قضينا على اللغة الفرنسية في الجيش حيث كانت لغتها الرسمية واستبدلناها باللغة العربية. يجب أن نغير التسمية التي أطلقها الفرنسيون وهي (الدروز - والكتيبة الدرزية). رغم تسميتها بالكتيبة الأولى في الجيش السوري. يطيب للبعض إحياءَ اسمها القديم عندما يراد التشهير بالدروز.

في عام /١٩٤٣/ وفي أول مجلس نيابي منتخب يمثل سوريا الموحدة برئاسة السيد «فارس الخوري» أصدر قراراً باستبدال تسمية الفرنسيين «لجبل الدروز» بـ «جبل العرب» هذه التسمية الحقيقية التي نعتزّ بها. ونبقى كلنا سوريين عرب. بدون تفريق في خدمة الوطن المفدى. وقد كان اسمه قبل تسمية الفرنسيين «جبل حوران».

وضعي الخاص:

إني من الأوائل الذين لبوا نداء الواجب وانسحبوا من صفوف القوات الخاصة وانضموا إلى صفوف القوى الوطنية.

أُسندت إلي مهمات صعبة وحساسة حتى قبل استلام الجيش، ولم تُرفع مني قيادة بسبب ضعف أو جبن أو سوء ائتمان.

عُينتُ في تدمر ضابط عشائر وقائد فوج الهجانة قبل استلام الجيش، ثم نُقلتُ إلى السويداء لصالح الخدمة في أصعب الظروف وأحرجها ولم يهدأ لي بال منذ الانسحاب من جيش الشرق الخاص. وما أن تحرك الجيش إلى الحدود الفلسطينية حتى طلبت الاشتراك في العمليات. وأُجِبتُ إلى طلبي في اليوم الثاني /١٦/ أيار.

في /٢٥/ أيار عُيّنتُ آمراً لفوج المدرعات الثاني وكنت فخوراً بهذه الثقة، خضتُ عدة معارك معه. جرحت في إحداها وعدتُ مسرعاً بعد خروجي من المستشفى. حتى كان /١٥/ أيلول أثناء الهدنة الدائمة حيث أُعطيتُ قيادة الفوج لضابط آخر بعد انتهاء العمليات التي لم يحضرها.

بعد هذا التاريخ أُعطيتْ قيادة أكثر الأفواج إلى رؤساء ومنهم أقلُّ قِدَماً منّي. كنت أثناء العمليات وقبل الهدنة الثانية الرئيس الوحيد آمر فوج. . . أصبح كل آمرى الأفواج والكتائب رؤساء إلا أنا وكثرت تنقلاتي وهي:

١٥/ ٩/ نقلتُ رئيساً للشعبة الثالثة في أركان اللواء الثاني في بانياس.

٧/ ١٠/ عدتُ آمر سرية في فوج المدرعات الثاني الذي قُدتُه أثناء العمليات.

٩/ ١٠/ ضابط ارتباط مع الجيش السعودي الذي انتظرته في مخفر «أبو الشامات» ولم يصل.

٢٠/ ١٠/ كتيبة الفرسان الأولى معاوناً لآمر الكتيبة في القنيطرة.

٢٨/ ١١/ نقلتُ إلى اللواء الرابع رئيساً لأركانه في معسكرات قطنا.

لقد راجعت معاون القائد العام مرتين وبناءً على طلبي.

الأولى: عندما جرى نقلي من قيادة فوج المدرعات وتسليمي قيادة سرية فيه.

والثانية: عندما أعادوني آمر سرية إلى فوج المدرعات الثاني الذي قدتُهُ أثناء العمليات. كلّ ما فعله في كلٍّ منها تعديل النقل ثم الوقوع في نفس الخطأ بعد مدة بسيطة ولم يصحح الخطأ.

لقد أحدثت عدة قيادات في الأشهر الأخيرة وتجاهل وجودي ولو كان من سبب لما تألمت.

تأكد أني لم أراجع رئيس شعبة قبلك لأن الشاكي ضعيف ولربما تتخَذُ عنه شتى الأفكار ولكن ثقتي بأخلاقك وتربيتك جعلتني أحدثك بما يلي:

لا يخفاك أَني ظُلِمتُ في التصنيف إذْ جعل الترفيع مقيداً بتاريخ /١/١/١٩٤٧/ بدلاً من /١/١/١٩٤٥/ وهكذا رُفع معي من هم أقل مني قدماً وأتى بعدي بثلاثة أشهر من هم بعدي في الرتبة السابقة بأربعة سنوات وهلم جرا..... الآن جاء دور سنة القدم والذي حصل عليها من الرؤساء صار أقدم مني مثلاً الرئيس «محمود شطرا» فقد كان بيني وبينه حوالي خمس سنوات رتبة، وقد حصل على قدم وصار أقدم مني. أعطيت نفسي مثلاً لأني لم أدرس أوضاع الضباط /فوج - لواء/ وما فوق، ربما ظهرت أمثلة كثيرة جديرة بالدراسة والتصحيح. مضت العمليات ولم يرفع أحد لأن القيادة لم تكن تراقب حتى قيادة اللواء، أهملت مراقبة أعمال الضباط والقطعات المحاربة أثناء المعارك لأنها ساحة الاختبار - ترفيع المستحق في المعركة كما يجري في كل جيوش العالم لا مجال للاعتراض عليه. أما منح سنوات القدم والترفيع العشوائي خارج المعركة بدون طريق التسلل وبدون استحقاق يؤثر على معنويات الضباط ويسبب عدم الثقة بالقيادة ويحطم الجيش.

حبذا لو وضعت القيادة قواعد صارمة للترفيع وعدم التلاعب بمصير الضباط وأن يلغى الترفيع الاستثنائي إلا في ساحة المعركة الحربية، وأن نتبعَ ما هو جارٍ في الجيش الفرنسي الذي نعرفه جيداً بالنسبة للفرنسيين أنفسهم فقط (دون ضابط المستعمرات أو تحت الانتداب).

أثناء المعركة يرفع من يبرز بشجاعته مثلاً:

- يقود هجوماً ناجحاً ويحتل مواقع العدو - يَثْبُت ويصدُ هجوم العدو.

- يفك الطوق عن قوة محاصرة - يخترق حصار العدو - ينفذ مهمات صعبة واستثنائية.

- القيام مع وحدته بأي عمل عسكري مجيد لصالح الجيش حسب تقدير رؤسائه.

أثناء السلم يجري الترفيع على النحو الآتي:

من رتبة ملازم إلى ملازم أول يجري الترفيع بصورة عادية بعد مرور سنتين على الرتبة. من رتبة ملازم أول إلى رئيس يتبع الضباط دورة اجتياز رتبة لقيادة سرية تعينها القيادة. عند انتهاء الدورة يجري الامتحان من قبل لجنة فاحصة تعينها القيادة أيضاً في المواد المقرة ومنها قيادة سرية في تمارين القتال. يسجل الناجحون على لوائح اسمية حسب تسلسل درجاتهم وبعد إتمامهم أربع سنوات في رتبهم. وفي الوقت المحدد للترفيع يبدأ ترفيعهم وبالتسلسل حسب وجود الشواغر. لا يرفع إلا الضباط الذين اتبعوا الدورات. من رتبة رئيس إلى رتبة رائد يتبع الضباط دورة اجتياز رتبة لقيادة الفوج ثم يُتبع نفس الأسلوب المبين أعلاه.

اعتباراً من رتبة رائد يتقدم الضباط إلى مسابقات - الانتقاء لدورة الأركان - الناجحون يتبعون دورة الأركان. والناجحون في هذه الدورة يستحقون الترفيع بعد إتمام المدة المؤهلة للترفيع في الوقت المحدد، وحسب تسلسل الدرجات والشواغر.

بعد ذلك تأتي دورة الأركان العليا يتبع نفس الأسلوب أي لا يصل إلى المراتب العليا إلا النخبة المختارة من الضباط الأمراء ويستمرون في إتباع دورات عليا مقرره لأن الفن العسكري يتطور دائماً مثل باقي العلوم.

تبقى ساحة المعركة هي الميزان الحقيقي الدقيق لمعرفة إمكانيات الضباط وبما أن القائد العام يحمل مهمات جساماً خارج الجيش وبعض معاونيه ينفذون رغباته أحياناً بدون دراسة حتى وإن كانت مخالفة للقانون، لعلك ورفاقك الشباب المخلصين

تتمكنون من الحد من هذه التصرفات وتطبيق القانون والمحافظة على التقاليد العسكرية.

أطلت عليك ولكنها أمور تتعلق بالخدمة والواجب وأسلم.

كان المقدم الركن «رياض كيلاني» من طلاب الفرسان السنة الثانية للعام الدراسي /١٩٤٠ - ١٩٤١/ عند تعيين الملازم الأول «أمين أبو عساف» مدرباً في الكلية العسكرية. وهو من تلاميذه. تخرج في تلك السنة برتبة مرشح وكان الأول على دورته من الفرسان بينما حصل الطالب «جميل زهر الدين» على الدرجة الثانية.

استلامي قيادة فوج المدرعات الثالث

قبل انتهاء امتحان طلاب الكلية العسكرية في حمص استلمت برقية نقلت بموجبها آمراً لفوج المدرعات الثالث الموجود بجوار (الشيخ مسكين). التحقت بتاريخ /٢٦/ ٤/ إلى شيخ مسكين. استلمت قيادة الفوج من المقدم «فيصل أتاسي» المنقول إلى الشعبة الأولى في الأركان العامة.

كان الفوج قد شكل حديثاً - مصفحاته من طراز قديم يخيم في منطقة الشيخ مسكين. كنتُ في معسكرات قطنا شبه معزول عن الاتصال مع باقي ضباط الجيش. وسأروي كيفية حدوث انقلاب /٣٠/آذار /١٩٤٩/ بناء على معلومات أخذتها من ضباط اشتركوا بالتنفيذ.

فقد جمع الزعيم قادة المناطق وآمري الألوية جميعهم وآمري الأفواج والكتائب في الجبهة ومنهم المقدم «توفيق بشور». وخلال الاجتماع بُحِثَت انتقادات النائب «فيصل العسلي» في البرلمان وهجومه على الجيش وقائده وقد أعتبرت إهانة قاسية موجهة إليهما. ثم مصير العريضة ورفض قبولها من قبل رئيس الجمهورية. وهذه إهانة ثانية أيضاً يضاف إلى ذلك عدم تحضير الجيش للمعركة ونقص في العدد والسلاح والذخيرة. عدم الاستقرار السياسي - مظاهرات غلاء أسعار - فساد الحكم كل ذلك سبب ضياع فلسطين.

وبما أن الجيش لا يمكنه السكوت على الإهانات الموجهة إليه، وانحراف الحكم عن الديقراطية يجب القيام بانقلاب وتصحيح الأوضاع السياسية وتسليم الحكم إلى فئات أخرى من السياسيين.

وافق الجميع على هذا الرأي عدا اثنين هما المقدم «محمد صفا» الذي قال لا أوافق إنّا أقسمنا اليمين بالولاء لهذا العهد، والانقلاب غير مشروع. والمقدم «طالب داغستاني» طلب عدم الأشتراك في الانقلاب (وكان سابقاً مرافقاً لرئيس الجمهورية) زجّهما في السجن. - أعطى القائد العام تعليماته إلى قادة المناطق وانصرفوا لتنفيذ الأوامر - عُيّن المقدم «أديب الشيشكلي» لقيادة القوة التي تنفذ المهمة في دمشق وهي قطعات الجبهة. جهزت السيارات الإضافية اللازمة من سرية النقل.

مساء /٢٩/٣/ تحركت القوة إلى جوار دمشق وطوقتها من جهتي الجنوب والغرب.

صباح /٣٠/٣/ الساعة الثانية دخلت دمشق واحتلت الأماكن المخصصة لها ومنها (دار الإذاعة - دار الحكومة - البرلمان - مديرية الشرطة والأمن العام - قيادة الدرك.... الخ).

اعتقلت الفصائل المعينة كلاً من رئيس الجمهورية السيد «شكري القوتلي» ورئيس مجلس الوزراء السيد «خالد العظم» والمقدم «محمود الهندي» مدير الشرطة والأمن العام والعقيد «أحمد اللحام» الأمين العام لوزارة الدفاع الوطني ووزير المالية السيد «حسن جبارة» والنائب «فيصل العسلي» والسيد «وجيه الحفار» مدير جريدة الإنشاء.

تقدم وزير المعارف السيد «محسن البرازي» وطلب اعتقاله زيادة في التمويه! أجيبَ إلى طلبه ثم أُطلِقَ سراحه بعد برهة كما أطلق سراح وزير المالية.

يتضح أن كل المسؤولين الكبار في الجيش شاركوا في الانقلاب من آمر فوج وما فوق عدا اثنين عارضاه زجهما في السجن.

عادةً تَنَقُّلُ القطعات ضمن الجمهورية السورية من صلاحيات وزير الدفاع ولما كان

وزير الدفاع هو السيد «خالد العظم» وبالوقت نفسه هو رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية. ونظراً لكثرة مهامه فوض قائد الجيش بهذه الصلاحيات كان قائد الجيش الزعيم «حسني» هوالقائد العام للجيش والقوات المسلحة من (درك وشرطة) بالإضافة إلى صلاحيات وزير الدفاع. كل عناصر القوة. . . والصلاحيات محصورة بيده.

ما هي القوى المقابلة:

أولاً: القانون والدستور. دولة دستورية مستقلة - ممثلة بنظامها الجمهوري. رئيس الجمهورية - رئيس مجلس النواب - رئيس مجلس الوزراء. ونواب وكل متممات الدولة.

ثانياً: بعض الحراس أمام قصري رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء.

إن القائد العام المكلف بحفظ النظام والأمن في البلاد الداخلي والخارجي يستغلُّ قوته وصلاحياته الواسعة، يتخلى عن الانضباط وهو القاعدة الأساسية في الجيش. يحنث بيمين الولاء للنظام القائم، يهاجم رؤساء البلاد الشرعيين ليلاً يعتقلهم - يغتصبِ السلطة - ويستلم الحكم ولم يمضِ أكثر من شهر على تقبيل يد الرئيس وطلب السماح بسبب عريضة الاحتجاج التي وقعها من ضباط الجيش.

إن الضباط الذين وافقوه على هذا العمل ليتحملون المسؤولية تجاه وطنهم ورؤساء البلاد الشرعيين وجيشهم وضمائرهم. لم أسمع من أي ضابط عن اجتماع المجلس الحربي الأعلى.

إن الأوامر العسكرية والبلاغات التي أذيعت، من الذي أملاها؟. إنها خطة مدبرة لا يعلم تفاصيلها إلا رئيس الانقلاب والسيد «محسن البرازي» دماغ الانقلاب المفكر!.

استلامي قيادة فوج المدرعات الأول

في /٢٦/ ٥/ ١٩٤٩/ التحقت لاستلام فوج المدرعات الأول في حرش المومسية بالقرب من القنيطرة هذا الفوج الذي أبلى بلاءً حسناً أثناء حرب فلسطين. اشترك في كلِّ

المعارك الهامة (معركة سمخ الأولى والثانية - معركة احتلال كعوش - معارك احتلال تل العزيزيات الأولى والثانية) وهو قوي التسليح يتكون من سرية دبابات (رينوهوتشكيس)، كوكبتين مصفحتين «مارمون» حديثة نسبياً سريتين منقولتين مع آلياتهما مع رافعات وورشة إصلاح آلية وكل وسائط النقل التي تخصه.

تتابع على قيادته ثلاثة ضباط المقدم «عمر خان تمر» الذي قاده أثناء العمليات والمقدم «صبحي عبارة» ثم المقدم «حسني جروس» الاثنان الأخيران لم يستلما قانونياً بموجب محاضر استلام وتسليم وكل شيء باقٍ على مسؤولية المقدم «عمر». المقدم «جروس» رفض تسليمي لأنه لم يستلم وكذلك المقدم «صبحي عبارة» زرت مستودعات الفوج في معسكرات قطنا والقابون وجدت أطناناً من العتاد الحربي غير مسجلة وغير محصورة كان قد وصل مع الدبابات (رينوهوتشكيس) من قبرص حيث تمّ الشراء بالوزن من مخلفات الحلفاء.

كان من هذه الصفقة /١٥/ دبابة مسلحة وصالحة للعمل بعد صيانتها وتنظيفها. دخَلَت على السجلات واستخدمت في العمليات. أما باقي الصفقة فبقيت بدون فرز لمعرفة محتوياتها ومفرداتها (سلاسل لسيرالدبابات - أبراج - أسلحة بدون تسجيل الخ...).

قال الضابط المحاسب: إن هذا العتاد لم يدخل على سجلاتنا واستلامه ليس فيه مسؤولية. أجبته: إني اطلعت على هذا الإهمال ويجب إصلاح الخطأ. حسب قانون المحاسبة العسكرية الزيادة مثل النقص يحاسب عليها آمر الفوج. فضلاً عن إعطاء الفرصة لسرقة بعضها بما أنها غير مسجلة وعدم خزنها فنياً يسبب سرعة إتلافها. كان يجب فرز هذا العتاد منذ وصوله للاستفادة منه وأخذه على السجلات الرسمية.

عرضتُ الموضوع على الأركان. قررت أن يسلمني المقدم «عمر» استلمت حسب محاضر تسليم واستلام قانونية. أوقفت موجود الصندوق بتاريخ نقل المقدم «عمر» حسب سجل الواردات والصرفيات بتاريخ /١٨/١٢/١٩٤٨ لغاية رقم /٦٧/ محاسبة الإطعام موقوفة بتاريخ /١/١٢/١٩٨٤/ ومحاسبة الندوة أموال موجودة - بضاعة - عتاد خاص بالندوة. كنت قد دققت الحساب حتى تاريخ استلامي الفوج.

وجدت أن خسائر الحرب بكل أنواعها خصوصاً الآليات لم تسوَّ أوضاعها ولم تخرَّج من السجلات رغم مرور أكثر من سنة على الهدنة الثانية والضباط الثلاثة لم يفعلوا شيئاً لتسوية أوضاع العتاد المفقود وضبط محاسبة الفوج وتخريج خسائر الحرب بصورة قانونية.

لم أوافق على بقاء أمور المحاسبة تسير في طريق غير قانوني. وضعتُ حداً للإهمال وسرت على الطريق الصحيح (أحتفظ بمحاضر التسليم والإستلام لفوج المدرعات الأول موقعة من المقدم «عمر خان تمر» ومنّي شخصياً بتاريخ الاستلام تشير إلى الأخطاء التي ذكرتها).

وبناءً على طلبي شكلت الأركان لجنة اختصاص فنية من المحاسبة والرحبات العامة والمدرعات لجرد العتاد (المكوم) وإعطاء الرحبات ما يخصها والذي يخص الفوج أستلمه قانوناً على السجلات والباقي يخزّن بصورة قانونية. وهكذا سعيت لحل إشكالٍ مضى عليه وقت طويل مهملاً.

وجدت أن هذا الفوج النموذجي والذي كانت القيادة تعتمد عليه كثيراً في القتال بدأ يتقهقر. لم يمضِ على المقدم «جروس» أكثر من شهر في قيادته حتى أثار النعرات الطائفية بين رفاق السلاح الذين خاضوا معارك ناجحة معاً عندما كان الفوج بقيادة المقدم «عمر» والمقدم «عبارة». أشعل نار الفتنة بين المسيحيين والدروز. اعترض بعض الضباط على هذا العمل ولكنه تمكن من نقل عدد كبير من الأخصائيين الدروز إلى قطعات أخرى.

هال القيادة ما وصل إليه الحال في هذا الفوج القوي من التناحر. أجمع المخلصون أنه لا يمكن إعادة هذا الفوج إلى ما كان عليه من انضباط وتماسك إلاّ المقدم «أمين أبو عساف» (هكذا أخبروني فيما بعد). عُينتُ لإصلاحه وإعادته إلى سابق عهده من الثقة المتبادلة بين جميع أفراده. أما المقدم «جروس» بدلاً من محاسبته على عمله. استلم مكاني قيادة فوج المدرعات الثالث. هل كان عمله موحى إليه من بعض المسؤولين في القيادة؟ أم تصرف شخصي؟ ولماذا لم يحاسب عليه.

في الفوج بدأت صفحة جديدة. كل يحاسب على عمله. لا أقبل التكتلات الدينية

مطلقاً. كلكم تخدمون جيشاً واحداً وعلماً واحداً - المكافأة لمن يجيد عمله. كنت أمرُّ عليهم في ساحات التدريب وأتعرف شخصياً على الضباط والرقباء والجنود لمعرفة إمكانيات كلٍّ منهم. تمكنت من القضاء على أسباب الفُرقَة في وقت قصير. وعاد الفوج إلى سابق عهده قطعة متماسكة منضبطة.

أثناء خدمتي لم أميز بين مسلم ومسيحي ولا بين ابن المدينة أو القرية أو البادية. عليهم نفس الواجبات ولهم نفس الحقوق. كان هذا هدفي دائماً منذ تخرجتُ من الكلية العسكرية أن يسود العدل بين العسكريين كلٌّ حسب مقدرته وعمله وكفاءته. أن يأخذ المكان الذي يستحقه يُرَفع من هو أهلٌ لذلك وبصورة خاصة أثناء المعركة. هذا ما جعل كل القطعات التي قدتها ترتبط بقائدها تنفذ أصعب وأخطر المهمات وتقوم بواجبها على أكمل وجه بسبب وجود الثقة المتبادلة بين الآمر وعناصره.

منعت كلياً أيّاً كان في الفوج من التحدث بالسياسة حتى في خيمة النادي الذي يجتمع فيه الضباط لتناول وجبات الطعام. لا أسمحُ لأحد نقل خبر سواء كان من الجريدة أو من رفاقه يتعلق بالوضع السياسي. صار الضابط لا يأمن رفيقه من التجسس عليه.

فوج المدرعات الأول من ملاك اللواء الأول بقيادة الزعيم «سامي حناوي» مركزه في الجبهة حرش المومسية بجوار القنيطرة.

تشكيل الوزارة الأولى في عهد «الزعيم»

ثم انتخابه رئيساً للجمهورية

تابعتُ أخبار الانقلاب. البيان الأول يشير إلى استلام الحكم مؤقتاً - الحرص والمحافظة على استقلال البلاد - تهيئة حكم ديمقراطي صحيح.

تلقى الشعب نبأ الانقلاب بارتياح للتخلص من الفوضى التي كانت سائدة. جرى

تسريح بعض الموظفين الذين لا عمل لهم وغير الأكفاء المرتشين. . . .

ظنَّ الكثيرون أن عهداً من الحرية والمساواة والاستقرار والعدالة قد بدأ وخاب ظنهم. استلم الزعيم صلاحيات الحكم بموجب أوامر عسكرية وانفرد به. ولكن هل يقف عند هذا الحد؟ من الذي يوجه الزعيم ويسيطر عليه ويقف وراءه؟ لا يوجد دليلٌ يوحي بأنه سينفذ وعوده التي قطعها على نفسه؟.

استمر مجلس الأمناء العامّين يدير شؤون مجلس الوزراء تحت رئاسته. واستقال رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء ثم خرجا من السجن ووضعا تحت الإقامة الجبرية في المنزل وبعد مدة سافر رئيس الجمهورية إلى الخارج للاستشفاء والابتعاد عن البلاد. كلف أحد أعضاء المجلس النيابي البارزين الأمير «عادل أرسلان» لتشكيل الوزارة ولما تمّ تشكيلها استولى على الرئاسة مع وزارتي الداخلية والدفاع. بقي الأمير «عادل» نائباً لرئيس مجلس الوزراء وزيراً للخارجية حتى يتخلص منه في أول مناسبة.

في /١٧/٦/١٩٤٩/ شكل القائد العام للجيش والقوات المسلحة الحاكم العسكري للجمهورية السورية الزعيم «حسني الزعيم» الوزارة الأولى في عهده واحتفظ لنفسه مع الرئاسة بوزارتي الداخلية والدفاع. في قيادة الجيش يعتمد على ضباط مخلصين يديرون العمل يمكنه الاعتماد عليهم لإدارة مهام القائد العام للجيش والقوات المسلّحة ووزارة الدفاع أما وظائفه الأخرى:

الحاكم العسكري للجمهورية السورية - رئاسة الوزراء - وزارة الداخلية فكان يمارسها هو! أهذا هو الإصلاح!!.

تابع الزعيم طريق اللاعودة إلى الديمقراطية وهو يطبق الحكم الديكتاتوري المطلق. من هم الذين يخططون له ويسيرونه؟ من المحتمل أن يكونَ توجيهاً خارجياً. قبل الانقلاب كان المجلس النيابي قد ناقش مشروعي اتفاقية (التابلاين - وشركة نفط العراق) تبين أن الشروط لا تؤمن حقوق البلاد وبعد المناقشة ردتا وطلب شروطاً أفضل.

استطاع الغرب تمرير الاتفاقيتين. فجأة وبجلسة واحدة وافقت حكومة «الزعيم»

على اتفاقية التابلاين كما هي رغم عدم قبولها من قبل المجلس النيابي المختص. وبعد مدة صدّقت اتفاقية نفط العراق كما هي بنفس الشروط.

الغريب والملفت للنظر أن تقام مأدبة غداء احتفاءً بهذه المناسبة!! . من قبل الزعيم لوزير الولايات المتحدة المفوض وضباط أمريكيين وممثلي شركة التابلاين والجنرال «رايلي» رئيس لجنة الهدنة الأميريكي.

صلات الحكم مع تركيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا جيدة، وسيئة مع الدول العربية. زاد من الشقاق بين محور الهاشميين من جهة ومحور مصر والسعودية من جهة ثانية سياسته عدوانية تجاه لبنان. لاحق الملازم «أكرم طبارة» من الشعبة الثانية مع ثلاثة جنود العميل «كامل حسين اليوسف» داخل الحدود اللبنانية وقتلوه رمياً بالرصاص. ولما كان لبنان يعتبر أن «كامل حسين» شيخ الخالصة من قرى الحولة في فلسطين هو لاجىء في لبنان، أوقف الضابط وجنوده ورفض تسليمهم. عندما وصل الخبر إلى الزعيم أراد مهاجمة لبنان ولكن مستشاره «حسني البرازي» هذه المرّة أثناه عن ذلك. أمر بقفل الحدود ومنع التموين عن لبنان لعدة أيام حتى وجدت حلول إدارية لهذا الحادث.

ساءت سياسته الداخلية - تعطيل الصحف - توقيف بعض رجال السياسة الذين بقوا في البلاد وفرض الإقامة الجبرية على بعضهم - حل الأحزاب - أعمال مخالفة للقانون من قبل أفراد الشرطة العسكرية - تصريحاته الهوجاء. بدأ يسعى لاستلام رئاسة الجمهورية لم ينتظر انتهاء الدستور حتى يحصل عليها. كل وسائل الأعلام والصحافة تسير حسب التوجيه.

أوجد معاونوه الطريقة التي توصله سريعاً لرئاسة الجمهورية. الانتخاب المباشر من قبل الشعب. صدرت التعليمات، رشح «الزعيم» نفسه لرئاسة الجمهورية لم يترشح أحد غيره لهذا المنصب حصل على ١٠٠٪ من الأصوات.

في ١٩٤٩/٦/٢٦ استلم الزعيم «حسني الزعيم» مهامه رئيساً للجمهورية باحتفال رسمي - وعين السيد «محسن البرازي» رئيساً لمجلس الوزراء.

بعد يومين من تنصيبه رئيساً للجمهورية - أُضيفَ للدستور الذي لم يصدر بعد مادة تقضي بأن يحمل رئيس الجمهورية إذا كان من العسكريين لقب مشير وكانت عصا المارشالية جاهزة منذ وقت من فرنسا. حضر الضباط يمثلون كل القطعات لتهنئة الرئيس. ولم أحضر أنا.

بعد فترة أقام حفلة على شرف الضباط حضرها عدد كبير ولم أحضر أيضاً!. وقد كان الفوج ممثلاً في الحفلتين. بدأ يشك في كل إنسان وبصورة خاصة ضباط الجيش. هذه المسؤوليات تفوق إمكانيات المشير. أخبار كثيرة تشير لتقربه من فرنسا. وأنه يرغب تشكيل حرسه الخاص من الجنود الفرنسيين. على أن يكون لباس الرأس الكوفية والعقال. رفض الفرنسيون أن يلبس أبناؤهم هذا الزي. لو عرض ذلك على بريطانيا لقبلتهُ!.

أخبار خطيرة تصل من المطلعين همساً ولمحات متفرقة نسمعها من مصادر متعددة مما يثبتُ صحتها - ما المانع من تشكيل فرقة سورية تامة التسليح والتجهيز وبملايين الدولارات الأمريكية!!. ويمكن رفع عدد الفرق إلى ثلاث. مقابل الصلح مع إسرائيل ولا بدّ من قبول الدول العربية ذلك. أصبح المشير مطية ينفذ سياسة أجنبية - المصير مظلم والطريق خطرة!؟.

من هو «حسني الزعيم»؟

هو من مواليد مدينة حلب عام /١٨٨٩/ ينتمي إلى عائلة الزعيم المعروفة.. تلقى علومه في مسقط رأسه حلب ثم التحق بالجيش التركي حيث كان والده مفتياً فيه. تلقى علومه العسكرية في معاهد تركيا وتخرج منها برتبة ملازم. وأشترك في أواخر الحرب العالمية الأولى بمعارك الجيش التركي في فلسطين. بعد جلاء الأتراك التحق مع رفاقه الشباب آنذاك بقطعات الشرق الخاصة التي شكلتها سلطات الانتداب الفرنسي في سوريا. اتبع دورة تأهيل في الكلية العسكرية بحمص عين بعدها برتبة ملازم - بأفواج المشاة وتدرج في الرتب العسكرية.

في /٨/ أيار /١٩٤١/ كان برتبة مقدم عندما هاجم البريطانيون وقوات فرنسا

الحرّة سوريا ولبنان من فلسطين. عهدت إليه القيادة الفرنسية لقوات «فيشي» وكان هو من القوات الخاصة التابعة لها بالدفاع عن دمشق (حرب شعبية وحرب عصابات) ومراكز دفاعية ثابتة، وفوضوه بانتقاء ضباط نظاميين ليقوموا بقيادة الفصائل الشعبية. على أن يفرز هؤلاء الضباط مؤقتاً لهذه المهمة. وتسري عليهم القوانين كما لو كانوا في القطعات النظامية. ومع ضابط محاسب هو الملازم الأول «حسين غزي» وجهاز محاسبة كامل.

استلم التجهيزات والأسلحة والعتاد اللازم للقيام بهذه المهمة، وجلب مبلغاً من المال يقدّر بثلاثمائة ألف ليرة سورية أو أكثر.

عندما رأى قوة الجيش البريطاني وتقدمه وتراجع قوات فيشي وأنها ستنسحب لتحلّ مكانها قوات فرنسا الحرة. توارى عن الأنظار مع المال وتصرف بالسلاح باع بعضه ظناً منه أنه سينجو بالغنيمة. ولم يفعل شيئاً لتنفيذ مهمته.

استسلمت قوات «فيشي» الفرنسية وأبحرت بكل معداتها إلى فرنسا - حسب شروط الهدنة وحلّت محلها قوات فرنسا الحرة واستلمت قوات الشرق الخاصة وكل السلطات المدنية والعسكرية التي يتمتع بها الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان وهي تعلم بموضوع المقدم «حسني الزعيم» وانضمّ إليها بعض الضباط الفرنسيين. ألقت القبض عليه وحاكمته مع أعوانه في المحكمة العسكرية ببيروت بجرم الخيانة. حكم عليه بتجريده من رتبته وسجنه خمسة عشر عاماً وإعادة الأموال والأسلحة. وزُجَّ به في سجن المزة.

عام /١٩٤٥/ عندما غادرت فرنسا بسبب استقلال سوريا ولبنان أطلقت سراحه كباقي السجناء لديها. لم تسلمهم إلى السلطات المسؤولة لأنهم أصحاب سوابق وعملهم يقلق الحكومات المحلية.

في عام /١٩٤٦/ أُعيدَ إلى الخدمة في الجيش بناءً على الحاجة. رفع لرتبة عقيد أسوة برفاقه الذين ترفعوا في الخدمة. عين قائداً للمنطقة الشرقية في دير الزور. ثَبُتَ عليه الاتصال بالملك «عبد الله» وقبضه المال وتأييده مشروع سوريا الكبرى.

رفع من قيادته وعين في حلب رئيساً للمحكمة العسكرية على أساس أنه لا يقود قطعات وليس منه خطر. ثمّ عين مديراً للشرطة والأمن العام.

في /٢٣/ ٥/١٩٤٨/ عاد للجيش ورفع لرتبة زعيم وتسلم رئاسة أركان الجيش القائد العام للجيش والقوات المسلحة نظراً لوجود حالة الحرب.

إن إعادة مجرم مجرّد من رتبته العسكرية بموجب حكم قضائي وترفيعه مرتين بينما هو خارج من السجن؛ من المسؤول عنها؟. وجميع تنقلاته حتى وصل إلى وظيفة القائد العام للجيش والقوات المسلحة. إنها القيادة العليا من رئيس الأركان السابق إلى الوزراء وبصورة خاصة وزير الدفاع إلى رئيس الجمهورية هم المسؤولون عن اغتصابه السلطة. كل موظف في الدولة حتى الحارس الليلي يطلب منه وثيقة حسن سلوك من مركز إقامته الدائمة ووثيقة لا حكم عليه. وشهادة حسن سلوك من الجيش للذين سرحوا بصورة قانونية وهذا معروف في كل دوائر الدولة ومنها الجيش.

السيد «حسني الزعيم» خرج من السجن شخصاً عادياً لأنه جُرِّدَ من رتبته بموجب حكم صادر عن محكمة معترف بها. السلطة التي أصدرت الحكم هي نفسها التي كانت تتولى قيادة قطعات الشرق الخاصة ولها الحق قانوناً بالترفيع والعزل وكل أنواع الثواب والعقاب. فالقانون الفرنسي وكان سارياً في ذلك الحين على قوات الشرق الخاصة لا يمكن الشك في نزاهة أحكامه. من المسؤول عن كل ما حدث وسيحدث؟.

في /٣٠/ ٣/ ١٩٤٩/ قام بانقلاب اغتصب السلطة وأوقف رئيس الجمهورية السيد «شكري القوتلي» ورئيس مجلس الوزراء السيد «خالد العظم» ووزير الدفاع ثمَّ حلَّ المجلس النيابي. بأمر عسكري منه عين نفسه الحاكم العسكري للجمهورية السورية وتسلم كافة الصلاحيات الممنوحة لرئيس دولة.

في /٢/ ٤/ ١٩٤٩/ أصدر أمراً عسكرياً يتولى بموجبه الأمناء العامون صلاحيات الوزير كلّ في وزارته.

في /١٦/ ٤/ ١٩٤٩/ شكل وزارة برئاسته واحتفظ لنفسه بوزارة الدفاع ووزارة الداخلية.

في /٢٦/٦/١٩٤٩/ أنتخب رئيساً للجمهورية مع لقب مشير.

كان رئيس الجمهورية قد سجن وأبعدَ عن البلاد ورئيس مجلس الوزراء أيضاً قد سجن. من يعوض الشعب عن فقد الحريات وتلاعبه بمصير الوطن ومقدساته وكل سيئات المشير «حسني الزعيم».

من نوادرالزعيم - المشير - السمن المغشوش

كان المقدم «أنطوان بستاني» مديراً لمحاسبة الجيش مسؤولاً عن التموين. تبين أنه مع بعض أعوانه الذين لهم صلة بذلك، اتفقوا على استلام مواد مغشوشة من المتعهد لقاء رشوة من المال.

إن تموين الجيش يجري بموجب مناقصات موسمية كالخضار والفواكه الخ. . . ، ومنها سنوية كالبرغل والسمن والعدس الخ. . . في موقع أو عدة مواقع. تؤلف لجنة لفض العروض. بعد دراستها تعين من ترسو عليه المناقصة ليكون المتعهد. ثم تؤلف لجان لاستلام المواد حسب دفتر الشروط الذي يبين نوع المادة وهي دائماً من النوع الجيد.

أخذ الجيش السوري هذه الخبرة عن الفرنسيين. وكان دائماً المطلوب من السمنة السمن العربي الجيد. استمروا بتقديم السمن المغشوش وربما غيره من مواد التموين. حتى اكتشَفَ الغش رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وزير الدفاع خلال زيارتهم للجبهة، أثناء الهدنة الثانية وبمرورهم من قرب أحد المطابخ اكتشفوا ومن معهم رائحة كريهة تفوح منه. أثناء غلي السمن على النار. دخلوا المطبخ وتذوقوا الطعام وأرسلوا السمن للتحليل - تبين أن لا وجود للسمن مطلقاً بل هو من الشحم ومع خزنه يتعفن وتخرج منه رائحة كريهة - وهذا ما اكتشفه رئيس الجمهورية ومرافقوه.

طلب رئيس الجمهورية من قائد الجيش أن يفتح التحقيق ويحيل المسؤولين إلى القضاء. جرى ذلك عندما كان الزعيم رئيساً لأركان الجيش وهوالمسؤول الأول عن تموينه وغذائه ولباسه. نتيجة التحليل ثَبُتَ الغش وتبين مدى تأثيره على صحة العسكريين. خصوصاً ونحن في حالة حرب. وكل العسكريين بما فيهم الضباط

مطعمين أي يتناولون طعامهم من نفس المواد.

نتيجة التحقيق ثبت تواطؤ بعض المسؤولين وعلى رأسهم المقدم «أنطوان بستاني» مع المتعهد منذ زمن بعيد. أودعوا جميعهم السجن من أجل المحاكمة حتى ينال كل جزاءه. يقال إن المقدم «بستاني» أرسل إلى الزعيم مهدداً بإفشاء السر إن لم يساعدهم على لفلفة الموضوع.

بعد الانقلاب وقد استتب له الأمر. أفرج عنهم جميعاً ورقّع المقدم «بستاني» إلى رتبة عقيد. وهكذا أسدل الستار على فضيحة السمن وغيرها من المواد التي ظهرت في التحقيق.

«المشير» و «أنطون سعادة»

بعد الانقلاب أخبرني الدكتور «يوسف صايغ» من دمشق وكان يقضي خدمته الإلزامية في الجيش طبيباً في فوج المدرعات الأول وينتمي إلى الحزب السوري القومي. أن الزعيم «حسني الزعيم» وهو يعرف جيداً الرئيس «أنطون سعادة» رئيس الحزب. اتفق معه وشجعه على القيام بأعمال عسكرية تؤدي إلى إسقاط الحكم في لبنان لصالح الحزب السوري القومي ويستلمه.

كان لدى الحزب قوة مدربة وزوده ببعض الأسلحة التي تنقصه بالإضافة لأسلحته. هاجم الحزب بعض المخافر وأحتلها مستغلاً الانقسام الطائفي الموجود في لبنان وما أن بدأت أعمال الهجوم والتخريب حتى هبّ لبنان بكل بنيه على مختلف طوائفه للقضاء على الحزب الذي فاجأهم بأعماله العسكرية.

أسرعت الحكومة اللبنانية وسيرت الجيش وقضت عليهم وشتتتهم وأسرت بعضهم أودعوا السجن واختبأ بعضهم وفرّ القسم الآخر إلى سوريا.

لجأ «أنطون سعاده» إلى سوريا وسلّم نفسه إلى الزعيم لاجئاً سياسياً!. قبل الزعيم لجوءه وكرّمه وأهداه مسدساً، عين مكان إقامته وأوعز بتأمين حراسته.

بعد فترة وبين أخذ ورد اتفق مع السلطات اللبنانية على تسليمه رغم معارضة المقدم «إبراهيم الحسيني» رئيس الشرطة العسكرية في ذلك الحين.

إن السلطات اللبنانية أعجز من أن تفرض ذلك على الزعيم - فتشْ عن السلطة الأجنبية. وأخيراً حضر مدير الأمن اللبناني مع عنصرين من جنوده إلى القصر الجمهوري. وطلب القصر كعادته «أنطون سعاده» لمقابلة الزعيم. وعندما وصل بدون حراسة وبدون سلاح فوجىء بتسليمه من قبل أحد المسؤولين في القصر، ويقال إنه، رئيس مجلس الوزراء إلى مدير الأمن اللبناني.

فور وصوله إلى بيروت جرت محاكمته، وأعدم فجر اليوم التالي نهار الجمعة /٨/ تموز /١٩٤٩/ مع بعض مرؤوسيه.

إن هذا العمل ليس من أخلاق العرب. ولا يقدم عليه حاكم متمدن يحترم نفسه ويحترم القانون. أن يسلِّم شخصاً ورَّطه في الإجرام وقبله لاجئاً سياسياً وأمنه على حياته ثم يخونه ويسلمه!!.

هذه المعلومات من السيد «صياح حميدان»:

عام /١٩٤٣/ كان الرئيس «إبراهيم الأطرش» في الجزيرة مع كوكبته. أتى لمقابلته الملازم الأول «جميل زهر الدين» ومعه الملازم «إحسان كم الماز» ابن أخت المقدم «حسني الزعيم» وطلبا منه أن يخبر «سلطان باشا» و «يوسف باشا الأطرش» ليتوسطا مع المفوض السامي الجنرال «كاترو» من أجل الإفراج عن «حسني الزعيم» حيث كان معتقلاً في سجن المزة يمضي مدة حكمه.

حمل الرسائل إليهما الرقيب «صياح حميدان» فوراً مع رسالة من الملازم «إحسان كم الماز» لوالدته بدمشق يخبرها عن مسعاه لتوسيط «سلطان باشا» وقد أوصلها أيضاً العريف «صياح».

أرسل «سلطان باشا» و «يوسف باشا» من قبلهما «عقله بك القطامي» لمقابلة المفوض السامي باسميهما من أجل الإفراج عن المقدم «حسني الزعيم». ولما كان

إخراجه من السجن مستحيلاً بسبب شدة الحكم وكان الجنرال يرغب قبول الوساطة، فقد نقله من سجن الأشغال الشاقة في المزة، حيث كان في زنزانة تقضي على صحة شاغلها؛ إلى سجن (الميّه وميّه) في لبنان وهو سجنٌ عادي.

في أواخر الهدنة الثانية أثناء عمليات /١٩٤٨/ كانت قلعة الحصن بيد الجيش السوري وفيها مخفر من الكتيبة الأولى. بعد وقف إطلاق النار تعرّض المخفر لهجوم قوي من قبل العدو. ولما رأى آمر القطاع استحالة الدفاع عنه وعدم إمكان دعمه أمر بإخلائه بعد أن تعرّض لخسائر.

بعد فرض الهدنة أنكر آمر القطاع إعطاء الأمر بالانسحاب. أحالوا عناصر المخفر إلى المحاكمة وظلوا ستة أشهر قبل أن يبدأ التحقيق.

بعد الانقلاب وحينما استتب الأمر للزعيم «حسني الزعيم» أتى إلى سجن المزة وقابل سجناء مخفر قلعة الحصن من الكتيبة الاولى وكان بينهم الرقيب «صياح حميدان» وهددهم قائلاً: ستنالون أقصى العقوبات سأؤدب فيكم الجيش السوري.. سأحطم كل رأس كبير فيكم.. الخ...، رفع الرقيب «صياح» يده طالباً الكلام. سأل الزعيم ماذا تريد؟. أجاب: أرغب مقابلتك لأتكلم معك. قال: تكلّم الآن إني أسمعك...، طلب أن يكون الكلام على إنفراد. ذهب الزعيم وأرسل أحد مرافقيه من الشرطة العسكرية المساعد «جميل إبراهيم» ليستمع إلى الشكوى.

أخبره الرقيب «صياح» عن المسعى للإفراج عن الزعيم وعن الرسائل إلى «سلطان باشا الأطرش» وشقيقة الزعيم - وإرسال «عقله القطامي» لمقابلة الجنرال «كاترو» وعن موضوع الدفاع عن قلعة الحصن. وأنهم يطلبون محاكمة عادلة فقط بعد أن قاموا بواجبهم خير قيام أثناء العمليات وسقط منهم قتلى وجرحى. أبلغ المساعد «جميل» هذه المعلومات إلى الزعيم الذي سأل شقيقته عن صحتها. أكدَتْ له ذلك وقالت: وساطة «سلطان باشا» كانت مفيدة جداً. جرت محاكمة عادلة وكان من الشهود المقدم «قاسم الخليل» آمر الكتيبة الأولى آنذاك. ثبتت براءة أفراد المخفر وأخلي سبيلهم.

بناء على رغبة المشير «حسني الزعيم» ذهب «سلطان باشا» لمقابلته في مكتبه بدمشق. أدت له التحية حضيرة من الجيش في الكسوة.

استقبله المشير باللباس العسكري. هنأه «سلطان باشا» وطلب له التوفيق وللبلاد الازدهار. كان جواب الزعيم فيه تهديد مبطن. طلب منه الزعيم البقاء في دمشق في بيته الجاهز - اعتذر «الباشا» نظراً لانشغاله ووعد بالعودة فيما بعد.

أعاده إلى الجبل بسيارة عسكرية مع مرافق برتبة رئيس أوصله إلى السويداء لمنزل «يوسف باشا» ومن هنا يوصله إلى منزله في القريّا!.

شكر «سلطان باشا» المرافق وقال له: بإمكانك العودة لأن لي عمل في السويداء. عندما وصل «سلطان باشا» كان في المضافة الأمير «حسن» والأمير «علي» والسيد «صياح حميدان» سألوه كيف الحالة في دمشق؟ أجاب: النوايا سيئة، وإني غير مرتاح إلى الوضع. وقصد بقائي في دمشق أي إقامة جبرية.

الأستاذ «عارف النكدي» مع المشير ووزرائه

أخبرني الأستاذ «عارف النكدي» محافظ السويداء بما يلي:

كنت في زيارة المشير لبحث شؤون المحافظة. دعاني للغداء وكان حاضراً اللواء «عبد الله عطفه» وأكثرية الوزراء. سألني المشير ما رأيك؟. أرغب تغيير العلم السوري والنشيد. أجبته العلم لا يجوز تغييره لأنه يرمز إلى أمجاد وتاريخ الأمة. كل لون من ألوانه يمثل حقبة من هذا التاريخ المجيد. وبدأ يذكر اللون وما يرمز إليه. أما النشيد فلا يهمني أمره، وقد سأل عن غير ذلك من الأمور لا أذكرها فكان يجيب عليها بجرأة وصراحة. عندما خرج المشير حبَّذ الوزراء آراء النكدي وجرأته وقالوا له حبذا لو يأخذ المشير رأيك بكل الأمور حتى لا يتعرض للخطأ. أجاب «النكدي» لماذا لا تصارحونه بآرائكم؟ أجابوا: عندما يسألنا لا يسمع رأينا ويكون الموضوع مقرراً من قِبَلِهِ نضطر لتنفيذه.

قال الأستاذ «النكدي»: هذا خطأ المطلوب من الوزير أن ينفذ ما يقتنع به فقط وعليه أن يشرح وجهة نظره ويدعمها بالأدلة ويقدم النصح.... فإذا بقي الرئيس مصرّاً على رأيه يستقيل الوزير.

عندما اختلى مرة ثانية مع المشير أخبره النكدي عما جرى بعد خروجه. قال له: إنك تحتاج إلى وزراء يجهرون برأيهم وليس إلى وزراء ينفذون كل شيء بدون تدقيق وتمحيص ودون إبداء الرأي سلباً أم إيجاباً. يجب أن يكون وزراؤك من القوة بحيث يبدون آراءهم بصراحة وجرأة.

حرس المشير والحرس الجمهوري من يوغوسلافيا

أخيراً إهتدى المشير إلى يوغوسلافيا. لم يعد يثق بالحراسة من الشراكس سيكون حرسه الخاص فوراً من إسلام يوغوسلافيا وفيما بعد يتم تشكيل الحرس الجمهوري القوي اليوغسلافي أيضاً بضباطه وجنوده. يمكنه الوقوف بوجه الجيش السوري. علم ضباط الشركس ما يعده المشير لهم رغم إخلاصهم وتأدية واجبهم على الوجه الأكمل وهذا ما استغلّه أبطال الانقلاب.

والخلاصة: أنّ المشير «حسني الزعيم» لا يعرف التنظيم. ينفذ ما يقتنع به شخصياً وبصورة خاصة إذا كان الوحي أمريكياً!- كافة عناصر الفشل مجتمعةً فيه انتهازي - مغرور - متقلّب لا يوثَق به.

الفصل الرابع

الانقلاب الثاني على حكم

«حسني الزعيم» وعودة الحكم الدستوري

دراسة جدية لتغيير الوضع ومقابلات مع بعض الضباط

بعد تفكير طويل ودراسة مفصلة للأوضاع المتردية. كيف يمكن إزاحة هذا الكابوس؟ إن الشعب لا يمكنه القيام بهذا العمل. رجال السياسة ملاحقون منهم عدد خارج البلاد فارّون أو مبعدون. الذين بقوا في البلاد هم في السجون أو تحت الإقامة الجبرية - الحريات مصادرة لا يمكن لأحد طلب الإصلاح. حتى الطلاب لا يمكنهم التظاهر أو التعبير عن شيء لأن الاجتماعات والمظاهرات ممنوعة. الحكم العسكري يستند على القوة يؤمنها الجيش المسلح. بدلاً من قيام الجيش بواجبه لحماية الوطن وتحرير ما أغتصب منه، أصبح مخصصاً لحماية المشير وتجاوزاته غير الشرعية والمشبوهة.

إذن الجيش الذي أوصل الوطن إلى هذا المأزق عليه أن يخلصه منه. لكن كيف يتم ذلك؟ لا يمكن القضاء على هذا الوضع إلا بالقوة. لكن من هو الضابط الموثوق به لتفاتحه؟ في هذا الجو المكهرب وكثرة الجواسيس يتصيدون الأخبار. حتى الضابط وإن كان غير راضٍ لا يمكنه التصريح عن أفكاره. تمكن المشير من انتقاء بطانة سوء تمالئه ووزع القياداتِ الهامة على أعوانه الذين ينفذون أوامره بدون تفكير (النقل - الترفيع - التسريح) والسجن بيد المشير أسرع من التصور. لا يفكر إلا بنفسه. أما وطنه وجيشه وعروبته لا يستحقون التفكير. هل تتركه يتصرف بمصير الوطن وهو غير أمين على ذلك.

كنت أشعر أن القضاء على الطاغية وهو واجب الجيش وحده. وإذا لم نقم به نكون قد خنّا وتخلينا عن واجبنا ولم نخدم وطننا في أشد محنة داخلية تعرض لها. إن هذه المهمة يمكن تنفيذها الآن وأنا على رأس فوج المدرعات الأول. ولكن من يضمن المستقبل. قد يخطر على باله تشكيل قوات أجنبية لحماية حكمه. وهناك النقل والتسريح في كل لحظة.

إذاً يجب التنفيذ بأسرع ما يمكن عندما تتوفر الظروف والسعي لتوفيرها. هذا عهدٌ أخذته على نفسي بصفتي قائد أقوى قطعات الجيش السوري ولا يجوز التهرب من الواجب.

الأحد /٧/٨/١٩٤٩/

كان العقيد «محمود بنيان» آمر لواء البادية قد طلب مني أن أمرَّ عليه في قيادته بدمشق في أقرب فرصة. قال لي: لقد عينت القيادة المقدم «محمود شطرا» آمر فوج من لواء البادية ليستلم مكانك فوج المدرعات الأول. أجبتهم: لا يمكن الاستغناء عنه ولم أبلغه أمر النقل، وألغوا الأمر. ولربما نقلوا ضابط آخر مكانك (دبر حالك). ثم بدأ يطلعني على أعمال المشير الشاذة وسلوكه المريب وفتكه وبطشه. أجبته: بأنك وأنت المقرّب وكلمتك نافذة تقول ذلك! فكيف الباقون؟. أنتم الضباط الكبار اقترفتم خطيئة كبرى بتسليمكم المشير كل المسؤوليات قررتم الانقلاب بدون رويّة وشروط مكتوبة عن الغاية من انقلابكم وكيفية السير به بعد نجاحه. لماذا لم تشكلوا مجلس دفاع؟ أجاب: مجلس الدفاع تمَّ تشكيله ولكن المشير لا يعمل بمقرراته وقد تمنع عن دعوته للاجتماع وسرّحَ من يعارضه. وقد وصل الحكم إلى درجة من الفوضى وكان لا بد من الانقلاب ولكننا أخطأنا بعدم وضع شروط مكتوبة.

سألته عن أسباب تسريح وإحالة على التقاعد كلٍّ من العقيد «سعيد حبي» والعقيد «أديب الشيشكلي»؟ أجابني: لا أحد يعلم، والمشير لا يسمع كلامي وإني أنتظر السجن في المزة لأني الوحيد الذي ينبه المشير إلى الصالح العام.

قابلتُ المقدم «فيصل الأتاسي» رئيس الشعبة الأولى في الأركان العامة والمسؤول عن النقل وسألته عن أسباب نقلي من الفوج بعد أن عُينتُ لإصلاحه. أجاب: الأوامر تأتي من فوق ولا يمكن لأحد مناقشتها. بيّن عن قنوطه من الوضع وقال: هل عَمِلنا انقلاباً من أجل أن يحكم «نذير فنصه» إني مهدد بالنقل. وربما نتعرض لما هو أصعب من النقل، ولا يمكن لأيٍ منا أن يقوم بواجبه حسب القانون أو إرضاء ضميره.

هذا رأي ضابطين من خيرة ضباط الجيش، يشغلان مركزين هامين ومقربين من الزعيم!.

منهما ومن غيرهم تأكدتُ أن النية سيئة نحو الجبل ومن ربط المعلومات وتحليلها تبين أن قوة ستذهب إلى الجبل من أجل التحرش وإلقاء القبض على «سلطان باشا» ليكون مصيره شبيهاً بمصير «سليمان المرشد».

عدتُ إلى حرش المومسية. سألت الملازم الأول «فضل الله أبو منصور» وهو آمر كوكبة من الجبل سألته إذا نُقِلَ الفوج إلى الجبل وأخذ مهمة التنكيل بأبنائه وتوقيف زعمائه ما هو موقفنا؟ أجاب: إذا أخذنا هذه المهمة ننسحب ولا ننفذها. أجبته: من السهل على القيادة أن تستبدلنا بمن ينفذها. تغيير آمر الفوج بآخر ينفذ المهمة مع نقل بعض الضباط وبذلك هل نكون قد قمنا بواجبنا؟ أجاب: لا أعلم.

الساعة /٢٤،٠٠/ ذهبت إلى السويداء وقابلت الأمير «حسن الأطرش» في منزله سألته: إذا وصلت قوة إلى الجبل وتحرشت بكم لإيجاد وسيلة للاعتداءِ على وجهاء الجبل أو توقيفهم؟ هل يمكنكم الدفاع عن أنفسكم؟ هل لديكم سلاح؟ وما هو موقفكم؟. أجاب: أبناء الجبل مختلفون ومتفرقون، والتعاون مفقود بينهم. لا يوجد عندنا سلاح ولا يمكننا الدفاع وحماية أنفسنا إلا من قبل ضباط الجيش. قلتُ له: خذوا حذركم ربما وصلتم إلى حالة الدفاع عن النفس... المطلوب هو «سلطان باشا» ربما ليتبع طريق «سليمان المرشد»؟.

دعوة الضباط إلى قرية (سليم) ومقابلة «بنيان»

الاثنين /٨/٨/١٩٤٩/

منذ أيام وجّهتُ دعوة عامة إلى الضباط لربما أمكنني الاحتكاك ببعضهم علّنا نجد مخرجاً لما نحن فيه. حيث صار الضابط يشكّ برفيقه وربما ببعض أصدقائه. حضر لتناول الطعام في قرية (سليم) الزعيم «سامي الحناوي» وبعض ضباط الجبهة - ضباط فوج المدرعات الأول - ضباط موقع السويداء - وبعض الأصدقاء من الضباط. بعد الانتهاء من تناول الطعام وذهاب المدعوين تخلّف العقيد «محمود بنيان» حيث سألني على انفراد إذا كنتُ على استعداد للاشتراك بانقلاب. وافقت، بشرط أن يكون من يشترك موثوقاً. عقد اتفاق خطي بيننا يبين سير الانقلاب بعد نجاحه. والخطة التي نسير

عليها. تسليم الحكم إلى المدنيين - إبعاد الجيش عن السياسة وترتيب أوضاعه أنهيتُ الحديث بتذكيره. أن انقلابكم ليس الأول من نوعه في العالم. ومن المعروف أن رجال الانقلاب يقضون على بعضهم بأنفسهم ولا يبقَ سوى واحد منهم. وافقني على رأيي وطلبت إليه الإسراع، وإن ما بحثناه ليس إلا عموميات، وأن يأخذ حذره ممن يتصل معهم.

علمت أني منقول من فوج المدرعات الأول وستسند قيادتِه إلى المقدم «حسني جروس» وربما سأسرح من الخدمة. لا يهمني التسريح بقدر ما يهمني مصير الوطن. عندما أُنحّى عن القيادة من ينقذ الوطن؟ وهي القطعة الوحيدة التي بإمكانها عمل شيء ما وقيادتها سليمة متحررة... عاد الضابط الذي خرّب الفوج ليدمره مرة ثانية ويكون عميلاً ينفذ ما يوعز إليه. كيف تسير أمور الجيش والبلاد؟ نرجو الله أن ينقذ سوريا من محنتها وجلاديها.

الثلاثاء / ٩/ ٨/ ١٩٤٩/

قابلت آمر اللواء الزعيم «سامي الحناوي» في الساعة الثالثة عشرة وأخبرته أني منقول أو مسرّح. إن أعمال القيادة وتصرفها المستبد البعيد عن الحق والمنطق غير مقبول. لماذا هذه المعاملة الشاذة موجهة إليّ بدون سبب؟.

المقدم «حسني جروس» الذي خرّب الفوج يعود لاستلام قيادته. منذ شهرين فقط، استلمت قيادته لإصلاح ما أفسده «حسني جروس» ماذا حدث حتى أرفعَ من قيادتي بعد الجهد الذي بذلته حتى أعدتُ الفوج إلى ما هو عليه من انضباط وقوة.

قال الزعيم «حناوي» أنا لا أرغب أنْ يأتي «جروس» إلى اللواء الأول. سأحدث اللواء «عبد الله» بذلك وأطلب تدخله لإلغاء النقل.

عدتُ إلى الفوج لأجد برقيةً تأمر بتيسير الفوج إلى السويداء. يتحرك صباح / ١٠/ ٨/ ١٩٤٩/ الساعة الثامنة.

جلسة مع «الحناوي» والاتفاق على الانقلاب

الأربعاء /١٠/٨/١٩٤٩/

فجر الأربعاء الساعة /٠٠،٤٠/ وفي الدقيقة الأربعين بعد منتصف الليل حضر الزعيم «سامي الحناوي» إلى مخيم الفوج في حرش المومسية قرب القنيطرة. سمعتُ صوت الخفير صارخاً (قف) وكان الجواب وكلمة السّر إنه الزعيم «سامي حناوي» قائد الجبهة وآمر اللواء الأول.

طلب من يرشده إلى خيمة المقدم «أمين أبو عساف» عند وصوله طلب أن أُبعِدَ الخفر عن الخيمة حتى لا يسمع كلامنا. فوجئت به يهاجم الوضع الذي لا يُطاق. المشير يبدد أموال الدولة على الجواسيس والأتباع وأن المسؤولين في الدولة مراقبون وفي السجن أو مبعدون، وقد بدأنا بإضعاف الجيش وإستقلال البلاد في خطر بين يديه. ماذا نفعل حتى ننقذ البلاد من ظلمه وجبروته.

المعروف عن الزعيم «سامي حناوي» أنه من بطانة المشير، ومن الذين يثق بهم جداً. خلالَ عام ترفع مرتين خاض معارك عام /١٩٤٨/ وهو برتبة مقدم وقام بواجبه مع فوجه بصورة جيدة. ترفع إلى رتبة عقيد ثم زعيم حيث أستلم قيادة اللواء والجبهة.

عندما سمعت مافاهَ به ظننتُ لأول وهلة أنني أمام ضابط أتى ليعلم بماذا أفكر حتى ينقله إلى المشير!. قلت لنفسي هل بلغت الدناءة هذا الحد؟ ضابط كبير يأتي للتجسس على ضابط آخر لحساب القائد!. أجبته: إن الجيش أوصلنا إلى هذا الحال ولنتابع ونتحمل لعلّ الإصلاحُ يأتي فيما بعد.

تابع القول إني كلمت صديقك العقيد «محمود بنيان» أن يأتي ويحدثك بما سأطلبه منك ولكنه طلب إليَّ أن أتصل بك مباشرة. ثم أخذَ مصحفاً صغيراً معلقاً بسلسلة ذهبية في عنقه بشكل دائم وأقسم يميناً أنه مدفوعٌ بواجبه نحو وطنه. يحدثني بذلك ويطلب مساعدتي لإنقاذ الوطن.

فكرتُ بمجيئه المبكر ومن كلامه ويمينه على القرآن الكريم وهو مؤمن. اقتنعت أنه مخلص فيما يطلب. رغبتُ معرفة رجال السياسة الذين وراءه لأعرفَ لون الانقلاب. سألته عن رجال السياسة الذين يوجهونه. نفى أن يكون لرجال السياسة علم بذلك. إنما رأيت من واجبي أن أفكرَ بمصير الوطن وأُخلِّصهُ مما هو فيه قبل فوات الأوان.

قلت: ربما بحركتنا هذه ظهرَ من يمثل دورَ المشير ويغتصب السلطة وتكون النتيجة واحدة. أجاب: أنا ليس لي مطامع شخصية وإن شئتم استقلت بعد الانقلاب مباشرة. سألته: مَنْ مِن العسكريين يعلم ذلك؟ أجاب: اللواء «عبد الله عطفه» يعلم ذلك والعقيد «محمود بنيان» و «علم الدين قواص» والرئيس «محمد ذياب» مشتركون وبعض رؤساء المصالح.

سألته: ما هي الخطة التي نعمل بموجبها؟ أجاب: أنتَ تضعُ خطة التنفيذ. وتكون قائد القوة الضاربة. قلتُ: أنا أوافق على شرط أن نكتب اتفاقاً نسلِّمُ بموجبه الحكم للمدنيين. ولا يشترك الجيش مطلقاً في الحكم حتى وزير الدفاع يكون من المدنيين. نضع لائحة بأسماء الأشخاص الذين ندعوهم للمشاورة واتخاذ القرار من رجال السياسة ومن الكتل والأحزاب جميعها ومن كل المحافظات وعلى رأسهم الرئيس الجليل السيد «هاشم الأتاسي» نسلمهم شؤون السياسة بدون قيد أو شرط. وهم يختارون أسلوب الحكم. على أن يكون اتفاقنا على ذلك خطياً يوقعه الضباط المسؤولون الذين يشتركون في الحركة وتكون أنتَ رئيس الانقلاب. أي الزعيم «الحناوي». واتفقنا أن ينفذ الانقلاب فوج المدرعات الأول بكامله مع الضباط الذين اتفق معهم «الحناوي» سابقاً وأن نوقف الاتصال زيادة في الاحتياط. أجاب: أنا موافق على كل ما قلته، ولكن لا مجال للاتفاق الخطي والتوقيع عليه لأنه يأخذ وقتاً ويفشي السر بينما نحن نريد السرعة قبل انكشاف أمرنا. وأنه مستعدٌ أن يستشيرني في كل أمر وأخذِ موافقتي عليه وأي موضوع لا أوافق عليه لا ينفذ باعتباره رئيس الانقلاب ورئيس المجلس العسكري. ثم أقسم اليمين مرةً ثانية على القرآن الكريم بأن ينفذ كلّ ما تعهد به.

وضعتُ لائحة تضمُّ أسماء الأعضاء البارزين في المجلس النيابي يمثلون كل المحافظات السورية ومن خارج المجلس رؤساء الاجزاب وبعض الشخصيات على أن نستدعيهم فور نجاح الانقلاب ليقرروا ويختاروا ما يرونه مناسباً لصالح الوطن واستقلاله

واستقراره. وافق عليها.

بعد اتفاقنا على هذه النقاط جميعاً وتأكدت من عزمه وحسن نواياه، أكدت له أني وضباطي والفوج بكامله تحت تصرفه لإنقاذ الوطن وألا نسمح لأحد مدنياً كان أو عسكرياً من استغلال الانقلاب.

استعرضنا معاً ضباط الفوج اسمياً والضباط الذين أسماهم الزعيم «سامي» لم نشكُّ بأحد. عند هذا الحد تعاهدنا على تنفيذ المهمة سوية، وأقسمنا اليمين على المصحف الكريم وتبادلنا القُبَل، وطلب مني ألاّ أذكر اسمه إلاّ للضباط شركاء المهمة. وكانت الساعة تشير إلى الثالثة والنصف صباحاً. قلت له: بالأمس بعد عودتي من مقابلتك استلمتُ أمراً للذهاب مع الفوج في هذا اليوم إلى السويداء - التحرك الساعة / ٠٠،٨،٠ / الثامنة صباحاً أي بعد ساعات. وجودنا في السويداء يبعدنا عن هدفنا في دمشق. حبذا لو يكون مركزنا في معسكرات قطنا.

أجاب: نفذوا الأمر وتوقفوا في أزرع حتى أتصلَ معك وسآتي شخصياً لأراك في هذا النهار في أزرع ونُتِمَ الخطة.

تحرك الفوج إلى أزرع:

في الساعة الثامنة تحركَ الفوج بكامله إلى السويداء. قبل وصولنا إلى «نوى» وأثناء إستراحة الوقوف دعوتُ الملازم الأول «فضل الله أبو منصور» آمر كوكبة مصفحات. وبعد مقدمة شرحت بها أعمال المشير وتصرفاته. والمصير الذي ينتظر البلاد على يده. سألته: ألا نشترك بعمل يقوم به أحد قادة الجيش الذين لا يُشكُّ باستقامتهم لتخليص الوطن مما هو فيه؟. أجاب: أنا معك في كل ما تقرُّه، لكن أرغبُ أن أعلم من هم الضباط الذين سنتعاون معهم وبصورة خاصة زعيم الانقلاب؟. أجبته: زعيم الانقلاب الزعيم «سامي حناوي» والعقيد «محمود بنيان» والعقيد «علم الدين قواص» أكّد موافقته. قلت له: يجب أن نضرب هذا العهد ضربة قاضية ولن يهدأ لنا بال حتى نزيل حكمه من الوجود. طلبت منه التعهد بكتمان السر وألا يخبر أحداً مطلقاً، وقلتُ له: أن يرسل لي في أزرع الملازم «نورالدين كنج».

وصلنا أزرع ونصبنا الخيام قبل الظهر. في الساعة الرابعة عشرة، استلمنا برقية

تأمرنا بالعودة إلى معسكرات قطنا في ذات اليوم.

في الساعة السابعة عشرة حضر الزعيم «سامي» وقال: ستعودون اليوم إلى قطنا ما رأيك بالذهاب من هنا رأساً إلى دمشق لنضرب ضربتنا. أجبته: من هنا مكان الانطلاق بعيد ونمر بأماكن آهلة بالسكان. ربما يكتشف أمرُنا ويتدخل الطيران والمدفعية وقطعات أخرى. لم أضع الخطة بعد، الأفضل ترك الأمر حتى يكون التنفيذ من معسكرات قطنا.

قال: التنفيذ اليوم أفضل من الغد حيث نؤمن المفاجأة وطلبت من «محمد ذياب» أن يضع خطة واتفقنا أن أتصلَ به. لنذهب إلى السويداء ونتصل به من هناك. وصلنا السويداء. ومن القلعة اتصل الزعيم «حناوي» مع الرئيس «محمد ذياب» في مكتبه. قيلَ إنه في مكتب الزعيم «سلو» اتصلَ به هناك وسأله بالرمز المتفق عليه بينهما. أجابه نفياً وعليه أن يتصل به مرّة ثانية في مكتب المقدم «حسن غنام».

عودة الفوج إلى معسكرات قطنا وتحضير المهمة

عُدنا إلى أزرع وطلبه من المكان المعين فلم يجده ومن البيت فلم يجده أيضاً وبعد انتظار ساعة في أزرع لعلّه يتصل به فلم يوفق. عندها أمر الزعيم أن يتحرك الفوج من هنا الساعة /٢٢،٠٠/ عن طريق القنيطرة وعند وصولكم إلى عرطوز - مفرق قطنا تنتظرون حتى الساعة الثانية صباحاً. إذا وصلنا ننفذ المهمة وألاّ تدخلوا إلى معسكرات قطنا. طلبت منه التأجيل يومين فلم يوافق وأصرَّ على رأيه وذهب إلى دمشق.

وصلنا مفرق عرطوز - قطنا ولم نجد أحداً. انتظرنا حتى الساعة الثانية صباحاً ثم دخلنا إلى المعسكرات حسب الاتفاق.

عندما وصل الزعيم إلى دمشق لم يجد الضباط المتفق معهم جاهزين من أجل التنفيذ ولم يحضر أحد.

الخميس /١١/٨/١٩٤٩/

طيلة النهار بدون علم من دمشق. أمضيناه في صيانة الآليات، وحضّرت الخطة

على أساس مساء السبت /١٣/٨/١٩٤٩/ تبدأ الحركة لتنفذ في صباح /١٤/٨/١٩٤٩/.

الخميس بعد الظهر أعطيتُ كلّ العسكريين الذين يسكنون في القابون ودمشق وقطنا مأذونية أربع وعشرين ساعة تنتهي مساء الجمعة الساعة عشرين. والجنود الذين عائلاتهم بعيدة يبقوا في المعسكر. اتخذتُ هذا الإجراء خوفاً من هرب الجنود ليلاً وبصورة غير مشروعة إلى عائلاتهم الذين لم يروهم منذ عدة أشهر. ولكي يكونوا مرتاحي البال وموجودين في مراكزهم مساء السبت.

لم أكن مطمئناً لثلاثة ضباط خوفاً من إفشاء السر. أوعزتُ إلى «فضل الله أبو منصور» أن يتحدث أمامهم إفرادياً بصورة عفوية ويتكفّل لهم بمأذونية ثلاثة أيام لكلٍ منهم مأذونية استثنائية بسبب حالة الحرب وتوقيف المأذونيات. منحتها لهم ليلتحقوا مساء الاثنين. عند عودتهم عاتبني اثنان منهم. لِمَ حرمتهما من شرف الاشتراك بالانقلاب.

أجبتهما: لم أكن أعلم التاريخ... وأنتما طلبتما مأذونياتكما!.

أداء القسم والموافقة على الخطة

الساعة عشرون حضر الزعيم، قال: هل جهزتم الخطة. أجبته: نعم.

الساعة الواحدة والعشرون عقدنا اجتماعاً في مكتبي بقيادة المعسكرات حضره الزعيم «سامي الحناوي» والعقيد «علم الدين قواص» والمقدم «أمين أبو عسّاف» والرؤساء «محمد معروف»، «عصام مريود»، «خالد جادا»، «محمد الرفاعي»، «محمد ذياب»، «حسين الحكيم» والملازم الأول «فضل الله أبو منصور» وحضر متأخراً الرئيس «فريد سيد درويش» والملازمان «مصطفى كمال مالكي»، «جميل أسعد». وهؤلاء هم كل الضباط الذين نفّذوا الانقلاب مع ضباط وفوج المدرّعات الأول.

أقسمنا اليمين بالكتمان والتعاون ثمّ درسنا الخطة الموضوعة وتمّت الموافقة عليها بالإجماع كما هي. وعندها فوجِئتُ بالزعيم «سامي الحناوي» يطرح رأياً آخر وذلك بتنفيذ عملية إغتيال للمشير «حسني الزعيم» بواسطة كمين قوي ينتظره في طريق العودة

من حفلة في بلودان وأن يكون التنفيذ فوراً. اعتذرتُ مِنه عن إمكانية التنفيذ الفوري للعملية نظراً لأنني قد منحت بعض العسكرين مأذونيات، ويُخشى من وجود نقص بين السائقين. ولكن وبنتيجة التفقد وجدتُ أكثرية السائقين. عندها أعترضتُ على هذا الاقتراح. قلت: نحن ننفذ انقلاب يجب أن نمسك المشير على كرسيه وننزله عنه. نلقي القبض عليه في بيته بالقوة التي لدينا ونعتقله ونعلنُ انقلابنا على الملأ... تابعتُ قولي: لسنا قطاعي طرق حتى ننصب له كميناً. والنتائج غير مضمونة، وهو عمل دنيء.

وبما أن موكب المشير كبير ومحاط بالدراجات العسكرية والمدنية عدا الذين يرافقونه من مسؤولين وغير مسؤولين. سيذهبُ كثير من الضحايا البريئة ولا أرغب بهذا - لأن ضحية بريئة واحدة تقلقني!.

طلب الزعيم «حناوي» أن يجري التصويت على هاتين العمليتين. أجبت: فليكن. وبنتيجة التصويت كانت الأكثرية وضمنها «فضل الله أبو منصور» إلى جانب اغتيال «الزعيم» أثناء عودته من بلودان. تابع «الحناوي» إذاً بموجب التصويت يجب أن يتمّ التنفيذ هذه الليلة.

قلتُ: أنا أقسمتُ اليمين وأبقى على عهدي. سأحافظ على السرية ولكني لن أقود هذه العملية أو أشترك شخصياً بهذا العمل وأدعوَ لكم بالتوفيق.

أجاب الزعيم «حناوي»: ابقَ معنا وننفذ خطتك كما هي. إذاً تأجلت إلى مساء السبت /١٣/٨/ الساعة عشرين اجتماع ضباط دمشق في مكتب قائد الجمهرة المقدم «أمين أبو عساف» في معسكرات قطنا.

بعد قليل وافاني الزعيم «سامي» إلى مكتبي بقيادة الفوج وقال: إني أطلبُ السرعة خوفاً من أن يكون المشير ومخابراته قد اكتشفوا شيئاً. لأنه سأل عني عدة مرات في قيادة اللواء لم أكن موجوداً في مكتبي. وفي المرة الأخيرة طلب أن أوافيه إلى مكتبه. أخشى أن أكون مراقباً، وعملنا قد اكتشف ولا أرغب في رؤيته حتى يتمّ الانقلاب. هذا ما جعلني أطلبُ سرعة التنفيذ.

قلتُ: لا تخشى شيئاً لو أنهم اكتشفوا حركاتك لأوقفوك فوراً. اذهب إليه غداً الجمعة وافهم ما يريد ليطمئن وتطمئن أنت أيضاً. فإن عدت سالماً كان خيراً وقدت حركتنا. وإن أوقفك نحن ننفذ خطتنا ونخلصك في حال توقيفك. عهداً بأن لا يحول شيء دون تنفيذ ما عزمنا عليه. قال: أنا خائف ولا لزوم لرؤيته. أجبته: اذهب إليه ولا تخفْ ولو كان يضمر لك الغدر لأوقفك بواسطة الشرطة وأوقفنا جميعاً. ولما طلبك هاتفياً عدة مرات.

وقضى الليل في قيادة الفوج بمعسكرات قطنا.

«الحناوي» يقابل المشير ويتلقى تعليماته

ذهب الزعيم إلى منزل المشير نهار الجمعة بعد الظهر. استقبله كالعادة وقال له: طلبتك عدة مرات لم أجدك؟ أجاب: أكون في جولات تتعلق بالخدمة. سأله عن الأحوال؟ أجابه: كل شيء على ما يرام. سأله: كيف المقدم «أمين أبو عسّاف»؟ أجابه: ضابط انضباطي يُتقِنُ القيام بعمله وينفذ الأوامر. قال له: يجب أن ينقلَ من المدرعات حالاً وكل عناصر الدروز في فوج المدرعات الأول يجب أن تنقل خلال مدة بسيطة. ويجب أن تكون عناصر هذه القطعة من الموثوقين الذين يعتمدُ عليهم ويُخلصون له. وأخبره أنه قريباً سيبدل حرسه من الشركس لأنه بدأ يشك بإخلاصهم وهو غير مطمئن لهم. وسيكون حرسه كاملاً من إسلام يوغوسلافيا.

أعلمني الزعيم بذلك مساء الجمعة عندما جاء لقضاء الليل في معسكرات قطنا في قيادة الفوج. إن حفلة بلودان كانت تحت رعاية المشير المباشرة. وهي حفلة عامة خيرية يخصص ريعها للجمعيات الخيرية وقد حضرها الكثير من الأغنياء ومن جملةِ مواردها وضع قلم حبر المشير في المزاد الأميركي فوصل ثمنه إلى ستين ألف ليرة سورية لأنه قلم المشير - قيمة الليرة السورية في ذلك الوقت تختلف عنها في هذه الأيام. ومن المستغرب أن يكون مندوب شركة التابلاين هو الذي رسى عليه المزاد وكان ريع الحفلة وافراً.

-خطة الانقلاب وتوزيع المهمات-

الخطة التي دُرست مساء /١١/٨/١٩٤٩/

قيادة قوى التحرير

رقم ١

كتبت على ورقة منفردة الخطة الخاصة وعين القائد، والقوة، والمهمة، وسلمت إلى رئيس المفرزة عند التنفيذ.

طلبت من الملازم الأول «فضل الله أبو منصور» إذا كان يرغب تنفيذ مهمة توقيف المشير وهي الأصعب قبلها بكلِّ سرور.

صار الضباط الحاضرون يتبرعون للمهمات وكنا ننتقي الذين يعرفون الأماكن وطريقها. عيّنا من الضباط الحاضرين لقيادة بعض المفارز وكلها من فوج المدرعات الأول، ومعاونه من ضباطه، أما ضباط فوج المدرعات الأول فقد اشتركوا جميعهم مع وحداتهم عدا سرية الدبابات بقيت في قطنا جاهزة كاحتياط.

توزيع المهمات:

١- قصر سكن المشير «حسني»:

القوة ٦ مصفحات - ٣٠ جندياً بقيادة الملازم الأول «فضل الله أبو منصور» يعاونه الملازم الأول «مصطفى دواليبي» الدليل الملازم «عبدو حجت». المهمة:

أ- إلقاء القبض على المشير واعتقاله حياً وإحضاره إلى الأركان لتقرير مصيره.

ب- عدم استعمال النار إلا في حال الدفاع عن النفس.

٢- بيت رئيس الوزراء السيد «محسن البرازي»:

القوة ٢ مصفحات - ١٠ جنود بقيادة الرئيس «عصام مريود». المهمة: أ - اعتقاله

وإحضاره إلى مقر الأركان لتقرير مصيره.

ب- عدم استعمال النار إلا في حال الدفاع عن النفس.

٣- بيت المقدم «إبراهيم حسيني» آمر الشرطة العسكرية:

القوة ٢ مصفحات - ١٠ جنود بقيادة الرئيس «محمود الرفاعي» يعاونه الملازم «بكري زوبري». دليل جندي «محمد ذيب». المهمة:

أ - إلقاء القبض عليه وإحضاره إلى مقر الأركان لتقرير مصيره.

ب - عدم إطلاق النار إلا في حال الدفاع عن النفس.

٤- بيت السيد «نذير فنصة»:

القوة ٢٠ جندياً بقيادة الملازم «مصطفى كمال مالكي». المهمة:

أ- إلقاء القبض عليه وإحضاره إلى مقر الأركان لتقرير مصيره.

ب- عدم إطلاق النار إلا في حال الدفاع عن النفس.

٥- البنك السوري:

القوة - ٢ مصفحات - ٣٠ جندياً بقيادة الملازم «جميل أسعد». المهمة:

أ- المحافظة عليه من أي اعتداء.

ب- عدم إطلاق النار إلا في حال المحافظة عليه إذا هوجم.

٦- الهاتف المدني:

القوة - ٢٠ جندياً بقيادة الرئيس «فريد سيد درويش». المهمة:

أ- المحافظة عليه من الاعتداء وعدم استعماله إلا لصالح الانقلاب.

ب- عدم إطلاق النار إلا في حال الهجوم عليه من مسلحين.

٧- القلعة:

القوة - ٢ مصفحات - ٣٠ جندياً بقيادة الرئيس «محمد معروف». المهمة:

أ- محاصرتها وعدم تمكين القوة من مغادرتها حتى تؤيد الانقلاب.

ب- عدم استعمال النار إلا في حال الدفاع عن النفس.

٨- الشرطة العسكرية:

٢ مصفحات - ٣٠ جندياً بقيادة الرئيس «محمد ذياب» والملازم «نور الدين كنج». المهمة:

أ- الاستيلاء على مقر الشرطة العسكرية - توقيف المشاغبين.

ب- عدم استعمال النار إلا في حال الدفاع عن النفس.

الإذاعة:

القوة - ٢ مصفحات - ٢٠ جندياً بقيادة الملازم «غالب شقفة».

المهمة: أ - تطويقها واحتلالها وحمايتها لتكون تحت تصرف قيادة الانقلاب.

ب - عدم إطلاق النار إلا في حال الهجوم على الإذاعة.

١٠- الأركان:

القوة - ٢ مصفحات - ٣٠ جندياً بقيادة الملازم الأول «حسين حده». المهمة:

أ- احتلال الأركان وحمايته.

ب- عدم إطلاق النار إلا في حال الهجوم عليه.

١١- المصفحات والجنود الذين لم يتلقوا مهمات يبقون بعد مفرق المزة على طريق بيروت

- احتياطُ قيادةٍ جاهزون للحركة بقيادة الرئيس «عبد الغني دهمان» ويبقون على اتصال لاسلكي بقيادة الجمهرة.

- كل المفارز لديها دراجة للاتصال مع قيادة الجمهرة.

- المفارز التي لديها مصفحات تبقى على اتصال بواسطة اللاسلكي على الموجة المعينة. وبواسطة الدراجة أيضاً.

مكان قائد الجمهرة: يسير مع أركانه خلف المفرزة التي تحتل الأركان لاسلكي القيادة «حسن منذر» و «الياس خوري».

القيادة العامة: الزعيم «سامي حناوي» والعقيد «علم الدين قواص» والرئيس «خالد جادا» والرئيس «حسين الحكيم» خلف قيادة الجمهرة.

بعد إنطلاق كل المفارز يذهب قائد الجمهرة إلى بيت المشير ليشرف على الحالة ثم يعود إلى مقره في بناية الأركان.

تعليمات قيادة الجمهرة

الجمعة / ٩/ ٨/ ١٩٤٩/

تعليمات صادرة عن قيادة الجمهرة. بُلّغت إفرادياً لذوي العلاقة وعن طريق الزعيم «سامي حناوي» فيما يخص الدكتور العقيد «عزت الطباع» وآمر سلاح الإشارة وكانا على اتفاق مع الزعيم.

١- يجب إلقاء القبض على «الزعيم» حيّاً وقطع اتصاله مع ضباط القطعات والمواقع والمناطق الذين ينفذون أوامره حرفياً حتى لا يشتبك الجيش مع بعضه ويُدمره على أهون سبيل وهذا ما يتمناه العدو.

٢- خوفاً من عدم وجوده في منزله ليقضي الليل في مكان آخر يوم الانقلاب. أعطيتُ مهمة بموافقة الزعيم «حناوي» وعن طريقه إلى الدكتور العقيد «عزت الطباع» وكان على اطلاع بخطتنا. عليه أن يراقب تحركات المشير منذ مساء الجمعة ليل نهار حتى مساء السبت الساعة /٢٤،٠٠/ ويعلمنا عن مكان وجوده الأخير حتى نتمكن من إلقاء القبض عليه أينما وجد خوفاً من هربه ولجوئه إلى إحدى الثكنات والمواقع العسكرية.

٣- أعطيتُ الأوامر إلى آمر سلاح الإشارة بموافقة الزعيم «حناوي» وعن طريقه وكان على اتفاق معه بأن يقطع الاتصالات الهاتفية واللاسلكية المدنية والعسكرية اعتباراً من الساعة /٢٤،٠٠/ من ليل /١٣ - ١٤/ ٨/ الداخلية والخارجية وتبقى حتى إشعار آخر من القيادة العامة.

٤- في معسكرات قطنا وكنت آمرها عينت ضابطاً على مقسم المعسكرات ليمنع الاتصال الداخلي والخارجي مطلقاً اعتباراً من الساعة /٢٠،٠٠/ من تاريخ /١٣/٨/ ١٩٤٩/ وحتى إشعار آخر.

٥- يمنع الدخول والخروج من وإلى معسكرات قطنا مطلقاً اعتبارآً من الساعة /٢٠،٠٠/ من تاريخ /١٣/٨/١٩٤٩/ العسكريون الذين يدخلون بعد هذا الوقت يحتجزون في أماكن التوقيف حتى الصباح ويمنع اتصالهم مع أحد.

٦- في الساعة /٢٣،٣٠/ من تاريخ /١٣/٨/ تكون مفارز قطع الطريق (طريق بيروت - دمشق) في أماكنها بجوار الديماس - والزبداني - دمشق في أماكنها المعينة حيث يقطع الطريق اعتباراً من الساعة /٢٤،٠٠/ تاريخ /١٣/٨/ وحتى إشعار آخر من قبل قيادة الجمهرة.

مفرزة طريق القنيطرة - قطنا - دمشق على مدخل طريق المزة من الغرب يقفل الطريق في الساعة /٠١،٠٠/ الواحدة من صباح /١٤/٨ وحتى إشعار آخر من قيادة الجمهرة.

«الاتصال مع ضباط الفوج - وكتابة الوصية»

اتصلت بضباط الفوج إفرادياً وأخبرتهم عن المهمة التي أسندت إلى الفوج وإذا كانوا يرغبون الاشتراك بتنفيذها. وافق جميع الضباط على الاشتراك بتنفيذها وكان الحماس ظاهراً. الملازم «حسين حده». قال: قبل إعطاء موافقته عليه مشورة ويردُّ خبراً، طلبت أن أعرف من سيستشير. أجاب: الأستاذ «أكرم الحوراني» - تركته وشأنه - مساءً أخبرني أنه موافق على الاشتراك وأعطيت له مهمة. كنت أثقُ به لصدقه وصراحته. واندفاعه.

السبت / ١٣/ ٨/ ١٩٤٩/

وجَّهتُ هذه الرسالة (الوصية) إلى إخوتي «فهد أبو عساف» و «أسد أبو عساف» وأبن أخي «طلال أبو عساف» حيث كان طالباً في الكلية العسكرية. وقد أودعتها مع الملازم «سليمان حديفي» آمر سرية مقر المعسكرات وأوصيته أن يؤمن وصولها إلى إخوتي في قرية سُليم إذا سُجِنتُ أو فارقت الحياة عندما يتمكن وأن يعيدها إليَّ إذا بقيت على قيد الحياة.

طلب مني الاشتراك عملياً في الحركة. أقنعته أن يبقى في المعسكرات مسؤولاً عنها. وحسب الاتفاق أعيدَت إليّ الرسالة وبعد سنوات أطلعت الملازم «طلال» عليها. احتفظ بها على أن يصورها ويعيدها لي، ومرّت الأيام وأُحيلَ على التقاعد. سألته عنها مراراً في البداية، أجابني أنها محفوظة عنده تحت الطلب. وعندما بدأت بكتابة هذه المذكرات، فتشَ عنها ولم يجدها، وأعتبرت مفقودة. رغبتُ الإشارة إلى ملخص عنها لأدفع عني تُهمَ الرشوة والاتصال الخارجي ولو لم يكن العميد «طلال» قد قرأها لما ذكرتها؟.

أُلخصُ ما جاء فيها:

أطمئنهم أن حركتنا نابعة من ضميرنا دون تدخل خارجي ولا مال.

(١) قياماً بواجبي الوطني قررنا مع فريق من الضباط القضاء على الطاغية وعهده لما يقترفه من أخطاء وجرائم بحقِّ الوطن، وخوفاً على استقلاله من الضياع. ويتبدل الانتداب الذي قاسى الشعب وذاق الأمَرّين حتى تخلصَ منه إلى ما هو أقسى وأَمرّ!.

إذا لم نصل إلى هدفنا وقُضيَ على حركتنا وعلينا، سيُذاع عن أيادٍ أجنبية وراء حركتنا، وقبضِنا الأموال.

أريد أن تعرفوا وتتأكدوا أن حركتنا هدفها تخليص الوطن من جلاديه ولا يوجد تدخل أجنبي ولا مال. فليكن رأسكم مرفوعاً وأنّي قضيت في سبيل الواجب الوطني.

(٢) أوصيهم بعائلتي زوجتي الحامل وولدي عادل وتسمية المولود الجديد باسمي إذا كان ذكراً وتعليمه أيضاً.

«البدء بالتنفيذ... وتوقيف المسؤولين»

في الساعة /٢٠،٠٠/ وصلَ الضباط من دمشق تنفيذاً للأوامر السابقة. كانت قيادة السرايا المحمولة مسندة إلى ضباط ألمان رفعتهم عنها مؤقتاً لأنها مهمات داخلية، لم أرغب إشراكهم فيها وسلمتها إلى ضباط سوريين.

أعلمني الرئيس «خالد جادا» أنه اتفق مع الملازم «عبدو حجت» وأفراد فصيل حماية المشير بعدم إطلاق النار، وأن السلاح سيقفل عليه.

شكلنا المفارز وسلمنا القيادة إلى الضباط المعينين على أن يكون السير حسب تسلسل المهمات بالتتابع.

في الطليعة «فضل الله أبو منصور» وبعده المفرزة رقم /٢/الخ...

الأحد في /١٤/٨/١٩٤٩/

في الساعة /٢٤،٠٥/ الرابعة والعشرين والدقيقة الخامسة، تحرك فوج المدرعات الأول من معسكرات قطنا باتجاه يعفور - طريق بيروت - دمشق مع القيادة العامة الزعيم.

«سامي حناوي» وأركانه - بعد اجتياز يعفور أَوقفت الرتل وطلبتُ اجتماع الضباط وصف الضباط.

رغبت إعلام صف الضباط عن مهمتهم بعد اكتمال عددهم على مرتفع بجانب الطريق. قلتُ لهم: نقوم اليوم بعمل استثنائي. في الانقلاب الأول قرر الجيش تبديل الحكم الجائر، حكم المحسوبيات والفوضى بحكم مدني أفضل. لكن الذي جرى أن المشير «حسني الزعيم» بدلاً من تنفيذ خطة الجيش وتسليم الحكم إلىٰ المدنيين، والسهر على تحقيق الحرية والعدالة إلى كافة المواطنين. استأثر بالحكم وعطّل الدستور وفرض النظام الدكتاتوري المطلق. نصَّب نفسه حاكماً في الداخل وتقرّب من الدول الإمبريالية وفي مقدمتها أمريكا في الخارج. وخوفاً من ضياع استقلال البلاد ووقوعها مرّة أخرى تحت سيطرة الاستعمار. قررت مجموعة من الضباط على رأسها الزعيم «سامي حناوي» القيام بانقلاب والقضاء على هذا النظام الفاسد وتسليم الحكم للمدنيين وعودة الجيش إلى ثكناته.

من عادتنا في الجيش تنفيذ أوامر القيادة. وبما أن هذه المهمة خاصة ولم تصدر بموجب أوامر من القيادة العامة قررتُ إطلاعكم وأخذ موافقتكم عليها. إذا كان بعضكم لا يرغب الاشتراك أجبته إلى طلبه بدون إكراه. (من يرغب عدم الاشتراك بهذه المهمة عليه الخروج من الصف والوقوف بهذه الجهة) وعينتُها. تابعت قائلاً: لن يتحمل أية مسؤولية قانونية يجاب إلى طلبه ويبقى في الثكنة. ساد صمتٌ رهيب قطعه أحد المساعدين - لم أسجل اسمه ونسيته - يقول: نحن معك أينما سرت. لو أعطيتنا أمراً بالهجوم على النار لفعلنا. لكننا متأكدون أنك لن تقودنا إلاّ إلى مواقف الشرف والفخار التي فيها عزة الوطن وكرامته. أيده مساعد آخر. ولم يخرج أحد.

شكرتهم على شعورهم الوطني وثقتهم برئيسهم الذي لولا ثِقته الأكيدة بهم لما أقدم على هذا العمل باسمهم جميعاً، أنهينا الاجتماع وتوجهنا إلى دمشق.

تابعنا الحركة وصلنا دمشق عند مفرق المزة على طريق بيروت في الساعة /٠٢،٠٠/ الثانية صباحاً. سيّرنا مفرزة «أبو منصور» باتجاه قصر الرئاسة. كان الدليل رئيس حرس القصر الملازم «عبدو حجت». تتابعت المفارز حتى المفرزة الأخيرة المعيّنة لاحتلال الأركان، بعد تحركها لتنفيذ مهمتها حسب الأوامر السابقة سرتُ باتجاه

القصر من شارع «أبو رمانة». وما أن وصلته وسرت به قليلاً حتى رأيت إحدى المصفحات عائدة بالاتجاه المعاكس. وقفتُ. لا يوجد سوى هاتين الآليتين في الشارع. كذلك المصفحة عندما رأى رئيسها سيارة القيادة توقف ونزل منها الملازم الأول «فضل الله أبو منصور» وأتى لمقابلتي ليخبرني أنهم ألقوا القبض على المشير وهو داخل هذه المصفحة. سألته: هل هو سالمٌ؟ أجاب: لم يصبه أذى. وكيف تمَّ القبض عليه؟ أجاب: عندما وصلنا أمام القصر طوقناه واحتللنا المنافذ وعند اقترابنا من خفير المدخل الرئيسي صرخ بنا آمراً بالوقوف ولقّم سلاحه، بينما كان رئيسه ورفاقه يصرخون عليه بعدم إطلاق النار، واقتربوا منه ونزعوا سلاحه. هذه الضجة مع ضجيج محركات الآليات. أيقظت المشير ونظر من الشرفة سائلاً: ماذا جرى؟ ما بكم؟ قلتُ له: جرى انقلاب ضدكَ، وأنت موقوف، انزلْ وسلّمْ نفسك وإلاّ استعملنا القوة. سأل المشير: من أنت؟. أجبته: هذا لا يعنيك انزلْ.

تابع المشير موجهاً كلامه للجميع: أنا قائد الجيش وقد أصلحته وعملت له كيان لا يحقُّ لكم توقيفي. من القائد الذي قام بهذا العمل؟ أجابه «فضل الله»: هذا لا يهمك. سلِّم نفسك بلا كثرة كلام. دخل وهو يقول: (عملها «أنور!»). أي الزعيم «أنور بنود».

شدد الحراسة على المدخل الرئيسي وذهب «فضل الله» إلى الباب الثاني الجانبي وما أن وصل حتى رأى الباب يُفتَحُ والمشير بالبيجاما ماسكاً يدَ زوجته يريد الخروج والهرب، ألقيت عليه القبض وقدته إلى المصفحة. أما زوجته فقد بقيت في القصر، ماذا أفعلُ به؟. قلتُ له: اذهب إلى المستشفى العسكري واحتجزه هناك - حتى إذا احتاج إلى إسعاف كان الطبيب قريباً. انتظروا هناك الأوامر.

سألته: كيف كان موقف الحرس؟ قال: لم يقاوموا والسلاح قُفِلَ عليه وشرحت موقف الخفير.

عدتُ إلى الأركان لأجد الأبواب مقفلةً، وحرس الأركان يقاوم داخل البناء ومن كل الجهات. القوة جامدة، والقيادة العامة لا تعلم ماذا تفعل؟. عند وصولي قال «الحناوي»: حِلَّ لنا هذا الإشكال - استعملتُ مكبر الصوت وأمرت الجنود بالتسليم وقلت لهم: إن انقلاباً قد جرى، وأُلقيَ القبض على المشير وهو مسجون، والقيادة الجديدة تحاصر الأركان - يجبْ أن تسلّموا أنفسكم ولن تحاسبوا على مقاومتكم -

كفّوا عن إطلاق النار وأنتم آمنون في أماكنكم. استَمَرّوا يطلقون النار عندما يشاهدون حركة الجنود. عندها أمرتُ مصفّحة أن تطلق النار قذيفة مدفع على الباب الغربي لتفتحه بالقوة ومنه تتسلل قوة إلى الداخل لإلقاء القبض على هؤلاء الجنود وتجريدهم من السلاح.

أطلقتْ قذيفة واحدة من مدفع المصفحة حطّمت الباب. توقفَ إطلاق النار. جاء مسؤول وفتح باقي أبواب البناء والمكاتب التي طُلِبَ فتحها.

الزعيم «سامي حناوي» احتلَّ مكتب رئيس الأركان وأنا استخدمتُ مكتب العمليات في الشعبة الثالثة.

إن الجنود الذين قاوموا في الأركان يستحقون التقدير على موقفهم الشجاع والنبيل ولم أحاسبهم على عملهم لأنهم قاموا بواجبهم.

وما أن أنهينا احتلال الأركان حتى وصل كما هو مقرر الرئيس «عصام مريود» ومعه «محسن البرازي» بالبيجاما. لماذا لم يمهله حتى يلبسَ ثيابه؟ وبعده مباشرة وصل الرئيس «محمود الرفاعي» ومعه المقدم «إبراهيم الحسيني». عند وصول هذا الأخير هدده «عصام مريود» بالقتل - عندما رآني في باب الأركان أسرع المقدم «حسيني» نحوي رغم اعتراض حراسه ليقول لي: إن الرئيس «عصام مريود» هددني بالقتل إنه يريد قتلي.

استدعيت الرئيس «عصام» وقلت بصوتٍ عالٍ: إياكم والاعتداء على المقدم «إبراهيم الحسيني» - من يخالف الأمر مسؤولٌ أمامي. عاد «إبراهيم الحسيني» إلى مكانه. أمرتُ الرئيس «عصام» أن يأخذ «محسن البرازي» إلى المستشفى العسكري في غرفة بعيداً عن المشير وقلت له: تبقون حتى تلقّي الأوامر. وكان قد وصل «نذير فنصه». أمرت الرئيس «محمود» والملازم «مالكي» بإيداع كلٍ من «إبراهيم الحسيني» و «نذير فنصه» السجن العسكري في المزة - قال الملازم «مالكي»: إن «نذير فنصه» لديهِ سرٌّ يريدُ أن يطلِعَ الزعيم عليه؟ قلت: خذوه إلى الزعيم ثم إلى السجن.

أثناء تحضير الخطة لم نتخذ أي قرار بخصوص أحد من الموقوفين الأربعة وقد تمّ

توقيفهم - قررتُ أن يبتَّ مجلس الحرب الأعلى في مصيرهم.

نظراً لمرض المشير رغبتُ أن يكون في المشفى العسكري حتى يبتَّ بأمره، وكذلك «محسن البرازي» لأني رأيته منهاراً في ساحة الأركان. إن الأوامر بعدم إطلاق النار عليهم كانت خطية، والأوامر الشفهية في ساحة الأركان كانت بصوت عالٍ سمعها الجميع.

صارت تصل الأخبار تباعاً. كل المفارز احتلت أماكنها بدون مقاومة. عدا الشرطة العسكرية التي دافعت وسقط جريحان من أفرادها قبل استسلامها.

قال الزعيم «حناوي»: وقد استلم مهام القائد العام للجيش والقوات المسلحة إنه يتكفل الاتصال مع المدنيين والأمور السياسية. وأنا مسؤول عن الأمن وهذه مهمة أخذتها في السابق.

بعد توقيف المسؤولين مباشرة، رفعتُ مخافر توقيف السيارات، وأُعيدت الاتصالات الهاتفية واللاسلكية الداخلية والخارجية إلى حالتها العادية وأبعدت المفارز عن الأماكن التي احتلتها، وعادت الدوائر إلى حالتها الطبيعية.

إعدام المشير «حسني الزعيم» و «محسن البرازي»

سُمِحَ لحرمِ المشير بمغادرة القصر مع ثيابها الخاصة وخُتِمَ القصر بالشمع الأحمر حتى يتمّ الاطلاعَ على محتوياته وبصورة خاصة المراسلات السياسة.

عُرِضَ عليَّ البلاغ الأول وأذيع، والثاني الذي يعين أعضاء مجلس الحرب الأعلى وهو يضم كل الضباط الذين جاؤوا مع «الحناوي» في المرحلة الأولى وقد جاء على الشكل التالي:

الزعيم «سامي حناوي» رئيساً، العقداء «بهيج كلاس» و «علم الدين قواص». المقدم «أمين أبو عسّاف» الرؤساء «محمد معروف» و «عصام مريود» و «خالد جادا» و «محمود الرفاعي» و «محمد ذياب» و «حسين الحكيم» أعضاءً. العقيد «بهيج كلاس» لم

يحضر ولا اجتماع ولم يعلمني الزعيم «حناوي» أنه مطلع على عملنا - ورد اسمه في تشكيل المجلس!. لم يذكر اسمَ العقيد «محمود بنيان» ولم يحضُرْ! ولم يخبروه بالتوقيت!. من فوج المدرعات الأول لم يُعيَّن لهذا المجلس سوى آمر الفوج!.

فوجئتُ بإعدام المشير «حسني الزعيم» والرئيس «محسن البرازي». أتى الملازم «فضل الله» وأعلمني عن تنفيذ حكم الإعدام بـ «حسني الزعيم» و «محسن البرازي» ذُهِلْتُ كيف جرى ذلك؟ ومن أعطى الأمر؟. أجاب: عندما جاء الرئيس «عصام مريود» مع «محسن البرازي» قال لي: لقد أصدرَ المجلس الحربي الأعلى حكمه بإعدام المشير «حسني» و «محسن البرازي» (بعدك صابر عليه)!- أخذناهما إلى جانب مقبرة الفرنسيين العسكرية حيث تمَّ إعدامهما رمياً بالرصاص ودفناهما في مقبرة أم الشراطيط.

قلتُ: إن الأوامر صريحة وخطية كيف أُعدِما بدون أمر خطي؟ أجاب: لقد صدّقته لأنه تكلّم بأمرِ الزعيم وأمرك وقدرتُ أن الظروف فرضت ذلك. كما أُخبِرَ الزعيم بذلك من قبل «عصام مريود».

الرئيس «عصام مريود» من ضباط الطيران، أعرفه لأول مرة - فوضوي وغير انضباطي - تصرفاته حمقاء. لكن الظرف غير مناسب لمحاسبته.

اجتمع المجلس الحربي الأعلى وبطلب من رئيس المجلس وأكثرية الأعضاء لتسوية الوضع، أصدرَ حكماً بإعدام المشير «حسني الزعيم» و «محسن البرازي» بعد تنفيذ إعدامهما كتسوية قانونية لأمر واقع.

إن الحكم صدر عليهما بصفتهما رئيس جمهورية ورئيس وزارة بتصرفهما الشاذ والفردي. حكما البلاد حكماً ديكتاتورياً أوشك أن يطيح باستقلالها. وصدرالبلاغ رقم /٣/.

علمتُ فيما بعد أن الرئيس «عصام مريود» ينتمي إلى الحزب القومي السوري، أما الملازم الأول «فضل الله أبو منصور» فلم أعلم أنه ينتمي إلى نفس الحزب. إلا بعد خروجه من الجيش. كان هناك ضابطان ينتميان إلى الحزب لم يشتركا في الانقلاب لأني أبعدتهما عنه.

كان الملازم الأول «فضل الله أبو منصور» قد أعلمني صباحاً أن المشير أثناء وجوده داخل المصفحة عرض عليهم (رشوة) لقاء تركه يهرب. قال لهم: معي /٦٠/ ستون ألف ليرة سورية أعطي خمسة آلاف ليرة لكل من طاقم المصفحة. وعددهم أربعة والباقي أي أربعون ألف لك. رفض طلبه وأجبره على السكوت ولم يسمح له بمفاوضة طاقم المصفحة.

عندما شعر المشير بالبرد طلب شيئاً لتدفئته، أعطاه «فضل الله» المعطف الذي يلبسه - طلب أن ينزل من المصفحة لقضاء حاجة، قال له: اقضها في المصفحة. وعندما أُعدِمَ وثقبَ الرصاص المعطف أخذ وثيقة موقعة من الزعيم «سامي» بهذه الواقعة واحتفظ بها مع المعطف. ولم أسأله عن المبلغ الذي كان مع «حسني الزعيم» مطلقاً.
صدرت المراسيم التالية: (مرسوم تشريعي رقم (١))

إن القائد العام للجيش والقوى المسلحة.

يرسم ما يلي:

١- يتولى المجلس الحربي الأعلى كافة الصلاحيات التشريعية والتنفيذية وسلطة إصدار المراسيم التشريعية والتنظيمية ريثما تتألف الحكومة الدستورية.

٢- ينشر هذا المرسوم ويبلّغ من يلزم.

القائد العام للجيش والقوى المسلحة

دمشق في ١٩٤٩/٨/١٤ الزعيم «سامي حناوي»

مرسوم رقم (١)

إن القائد العام للجيش والقوى المسلحة

بناءً على المرسوم الاشتراعي رقم (١) تاريخ /١٩٤٩/٨/١٤/ وعلى قرار مجلس الحرب الأعلى

يرسم ما يلي:

١- يتولى شؤون مديرية المطبوعات العامة والإذاعة والنشر الأستاذ «عبد الوهاب الأبيض».

٢- ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم.

القائد العام للجيش والقوى المسلحة

دمشق في ١٩٤٩/٨/١٤ الزعيم «سامي حناوي»

فيما يلي بعض البلاغات والمراسيم التي صدرت بتاريخ /١٩٤٩/٨/١٤/ وعددها اثني عشر بلاغاً ومرسوماً.

مرسوم رقم (٢)

إن القائد العام للجيش والقوى المسلحة

بناءً على المرسوم الاشتراعي رقم (١) تاريخ /١٩٤٩/٨/١٤/ وعلى قرار مجلس الحرب الأعلى

يرسم ما يلي:

١- يعاد الدكتور «أسعد طلس» إلى ملاك وزارة الخارجية ويتولى الأمانة العامة لوزارة الخارجية.

٢- ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم.

القائد العام للجيش والقوى المسلحة

دمشق في ١٩٤٩/٨/١٤ الزعيم «سامي حناوي»

اقتراح تشكيل وزارة عسكرية وتسريح الكثير من الضباط

دعيَ أعضاء مجلس الحرب الأعلى إلى الانعقاد برئاسة الزعيم «حناوي» وعرض موضوع تشكيل حكومة من العسكريين. عارضتُ الاقتراح. بدأ يبرز دور مرافق الزعيم «حناوي» الرئيس «خالد جادا» وعضو مجلس الحرب الأعلى وسيطرته والزعيم «سامي» حاضر ولم يتدخل.

قال الرئيس «خالد جادا»: اختار الوزارة التي تريدها. أجبت: اتفقنا أن نسلِّم الحكم للمدنيين ويجب أن يتمَّ ذلك.

قال الرئيس «خالد جادا»: نحن نعمل ضمن مجلس لماذا لا نأخذ رأي باقي الأعضاء ونطرح المشروع على التصويت.

تبيَّن من النقاش أنّي المعارضُ الوحيد! . يشكّلون وزارة برئاسة «الحناوي» ويعملون ما يشاؤون. الرؤساء في المجلس ستة من عشرة، أكثرهم من دورة «خالد جادا»، الزعيم «سامي» صامتٌ والعقداء «بهيج» و «علم الدين» لا يعارضان. استنجدتُ بالزعيم «حناوي» وقلت له: ألم تقسم على القرآن الكريم أنّ أيَّ شيء لا أوافق عليه ترفضه؟ قال الزعيم «سامي»: انتهى البحث ولا لزومَ لوزارة من العسكريين.

بعد الظهر عقد المجلس جلسة لدراسة أوضاع الضباط برئاسة العقيد «بهيج» ولم يكن الزعيم «سامي» حاضراً. أتى الرئيس «جادا» بلائحة وزعها على الأعضاء تقضي بتسريح أكثر الضباط بحجة التحديث ومنهم ضباط شباب.

لم أوافق على دراستها وقلت: هذا تخريب نحنُ أتينا لإصلاح الوضع وليس لتدميره! . العدو لا يطلب مثل هذا الطلب. صار يراوغ ضمن حدود الانضباط ولما رأيتهم يرغبون تمرير هذه اللائحة أو الجزء الأكبر منها وأنا مقتنع أنه لا مُوجبَ لذلك. قلتُ: لم يقم فوج المدرعات الأول بهذا الانقلاب حتى تدمروا الجيش. لا أُوافِقُ على تسريح اي كان. المحكمة العسكرية والمجالس التأديبية هي التي تبتُّ بهذه الأمور بموجب قانون الجيش يجب أن تكون حصانة الضباط مضمونة وإنّي على استعداد لأقضي على هذه المحاولات بالقوة.

طلبتُ عقد جلسة لدراسة أوضاع الضباط المسرحين، وإعادة المسرح تعسّفياً غداً. وُوفِقَ على طلبي وعين الاجتماع في اليوم التالي ورُفِعَتْ الجلسة. بعد الجلسة اعترض الرئيس «جادا» بأدب وضمن حدود الانضباط وقال: إنكَ تعتبر أن الفضل كله يعود إلى فوج المدرعات الأول، ونحن ما هو دورنا؟. أجبته: إنكم خدمتم الوطن وهذا واجبكم. أشكركم عليه.

أنا اتفقت مع الزعيم «سامي» ألا نستأثِرَ بالحكم ونسلمه للمدنيين وأعطيته لائحة بأسماء المدنيين الذين يطلبهم من كل المناطق، تأتي أنتَ وتطلب تشكيل حكومة عسكرية. أما تسريح الضباط - يوجد طريق قانوني في الجيش، المحاكم والمجالس التأديبية ويجب ألا نتجاوز القانون. يكفي ما تعرّض له الضباط حتى الآن. يجب وضع حدٍ للحكم الفردي الظالم وتأمين الضابط على مستقبله.

خطة للهرب - قبض المال - واقتراح نقلي

المفاجأة الأولى: في ذلك المساء أعلمني ضابط من أصدقائي لا أشكُّ في صدقه أن طائرة عسكرية كانت جاهزة في مطار المزة ليقودها الرئيس الطيار «عصام مريود» ليهرب مع الزعيم «حناوي» وبطانته إلى بغداد في حال فشل الانقلاب.

تأكدت من صحة الخبر شخصياً عندما اتصلتُ مع المسؤولين في المطار. أين الأخلاق؟ ضابط كبير تتفق معه على مهمة خطيرة تبناها، يشركك فيها لتنفيذ أصعب وأدق أدوارها يخون (الرفقة) ويؤمن طريق الهرب مع أعوانه المقربين بدون معرفة رفيقه! أين الإيمان والأمانة وأين القسم الذين قطعه على نفسه مرتين على المصحف الشريف؟!.

كما أخبرني أن جميع الضباط المقربين من الزعيم «سامي حناوي» وهو على رأسهم وكثير من المسؤولين المدنيين قبضوا مبالغ من المال العراقي بواسطة وزير العراق المفوض في سوريا أو بواسطة بعض المسؤولين الكبار. هذه الخطة من تدبير الدكتور «أسعد طلس» وزير سوريا السابق في العراق، وهو متزوج عراقية من عائلة «الألوسي» الشهيرة والقوية بنفوذها والتي تدعم الحكم في العراق.

كما علمتُ أن من أسباب الانقلاب الرئيسية هو تسريح الدكتور «أسعد طلس» من الخدمة في عهد المشير لأسباب مسلكية. وأنه عميل عراقي وهو عَديلُ الزعيم «حناوي». هذا ما كنتُ أجهله عندما أُعيدَ بموجب المرسوم رقم (٢) إلى الخدمة أمين عام وزارة الخارجية فور حصول الانقلاب.

الزعيم «سامي حناوي» لم يعرض عليّ المال كما فعل مع الباقين. ربما عمل بموجب نصيحة من يعرفون المقدم «أمين أبو عسّاف» الحمد لله أنه لم يفعل. فلو عرضّ عليَّ المال كنتُ رفضت التعاون معه. وكان قد بقيَ «الزعيم» مدة أطول وحتى نهاية عمره ومن يأتي بعده.

فالخطة التي أزيحَ بها المشير كانت مثالية، عدد الضباط المحدود والسرعة أمنَتْ المفاجأة وحفظ السرية في الوقت ذاته.

في ذلك المساء أتاني الرئيس «جادا» ومعه مرسوم موقع من الزعيم «سامي حناوي» يقضي بتعييني مديراً للشرطة والأمن العام. هذه الوظيفة كانت تُغري كثيراً من الضباط نظراً لراتبها الكبير وسهراتها المرحة ونفقاتها المستورة.

لم تخطر على بالي قط، ولا أُفضّلها على عملي في الجيش. هذه المرّة شعرتُ أنهم يرغبون إبعادي عن مركز القوة في الجيش حتى يتمكنوا من التصرف كما يشاؤون. فلم أوافق ولم أستلم المرسوم.

أعاد المحاولة في صباح اليوم التالي مع لفيف من الضباط لترغيبي وسلمني المرسوم قائلاً: بما أنك موثوق بنشاطك وأخلاقك ولديك المؤهلات اختارك الزعيم «حناوي» لهذه الوظيفة الهامة والحساسة. رميتُ المرسوم وقلت لن أترك المدرعات لأي وظيفة كانت.

للمرة الثالثة وخلال اجتماع المجلس العسكري عرض عليّ الرئيس «خالد جادا» أن أقبل وظيفة مدير الشرطة والأمن العام أو أوافق على وزارة عسكرية.

كان الزعيم «سامي» غائباً عن الاجتماع. ربما غياب متفق عليه حتى لا يُحرّجَ بوعده

لي، أجبته: لم نقمْ بالانقلاب حتى تفرضوا شروطكم، وإني على أستعداد لاستعمال القوة ضد الذين يخالفون ما اتفقنا عليه. أشعرُ بالندم لعدم احتفاظي بهذا المرسوم الموقع قانوناً للذكرى والتاريخ.

وصل العقيد «أديب الشيشكلي» وكنتُ قد أرسلتُ بعد موافقة الزعيم «حناوي» المقدم «فيصل أتاسي» ليبلغه الحضور. ذهب إلى حماه فلم يجده قيل له إنه في ضيعته (الشويحة). ذهب إلى القرية ولما رآى العقيد «أديب» سيارة الجيش خشيَ أن يكون ملاحقاً. وعندما أخبره المقدم بالانقلاب وبإعدام «حسني الزعيم» فوجىء لأنه لم يسمع الأخبار.

أُعيدَ إلى الخدمة فوراً واستلم قيادة اللواء الأول بدلاً من الزعيم «حناوي» الذي استلم قيادة الجيش. كما عين العقيد «أديب» في المجلس الحربي الأعلى. خصص لي غرفة في الأركان العامة بأمر الزعيم «حناوي» لكي أقيم فيها أثناء وبعد الدوام - ليل نهار بدون انقطاع حتى يستتب الأمن جُهزَت بسرير للنوم مع طاولة وكراسٍ وهاتف.

عندما حضر العقيد «أديب» طلب أن يُجَهزَ له سريرٌ آخر ليشغل الغرفة بجانبي وافقت وهكذا كان. في الليلة الثالثة عاد من سهرته غاضباً. أيقظني وطلب مني أن أسيِّرَ قوة من المصفحات لتوقيف الأمير «فواز الشعلان» سألتهُ: ماذا فعل حتى نلقي القبض عليه؟ أجاب: سحب السلاح عليّ وأراد أن يغتالني. طلبت منه أن يهدأ حتى الصباح لنحقق في الأمر ونجري اللازم. أصرَّ أن نرسل قوة الآن ونلقي عليه القبض. أجبته: هو في قبضتنا أينما ذهب. اترك الموضوع حتى الصباح وبقيت أسايره حتى نامَ.

عندما استيقظ في الصباح شعر بالندم على طلب الأمس. قال لي: بطبعك الهادىء وأسلوبك الرصين تمكنت من كبح تسرُّعي. أشكرك، الحمد لله الذي بعثك لي هادياً ومشيراً. تنازَلَ عن توقيف الأمير «فَواز الشعلان» وكان بينهما صداقة ومودة.

وبعد أيام تقابلت مع الأمير «فواز الشعلان» صدفةً. سألته: لماذ سحبت السلاح على العقيد «أديب»؟ قال: كيف عرفت ذلك. أجبته: العقيد أخبرني. أجاب: كنا على طاولة الوسكي. هددني العقيد «أديب» بسحب مسدسه وذكر السبب. قلت له: جوابي على مسدسك بهذا. طويت فوطة الجيب بشكل مثلث ومسكتها كما يمسك المسدس

وهي واضحة وظاهرة وعلى مرأى من الحضور. بعد أيام حصل العقيد «أديب» على بيت سكن في معسكرات قطنا مع عائلته، ولم يعد إلى الغرفة.

دراسة أوضاع الضباط المسرحين

عُقدت الجلسة بحضور أعضاء المجلس.

عرضت على المجلس لائحة الضباط المسرحين.

لائحة ترفيع استثنائية لصف الضباط إلى رتبة ملازم وافق المشير عليها ولم تنشر. وهي لائحة يجب البت فيها خلال مدة محدودة قبل انتهاء مدة مفعولها.

بعد دراسة اللائحة الأولى، أخذنا مبدأ أن نعيد إلى الخدمة من هو مسرحٌ بصورة تعسُفية. أما من كان تسريحه قانونياً أو عن طريق المحكمة العسكرية أو مجالس التأديب فيبقى على وضعه.

ناقشنا وضع ستة ضباط من الذين نعرفهم جيداً ونعرف سبب تسريحهم أعدناهم إلى الخدمة فوراً وهم:

العقداء «توفيق نظام الدين» و «عزيز عبد الكريم».

المقدمون «عدنان مالكي» و «نوفل شحم» و «هشام سمان» و «زياد أتاسي».

طلبنا إضبارات باقي الضباط المسرحيين لنطلع على أسباب التسريح والبت بأمرهم.

أوقفنا لائحة ترفيع صف الضباط. طلبنا إضبارات صف الضباط المرشحين لرتبة ملازم الذين وافقت القيادة السابقة على ترفيعهم والذين رفضتهم بأسرع ما يمكن لإعادة دراستها والبت فيها.

اجتماعات الرئيس «هاشم الآتاسي» والسياسيين

وتشكيله الوزارة مع مهام رئيس الدولة

كان الرئيس «هاشم أتاسي» قد وصل إلى دمشق مع بعض رجال السياسة. منذ اليوم الأول للانقلاب وبدأ المشاورات ولكنه رغب في توسيعها وانتظر حتى المساء ليصل المتخلفون من دمشق وخارجها. إن استدعاء هؤلاء كان حسب الخطة المتفق عليها مع الزعيم «سامي الحناوي». لربما تأخر تبليغهم بعض الوقت لتجربة إمكانية تشكيل الحكومة العسكرية.

عقد الاجتماع الثاني لفريق كبير من أصحاب الرأي في البلاد مساء الأحد. في هذا الاجتماع أكد القائد العام للجيش والقوى المسلحة الزعيم «الحناوي» للحاضرين أن الجيش لن يتدخل في السياسة بل سيترك لرجال السياسة مجال العمل لخير البلاد.

وقال اللواء «عبد الله عطفه»: إن للجيش شرط واحد هو تأليف حكومة من رجال مخلصين أكفاء يتولون أمور البلاد ويصلحون ما أفسدته سياسة الطغيان والاستبداد. واعلموا أن الجيش لن يتدخل في السياسة ولكنه سيكون الدرع الذي يقي الوطن ويرد عنه العاديات وإن الشعب اليوم ينتظر حكومة من رجال مخلصين تبعث الاطمئنان والثقة والأمل في الشعب.

بعد مشاورات واسعة وبدون أي تأثير عسكري. شملت هذه المشاورات أكثر السياسيين ليقرروا ما يشاؤون وكيفية إعادة الحكم إلى مجراه الطبيعي.

اتفق الرأي على تكليف فخامة السيد «هاشم الأتاسي» تأليف الوزارة بعد وصول رجال السياسة جميعهم الذين دعتهم القيادة أو رَغِبَ الرئيس باستدعائهم.

مساء / ١٥/آب/ شكل الرئيس «هاشم الأتاسي» وزارة على النحو التالي:

السادة: «هاشم الأتاسي» للرئاسة - «خالد العظم» للمالية - «رشدي الكيخيا» للداخلية - «ناظم القدسي» للخارجية - «عبد الله عطفه» للدفاع - «عادل العظمة» للدولة - «فيصل الأتاسي» للاقتصاد الوطني - «فتح الله أسيون» للدولة - «مجد الدين الجابري» للأشغال العامة والمواصلات - «سامي كبارة» للعدلية والصحة - «ميشيل عفلق» للمعارف - «أكرم الحوراني» للزراعة.

وقام رئيس الوزراء بمهام رئيس الدولة ومن مهام الحكومة إعادة الحياة الدستورية إلى البلاد بصورة قانونية. وباشرت أعمالها حيث قررت انتخاب جمعية تأسيسية بالطرق القانونية لوضع دستور دائم جديد. هذه الوزارة الجديدة هي أكمل وزارة عرفها تاريخ البلاد.

وتسلمت السلطة التشريعية إلى جانب السلطة التنفيذية.

ألقى الزعيم «سامي الحناوي» عند الانتهاء من مراسم الاستقبال الكلمة التالية:

سيدي فخامة الرئيس:

لقد قمت بواجبي المقدس نحو وطني وإني وإخوتي ضباط الجيش على استعداد دوماً للتضحية بأغلى ما عندنا وهو آخر نقطة من دمنا في سبيل الوطن.

وإنني قمت بهذا الواجب لا أقصد إلا المصلحة العامة، وبعد أن توصلتم فخامتكم إلى تأليف حكومة قومية تقوم بأعباء الحكم. أرجو لفخامتكم التوفيق للسير بهذا الوطن إلى الرقي والسعادة. تكلؤكم رعاية الله وإني أترك لكم مقدرات الحكم والبلاد معلناً استعدادي للخدمة بتجرُّد وإخلاص مهما كانت الظروف حسبما تقتضيه مصلحة البلاد.

وقد أجاب الرئيس «الأتاسي» بالكلمة التالية:

باسمي وباسم إخواني الوزراء وباسم هذا الوطن أشكر لكم ما أقمتم من دليل على صدق نواياكم وسلامة مقاصدكم، إذ حرصتم كل الحرص على تسليم الأمور إلى حكم مدني يطمئن الشعب ويمهد عاجلاً للحياة الدستورية في البلاد.

وإني إذ أطري إخلاصكم ووطنيتكم وإني على يقين من أن البلاد ستجد دوماً في جيشها الباسل ما يحمي دائماً وأبداً ذمارها ويصون كرامتها والله أسأل أن يوفقنا لخير البلاد وإعلاء شأنها.

وقد أذاعت الحكومة بيانها الموجه إلى الشعب:

عَلِمَ الشعب الكريم ما كان من أمر الانقلاب الذي تمَّ يوم /٣٠/ آذار/ الماضي وكيف أن الأمة علقت عليه الآمال، ثم ما لبث أن أخلف ظنها وخيَّبَ رجاءها وانحرف عن السبيل السوي حتى انتهى إلى أوضاع أفضت إلى الحركة الإنقلابية الأخيرة.

ولقد جاءت الحركة الأخيرة سالمة من كل غرض شخصي مريب إذ إن الذين قاموا بها أول ما انصرف إليه اهتمامهم أن يتصلوا على متنِ السرعة بطائفة من رجالات البلاد ليبحثوا معهم أسرع الطرق لتسليم الأمور إلى حكومة مدنية يثق بها الشعب. وفي اجتماعين اثنين عقدا يوم /١٤/ الجاري كشفت القيادة العسكرية عن نواياها السلمية وأعلنت عن أمنيتها العاجلة الملحَّة. وهي أن تتخلَّى عن مقاليد السلطة إلى وزارة قومية يجد الشعب فيها الضمانات الكافية لخدمة مصالحه ورعاية شأنه بتجرُّدٍ وإخلاص. وعلى هذا وبعد أن اطمأن الجميع إلى سلامة نوايا الذين قاموا بالحركة الأخيرة وجد أن داعي الوطنية يستدعي قبول المهمة فاسفر الأجتماع الثاني عن تأليف هذه الوزارة.

وهي إذ تتقدم إلى الأمة مزودة بصلاحيات رئيس الجمهورية وبالسلطتين التنفيذية والتشريعية لتعلن أنها حكومة مؤقتة مهمتها أن تعدَّ العُدة لإقامة أوضاع دستورية مشروعة في البلاد وذلك في أقرب وقت ممكن، وأن تتعهد في غضون هذه الفترة الانتقالية تصريف شؤون الدولة ومصالح الشعب مع تحكيم القانون في جميع الأمور دون الوساوس والأهواء في سبيل إقامة الأوضاع الدستورية المنشودة، سوف تَعمَدْ هذه الحكومة إلى دعوة الأمة إلى انتخاب جمعية تأسيسية تضع دستوراً للبلاد في جوٍّ من الحريات العامة يكفل إخراج شرعة البلاد الأساسية على ما فيه خيرها وازدهارها، مع السلامة من خطيئات الماضي وزلاّته. وفي غضون هذه الفترة الانتقالية سوف تجعل الحكومة نصب عينيها وجوب إحكام أسباب المودة وأواصر القربى في علاقات الدول العربية مع بعضها، ورفع شأن الجامعة العربية على وجه يكفل خير البلاد العربية ويدرأ الشرور عنها.

وأما سياسة الحكومة الخارجية فهي تهدف إلى الإبقاء على صلات المجاملة والصداقة مع الدول الأجنبية ضمن نطاق الصالح القومي وفي حدود ميثاق الأمم المتحدة مع رعاية أحكام الشرع الدولي. ذلك ما تقطع الحكومة عهداً به على نفسها ملتمسة العون من المولى القدير ومن تأييد الشعب الكريم.

وقد أبلغت وزارة الخارجية مفوضياتها بالخارج نبأ تأليف الوزارة وبعثت إليها بتوجيهاتها السياسية. وجرت اتصالات مباشرة بينها وبين وزارة الخارجية اللبنانية وبينها وبين الأمانة العامة للجامعة العربية فأطلعت الأمانة المشار إليها على حقيقة الانقلاب ومراميه.

١٥/آب/١٩٤٩ في السجون:

في هذا اليوم طاف وزير الدفاع والعدلية على السجون بدمشق لتفقد حالة الموقوفين. وأصدر أمراً بعدم تعذيب أحد منهم ووقفِ تشغيلهم أشغالاً شاقة ريثما يتمّ دراسة أوراقهم، وطلب وزير العدلية أن ترفع أوراق جميع الموقوفين إلى الدوائر العدلية لدراستها وإطلاق سراح الأبرياء، والنظر في أمر الآخرين حسب مقتضيات القانون، وقد أطلق اليوم عدد من المعتقلين بينهم الأستاذ «أمين سعيد» صاحب جريدة الكفاح.

وقد أثبت إحصاء رسمي أن عدد الموقوفين بلغ يوم /١٠/آب/ خمسة آلاف وقال أحد الذين أُطلِقَ سراحهم وهو ممن زاروا أوروبا إن التعذيب الذي كان يلقاه الموقوفون أشد مما كان يجري في سجون ألمانيا وروسيا.

تحقيق مع المسجونين

الذين أودعوا السجن في المزة يوم الانقلاب هم: السيد «نذير فنصه» من المدنيين والمقدم «إبراهيم الحسينيي» والرئيس «عبد الإله رسلان» من العسكريين عندما أعطت قيادة الانقلاب الأمر بالإفراج عنهم طلب الثلاثة أن يكون الإفراج بعد تحقيق يثبت براءتهم حتى لا يعودوا إلى السجن مرة ثانية.

حققتْ مع السيد «نذير فنصه» لجنة قضائية مدنية. وقد أمكنه نفي ما أعلنه إلى

الزعيم «حناوي» من أنه على اطلاع على أموال جُبيت بمعرفته ويرغب بيانها. وأخلي سبيله لعدم المسؤولية.

أما العسكريون فقد شُكلت لجنة من الضباط بموجب الأمر الإداري رقم /١٨٦٣/ س ض /١ تاريخ /٣/٩/١٩٤٩/ صادر عن رئيس الأركان العامة وقد كانت هذه اللجنة برئاسة العقيد «أديب الشيشكلي» وعضوية كلٍ من العقيد «محمود بنيان» والمقدم «أحمد العظم» والمقدم «أمين أبو عسّاف» والمقدم «جمال فيصل».

وفي /٨/٩/١٩٤٩/ برّأت اللجنة المقدم «إبراهيم الحسيني» والرئيس «عبد الإله رسلان» من أية مسؤولية أثناء خدمتهما خلال عهد «حسني الزعيم» وعادا إلى عملهما في الجيش. وقد أصدر وزير الداخلية أمراً بهدم سجن (الشيخ حسن) المشهور في دمشق حيث قام عدد كبير من الأهلين بزيارة السجن المذكور قبل هدمه وشاهدوا زنزاناته المخيفة والمميتة...، وأثنوا على الحكومة على إصدارها الأمر بهدم هذا السجن لأنه لا يمثل سوى الظلم وأشد أنواع التعذيب. وكان قد بدأ هدمه بتاريخ /١٨/٨/.

إعادة ضباط إلى الخدمة وترفيع إلى رتبة ملازم

تابع المجلس دراسة أوضاع الضباط المسرحين وأعاد إلى الخدمة الضباط الآتية أسماؤهم: المقدم «حسن مهنا». الرئيس «سالم أتاسي» الملازمون الأولون: «برهان قصاب حسن» و «شهير دريعي» و «طلعت صدقي» و «مصطفى دواليبي» والملازمون «عبد الكريم زكار» و «مروان يافي» و «محمد قولي» و «يوسف الميرعلي» و «أحمد دباس» و «أحمد عرفان لوستان» و «روبير خوري» و «سعيد الصباغ» والمقدم «سليمان ناجي» و «محمد ذياب» و «محمود شطرا» والرئيس «فضل الله أبو منصور» و الرئيس «عبد الغني قنوت».

أعدنا دراسة وضع الوكلاء الأولين المرشحين لرتبة ملازم. وجدنا في اللائحة السابقة العديد من المرتشين وذوي السمعة السيئة ولا يستحقون الترفيع وكان المشير قد وافق على ترفيعهم لمجرد أنه يعرفهم، وقد أجرى الترفيع الاستثنائي من أجلهم. شطبنا

أسماءهم من اللائحة ووضعنا الأسماء المستحقة حسب وضعها من قبل الرؤساء بالتسلسل بعد دراسة دقيقة وعادلة.

في /٨/٢٤/ أصدرنا لائحة بالمساعدين الأولين الآتية أسماؤهم حسب التسلسل ليجري ترفيعهم فوراً إلى رتبة ملازم:

جرى ترفيعهم اعتباراً من /٩/٦/ وهم: «يوسف علي» - «حسن أسعد ميني» - «نجيب سعد» - «علي مرشد» - «بدوي بوظ» - «سليم نادر» - «فيليب ظريف» - «صالح إبراهيم حسن» - «حسن رسلان» - «فارس البني» - «تركي الرفاعي» - «نسيب أبو عسلي» - «جميل زيدان» - «حنا رستم» - «علي أحمد محمد» - «سليم ماء البارد» - «نصر غانم صالح» - «ممدوح صواف» - «بركات المطلق» - «هاني قطيني» - «مطانيوس نادر» - «سليم صفر» - «محمد على الشيخ عرم» - «جورج لبس» - «سراج الدين شرابي» - «عبدو دهن» - «علي قصار» - «شوكت إسلام» - «حسني حاووط».
ومن الكلية كانوا يتبعون دورة مؤهلة للترفيع كلٌ من: «وديع صموئيل» - «يوسف البيطار» - «نجيب بالوع» - «يوسف بحصاص» - «يوسف نصر الله» - «بطرس عنبر» - «نديم نعمة».

ومن المؤسف أن أربعة من المرشحين كانوا قد سرحوا قبل وصول أمر الترفيع لتجاوزهم السن القانوني في رتبهم وهم:

«نسيب أبو عسلي» - «حنا رستم» - «ممدوح صواف» - «مطانيوس نادر».

استناداً إلى المادة /٢١١/ من قانون الجيش التي تسمح بالترفيعات الاستثنائية والقدم الممتاز لفترة محددة. كان المشير قد أجرى ترفيعات عديدة غير مدروسة، ومنح قدماً ممتازاً مما أثار موجة من التذمر في صفوف الضباط. ومنهم من تجاوز من كان أقدم منه برتبة أو عدة سنوات. مثال على ذلك: (ضابط برتبة مقدم رفع إلى هذه الرتبة بصورة قانونية وبعد مرور المدة المعينة في القانون - رفع بعده ضابط آخر إلى هذه الرتبة بصورة استثنائية وأخذ قدماً ممتازاً في هذه الرتبة، أصبح أكثر قدماً من الذي يسبقه بعدة سنوات)!. هذا الترفيع العشوائي سبب الفوضى في صفوف الجيش وكأنه كان مقصوداً لتدميره.

في أواخر شهر آب تمت دراسة شاملة لكل ضباط الجيش. أُعطي قدم ممتاز للذين فقدوا قدمهم من أجل إصلاح الأمور وتسوية الأوضاع من ثلاثة أشهر إلى سنتين. استفاد منها كلُّ الرتب - مع لائحة ترفيع لبعض الذين اشتركوا في الانقلاب.

طلبتُ أن يحضر الاجتماع المقدم «فيصل الأتاسي» رئيس الشعبة الأولى لأخذِ رأيه في موضوع الترفيع والقدم. وبعد الاطلاع أجاب إذا كنتم ترغبون مصلحة الجيش ألغيتم هذه اللائحة. لأنها تضيف إشكالات جديدة إلى وضع الضباط. بمبادرة منِّي أوقفنا هذه اللائحة نهائياً.

منح فوج المدرعات الأول الظفيرة الحمراء

على أثر الحركة الانقلابية مُنح فوج المدرعات الأول الظفيرة الحمراء لكل عسكرييه وأصبحت هذه الظفيرة الشارة المميزة لعناصر للفوج. وعُلِقَ وسام الشرف العسكري على علمه وهي أول قطعة في الجيش السوري تحصل على هذا التقدير.

كما منح كل عسكريي الفوج وعلى مختلف الرتب راتب شهر كمكافأة.

في العُرف العسكري عندما يمنح وسام لقطعة ما فإن قائد هذه القطعة يحصل على هذا الوسام الذي حصلت عليه وهي تحت قيادته. لم يُمنَحْ لي ولم أُطالبَ به لأنني لا أريدِه أن يكون الثمن لتغيير موقفي.

في كلِّ هذه الحوادث لم أتخذْ ضابطاً مرافقاً. ولما هدأت الحالة بدأت أتفقدُ عناصر الفوج ومكاتبه وأقضي بعض المهامات وكان معي في السيارة جنديان مسلحان منذ الانقلاب. رغبتُ التجول مساءً في المدينة راجلاً. قال لي جنود الحماية في السيارة: نريد مرافقتك. منعتهم ومضيت في شوارع المدينة. وكم كانت دهشتي عندما التفتُّ إلى الوراء ورأيت الملازم «حسين حده» يتبعني ورائي بعدة أمتار، وقفت لأرى إذا كان وجوده صُدفة في هذا المكان، وقف، وسرت سار خلفي. سألته: ما الخبر؟ أجاب: إني أسير خلفك لحمايتك. لأنك نفذتَ مهماتٍ خطرة في سبيل الوطن. ومن واجبنا أن نقيك الخطر حتى ولو لم تطلب ذلك. قلت: أنا لا أرغب وإلا لعينت من يرافقني. ثم إني هنا في دمشق غير معروف. أجاب: بالعكس لقد رأيتُ كثيراً من الناس

يشيرون إليك بأيديهم، ويقولون: هذا الذي نفَّذ الانقلاب ليعرِّفوا رفاقهم بك ولا يمكن أن نتركك تسير لوحدك. قلتُ: هذا حجزٌ لحريتي ولا أريدُ أن تكون خطواتي مراقبة ومحسوبة. أجاب: بما أنك تتحمل المسؤوليات الجسام في سبيل الوطن من واجبنا حراستك وحمايتك من كل مكروه.

بقي الفوج في الأركان مستنفراً وأنا أداوم ليل نهار معه - أوقِعُ البريد في مكتب الأركان وأتناول طعامي في نادي الضباط المجاور حتى صدر الأمر رقم ٧٧٥/ ٣س/ تاريخ /٢٧/ ٨/ ١٩٤٩/ القاضي بعودة الفوج إلى قطنا صباح /٢٩/ منه وتبقى كوكبة في باحة وزارة الدفاع الوطني.

بعد فترة انتقل الفوج إلى معسكرات القابون - هذه المعسكرات بناها البريطانيون - ضمنها يوجد بيت سكن قائد المعسكرات في أحد أطرافها من الخلف بعيداً عن مهاجع الجنود والمكاتب وساحات الاجتماع شبه معزول. له باب خارجي على طريق عام من أجل العائلة تموينها وزائريها... وباب داخلي إلى المعسكر من أجل القائد. أي السور الخارجي يضمه إلى المعسكر - وسور البيت يفصله عنه. أثثت هذا البيت من أجل سكني وعائلتي ولكن ونظراً لاضطراب الأحوال وتغيبي المستمر فضلت بقاءها في الجبل بقرية (سُليم) واستعملت البيت لسكني وللاجتماعات السّرية لأن الغريب عن الفوج يأتي من الباب الخارجي وضباط الفوج يأتون من الباب الداخلي. - ولم تسكن عائلتي البيت مطلقاً.

كانت وزارة الوحدة الوطنية الانتقالية تجمع كلَّ الأحزاب تقريباً والكتل المتناقضة بسيطرة حزب الشعب. باشرت أعمالها بدون تدخل من الجيش. عزلت وعينت بعض الموظفين ضمن حدود القانون، وحددت مواعيد انتخابات لجمعية تأسيسية تسنُّ الدستور.

وصول الوصي على عرش العراق إلى مطار المزة

في /٥/ ١٠/ ١٩٤٩/ حطت في مطار دمشق طائرة الوصي على عرش العراق في طريق عودته من لندن وبقيت ثلاث ساعات. كان في استقبال الوصي رئيس الحكومة

السيد «هاشم الأتاسي» وأعضاء وزارته والسيدان «فارس الخوري» و «صبري العسلي» الذين كان قد أعلن عن تغيير سياسة الحزب الوطني وسار على سياسة تقارب مع الهاشميين ناقضاً سياسة الحزب في عهد رئيس الجمهورية السابق السيد «شكري القوتلي» وكان في الاستقبال أيضاً رئيس الأركان العامة الزعيم «سامي حناوي» ومرافقه المقدم «خالد جادا» الذي أحضر معه الخاتم الرسمي لتوقيع وثائق متفق عليها. هذه الزيارة غير بريئة للاجتماع مع أبطال الوحدة على الطريقة البريطانية العراقية.

استدعائي لمقابلة وزير الداخلية

دعاني السيّد «رشدي الكيخيا» وزير الداخلية يوماً لمقابلته وأخذ رأيي حول تعيين محافظ السويداء. سألني: من نعين محافظاً للسويداء برأيك؟ أجبتُ: إن أفضل محافظ هو الأستاذ «عارف النكدي» الذي حلَّ مشاكل الجبل المعقدة. قال: ولكنه استقال ولا يرغب البقاء، والأمير «حسن الأطرش» يطلب إقالته ولم يطلب أحدٌ بقاءه!. استغربتُ كيف تمكن من تهدئة الحالة في الجبل ولم يرضِ أحداً!.

قلت: يجب أن يكون محافظ السويداء من خارج الجبل حيادي بين الفريقين.... قدير - مستقيم وصادق.

انتخاب رئيس الجمعية التأسيسة

عندما انتهت الانتخابات التي أَعلنوا عنها أنها أنظف انتخابات جرت في سوريا. وهذا صحيح نسبياً ولكنها لا تخلو من تدخلات فردية. فاز بأكثرية النواب حزب الشعب ولم تكن له أكثرية مطلقة. تدخلات المدنيين لا أعلمُ عنها شيئاً. في حماه تدخل بعض الضباط بتوجيه فردي من العقيد «أديب الشيشكلي» وفي القامشلي من العقيد «توفيق نظام الدين» ولم يكونا في الأركان العامة، أعطيا توجيهات شخصية إلى ضباط المواقع. هذا ما علمت به فيما بعد ولستُ متأكداً من حدوث مخالفات أخرى.

اجتمعت الجمعية التأسيسية. اختلف النواب على صيغة القسم الذي سيؤديه النائب. كان حزب الشعب وغيره موجَّهاً للوحدة مع العراق. حاولوا التلاعب في القسم

لإنهاء الحكم الجمهوري. وأخيراً تمّ الاتفاق على صيغة القسم. وبعده انتخب السيد «رشيد الكيخيا» زعيم حزب الشعب رئيساً للجمعية التأسيسية بالأكثرية. وقد بدأت أعمالها بإصدار عفوٍ عن الأعمال والجرائم التي ارتكبت خلال الانقلاب على المشير «حسني الزعيم».

بعد الاتفاق انتخب السيد «هاشم الأتاسي» رئيساً مؤقتاً للدولة بأكثرية الأصوات.

أثناء الانتخابات وبعدها دُفعت مبالغ كثيرة عن طريق وزير العراق المفوض أو الملحق العسكري. أو من العراق مباشرة لكبار السياسيين. بعض السياسيين الموثوقين أعطيت لهم مبالغ إضافية لدفعها إلى الذين لا يمكنهم الحضور إلى المفوضية العراقية لصالح الانتخابات. مثل: الدكتور «أسعد طلس» الذي استلم مبلغاً لدفعه على انتخابات العشائر - وهذه لا تحتاج إلى مال لأن شيوخ العشائر يفوزون بالتزكية. عملاء العراق يدّعون أن السعودية وزعت كثيراً من الأموال. وهكذا يرغبون بتحقيق وحدة عن طريق شراء الضمائر.

وتحت هذه الظروف صار «أكرم الحوراني» و «ميشيل عفلق» يتصلان بضباط الجيش لاطلاعهم على الحقيقة طالبين عدم قبول هذه الوحدة المزيفة والمقررة سلفاً. بينما الفريق الثاني يحثون «سامي حناوي» للقضاء على الضباط الذين يعارضون المشروع بسرعة حتى ينفذوه.

خواطر وآراء بشأن الوحدة

من يعارض الوحدة العربية هم العملاء والمشكوك في عروبتهم وولائهم. بالنسبة لي سبقَ وسعيتُ مع من سعى من أجل الوحدة السورية عندما كان الجبل حكومة مستقلة وعملي ضد الانتداب مع رفاقي في سبيل التحرر معروفٌ. لكن كيف نزجُّ بسوريا المستقلة المتحررة، الذي يمكن لشعبها أن يحاسب حكامه دستورياً مع العراق والأردن ونحن نرى عمل ونفوذ بريطانيا فيهما مع حكامهما؟. الملك «عبد الله» خادم لبريطانيا مدى الحياة. اشترته بتنصيبه ملكاً على الأردن ويرغب في ضمِّ سوريا وما تبقى من فلسطين إلى مملكته لاستعبادهما وفي سبيل ذلك يبيع العروبة والعرب.

أما في العراق فإننا نرى أن «نوري السعيد» ينفذ السياسة البريطانية بتوجيهات الوصي الذي يفعل ما يحلو له. ومرتبط مع بريطانيا بمعاهدة تحدُّ كثيراً من استقلاله.

إن حرب فلسطين التي عشناها علمتنا دروساً لا تنسى. إن الجيوش العربية اشتركت في حرب فلسطين بناء على قرار من الجامعة العربية وموافقة دولها. أما كيف تصرّف الجيش العراقي والجيش الأردني فهذا لا يدعُ مجالاً للشك أن قيادتيهما كانتا متآمرتين وتنفذان خطة بريطانيا ومن ورائها إسرائيل.

لقد أحاطت ثلاثة جيوش عربية بتل أبيب وهي أقواها. الجيش المصري من الجنوب والجيش الأردني من الشرق في قواعد ثابتة وقرى عربية مخصصة للعرب في مشروع التقسيم. والجيش العراقي من الشمال الشرقي في مدنٍ وقرى عربية كان بإمكان هذه الجيوش احتلال تل أبيب. أو قطع اتصالها مع الشمال وحصارها وذلك بوصول الجيش العراقي إلى البحر من جبهة طول كرم - قلقيلية. علماً بأن المسافة بين قلقيلية والبحر أحد عشر كيلو متراً.

إن عدم تدخلهم في المعركة هو خيانة، سمح للصهاينة بإيقاف تقدم الجيش المصري المظفر ومن ثمَّ محاصرته وإجباره على التقهقر. لولا تواطؤ القيادة العليا في العراق والأردن لما تمكن الصهاينة من هذا الجيش الذي انتصر على الجيوش الصهيونية مراراً حتى وصوله إلى جبهة أسدود - الفالوجة.

كان بإمكان هذين الجيشين إما القيام بنشاط من أماكنهما لتجميد قوة من الجيش الصهيوني تبقى أمامهما لو فعلوا ذلك وشاغلوا العدو لما تمكن من جمع هذا العدد الكبير حول الفالوجة.

عندما حوصر الجيش المصري كان بإمكان هذين الجيشين فك الحصار عنه نظراً لقربهم من المكان، لم يفعلا شيئاً رغم قرار الجامعة العربية وتحديد القوة من الجيوش العراقية والأردنية والسورية بموافقة مندوبي هذه الدول. كما لم يمكِّن الملك «عبد الله» جمهرة من الجيش السوري من المرور في الأردن ولو أنها بإمكانيات محدودة.

جرى كل هذا في ظل قيادة موحدة عليا للملك عبد الله على الجيوش العربية.

لمصلحة من جرى كل ذلك. على كل حال ليس لمصلحة العرب بل ضدها.

لدينا مثال أوضح عندما جرى انقلاب العراق عام /١٩٤١/ بقيادة: «رشيد عالي الكيلاني» من الذي تصدى لهذا الانقلاب الوطني؟ إنه الجيش البريطاني الذي أعاد الوصي على عرش العراق وحكمه على أسنة الحراب البريطانية. عندما سقط ملوك أوروبا بثورات شعبية لم تتدخل بريطانيا لإعادتهم ولم يطلب أي من هؤلاء الملوك ذلك. إنما تدخلت لإعادة «عبد الإله» وقضت على ثورة الشعب والجيش في العراق.

إن الوحدة المقترحة كانت في سبيل إهداء عرش إلى الوصي على العرش «عبد الإله» لأن الملك «فيصل الثاني» أوشك أن يبلغ سن الرشد التي تمكنه من استلام الملك. ولا يهم الذين يسعون إليها أن ترتبط سوريا بمعاهدة مفروضة. ولكن لماذا المال؟ والوحدة لا تحتاج لشراء الضمائر. بل الوحدويون يسعون إلى ذلك بقناعتهم وعقيدتهم كما فعلوا في تحرير البلاد.

الرئيس «شكري القوتلي» اقترف أخطاء كثيرة داخلية في الحكم. لكن نضاله الوطني في سبيل الاستقلال وطرد الأجنبي لا غُبار عليه ولم يتمكن الشعب من احتماله!. فكيف حكم «عبد الإله» و «نوري السعيد» اللذين يسيطران بواسطة الحراب البريطانية؟!.

إن الدول العربية تتفوق على إسرائيل في العوامل التالية: قوتها البشرية، مواردها الاقتصادية، لكن أنظمة الحكم في بعضها متخلِّفة ولا يوجد انسجام بينها رغم وجود الجامعة العربية.

بينما الجانب الإسرائيلي يعتمد على نظام سياسي واجتماعي حديث وحريات واسعة وتخطيط دقيق ومتطور منذ وجدت الصهيونية في مؤتمر (بال) والتمويل من أثرياء الصهاينة وأمريكا بدون حدود.

اتفق الاستعمار على غرس إسرائيل في قلب العالم العربي. واستلمت المبادرة الولايات المتحدة الأمريكية التي فرضت مشروع التقسيم... وأوجدت إسرائيل، واعترفت بها قبل ولادتها!.

ثم زودتها بأحدث الأسلحة مع الخبراء والطيارين اليهود الذين يحتفظون بجنسيتهم الأمريكية. دخل أيضاً المقاتلون المتخصصون من أنحاء أوروبا الشرقية. استمر الدعم السياسي الأميركي لإسرائيل في الأمم المتحدة ومجلس الأمن. فرضت الهدنة الأولى والثانية لمصلحة إسرائيل وأبطلت مفعول قرارات مجلس الأمن التي أدانت مخالفات إسرائيل وإيصال العرب إلى بعض حقوقهم. باستعمال حق (الفيتو) النقض.

«ثلاثة أحداث هامة ارتبطت بتغيبي عن دمشق»

أولاً: في أوائل تشرين أول كان عليَّ أن ألبِّيَ دعوة العائلة في (سُليم) لحضور زفاف ابن عمي «فهد سليم أبو عساف» وعروسه من أقاربنا آل العيسمي في قرية (متان). كنت أرغب القيام بهذا الواجب أيضاً للترويح عن النفس، لبيتُ الدعوة وأخذتُ مأذونية ثلاثة أيام. أثناء وجودي في (متان) تلقيتُ برقية تهنئة من قائد موقع السويداء، بترفيعي إلى رتبة عقيد.

مأذونيات الضباط تعطى من الأركان. أثناء غيابي حرك بعض أعضاء المجلس ممن لهم مصلحة خاصة هذه المعاملة التي كانت مجمدة برضائنا وهي: (ترفيع ومنح قدم لتسوية أوضاع الضباط.)

جمعوا المجلس العسكري وأخذوا موافقته على هذه اللائحة، ثم أخذها بعض الضباط باليد إلى الجمعية التأسيسية التي تقوم بأعمال المجلس النيابي وفرضوا التصديق عليها بالقوة كما هي، ولم يتركوها للدراسة حسب الأصول وخلال يوم واحد تمّت إجراءات تتطلب أياماً. أذاعوها بعد وصولي إلى الجبل بيوم واحد فقط. ثم ألغوا المادة /٢١١/ التي تجيز الترفيع الاستثنائي. وكان قد وضعها وتصرف بها المشير «حسني الزعيم».

ثانياً: حصلت على مأذونية أربعة أيام إلى قرية (سليم) من /١٩ - /٢٢/ ١٠/ ١٩٤٩/ لعيادةِ والدتي المريضة بناء على طلبها واصطحاب زوجتي الحامل إلى مقر عملي في دمشق. في اليوم التالي طُلِبَ مني العودة إلى دمشق فوراً لأسباب اضطرارية.

قررت ترك عائلتي لتجري الولادة في الجبل والتحقت فوراً. كان الطلب من قبل

الرئيس «فضل الله أبو منصور» آمر الفوج بالوكالة حيث أرسل دراجة وكذلك من العقيد «أديب» آمر اللواء الأول الذي اتصل مع قائد موقع السويداء. يطلب منه إبلاغي بالالتحاق فوراً بعملي ومقابلته عند وصولي.

وصلتُ دمشق اتصلت بالعقيد «أديب» أعلمه بوصولي وبضباط الفوج حيث أخبرني كلٌ منهم ماذا جرى معه؟. تبين أن الأركان طلبت آمري الكوكبات إفرادياً بدون علم بعضهم وبفترات متقطعة ابتداءً من الرئيس «فضل الله أبو منصور» وهو أقدمهم وهم خمسة مع آمر سرية الدبابات. وعرضوا عليهم الترفيع رتبة استثنائية لكلٌ منهم وتعيينه ملحقاً عسكرياً في المكان الذي يريده إن هُم امتنعوا عن تنفيذ أوامري ونفذوا أوامر الأركان.

لك أن تتصور أيها القارىء مدى احترام قيادة تقوم بمثل هذا العمل!!. قام بهذا العرض المقدم «خالد جادا» في مكتب اللواء «حناوي» وموافقته. فوجىء ضباط الفوج بهذا الطلب ولم يعطِ أي منهم الجواب فوراً، أجلوه لوقت آخر على أن تكون الاتصالات مستمرة.

عندما عاد الرئيس «فضل الله أبو منصور» وعَلِمَ أن السؤال شمل كل ضباط الفوج آمري الكوكبات أرسلَ دراجة وطلب عودتي كما أخبر آمر اللواء العقيد «أديب الشيشكلي» أسماء الضباط آمري الكوكبات الذين تمَّ الأتصال معهم الرؤساء: «فضل الله أبو منصور» و «حسني زعينا» - الملازمون الأولون: «الكسي شبيعة» و «عبد الغني دهمان» و «حسين حده».

مرحى لهؤلاء الضباط كان ولاؤهم لضمائرهم ووطنهم قبل أن يكون لقائدهم. ولدى الجيش نخبة كبيرة منهم.

بعد عودتي توقف التدخل مؤقتاً، وسارت الأمور عادية وتبين أنقسام الضباط بصورة أوضح.

القسم الأول: اللواء «سامي حناوي» العقداء «علم الدين قواص» و «حمد الأطرش». المقدمون «صلاح البزري» و «صبحي عبارة» و «محمد معروف» و «خالد

جادا» و «عصام مريود» و «محمد ذياب» و «محمود الرفاعي» وغيرهم.

القسم الآخر»: العقداء «أديب الشيشكلي» و «شوكت شقير» و «عزيز عبد الكريم» و «توفيق نظام الدين» و «محمود بنيان» و «محمد ناصر» و «أمين أبو عسّاف» وغيرهم.

بتاريخ /١٧/ ١١/ طلبتُ من العقيد «أديب الشيشكلي» آمر اللواء مأذونية / ٢٤/ ساعة إلى محافظة السويداء. أجاب: الوضع غير مناسب الآن أجّلها لوقت آخر.

مؤامرة لإلقاء القبض على الضباط أثناء أجتماع رسمي

الأحد / ١١/ ١٢/ ١٩٤٩/

تلقينا دعوة إفرادية للاجتماع في بيت اللواء «سامي حناوي» مساء. كان من العادة الإجتماع في بيت أحدنا لدراسة مواضيع الساعة. كان من الممكن أن تمرَّ هذه الدعوة بصورة عادية ويلبيها المدعوون بطيبة خاطر. لكن الذي حدث أن نَبهَنَا أحد الجنود في إدارة الهاتف العسكري قائلاً: إن اللواء «الحناوي» وأعوانه دبّروا مؤامرة لتوقيف جميع الضباط المعارضين أثناء الاجتماع. أُعطيث مهمة التنفيذ إلى المقدم «محمد معروف» رئيس الشرطة العسكرية والمقدم «محمود رفاعي» رئيس الشعبة الثانية. اتخذ هذان الضابطان الاحتياطات اللازمة لتكون قواتهما مختبئة في مكان معين قبل الاجتماع قريباً من مكانه وربما في بيت اللواء «حناوي» نفسه. حتى أنهم أحضروا عدداً كافياً من القيود لإغلال أيادينا!.

عند وصول الخبر عقدنا اجتماعاً طارئاً بعد الظهر. الفريق المناوىء «للحناوي» وقررنا أن يذهب اثنان فقط لحضور الاجتماع هما العقيدان «أديب الشيشكلي» و «عزيز عبد الكريم» وأن يستنفر فوج المدرعات الأول بقيادة العقيد «أمين أبو عسّاف» وفوج البادية الثالث في الضمير بقيادة العقيد «محمود بنيان» اتصل العقيد «محمود» هاتفياً بالفوج وأعطاه أوامر الاستنفار وأن يكون جاهزاً للتحرك إلى دمشق فور تلقي الأمر.

مثلما نبهتنا دائرة الهاتف نبهت أعوان «الحناوي» بهذا الاستنفار. وهذا يدلُّ إلى أي مدى وصل انقسام الجيش.

كان إستنفار الهجانة احتياطياً حتى إذا لم يتمكن فوج المدرعات من الحركة بسبب حصاره أو تجميده من قبل المدفعية أو لأسباب أخرى. نفَّذ المهمة فوج الهجانة - إذن كشفت المفاجأة للفريقين.

لولا الاتصال الهاتفي كنا وقعنا في الفخ المحضّر من قبل فريق «الحناوي». ووقع العقيد «محمود» بنفس الخطأ إذ استعمل الهاتف. كان يجب أن يتم الاتصال بغير هذه الصورة التي خلصتنا من السجن.

في الوقت المعين ذهب العقيدان «أديب» و «عزيز» إلى الاجتماع وجدا أعوان «الحناوي» أين الضباط الآخرون أجابا: نحن ننوبُ عنهم، أشغالهم منعتهم. قال: «الحناوي»: في مثل هذا الوقت لا يوجد أشغال. لماذا استنفر «بنيان» فوج البادية في الضمير؟ أجابا: لا نعلم. لم يعقد الاجتماع قانونياً إنما تبادل الفريقان التهم وفشلت الخطة.

في اليوم التالي دعينا برقياً لاجتماع عاجل للمجلس الحربي الأعلى - كنتُ وحيداً من الفريق المعارض - أرادوا اتخاذ قرار عاجل بإحالة العقيد «محمود بنيان» إلى محكمة الميدان العسكرية. بما أننا في حالة حرب. والسبب أنه أصدر أمراً باستنفار الفوج للقيام بعمل عسكري بدون علم القيادة. هذا جرم يستحق الإعدام! وأحكام محكمة الميدان تنفذ فوراً بدون اعتراض!!.

قلتُ: إنه حكم قاس ولم يثبت الجرم بعد، ولسنا في ساحة القتال. بالإمكان معاقبته عقوبة إدارية صارمة إذا ثبت الجرم ونقله من مركزه. أما إحالته إلى محكمة عسكرية فهذا كثير على ضابط أمضى حياته في الجيش. وله مواقف جريئة في الحرب. القوات التي احتلت كعوش كانت بقيادته. بصعوبة تمكنت من تأجيل النقاش إلى اليوم التالي.

في الوقت المعين اجتمع المجلس الحربي الأعلى. وأقترحتُ أن ينقل العقيد «محمود بنيان» من قيادته قائداً لموقع اللاذقية ويلتحق فوراً على أن يُنظر في أمر إحالته إلى المحاكمة فيما بعد. وافق المجلس على اقتراحي وصدر أمر النقل.

الحدث الثالث: في /١٤/١٢/١٩٤٩/ قال العقيد «أديب» بإمكانك الذهاب بمأذونية بعد أن هدأت الحالة وجرت انتخابات رئيس الجمعية ورئيس الدولة.

ذهبتُ في ذلك اليوم بعد الظهر بمأذونية أربعة أيام تنتهي صباح /١٩/١٢/ الخميس في /١٥/ منه أتى لزيارة العائلة في (سليم)، بعد أن علموا بحضوري آل الصحناوي من قرية (الجنينة) ووجهوا لي دعوة ملحّة لزيارتهم في قريتهم مع وجهاء العائلة. أصرّ عليّ كبار عائلتي لتلبية الدعوة رغم ضيق وقتي نظراً لما يكنوه من ودٍّ واحترام لعائلة الصحناوي.

الجمعة /١٦/ منه لبينا الدعوة إلى (الجنينة) حَلَلْنا ضيوفاً على كبير العائلة صاحب الدعوة الشيخ «أبو نايف عقاب». كانت الحفاوة بالغة والكرم كما هو معروف ومشهورة به هذه العائلة الكريمة.

وما أن وصل آل الصحناوي من قرية (الرضيمة الشرقية) أصر الشيخ «أبوعلي راضي» على الدعوة إلى العشاء. وقال: حضّرتُ كلَّ شيء قبل مجيئي ولم يقبل العذر. لم نشأ إغضابه وقبلنا مرغمين.

قبيل العشاء وصلتني برقية بواسطة الشرطة المدنية للالتحاق فوراً، وعند وصولي الاتصال بالعقيد «أديب الشيشكلي».

تناولت العشاء بسرعة وعدت إلى قرية (سليم) مع من يرافقني في السيارة وباقي العائلة أمضى الليل حتى الصباح في (الرضمية الشرقية). بدّلتُ ثيابي والتحقت فوراً بدمشق وصلتها الساعة /٢٢،٣٠/ عند وصولي إلى الفوج علمت أن الحالة غير مستقرة. أرسلت ضابطاً تنقله سيارة لإعلام العقيد «أديب» حيث أن الهاتف غير مضمون بهذا الوضع الذي نمرُّ به من سرية وكتمان. أجاب العقيد «أديب» إنه سيأتي لمقابلتي صباحاً.

نقلـي آمراً للواء قوى البادية

السبت /١٧/ ١٢/ ١٩٤٩/

الساعة / ٠٠،٠٦/ حضرت صباحاً لمكتبي من الباب الداخلي لم أمرّ أمام الحرس من الباب الرئيسي. كذلك مساء الأمس عندما وصلت من الجبل أتيت إلى البيت مباشرة ودعوت ضباط الفوج، وجدتهم على ولائهم لي قالوا: تجري أشياء لا نفهمها!

/ ٠٠،٠٧/ الساعة السابعة وصلت برقية بنقلي آمراً للواء البادية وتعيين المقدم «صبحي عبارة» آمراً لفوج المدرعات الأول الالتحاق فوراً.

/ ٠٠،١٠/ في الساعة العاشرة وصل العقيد «أديب» لمقابلتي في القابون. وقد كان مراقباً على ما يبدو، إذ بمجرد وصوله إلى مدخل المزة من الجهة الغربية رافقته دراجتان من الشرطة. وعند وصوله الباب الرئيسي في القابون منعه رئيس الحرس من الدخول بأمر من رئيس الأركان - طلب أن يقابلني أجابه رئيس الحرس أني غير موجود ومنعه من الدخول. جرى ذلك بدون علمي. عاد العقيد «أديب» إلى الأركان غاضباً محتجاً ترافقه الدراجتان دون معرفة المهمة وقال: كيف أمنعُ من زيارة القطعات التابعة لقيادتي. لا أقبل بذلك. أتيت لزيارة العقيد «أمين أبو عسّاف» فلم يُسمَحْ لي بالدخول إلى الثكنة - طَلَبَني الزعيم «أنور بنود» معاون رئيس الأركان وسألني: متى عدت؟ أجبته: في الحال. قال: العمل في لواء البادية غير سليم لذلك عيناك لقيادته لتقضي على الفوضى فيه نظراً لثقتنا بك أرجو أن تلتحق فوراً. أجبته: حاضر كان وجودي مفاجأة لمن في الأركان إذ بقي يومان من مأذونيتي.

المصلحة والثقة تقضي بنقلي من فوج المدرعات الأول إلى لواء البادية!!. إنها تناقضات الأركان.

لاحظتُ قبضتهم الصارمة على ثكنة المدرعات، وأنهم منعوا الدخول إليها!.

أما كيف تمكنت رئاسة الأركان من التدخل والسيطرة على حرس الفوج. هذا ما لا أعلمه؟ وبقي سراً غامضاً. . . بتفاصيله. إعطاء الأوامر بمنع دخول العقيد «أديب» وربما المنعُ شمل غيره لم يخبرني عنه أحد.

جمعتُ ضباط الفوج وأبلغتهم أمر نقلي. إن هذا النقل لا يمكن أن يتم حتى يتصرفوا بمصير الوطن كما يريدون. إني مضطرٌ للذهاب إلى قوى البادية لأخرجَ من هذا الحصار وأتمكن من الاتصال مع باقي الضباط وسأحاول تأخير تسليم الفوج من قبلي حتى نجد الحل المناسب. حتى ولو استلم المقدم «عبارة» تبقون تحت قيادتي وعلى اتصال معي وتتلقون الأوامر مني. انتظروها.

فضلتُ الالتحاق بقيادة لواء البادية وكانت في دمشق وقريبة من الأركان. وجدت العقيد «محمود بنيان» ولم يلتحق بعد. . . باللاذقية كما كان مقرراً. طلبت الضباط ولنسمِّهم المعارضين لاجتماع عاجل في قيادة لواء البادية. لبّى الدعوة العقداء «أديب» و «عزيز» و «نظام الدين» أما «محمود» وأنا فقد كنا بانتظارهم. جرى الاجتماع المصغر بعيد الدوام لدراسة الأوضاع. أدلى كلٌّ بمعلوماته وكيفية تحقيق الوفاق.

سئل العقيد «محمود» لماذا لم يلتحق؟ أجاب: أشعر أنكم تخليتم عني وتركتوني لمصيري المظلم. ومحكمة الميدان تنتظرني! . سأبقى هنا في قيادتي لأدافع عن نفسي. ربما اضطررت لإعلان العصيان مع قطعات اللواء حتى أعرف مصيري. . . الاستنفار كان بناءً على طلبكم وأتحملُ مسؤوليته وحدي! .

اتخذنا جميعاً القرار التالي: - أولاً: يلتحق العقيد «بنيان» بمكان عمله الجديد فوراً. وعند وصوله اللاذقية يتصل برقياً بالأركان يعلمها باستلام عمله.

- ثانياً: يعقد اجتماع في منزل العقيد «عزيز عبد الكريم» غداً الساعة / ٢١،٠٠/ لدراسة الأوضاع ومستجداتها.

قال العقيد «محمود» إذا كنتم تتكفلون بإلغاء المحاكمة أذهب، وإلاّ سأبقى للدفاع عن نفسي. أجبنا جميعاً بأنا نتكفّل بعدم تقديمه للمحاكمة. وانصرفنا كلٌ في سبيله والتحق العقيد «محمود» معتمداً على وعدنا.

كان علينا أن ندرس الوضع من كل نواحيه ونحصل على المعلومات الوافية التي نتمكن من معرفتها. وفي الاجتماع الذي يضم الجميع ندرس الوضع ونقرر الخطة الواجب اتباعها.

في المساء أتى إليّ الملازم «حسين حده» وقال: الأستاذ «أكرم الحوراني» يريد مقابلتك. طلبت منه أن يأتي به.

جاء الأستاذ «أكرم الحوراني» وقابلته بمفردي في منزلي، قال: نحن في سباق مع الزمن والشيء الذي يمكن عمله اليوم ربما استحال غداً. إجراءات كثيرة مفاجئة ستحلّ بنا. حزب الشعب جمع أمره ولا يسمع لأحد. ربما نحيتم أو سجنتم والأمور واضحة. فإما أن توقفوا هذا التيار وإلا سيجرفكم ويجرفنا وتقع سوريا تحت حكم العراق الملكي البريطاني ويضيع الاستقلال والذين يدافعون عنه. إن التاريخ سيسجّل مواقفكم.

سألته: لماذا لا توجه هذا الكلام إلى العقيد «أديب» والصلة متينة بينكما؟ أجاب: أوجه هذا النداء لمن يستوعبه ويمكنه التنفيذ - قلت: ما هو اقتراحك؟ قال: حزب الشعب يعتمد على قوة الجيش يجب القضاء على هذه القوة وكلما أسرعتم كان النجاح أضمن. وعدتُه بعمل ما هو ممكن وذهب. كنت أُطلِعُ الرئيس «فضل الله» على كلِّ ما يجري معي. وأمضيت الليل في منزلي.

الأحد / ٨/ ١٢/ ١٩٤٩/

الساعة / ١٠،٠٠/ من قيادة لواء البادية توجهت لمقابلة اللواء «سامي حناوي» بمكتبه بالأركان لأبحث هذه المواضيع معه مباشرة وبعيداً عن تأثير معاونيه. قالوا: غير موجود - أشكُّ في ذلك لأنه لا يرغب مقابلتي!. ذهبت لمقابلة العقيد «ناصر» في الشعبة الثالثة لأمضي بعض الوقت وأعيد الكرّة علني أقابل اللواء فلم أجده. خرجت وعلى مدخل الأركان وجدت المقدم «عبارة». طلب مني أن أذهب وأسلّمه الفوج. أجبته: لا أقدر اليوم عندي شغل. قال: لا بأس - كنت أرغب تأجيل التسليم.

ذهب العقيد «حمد الأطرش» وكان مفتشاً للخيالة والمدرعات في الأركان، وتوجهوا سوية إلى مكتب آمر الفوج. جمعوا الفوج بكامله ضباطاً وأفراداً وقدّم لهم

العقيد «حمد» آمرهم الجديد المقدم «صبحي عبارة» وطلب منهم الطاعة والمساعدة له في مهمته وبعد الاجتماع العام دعا الضباط إلى مكتبه بحضور العقيد «حمد» للتعرف عليهم وألقى فيهم كلمة. استغرقت هذه الإجراءات حتى نهاية الدوام.

طلب المقدم «عبارة» أن يكون الفوج بآلياته جاهز للحركة في الساعة /١٧،٠٠/ . في الساعة /١٢،٠٠/ أرسلتُ ضابطاً يحمل رسالة سريّة إلى العقيد «أديب» أعلمه ما تمّ بلقاء ««أكرم» وقد استلم الرسالة وعلم بمضمونها كما أخبرني الضابط وقد أعاد المغلف موقعاً.

الساعة /١٨،٠٠/ كنت في قيادة قوى البادية عندما جاء ضابط من قبل العقيد «عزيز» يبلغني إلغاء الاجتماع المقرر وقال له بالحرف الواحد: (أنا انشمستُ ولا أوافق على اجتماع في بيتي ولن أحضر اجتماعات بعد الآن وهذا ما أبلغه للجميع).

في الساعة /١٨،٣٠/ أرسلتُ المقدم «بكري قوطرش» إلى العقيد «توفيق نظام الدين» ليعلمه أن الاجتماع سيكون في قيادة قوى البادية في الوقت المعين، وجده بالبيجاما - أجاب: أنا ضعيف ولا يمكنني حضور الاجتماع. ثم تابع قوله: قلْ للعقيد «أمين» أن يقوم بالحركة ويفرض الشروط التي يريدها ونحن نؤيده.

عاد «بكري» وأخبرني قلت له: لولا بعض الاعتبارات الطائفية لفعلت ولكن خصومنا كثر ومؤيدونا إذا كان لنا مؤيدون قلّة وقد بدأوا ينسحبون أخشى إذا تبنيت عملاً وفشل أن يؤثر على استقلال البلاد وإن كانت نتائجه محدودة أن يغطي انتصارات الثورة السورية الكبرى التي حمل بنو معروف لواءها بقيادة «سلطان باشا الأطرش».

الساعة /١٩،٣٠/ كنت أنتظر وصول الباقين. وصل الملازم «هاني قطيني» وقال: يوصيك العقيد «أديب» ألا تتظاهر بشيء لأن رفاقكم تخلوا عنكم! وذهب.

وفي الساعة /٢٠،٠٠/ جاء المقدم «توفيق الشوفي» وقال: يوصيك العقيد «أديب» ألا تأتي بحركة لأن رفاقكم تخلّوا عنكم ولا تقوم بأي عمل لأنكم انكشفتم. أجبتُ والوعود التي قطعوها على أنفسهم؟ ثم سألته: أين هو «أديب الشيشكلي»؟ قال: في النادي. قطعت الأمل بحضور أحد إلى مكتبي، ذهبت إلى النادي. عندما شعر «توفيق

الشوفي» بعدم قناعتي قال: أنا من ربعك أشركني فيما ترغبون عمله. أجبته: لم نقرر شيئاً بعد وسنرى. . . ؟.

في النادي وجدت العقيد «أديب» على طاولة الويسكي مع العقيد «شوكت شقير» جلستُ معهما. سألني: هل أتاك «هاني قطيني». أجبت: نعم. . .، و «توفيق الشوفي»؟ أجبتُ: وتوفيق. قال: ولم تقتنع؟ أجبت: لم أقتنع.

رأيت أن المكان والجو غير مناسبين لبحث الموضوع. ضباط، وجنود، انتظرت قليلاً ثم خرجت. أتتني فكرة وعدت. قلت لـ «أديب»: مطلوب على الهاتف - وخرجنا معاً لأتمكن من البحث معه على انفراد. قال لي: رفاقنا تركونا ولم يبقَ إلا أنتَ وأنا ولا يمكننا القيام بهذا العمل بمفردنا. قلتُ: و «محمود بنيان» ماذا يكون مصيره؟ لم يذهب إلى عمله الجديد إلا بعد وعدكم له بالمساعدة وإلغاء المحاكمة. الفريق الآخر والسلطة في يده يتمسك بإثبات الجرم ليتخلص من «محمود» رفيق الأمس «للحناوي» وبأسلوب غادر هو الإعدام. المال يعمي البصيرة!!.

أنا نقلت من المدرعات واستلم قائد جديد مكاني. يمكنني التدخل في شؤون الفوج وقيادته هذه الليلة إلى صباح الغد. بعدها إذ شعر القائد الجديد بأي ريبة من الضباط استبدلهم وأوقفهم عن العمل.

حسب معلوماتي أنت مسرح من الجيش ولربما تسجن. بعد صباح الغد لا يمكن عمل شيء. قال: إذن أذهب أنا إلى معسكرات قطنا الآن وأستنفر أفواج اللواء والوقت اللازم لجمعهم جاهزين للحركة لن يتم قبل الساعة الحادية عشر صباحاً، الساعة الثانية عشر ظهراً نلتقي في دمشق أنا مع اللواء وأنت مع فوجك. أجبتُ: الانقلاب ظهراً لا يمكن أن يتمّ. كلّ المسؤولين في الجيش على رأس عملهم. لربما بعض القطعات ترفض التحرك أو يُخبر أحدهم القيادة. لا يمكنك الاعتماد على أفواج لوائك مثل اعتمادنا على فوج المدرعات لأننا نعتنق نفس المبدأ مع ضباطها. باقي الجيش بيد القيادة - إن الطيران والمدفعية لن تسمح لك بالوصول إلى دمشق. ثم من يضمن بقاءك في قيادتك حتى الغد - ربما يكون أمر نقلك قد وصل إلى اللواء أو في الطريق إليه. من يضمن عدم توقيفك الآن أو بعد ساعات أو خلال عودتك إلى معسكرات قطنا؟.

رفاقنا تخلوا عنا جميعهم لا نعلم إذا كان السبب الخوف أو التواطؤ!. فوج المدرعات مستنفر من قبل قائده الجديد. لا أعلم مهمته؟ ربما لتوقيف بعض المعارضين. ولا يمكن وجود هدنة بيننا وممن يسبق يملي شروطه!. أريدك أن تقود الحركة وتكون باسمك خوفاً من الفشل باسم غيرك حيث تُستَغَل الطائفية، وأنت مسلم سني تمثل الأكثرية في الجيش ولك شعبية واسعة. قال: ألا يلزمك مشاة ومدفعية؟ أجبت: سرعة التنفيذ أفضل من التريث. شعرت أنه مثلَ «الحناوي» يخبىء شيئاً قبل الهرب وترك الأمور كما هي مثل باقي رفاقنا. ولكن تمسّكتُ به، وكل ما قلته لأُقنعه كان صحيحاً.

سددتُ عليه كل المنافذ حتى لا أتركه يفلت من يدي. وقلت لنفسي إذا وصل معسكرات قطنا من يضمن استيقاظه باكراً؟. ثم إننا نتبنى هدف عدم التفريط في استقلال سوريا. إذا خسرنا هذه الجولة ضاع كل شيء وأعدم «محمود بنيان» وربما غيره. بالنسبة لي اكتفوا بنقلي لأني نفذت الانقلاب الناجح ضد «حسني الزعيم» وهذا غير مؤكد. وعندما أترك المدرعات لا أقدر على عمل شيء.

سأل: ماذا تقترح؟ أجبته: نذهب إلى منزلي في القابون ونجمع الضباط ونتفقُ على خطة. قال: سأوافيك إلى هناك، خشيتُ ألا يفعل. أجبته: بل تترك سيارتك في مكانها المقابل للأركان حتى إذا رأوها فكروا أنك في أحد الملاهي ويخرجونك من حسابهم وخرجتَ عن مراقبتهم لك. تأتي معي في سيارتي إلى القابون حيث نقرر ما يجب عمله - قال: موافق أخذ عمرته عن المشجب ووضعها على رأسه وركبنا سيارة الجيب ولم يكن معنا سوى السائق.

في الساعة / ٢٣،٣٠/ ونحن في السيارة قال لي: أرغب الحديث معك لنذهب على طريق ميسلون قليلاً ثم نعود إلى القابون.

بدأ حديثه بالمثاليات، وأنه يعتبر هذه الرفقة معي صداقة مهمة ودائمة. وتابع قوله: إنه لا يتخلّى عن صديق طيلة حياته - وإن كانت رفقتنا حديثة ولكنها متينة وتحولت إلى صداقة والمستقبل بيننا لتعرف من هو «أديب»؟ شكرته على عواطفه واتفقنا على التعاون الدائم المستمر في سبيل خير الوطن وعزته وكرامته.

العقيد «أديب» كان يشرب المسكرات كثيراً، وتأثير الخمرة عليه قليلٌ لأنه مدمن وتعود جسمه على المشروب. كلُّ نُدمائه يسكرون قبله وهو الآن في عزِّ نشوته. لا سكران ولا صاحي - استرسل في الحديث، طلبت منه ثلاث مرات العودة... أوشكنا على الوصول إلى ميسلون، وأخيراً عدنا إلى القابون حيث وصلنا بعد منتصف الليل.

أما لماذا غيّر رفاقنا مواقفهم فجأة وتخلوا عن العقيد «محمود بنيان» المهدد بالإعدام رغم وعودهم له. انقلبوا فجأة بعد مرور يوم واحد على اجتماعنا الأخير.

العقيد «عزيز» أعلن عن موقفه بعدم استقبالنا وعدم حضور اجتماعات أخرى! وأخبر كل الضباط بذلك. وعندما دعوت العقيد «توفيق نظام الدين» إلى الاجتماع بعد تغيير مكانه ادعى المرض وهو ليس بمريض.

أما العقيد «أديب» كيف عرف أن رفاقنا تركونا؟ طلب مني مرتين بواسطة ضابطين أن أتجاهل قرارنا السابق وأتركُ الأمور تجري حسب رغبة وتخطيط خصومنا!. الصعوبة التي عانيتها في إقناعه وتهربه من الاجتماع الفاصل مرةً للذهاب إلى معسكرات قطنا ومرة سيلحق بي. ما هي غايته منها؟.

أما باقي رفاقنا فلم نرَ أحداً منهم إلا بعد انتهاء الحركة. هل تمكّن خصومنا من استمالتهم ودفعوا ثمن سكوتهم وتجميد نشاطهم أم ماذا؟ لولا إصراري على العمل وتنفيذه في الوقت المناسب ماذا كان مصيرنا ومصير وطننا العزيز؟.

إلقاء القبض عى اللواء «سامي حناوي» وأعوانه

الاثنين /١٩/١٢/١٩٤٩/

في الساعة /٠٠،٣٠/ وصلنا إلى بيتي في القابون. طلبت ضباط الفوج، حضروا جميعهم كان حماسهم ظاهراً وأفادوا أن الفوج جاهز للحركة بكامل عتاده بإشارة من رئيسه.

أخبرهم العقيد «أديب الشيشكلي» رئيس الحركة، أن المهمة هي الإطاحة باللواء

«سامي حناوي» وأنصاره. لأنهم قبضوا أموالاً من العراق ويرغبون ضمّ سوريا الحرّة المستقلة إلى العراق المكبل بمعاهدة مع بريطانيا ليشكلوا اتحاداً وإلغاء الحكم الجمهوري وتعيين الوصي «عبد الإله» ملكاً على سوريا - وأن بعض حكام العراق والوصي ينفذون أوامر بريطانيا.

إن اللواء «سامي حناوي» حاول تنفيذ الخطة منذ أسبوع. عندما دعا كل الضباط الذين يعارضون الانضمام إلى العراق بهذه الشروط إلى اجتماع من أجل إلقاء القبض عليهم وسجنهم. عندما اكتشفت خطته وباءت بالفشل بدأ أسلوباً آخر لتنفيذها. فقد عزل العقيد «محمود بنيان» ونقله إلى اللاذقية. نقل العقيد «أمين أبو عسّاف» من مكانه وسلّم قيادة المدرعات إلى من ينفذ أوامره ولا يعترض عليها. وإذا لم يُوقف «الحناوي» عند حده صفّى كل الضباط الذين يناوئونه ونفذ مخطط الاستعمار وفقدت سوريا الحبيبة استقلالها. لذلك قررنا توقيفه مع أعوانه هذا الصباح ووضع حدٍّ لتصرفاته الطائشة. طلبَ مني إعطاء الأوامر للتنفيذ:

طلبت أداء القسم - قسم الولاء للحركة من قبل المشتركين على القرآن الكريم أقسمنا اليمين على السرية وإنجاح الحركة والتعاون بين أفرادها وإطاعة الأوامر. وأن يكون مصيرنا مشتركاً وعدم استغلالها من أي كان.

تقرر تسميتها حركة تصحيح محدودة ضمن الجيش ويبقى الحكم المدني على حاله. على أن يوقف المرتبطون مع العراق نشاطهم حتى يتم وضع الدستور لحكم جمهوري، وبعدها تجري انتخابات حرّة يقرر النواب المنتخبون مصير سوريا.

حررنا مسودة قرار تشكيل المجلس الحربي ووقعناها وعند وصولنا إلى الأركان صدر عن رئاسة الأركان العامة الشعبة الثالثة ووقع من جميع الأعضاء كما سيأتي فيما بعد. لقد اشترك أكثرية الحضور في وضع مواده ومنهم رئيس الحركة.

الضباط الواجب توقيفهم: اللواء «سامي حناوي». العقيد «علم الدين قواص». المقدمون «خالد جادا» و «محمد معروف» و «محمود الرفاعي» و «عصام مريود» مع المدني الوحيد أمين عام وزارة الخارجية الدكتور «أسعد طلس». لأن سلطته مطلقة على اللواء «سامي حناوي» وهو المحرك له. الدوائر الواجب احتلالها: رئاسة الأركان -

الشرطة العسكرية - الشرطة المدنية - ثكنة الدرك - والإذاعة.

سألت الرئيس «فضل الله أبو منصور» إذا كان يرغب تنفيذ المهمة الصعبة وهي توقيف اللواء «سامي حناوي» طلب إعفاءه منها إذا أمكن - أجيب إلى طلبه وعينتُ الملازم الأول «حسين حده» لهذه المهمة. عينت باقي المفارز: رئيس ووسائط وأعطيت مهماتها والمكان الذاهبة إليه - على أن تخرج هذه المفارز من الثكنة حسب تسلسل مهماتها على الطريق العام قابون - دمشق وعندما تصل المفرزة إلى المفرق المؤدي لمكان عملها تسلكه.

باقي الفوج وهي كوكبة مصفحات - كوكبة محمولة - كوكبة دبابات تبقى في الثكنة احتياطاً بقيادة آمريها جاهزة للحركة بأوامر قائدها.

مكان القيادة العقيد «شيشكلي» والعقيد «أبو عساف» بعد المفارز على المحور العام ثم مركز الشرطة المدنية حيث يكون مقرٌّ قيادتهما. يؤتى بالموقوفين إلى مركز الشرطة المدنية لتلقي الأوامر.

عندما تمّ كل ذلك وفي الساعة الرابعة والنصف صباحاً أمرت ضابطين بالقبض على المقدم «صبحي عبارة» في مكتب آمر الفوج وتجريده من سلاحه وإحضاره إلى غرفة الاجتماع. والباقي يذهبون إلى الفوج من الاجتماع لتحضير مفارزهم وانتظار الأمر بالحركة.

عندما حضر المقدم «عبارة» أَنَّبَهُ العقيد «أديب» على عمله واستلامه قيادة الفوج. أجاب: لم أطلب ذلك. القيادة عينت وأنا نفذت.

قال العقيد أديب: تابع إعطاء الأوامر.

وجهتُ كلامي إلى المقدم «عبارة» قائلا: لستَ مسؤولاً عما مضى - قررنا توقيف اللواء «سامي حناوي» وأتباعه وسنحجز عليك حتى يتمّ ذلك وبعدها ننظر بأمرك، فإذا كان سلوكك سليماً أطلقنا سراحك وإلا كان مصيرك مثل مصير أعوان اللواء «سامي». لم يبقَ لدي ضابط بدون مهمة يتكفل بحراستك. عينت الوكيل الأول «يوسف شيا»

ليقوم بهذه المهمة.

وعلى مسمع الجميع أعطيتُ الأمر التالي: المقدم «صبحي عبارة» موقوف حتى إشعار آخر وأنت مكلف بحراسته. يجب عليك احترامه إذا نفذ هذه التعليمات. ممنوع عليه الاتصال بأحد ولا استعمال الهاتف يبقى ساكناً وإذَا خالف ذلك ولم يتقيد بما تقوله وحاول الاتصال أو التمرد أطلق عليه النار.

قال المقدم «صبحي» لن أخالف ما قلته ولكن لي عندك رجاء. أن تطمئن شقيقتي زوجة الاستاذ «نزهت المملوك» عني أخشى أن ينشغل بالها عندما تعلم بهذه الحركة. أخذت رقم الهاتف واتصلت بها بعد توقيف اللواء وقبل إذاعة البيان.

الساعة الخامسة تحركت المفارز إلى دمشق - وصلنا مركز الشرطة المدنية بعد المفرزة بقليل وما هي إلا لحظات حتى حضر اللواء «سامي» وباقي الضباط. أرسلناهم إلى سجن المزة وسلّمتْ كل الدوائر بدون مقاومة إلا الشرطة العسكرية ذهب فيها قتيلان.

الدكتور «أسعد طلس» لم يكن موجوداً في بيته وهو منذ أيام يقضي الليل في بيروت ويعود نهاراً وكأنه يتوقع هذه النتيجة وبقي غائباً ولم يسلِّم نفسه.

تعيين رئيس الأركان ومعاونيه

في الساعة السابعة توجهنا إلى الأركان العامة، اقترح العقيد «أديب» أن نعيد تشكيل الأركان وندرس إملاء الشواغر قبل وصول الضباط وتدخلهم. سألني: ما رأيك برئيس الأركان؟ أجبت: بما أن الضباط القدماء وأخصُّ بالذكر منهم الزعماء يحجمون عن تحمل المسؤوليات أصبحت من حقك وعرضتُ عليه جاداً أن يكون هو رئيساً للأركان. رفض وقال: أنا إن عينتُ رئيساً للأركان، قالوا: إن سبب قيامنا بهذه الحركة حتى أفوز بهذه الوظيفة يكفيني أن أكون معاوناً. من يعين من الزعماء لرئاسة الأركان؟ اقترحتُ الأقدم. وهو مدربي في الكلية العسكرية الزعيم «فوزي سلو». أجاب: الزعيم «سلو» صعب المراس وعنيد يفرض إرادته ولا يقبل النقاش، نعينه مديراً لوزارة الدفاع. ونعين الزعيم «أنور بنود» رئيساً للأركان والعقيد «أديب الشيشكلي» معاوناً لرئيس الأركان

والعقيد «أمين أبو عسّاف» قائد اللواء الأول - المكان الذي شغرَ بنقل «الشيشكلي». وهكذا يبقى فوج المدرعات الأول تابعاً لقيادتك. يُذكّر بالمناسبات التي أوجدها ليأخذوا قيادة الفوج منّي.

سأل: من نعيّن لقيادة فوج المدرعات الأول؟.

أجبتُ: الرئيس «فضل الله أبو منصور». قال: إن «فضل الله» شبه أمي لنأتي بضابط أقدر منه. أجبتُ: «فضل الله» أختصاصه مدرّعات وتحملَ معنا المسؤوليات ونفذ أصعب المهمات وقد عرضت عليه إغراءات كثيرة رفضها. يستحق المكافأة. يجبُ ألاّ نتخلى عنه. وافق على بقائه آمراً للفوج.

بدأ ينظف الأركان دون أن أشعر. عين العقيد «محمد ناصر» رئيس الشعبة الثالثة في الأركان آمراً لسلاح الطيران القيادة الجديدة هامة ولكن ظهر فيما بعد مدى خصومته لهذا الضابط القدير والذي أراد إبعاده عن الأركان. وعين أيضاً مديراً للشرطة العسكرية ورئيساً للشعبة الثانية ورئيساً لأركان اللواء الأول.

بدأ الضباط بالحضور من الأركان ومن القطعات أيدوا الحركة وهنأوا القائمين بها. عرضنا على المسؤولين منهم التشكيلات التي حضرناها وافقوا عليها بدون تعديل وصدرت بها الأوامر الرسمية عن طريق رئاسة الأركان.

عرضت مسودة تشكيل المجلس الحربي وصدر الأمر عن طريق الأركان العامة الشعبة الثالثة وبعد التوقيع عليه من قبل الأعضاء الأصليين وصدر على النحو التالي:

الجمهورية السورية

رئاسة الأركان العامة　　　　　　　　　　سري

الشعبة الثالثة

رقم / ١٣٢٩/ ٣٠ س

٣٠٢

قرار رقم (١)　　　تشكيل المجلس الحربي

مادة أولى – يشكل المجلس الحربي كما يلي:

الزعيم «فوزي سلو» رئيساً

الزعيم «أنور محمود بنود» نائباً للرئيس

العقيد «أديب الشيشكلي» عضواً

العقيد «عزيز عبد الكريم» عضواً

العقيد «توفيق نظام الدين» عضواً

العقيد «شوكت شقير» عضواً

العقيد «محمود بنيان» عضواً

العقيد «أمين أبو عسّاف» عضواً

المقدم «علاء الدين ستاسيس» عضواً

الرئيس «فضل الله أبو منصور» عضواً

الرئيس «حسين الحكيم» عضواً ومقرراً

مادة ثانية – يعتبر قادة الألوية وأمار صفوف الأسلحة أعضاء إضافيين يدعون حين الحاجة.

مادة ثالثة – يدعى المجلس الحربي للاجتماع بدعوة من رئيسه كلما اقتضت الحاجة أو بناء على طلب ثلاثة من أعضائه.

مادة رابعة – يتولى هذا المجلس دراسة وإقرار جميع القضايا والأمور التي تتعلق بسلامة البلاد والنظام الجمهوري وسلامة الجيش وتنظيمه.

مادة خامسة - تتخذ المقرّرات بالأكثرية وإذا تساوت الأصوات ترجح الجهة التي يكون الرئيس بجانبها.

مادة سادسة - يمارس المجلس عمله اعتباراً من تاريخ صدور هذا القرار ولا يحلُّ إلا بقرار الأعضاء الأصليين، يتخذ بالأكثرية.

دمشق في /١٩/ ١٢/ ١٩٤٩/

العقيد «عزيز عبد الكريم»

توقيعه

العقيد «أديب الشيشكلي»

توقيعه

العقيد «فوزي سلو»

توقيعه

العقيد «شوكت شقير»

توقيعه

العقيد «توفيق نظام الدين»

توقيعه

العقيد «محمود بنيان»

توقيعه

العقيد «أمين أبو عسّاف»

توقيعه

المقدم «علاء الدين ستايس»

توقيعه

الرئيس «فضل الله أبو منصور

توقيعه

الرئيس «حسين الحكيم»

توقيعه

ومن قيادة الشرطة كتبنا البلاغ الآتي نصه وأذيع بتوقيع العقيد «أديب الشيشكلي» إلى الشعب السوري الأبي:

ثبت للجيش أن رئيس الأركان العامة اللواء «سامي الحناوي» وعديله السيد «أسعد

طلس» وبعض ممتهني السياسة في البلاد يتآمرون على سلامة الجيش وكيان البلاد ونظامها الجمهوري مع بعض الجهات الأجنبية. وإن ضباط الجيش يعلمون هذا الأمر منذ بدايته، وقد حاولوا بشتى الطرق بالإقناع تارة وبالتهديد الضمني تارة أخرى أن يحولوا دون إتمام المؤامرة وأن يقنعوا المتآمرين بالرجوع عن غيهم فلم يفلحوا.

فاضطر الجيش حرصاً على سلامته وسلامة البلاد وحفاظاً على نظامها الجمهوري أن يقضي على هؤلاء المتآمرين. وليست للجيش أية غاية أخرى. وإنه ليعلن أن يترك أمر البلاد في أيدي رجالها الشرعيين ولا يتدخل إطلاقاً في القضايا السياسية اللهم إذا كانت سلامة البلاد وكيانها يستدعيان ذلك.

دمشق في /١٩/ كانون الأول /١٩٤٩/

العقيد «أديب الشيشكلي»

وأتخذ القرار التالي:

إن اللواء «سامي حناوي» والعقيد «علم الدين قواص» والمقدمون «خالد جادا» و «محمد معروف» و «محمود الرفاعي» و «عصام مريود» سيحالون للمحاكمة لاتصالهم بدولة أجنبية وقبضهم المال منها.

رغم التحفظات التي جاءت في المادتين الثالثة والسادسة حتى لا يتعرض هذا المجلس لمخالفات ما سبقه خصوصاً مجلس «حسني الزعيم» لكي يكون القرار بيد المجلس وليس بيد فرد أو أفراد قلائل منه.

لم يتقيد المسؤول بها وأصاب هذا المجلس ما أصاب غيره بعد مدة. لكي يتصرف الطامع في الحكم على هواه، وإن اختلف منهاج الوصول إلى الحكم الدكتاتوري.

تعيين وفد من الجيش لمقابلة رئيس الدولة

وما أن أنهينا الترتيبات والأمور الإدارية الخاصة بالتعيينات حتى فوضنا رئيس

الحركة العقيد «أديب» وعضو المجلس الحربي العقيد «عزيز» بالذهاب إلى رئيس الدول
كان لا يزال رئيس الحكومة أيضاً لإطلاعه على أسباب هذه الحركة. كان استقبال
عاصفاً. قال: إنه لا يقبل بهذه الفوضى. يجب أن يعود الجيش إلى ثكناته ويعنى
بشؤون التدريب والاستعداد لحماية الوطن ويبتعد عن السياسة. أجابه العقيد «أديب»
قمنا بحركتنا من أجل هذه الغاية. إن البادىء هو اللواء «سامي حناوي» لقد حاول منذ
أيام القضاء على ضباط الجيش الذين يرغبون المحافظة على الحكم الجمهوري
بتحريض من بعض رجال السياسة المسؤولين. ولو نجح «الحناوي» بخطته هل كان
عمله مشروعاً؟ لقد اقتصر عملنا على محيط الجيش بصورة مختصرة جداً ولم يشمل إلا
أمين عام وزارة الخارجية قريب الحناوي، الذي يصرف المال ويوجه، والذي أعيد إلى
الخدمة بعد أن كان مسرحاً لأسباب مسلكية.

تابع: العقيد «أديب» لا يطلب اشتراك الجيش في الحكم. إنما يطلب منكم ومن
رئيس الجمعية التأسيسية أن تمنعوا رجال السياسة من الاتصال ببعض ضباط الجيش
لإغرائهم واستمالتهم، وأن يتركوا الجيش وشأنه.

إنما الهجوم جاء فيما بعد من المجلس التأسيسي ورئيسه وكبار حزب الشعب حيث
قرروا أن سجن «الحناوي» ومحاكمته غير مشروع ولم يوافقوا على تسريحه. وحالوا
دون تشكيل حكومة إلا بإرادتهم وبقيت الأزمة الوزارية.

منذ انتخابه رئيساً للدولة كلف الرئيس «الأتاسي» على التوالي السادة «ناظم القدسي»
و «فارس الخوري» و «خالد العظم» ثم «ناظم القدسي» حيث شكل وزارة في ٢٤/
١٢/١٩٤٩/ رغم الاعتراض على تشكيلها من قبل المعارضة. طلب منها رئيس الدولة
أن تستقيل لكي يتجنب حل المجلس وهدد بالاستقالة، لذلك استقالت الوزارة في اليوم
التالي أي في ٢٥/١٢/١٩٤٩/ وبعدها شكل الوزارة السيد «خالد العظم» استمرت
حوالي ستة أشهر.

بيان من الجيش

يوضح فيه للشعب أسباب الأحداث الثلاثة

إلى الشعب السوري الكريم:

إن الأحداث الثلاثة التي وقعت في البلاد والتي قام بها الجيش لهي انتفاضة الحيوية في صفوف الأمة ونتيجة طبيعية للسياسة التي تبناها مسؤولون في فترة دقيقة من تاريخ الوطن.

إن الأركان العامة للجيش تحرص أن يطلع الشعب الكريم على تفاصيل الأمور ليتمكن كل مخلص من كمِّ أفواه المرجفين ومساندة الجيش في مسعاه لإقصاء العناصر الفاسدة وبث روح التقدمية في صفوف الأمة صوناً لانطلاق الجوهر العربي في أجواء حرة تغمرها العزة والكرامة.

لقد استهدف انقلاب الثلاثين من آذار هذه المبادىء غير أن القائمين على الأمور قد استغلوها لأغراض شخصية، فخرج الانقلاب عن هدفه الأساسي. وكان الانقلاب الثاني نتيجة طبيعية لتقويم هذا الاعوجاج.

وظنَّ الضباط الذين ساهموا مع اللواء «سامي الحناوي» وتبنوه رمزاً لحركتهم أنه سيصلح ما أفسده الحكم السابق، وأن مجرى الأمور سيؤدي إلى إعادة الحياة الدستورية والنظام الجمهوري الذي يوافق رغبات الشعب والفكرة التقدمية في العالم. غير أنه تبين لسوء الحظ أن اللواء «سامي الحناوي» لم يكن غير أداةٍ طيعة تسيرها أهواء مغرضة تستهدف القضاء على استقلال البلاد. فقد بدأ اللواء «سامي الحناوي» فور تسلّمه مركز رئاسة الأركان العامة بمفاوضة كبار ضباط الجيش بطريقة مباشرة وغير مباشرة للموافقة على إعلان اتحاد يطيح باستقلال سوريا ونظامها الجمهوري مبيناً أن القيام بهذا العمل يجب أن يكون بصورة فجائيه يجعل حسب زعمه الرأى العام العالمي والسوري أمام الواقع. وكان يؤكد في أحاديثه أنه متفق على هذه الخطة مع بعض كبار رجال السياسة

الذين يرون رأيه في وجوب الإسراع بهذا الأمر عن طريق الجيش منعاً للمشاحنات البرلمانية والحكومية ونقمة الشعب التي قد تحدث فيما إذا عرض الأمر بصورة طبيعية على أعضائها.

ولقد لفت كبار الضباط أنظار اللواء «سامي الحناوي» مراراً وتكراراً بعد أن تكشفت النوايا إلى الويلات التي يجرها على البلاد السورية خاصة والعربية عامة هذا الاتجاه الخطر الذي سيؤدي إلى انشقاق مريع في صفوف العرب وفقدان استقلال البلاد السورية. كما أنهم لفتوا أنظار بعض رجال السياسة إلى ذلك غير أن كل هذه المساعي باءت بالفشل.

وبعد اجتماع الجمعية التأسيسية بدأ ضباط الجيش المقربون بحكم وظيفتهم إلى اللواء «سامي» يشعرون بالتوجيه الذي يقوم به هو وعديله «أسعد طلس» باسم الجيش وكذلك بعض القادة السياسيين لقسم من النواب لحملهم على تحقيق أغراضهم. وفي الأيام التي سبقت إقصاء اللواء «سامي» نُقِلَ إلى بعض الضباط من مصادر موثوقة أن بعض رجال السياسة اشترطوا على اللواء «سامي الحناوي» اعتقال عدد من كبار الضابط حتى يتسنّى لهم حمل الجمعية التأسيسية ولو بالقوة إذا اقتضى الأمر على إقرار المشروع الاستعماري فوراً.

وبعد نقل هذا الخبر بأقل من ثلاثة أيام مساء الجمعة في /١٩٤٩/١٢/١٦/ استدعى اللواء «سامي» ليلاً إلى منزله خمسة من كبار الضباط بعد أن هيأ الوسائل اللازمة لاعتقالهم ولكن عندما علم أن سرّ الاعتقال قد ذاع بين أوساط الجيش واتُخذت التدابير المعاكسة له تراجع عن تنفيذه ولكنه في اليوم التالي أمر بإجراء بعض التنقلات في قيادات القطعات. وفي صباح الاثنين الواقع في /١٩٤٩/١٢/١٩/ أمر اللواء «الحناوي» كتيبة المدرعات الأولى المرابطة بجوار دمشق القيام بسد منافذ المدينة منعاً لدخول قطعات عسكرية من الخارج حتى يتمكن من إجراء الاعتقالات التي قررها. ولكن ضباط هذه الكتيبة عندما ظهرت لهم نية اللواء «سامي» عملوا فوراً على إقصائه عن القيادة.

وقد ذهب وفد من كبار ضباط الجيش إلى منزل فخامة رئيس الدولة وعرضوا عليه أسباب التدابير التي اتخذت وصرحوا له بصورة قاطعة أنهم لم يتدخلوا بأي عمل

سياسي، وأن كلّ رغبتهم هي أن يضطلع المجلس التأسيسي بمسؤوليته دون ضغط أو إكراه.

أيها الشعب الكريم: إن الجيش السوري بضباطه وجنوده عربي قومي ينشد تحقيق الوحدة العربية الصحيحة بأجلى معانيها وإن الجيش يرى في المشروع الاستعماري مؤامرة يقصد منه القضاء على استقلال سوريا وتحطيم جيشها وإنشاء عرش جديد يبعد تحقيق الوحدة المنشودة.

إن الجيش يرفض أن يكون أداة طيعة لتحقيق الأغراض الاستعمارية لأنه من أبناء الشعب يتحسس بشعوره وعليه تقع مسؤولية الدفاع عن استقلال البلاد وحفظ كيانها وسيادتها.

كان بود الجيش بعد إقصاء اللواء «سامي الحناوي» ألا يذيع أي بيان على الرأي العام سوى أن الدعايات المغرضة التي قام بها المتآمرون مع الأجنبي دعته لإطلاع الجمهور على بعض خفايا الأمور.

تأملات

تألمت كثيراً لاضطراري توقيف اللواء «حناوي» عند حدّه مع زمرته. فكرت كثيراً وقلت لنفسي كيف يكون حكم الناس علينا. رفاق الأمس على أصعب وأخطر مهمة يختلفان اليوم، لكن حق الوطن علينا والمحافظة على استقلاله أغلى من أقرباء الإنسان وأصدقائه ورفاقه.

عند الاتفاق مع اللواء «حناوي» نزل عند رغبتي بتسليم الحكم للمدنيين وفوضني بتنفيذ خطة إنهاء حكم «حسني الزعيم» - وهو الذي وعد بالتنازل أو الاستقالة إذا شئنا. ألم يقسم أن هدف الانقلاب هو تخليص الوطن قبل أن يقع بيد الاستعمار ثانية عن يد «الزعيم» الذي رغب أن تكون حتى حمايته الخاصة بيد الأجانب وليس بيد أبناء وطنه. بيد الفرنسيين أو اليوغوسلاف. لماذا سحب ثقته من الشراكس؟ كما سحبها من كلّ أبناء الوطن.

ألم يقسم اللواء «الحناوي» أن أي أمر أعترضُ عليه لا ينفذه!. مرة واحدة فقط نفّذ وعده. عندما رغبَ أعوانه وبرضائه تشكيل وزارة عسكرية يبحثون الأمر وهو صامت. عندما ضايقني إلحاحهم لجأتُ إليه وطلبت منه تنفيذ وعده. وأنا لا أرغب إستلام الحكم من قبل العسكريين ولا تشكيل وزارة عسكرية - أوقف النقاش وأنهى الموضوع. بعدها اتخذ موقفاً آخر أو أجبروه عليه وهو عندما يناقش المجلس موضوعاً لا أوافقُ عليه يتغيب عمداً كما فعل مراراً. يوم الانقلاب حضّر طائرة تنقله إلى بغداد مع أتباعه بدون علمي في حال فشل الانقلاب.

ألم يوقع مرسوم تعييني رئيساً للأمن العام وآمراً للشرطة المدنية ولما يمضِ نهار واحد على إنهاء حكم المشير «حسني» مع قناعته بأني لن أتخلّى عن المدرّعات من أجل مصلحة الوطن.

لقد راجعته كثيراً شاكياً تصرفات أتباعه البعيدة عن المنطق. أثناء اجتماعات المجلس، هو لا يناقش بل أعوانه وبتأييده.

كم طلبت منه السعي لإبعاد الجيش عن السياسة باعتباري منفّذ خطة الانقلاب معه والعضو المقرّب منه. كم طلبت إليه أن يمنع تدخل السياسيين مع الضباط وإفساد ضمائرهم. ويجب أن يكون لكل ضباط الجيش وليس لفئة منهم!.

عمل اللواء «حناوي» بمشورة المحيطين به على نقلي أثناء غيابي! ألا يمكنه الانتظار حتى أعود. ولما عدتُ فجأة عندما أخبرني آمر الكتيبة وآمر اللواء قبل انتهاء مأذونيتي. طلب من نائبه أن يصرَّ على التحاقي مبرراً أسباب النقل لأمور تافهة وغير مقنعة. أنا متأكد وغيري كذلك أنه لا توجد قيادة في الوقت الراهن أفضل وأهم من قيادة فوج المدرعات الأول الذي يسيطر على الوضع ويمنع المخالفات غير المشروعة ويحافظ على استقلال الوطن وأمنه.

كان من المقرر نقلي من مركز القوة وتسليم قيادة الفوج لأتباعه ثم التحكم بمصير الوطن. استنفار الفوج من قبل الآمر الجديد ما هو هدفه؟ ما هي المهمة التي كانت ستنفذ أهي لصالح الوطن؟! أم ضده!. لم يكن لدي خيار بتوقيف «سامي حناوي» - اعتبرت أن عدم توقيفه والوقوف بوجه أهدافه مع رجال السياسة المنحرفين خيانة بحق

وطن. هذا مع العلم أنه لا يمكن الحكم على النجاح كلياً ويبقى الخطر الشخصي اردأ مئة بالمئة ولكن خدمة الوطن واجب لا يعادله شيء حتى الاستشهاد في سبيله - سنبقى حُرَّاساً للوطن.

وفد عسكري يزور المملكة العربية السعودية

استقرت الأحوال مؤقتاً. تلقت قيادة الجيش دعوتين لزيارة كل من المملكة العربية سعودية وإيران. العقيد «أديب» وإن كان معاوناً لرئيس الأركان ولكنه يتصرف كما يشاء - سألني إذا كنت أرغبُ الذهاب بهذه الزيارات؟. أجبت: أتوق بكل سرور حتى أروِّحَ ن نفسي قليلاً. قال: لا يمكن أن تذهب إلى السعودية لأني ذاهب إليها. ولكنك ستكون حتماً مع الوفد الذي يذهب إلى إيران ويتجولون فيها.

أما مناسبة الدعوة لزيارة السعودية لا أعلم كيف تمَّ ذلك. إذ لا يوجد في السعودية نهضة عسكرية للإطلاع عليها ولا صناعة ولا تدريب.

تشكل الوفد لزيارة السعودية من العقيد «أديب الشيشكلي» رئيساً وعضوية العقداء «شوكت شقير» و «عزيز عبد الكريم». بعد انتهاء الزيارة قدموا لهم بعض الهدايا لكلٍّ منهم «صرّة» تحوي على عباءة ثمينة مقصبّة. سيف مذهب ثمين، كيس من الليرات الإنكليزيه الذهبية - كيس رئيس الوفد يحتوي على ثلاثمائة ليرة ذهبية وقدموا لكل عضو مائتي ليرة ذهبية وساعة ثمينة. ولما اعترض أحد أعضاء الوفد وهو العقيد «شقير» على هذه الهدية. قالوا إنها عادة المملكة وهي بدل الأوسمة التي تقدّم بهذه المناسبات.

مقابلة مع الاستاذ «عارف النكدي»

في أوائل شباط / ١٩٥٠/ بعد انتهاء أحد الاجتماعات الرسمية، اعتذرت عن متابعة الحديث الخاص لأن لي موعد مع الأستاذ «عارف النكدي» نائب رئيس المجمع العلمي جاء إلى دمشق من أجل حضور الاجتماعات الدورية.

قال العقيد «أديب»: بالمناسبة أرغب التعرف على الاستاذ «النكدي» ومقابلته لبحث

بعض المواضيع معه وأخذ رأيه فيها. يا حبذا لو حضر إذا أمكنه ذلك بلّغه ذلك عن لساني.

أخبرت «النكدي» عن رغبة العقيد «أديب» وكان ينزل في فندق قصر الزعفران. أجاب إذا كان يرغب مقابلتي ليعين المكان والزمان رسمياً أذهبُ بكل طيبة خاطر. ولست مستعداً للحضور بدون موعد محدد وأضرب على الأبواب لطلب مقابلة. بلّغتُ العقيد «أديب» رأي «النكدي» وأنه مستعدٌ لتلبية الطلب بناءٍ على موعد. لم يعين الوقت ولم يقابل النكدي مطلقاً!.

قال الأستاذ «النكدي» موجهاً كلامه إليَّ: إن الوحدة العربية هي أمنية كل عربي مخلص لوطن. لماذا يقاوم فريق من العقداء هذا الاتجاه؟ أجبتُ: الوحدة العربية الحقيقية يجب أن تكون بين الأقطار العربية بواسطة حكومات وطنية تقدمية تمثل مواطنيها ولا تخضع للاستعمار. العراق يخضع للنفوذ البريطاني بموجب معاهدة تكبّل حريته. وحكامه من الوصي إلى «نوري السعيد» وكثير من السياسيين المسيطرين في العراق يخدمون أهداف الاستعمار، أكثر من الإنكليز أنفسهم وينفذون رغباتهم. إن هدف الوحدة عند حكام العراق هو تأمين عرش إلى الأمير «عبد الإلٰه» في سوريا وهذا ما تسعى إليه بريطانيا.

هناك معاهدة لفرض ارتباطات على العراق وسوريا المستقلة حديثاً بدون قيود ومعاهدات. لا نوافق على تسليمها إلى الاستعمار بعد كفاح مرير خاضته بكلِّ فئاتها حتى تخلّصت منه.

وكثير من الأموال وزّعت وتوزّع على العديد من ذوي النفوس الضعيفة، والعملاء لشراء الضمائر. الذي يبيع وطنه بالمال لا يؤمّن على مصيره. وهذا ما يعارضه العقداء الشرفاء. ثمّ إن الوحدة العربية لا تتحقق بشراء الضمائر. نحن نريد وحدة مبنية على الثقة المتبادلة والمنفعة العامة وليس لمنفعة شخصيّة. وحدة شعبيّة لا سيطرة عليها لسياسيين مأجورين ولا يكون الاستقلال ثمناً لها. أجاب «النكدي»: أنتم أدرى بشؤونكم.

زيارة وفد عسكري لإيران

خلال شهر آذار / ١٩٥٠/ تشكّل الوفد العسكري لزيارة إيران مع برنامج جولة واسعة، كان اسمي بين المعيّنين. طلبني العقيد «أديب الشيشكلي» وقال: أنا على رأس الوفد وعندما أكون غائباً لا يمكن أن تغيب لا أكون مطمئناً والعواقب غير مضمونة. يجب ألاّ نغيب نحن الاثنين معاً - في المستقبل سأعينك في وفد لا أكون رئيسه أو من تعداده. مضى عهد «الشيشكلي» ولم ينفذ وعده!. ولم أزر أي بلد خارج سوريا رغم أنه استغنى عن مساعدتي له وكنتُ في منطقة نائية فيما بعد.

استلامي قيادة اللواء الأول والمعسكرات

في / ٢٠/ ١٢/ ١٩٤٩/ استلمت قيادة اللواء الأول مع المعسكرات وفي بداية العام / ١٩٥٠/ انصرفتُ للإشراف على تدريب اللواء الأول والتعرف على آمري الأفواج والضباط في العمل ومعرفتهم شخصياً وإمكانيات كلٍّ منهم. فيما يلي أسجلُ يومين كمثال على العمل الذي كنت أقوم به!.

الأربعاء / ٢٩/ ٣/ ١٩٥٠/

- دراسة وتنظيم مباريات بين قطعات اللواء نهار الأربعاء بعد الظهر من كلِّ أسبوع.

- طلب ترشيح جنود لإتباع دورة سواقة سيارات في اللواء.

- الاتفاق مع شركات النقل الخاصة في دمشق على نقل الجنود وتحديد الأجور بين دمشق والمعسكرات.

- طلبت من مصلحة الهندسة تحضير دراسة إنشاء خط حديدي خاص يربط بين دمشق والمعسكرات في قطنا بدلاً من استخدام سيارات النقل العسكرية لنقل العسكريين من دمشق وجوارها إلى المعسكرات والعودة - دراسة الناحية الاقتصادية لكلا الواسطتين وإبداء الرأي.

بعد انتهاء الدراسة عرضناها على القيادة وتبنّت وجهة نظرنا وتقرر تمديد خط حديدي يربط بين محطة القدم في دمشق ومعسكرات قطنا وتم تنفيذه. وكان مشروعاً اقتصادياً ناجحاً وفّر الكثير من إتلاف السيارات وصرف البنزين.

الخميس / ٣٠/ ٣/ ١٩٥٠/

- الموافقة على إقامة حفلة ترفيهية من قبل فرقة موسيقية خاصة بعد دوام مساء الخميس البدل خمسون قرشاً.

- وضع برنامج للمحاضرات ضمن اللواء.

- ملاحظات آمر اللواء على أثر زياراته للأفواج في التدريب.

- يجب إشتراك أكبر عدد ممكن في التدريب وضرورة وجود لائحة عددية للمشتركين في التدريب وأسباب غياب الباقين.

- تحضير تدريب الأفواج من أجل المناورات بدءاً من قتال الحضيرة ثم الفئة فالسرية.

- يجب أن يكون الاعتماد على التدريب العملي للمجندين هو الأساس ثم النظري.

زيارات وفود الجبل ودعوة الأستاذ «طرودي عامر»

بعد نجاح حركة / ١٩/ كانون أول وتوقيف اللواء «سامي حناوي» زارت العقيد «أديب الشيشكلي» وفود عديدة من الجبل بعضها قدّمَ لي التهنئة أولاً وطلب مقابلة رئيس الحركة. إذ كان لي مكتب مؤقت في الأركان.

كانت الزيارة الأولى من قبل الأستاذ «طرودي عامر» زعيم العائلة وقائمقام قضاء شهبا. وقد هنأ العقيد «أديب» على نجاح الحركة ومما قاله إني أعتبر نفسي ثالثاً لكما، رفيقي وصديقي العقيد «أمين» ممثلاً لي وكل عمل يوافق عليه أوافقُ عليه بدون تحفظ.

ثم قدّم له دعوة لتناول طعام الغداء في شهبا وألحَّ على سرعة تلبيتها. وأمّت وفود أخرى منها وفد آل «القلعاني» ومن السويداء عدة وفود وغيرها. كما زاره وفد كبير من عائلة «أبو عسّاف» برئاسة كبيرهم السيّد «داود أبو عسّاف» وبعد تقديم التهاني دعاهُ رئيس الوفد لزيارة الجبل وتناول الطعام في قرية «مولغا» وفوّضه بدعوة من يشاء من قادة الجيش. وعد بتلبية الدعوة عندما تسمح الظروف.

الاثنين /١٧/٤/١٩٥٠/

توجه العقيد «أديب الشيشكلي» وكان يرافقه كل من العقداء: «سعيد حبي» و «محمود بنيان» و «أمين أبو عساف» والمقدم «محمود شوكت» والرؤساء «خطار حمزة» و «فضل الله أبو منصور» لزيارة الأستاذ «طرودي عامر» في شهبا تلبية لدعوته. وقد استقبلنا في بيته الخاص وليس في المكان الكبير المخصص للضيافة. أمضينا نهاراً ممتعاً بزيارته وقدم قبل الطعام وأثناءه أنواعاً من المشروبات لأنه يعرفُ عادة ضيفه واختصر الدعوة حتى يأخذ العقيد «أديب» حريته وراحته في المشروب بناء على طلب العقيد!.

ألقى العقيد «الشيشكلي» كلمة جواباً على خطاب السيد «طرودي عامر» الذي رحّب برسل الجيش السوري. قال فيها: لقد كان الجبل ولا يزال الحصن المنيع لسوريا. وإن الوطن السوري خاصة والعربي عامة لفخور بهذه البقعة العزيزة التي كانت ولا تزال منبتاً للرجولة وعريناً للجهاد وكلّ ما نشكوه من أبناء الجبل شدة حماسهم لهذا الوطن.

وودّعوا مثلما استقبلوا بالحفاوة والتكريم.

اعتراض الأمير «حسن الأطرش» على زيارة شهبا

الخميس /٢٠/٤/١٩٥٠/ دعا المقدم «موفق القدسي» قائد موقع السويداء العقيد «أديب الشيشكلي» إلى جلسة في دمّر مساءً لينقل إليه رسالة من الأمير «حسن الأطرش». أجابه: أقبل الدعوة على شرط أن يحضرها العقيد «أمين». دعاني المقدم وبيّن رغبة العقيد «أديب» لبينا الدعوة. أثناءها تكلّم المقدم «قدسي» موجهاً الكلام إلى العقيد «أديب»:

ينتقد الأمير «حسن الأطرش» ويحتج على قيامك بأول زيارة إلى الجبل إلى منزل الأستاذ «طرودي عامر» يجب أن تكون الزيارة الأولى حسب العُرف والتقاليد إلى آل الأطرش وهذا ما هو متعارف عليه من قديم الزمان. العقيد «أمين» لم ينبهك إلى هذه العادة المتبعة ربما سهواً. وهو يعتبر هذا الخطأ جرى عن غير قصد وحسن نية ويرجوكم تصحيحه في المستقبل وزيارته.

طلب مني العقيد «أديب» أن أعطي الجواب على تساؤلات المقدم «موفق». أجبت: حسب العادات والتقاليد الأسرة «الطرشانية» لها المقام الأول في العُرف العشائري. ولكن أبناء الجبل جميعهم يمكنهم دعوة من يشاؤون وفي أي وقت إلى بيوتهم. ولا يحقّ لأحد أن يعترض عليهم.

الأستاذ «طرودي عامر» زارك ودعاك. وهو من العائلة الثانية في الجبل. مع العلم أن الزيارة خاصة وليست رسمية.

الأمير «حسن» لم يزرك ولم يدعُكَ مباشرة ولا يحقُّ له الاعتراض. عندما يدعوك تستعمل حريتك لتلبية الدعوة أو رفضها.

قال العقيد «أديب» هذا هو الجواب بلغه إلى الأمير «حسن الأطرش» وانتهى الموضوع.

تثبيت خدماتي قانونياً بسبب فقدان إضبارتي الشخصية عند الفرنسيين

عام / ١٩٤٥/ عند تسليم مصنفات قطعات الشرق الخاصة ومنها الإضبارات الشخصية ودفاتر الكنية من قبل الفرنسيين. لم يسلموا الإضبارة الشخصية ودفتر الكنية للملازم الأول «أمين أبو عساف» وادعوا أنها مفقودة.

ولما كنت في الخدمة وكلّ المسؤولين يعرفون ذلك طلب إليّ تقديم إخراج قيد صادر عن دائرة الأحوال المدنية وتقرير يبين الأوضاع والخدمات المختلفة منذ دخولي الخدمة لفتح دفتر كنية جديد. قدمت الوثائق المطلوبة مع التواريخ والقطعات والأماكن

التي خدمت بها مع وضعي العائلي والأوسمة التي منحتها.

خلال عام /١٩٤٩/ أطلعتني رئاسة الأركان على الإضبارة التي وضعت بدلاً من الإضبارة المفقودة وعليها عنوان بالحبر الأحمر (وفق تصريحه) نظراً لضياع دفتر الكنية السابق أثناء حوادث /١٩٤٥/ وضعت مثل هذه الملاحظة أيضاً على الأوسمة التي حصلت عليها.

طلبت من القيادة أن تحذف فقرة (وفق تصريحه) وتتأكد من صحة المعلومات التي قدمتها من رؤسائي ورفاقي وتتبنّى هذه المعلومات على أنها الحقيقة حسب الأصول. تلقيتُ كتاب رئاسة الأركان العامة رقم /٣١٤١/ س ض تاريخ /١٨/١٢/١٩٤٩/ يطلب بعض التصاريح لتسجيل هذه المستندات وتثبيت الخدمات ومنح الأوسمة.

وبناء على الكتاب المشار إليه تسلّمت الأركان خمسة تصاريح من الزعيم «رفعت خانكان» والعقيد «محمود بنيان» والمقدم «أحمد العظم» تثبت صحة المعلومات التي تقدمتُ بها.

إن عملية تسوية الوضع هذه استمرت أربع سنوات ونيف حتى تم تثبيتها.

لم يكتف الفرنسيون بعدم ترفيعي بل أخفوا عمداً إضبارتي الشخصية ودفتر الكنية. ومن الغريب أنها فقدت بمفردها من بين باقي إضبارات الضباط كافة!.

استقالة وزير الدفاع «أكرم الحوراني»

يوم الثلاثاء /٢٥/ ٤/ ١٩٥٠/ عقد اجتماع وزاري مساءً برئاسة رئيس الدولة السيد «هاشم الأتاسي» وقبل نهاية الاجتماع انسحب وزير الدفاع السيد «أكرم الحوراني» مقدماً استقالته.

أخبرني مع العقيد «أديب» الوزير «عبد الباقي نظام الدين» وهو موفد من قبل رئيس مجلس الوزراء، طلب إلينا التوسط مع السيد «الحوراني» ليسحب استقالته.

وبعد التفتيش عنه وجدناه في منزل السيد «عبد الحليم قدور» الساعة / ٢٤،٠٠/ .
وبعد البحث والمداولة شرح أسباب الاستقالة وهي تتلخص فيما يلي:

١ عدم انسجام بين الوزراء، كلّ يعمل لنفسه مما خلف جواً من الفوضى في الإدارة الداخلية والخارجية.

٢ عدم انسجام مع الجمعية التأسيسية ولذلك سوف لا يكون لها رأي بالدستور.
ولم يقنع بالعدول عن استقالته.

ذهبنا وإياه إلى منزل السيد «عبد الباقي نظام الدين» وطلبنا إليه مجتمعين العدول عن رأيه والتريث مؤقتاً فلم يقبل ولكن بإلحاح من زميله وعد بأن لا يعلن عن استقالته حتى مساء الخميس. وكان يقول: إذا شئتم أن تستمر الحكومة الحالية عليكم بإسناد وزارة الدفاع إلى أحد الوزراء. بقينا نتحاور بدون نتيجة حتى الساعة الثانية والنصف صباحاً.

يوم الخميس /٢٧/ ٤/ ١٩٥٠/ في الساعة الثانية صباحاً دعا رئيس مجلس الوزراء السيد «خالد العظم» العقداء «أديب الشيشكلي» و «عزيز عبد الكريم» و «توفيق نظام الدين» و «محمود بنيان» و «محمد ناصر» و «أمين أبو عساف» لمقابلته بحضور الوزير السيد «عبد الباقي نظام الدين».

استعرض الموقف السياسي ومن رأيه أن يعدل السيد «أكرم الحوراني» عن الاستقالة. وإنهم متفقون معه على عدم وجود الانسجام وإنهم إذا لم يجابوا إلى طلبهم من قبل حزب الشعب، وكانوا قد طلبوا إليه الاشتراك بالمسؤوليات مع الحكومة. وعند ورود الجواب بالنفي يمكن إسناد المسؤولية على الحزب المذكور. ولكن الآن إذا استقالت الحكومة بماذا نعلل الأسباب.

كان العقيد «أديب الشيشكلي» قد شرح الأسباب التي رواها السيد «أكرم الحوراني» وعدم قبوله العودة.

بناء على رغبة رئيس مجلس الوزراء ذهبنا جميعاً للتوسط مع الوزير المستقيل

بسحب استقالته فرفض أيضاً رفضاً باتاً. وأوضح الأسباب بالتفصيل وعن سعي حزب الشعب الخفية لعرقلة أعمال الحكومة وبعض الوزراء.

وقد كان مقرراً مساء هذا اليوم إقامة حفلة افتتاح نادي ضباط معسكرات قطنا برعاية وزير الدفاع السيد «أكرم الحوراني». أبى الحضور باعتباره مستقيلاً وقد جرت الحفلة برعاية مدير الدفاع الزعيم «فوزي سلو» وحضور رئيس الأركان الزعيم «أنور بنود» وباقي المدعوين.

يوم الخميس / ٤/ ٥/ ١٩٥٠/ الساعة العاشرة صباحاً. دُعيتُ من معسكرات قطنا للذهاب إلى دمشق وبحث الموقف. وقد عقد اجتماع في منزل السيد «أكرم الحوراني» حضره الوزراء «عبد الباقي نظام الدين» و «معروف الدواليبي» والعقداء كل من «أديب» و«عزيز» و «محمود» و «أمين» وبعد دراسة الموقف كُلِّفَ الأستاذ «معروف الدواليبي» بالاتصال بحزبه من أجل إعطاء القرار النهائي. هل يوافقون الاشتراك باسم الحزب للاتفاق على المواد المختلف عليها في الدستور. أفاد أن أعضاء الحزب بانتظاره وقد فُوِّضَ لبحث النقطتين الآتيتين:

١- استقالة الوزارة وإعادة تأليفها برئاسة «خالد العظم» من حزب الشعب والكتلة الوطنية.

٢- إسناد وزارة الدفاع والداخلية إلى الوزراء الحالين. وإبقاء الوضع كما هو عليه.

في الوقت المعين الساعة التاسعة مساءً حضر العقداء المشار إليهم والسيد «أكرم الحوراني» إلى منزل السيد «عبد الباقي نظام الدين». وبعد الاتصال هاتفياً بمكتب حزب الشعب حضر السادة «معروف الدواليبي» و «شاكر العاص» و «قاسم الهنيدي» وقالوا أنهم أرسلوا من قبل حزبهم للاتصال والاتفاق. وبما أن رئيس الحزب السيد «رشدي الكيخيا» والسيد «ناظم القدسي» لم يكونا في دمشق طلب إليهم إثبات ذلك ببيان رسمي صادر عن الحزب إذا كانوا فعلاً يمثلون الحزب ورئيسه. وإن تأخيرهم في إعطاء الجواب يعتبر تهرباً وإضاعة للوقت.

ثم ما معنى سفر قطبي الحزب إلى حلب في مثل هذه الأزمة؟

قال مندوبو حزب الشعب: إن فريقاً من الحزب قانع أن الجيش ليس له مطالب خاصة بين الفريقين.

بينما الفريق الثاني يزعم خلاف ذلك. وطلبوا مقابلة بين العقداء والمجلس التنفيذي للحزب لإجلاء الشكوك، وانتهى الاجتماع على أن يعقد غداً مساء /٥/ منه في منزل السيد «عبد الباقي نظام الدين».

وبعد ذلك تتخذ التدابير من أجل مظاهرة الحزب الوطني في حمص بمناسبة عيد الشهداء، يوم الجمعة /٥/٥/ ١٩٥١ في الساعة الواحدة والعشرين عقد اجتماع في بيت السيد «عبد الباقي نظام الدين» حضره العقداء / الشيشكلي /و/ عبد الكريم /و/ أبو عساف/ والسيد أكرم الحوراني لدارسة الموقف وكنّا بانتظار جواب أقطاب حزب الشعب. ولم يحضر أحد منهم رغم طلبهم للاجتماع. بعد إتصلنا هاتفياً بالأستاذ «معروف الدواليبي» الذي اتصل بدوره بالسيد «رشدي كيخيا» وطلب منه الحضور لدمشق نظراً لتطور الموقف وخطورته. فطلب التريث بعض الوقت. أجابه «الدواليبي» إن الحالة لا تتحمل وعليك الحضور فوراً لدراسة الموقف وإيجاد الحلول. وعده بإعطاء الجواب ولكن السيد «رشدي كيخيا» اتصل باليوم ذاته بالسيد «أحمد قنبر» وأشار عليه باتخاذ الحل الآتي:

تعديل الوزارة بإقالة الدكتور «سامي كبّارة» وإسناد وزارة الداخلية إلى حزب الشعب (شاكر العاص). ولم يتمكنوا من حضور الاجتماع المقرر.

لقد بحثنا الأمر وتقرر أن يتصل صباحاً السيد «عبد الباقي نظام الدين» مع دولة رئيس الوزراء لإعلامه عن اجتماعنا ومعرفة التطورات والطلب إليه وضع حدٍّ للوضع الحاضر. وذلك بتعديل الوزارة وأخذ مستندٍ رسمي من حزب الشعب بدعم وزرائه، وانتهى الاجتماع في الساعة الثانية صباحاً.

يوم الاثنين /٨/ ٥/ ١٩٥٠/ عقد المجلس الحربي جلسة عاجلة لدراسة الموقف وأقر الاتصال مع رئيس الجمعية التأسيسية ورئيس لجنة الدستور وممثلين عن الكتلة الجمهورية. جرى الاجتماع من الساعة السادسة حتى العاشرة مساءً حضره دولة السيد «رشدي كيخيا» والسادة «القدسي» و «الحوراني» و «نظام الدين» ومن العقداء

«الشيشكلي» و «عبد الكريم» و «أبو عساف» وبعد استعراض الموقف وافق أركان حزب الشعب على الاشتراك بالحكومة المقبلة باسم الحزب وذلك بإيجاد حكومة تحمي الجمعية التأسيسية وجمعية تؤيد الحكومة. وتأليف لجنة مشتركة من الفريقين مع المسؤولين في المجلس لدراسة مواد الدستور وتعديل بعض مواده المختلف عليها.

تبقى الحكومة الحالية حتى عودة رئيسها من مصر الذي غادر لحضور اجتماعات الجامعة العربية.

بقيت وزارة السيد «خالد العظم» حتى /٨/٦/١٩٥٠/ حيث شكل السيد «ناظم القدسي» وزارة اتفاق وطني.

الملازم «صلاح الشيشكلي» والتهريب

السبت /٢٢/٧/١٩٥٠/ أخبرني العقيد «محمود بنيان» أن الملازم «صلاح الشيشكلي» من قوى البادية يقوم بتهريب منظم بين الحدود التركية حيث له شركاء من ضباط حرس الحدود السوريين وعملاء أتراك عبر سورية على السيارات العسكرية ليوصلها إلى الحدود الأردنية ويسلمها إلى الأمير «نايف بن عبد الله» وهو معروف واختصاصي بالتهريب لأنه ابن الملك! . وقد أخبرت عنه أخاهُ العقيد «أديب» لعله يردعه ونتجنب الطرق القانونية فلم يفعل حتى الآن.

إن المواد المهربة كثيرة ومنها المخدرات. لقد نبهت الملازم «صلاح» كثيراً إلى عمله الخارج عن القانون. وهو يتهرّب من الحقيقة ويختلق أعذاراً واهية وينكر عمله كذباً.

إن قوى الأمن الداخلي ومكافحة التهريب لا يمكنها تفتيش سيارات الجيش ولا يمكن استمرار السكوت على هذه الأعمال الشاذة ومخالفة القانون. كثير من العسكريين والمدنيين يعرفون بها. هذه السفرات الطويلة المنظمة بسيارات عسكرية من الحدود التركية حتى الحدود الأردنية تُلفت الأنظار؟.

السائقون ومرافقو القافلة يعرفون أنها ليست بمهمة عسكرية، وكذلك قوى الأمن

ومكافحة التهريب الذين يراقبون وجود هذه السيارات غير القانوني في هذه الأماكن الحدودية في أوقات معينة.

الحل أن يمنعه العقيد «أديب» منعاً باتاً وإلاّ لبيتُ نداء الواجب؟. وأجريت تحقيقاً قانونياً وأحلته إلى القضاء العسكري. قضايا تهريب عديدة على الحدود التركية. أحيلت إلى القضاء العسكري وصدرت أحكام بحقّ مرتكبي هذه الجرائم، وطلب إليّ أن أرافقه لنعرض الوضع على العقيد.

بعد الظهر ذهبنا إلى مكتب العقيد «شيشكلي» في الأركان. أتفقنا أن أفتح الحديث. قلتُ: إن عمليات تهريب تجري بسيارات قوى البادية العسكرية بين الحدود التركية والحدود الأردنية. إن الذي يقوم بهذه العلمية هو الملازم «صلاح» وله شركاء على طرفي الحدود، ويسلم البضاعة المهربة إلى الأمير «نايف بن عبد الله» المشهور بالتهريب حتى عن طريق إسرائيل. قصدنا إعلامك حتى تتخذ تدابير تحول دون ذلك.

التفت إلى العقيد «محمود» وقال له: ياأخي يا «محمود» لماذا تريد بث الفرقة بين الأخوة. لقد أقسم «صلاح» بالطلاق أنه لا يقوم بالتهريب وأعلمتك عن ذلك. أجبته: يمين «صلاح» لا قيمة له وهو فوضوي ومعروف بازدرائه القوانين ومخالفاته الكثيرة. عمليات التهريب التي يقوم بها واضحة ومعروفة، وهو بمفرده لا يهمنا بشيء إنما نخشى عليك وعلى سمعتك من أن تلوكها الألسن ويفسر سكوتك على أنه موافقة وتشجيع ضمني بسبب شراكة معه.

قال العقيد «محمود» أنا متأكد مما أقول وليس لي غاية خاصة سوى الصالح العام. الملازم «صلاح» لا يسمع الكلام ولا يتقيد بالملاحظات ويستمر مرتكباً المخالفات. ولو كان غير أخيك كنت أحلته للمحاكمة. أجاب «الشيشكلي»: سأنظر في الأمر. ولم ينظر به.

أيام حكم أخيه كان «صلاح» شريكاً في ملهى السريانا الكبير في دمشق ولا أعلمُ إذا كان له فروع أخرى في لبنان. وكان ذلك الملهى الكبير معروفاً بسوء السمعة ويحوي جميع المحرمات.

اغتيال العقيد «ناصر»

السبت /٢٩/٧/١٩٥٠/ بعد اتصال هاتفي قابلني العقيد «محمد ناصر» وبعد تدارس الوضع أعلمني أن لائحة اغتيالات قد وضعت بتوجيه من العقيد «أديب» هذه اللائحة تضمُّ اسمي واسمك وكلّ من العقداء «شوكت شقير» و «عزيز عبد الكريم» و«محمود بنيان» واسمي (أي «محمد ناصر») على رأس اللائحة رقم واحد ولن يتأخر التنفيذ وأنت رقم إثنان.

فوجئت ولم أصدّق ما سمعت، قلتُ له: إنك تبالغ وكيف عرفت ذلك؟ ومن أخبرك به؟ أجاب: معلومات خاصة. كان يأتي بمعلومات دقيقة ونادرة تحقق بعضها. وعندما كنت أسأله عن مصدر هذه المعلومات لا يذكره.

الثلاثاء /١/٨/١٩٥٠/ في الساعة /٣٠ر٠٠/ دقيقة... صباحاً.

- اتصل بي العقيد «عزيز عبد الكريم» في منزلي بمعسكرات قطنا وقال:

إن العقيد «ناصر» أصيب بطلقات نارية وقد طلب أن يراك وهو في المستشفى الفرنسي.

السيارة أمام المنزل ولكن السائق ينتظر حتى الساعة /٠٠ر٢٣/ وينصرف.

ارتديت ملابسي بسرعة، أخبرت زوجتي سبب استدعائي. قالت: كيف تذهب منفرداً وبدون سائق؟ أجبتها: سأرى في مخفر مدخل المعسكرات إن وجدت سائقاً أخذته ومعي مسلحان لمرافقتي لا تخافي.

لم أجد سائقاً ولم آخذ مسلحين وسقت السيارة حتى المستشفى الفرنسي حيث يرقد العقيد «ناصر» فاقد الوعي نظر إليّ ولم يعرفني وبعد قليل فارق الحياة.

كان حاضراً العقداء «أديب» و «عزيز» و «محمود» و «شقير» و «نظام الدين».

أخبرني بعض هؤلاء الضباط الذي حضروا فور وصوله، قالوا: عندما وصل إلى المستشفى كان فاقداً للنطق. ولدى سؤاله من الذي فعل بك ذلك؟ أشار بإصبعه اثنان! أشار لإعطائه ورقة وقلم وكتب «إبراهيم الحسيني» واسم ضابط آخر. وهما رئيس الشعبة الثانية ومعاونه.

عندما أطلق النار على العقيد «ناصر» كانت دورية من الشرطة المدنية مؤلفة من الشرطي «يحيى جربوع» ورفيقه على دراجتين في شارع بيروت، وقد أعطاني الشرطي «يحيى» هذه التفاصيل فيما بعد. حيث قال:

سمعنا صوت عيارات نارية ذهبنا إلى مكانها وبوصولنا شاهدنا سيارتين عسكريتين وسيارة مدنية بجانب الخندق باتجاه دمشق وخمسة من العسكرين مترجلين في مكان ساحة الأمويين حالياً. إذ لم يكن البناء واصلاً إلى هذه النقطة في ذلك الحين.

سأل: رئيس الدورية ما هذا؟ ماذا يجري هنا؟ ولكي لا يمكّن الشرطة المدنية من التدخل أعلن قائدهم أنا المقدم «إبراهيم الحسيني» أطلقنا النار على جواسيس وصفيناهم وهذا لا يهمكم.

عادت دورية الشرطة المدنية إلى المركز فلم تجد رئيس الشرطة ذهبت إلى مكان وجوده في دمر وأعلمته بهذا الحادث وهو المقدم «هادي حمدي» وكان معه معاونه الملازم الأول «حنين لطفي».

عندما حضروا جميعاً إلى مكان الحادث لم يجدوا إلا السيارة المدنية في مكانها السائق قتيل وشخص آخر أنزلوه من السيارة منهك يتكلم بصعوبة وكلامه غير واضح تعرف عليه المقدم «هادي حمدي» قائلاً: هذا العقيد «ناصر» لمعرفة سابقة بينهما وصداقة تجمعهما.

طلب منه العقيد «محمد ناصر» الجريح أن ينقله إلى المستشفى الفرنسي فوراً وأن يخبر رفاقه ضباط المجلس العسكري. أوفد المقدم «حمدي» معاونه الملازم الأول «حنين لطفي» للاتصال بالضباط الذين طلبهم واستمع إلى العقيد «ناصر» الذي تمكن من إعلامه بما يلي:

بينما كنت مع صديقي من دير الزور السيد «عبد الوهاب عاروط» بسيارته التي يسوقها، نسير في نزهة على طريق بيروت تعرضت لنا سيارتان من الشعبة الثانية عدنا باتجاه دمشق لاحقونا وعندما رأوا أنهم سيفقدون أثرنا لأن سيارتنا أسرع. أطلقوا النار على السيارة وبصورة خاصة على السائق وأطر السيارة. أصبتُ أنا وقتل السائق وتوقفت السيارة بسبب انفجار إطاراتها على جانب الخندق - عندها ترجّل المقدم «إبراهيم حسيني» ومعاونه. . . ودخلا السيارة وأفرغا مسدسيهما في جسمي لم أعد آتي بحركة وتوهما موتي عندها تركاني على أساس أني فارقت الحياة. والحمد لله الذي أرسلك للاطلاع على هذه الوقائع لأنني سأفارق الحياة قريباً.

اتصل الملازم الأول «حنين لطفي» بالضباط الذين طلبهم وحضروا إلى المستشفى كما بينت وحضر أيضاً المقدم «حسيني» إلى المستشفى وقد تعمد الحضور لأنه ظنَّ أن العقيد «ناصر» قد فارق الحياة ليمشي في جنازته. وعندما علم أنه ذكر اسمه توارى عن الأنظار. لم يتمكن معاون مدير الشرطة من إعلامي لأنني أسكن في معسكرات قطنا وليس لي اسم أو رقم في دليل الهاتف.

المجلس الحربي يطالب بمحاكمة عادلة:

بعد إجراء المراسم وإرسال الجنازة إلى مسقط رأسه في محافظة اللاذقية وإرسال وفد لمرافقة الجثمان من رئاسة الأركان وسلاح الطيران.

عقد المجلس الحربي جلسة صاخبة مع التأكيد على أن هؤلاء الجناة يجب أن ينالوا جزاءهم، وهم من حلقة جذورها في الأركان. يجب الكشف عنها ولا نرضى إلا أن تأخذ العدالة مجراها لأنه ليس وحده على لائحة الاغتيال. وكنت واثقاً أن القضاء سيظهر الحقيقة وقبل أن يصل رأس الجناة إلى حبل المشنقة تُكتشف الحقيقة ولكن خاب الأمل!.

وافق العقيد «أديب» على كل التدابير المشددة التي ستتخذ ولكنه قال: إن المتهم بريء حتى يدان ولا يمكن أن نحكم عليهما من هنا، لربما ظهرت أشياء تستوجب القتل - ستشكل محكمة عسكرية وسيصدر الحكم العادل بعد التحقيق.

ومما جاء في هذه الجلسة: لا يمكن أن نسمح إلى بعض الضباط بتصفية رؤسائهم

بناء على رغبة بعضهم، كنا نعمل والثقة أساس عملنا لا شيء يستوجب القتل بدون محاكمة. هدفنا دائماً السهر على سلامة الوطن واستقلاله.

فإذا كان أحدنا لا يأمن رفيق السلاح من اغتياله فكيف يكون حال الجيش والوطن؟.

وأخيراً تمّ الاتفاق على ترك الموضوع للقضاء العادل وكان الاجتماع قبل الأخير للمجلس الحربي. استلمت السلطات المختصة التحقيق في الموضوع أوقف المقدم «إبراهيم الحسيني» ومعاونه وعند تفتيش بيت هذا الأخير وجِدَ على إحدى بدلاته نقط من الدم، أرسلت الى المخبر لمعرفة زمرة الدم إذا كان من زمرة دم العقيد «ناصر».

أطمأننّا إلى أن الحق سيأخذ مجراه ولكن خاب أملنا!.

شكلت المحكمة العسكرية للنظر في دعوى اغتيال العقيد «محمد ناصر» على الشكل التالي:

السيد «إسماعيل قولي»	رئيساً
المقدم «حسن غنام»	عضواً
المقدم «رشاد نظمي»	عضواً
المقدم «يحيى الرافعي»	نائباً للحق العام

وكان الرئيس «مظهر وصفي» قاضياً للتحقيق.

رغم كل هذه الأدلة وشهود الحادث، واعتراف القاتل لرجال الشرطة وهو معروف وإعطاء اسمه، وكتابة أسماء القتلة بيد المجني عليه، واعترافه إلى رئيس الشرطة الجنائية المدنية ثم إلى مجموعة من الضباط. لم أُستدعَ للتحقيق؟ ولم تؤخذ إفادتي!.

الأربعاء في ١٢/١٣/١٩٥٠/

حكمت المحكمة التي كانت تنظر في قضية اغتيال العقيد «محمد ناصر» ببراءة المقدم «إبراهيم الحسيني» ومعاونه لعدم توفّر الأدلة - واعتبرت كتابة القتيل قبل موته اسمي «إبراهيم الحسيني» ومعاونه جواباً على سؤال ضابط من أطلق عليك النار؟!. كتابة رجل مشوش العقل بسبب إصابته - وإن القاتل الحقيقي الذي قال للشرطة في مكان حدوث القتل إنه المقدم «إبراهيم الحسيني» - لم يكن «إبراهيم الحسيني» لكنه انتحل اسمه!!.

القرار أعطي بأكثرية الأصوات. وكان المخالف هو الرئيس.

صُعقتُ لهذا الحكم، إن الذين خططوا لهذه الجريمة هم أنفسهم الذين فرضوا هذا الحكم البعيد عن الحق، وهي سلطة رسمية تخطط لاغتيال الضباط بدون سبب إلا لإزاحتهم عن الطريق؟. - الذي يخون رفيقه يمكنه خيانة الوطن في سبيل مصلحته الخاصة حتى يخلو له الجو ويحكم على هواه. مسكين هذا الوطن جعلوه حقل تجارب لحكام يكرهونه من أجل مصلحتهم الخاصة!.

عندما اتفقنا على ترك الموضوع للقضاءِ العادل لم نكن نتصور أن بيننا من لا ضمير له لا يتقيد بالمواثيق، يحنث يمينه، يخون وطنه ولكن من لا أخلاق له ويطمع في الحكم الفردي لا يقف في طريقه أية محرمات أو ضمير، أو أخلاق.

على أثر اغتيال العقيد «محمد ناصر» سادت الفوضى في صفوف الجيش خصوصاً في نادي الضباط حيث يجتمعون من كلِّ قطعات الجيش ويتناقشون وتحدث خلافات ومشادات. قرر المجلس الحربي أن يعتمد على التدريب لإشغال الضباط بواجبهم العسكري.

في ١٩٥٠/٨/٥/ جرت مدرسة نار لسلاح المدفعية في الضمير حضرها رئيس الجمعية التأسيسية السيد «رشدي كيخيا» ورئيس مجلس الوزراء السيد «ناظم القدسي» ووزير الدفاع وبعض الوزراء وأعضاء لجنة الدفاع في الجمعية التأسيسية ورئيس الأركان وقادة الجيش.

تمّ الاتفاق مع رئيس مجلس الوزراء على ما يلي:

- يتعهد رئيس مجلس الوزراء بعدم إقدام الحكومة على إبرام معاهدات أو اتفاقات من شأنها التأثير على استقلال سوريا وأعطى وثيقة خطية لكل من ضباط المجلس الحربي. لم أعثر عليها (حيث إنها فقدت مع الأسف).

- مقابل ذلك صدر محضر جلسة السابع من آب / ١٩٥٠/ وقعه العقداء الذين يشكلون المجلس الحربي ويقضي:

بابتعاد الجيش عن السياسة والانصراف للتدريب والقيام بمناورات.. الخ.. اتخاذ الإجراءات اللازمة لسلامة التحقيق في قضية المرحوم العقيد «محمد ناصر» أقسم المجتمعون اليمين على تنفيذ المقررات التي اتخذت وقد نشر المحضر حرفياً في الملحق... اعتبرنا ذلك كافياً لوضع حدٍّ لتصرفات العقيد «الشيشكلي» في الشؤون السياسية والتكلم باسم المجلس الحربي باعتباره أقدم العقداء.

في /٩/٨/ ١٩٥٠/ أرسلَ فوج المشاة الأول بكامله مناورة إلى ميسلون استمرت أسبوعاً.

مناورة اللواء الأول في الكسوة

وفي /١٩/٨/ ١٩٥٠/

أرسل اللواء الأول بكامله مناورة إلى الكسوة، وخيم هناك مع غيره من القطعات: مدفعية - هندسة - وصحة، تنفيذاً لأوامر رئاسة الأركان استمرت المناورة حتى /٣١/ ٨/ ١٩٥٠/ ضمناً. وكنت مديراً للمناورة.

كانت القطعات تنفذ تمارين عملية قبل الظهر مع نقدِ الأخطاء واستخلاص الدروس المستفادة من هذه التمارين بعد الظهر.

الثلاثاء /٢٢/٨/ ١٩٥٠/ حضر السيد «شكيب وهاب» إلى مخفر مدخل المخيم وطلب مقابلتي، اتصل رئيس المخفر معي في المكتب ليحصل على الموافقة لم أكن موجوداً - اتصلوا معي إلى مكان التدريب أجبتُ أني مشغول ولا يمكنني استقباله.

عاد في اليوم التالي وبعد الاتصالات أعطيت نفس الجواب من مكان العمل أي أني مشغول ولم أستقبل أحداً طيلة أيام المناورة ولم أتغيب عن العمل مرة واحدة، ولا أعلمُ سبب المقابلة من السيد «شكيب وهاب».

الجمعة / ٢٥/٨/ ١٩٥٠/ اتصل العقيد «أديب» وقال لي: لم نعد نراك؟ لماذا هذا الغياب؟ أجبت إني في المناورة مع اللواء - العمل يأخذ كلّ وقتي ولا يمكنني أن أتغيب. قال: أنا محتاجك في مكتبي بالأركان الساعة الحادية عشر وبما أنه نهار جمعة لا يتعطل العمل.

ذهبتُ إليه في الوقت المعين وإذا به يفاجئني لماذا لم تقابل «شكيب وهاب» وقد أتاك مرتين؟ سألته كيف عرفت أنه أتى مرتين؟. قال: بعد سماع جوابك أخبرك كيف عرفت.

أجبت: أكون في عمل رسمي ولا يمكنني تركه، ولم أقابل أحداً منذ بَدْءِ المناورات. سأل: وهل تعلم سبب مجيئه؟ أجبتُ: كيف أعلم سبب مجيئه ولم أقابله؟.

قال العقيد «أديب» منذ مدة اكتشفنا مؤامرة خطط لها الدكتور «منير العجلاني» - والعقيد «بهيج كلاس» ورفاقهم ومنهم «شكيب وهاب».....

مساء الاثنين كنا على وشك إلقاء القبض على أفرادها. لكن «شكيب وهاب» قال في آخر جلسة: أنا أدبّر إنضمام العقيد «أمين أبو عساف». أجلناها يومين حتى نرى النتيجة وكان تحت المراقبة. وعندما رفضت مقابلته ألقينا عليهم القبض في اجتماع الأربعاء مساءً وهم الآن في السجن.

قلت له: الآن اقتنعتُ أنك بلا أمانة! - لو أني استقبلت «شكيب وهاب» كيف كنتم تعرفون تفاصيل حديثنا؟ كنتم ترغبون تثبيت اشتراكي في هذه المؤامرة التي تتابعونها منذ ثلاثة أشهر ولم يذكر اسمي، لو كانت نواياك طيبة لما انتظرت حتى يراني «شكيب وهاب» وأنتم تعرفون ما يريده مني. وكنتَ أخبرتني عن نية «شكيب وهاب» بمقابلتي!.

قال: ثقتي بك لا تتزعزع مهما جرى وستكون عضواً في المحكمة العسكرية التي ستنظر القضية.

كيف أكون عضواً في محكمة تنظر في قضية كان من المفروض أن أكون أحد منفذيها. لا يمكن أن أشترك في هذه المحكمة.

محاكمة المشتركين بمؤامرة العجلاني

بعد مدة طلبني رئيس الأركان الزعيم «أنور بنود» وقال: جرى تعيينك عضواً في المحكمة العسكرية، وهناك معلومات يجب الاطلاع عليها، ولا بدّ أن يكون الحكم قاسياً.

طلبت من رئيس الأركان أن يعفيني من هذه المهمة، وإنني لا يمكن أن أنفذ رغبة أحد بالنسبة للحكم.

بقيت في غرفة الانتظار وإذ بالنائب العام يأتي وبدأ يخبرني عن جرم كل منهم.

سألته: لماذا تخبرني به هنا بإمكانك بيان ذلك في المحكمة؟ أجاب: هذا ما تريده رئاسة الأركان - قلتُ: أنا لا أحكم إلا بما يوحيه ضميري وعلى ضوء الوقائع الصحيحة. منعتُه من الاسترسال قائلاً: أنا لستُ مستعداً لسماع أقوالك هنا، بل في المحكمة بصورة قانونية. وبلّغ رئاسة الأركان بذلك فإذا كانت تريد أن تملي الحكم ليعينوا غيري يلبّي طلباتهم.

ولم يقبلوا لي عذراً وعُينت عضواً في المحكمة العسكرية التي شكلت على النحو التالي:

الأستاذ «إسماعيل قولي»	رئيساً
العقيد «أمين أبو عسّاف»	عضواً
المقدم «حسن غنام»	عضواً

المقدم «يحي الرافعي» نائباً للحق العام

وكان الرئيس «مظهر وصفي» قاضياً للتحقيق.

أما الأشخاص المحالون على المحاكمة فهم: الدكتور «منير العجلاني» العقيد «بهيج كلاس» والمقدم «حسن الخير» والشيخ «علي أديب» والأستاذ «يوسف تقلا» والسيد «شكيب وهاب» والسيد «نور الدين قلم» والملازم «بهيج كلاس» والسيد «رشيد كلاس» والسيد «محيى الدين مراد».

وقد طُلِبَ سرعة البت بهذه القضية. أما الضباط الذين دخلوا من قبل الأركان لكشف المؤامرة وقد اتصلوا مع الملك «عبد الله» وقبضوا المال وتصرفوا به لم يحالوا للمحاكمة وهم: العقيد «سعيد حبي» رئيس الشعبة الثانية وأعوانه.

لأول مرة اشترك في المحكمة العسكرية. وكنت أسمع عن مقدرة الأستاذ «قولي» وتجرده ونزاهته، بينت له مخاوفي من الوقوع في خطأ لصالح الحق العام أو لصالح الأشخاص المتهمين، وليس لدي تجارب ولا أحمل شهادة الحقوق. أجاب: لا تخف عند سماع أقوال المتهمين وأقوال الشهود ومرافعة النيابة العامة والدفاع يكون لديك إلهام صحيح عن الموضوع، والحمد لله أنك تشعرُ بشعوري في الخوف من ميزان العدالة في هذه الدعوى لا كما جرى بدعوى العقيد «ناصر» وكان رئيساً للمحكمة أيضاً.

وبتاريخ /١٧و٢٣/ ١٩٥٠/ عقدت المحكمة جلساتها للنظر بقضية التآمر على سلامة الدولة، وتأجلت بسبب عطلة الأعياد.

عقدت جلسات نهار الثلاثاء والأربعاء والخميس في /٢و٣و٤/ من كانون ثانٍ / ١٩٥١/ تابعنا نهار السبت في /٦/ ١/ ١٩٥١/ الجلسة والاستماع إلى إفادات الشهود بقينا حتى الساعة الواحدة من صباح يوم الأحد /٧/ ١/ .

وبجلسة السبت / ٢٠/ كانون الثاني /١٩٥١/ لم يحضر الشاهد «حامد الشماط» أُجلت الجلسة بسبب مرض النائب العام وتحضير المرافعة.

أما جلسة /٢٣/ ١/ ١٩٥١/ فكانت لسماع مرافعة النائب العام.

جلسات / ٢٤و٢٥/ ١/ ١٩٥١/ مرافعة محامي الدفاع.

عندما دخل الضباط على حلقة الدكتور «منير العجلاني» عن طريق الأردن الذي أعلمهم عنها. وشاهد هؤلاء الضباط، شعر الدكتور «عجلاني» بالمكيدة، أراد أن يتملص منها فلم يمكنوه من ذلك وباعتباره محامياً لامعاً تركهم يوجهون ويتخذون القرارات كما يشاؤون، وقد نجح وتبرأ من المسؤولية.

وفي جلسة الأحد /٢٨/ كانون الثاني /١٩٥١/ جرت قراءة الحكم القاضي ببراءة:

الدكتور «منير العجلاني» والعقيد «بهيج كلاس» والشيخ «علي أديب» والأستاذ «يوسف تقلا» والمقدم «حسن الخير» والسادة «شكيب وهاب» و «نور الدين قلم» والحكم بسنتين ونصف سجن على الملازم «بهيج كلاس» وعلى كلٍّ من «رشيد كلاس» و«محيى الدين مراد» خمس سنوات سجن وخمساً منع إقامة.

صدر الحكم بأكثرية الأصوات ومخالفة العضو المقدم «حسن غنام» وخلافاً لطلب نائب الحق العام في مرافعته ولرأي قاضي التحقيق الذين عملوا بتوجيهات رئاسة الأركان.

وهكذا صدر الحكم منسجماً مع القانون ومخالفاً للتوجيهات الكيدية وشعرتُ براحة الضمير.

يوم الثلاثاء /٥/ ٩/ ١٩٥٠/ تم انتخاب السيد «هاشم الأتاسي» رئيساً للجمهورية.

ويوم الخميس /٧/ ٩/ ١٩٥٠/ جرى الإفراج عن اللواء «سامي حناوي» بمناسبة انتخابات الرئاسة.

لم يتمكن العسكريون من إحالة اللواء «سامي حناوي» إلى القضاء وبقي في السجن – وكانت الجمعية التأسيسية قد درست وضعه وأحيل على التقاعد براتب استثنائي. على أن لا يقيم في سوريا، وخرج إلى بيروت.

في آخر شهر تشرين أول جرى اغتياله من قبل المدعو «محمد حرشو البرازي» من حماه انتقاماً لتنفيذ حكم الإعدام بابن أخيه «محسن البرازي».

على أثر وصول معلومات عن اغتيال اللواء المتقاعد «سامي حناوي» عقد مجلس الدفاع جلسة لدراسة هذا الموضوع وطلب من الحكومة متابعة وتأمين محاكمة عادلة بحق الجاني في لبنان أو نقلها إلى سوريا وأن تكون بعيدة عن الوساطات والشفاعات.

وفي أواخر شهر كانون أول عام /١٩٥٠/ صدر الحكم في لبنان على «محمد حرشو البرازي» قاتل اللواء «سامي حناوي» بالسجن مدة /١٨/ سنة وبتعويض لعائلة القتيل قدره /٢٥٫٠٠٠/ خمسة وعشرون ألفاً ليرة لبنانية.

الاثنين /١١/٩/ ١٩٥٠/ بمناسبة انتخاب رئيس الجمهورية السوري جرى اجتماع عام لضباط وضباط صف المنطقة في مقر قيادة معسكرات قطنا أقسم فيها الضباط وصف الضباط يمين الولاء لرئيس الجمورية حسب القوانين السارية.

يوم الأحد /١/١٠/ ١٩٥٠/ ذهبتُ لاتباع دورة الضباط القادة، تستمر الدورة حتى تاريخ /٢٣/١٠/ ١٩٥٠/ ضمناً المدربون ضباط ألمان. وكنت مديراً للدورة في الوقت نفسه، أي مسؤولاً عن الانضباط وسير العمل باعتباري أقدم ضابط في الدورة، والمدربون أجانب ليس لهم حقُّ القيادة.

محاولة اغتيال العقيد «أديب الشيشكلي»

يوم الأربعاء /١١/١١/ ١٩٥٠/ بينما كان العقيد «أديب» وبرفقته الملازمون «حسين حدة» و «بكري زوبري» و «غالب شقفة» عائدين من سهرتهم في بلودان قبيل منتصف الليل في سيارة جيب عسكرية. أُطلق عليهم النار في كمين في منطقة الهامة ولم يصابوا بأذى - فّر رجال الكمين في سيارة أجرة كانت تنتظرهم على طريق دمشق - لاحقتهم سيارة الجيب ولم يتمكنوا من معرفة رقم السيارة إنما لاحظ سائق سيارة الجيب أن لوحة السيارة الهاربة مكسورة من إحدى جهاتها وقد أضاعوها واختفت نظراً لسرعتها في اليوم التالي مرّت الشرطة العسكرية على كّل مراكز سيارات الأجرة وقد تعرّف السائق المذكور على السيارة من لوحتها وعرفوا من استأجرها وألقوا القبض على الفاعلين وشركائهم

ولوحقوا قضائياً.

أثناء التحقيق تبين أن المتهمين ينتمون إلى منظمة تسمى كتائب الفداء في مصر لاغتيال بعض الشخصيات العربية والأجنبية.

وكانت قد اغتالت بعض الشخصيات المصرية ومنهم «أمين عثمان باشا» أمين عام حزب الوفد المصري.

الاثنين /١٢/ ٣/ ١٩٥١/ تم قراءة الحكم بخصوص الاعتداء على السيارة العسكرية وكان فيها العقيد «أديب الشيشكلي» والملازمون «حسين حدة» و «بكري زوبري» و «غالب شقفة»

وقد حكم بالإعدام على أربعة من المتهمين وهم:

(١): «حسين توفيق أحمد باشا»

(٢): «عباس بن حميد الخرسان»

(٣): «عبد القادر بن محمود عام»

(٤): «زهير بن إبراهيم يوسف»

وبالسجن على واحد خمس سنوات هو «نشأت بن رفعت شيخ الأرض» وبالسجن ثلاث سنوات على اثنين هما «جهاد موسى ضاحي» و «هاني بن محمود الهندي» و/٢٨/ شهراً على المدعو «أحمد بن عثمان الشراباتي».

وسنة واحدة على /٧/ وهم:

(١): «عبد الحسيب زكي العلبي».

(٢): «جودت موسى ضاحي».

(٣): «محمد بهجت زكي العلبي».

(٤): «عبد الرحمن يوسف شرقاوي».

(٥): «فتحي مصطفى الكنكاني».

(٦): «إسماعيل محمد».

(٧): «كامل إسماعيل».

دعوة العقيد «أديب الشيشكلي إلى الجبل»

كان عمي السيد «داود أبو عساف» قد وجّه الدعوة إلى العقيد «أديب الشيشكلي» لزيارة الجبل وتناول طعام الغداء على مائدته في قرية (ولغا) مع رفاقه ضباط الجيش. وكنت قد وجّهتُ مثل هذه الدعوة أيضاً إلى قرية (سُليم) وكنتُ ألاحقه وألح عليه لتلبيتهما.

يوم الأربعاء في / ١/ تشرين الثاني / ١٩٥٠/ قال لي العقيد «أديب»: إنني على استعداد لتلبية إحدى هاتين الدعوتين. دعوة عمك أم دعوتك؟ عليك أن تختار! قلتُ: فلتكن دعوة عمي، اتفقنا على لائحة الضباط الذين سنقوم بدعوتهم وأن يكون الأستاذ «نجيب حرب» صاحب جريدة ((الجبل)) ضمن المدعوين. ووضعتُ سيارة عسكرية تحت تصرفه.

قال: حسناً أَجرِ ما يلزم بالنسبة للمدعوين، ستكون الزيارة نهار الجمعة صباحاً.

سأل: كيف ترى أن يكون برنامج الزيارة؟ قلت: نذهب صباحاً إلى السويداء ثم إلى (القريّا) لزيارة «سلطان باشا الأطرش» القائد العام للثورة السورية الكبرى وبعدها نعود إلى قرية «ولغا» حيث نتناول طعام الغداء حسب عادات الجبل وتنتهي الزيارة.

أجاب: موافق سأتصل مع آمر موقع السويداء ليجري اللازم بالنسبة لإعلام «سلطان باشا» والباقي تتكفل به أنت.

ونظراً لما لهذه الزيارة من أهمية وبصورة خاصة ما جرى من تغيير على سياسية «الشيشكلي» رغبت أن أسجلّ ما كتبه صاحب جريدة (الجبل) حرفياً في العدد / ١١٢٥/ تاريخ / ٥/ تشرين الثاني عام / ١٩٥٠/ - وكانت الشعبة الثانية حاضرة حيث أخذنا صورة تذكارية مع «سلطان باشا» وكل الضباط الكبار الحاضرين. كما أُخذت صورتان مماثلتان في قرية (ولغا) مع صاحب الدعوة، ووزعت الشعبة نسخة عن هذه الصور لكل من في الصورة. ونشرت جريدة (الجبل) الصور المشار إليها على نفس العدد - كما طبعت الشعبة الثانية النص الخطابي للعقيد «أديب» في (القريّا) و (ولغا) ووزع على

القطعات.

جريدة (الجبل) مع موكب العقيد «أديب الشيشكلي» من دمشق إلى السويداء - القريّا - ولغا، مهمة الجيش في خطاب جامع للعقيد «الشيشكلي».

القائد العام يؤيد الحكومة والجيش - استقبالات رائعة في السويداء والقريّا وولغا - كان الزعيم المعروف السيد «داود أبو عساف» قد دعا سعادة العقيد «أديب الشيشكلي» معاون رئيس الأركان العامة للجيش السوري أثناء زيارته له والعقيد «أمين أبو عساف» خلال الشهر الفائت لتناول طعام الغداء في ولغا على أن يدعو معه كبار ضباط الجيش السوري.

وقد لبّى العقيد «الشيشكلي» يومئذ دعوة الزعيم «داود أبو عساف» ثم عين يوم أمس الأول موعداً للسفر إلى الجبل تلبية لهذه الدعوة.

وفي الساعة التاسعة والنصف من صباح الجمعة الفائت غادر موكب العقيد «الشيشكلي» على رتل من السيارات يرافقه كل من العقداء «عزيز عبد الكريم» قائد سلاح المدفعية، و «سعيد حبي» قائد سلاح الطيران، و «محمود بنيان» قائد قوى البادية، و«أمين أبو عساف» قائد اللواء الأول، والمقدمين: «محمود شطرا» رئيس الشعبة الثانية للأركان العامة، و «عدنان المالكي» رئيس الشعبة الثالثة للأركان العامة، و «نبيه صباغ» رئيس أركان اللواء الأول، و «محمد يوسف مهنا» آمر مركز التدريب الأول، وإبراهيم الأتاسي» آمر كتيبة المدرعات الأولى، والرؤساء «توفيق شاتيلا» آمر الفوج الثاني، و«جورج رباحية» آمر الفوج الأول، والملازمون «عبد الحميد السراج»، و «مصطفى كمال مالكي»، و «هاني قطيني» و «طلال أبو عساف»، كما رافق الموكب في هذه الرحلة صاحب جريدة (الجبل).

الاستقبال في أزرع:

ولدى وصول الموكب إلى أزرع استقبله المقدم «حسين غزي» رئيس أركان اللواء السادس، كما أدى له فصيل من الجيش التحية العسكرية وبعد أن زار العقيد ورفاقه الدكتور العقيد «توفيق عز الدين» بمناسبة مرضه تابع سفره إلى الجبل فاستقبله عند مخفر قصر الدور المقدم «موفق القدسي» آمر موقع السويداء على رأس فصيل من شرطة

ـيش، والمقدم «شريف وانلي» قائد كتيبة درك المحافظة والملازم «نديم الملاح» قائد سيل السويداء، وأدت له فصيلة من الدرك التحية الرسمية. وبعد أن استعرض العقيد شيشكلي» فصائل الجيش والدرك تابع الموكب سيره إلى الثكنة العسكرية في السويداء صلها في الساعة الحادية عشرة.

وقد أقيم لمناسبة هذه الزيارة عرض رائع لفصائل الفوج المقيم في السويداء.

كان مبعث إعجاب وتقدير ضباط الجيش الذين أثنوا على جهد ونشاط المقدم ـسي» ومعاونه الرئيس «ميشيل خوري».

وبانتهاء العرض زار العقيد ورفاقه الثكنة العسكرية ثم استقبلوا عطوفة السيد «فؤاد حلبي» محافظ السويداء الذي قام بزيارة العقيد ورفاقه من حماة الديار إلى الجبل - ـحباً بقدومهم.

في مقر المحافظة:

وفي الساعة الثانية عشرة قصد العقيد وعدد من رفاقه إلى مقر المحافظة لردِّ الزيارة ى عطوفة المحافظ، فاستقبلهم عند المدخل الخارجي للمقر رئيس ديوان المحافظة أمين سر البلدية وحيَّتهم ثلة من الدرك كما استقبلهم في المقر عطوفة المحافظ وعدد ن زعماء المدينة وكرام الأسر ومدير معارف السويداء.

وقد ألقى عطوفة المحافظ كلمة قيمّة رحب فيها بزيارة حماة الوطن وجنوده إلى نطقة تقدر البطولة حق قدرها وتحرص على استقلال هذا الوطن أشد الحرص منوها ما للدروز من تضحيات عزيزة في سبيل هذا الاستقلال.

كما تكلم كل من السادة «عقلة القطامي»، الأمير «حسن الأطرش» و «محمد عز ـدين الحلبي» والأمير «توفيق الأطرش» و «يوسف سرايا» و «فضل الله جربوع» و «عبد ـكريم نصر» و «جاد الله عز الدين» و «وشبلي أبو عسلي» مرحبين بزيارة العقيد وقادة ـجيش السوري مقدرين لهم حرصهم الشديد على استقلال سوريا والذود عن حياض ـذا الوطن، معلنين عن استعدادهم جمعياً لتلبية نداء الواجب الوطني عندما تدعو ـحاجة إلى ذلك.

وقد طلب الوجيه المعروف «يوسف سرايا» إلى سعادة العقيد «الشيشكلي» أن تعمل الحكومة والجيش على حلٍّ مشكلة الحدود القائمة بين محافظة الجبل والأردن بعد أن أدى وضع الحدود عام / ١٩٣٠/ إلى خسارة الجبل معظم أراضيه الصالحة للكلأ والتي تعتبر مشتًى لمواشيه، وقد أيده في هذا الطلب جميع الموجودين.

كما تحدث الأستاذ «جاد الله عز الدين» نائب شهبا في خطاب جامع ألقاه عن مهمة الجيش السوري في هذه المرحلة الدقيقة التي تجتازها البلاد.

وبعد أن أشار النائب الكريم إلى الانتفاضات التي قام بها الجيش السوري العزيز والخطوات الموفقة التي خطاها في سبيل دعم الاستقلال والنظام الجمهوري والتي كانت من العوامل المؤدية إلى الاستقرار الذي تلمسه البلاد قال: إن الجيش رغم إعلانه الابتعاد عن السياسة لا يزال العنصر الوحيد الذي يستطيع أن يلعب دوراً خطيراً في سبيل توحيد قوى الأمة وتوجيهها نحو التضامن والتعاون.

وقد ردَّ العقيد «الشيشكلي» على خطب الزعماء والوجوه بكلمة لطيفة جداً قال فيها إنه يعتبر الجبل حصن الوطن المنيع وإنه يشعر عند زيارته له بأنه بين أهله وإخوانه، وبين نفر سجل في تاريخ الجهاد الوطني أروع الصفحات مؤكداً بأن الجيش سيبقى عند حسن ظنّ الأمة والوطن به.

من السويداء إلى القريّا:

وغادر العقيد ورفاقه مقرّ المحافظة بنفس الحفاوة التي استقبلوا بها متجهين نحو القريّا لزيارة «سلطان باشا» القائد العام للثورة السورية، وقد حيّت الموكب قبل وصوله إلى عرين الثورة ثُلّةٌ من الدرك بقيادة الملازم «أكرم سليمان» قائد فصيل صلخد كما استقبله في باحة الدار عطوفة القائد العام وجماهير كثيرة احتشدت للاشتراك في استقبال حماة الوطن وجنود استقلاله.

وكان استقبال القائد العام للعقيد «شيشكلي» وُرفاقه والحفاوة الممتازة مظهراً بارزاً من مظاهر تقدير القائد الكبير الذي حمل لواء الثورة عام / ١٩٢٥/ لإبطال الإنقاذ الذين ما برحوا يكافحون خصوم الوطن في الداخل والخارج بغية الحرص على هذا الاستقلال الذي جرد «سلطان» وإخوانه السيوف من أجله وقارعوا المستعمر في سبيل الحصول

وبعد تبادل الأحاديث الودّية بين القائد العام وقادة الجيش السوري المفدى ألقى قميد «الشيشكلي» كلمة حماسية ممتازة هذا نصها:

جئت لأرفع التحية

كلمة العقيد «شيشكلي» في منزل «سلطان»

ما زلتُ أذكر وأنا في مستهلِّ الشباب كيف كنّا نحترق شوقاً لمشاهدتكم في جهادكم الوطني، كما إني ما زلت أذكر مطلع قصيدة الشاعر «الزركلي» قائلاً:

غادر دمشق ويمّم دار «سلطانا»

وبعد ربع قرن نحج إلى القريّا إلى هذا العرين الذي يقيم فيه قطب من أقطاب الجهاد السوري لنا كلّ الفخار بأن نكون من تلاميذه.

لقد جئت إلى هنا لأرفع إلى عطوفتكم خالص تحيات الجيش السوري الذي يريد أن يتقن صناعة الموت ليقرر مصير سوريا.

إن جيشنا لا مطلب له إلا المحافظة على استقلال سوريا ونظامها الجمهوري، وقد خص عطوفة القائد العام بكلمة من كلماته الخالدة، أعلن فيها تأييده للحكومة الحاضرة وتعاونه مع الجيش هذا نصها:

مع الحكومة والجيش

كلمة القائد العام في زيارة العقيد

عندما أعلنا الثورة في وجه المستعمر الأجنبي كان هدفنا الوحيد أن تتحرر هذه البلاد من القيود والسلاسل وتتمتع بحريتها التامة دون أن يكون هنالك أية سلطة غير سلطة الأمة.

وما زلنا ندين بهذه الفكرة، فكرة الحرية والدفاع عنها والذود عن حياض هذا الوطن العربي.

وإنه يسرّني أن يكون في الجيش السوري من القادة الذين يعملون على نمو فكرة الدفاع عن هذا الاستقلال الذي ضحينا في سبيله والحرص عليه من عبث المتآمرين، فنحن مع الحكومة الحاضرة والجيش المفدّى وعلى أتم الاستعداد لمعاضدتكم والتعاون معكم في سبيل صيانة هذا الاستقلال وكلّ ما أطلبه هو أن تضربوا بعصا من حديد على أيدي العابثين بسلامة الوطن وقديماً قيل (قوماً تعاونوا ما غلبوا) وقد قوبلت الكلمتان بعاصفة من التصفيق والهتاف من الضباط والجماهير المحتشدة خارج الدار.

من القريّا إلى ولغا:

وغادر الموكب القريّا مشيعاً بحفاوة وتقدير القائد العام والجماهير المحتشدة إلى السويداء فولغا، حيث كان له فيها استقبال رائع اشترك فيه عدد من خيالة الدروز الذين واكبوا سيارة العقيد من الطريق العام إلى ولغا، كما استقبله حضرة الزعيم «داود أبو عساف» وزعماء ووجوه أسرته والقرى المجاورة بتظاهرة رائعة دلّت على اغتباطهم بهذه الزيارة، كما حيته ثلة من الدرك بقيادة قائد فصيل السويداء.

وقد تفضّل عطوفة المحافظ بتلبية دعوة السيد «أبو عساف» يرافقه قائد كتيبة الدرك ورئيس ديوان المحافظة الأستاذ «خليل خضر»، وبعد أن رحب الزعيم «أبو عساف»

بالعقيد «الشيشكلي» وعطوفة المحافظ بكلمة طيبة دُعيت هذه الوفود إلى الغداء على مناسف عربية كانت خير برهانٍ على سخاء هذا البيت الكريم الذي عُرِف بأريحيته وكرمه وعلى ما يمتاز به صاحب الدعوة من علو الهمة وسخاء اليد.

وبانتهاء تناول الطعام قام العقيد ورفاقه بزيارة السيد «محمد أبو عساف» النجل الأكبر للزعيم «داود أبو عساف» ثم عاد إلى منزل صاحب الدعوة حيث ألقى السيد «زيد أبو عساف» حفيد صاحب الدعوة خطاباً ترحيبياً قال فيه: إنه ليتملك نفوسنا الاعتزاز عندما نرى هذا الجيش الفتي الذي حطّم الأغلال وانطلق في أجواء وطنية صحيحة ليصون لسوريا العزيزة استقلالها وليحافظ على سيادة هذا الوطن ليبقى عزيز الجانب موفور الكرامة محطِّماً آمال المستعمرين وأذنابهم ضارباً بمؤامراتهم عرض الحائط وليس ذلك بغريب على قادة هذا الجيش الذين كرّسوا حياتهم لخدمة هذا الوطن العزيز وإعلاء شأنه.

ثم ختم خطابه بتحية الجيش السوري وضباطه وجنوده المخلصين.

وقد ردّ العقيد «شيشكلي» بكلمة طيبة استهلها ببيت من الشعر:

(الأهل أهلي والديار دياري)

ثم قال: هذا مقطع من قصيدة لشاعر عربي قالها عندما كانت ربوع الوطن تتلقى ضربات العدو ويوم كان يتحضر لغزو أمنع معقل من معاقل هذا الوطن وهو الجبل العزيز.

والآن بعد ربع قرن وبعد أن تمكنا بجهودنا وجهادنا جميعاً لا فرق بين أبناء دمشق أو حلب أو حمص وحماة أو السويداء ودرعا أو اللاذقية والدير والقامشلي أو السهل والجبل أقول مع الشاعر:

(الأهل أهلي والديار دياري)

إننا هنا بين أهلنا وإخواننا إن جيشكم هو منكم وإليكم ليس له من هدف إلا وضع هذا الوطن في المكان اللائق به تحت الشمس وإننا سنحقق هذه الغاية مهما اعترضنا من مصاعب ولنا من تعاونكم وشرف ماضيكم خير مشجع لبلوغ هذا الهدف، عاشت سورية حرة مستقلة.

وقد قوطع خطاب العقيد بعاصفة من التصفيق والهتاف، وغادر الموكب ولغا في الساعة الرابعة من بعد الظهر بين الهتاف والتصفيق إلى السويداء حيث أقام المقدم «موفق القدسي» آمر الموقع حفلة لطيفة في نادي الضباط ألقيت فيها الكلمة الآتية باسم آمر الموقع.

ازدانت الأمم في جميع الأدوار بنوابغ كان لهم أثرٌ بيِّن في بناء كيانها ورفعوا اسمها عالياً بين الأمم الأخرى مفاخرة بهم الأجيال، وكم من شعوب انقرضت وظلّ ذكر رجالها الناهضين الأفذاذ حيّاً ترويه الألسنة بالإعجاب والاحترام، فالأدمغة العصامية التي أنشأت أصحابها وجعلت لهم مكانة سامية في المجتمع الإنساني بما أتته من الأعمال الجليلة والجهود الجبارة هي جديرة بتقدير أولي الفضل والنبل وهذا ما حدا بي بمناسبة هذه الزيارة اللطيفة أن أتقدم باسم آمر موقع السويداء الذي أولاني شرف النيابة عنه بكلمتي هذه بتقديم الاحترام باسمه واسم ضباطه للنبوغ الوطني الذي صان استقلال البلاد بقوة تسخر بكل وعيد وبعزم يتحلى في الإقدام العابث بجميع الحوائل، كما أنه يقدم أحرّ التهاني بنجاتكم من المكيدة التي حيك نسيجها لإيقاع الأذى بكم وبحمد الله الذي قدّر لهذه البلاد أن يبقى لها عزها المقدام ليقيها شر العدو ويصون كرامتها عند الاقتضاء وهذا ما نرجوه منه تعالى وهو الموفق لما فيه خير البلاد.

وفي الساعة السادسة غادر الموكب السويداء إلى دمشق وقد رافقه إلى قصر الدور المقدم «قدسي» والمقدم «وانلي» وحيته عند مروره ثلة من الدرك فوصل دمشق في الثامنة مساءً بعد أن قضى في الجبل يوماً كاملاً كان من أروع الأيام.

كما ذكرت سابقاً عند بَدْء زيارة الجبل اقترحت زيارة (ولغا والسويداء والقريّا) أما

الاستقبال العسكري في أزرع والدور والسويداء والقريّا وزيارة المحافظ في السويداء وردُّ الزيارة له مع وجود أوجه مدينة السويداء في هذا اللقاء وحفلة نادي الضباط لا علمَ لي بها قبل إجرائها، فقد أعطيت التعليمات والأوامر من قبل العقيد «أديب» مباشرة إلى المسؤولين في المنطقة.

الاثنين ١٥/١/١٩٥١/ عقد مجلس الدفاع جلسة درس فيها موضوع حَمَلَة الشهادات العالية إذ كان القانون السابق يسمح لهم بدفع البدل والإعفاء من الخدمة.

وبما أن هذا الإجراء يسبب تفاوتاً في المعاملة بين المواطنين ويجب التساوي بين أبناء الوطن جميعاً وذلك بأداء خدمة العلم من جميع المواطنين - فقد تقرر استدعاء حملة الشهادات العالية للخدمة.

الاثنين ٢٢/١/١٩٥١/ دعوة الجنرال «فاليري» (المراقب العام في الجيش الفرنسي ويقوم بوظائف في جيش أوربا الغربية) من قبل وزير الدفاع الزعيم «فوزي سلو» - وقد حضر الدعوة وزير فرنسا المفوض السيد «جاك أميل باري» وكبار ضباط الجيش وأمين عام القصر الجمهوري وهو يقوم بمهمة سياسية تتعلق بالدفاع عن الشرق الأوسط.

الجمعة ٢/٢/١٩٥١/ جرت مناورة مستشفى الميدان أمنت وسائط النقل مدة المناورة ثلاثة أيام - تعيين لمراقبة العمل - يعمل الأطباء في ظروف تماثل جو المعركة.

الطلب من السيد «أكرم الحوراني» لإجراء مصالحة بيني وبين العقيد «أديب»

الثلاثاء ٢٧/٢/١٩٥١/ ساءت العلاقات كثيراً مع العقيد «أديب الشيشكلي» لاحظتُ أنه يحضر شيئاً لإبعادي ويتضايق من وجودي لأنّي صريح ولا أسايره على حساب الواجب، اللواء الأول إمكانياته أفضل من باقي الألوية. وهو في معسكرات قطنا، احتياط القيادة جاهز للحركة إلى الجبهة في أي وقت.

بدأ العقيد «أديب» يُبدي آراءه بنقله إلى الجبهة مكان اللواء الموجود فيها ويحضر الجو ليُقنع مجلس الدفاع بذلك، ويبعدني مع اللواء الأول.

استنجدت بالأستاذ «أكرم الحوراني». ذهبتُ إليه في منزله وأخبرته عن سوء العلاقة مع العقيد «أديب» وطلبت منه أن يدرس الأسباب ويتوسط ليزيل سوء التفاهم بيننا. رفضَ التدخل. قلتُ علاقتك متينة وطيبة مع العقيد «أديب» منذ القديم ونفذنا الكثير من آرائك كن حكماً بيننا، اسأل كلاً منا عن سبب نفوره وأجمعنا سوية وعلى ضوء آراء الاثنين أنت تحكم حسب قناعتك لمصلحة الوطن. يجب ألا نختلف من أجل المصلحة العامة.

منذ اغتيال العقيد «ناصر» بدأ الشقاق بيننا. وبعد صدور حكم الدكتور «منير العجلاني» زاد هذا الخلاف. إذا كان أحدُنا أو كلانا مخطئاً تقرب شقة الخلاف وتكونَ ضد الخطأ.

أجاب الأستاذ «أكرم»: «أديب» أصبح هذه الأيام لا يسمع الكلام ولا ينفِّذ إلا ما في رأسه. لا يمكنني القيام بهذه الوساطة.

الأزمة الوزارية:

الأحد ٤/ ٣/ ١٩٥١/ اجتماع في منزل العقيد «أديب» - عدنا إلى العمل في لسياسة، تأجل الاجتماع إلى مساء الغد في منزل العقيد «توفيق نظام الدين» لدراسة الوضع العام وعمل الوزارة وسياستها الخارجية. حضر الاجتماعين العقداء:

«أديب» و «عزيز» و «شوكت» و «نظام» و«محمود» و «أمين» - اعترضتُ على هذين الاجتماعين وقلتُ هذا يخالف لما كنّا قد أتفقنا عليه عندما حللنا المجلس العسكري برضاء جميع أعضائه، ووقّعنا وثيقة تقضي بعدم أقتحام الجيش في السياسة وسلمناها إلى رئيس مجلس الوزراء ضمن شروط، قال العقيد «أديب» إنّ ما يجري هو في وطننا وسكوتنا عليه خيانة - العمل مطلوب من كلّ أبناء الوطن حتى يجنّبوا الأخطار.

الخميس ٨/ ٣/ ١٩٥١/ تقرر اجتماع للوزارة يحضره العقداء - جرى الاجتماع ولم يحضر العقيد «أديب» وقد أجل إلى بعد الظهر في وزارة الدفاع يحضره رئيس الوزارة

ووزير الدفاع وبعض الضباط ولم يحضر العقيد «أديب» أيضاً!.

السبت ١٠/٣/١٩٥١/ استقالت وزارة «القدسي» وكانت مؤلفة من: الدكتور «ناظم قدسي» للرئاسة والخارجية، السادة «شاكر العاص» للمالية «رشاد برمدا» للداخلية «زكي الخطيب» للعدلية «هاني السباعي» للمعارف «أحمد قنبر» للأشغال العامة «علي بوظو» للزراعة «جورج شلهوب» للصحة «فرحان الجندلي» للاقتصاد الزعيم «فوزي سلو» للدفاع.

الأربعاء ١٤/٣/١٩٥١/ لا تزال الأزمة الوزارية على حالها.

استنفار اللواء الأول وذهابه إلى الجبهة

استنفار في المساء (اللواء الأول - والدبابات) بقي الاستنفار حتى ١٦/٣/ ظهراً، دخلت جرارات إسرائيلية إلى ضفة الأردن الشرقية بجوار جسر بنات يعقوب من أجل العمل. وبعد الاحتجاج أعيدت بواسطة المراقبين.

الثلاثاء / ٢٠/٣/١٩٥١/ اعتذر السيد «خالد العظم» عن تشكيل الوزارة بسبب الصعوبات والعراقيل التي أقامها حزب الشعب والجبهة الإسلامية الاشتراكية.

وكان تكليف السيد «خالد العظم» قد صدر بتاريخ / ١٥/٣/١٩٥١/ .

تكليف الدكتور «ناظم القدسي» بتشكيل الوزارة

الجمعة ٢٣/٣/١٩٥١/ تمّ تشكيل الوزارة السورية من قبل الدكتور «ناظم القدسي» من السادة:

«ناظم القدسي» و «فيضي الأتاسي» و «معروف الدواليبي» و «نعيم الأنطاكي» و«فرحان الجندلي» و «شاكر العاص» و «علي بوظو» والزعيم «فوزي سلو» و «زكي الخطيب». وفي اليوم التالي قبل صدور المراسيم اعتذر الرئيس «القدسي» عن تشكيل الوزارة.

تكليف السيد «خالد العظم» بتشكيل الوزارة

الثلاثاء /٢٧/٣/١٩٥١/ بعد أزمة استمرت من /١٠/٣/١٩٥١/ تم تشكيل الوزارة على النحو التالي:

السيد «خالد العظم» للرئاسة والخارجية

السيد «عبد الرحمن العظم» للمالية

الزعيم «فوزي سلو» للدفاع

السيد «رئيف الملقي» للمعارف ووكالة الأشغال العامة

السيد «عبد الباقي نظام الدين» للزارعة ووكالة العادل

السيد «سامي طبارة» للصحة والإسعاف العام ووكالة الاقتصاد الوطني

السيد «سامي كبارة» للداخلية

الوزارات التي تدار بالوكالة بقيت لحساب حزب الشعب.

استنفار اللواء الأول والمدرعات الساعة /٢٣/ مساءً

الأربعاء /٢٨/٣/١٩٥١/ ذهاب فوج المشاة الأول والثاني إلى منطقة القنيطرة – حرش عين زيوان – وحرش المومسية مع كتيبة المدرعات الأولى – تحت تصرّف آمر اللواء الثالث رافقهم رئيس أركان اللواء المقدم «نبيه صباغ» وعاد في المساء. أعلنتُ لرفاقنا أعضاء المجلس العسكري أنها مقدمة لإرسال اللواء بكامله.

رغم تأكيد العقيد «أديب» أنها تدابير مؤقتة، أجابوا: ألم تسمع تأكيد «أديب» إنك

متشائم أكثر من اللازم.

اشتغل الجرار الإسرائيلي في أعمال التجفيف - أُطلِق عليه النار، أُصيب السائق ومعاونه حسب الظن.

أجاب الجانب الصهيوني بإطلاق نار رشاشات كثيفة حتى على خنادق الجنود.

الخميس /٢٩/٣/١٩٥١/ ذهابي إلى الفوج الأول والثاني ووصولي إلى جسر بنات يعقوب والعودة. لم يجرِ أي عمل من قبل إسرائيل ولم تُطلق النار من الطرفين. في الليل الماضي نقل الإسرائيليون سكان البقارة ومزرعة الخوري إلى جهة مجهولة في الداخل - أخلوا كعوش من العائلات وتبين أنهم يستعدون من المرتفع (٩٨) حتى الحولة ويمونون الخطوط فيها. تحركت سرايا المقر والإسناد والنقل وقيادة اللواء إلى الحرش وفوج المدفعية الثاني إلى سعسع.

الجمعة /٣٠/٣/١٩٥١/ ذهابي إلى كتيبة المدرعات في حرش المومسية وبعد انتهاء مهمتي عدت إلى قيادة اللواء. دفع الصهاينة بجرار مصفح للعمل - أطلق عليه النار من قبل الملاكين. تدخل أعضاء لجنة الهدنة وطلبوا وقف إطلاق النار. أجيبوا إلى طلبهم في حال عدم مهاجمة خطوطنا. أو العمل من قبل الصهاينة بمشروع تجفيف الحولة.

السبت /٣١/٣/١٩٥١/ اجتماع المراقبين مع وزير الدفاع ورئيس الأركان ومعاونه ورئيس لجنة الهدنة السورية.

تحرك باقي اللواء إلى القنيطرة (حرش عين زيوان) عادت قيادة الأفواج التي أرسلت سابقاً إلى قيادة اللواء - دراسة تمركز قطعات اللواء - الدفاع السلبي والإيجابي ضد الطائرات والمدفعية - دراسة إمكانيات العدو مدفعية، دبابات، طيران.

استلام اللواء الأول القطاع الأوسط للجبهة واشتداد المناوشات بسبب مشروع تجفيف الحولة من قبل الصهاينة

إعطاء تعليمات عن كيفية الحياة في الجبهة - الصلة الروحية بين الضباط والجنود. إعادة تمارين القتال في التدريب، كيفية التقرب من مرتفع واحتلاله. التموية، جنود، أسلحة، سيارات.

الاحد / ١/ ٤/ ١٩٥١/ استلم اللواء القطاع الأوسط. قيادته في العليقة - أي محور القنيطرة - الجمرك - جسر بنات يعقوب - كعوش. استلمت الأفواج مهماتها مساء على الطبيعة وتمّ التمركز مع أمر ومخطط الدفاع وأمر المخابرات.

مخالفات الصهاينة أكثرها في القطاع الأوسط.

- ذهاب رئيس لجنة الهدنة إلى تل أبيب وعودته بالطائرة إلى دمشق واجتماعه بوزير الدفاع ورئيس الأركان ومعاونه ورئيس لجنة الهدنة السورية.

الاثنين / ٢/ ٤/ ١٩٥١/ ذهاب المراقبين إلى المنطقة المحرّمة واحتجاجهم على وجود شرطة مسلّحة إسرائيلية فيها.

عمل الجرار الصهيوني قبل الظهر حتى الساعة الخامسة عشرة لم تطلق النار من قبلنا بناءً على أوامر القيادة.

منع الصهاينة المراقبين من التحقيق مع العرب بحجة حجرهم صحياً حتى نهار الخميس نهاية الحجر. احتج المراقبون إلى كبيرهم. تحرك فوج المشاة الأول وتمركز مكان كتيبة الاستطلاع في المخافر الأمامية - عادت الكتيبة إلى الحرش - تمّت العملية أثناء الليل.

الثلاثاء / ١٣/ ٤/ ١٩٥١/ عَمِلَ الجرار لم نطلق النار تنفيذاً للأوامر.

اجتماع لجنة الهدنة: المستشار الدكتور «راجا سوريا» مراقب الهدنة الكولونيل «بوساني» رئيس اللجنة السورية المقدم «غسان جديد» رئيس اللجنة الإسرائيلية الكولونيل «راماتي». وبعد المداولة وضعت مسودة اتفاقية تقضي بعودة السكان العرب إلى المنطقة المجردة.

- التوقف عن أعمال التجفيف مدة شهر للمفاوضة.

- استنكار لجنة الهدنة لكل أعمال الخرق التي حدثت وحددت الساعة الثالثة عشرة من بعد ظهر الغد للاجتماع بعد مشاورة كل وفد لحكومته.

الأربعاء / ٤/ ٤/ ١٩٥١/ جرى الاجتماع وأثناء مناقشة البند الأخير وصلت أخبار عن محاولة دخول سيارتي نقل تقل جنود إسرائيليين إلى الحمّة وإطلاق النار عليهما.

امتنع الوفد الإسرائيلي عن متابعة الجلسة وجرت مناقشة حادة بين رئيس الوفد الإسرائيلي الكولونيل «راماتي» وومثلي الأمم المتحدة الكولونيل «بوساني» والدكتور «راجا سوريا».

تفصيل الحادث: وصلت سيارتان إسرائيليتان تقلان جنوداً أمام المخافر السورية في طريقها إلى الحمة، منعتا من المرور أنذر رئيس القوة الإسرائيلية أنه يتوقف دقيقتين لمتابعة الطريق، وتابعا الطريق بانتهائها.

تُبودل إطلاق النار، وولّت أحدى السيارات هاربة. السيارة الثانية سقط من ركابها سبعة قتلى وجريح وأسير سلما إلى الصهاينة بواسطة لجنة المراقبة. عمل الجرار في الحولة ولم يعترضه أحد.

الخميس / ٥/ ٤/ ١٩٥١/ كان مقرراً أن تجتمع لجنة الهدنة المشتركة في بناية (الجمرك) وهو يوم انتهاء الحجر الصحي للاتصال مع المدنيين. لكن الوفد الإسرائيلي طلب تأجيل الجلسة ساعة ثم اعتذر عن المجيء (بسبب إطلاق السوريين النار على الشرطة ولجنة الهدنة وكذلك حادث يوم أمس).

في الساعة السادسة عشرة والنصف قصفت ثماني طائرات إسرائيلية منطقة الحمة. تصدت لها الأسلحة المضادة. دون جدوى.

الجمعة / ٦/ ٤/ ١٩٥١/ تحرك فوج المشاة الثاني إلى خط الدفاع الثاني ليلاً وكتيبة الاستطلاع إلى عين سمسم. فوج المدفعية الثاني أخذ أماكن القتال - وكتيبة الاستطلاع الأولى إلى مومسيه وعين عيشة.

طوال الليل وانفجارات الصهاينة في المنطقة المحرّمة تتابع إذ هدمت أكثر من خمسة عشر بيتاً في البقارة وأحرقت أكواخ العرب في قرية الغنامة ومزرعة الخوري ليلاً. في الصباح حلقت الطائرات الصهيونية في المنطقة المحرّمة مدة ساعتين. وحلّق الطيران السوري فوق الخطوط السورية.

من / ٧-٩/ ٤/ ١٩٥١/ زيارة الوفد الصحفي لمنطقة الحمّة والجسر. عمل الجرار في التجفيف - حضور رئيس الأركان إلى الجبهة - اجتماع آمري الألوية - تفتيش جبهة الفوج الأول وسرية الملازم «شهير دريعي» من قبل آمر اللواء - عمل الجرار.

الثلاثاء / ١٠/ ٤/ ١٩٥١/ - عمل الجرار - نهب الصهاينة القرى العربية في المنطقة المجردة حتى الدجاج - هاجم الصهاينة والشرطة الاسرائيلية قرية النقيب العربية تصدى لها سكان القرية ببسالة وردوها على أعقابها - قتل أحد أفراد الشرطة المهاجمة - زيارة وفد النواب للجبهة وهم السادة: «سعيد حيدر» نائب الرئيس «مصطفى السباعي» و«أكرم الحوراني» و «قاسم الهنيدي» و «معروف الدواليبي» و «حسن الحكيم».

الأربعاء / ١١/ ٤/ ١٩٥١/ - معركة جوية بين الطائرات السورية والإسرائيلية يُظنُّ إصابة ووقوع إحدى الطائرات الصهيونية.

- زيارتي كتيبة المدرعات - ذهاب المراقبين للتحقيق في قرية النقيب لمعرفة إن كان المدافعون عن القرية بالأمس هم أهالي القرية أم جنود سوريون كما ادعى الصهاينة. ومعرفة مصير المفقود - عمل الجرار.

الخميس / ١٢/ ٤/ ١٩٥١/ زيارة وفد من الصحفيين للجبهة الخط الثاني - عمل الجرار يومين. في اليوم التالي وصل ضباط مدارس الرتباء والمغاوير للاستطلاع.

الأحد / ١٥/ ٤/ ١٩٥١/ - عمل الجرار الصهيوني في مشروع تجفيف الحولة -

ادعى الإسرائيليون كذباً أن فرداً من الشرطة الإسرائيلية جُرح من نار الجيش السوري على جسر بنات يعقوب - زار الزعيم «أنور» رئيس الأركان الجبهة - ذهب المقدم «غسان جديد» رئيس لجنة الهدنة السورية إلى لايكاكس مصحوباً بوثائق وأدلة عن أعتداءات الإسرائيليين وترحيلهم أبناء المنطقة المحرّمة إلى السيد «فارس الخوري» رئيس الوفد السوري من أجل الشكوى في مجلس الأمن. وفي اليوم التالي عمل الجرار في مشروع التجفيف.

الثلاثاء / ١٧/ ٤/ ١٩٥١/ - عمل الجرار في مشروع التجفيف - جلسة مجلس الأمن لدراسة موضوع المنطقة المجردة وتأجيل الجلسة لدعوة الجنرال «رايلي» رئيس لجنة المراقبين الدوليين لبيان وجهة نظره في اليوم التالي عمل الجرار - زيارتي إلى الفوج الأول والبطيحة.

الثلاثاء / ١٩/ ٤/ ١٩٥١/ بناء على طلب المراقبين. كلّف الملازم «انطوان الياس» بمرافقتهم إلى النقيب العربية بدلاً من المقدم «غسان» الغائب بمهمة. وجدوا قتيلاً إسرائيلياً من ثلاثة أطلقوا النار على القرية مساء الأربعاء ورد الأهالي النار عليهم بالمثل.

الجمعة / ٢٠/ ٤/ ١٩٥١/ جرى هجوم قوي على قرية النقيب العربية منذ الساعة الثانية صباحاً كانت تسمع أصوات طلقات الهاون والرشاشات. تمكن أهالي القرية المسلحون مع المساعدة الفعالة من ردِّ المهاجمين على أعقابهم ولم تُعلم الخسائر.

- قام العقيد «أديب» بزيارة إلى الجبهة. دعوته من قبل قيادة اللواء الأول وقضى الليل في بناية الجمرك.

السبت / ٢١/ ٤/ ١٩٥١/ - جولة العقيد «أديب» في القطاع الأوسط - تناول طعام الغداء في فوج المدفعية العاشر المقدم «باصيل صوايا».

- وصول السيد «تريغفي لي» الأمين العام للأمم المتحدة إلى دمشق.

في اليوم التالي لا شيء يذكر.

الاثنين / ٢٣/ ٤/ ١٩٥١/ حاول الإسرائيليون الوصول إلى الضفة الشرقية جنوبي الجسر. أطلقت النار عليهم من قبل المدنيين وردتهم على أعقابهم.

- صدر مرسوم بإسناد رئاسة الأركان العامة إلى العقيد «أديب الشيشكلي» وتعيين الزعيم «أنور بنود» ملحقاً عسكرياً في تركيا.

- قابل الكولونيل «بوساني» رئيس لجنة الهدنة السورية الإسرائيلية مختار النقيب العربية في فيق بناء على موعد سابق.

- زيارة طلاب الكلية العسكرية للقطاع الأوسط منطقة الجسر مساء وخلال / ٢٤ و٢٥/ ٤/ أعمال الإسرائيليين كالمعتاد.

الخميس / ٢٦/ ٤/ ١٩٥١/ دعوة العقيد «أديب» رئيس الأركان إلى القنيطرة من قبل قيادة الجبهة - أعمال إسرائيل بدون توقف -يوم الجمعة توقفت إسرائيل عن العمل.

السبت / ١٨/ ٤/ ١٩٥١/ حفلة تكريم العقيد «أديب» رئيس الأركان من قبل رئيس مجلس الوزراء. وفي اليوم التالي أعمال الصهاينة كالمعتاد - تمركز الصهاينة أمام مراكز العرب في منطقة الحاصل في البطيحة.

في / ٣٠/ ٤/ ضاعف الصهاينة أعمالهم جنوبي بحيرة الحولة وجنوبي الجسر.

الثلاثاء / ١/ ٥/ ١٩٥١/ دعوة دولة رئيس مجلس الوزراء السيد «خالد العظم» في منزله بدمّر. على شرف «سلطان باشا الأطرش» قائد الثورة السورية - دعيتُ إلى هذه الحفلة. لم يعمل الصهاينة في هذا اليوم بسبب عيد العمال.

تقرير مفصل حول معركة الشمالنة

أسجل فيما يلي التقرير الموجه إلى القيادة.

حول معركة الشمالنة بالإضافة إلى التقارير اليومية

العليقة في / ١٠/ ٥/ ١٩٥١/

تقرير العقيد «أمين أبو عساف» آمر القطاع الأوسط حول معركة قرية الشمالنة

بعد أن تكررت حوادث العدوان الصهيوني على المنطقة المجردة واتضحت خطتهم القاضية بالاستيلاء على هذه المناطق والتمركز بها عسكرياً وبعد طرد سكانها العرب قررت رئاسة الأركان العامة الدفاع عن هذه الأراضي بشتى الطرق والأساليب للمحافظة عليها دون اللجوء إلى اصطدام يشترك فيه الجيش بشكل صريح. لذلك وسعياً وراء تنفيذ هذه الخطة لجأت قيادة القطاع بموافقة السلطات المسؤولة ومؤازرتها على تسليح السكان العرب في المناطق المجردة بأسلحة فردية وأتوماتيكية تختلف نوعاً عن الأسلحة المستخدمة في الجيش.

ولما كانت قرية الشمالنة القائمة على الضفة الغربية لمصب نهر الشريعة شمال غربي بحيرة طبريا هي المنطقة المجردة الوحيدة التي لا تزال بعيدة عن سيطرة الصهاينة في القطاع الأوسط (يضاف إليها الضفة الشرقية لنهر الشريعة في منطقة الجسر). فقد عمدت قيادة القطاع إلى تزويد عرب الشمالنة بالأسلحة والذخيرة اللازمة بحيث استطاعت تجنيد ثمانين مجاهداً، أيقظت فيهم روح المقاومة، وحثتهم على الاقتداء برفاقهم عرب النقيب الذين استطاعوا بفضل عزيمتهم ونضالهم على الثبات أمام هجمات الصهاينة والاحتفاظ بأملاكهم.

منذ تاريخ /٢٧/ ٤/ ١٩٥١/ أخذت دوريات إسرائيلية تجوب من حين لآخر المرتفعات المشرفة على قرية الشمالنة، والبعض منها يقع داخل المنطقة المجردة. لذلك ولما كان ظهور هذه الدوريات يُنذِرُ بوقوع أحداث تتوقعها قيادة القطاع فقد أوعزت بإيفاد بعض عناصر المجاهدين من عرب الشمالنة للتمركز في بعض المرتفعات القائمة على حدود المنطقة المجردة لتفادي كل هجوم مفاجىء يقع على المنطقة المجردة وضمنها قرية الشمالنة. ومنذ مساء /٢٧/ ٤/ ١٩٥١/ تمركز عشرة مجاهدين في تلك المرتفعات بينما ظلّ رفاقهم داخل القرية متحفزين لصد كل هجوم يقع على قريتهم.

بتاريخ /٢٨/٤/١٩٥١/ انصرف سكان القرية إلى أعمالهم الزراعية كالمعتاد. بينما ظلّت مفرزة الحماية قائمة بالسهر على حدود المنطقة المجردة والأراضي القائمة ضمنها تعود جميعها إلى السكان العرب. حتى أن أملاك العرب تمتد لمسافة بضعة كيلومترات داخل منطقة الدفاع في الأراضي التي يحتلها الصهاينة.

بتاريخ /٢٩/٤/١٩٥١/ وحوالي الساعة السادسة جاءت مفرزة صهيونية تقدّر بحضيرتين وتمركزت على مرتفع يقع داخل الأراضي المحتلة على مائتي متراً من مفرزة المجاهدين. وقد كانت مزودة بأسلحة أوتوماتيكية وجهاز لاسلكي.

مضى يوم /٣٠/٤/١٩٥١/ دون حادث يذكر غير أنه شوهدت في الساعة /٢٠،٠٠/ من مساء هذا اليوم عَشْرُ طلقات لونها أحمر أطلقت من مستعمرة العشة جنوبي مخفر الحاصل على الشاطىء الغربي لبحيرة طبريا.

بتاريخ /١/٥/١٩٥١/ شوهدت خمس طلقات شارة حمراء من فئة الخمس نجوم تصدر حوالي الساعة /١٦،٠٠/ من مكان تمركز الصهاينة في المرتفعات.

اعتباراً من صباح /٢/٥/١٩٥١/ تطورت الحوادث نتيجة اعتداء الصهاينة واتخذت شكلاً يستدعي سرده بأدق التفاصيل لإظهار النية العدائية المنظمة التي كان يُبيتها الصهاينة والتي تطورت في غير صالحهم.

الأربعاء /٢/٥/١٩٥١/ في الساعة السابعة والنصف بينما كانت أبقار عرب الشمالنة ترعى كالمعتاد في سفوح المرتفعات المحيطة بالقرية من جهة الغرب داخل المنطقة المجردة وقد كان يقوم على حراستها أربعة رعاة منهم اثنان مسلحان ببنادق فردية. هاجمتها من جهة الشمال الغربي للمنطقة وعن طريق تل المطلة قوة صهيونية مسلحة ترتدي الألبسة العسكرية بشكل جازم تقدر من سبعين إلى ثمانين جندياً وحاولت سرقة الأبقار. حيال هذا الاعتداء المفاجىء هرب الرعاة بعد أن أطلقوا بعض طلقات من بنادقهم لإنذار سكان القرية بما حلّ بهم. وما إن رأىٰ سكان القرية الصهاينة يستولون على أبقارهم حتى هبّوا مسرعين وراء العدو يطاردونه بأسلحتهم الفردية من كافة أطراف القرية يؤازرهم في هجومهم رجال المفرزة المتمركزة في المرتفعات إلى الجنوب الغربي من مكان الاعتداء وقد دامت المطاردة زهاء ساعة اضطر بعدها العدو إلى

الانسحاب تاركاً وراءه أربعة قتلى وبعض تجهيزات مبينة أدناه. توقفت المطاردة بعد أن احتل المجاهدون كافة المرتفعات المحيطة مباشرة بالقرية بما فيها القسم الشرقي لتل المطلّة ويقع في منطقة الدفاع الصهيونية. إن التمسك بهذا القسم من التل أمر لا مناص منه لمن يودّ الدفاع عن القرية حتى أن المجاهدين أنفسهم أدركوا ذلك وتمركزوا فيه. التجهيزات التي خلّفها العدو وراءه داخل المنطقة المجردة هي:

(رشاش ألماني - شريط ذخيرة للرشاش - بندقيتان ألمانيتان - بندقية تشيكية - ثلاث قبعات عسكرية منها واحدة تحمل الشعار الإسرائيلي - حاملة جرحى - حربة - نطاق قماش مع مزاود من اللون الخاكي - بعض أوراق عثر عليها مع أحد القتلى). بعد مضي ساعة تقريباً انسحب الصهاينة إلى أماكن تبعد كيلومترين تقريباً من مراكز العرب وأخذوا في تحصين مراكزهم الجديدة مع مواصلة إطلاق النار على العرب من أسلحة رشاشة فقط.

في الساعة /١١،١٥/ حلّقت ثلاث طائرات معادية فوق منطقة الشمالنة على ارتفاع يقدر بـ /٦٠٠/ متراً تقريباً، وقد دام التحليق مدة نصف ساعة، اجتازت خلالها إحدى الطائرات مرتين الأراضي السورية على مرأى من المراقبين الدوليين الذين كانوا يراقبون الحوادث من مخفر الدكة صحبة المقدم «جميل زهر الدين» آمر هذه المنطقة اعترف المراقبون بتخطي الطائرات للأراضي السورية كما شاهدوا العدو يطلق نيرانه الغزيرة باتجاه مراكز العرب. وقد اتصل المراقبون عندئذ لاسلكياً برفاقهم المقيمين مع الجانب الصهيوني وأبلغوهم عن مشاهداتهم للطائرات وخرقها لاجتيازها الحدود مع التنوية بغزارة الرمي من قبل الصهاينة. بينما يلزم العرب السكوت التام.

ذهب المراقبون بعدئذٍ إلى مخفر الحاصل واجتازوا نهر الشريعة حيث إتصلوا ببعض الأهالي للوقوف على حقيقة اعتداء الصهاينة. وبعد أن ضبطوا إفادات بعض المدنيين وأحد الجرحى منهم قفلوا راجعين إلى منطقة الجسر.

منذ الساعة /١٢،٣٠/ خيّم السكون على جبهة القتال بحيث لم يعد يسمع إلا طلقات فردية قليلة بين حين وآخر. وفي الساعة /١٧،٢٠/ جاءت من جهة الجنوب طائرة استطلاع معادية حلّقت زهاء خمس عشرة دقيقة فوق مراكز العرب ثم اختفت.

في الساعة /١٧،٣٠/ وبعد هدوء دام خمس ساعات تقريباً بدأ الصهاينة يقذفون مراكز العرب بحمم من قذائف الهاون دام مدة نصف ساعة تقريباً ثم انقطع مدة ساعة، استأنفوا بعده القصف الشديد من الهاون والرشاشات بغزارة فائقة. تبعها حوالي الساعة /١٩،٣٠/ هجوم شديد، اضطر المجاهدون للتخلي عن بعض المراكز لا سيما تل المطلة بسبب نفاذ ذخيرتهم وتوقف بعض أسلحتهم يضاف إلى ذلك شدة عنف القصف.

توقف العدو عن الهجوم بعد أن أصبح الليل حالكاً وأكثر قوى المجاهدين قد تراجعت عن مراكزها. ومنذ الساعة /٢٠،٣٠/ تقريباً انقطع الرمي وخيّم الهدوء على أطراف جبهة القتال. فحيال شدة وطأة هجوم العدو ووفرة أسلحته التي استخدمها في هجوم المساء. أصبح سقوط كافة المرتفعات مؤكداً في صباح اليوم التالي. إذ لم تعزز قوى المجاهدين بعناصر من الجيش تقف أمام هجمات الصهاينة وتجيب عليها بنيران تكفل تحطيمها. لذلك وبغية المحافظة على المنطقة المجردة وفيها قرية الشمالنة التي يتعذر الدفاع عنها دون الاحتفاظ بالمرتفعات فقد رأت قيادة القطاع تعزيز المرتفعات بفصيلتين من الجيش ينزع عن أفرادها اللباس العسكري قدر المستطاع. وبعد أن نال اقتراحها موافقة السلطات العليا أُوعِزَ إلى المقدم «جميل زهر الدين» آمر النصف الجنوبي للقطاع الأوسط بتحقيق ذلك فأوفد على الفور فصيلاً من فوج المشاة الأول بقيادة الملازم «واصف جيوشي» وفصيلاً آخر من السرية الثانية للفوج /١٦/ بقيادة الوكيل «ذيوب». وقد عهد للملازم «جيوشي» بقيادة كافة العناصر المشتركة في القتال بما فيهم العرب من سكان القرية. فأخذ الضابط بنشاط بارز وجرأة كبيرة يعمل ليلاً على انتقاء المراكز وتنظيمها استعداداً لمعركة الغد وهي بدون شك واقعة. كما أن الذخيرة قد وصلت في الساعة /٢٠،٠٠/ من دمشق ووزعت على المجاهدين. وهكذا أخذت العناصر المقاتلة في تحصين مراكزها طيلة الليل استعداداً للغد.

في الساعة الواحدة من صباح /٣/ ٥/ ١٩٥١/ أوفد المقدم «جميل زهر الدين» مساعده آنئذٍ الملازم الأول «شهير دريعي» آمِر سريةْ البطيحة إلى المرتفعات للتثبت من أماكن تمركز العناصر المقاتلة والوقوف على مدى تحضير استحكاماتها. وقد عادا في الساعة الرابعة والنصف بعد أن زارا كافة المرتفعات، ووقفا على مدى تحصين مراكز شاغليها.

الخميس / ٣/ ١٩٥١/٥/ منذ الساعة / ٢٠، ٠٦/ أخذ الصهاينة بقصف مراكز المقاتلين بغزارة شديدة من قنابل الهاون والرشاشات.

كما أنهم استخدموا المدفعية الثقيلة على نطاق ضيق بالنسبة لمدافع الهاون التي كانت قذائفها تتساقط في كل مكان من أنحاء الجبهة. ولكن هذا القصف لم يحط من جرأة جنودنا وحماسهم إذ تقدموا بالرغم من كثافة النيران وهاجموا الصهاينة في تل المطلة واستعادوه دون مقاومة تذكر.

في الساعة / ٧،٣٠/ وبعد أن بلغ القصف ذروته قام العدو بهجوم عنيف استهدف المنطقة الوسطى لجبهة القتال وجناحها الأيمن حيث يقع تل المطلة. لكن قواتنا وأغلب عناصرها من الجيش صمدت أمام هذا الهجوم بعزيمة تستدعي الإعجاب حقاً وردت العدو على أعقابه مُنزلة به خسائر فادحة تقدر بما لا يقل عن خمسة عشر قتيلاً وعدداً وافراً من الجرحى. تمكن العدو من التمركز في الجزء الغربي من تل المطلة على مسافة مائة متر من قواتنا في هذا التل، لم يكن هذا الجزء محتلاً من قبل عناصرنا.

على أثر عودة الصهاينة لإطلاق النار هذا الصباح أوفد آمر القطاع رئيس أركانه المقدم «صباغ» لتمثيله في منطقة القتال والإشراف على سير المعارك فيها. وقد وصل مخفر الحاصل في الساعة الثامنة تقريباً حيث كان رصاص العدو يتناثر داخل المخفر. فاستلم قيادة المعارك يساعده المقدم «جميل زهر الدين» والملازم الأول «شهير دريعي».

لقد حصل من احتلال قواتنا لتل المطلة أن اتسعت جبهة القتال وأصبحت القوى المدافعة عنها غير كافية لتأمين الدفاع. لذلك وعلى الفور عززت هذه القوى بفصيل آخر من فوج المشاة الأول مزود بأربعة رشيشات وذخيرة وافرة أرسل إلى المنطقة الوسطى للجبهة حيث كان ضغط العدو شديداً. وقد تنكر أفراد هذا الفصيل بقدر الإمكان بألبسة مدنية جُمعت من الأهالي المدنيين المقيمين في البطيحة. كما طلبت قيادة هذه العمليات تعزيزها باحتياط آخر من العسكريين يرتدون الألبسة المدنية فوعدت بإيفاد فصيل مزود بأربعة رشيشات من كتيبة الاستطلاع. كذلك عزز الجناح الأيمن بحضيرتين من سرية البطيحة ارتدوا ألبسة مشابهة لفصيل الفوج الأول.

لقد أرسلت هذه العناصر فوراً إلى مراكز القتال حيث تمّ تمركزها في الساعة العاشرة تقريباً. ولما خفت وطأة النيران للعدو عملت قيادة العمليات على تموين المقاتلين بالذخائر اللازمة وقد وصلت جميعها بواسطة المدنيين الذين استخدموا لنقل الذخيرة والطعام. أما المياه فقد كانت نساء القرية يقمن بتأمينها. أما العدو فقد بدأت تصله نجدات كبيرة تقدر بمائتي جندي عن طريق طبريا ودير الطليان وقد كانت تشاهد وهي تتسلق المرتفعات شمال غربي الدير.

في الساعة /١٠،٠٣/ أتت ثلاث طائرات معادية من نوع «سبتفاير» وحلقت فوق منطقة القتال مدة عشر دقائق استطلعت خلالها أماكن قواتنا وعادت أدراجها.

في الساعة /١٠،٣٠/ تقريباً وصل اثنان من المراقبين الدوليين للوقوف على الحالة وبينما كانا يستطلعان جبهة القتال بالقرب من بناية اليوسف سقطت بجوارهما عدة طلقات من الرصاص تبعتها نار شديدة من الرشاشات على مراكز قواتنا وعادت قذائف الهاون تتفجر في جبهة القتال بعد أن سبق وخيم الهدوء نسبياً على أنحاء الجبهة مدة ساعتين تقريباً. وقد أخذ القصف بالازدياد حتى بلغ ذروته في الساعة /١٢،٠٠/ ودام على هذا العنف والشدة مدة ساعتين شنّ خلالها العدو عدة هجمات ضارية باءت جميعها بالفشل إذ ظلت قواتنا محافظة على مراكزها تتمتع بمعنويات عالية.

خفت حدة القصف في الساعة /١٤،٠٠/ حيث لم يعد يسمع إلا انفجار بعض القنابل بين حين وآخر تتخللها بعض رشقات من أسلحة أوتوماتيكية.

عمدت قيادة العمليات إلى تمديد خط هاتفي يصل مخفر الحاصل بالمنطقة الوسطى لجبهة القتال وقد كان هذا التدبير ضرورياً للوقوف على سير المعارك في حينها وتدارك ما يلزم.

في الساعة /١٦،٣٠/ وصلت مخفر الحاصل مفرزة من كتيبة الاستطلاع تعدادها /٤٥/ خمسةٌ وأربعون عسكرياً بقيادة الملازم «جواد انزور» وهي ما وعدت به قيادة العمليات من إمدادات.

عملت عندئذ قيادة العمليات على تنظيم منطقة القتال حيث قسمتها إلى ثلاث قطيعات:

القطاع الشمالي: يشكل الجناح الأيمن للجبهة:

- تقوم بالدفاع عنه مفرزة الكتيبة الثانية مزود بأربع رشيشات ومدفعي هاون /٢/ إنش.

- يؤازر المفرزة عشرون مجاهداً مزودين بأسلحة فردية ورشيش برن.

- يعهد بقيادة القطاع إلى الملازم «جواد انزور».

القطاع الأوسط: يشكل المنطقة الوسطى لجبهة القتال:

- تقوم بالدفاع عنه أربع حضائر من الفوج الأول مزودين بستة رشيشات مع عشرين مجاهداً مزودين بأسلحة فردية ورشيش برن.

- يعهد بقيادة القطاع إلى الملازم «واصف جيوشي».

القطاع الجنوبي: يشكل الجناح الأيسر للجبهة:

- تقوم بالدفاع عنه أربع حضائر من الفوج السادس عشر مزودة بأربعة رشيشات مع عشرين مجاهداً مزودين بأسلحتهم الفردية ورشيش برن.

- آمر القطاع الوكيل «ذيوب»

قيادة جبهة القتال: أسندت قيادة الجبهة في الخطوط الأمامية إلى الملازم «واصف جيوشي» آمر القطاع الأوسط الذي كان يتصل هاتفياً مع قيادة العمليات في مخفر الحاصل.

الاحتياط: - وضعت حضيرتان وراء القطاع الأوسط تحت تصرف الملازم «واصف» لاستخدامهما وفقاً لتطورات الوضع وتعليمات قيادة العمليات، كذلك أرسلت قيادة العمليات في طلب جهازي هاتف وباقي شريط هاتف لتأمين الاتصال الهاتفي مع كافة القطاعات فور وصول مفرزة كتيبة الاستطلاع وقد كان أفرادها يرتدون الألبسة المدنية باستثناء عشرة منهم استدركت لهم بعض الألبسة المدنية من سكان البطيحة.

سيّر الجميع إلى أماكن تمركزهم. وأوعز إلى الملازم جيوشي بتطبيق التنظيمات الجديدة دون تحديد الوقت ووفقاً للظروف. في تمام الساعة /١٧،٣٠/ بدأ العدو يطلق قذائف الهاون والمدفعية الثقيلة على خطوط تمركز القوى وقد كانت هذه النار غزيرة للغاية تكاد لا توصف. دام هذا القصف المريع حتى الساعة /١٩،١٥/ حيث اقتصر عندئذٍ على بعض الرشات. وقليل من قنابل الهاون. وفي تمام الساعة/ ١٩،٤٥/ توقف اطلاق النار بشكل تام تقريباً.

بلغت خسائرنا هذا اليوم /٣/ جرحى أحدهم جراحه بليغة. أما خسائر العدو فقد بلغت وبصورة شبه أكيدة /٢٥/ قتيلاً مع عدد مجهول من الجرحى يقدر بما لا يقل عن خمسين. بالرغم من شدة القصف الذي كان غزيراً للغاية فقد اعتصمت قواتنا في أماكن تمركزها ومعنوياتها عالية جداً. إن مجرد الصمود تحت وطأة هذا القصف لدليل واضح على مدى شجاعة الجندي السوري التي تستدعي الإعجاب حقاً.

لقد بات الجميع هذه الليلة وهم يعملون على تحسين التحصينات بهمة كبيرة ومعنويات عظيمة يتلهفون لتلقي الأومر بالانقضاض على العدو. لقد تمّ ليلاً تمديد آلات الهاتف لكل من القطيعات الثلاثة.

الجمعة /٤/ ٥/ ١٩٥١/ بدأ العدو إطلاق نيرانه منذ الساعة /٠٤،٤٥/ برشاشات غزيرة من الأسلحة الأوتوماتيكية وقصف شديد من مدافع الهاون وقد ظل الرمي يزداد عنفاً حتى بلغ ذروته في الساعة /٠٥،٣٠/ حيث شنّ العدو هجوماً عنيفاً خلف سحاب كثيف من الدخان. وقد كان مركزاً نحو القطاع الأوسط غير أن شجاعة جنودنا واستبسالهم حالت دون نجاح العدو فارتد على أعقابه بعد أن مني بخسارة كبيرة في الأرواح.

لقد اتضح بعد طلوع الفجر أن المرتفع القائم على تل المطلة غير محتل من قبل جنودنا نتيجة إخلائه مساء البارحة حين تنظيم تقسيمات الجبهة دون احتلاله من قوى القطاع الشمالي. فور التثبت من ذلك وفي الساعة /٠٥،١٥/ أوعزت قيادة العمليات إلى آمر القطاع الشمالي بضرورة احتلاله بمنتهى السرعة لا سيما وقد كان البارحة موضع محاولات عديدة وشديدة من قبل العدو لاحتلاله. تابعت قيادة العمليات تسيير الجنود لاحتلاله رغم نيران العدو وقد توصلت للهدف دون أية خسارة لأن العدو لم يكن يدري

بخلوه من عناصرنا ولم يتجاسر ليلاً للاقتراب منه دام قصف نيران العدو بغزارة شديدة حتى الساعة /٠٧،٣٠/ حيث خفت حدته واقتصر على رشّات تُرسل بين حين وآخر تتخللها بعض طلقات من مدافع الهاون.

في الساعة /٠٨،٣٠/ حلقت فوق منطقة القتال مدة /٣٥/ دقيقة طائرة معادية من نوع سبيتفاير. وقد كان تحليقها على ارتفاع /١٥٠٠/ متر تقريباً. خفت حدة النار اعتباراً من الساعة /٠٩،٠٠/ حيث انقطعت تقريباً ودام الهدوء حتى الساعة /١١،٣٠/ وقد رافق هذا الهدوء المتفرق زيارة الملحقين العسكريين لمخفر الحاصل. حيث لم تصدر أثناء وجودهم فيه أية طلقة من جهة العدو رغم استفزازه من قبل جنودنا بناء على توصيات من المراجع العليا.

في الساعة التاسعة تقريباً وصلت لقيادة العمليات /٧٥/ بزة مدنية أرسلت فوراً إلى العسكريين المعتصمين في المرتفعات لاستبدال ألبستهم العسكرية بحيث يكون الجميع عندئذٍ باللباس المدني.

انتهزت قيادة العمليات فرصة الهدوء المخيم على الجبهة وعملت بواسطة المدنيين الذين جمعتهم من البطيحة على تموين قواها بالذخائر والطعام والمياه. وقد تمّ ذلك بسهولة نظراً لانقطاع القصف.

في الساعة /١١،٣٠/ وبعد مضي ساعة من ذهاب الملحقين العسكريين عاود العدو قصف مواقعنا بقنابله التي كانت تزداد غزارة حتى أصبحت لا تطاق تقريباً في الساعة /١٢،٣٥/ وقد بلغت في الساعة /١٣،٤٠/ عنفاً لا يوصف. غير أن ثبات جنودنا وإحباطهم كل محاولة هجوم للعدو وأجبره على الإقلاع عن عناده بحيث أخذت وطأة نيرانه تخف منذ الساعة /١٣،٥٠/ بشكل واضح وملموس.

تلقت قيادة العمليات أمراً في الساعة /١٤،٣٠/ بلزوم وقف النار اعتباراً من الساعة /١٥،٣٠/ تنفيذاً لاتفاقية جرت بين مفاوض الجهتين في لجنة الهدنة. أوعزت قيادة العمليات إلى آمري القطعات بتنفيذ هذه الأوامر على أن يكونوا على أتمّ يقظة لإجابة العدو بمعدل طلقتين مقابل كل طلقة يرسلها العدو بعد الساعة المحددة لوقف النار.

لم يحترم الصهاينة اتفاقية وقف إطلاق النار وقد كان ذلك متوقعاً في تمام الساعة /١٥،٣٥/ أطلق العدو عدة قذائف هاون استشهد من جرائها أحد المجندين من الفوج الأول، وقد أجيبت على هذه القذائف بعدة رشات من مراكزنا ثم انقطعت النار تقريباً من الجانبين.

في الساعة /١٦،٣٠/ وصل المراقبون الدوليون للتثبت من وقف إطلاق النار وقد أوعزت قيادة العمليات عندئذٍ إلى كافة مراكزها بلزوم تحاشي إطلاق النار إلا في حالة تقدم العدو أو قيامه بهجوم. قام العدو أثناء وجود المراقبين بإطلاق ثماني عشرة قنبلة هاون بين الساعة/ ١٧،١٠، و١٧،٣٠/ مع نيران قليلة من رشاشاتهم بينما لم تصدر أية طلقة من قواتنا. كذلك في الساعة /١٩،٠٠/ وقبل ذهاب المراقبين أطلق الصهاينة سبع قنابل هاون ورشاشات غزيرة من أسلحتهم أجيب عليها ببعض طلقات فردية اعتبرها المراقبون صادرة عن العرب المجاهدين دفاعاً عن أنفسهم.

استدعى المراقبون مختار قرية الشمالنة فقام بتمثيل دور سبق أن عهد إليه فأحسن تمثيله. وقد أرسل المراقبون بعدئذٍ برقية تضمنت التعبير التالي: «مساهمة الجيش السوري غير مؤكدة لعدم وجود أدلّة».

أوعزت قيادة العمليات بعد مضي نصف ساعة على ذهاب المراقبين إلى قواتها المقاتلة بضرورة الإجابة على الإعتداء بالمثل. في الساعة /١٩،٠٠/ حاول العدو التقدم لتحسين مراكزه فأجبر على التقهقر بعد أن أصلته قواتنا نيراناً حامية. وصلت مفرزة من كتيبة الاستطلاع قوامها /٢٥/ عسكرياً لتعزيز مفرزتها السابقة بناء على طلب قيادة العمليات فاحتفظ بهذه المفرزة في مخفر الحاصل وأرسلت عند هبوط الظلام إلى القطاع الشمالي، كما عززت قوى القطاع الأوسط بحضيرتين من فوج المشاة الأول.

بلغت خسائرنا هذا اليوم: /٣/ قتلى (مجند من الفوج الأول ومجندان من الكتيبة). /٦/ جرحى (ملازم و ٣ مجندين من الفوج الأول - جندي ومجند من الكتيبة).

لم يكن بين الجرحى إصابات خطيرة. كما أن عدداً آخر أصيب بجراح فأجريت لهم الإسعافات اللازمة في مراكز القتال.

تقدر خسائر العدو بـ /١٥/ قتيلاً بصورة جازمة وعدد كبير من الجرحى. توقف إطلاق النار بصورة تامة تقريباً في الساعة /٢٠،٠٠/ وأخذت قواتنا تعمل على تحسين مراكزها بانتظار ما يبيته العدو لليوم المقبل.

السبت في /١٩٥١/٥/٥/ في الساعة الرابعة والنصف ابتدأت مدافع العدو من هاون ومدفعية ثقيلة تقصف مراكز قواتنا بغزارة كثيفة ترافقها نيران متواصلة من الرشاشات. وقد ازدادت كثافة النار في الساعة /٠٥،٤٠/ شوهدت بعدها طلائع العدو تتقدم نحو القطاع الأوسط. تصدت لها مراكزنا الأمامية وأصلتها نيراناً حامية ومحكمة. انقلب الهجوم بعدها إلى تراجع. وقد دام القصف بغزارته المذكورة حتى الساعة /٠٦،٤٠/ حيث خفّ نسبياً.

بعد أن اتضحت سوء نية الصهاينة وعدم احترامهم لاتفاقية وقف إطلاق النار أرسلت قيادة العمليات تطلب تعزيزها بنجدات جديدة بعد أن اتضح إصرار العدو على متابعة القتال، كما أن استخدامه المدفعية الثقيلة ينذر بعزمه على عدم الوقوف عند هذا الحد نتيجة تدخل المراقبين.

كذلك ولما كان الملازم «واصف جيوشي» آمر القطاع الأوسط قد جرح في صباح اليوم الماضي وغادر الجبهة مساءً بعد أن تلقى أمراً بذلك إذ كان يصرُّ على البقاء. قررت قيادة العمليات تعويضه بضابط آخر لا يقلُّ عنه جرأة واندفاعاً فاستدعت الملازم الأول «أسعد عمير» من فوج المشاة الأول الذي وصل مخفر الحاصل في الساعة التاسعة. دام تبادل النار مع العدو حتى الساعة /١٠،٣٠/ بشكل متواصل يتخلله قصف عنيف أحياناً.

وصل المراقبون الدوليون في الساعة /١٠،٥٥/ واتصلوا لاسلكياً مع رفاقهم الموجودين لدى إسرائيل. وقد أكد لهم الرفاق المذكورون عن صدق نية الإسرائيليين لاحترام اتفاقية وقف إطلاق النار. بعد الاتصال اللاسلكي أعلم المراقبون رئيس أركان القطاع وقد كان بالقرب منهم نتيجة اتصالهم وحسن نوايا الصهاينة وقد طلبوا من الضابط المشار إليه أن يساعدهم في تبليغ ذلك إلى مختار قرية الشمالنة. غير أنهم ما كادوا يتمون حديثهم وقد كانت الساعة عندئذٍ /١١،٠٥/ حتى سُمِعَ انفجار قنبلة ظهرت آثارها على المرتفعات التي تعتصم بها قواتنا وقد تتابعت الانفجارات فأحصاها المراقبون

وبلغت أحد عشر انفجاراً خلال مدة عشرين دقيقة كان الصهاينة خلالها يطلقون نيران رشاشاتهم بغزارتها المعهودة. وقد أطلقت قواتنا عندها نيرانها إذ ثَبُت بعدئذٍ أن العدو كان يحاول التسلل لتحسين مواقعه. وقد كانت خيبة المراقبين كبيرة لنكث الصهاينة بوعودهم بعد أن أكد لهم رفاقهم المراقبون منذ عشر دقائق عن حسن نية الصهاينة.

ظلّ تبادل إطلاق النار متواصلاً بحضور المراقبين حتى الساعة /١١،١٥/ حيث انقطع من الجانبين نتيجة تدخلهم استدعى المراقبون في الساعة /١١ر٤٥/ مختار القرية وطلبوا إليه الكف عن متابعة إطلاق النار مظهرين أسفهم لعدم تقيد الصهاينة باتفاقية وقف إطلاق النار.

وردت تعليمات إلى المراقبين لاسلكياً بضرورة بقاء أحدهم ليلاً في البطيحة، أرسل الملازم الأول «أسعد عمير» إلى الجبهة عوضاً عن الملازم «واصف جيوشي» بعد أن زود بالتعليمات اللازمة وقد كان شديد الحماس يتحلى بمعنويات عالية.

في الساعة /١٨،٣٠/ وصلت مخفر الحاصل مفرزة من كتيبة الاستطلاع تعدادها /٤٥/ عسكرياً تشكل أربع حضائر برئاسة الرئيس «كمال قانوقا» وقد طلبتها قيادة العمليات لاستخدامها في تبديل عناصر الكتيبة المقيمة في الخطوط الأمامية بعد أن مضى عليها يومان في قتال عنيف.

وبما أن مفرزة الرئيس «كمال» وصلت متأخرة فقد أرجيء التبديل حتى صباح اليوم التالي مخافة أن يحصل ضياع أحد المراكز الدفاعية من جراء التبديل ليلاً كما حدث سابقاً حين أهمل احتلال تل المطلة. لذلك فقد أوعز إلى الرئيس «كمال». بتمركز عناصره في الضفة الغربية لنهر الشريعة حيث تكون أيضاً بمثابة احتياط يدعم المراكز الأمامية حين الحاجة.

بلغت خسائر العدو نتيجة هجوم هذا الصباح سبعة قتلى وخمسة عشر جريحاً على أقلّ تعديل. أما خسائرنا فهي: جريحان أحدهما رقيب من الكتيبة والثاني جندي من سرية الفوج /١٦/.

لقد خيّم الظلام على الجبهة والهدوء يشملها كما كانت معنويات قواتنا ممتازة.

الأحد /٦/٥/١٩٥١/ في الساعة /٠٢،٣٠/ ابتدأ العدو بإطلاق نار غزيرة من مدفعيته الثقيلة عيار /١٥٥/ ومن مدافع هاون عديدة مختلفة الأنواع ومن رشاشات كثيرة. وقد كانت قنابل المدفعية تتساقط بغزارة داخل قرية الشمالنة فتتناثر شظاياها داخل الأراضي السورية في مخافرنا الأمامية.

لقد كانت مراكزنا الأمامية في الجبهة تنتظر قيام الصهاينة بأعمال عدائية لسماعها منذ الساعة /٠١،٣٠/ ضوضاء شديدة صادرة من جهة مراكز العدو. لذلك استعدت لكل طارىء ووقفت متهيئة لصد كلّ محاولة هجوم.

ولما طال القصف وهو على شدته المذكورة تبينت نوايا العدو بشنّ هجوم كاسح للاستيلاء على مراكزنا. لذلك أوعز إلى الرئيس «قانوقا» بالتقدم إلى المراكز الأمامية مع مفرزته المتمركزة في الضفة الغربية للنهر لدعم الخطوط الأمامية خوفاً من تداعيها. وقد تقدم المقدم «زهر الدين» من تلقاء نفسه لمراقبة الرئيس «كمال» ومؤازرته في إيصال المفرزة حيث يصعب التقدم ليلاً في منطقة القتال تحت نيران مدفعية العدو الغزيرة.

بعد تمهيد عنيف من نيران كثيفة دام حتى الساعة /٠٢،٣٠/ تقدمت مشاة العدو في الساعة /٠٢،٥٠/ اقتربوا نحو مراكزنا في الجبهة الوسطى فاصطدمت بحاجز منيع من نيران رشيشات المراكز الأمامية وقد كانت تنتظرها وأنزلت بالعدو خسائر جسيمة حيث كانت أصوات الاستغاثة والعويل تسمع جلياً وتصل إلى مخافرنا وهي تبعد عن العدو مسافة /٢٠٠/ متر تقريباً وفي بعضها ستون متراً فقط.

فشل الهجوم وتراجع العدو بعد أن مني بصدمة أليمة. ازداد القصف عنفاً وظل حتى الساعة /٠٣،٣٠/ حيث عاد العدو فشنّ هجوماً كان أسوأ مما سبق وقد لحقت به خسائر فادحة.

للمرة الثالثة عاد القصف إلى شدته وعنفه وظلّ حتى الساعة /٠٤،٣٠/ حيث كرر العدو هجومه وعاد على أعقابه متقهقراً مخلفاً وراءه عدداً كبيراً من القتلى والجرحى. كذلك في الساعة /٠٥،٤٠/ وبعد قصف مرير من المدفعية الثقيلة والهاون سمعت طلقات رشاشات غزيرة جداً يرجح أنها صادرة عن قاعدة نيران مهدت للعدو هجوماً شنّه على مراكزنا الأمامية في الساعة /٠٦،٠٠/ وباء كهجماته السابقة بالفشل. بعد أن تكبد

العدو خسائر كبيرة جداً.

لقد كانت جميع هجمات العدو مركزة على القطاع الأوسط دون الجواب بقصد احتلال مرتفع هام تسقط بالاستيلاء عليه كافة أنحاء الجبهة. غير أن القوى المرابطة في هذا القطاع ظلت ثابتة في أماكنها تصد هجمات العدو وتنزل به أكبر الخسائر. وبعد ذلك الحين وحتى الساعة الثامنة ظل العدو يواصل القصف ورمي الرشاشات دون هوادة وقام بما لا يقل عن هجومين على القطاع الأوسط.

عاد المقدم «زهر الدين» في الساعة السابعة والنصف تقريباً إلى مركز القيادة بعد أن اطمأن إلى وصول الرئيس «كمال» مع عناصر مفرزته وراء الخطوط الأمامية في القطاع الأوسط. وقد تفقد قطاع الوكيل «ذيوب» واطمأنّ إلى مراكزه.

بعد الساعة الثامنة والنصف ساد منطقة القتال هدوء نسبي وخفت وطأة القصف نسبياً حتى الساعة /٠٩،٤٥/ حيث جاءت أربع طائرات معادية حلقت فوق الأراضي السورية ومنطقة القتال ثم انقضت على مراكز القتال وأصلت قواتنا ناراً حامية للغاية من قنابلها ورشاشاتها، لم يؤثر في الطائرات رمي رشاشاتنا المضادة وقد أطلقت عليها من مراكز القتال ومخفر الحاصل. كانت الطائرات الأربع تفرغ قنابلها وتغيب عن أنظارنا لتعود بعد ثلاث أو أربع دقائق أخرى مما يستنتج اشتراك عدد من الطائرات أكثر من أربع.

منذ القصف الأول للطائرات شوهدت القوى الأمامية وهي تغادر مراكزها هرباً من نار لا تطاق. أخذت الطائرات على ارتفاع ضئيل تطارد المتراجعين وتصليها ناراً حامية.

دام قصف ورمي الطائرات حتى الساعة /١٠،١٥/ حيث انصرفت بعد أن تأكدت من تراجع قواتنا.

شوهد عدد كبير من العدو يسير فوق المرتفع الذي انسحبت عنه قواتنا في تمام الساعة /١٠،٢٠/ وثبت عندئذٍ احتلالهم لهذا المرتفع الهام. ظلت عملية انسحاب قواتنا مدة ست ساعات تقريباً حيث تمت بشروط ممتازة. بعد انسحاب قواتنا وحوالي الساعة /١١،٠٠/ كانت نيران الرشاشات تتساقط على مخافرنا في الأراضي السورية، حتى أنه سقطت قنبلتان قرب منزل السيد «فؤاد اليوسف»، قتلت من جرائها طفلة

وأصيبت امرأتان بجراح خطيرة. شاهد المراقبون وبينهم رئيس لجنة الهدنة المشتركة القنبلتين المشار إليهما.

خسائر العدو تقدر حتماً ما لا يقل عن مائتي قتيلٍ وعدد كبير من الجرحى.

بيان عدد العسكريين المفقودين في معركة يوم الأحد /٦/ ٥/ ١٩٥١/ .

فوج المشاة الأول عدد -٢ - مجندان -فوج المشاة ١٦ عدد - ١ - جندي - المجموع ثلاثة.

الشهداء: فوج المشاة الأول عدد - ٢ - (ضابط ورقيب) - كتيبة الاستطلاع عدد - ٢ - (وكيل ومجند) - الفوج ١٦ عدد - ١ - (جندي) مدنيون /١١/ .

الجرحى: الفوج الأول عدد /١٨/ (- ١ - ضابط - ٢ - رقباء - ١٥ - أفراد).

كتيبة الاستطلاع عدد /١١/ (- ٢ - رقباء - ٩ - جنود).

الفوج ١٦: عدد /٢/ (- ١ - وكيل و - ١ - مجند).

مجاهدون: عدد /٤/ (- ٢ - رجال و - ٢ - نساء).

انتهى التقرير بعد أن غطى معارك منطقة الشمالنة حتى /٦/ ٥/ ١٩٥١/ .

الاثنين /٧/ ٥/ ١٩٥١/

بعد الظهر أطلق زورق صهيوني من شمالي بحيرة الحولة النار على الرعاة في وادي الفجر. ردّ الرعاة على النار بالمثل - وأطلقت عليهم النار من «بودهام» أيضاً. جاء زورق آخر سحب الأول الذي توقف عن العمل بسبب إصابته بنار الرعاة. حلقت طائرة صهيونية فوق المنطقة المحرمة، وبعد عودتها أُطلقت النار علينا من قرية زبيد.

الصورة عن المراسيم التي صدرت في الجريدة الرسمية القاضية بمنح بعض العسكريين الذين اشتركوا في معركة الشمالنة، الوسام الحربي الذي استحقوه، تقديراً

للشجاعة والبسالة التي أبدوها مع وسام الجرحى للذين أصيبوا أثناء تلك العمليات. بناء على اقتراح آمر القطاع الأوسط /تتبع في الملحق/.

أما قائد القطاع الذي وجّه وقاد عملياً هذه المعركة فقد أهملته القيادة ولم ترشحه! . نظراً لظروف المعركة واشتراك بعض عناصر الجيش السوري بصورة سرية كان من المتفق عليه أن يبقى هذا القائد في مقر قيادته الدائم في العليقة (الخط الثاني) لاستقبال المراقبين أثناء جولاتهم الكثيرة. لأن اشتراك أي وحدة من الجيوش النظامية لم يكن مسموحاً به بموجب شروط الهدنة. وهكذا طبقت لجنة الهدنة هذه الشروط على الجيش السوري. بينما سلطة تلك اللجنة ودولها لا تشمل اسرائيل وجيشها.

كيف استولت اسرائيل على المنطقة المجردة

تبين أن الهدنة كانت مرحلة حتى تتمكن اسرائيل خلالها من فرض سيطرتها على المنطقة المجردة والتي كان يحتلها الجيش السوري داخل فلسطين بأساليب مختلفة. هذه المنطقة وضعت تحت سلطة وإشراف لجنة الهدنة المشتركة يكون فيها شرطة محلية وقد عاد إليها سكانها العرب والصهاينة كل إلى قريته. ولم يمضِ وقت طويل حتى هاجم الجيش الصهيوني قرى «البقارة» وطليل ومزرعة الخوري وأجلوا سكانها إلى الداخل حتى يتمّ طردهم فيما بعد من فلسطين. ونهبوا مواشيها وأثاثها ونسفوا بيوتها بالديناميت ولجنة الهدنة تراقب ولا تمنع ذلك رغم اعتراض الوفد السوري على هذه الأعمال.

وبناء على شكوى سوريا أصدر مجلس الأمن قراراً بعودة السكان العرب إلى قراهم. لكن اسرائيل لا تنفذ قرار مجلس الأمن بسبب حمايتها من قبل الولايات المتحدة الأمريكية. وما إن تمّ لهم السيطرة على منطقة طليل ومزرعة الخوري والبقارة وحتى القرى العربية المجاورة في اسرائيل مثل الغنامة والحسينية وتنظيف تلك المنطقة من سكانها العرب والاستيلاء على أملاكهم حتى باشروا هجومهم على القرى العربية الأخرى، على امتداد المنطقة المجردة في النقيب العربية شرق بحيرة طبريا والسمرة جنوبها. وسوريا تساعد أهلها وتدعمهم وتحتج لدى لجنة الهدنة بدون فائدة. هاجمت قوة مسلحة الحمة لاحتلالها - قطعوا المنطقة المجردة من سمخ حتى مدخل الحمة

مسافة تزيد على سبعة كيلومترات في المنطقة المجردة حيث تصدت لهم مخافر الجيش السوري ومنعتهم من الوصول إلى هدفهم وتكبدوا خسائر.

ومن شروط الهدنة لا يجوز لأحد أن يغير من طبيعة الأرض. لقد بدأ التجفيف في جوار بحيرة الحولة والمستنقعات شمالها ورغم الاعتراض وإطلاق النار على الجرارات - استمر العمل. إن إطلاق النار من قبل العرب مخالف لشروط الهدنة - أما الهجوم على السكان العرب وعمل الجرارات في أراضيهم وجعلها غير صالحة للاستعمال وتعميق مجرى النهر ومنع وصول الماء إلى أراضيهم الباقية فهذا يحتاج إلى مفاوضات.

إن هدف اسرائيل منع العرب من ري أرضهم في جوار الحولة وذلك بتعميق مجرى النهر حتى يستفيدوا من أرض بحيرة الحولة المجففة والمستنقعات الواسعة شمالها لاستثمارها ويكون العدو قد استفاد من هذه المياه الذي يحجزها كلياً أمام سد جنوب جسر كعوش قبل وصولها إلى بحيرة طبريا. وذلك بضخ الماء إلى المرتفعات وسحبها بأقنية ضمن (أنابيب) جاهزة لري سهول مرج ابن عامر وغيره داخل فلسطين.

إن مياه نهر الشريعة أكثر مصادرها من الدول العربية من سوريا مثل نهر بانياس ونهر الحاصباني من لبنان وغيرهما من الوديان والينابيع . إذا مُنعت هذه المياه من الوصول إلى بحيرة طبريا تزيد حموضة المياه فيها ولا يكفي نهر اليرموك النابع من الأراضي السورية والذي يصب فيها من تعديل حموضتها كثيراً. ولهذا تكون المياه التي تجري من بحيرة طبريا باتجاه الجنوب كثيرة الحموضة وتقل فائدتها في إرواء غور الأردن.

من الناحية العسكرية يكون الحاجز المائي قد زال من الوجود (البحيرة والمستنقعات) وتكون اسرائيل فازت بالأرض والماء وما يتبخر منها في المستنقعات والبحيرة.

إن تخطيط الحدود بين سوريا وفلسطين ملفت للنظر! . من المتعارف عليه دولياً أن الحدود في الجبال تكون أعلى القمم أو خط تقسيم المياه وفي الأنهر منتصف النهر أو أعمق نقاطه. لكن الاستعمار عندما اقتسم البلد الواحد وجعل منه لبنان وسورية وفلسطين. وضع الحدود التي يريدها دون التقيد بالأعراف الدولية.

في الشمال من بانياس تبعد الحدود كثيراً عن مجرى النهر لتكون كل سهول الحولة تابعة لفلسطين حتى وصوله إلى بحيرة الحولة حيث تبعد الحدود عن ضفتها من (١ - ٢) كيلومتر وبعد أن تضم السهل جنوبي البحيرة تصل إلى الضفة الشرقية لنهر الشريعة بالقرب من جسر بنات يعقوب حيث تكون الحدود على المرتفعات شرقي النهر مسافة (١ - ٢) كيلومتر عن الضفة حتى بحيرة طبريا حيث الحدود شرقي الضفة يفصلها شريط من الأرض عن ضفة البحيرة الشرقية. وعند وصول الحدود إلى نقطة تبعد كيلومترين ونصف إلى الشمال من قرية النقيب العربية تتجه شرقاً مسافة كيلومترين ثم تتجه جنوباً لتضم قلعة الحصن - غربها كفر حارب على المرتفعات حتى نهر اليرموك حيث تلتقي مع الحدود الأردنية وتكون الحمة قد ضمت إلى فلسطين. وكأنها اسرائيل التي خططت هذه الحدود! .

أعلمتنا القيادة عن رغبتها في تسليح عرب الشمالنة ودعمهم بجنود لا يرتدون اللباس العسكري. حتى يمنعوا اسرائيل من السيطرة عليهم وإبعادهم وتمكينهم من الدفاع عن أنفسهم.

وبما أن قرية الشمالنة تقع في القطاع الأوسط. قمنا بتدريبهم ووزعنا عليهم السلاح. وعندما رأينا القوة الكبيرة التي تهاجم أرسلنا لهم العناصر اللازمة لصد الهجوم وقد استمرت المعارك عشرة أيام حتى تمكن الصهاينة من احتلال المرتفعات الغربية والسيطرة على المنطقة.

إن المراقبين كدولهم ليسوا حياديين. بدليل الاحتياطات التي نتخذها للاشتراك في المعركة. بينما الصهاينة يشتركون بكامل قواهم يهاجمون بقوى الجيش العامل مع المدفعية والطيران وكل أنواع الأسلحة.

عندما تطور الوضع وتَأَكَّدَ تصميم الصهاينة على طرد عرب الشمالنة أسندنا قيادة العمليات في الخط الأول إلى رئيس أركان اللواء المقدم «نبيه صباغ».

آمر اللواء لا يمكنه ترك مركز قيادة اللواء المحددة من قبل لجنة الهدنة. وكانت الخطة ناجحة نظراً لاشتراك ثلاث قطعات بأفراد قلائل في العمليات وبقي آمرو القطعات في قياداتهم مستنفرين.

هذه العملية المحدودة بعد هدنة استمرت سنتين كان لها وقع حسن فقد رأينا كيف كان الضباط وصف الضباط والأفراد يتسابقون للذهاب إلى المعركة وإن أحد الضباط وهو «واصف جيوشي» لم ينسحب إلى الخلف بسبب إصابته إلا بعد تلقي الأمر.

إن صمود هذه القوة التي تعادل سرية غير مدعومة برشاشات أو هاون أو مدفعية تنفيذاً لشروط الهدنة رغم مهاجمتها من عدو يفوقها عدة وعدداً. يدلنا على شجاعة الجندي السوري وقادته. لقد أفشلوا عدة هجمات مدعومة بنيران الأسلحة الثقيلة من رشاشات وهاون ومدفعية وكان العدو يزيد من عدد المهاجمين وإمكانياتهم في كل مرّة. لقد صمدت قواتنا بسلاحها الفردي والرشيشات فقط ضد هذه الأسلحة حتى أتى الطيران دمّر مراكز المدافعين لأنه لا يوجد سلاح مضاد يحميهم.

دافع عرب الشمالنة عن قريتهم ببسالة نادرة لقد بدأوا المعركة بمفردهم ثم آزروا قوات الجيش السوري وحافظوا على مراكزهم مثل الجنود تماماً وقد موَّن كبار السن خط القتال بالذخيرة والطعام وكانت النساء ينقلن الماء تحت القصف الشديد. استحق عرب الشمالنة رجالاً ونساءً تقدير القيادة.

اتصالي مع رئيس الأركان ودراسة موضوع أهالي مجدل شمس

منذ وصولي إلى الجبهة قبل أكثر من شهر سمعت أن الصهاينة تمكنوا من تجنيد مخبرين لهم في مجدل شمس - وإن الشعبة الثانية السورية لها مخبرون أيضاً وقسمت القرية إلى فريقين متخاصمين يأتون بأخبار شبه صحيحة أو كاذبة - وبما أنني أعلمُ ما لمجدل شمس من المواقف الوطنية المشهورة أثناء الثورة السورية الكبرى وحربها للفرنسيين. وإنه إذا وجد نفر من ضعاف النفوس يقوم بهذا العمل الشائن فإن الأكثرية يمكن الاعتماد عليها.

معلوماتي عن بعض ضباط الشعبة الثانية لا تبشر بالخير. تنقصهم الخبرة والضمير الحي. وهم لا يتبعون دورات تخصص وانتقاؤهم يتمّ حسب مزاج رئيس الشعبة. ويحاسبون بعض المواطنين على الشبهة كأنها حقيقة. انتقاء المخبرين يتم بصورة اعتباطية تلعب الخلافات المحلية الداخلية دورها - والمخبرون أحياناً كثيرة لا يقولون

الحقيقة ويحورونها. رغبت في وضع حدٍّ لهذا الأمر لأنه يهم كل مواطن شريف. قررت أن واجبي يدعوني لخوض هذه المعركة رغم صعوبتها لعلني أكتشف الحقائق. نحاسب المسيء وتبقى البلد بأجمعها على خطها القومي الوطني.

ذهبت إلى دمشق وقابلت رئيس الأركان العقيد «أديب» وقلت له: أتتني معلومات تفيد أن إسرائيل تمكنت من تجنيد بعض ضعاف النفوس كجواسيس لها في قرية مجدل شمس. وبما أن هذه الحركة حديثة وقبل أن تتطور ربما وجدت من يصارحني بالحقيقة أكثر من غيري من العناصر الوطنية الصادقة التي تحمل كل حب وتقدير لوطنها. ونظراً لأني معروف بهذه المنطقة وموثوق لربما تمكنت من القضاء على هذه البادرة من جذورها. أجاب رئيس الأركان: وصلت معلومات إلى الشعبة الثانية بهذا المعنى من وقت قريب. لكن الآن رئيس الشعبة الثانية المقدم «محمود شطرا» مع الوفد الذي ذهب إلى مصر للتهنئة بعيد جلوس الملك فاروق وزفافه من «ناريمان صادق» وعندما يعود أجمعكما ليعطي كل منكما المعلومات التي عنده. وبعدها تكون على رأس لجنة تضم رئيس الشعبة الثانية لتقوموا بالكشف عن هذه الشبكة وسأتصل بك عند عودة المقدم «شطرا» وإني أشكرك على هذه البادرة الطيبة.

عاد المقدم «شطرا» ومضى اسبوعان لم يطلبني رئيس الأركان لدراسة هذا الموضوع الهام والذي يتعلق بسلامة الوطن. قدرتُ أنه تراجع عن قراره.

الأربعاء /٩/٥/١٩٥١/ في تمام الساعة الواحدة قامت مدفعية العدو ورشاشاته بقصف قرية الشمالنة ومخفر الحاصل والبناية العائدة إلى «فؤاد بك اليوسف».

لم تنفجر إحدى القنابل وهي لمدفع انكليزي عيار /٢٥/ ليبره أي /٨٧/ مم.

- استلم قيادة الجبهة العقيد «عزيز عبد الكريم» وزار القطاع الأوسط.

- زار الملحق العسكري الأمريكي والملحق العسكري البريطاني منطقة البطيحة وتناولا طعام الغداء في اللواء الأول.

الجمعة /١١/٥/١٩٥١/ دعوة وزير الدفاع «فوزي سلو» للحكومة والوزراء

والنواب والصحفيين والملحقين العسكريين والضباط على شرف رئيس الأركان في بانياس.

الاثنين /١٤/ ٥/ ١٩٥١/ اجتماع مجلس الجامعة العربية في دمشق بناء على طلب الحكومة السورية. وعملت الجرارات الاسرائيلية.

الثلاثاء /١٥/ ٥/ ١٩٥١/ إطلاق النار من قارب صيد صهيوني في شمال بحيرة الحولة على الرعاة في تلك المنطقة والإجابة من قبل العرب على النار بالمثل.

- عملت الجرارات في مشروع التجفيف.

من /١٦ - ١٧/ ٥/ ١٩٥١/ - عملت الجرارات في مشروع التجفيف.

الجمعة /١٨/ ٥/ ١٩٥١/ - حفلة الكلية العسكرية في حمص على شرف العقيد «أديب» رئيس الأركان - عملت الجرارات - زار الجبهة الأمين العام للجامعة العربية «عبد الرحمن عزام باشا» وتجول فيها ووصل إلى البطيحة حيث شرحت له مراحل المعركة التي جرت مع عرب الشمالنة بمشاركة الجيش السوري الفعالة، وأبدى إعجابه وسروره بحيوية ونشاط الجيش السوري الذي يقوم بواجبه بالذود عن أرض وعرب فلسطين وقال: (حبذا لو اقتدت به الجيوش العربية الأخرى).

نظراً لغياب قائد الجبهة كنت أنوبُ عنه في قيادتها، ورافقت الأمين العام في زيارته ودعوته لتناول طعام الغداء في بانياس وأخذت الصور من قبل الشعبة الثانية.

السبت /١٩/ ٥/ ١٩٥١/ - حفلة استقبال في قصر رئاسة الجمهورية في دمشق على شرف وفود الجامعة العربية.

- اتخذ مجلس الأمن قراراً بالتوقف عن العمل في مشروع تجفيف الحولة.

- إعادة السكان العرب الذين أجلاهم الصهاينة إلى قراهم ولم ينفذ الإسرائيليون القرارات كعادتهم.

- استنكار قصف الحمة من قبل الصهاينة.

الثلاثاء / ٢٢/ ٥/ ١٩٥١/ ذهبتُ إلى دمشق وقابلت العقيد «أديب» في مكتبه. قلت له عندما قابلتك المرة الماضية وعرضت عليك موضوع التجسس في مجدل شمس لم أفعل ذلك من أجل مساعدة أحد منهم إنما خدمة أقدمها في سبيل الوطن. لأني أقدرُ من غيري على كشف الحقيقة رغم الصعوبات والإحراج الذي كنت سأتعرض له. كان عليك منذ البدء أن ترفض اقتراحي أو تخبرني عندما عاد المقدم «شطرا» من مهمته وقررتم متابعة الموضوع بعيداً عني. لذلك فإني أسحب عرضي ولن أتدخل به. لم يعطِ جواباً واضحاً ووافق على انسحابي.

فيما بعد جرى توقيف عدد كبير من أهالي مجدل شمس في سجن المزة ثم حوكموا وصدر الحكم بإعدام بعضهم وأحكام سجن مختلفة على آخرين وبريء البعض الآخر. فرضت على هاتين الفئتين إقامة إجبارية دائمة في الجزيرة.

وأنا أكتبُ هذه المذكرات في أواخر عام /١٩٩٢/ تذكرت ما يقوم به أبطال مجدل شمس منذ العام /١٩٦٧/.

في ذلك العام هاجم الجيش الإسرائيلي مصر وسوريا واحتل سيناء والجولان وبما أن لهذا الجيش بالإضافة إلى مهمة القتال والاجتياح له مهمة رئيسية أخرى هي طرد السكان وتهجيرهم بكل الوسائل حتى يمكنه من إسكان مكانهم من يأتون إلى فلسطين المحتلة من الصهاينة. هذه الخطة طبقها العدو في فلسطين والجولان.

تمكن من إجلاء كل السكان ما عدا الدروز الذين قاوموا ولم يمكنوا الجيش الإسرائيلي من طردهم وظلوا في بيوتهم وأملاكهم رغم سوء معاملة الاحتلال القاسية التي تعرضوا لها. دفعوا ضريبة الدم الباهظة والسجن والإبعاد. استشهد وسجن الكثيرون منهم وأبعد بعضهم. وفي الجولان بقي سكان قرى مجدل شمس - مسعدة - عين قنية - بقعاثا.

وبعد مدة فرضوا عليهم استلام هويات إسرائيلية فلم يقبلوا بها وقالوا إنّا سوريون وسنبقى... ولم يتمكنوا من إجبارهم رغم القهر والظلم حتى الآن وبكل المناسبات

يقومون بمظاهرات يعلنون استنكارهم للاحتلال الإسرائيلي.

كما تجاوبوا في مناسبات عدة وقاموا بمظاهرات احتجاج رغم الظلم والقهر يعلنون تضامنهم مع أبطال الحجارة في الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية تحت الاحتلال الاسرائيلي وقد أوشك عامهم الخامس على الانتهاء ومعركة تحرير الوطن مستمرة وبعنف في هذه المناطق من فلسطين. والآن في العهد الحاضر يعتبر المسؤولون سكان هذه القرى الوطنيين المخلصين للوطن وهم شوكة في حلق اسرائيل منعها من ابتلاع كامل الجولان.

من ٢٠/٥ - ٥/٦/١٩١٥/ استمر عمل الصهاينة في مشروع التجفيف.

اجتماع رؤساء أركان الجيوش العربية في دمشق

عُقِدَ يوم السبت في ٢/٦/١٩٥١/ وقد حضر عن:

مصر	«عثمان المهدي باشا» مع لواءَيْن ومقدم.
عن العراق	الزعيم «صالح صائب الجبوري» مع زعيمين.
عن المملكة العربية السعودية	الزعيم «سعيد الكردي» مع رئيس.
عن لبنان	اللواء «فؤاد شهاب».
عن اليمن	ينوب عنها الوفد المصري.
عن الأردن	لم يحضر الاجتماع.
عن سوريا	الوفد السوري برئاسة العقيد «أديب الشيشكلي» وعضوية العقيد «عزيز عبد الكريم» - المقدم «عدنان مالكي» والملازم الأول «أحمد عبد الكريم».

عقد الاجتماع الأول مساءً.

الاثنين /٤/٦/١٩٥١/ - توالت جلسات رؤساء الأركان.

- أقام فخامة رئيس الجمهورية السورية حفلة استقبال على شرف الوفود العسكرية في القصر الجمهوري مساءً.

الأربعاء /٦/٦/١٩٥١/ - توقف العمل من قبل الصهاينة في منطقة الحولة وقد أعلم المراقبون الدوليون رئيس الوفد السوري بذلك.

- انتهى مؤتمر رؤساء أركان الدول العربية.

الخميس /٧/٦/١٩٥١/ - أذاعت محطة اسرائيل أن العمل توقف مؤقتاً بناء على طلب رئيس المراقبين الدوليين ريثما يتم التحقيق في ملكية بعض الأراضي وسيتولون مع العرب الذين يملكون بعضها لبيعها لقاء تعويضات مغرية.

- عاد إلى مقر عمله قائد الجبهة العقيد «عزيز عبد الكريم» وقد اشترك في مؤتمر رؤساء الأركان.

اغتيال الملك عبد الله بن الحسين

الجمعة /٢٠/٧/١٩٥١/ - اغتيال الملك «عبد الله بن الحسين» من قبل مجهول وقد أطلق عليه النار في الساعة /١١،٤٥/ بينما كان داخلاً للمسجد الأقصى المبارك لأداء فريضة الجمعة. أطلق حرس الملك النار على القاتل فأردي قتيلاً. وقد عين الأمير «نايف» وصياً على العرش بسبب غياب الأمير «طلال» ولي العهد في سويسرا للاستشفاء.

يدعى القاتل «مصطفى شاكر عشو» خياط في القدس من جمعية الفداء الفلسطينية المؤلفة أثناء حرب فلسطين وعمره /٢١/ عاماً.

وبتاريخ /٢٣/٧/١٩٥١/ جرى تشييع جثمان المرحوم الملك «عبد الله» وقد

اشترك في التشييع وفود الدول العربية والسلك الدبلوماسي. أما الدافع للاغتيال هو مسؤولية الملك عن ضياع فلسطين. ولم يحضر ولي العهد الأمير «طلال».

استلامي قيادة الجبهة

استلمت قيادة الجبهة وكنت قائداً للقطاع الأوسط. وبعد دراسة أوضاع القطاع الشمالي محور بانياس. والجنوبي محور فيق اقترحتُ أن تشكل قيادة مستقلة للجبهة رئيس أركان ورؤساء شُعب مثل باقي المناطق والألوية.

عندما أحدثت قيادة الرتل عام /١٩٤٨/ استلم قيادته العقيد «عبد الوهاب الحكيم» وكان معاوناً لرئيس الأركان أفرز لمعاونته ضابطاً من الشعبة الثالثة، وبقيت رئاسة الشعبة الثالثة تدير العمليات وباقي شعب الأركان تسيّر شؤون الجبهة وبقيت على هذه الحال.

أما ضابط الشعبة الثانية فقد كانت تسميته ضابط الشعبة المركزية، يُعلم قائد الجبهة بما يريده ويرتبط مع رئيس الشعبة في الأركان.

اتصل معي هاتفياً الزعيم «توفيق سالم» رئيس أركان الجيش اللبناني وأخبرني أن ضابط الشعبة الثانية في الجبهة أتى إلى قرية داخل الحدود اللبنانية وألقى القبض على ثلاثة أشخاص لم يعودوا إلى قريتهم منذ أيام. وهذا لا يجوز. وعدته بالسؤال عن الموضوع - عندما سألتُ رئيس الفرع المركزي عن الموضوع نفى أن يكون قد أوقفهم.

بعد يومين اتصل معي الزعيم «سالم» وسألني عما تمّ بالموضوع الذي كلمني عنه. أجبته: إنهم غير موجودين عندنا. وإن ضابط الشعبة الثانية نفى أن يكون قد أوقفهم. قال لي: إذا ذهبتَ إلى السجن العسكري تجدهم هناك.

طلبت رئيس الفرع وذهبنا إلى السجن العسكري - سجل السجن مضبوط، الذين يدخلون السجن مسجلون، تاريخ الدخول وأسباب التوقيف. . . . . . .

الذين لهم الحق في التوقيف هما قاضي الفرد العسكري الذي يمكنه التوقيف المؤقت من أجل إتمام التحقيق أو السجن بموجب حكم. ورئيس الشعبة الثانية الذي له

الحق بالتوقيف المؤقت ريثما يحيله إلى القضاء.

وجدت الأشخاص الذين كلمني عنهم الزعيم «سالم» وأكثر من عشرين شخصاً موقوفين من قبل الشعبة الثانية مضى على بعضهم ثلاثة أسابيع. ولم يُبتَّ بأمرهم. إن التوقيف المؤقت يجب ألا يتجاوز ثلاثة أيام. وكل هذه المخالفات من قبل ضابط الشعبة الثانية.

أمرتُ هذا الضابط أن يخلي سبيل كل من قضى أكثر من ثلاثة أيام في السجن وأمرته أن يلتحق بدمشق ولا يعود إلى القنيطرة ثانية لأنه كذبَ عليّ وأنكر وجود من سألته عنهم ويُعلم رئيس الشعبة لاستبداله.

في اليوم التالي ذهبت لدمشق وقابلت العقيد «أديب» وأخبرته عمّا جرى مع ضابط الشعبة الثانية وطرده من الجبهة وقلت له: إن الذي يتحمل مسؤولية قيادة الجبهة هذه المهمة الخطيرة يجب أن يعتمد على ضباط صادقين مرتبطين به مباشرة. وقد أعطيتُ أمراً بعدم عودة هذا الضابط إلى الجبهة.

قال رئيس الأركان: ولكنه يحترمك ويقدرك أرجو أن تتراجع عن قرارك وتسامحه. أجبته: لن أتراجع عن الأمر الذي أعطيته. ولا أتساهل مع ضابط كذبَ عليّ وخدعني!.

بعض هؤلاء الضباط يكون لهم مهمة التجسس على رؤسائهم ولهذا يكونون مدعومين من القيادة.

وساطة «ماجد المالكي» وأهل مجدل شمس

حضر إلى مكتبي في قيادة الجبهة السيد «ماجد المالكي» قائمقام القنيطرة. قبل حصوله على شهادة الحقوق وتعيينه بهذه الوظيفة، قضى مدة معلماً في قرية مجدل شمس ويعرف أهلها أكثر مني. قال: أهل مجدل شمس لهم معزة خاصة عندي نظراً لشجاعتهم وصدقهم وكرمهم. وقد أمضيت بينهم ثلاث سنوات وأعرف أخلاقهم جيداً وهم الآن حزبان. حزب عائلة أبو صالح وأتباعهم، وحزب عائلة الصفدي وأتباعهم.

تشغلهم الشعبة الثانية ويتبادلون التهم.

ليتنا نوفق بينهم حتى يعود الوئام إلى سابق عهده من الإلفة والمحبة. قلت له: إذا كنت تتبنى هذا الموضوع أساعدك عليه. أجاب: طبعاً سنتساعد. وبما أنه يعرفهم جيداً، ومعرفتي ببعضهم كانت لا تزال سطحية - طلبنا أربعة من كل حزب هو اقترح الأسماء للاجتماع بهم في قيادة الجبهة وعينا التاريخ.

في الوقت المعين حضر حزب عائلة أبو صالح والحزب الآخر لم يحضر. تكلمنا معهم في الموضوع وأبدوا استعدادهم للتعاون معنا وحل الخلاف الداخلي بينهم.

بعد مدة أتاني مندوب من حزب عائلة الصفدي قال: نحن سألنا الشعبة الثانية إذا كانت تعلم بهذا الطلب وتأخرنا عن الحضور لأنها قالت: لا علم لها بذلك. وعندما رأينا تمسكهم بتعليمات الشعبة الثانية التي لا تريد إصلاح الحال أهملنا الموضوع. لقد اهتممت سابقاً بهذا الموضوع ثم مع السيد «ماجد المالكي» نظراً لما نعرفه عن وطنية أهالي مجدل شمس وماضيهم المشرق. إذ لبوا نداء الواجب أثناء الثورة السورية الكبرى عام /١٩٢٥/ عندما هاجم الثوار قلعة راشيا كانت الثورة قد انتشرت في الإقليم وشملت (عين قنية - المجدل - بقعاثا - عرنه - بقعسم - قلعة جندل حتى قطنا وغيرها من القرى) - وحضر فريق من الثوار إلى هذه المنطقة وبدأوا بمهاجمة مراكز الفرنسيين مع أهاليها الشجعان الذين انضموا كلهم للثورة. وعندما تضايق الفرنسيون فكروا بمهاجمة المركز الأساسي.

من أجل احتلال المجدل جرد الفرنسيون حملتين واحدة من لبنان حاصبيا عن طريق بانياس وهاجمت من الغرب والجنوب بقيادة الكولونيل «كلمان غرانكور» وأخرى من دمشق هاجمت من الشرق والشمال وتمّ احتلال المجدل بعد قتال عنيف. وصل شهداء المجدل إلى أكثر من /١٥٠/ قتيلاً.

من أجل إخوة وأبناء هؤلاء الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الوطن. من أجل الأبرياء الذين لا يمكن أن يبيعوا وطنهم كنا نريد اكتشاف الخونة فقط وإنزال أشد العقوبات بهم حتى ينالوا جزاءهم ويكونوا عبرة لمن تسول له نفسه خيانة الوطن.

الأربعاء /٢٨/ تشرين الثاني /١٩٥١/ تلقت قيادة الجبهة الأوامر التالية: إبدال مراكز الفوج السابع عشر على الخطوط الأمامية وسحبه وتجميعه استعداداً للذهاب إلى حلب. تحضير اللواء الرابع بكامله وسرية مقر الجبهة للذهاب إلى حلب. أعطيتُ الأوامر في الساعة /١٩،٤٥/ .

وكان قد أذيع تشكيل الوزارة على النحو التالي:

السيد «معروف الدواليبي» رئيساً للوزارة ووزيراً للدفاع - السيد «أحمد قنبر» للداخلية - السيد «عبد الرحمن العظم» للمالية - السيد «منير العجلاني» للعدل - السيد «محمد المبارك» للزراعة - السيد «شاكر العاص» للخارجية - السيد «علي بوظو» للاقتصاد - السيد «جورج شاهين» للأشغال - السيد «محمد الشواف» للصحة - السيد «هاني السباعي» للمعارف.

وقد دامت الأزمة الوزارية ثلاثة أسابيع على أثر استقالة السيد «حسن الحكيم» إذ كان على اختلاف بالرأي مع وزرائه الشعبيين. وقد كلف لتشكيل الوزارة منذ استقالة السادة: «زكي الخطيب» - معروف الدواليبي» - «عبد الباقي نظام الدين» ثم «معروف الدواليبي».

كان من أهداف وزارة «الدواليبي» تطبيق الدستور وعودة ارتباط الدرك والشرطة وقوى البادية بوزارة الداخلية.

يلاحظ احتفاظ رئيس الوزراء بوزارة الدفاع ولم يعيّن لها الزعيم «فوزي سلو» كما جرت العادة. وقد اعترض عليها العقيد «أديب الشيشكلي» لأنه لم يتمكّن من فرض إرادته عليها.

الفصل الخامس

الانقلاب الثالث بقيادة العقيد «أديب الشيشكلي»

استلام الجيش إدارة البلاد - واستقالة رئيس الجمهورية

الخميس /٢٩/ تشرين الثاني /١٩٥١/ - أذيع صباحاً استلام الجيش إدارة البلاد وطلب إلى الأهلين الخلود إلى السكينة - بعد أن ألقي القبض على أعضاء الوزارة ورئيسها ولم يمضِ على تشكيلها إلاّ بضع ساعات.

- أذيعَ بيان يعدد أعمال حزب الشعب منذ جلاء الأجنبي والانقلابات السابقة ويندد بها. وقد توجّه العقيد «أديب الشيشكلي» رئيس الأركان العامة إلى القصر الجمهوري وقابل فخامة الرئيس. وكان قد حضر اجتماعاً في الأركان مع بعض كتل المجلس النيابي («أكرم الحوراني» و «عصام المحايري» و «مصطفى السباعي») وقد استدعى فخامة الرئيس ممثلي الكتل النيابية وتباحث معهم للخروج من الأزمة.

تمّ اتصال مع أعضاء الوزارة، لم تُعلنَ النتيجة - يقال: إنّ الطلب كان: على الوزارة إمّا أن تستقيل أو توقّع على حلّ المجلس.

وقد سُجن سبعة أو ثمانية أعضاء من الوزارة وبعض أقطاب حزب الشعب و «حسني البرازي» وغيرهم من السياسيين.

الجمعة /٣٠/ تشرين الثاني /١٩٥١/ تحرّك اللواء الرابع مُنذ الساعة /٢،٠٠/ الثانية إلى مراكزه الأساسية في حلب.

- الموقف على حاله. رئيس الجمهورية يواصل استشارته - يقال: إن الدكتور «معروف الدواليبي» رفض ما طلب منه أي الاستقالة أو حلّ المجلس.

السبت /١/ كانون الأول /١٩٥١/ تحركت سرية مقر الجبهة إلى حلب أتى ضابط لمرافقتها، بقي آمر السرية الرئيس «مبيض» لتصفية بعض الشؤون.

تقدم «الدواليبي» باستقالته بعد الظهر.

كلف السيد «حامد الخوجه» بتأليف الوزارة وبدأ استشارته.

الأحد /٢/ كانون الأول /١٩٥١/ - فشل السيد «حامد الخوجه» بتشكيل الوزارة.

- أذيعَ بعد الظهر نبأ استقالة رئيس الجمهورية السيد «هاشم الأتاسي» وغادر القصر الجمهوري إلى منزله بحمص.

بعد ذلك أذيع البلاغ العسكري رقم (١) بتاريخ /٢/ كانون الأول /١٩٥١/ وجاء فيه: إن المجلس العسكري الأعلى بناء على استقالة رئيس الجمهورية وعدم وجود حكومة في البلاد يأمر بما يلي:

١ - يتولى رئيس الأركان العامة ورئيس المجلس العسكري الأعلى مهام رئاسة الدولة ويتولى كافة الصلاحيات الممنوحة للسلطات التنفيذية.

٢ - تصدر المراسيم اعتباراً من /٢/ كانون الأول /١٩٥١/ عن رئيس الأركان رئيس المجلس العسكري الأعلى.

مرسوم رقم (١)

يقضي بحل المجلس النيابي اعتباراً من /٢/ كانون الأول /١٩٥١/ الاثنين /٣/ كانون الأول /١٩٥١/ .

أمر عسكري رقم (٢).

يقضي بتولي الزعيم «فوزي سلو» السلطتين التشريعية والتنفيذية ويمارس سلطات واختصاصات رئيس الدولة ورئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع.

يؤازره الأمناء العامون ويتولى كلّ منهم سلطات واختصاصات الوزير بالإضافة إلى صلاحياته واختصاصاته كأمين عام.

ذهاب رئيس الأركان إلى منتجع الحمة

الثلاثاء /٤/ كانون الأول /١٩٥١/ - لا شيء يذكر داخلياً وسارت الأمور بصورة طبيعية.

الأربعاء /١٢/ كانون الأول /١٩٥١/ - اعلمتنا القيادة أن رئيس الأركان العقيد «أديب الشيشكلي» في طريقه إلى منتجع الحمة ليمضي بعض الوقت - يصل إلى القنيطرة في الساعة التاسعة. يمضي نصف ساعة في مكتب قائد الجبهة ثم يتابع سيره.

استقبلنا رئيس الأركان على مدخل المدينة وأدت له التحية فئة من الجند. كان برفقتة عدد من الملازمين من قطعات مختلفة.

في مكتب قائد الجبهة اعتذر عن عدم إعلامنا بما جرى لأن الحوادث تتابعت بصورة سريعة. أجبته: إن قائد الجبهة لديه ما يشغله ولا يمكنه أن يفكر إلاّ بالعدو.

حركته هذه واغتصابه السلطة والقضاء على العهد الدستوري ومؤسساته كما فعل «حسني الزعيم» من قبله. تمت بدونه مساعدة أحد من أعضاء المجلس العسكري السابق الذي تعهد بعدم التدخل في الشؤون السياسية بتاريخ /٧/٨/ ١٩٥٠/ باستثناء الزعيم «فوزي سلو». قام بها بدعم من صغار الضباط.

دعوته لتناول الطعام اليوم أو في الأيام القادمة رفض ذلك قائلاً: إنه يرغب في قضاء فترة راحة واستجمام ولن يغادر الحمة خلالها.

بعد ظهر الخميس ذهبت لزيارته في منتجع الحمة - وجدته مرتاحاً لما قام به وأشار إلى ثقته بهؤلاء الضباط الشباب الذين ينفذون الأوامر حرفياً دون مناقشتها وسيكونون قادة المستقبل وكلهم برتبة ملازم أو ملازم أول.

كانت الألفة تسيطر على الجو والضباط يتسابقون لخدمته وهو يعاملهم كرفيقهم الأكبر. طبعاً يوجد فرق كبير بينهم في الرتب لا يخشى مزاحمتهم له وهم يسعون لتأمين

مستقبلهم باعتباره يجمع السلطات كلها.

إنما هذا يؤثر على الانضباط في الجيش. لأن هؤلاء الضباط الشباب ينتمون إلى قطعات مختلفة ووجودهم مع رئيس الأركان ليس قانونياً ولا مشروعاً - لأنهم متغيبون عن قطعاتهم ورؤساؤهم المباشرون لا يمكنهم الاعتراض ولا حتى محاسبتهم على عملهم لأنهم مع رئيس الأركان. فضلاً عما يسببه ذلك من قلة انضباط هؤلاء في قطعاتهم مع رؤسائهم ورفاقهم لأن لهم حُظْوَة عند رئيس الأركان.

لقد اختار هذه الفئة الشابة وهي تضمّ عدداً كبيراً من الذين تبنوا أفكاره بدون تردد لاستلام الجيش في المستقبل وهي التي تذهب إلى دورات الأركان وغيرها دون التقيد بالرتب والقدم والكفاءة.

تذكرتُ حادث الاغتيال الذي تعرض له في /١١/ تشرين الأول /١٩٥٠/ أثناء عودته من سهرة بلودان وكان برفقته ثلاثة ملازمين من كتيبة المدرعات الأولى.

إن الهدف من تحضير صغار الضباط لاستلام الجيش هو إقصاء كبار الضباط الذين يمكن أن يزاحموا رئيس الأركان أو ينتقدوا تصرفاته لتحقيق مصالح خاصة وهذا يتناقض تماماً مع المصلحة العامة وخدمة الوطن ومستقبل الجيش.

قبل هبوط الظلام رغبتُ في العودة. عرض عليّ أن أمضي الليل في الحمة وغداً الجمعة يمكنك العودة مساءً - لم أوافق على ترك قيادتي والابتعاد عن مسؤولياتي. وبقي رئيس الأركان وحاشيته في الحمة حتى صباح الاثنين حيث عاد إلى دمشق.

تسلل دورية إسرائيلية وقتل رئيسها

الجمعة /٢٨/ كانون الأول /١٩٥١/ دخلت دورية صهيونية ليلاً بين مخافرنا في قطاع بانياس وقُتِلَ رئيسها وهو برتبة ملازم أول ويحمل وسام التحرير.

أبقيناه في مكانه حتى وصول لجنة المراقبة. يحمل رشيشه وقنبلتين.

بينما كانت دورية من العدو عائدة باتجاه الغرب بين مخافرنا شعر بها المجند الخفير فأيقظ رفيقه الذي خرج من الحصن وتقدم وانبطح إلى جانب جدار وصرخ. . . قف. . فانبطح أفراد الدورية المعادية. وبسؤالهما من أنتم؟ أطلقوا النار وقنبلة أمام الحصن لم تنفجر لحسن الحظ.

أجاب جنود المخفر على النار أيضاً وأصيب الملازم الأول في رقبته وخرَّ صريعاً بينما لاذ رفاقه بالفرار ولم يتمكنوا من العودة إليه. وأرسلوا إشارات كثيرة وأخيراً انسحبوا قبل الصباح. وكان ذلك في الساعة الثانية والنصف سلمنا القتيل عن طريق لجنة الهدنة.

تعليق على الأحداث منذ الانقلاب الثاني

للمرة الثانية يستلم الجيش الحكم وإدارة البلاد خلال مدة ثلاث سنوات. قام بهذا الانقلاب العقيد «أديب الشيشكلي» رئيس الأركان العامة يعاونه صغار الضباط والزعيم «فوزي سلو».

إن هذا العمل لم يتمكن من تنفيذه أثناء وجود المجلس العسكري الذي وقف بوجهه وأجبره على إصدار وثيقة /٧/ آب /١٩٥٠/ التي تقضي بابتعاد الجيش عن السياسة وقد عممت رئاسة الأركان على أثرها بياناً منعت بموجبه العسكريين من التدخل بالسياسة. بعد ذلك عمد «الشيشكلي» على نقل وتسريح أعضاء هذا المجلس أو إبعادهم. وكنتُ أول من أبعدهم إلى الجبهة مع اللواء الأول وكتيبة المدرعات الأولى.

لقد مضى أكثر من خمسة عشر شهراً على اتفاق /٧/ آب. كان بإمكان رجال السياسة أن يتفقوا ويتكتلوا لإبعاد الشيشكلي بعد أن أصبح بدون أعوان!. لم يستغلوا هذه الفرصة الذهبية ولم يجرِ تنسيق بين الأحزاب والكتل في المجلس حتى يقضوا على تدخل العقيد «أديب» وهم يعلمون أنه يتدخل باسمه فقط مخالفاً العهد الذي وقعه.

إن المجلس العسكري في ذلك الوقت لا يضم بين صفوفه أيَّ ضابطٍ حزبي. إن الحزبيين كانوا من صغار الضباط وجاء دورهم فيما بعد.

أردتُ أن أبين أنه لم يكن أي تأثير حزبي للسياسيين على المجلس العسكري. ليس من دليل على تقاضي المال من قبل رئيس حزب الشعب ونائبه ونفر قليل من أعضائه. إلا أن كثيراً منهم ومن المستقلين ومن باقي الأحزاب وبعض الضباط قد قبضوا أموالاً طائلة من العراق. من جهة ثانية يقالُ إِن السعودية وزعت الأموال والهدايا أيضاً.

أنا ألقي مسؤولية ما حدث على رجال السياسة جميعهم وبطليعتهم حزب الشعب صاحب أكثرية النواب في البرلمان لسوء تصرفهم وإفساحهم المجال «للشيشكلي» من التصرف على هواه في عهد استمر من /١٤/٨/١٩٤٩/ إلى /٢/١٢/١٩٥١/.

كان بإمكان الأحزاب والكتل أو أكثريتهم الاتفاق على مخطط داخلي وخارجي وابعاد العقيد «الشيشكلي» عن السياسة بدلاً من التناحر فيما بينهم. وعلى العكس من ذلك فقد تركوا له المجال للتلاعب برؤساء الوزراء والوزراء وتدبير المقالب لهم حتى أنه نجح في /٢٣/٤/١٩٥١/ من استلام مهام رئاسة الأركان العامة عندما كانت وزارة الرئيس «خالد العظم» في الحكم وأقيمت حفلات تكريم كثيرة بهذه المناسبة.

حبذا لو حكم مجلس عام /١٩٤٩/ حكماً ديمقراطياً نابعاً من مصالح سوريا الحرة المستقلة دون التطلع إلى العراق المكبل بمعاهدة مع بريطانيا أخطر دولة استعمارية لربما كان قد جنّب البلاد تلك النتيجة المحزنة.

إن انقسامات السياسيين وتنافر أعضاء مجلس النواب وخلافاتهم أدى إلى مأزق /٣/ كانون الأول /١٩٥١/. وقد وصف هذا الانقلاب بأنه: أمريكي بريطاني - فرنسي.

وزارة الزعيم «فوزي سلو» الأولى (الأمناء العامون)

بدأت وزارة الزعيم «فوزي سلو» بتنظيم الحياة الداخلية في البلاد وقد استهلت أعمالها بإلغاء الأحزاب السياسية وجمع الصحف والسماح لأربع صحف فقط في كل سوريا تصدر في كلّ من دمشق - وحمص - وحلب - والجزيرة. وقانون منع الموظفين والعمال والمعلمين والطلاب من الانتساب إلى الأحزاب السياسية أو الاشتغال بالسياسة.

في أواخر كانون الثاني /١٩٥٢/ جرت مظاهرات طلابية عنيفة في حلب وتدخل الجيش وأُطلقت النار. وقد وقع عشرون قتيلاً وأربعون جريحاً.

تشكيل قيادة مستقلة للجبهة وإصدار التعليمات

بموافقة رئاسة الأركان تمكنت من تشكيل قيادة مستقلة للجبهة. عُيّن لرئاسة أركان الجبهة الضابط النشيط المقدم «توفيق شاتيلا» ثم رؤساء الشعب. كما شكلنا سرية مقر دائمة للجبهة بدل سرية مقر اللواء الرابع التي كانت تقوم بهذا العمل والتحقت بلوائها المنقول إلى حلب. أنهينا شبكات الطرق المقررة وأضفنا عليها ما هو ضروري من طرق احتياطية وتحويلات في المناطق الصعبة.

وضعنا خطة دفاع خطية لأول مرّة إلى آمري القطاعات والأفواج وقطعات الاحتياط عَيّنا فيها بالتفصيل مهماتهم الأساسية وما هو مطلوب منهم في احتمالات مختلفة وطلبنا أن يكون لدى رئيس كل نقطة أو مخفر أمراً خطياً يبين مهماته بالتفصيل. وبما أن جبهة المخافر واسعة إذ ينتشر الفوج في الخطوط الأمامية على جبهة طولها خمسة وعشرون كيلومتراً تقريباً، أصررنا على وجود الاحتياط ابتداء من المخافر إلى الوحدات فالقطعات.

عممت التعليمات التالية:

نظراً لمهمة الانتشار على الحدود التي أسندت إلى قطعات الجبهة وحتى لا يتأثر التدريب بسبب التوزيع على مخافر منعزلة أصدرت قيادة اللواء التعليمات التالية:

تنحصر مهمة الضباط أيام السلم في تدريب رجالنا وإعدادهم بشكل فني دقيق للمهمات الشاقة التي تنتظرهم أيام الحرب. وما من شيء يبرز قيمة وحيوية قطعة ما مثل النار وتصرفات الوحدة وهي تحت تأثيره وفعاليته.

قوام الأفواج والكتائب اليوم مجندو خدمة العلم التي رأت قيادة الجيش ضرورة استدعائهم بغية تدريب أفراد الأمة على استعمال الأسلحة وإتقان فنون القتال الحديث وممارسة حياة الجندية الحقة حياة الرجولة الكاملة والإخلاص العميق. بالإضافة للنسبة

العالية من المجندين تشكو القطعات في الخطوط الأمامية قلة التنظيم والتدريب، بسبب انتشارها على الحدود وعدم إمكان التجمع والتدريب تحت إشراف القائد.

إلا أن هذا الوضع لا يبرر إطلاقاً ترك الجاهل على جهله وعدم نصحه، فالقومية الصحيحة التي نؤمن بها تدعونا للعمل ليل نهار دون كلل على تدريب رجالنا وإعدادهم حتى ولو كانوا في الخطوط الأمامية. تحمل قطعات الخط الأول على عاتقها مراقبة نشاط العدو والحيلولة دون أي تجاوز أو اعتداء على أرض البلاد المقدسة، هذه الأرض التي أنبتتنا ورعتنا والتي أصبح من أقدس واجباتنا الدفاع عنها حتى الرمق الأخير، وباالإمكانيات المتوفرة.

لتحقيق هذه الرسالة وجب علينا أن نعمل دوماً وأبداً، والعمل لا يثمر ما لم يقترن بالعزيمة الصادقة - أمامنا عدو عنيد أتقن فنّ القتال الحديث وأخذ بسياسة الأمر الواقع. فإن أردنا دحره وجب علينا أيضاً أن ننبذ العواطف وأن نجنح للأمر الواقع وأن نكدَّ ونشقى لتدريب رجالنا. لأن قوة الشعوب بمناعة جيوشها وتضلع قادتها ولأن الاتكالية والارتجال من المبادىء الهدامة التي تقود السائرين عليها للدمار والاضمحلال. أنتم إذاً أيها الضباط حملة هذه الرسالة القومية النبيلة فإلى الأمام ولا تهنوا فالضابط لا يعرف الوهن وهمه دوماً تحقيق رسالته وواجبه.

مبادىء التدريب الحديث:

إن الجيش الحديث جيش فني يحمل في طياته جميع اختلاطات ومشاكل الثقافة الحديثة. ولذا قبل استعمال إنتاج الصناعات الحديثة وجب علينا أن نهيىء ونروض الأيدي التي ستستخدم هذا الانتاج، ومن المعلوم أن استعمال المعدات أسهل بكثير من قيادة الرجال وهذا العصر هو عصر الفنيين ولم يبقَ مكان في صفوف الجيش للذين يعرفون كل شيء دون أن يتعلموه. بل تفرض علينا التقدمية نوعاً جديداً من الرجال يستمدمون قوتهم من فنهم ويربطهم انضباط شديد وقاس في الثقافة والعمل.

فالمسألة إذاً مسألة الرجل بالدرجة الأولى. أي إيجاده - انتخابه - ترويضه - ثم تدريبه بشكل عملي يتناسب وإمكانياته العلمية والجسمانية.

لا يمكن لهذه التوجيهات أن تثمر ما لم تطبق بإيمان وإذا لم يهيمن على الجميع

وخاصة الضباط شعور يقظ دائم للقيام بالواجب. كما لا يمكنها أن تثمر إذا لم يتفهم الجميع بأن قيمة قطعاتهم مقرونة دائماً وأبداً بقيمة تدريبها الفني والتعبوي.

ولما كانت هذه العوامل قد ضعفت حتى كادت تفقد بسبب وجود هذه القطعات على الخطوط فإن من واجب الضباط من جميع الرتب العمل بجد ونشاط لاستعادتها. ولذا فإن قادة القطعات والوحدات والفئات من الضباط والنقباء والرتباء مدعوون بإلحاح وبسرعة إلى:

- متابعة التدريب بكل جد واهتمام حتى المخافر والنقاط المنعزلة وإجبار رؤساء المخافر على إدارة التدريب بأنفسهم وحسب المنهاج المحدد لهم من قبل قادتهم.

- فرض تعليمات قاسية والسهر على تنفيذها من قبل كافة مرؤوسيهم لاحترام قواعد الانضباط العسكري بحذافيرها.

- أداء التحية - الاعتناء بالألبسة والتجهيزات - ظهور الوحدات والمخافر بمظاهر عسكرية تشعر النفس بالقوة والاطمئنان في الثكنة وعلى الحدود مباشرة.

- اعتناء تام ودائم بالتجهيزات الفردية للمنامة والطعام - فرض تعليمات قاسية وواضحة لكافة الشؤون التعبوية الخاصة بالتمركز: (دوريات - كمائن - خفارات - تعليمات رمي للأسلحة الإجمالية من خفيفة وثقيلة - تحكيمات).

- فرض المزيد من العناية والرعاية للتدريب الفني والعملي على الأسلحة الثقيلة.

اسرائيل تعلن نبأ اغتيالي

في أحد الأيام من شهر أيار / ١٩٥٢/ أذاعت محطة اسرائيل في إذاعتها الصباحية الخبر التالي: (بينما كان العقيد «أمين أبو عساف» عائداً ليلاً من دمشق أُطلقَ عليه النار من قبل كمين وأردوه قتيلاً).

وبالفعل كنتُ تلك الليلة بمهمة في دمشق وتأخرتُ بالعودة إلى القنيطرة. كانت

اسرائيل على علم وتوجُّه مثل هذه الحركات.

سمعت الخبر وأنا في طريقي لتفتيش قطاع فيق. عندما رآني المقدم «فؤاد الأسود» آمر الفوج حمد الله وهنأني بالسلامة لأنه سمع الخبر أيضاً. وكان مع الفوج وبقيت معهم حتى انتهاء فترة التدريب.

مساء ذلك اليوم جاء الشيخ «أبو حسين علي سكيكر» إلى بيتي في معسكرات قطنا ليطمئن وكان قد سمع بخبر الاغتيال. وجد الوضع طبيعياً، سأل: متى اتصل معكم العقيد؟. أجابوه: من فترة تكلّم معنا. قال: اطلبوه لأني بحاجة له. ولما أجبت على المخابرة وكانت زوجتي على الخط قالت: الشيخ «أبو حسين علي سكيكر» يرغب التكلم معك. عندما سمع ذلك واطمأن إني المتكلم طفر الدمعُ من عينيه وقال: بلغوه سلامي ولا لزوم للكلام معه. لم يخبر زوجتي عما سمع وهي لا تعلم الموضوع وقد أخبرني فيما بعد عندما رآني.

منذ العام /١٩٤٩/ نبهني رئيس الشعبة الثانية المقدم «محمود شطرا» أنهم كشفوا حَلَقَة تسعى لاغتيالي وأنهم يرغبون تعيين أشخاص لحمايتي. ويخشى أيضاً من عائلة «البرازي» وعادة الأخذ بالثأر بعد إعدام «محسن البرازي».

لم آخذ ذلك على محمل الجد وخشيتُ أن تكون الحماية لمراقبة اتصالاتي وتصرفاتي الخاصة. لكن علقت بما يخص آل البرازي ليكن معلوماً إذا أقدموا على شيء من هذا القبيل فإن كل أبناء الجبل يأخذون بثأري وعندئذٍ تكون القضية بين أبناء جبل العرب وآل البرازي. ولم أخبر أحداً بذلك.

وقد نبهني بصورة خاصة إلى ذلك السيد «يحيى أحمد جربوع» حيث كان يعمل في الأمن العام أن اسمي يأتي أثناء التحقيق على لوائح الاغتيالات! لكي أكون يقظاً.

أذاعت اسرائيل ثانية خبر قتلي في إحدى المعارك التي جرت أثناء حوادث لبنان عام /١٩٥٨/ عندما قامت الثورة ضد الرئيس «كميل شمعون» وكان قصدها إذكاء نار الفتنة بوجود ضابط كبير في المعركة من الجمهورية العربية المتحدة. كنت قائداً لمنطقة حلب وسمعت النبأ. اتصل معي الرئيس «طلال أبو عساف» هاتفياً من حمص عند سماعه

الخبر ليتأكد وعندما أجبته سألني هل سمعت إذاعة اسرائيل؟.

ذهابي إلى لبنان بمهمة

خلال شهر نيسان /١٩٥٢/ تقدم النائب «أميل البستاني» باقتراح يطلب فيه إبعاد الضباط اليهود. عن الجيش اللبناني وكان أحدهم يشغل مركزاً هاماً، فخذله زملاؤه بداعي التساوي بين الطوائف.

هذه المناقشة كانت علنية ولم يؤخذ بعين الاعتبار معاملة الصهاينة للعرب في فلسطين.

في أواخر أيار طلب مني العقيد «أديب» رئيس الأركان أن أتوسط مع وزير الدفاع اللبناني الأمير «مجيد أرسلان» كي يسرّح الضباط اليهود من الجيش قائلاً: بإمكانك الذهاب بمأذونية /٤٨/ ساعة إلى بيروت من أجل هذه الغاية وللترويح عن النفس أيضاً. وافقت وأخبرته أن الأمير «مجيد» وجّه لي دعوة مع أركان الجبهة لتناول الغداء في مزرعته المجيدية القريبة من الحدود.

اتفقت مع الأمير «مجيد» ووافيته إلى المجيدية صباحاً في سيارتي العسكرية مع السائق وذهبنا سوية إلى بيروت. أخبرته بمهمتي وإنه وهو ابن عمّ الأمير «شكيب» والأمير «عادل» وقبلهم الأمير «مصطفى أرسلان» الذين يتفانون في خدمة العروبة يجب أن يكون في طليعة من ينفذ إبعاد هؤلاء الضباط.

أجاب الأمير: إن الخطأ كان في كيفية طرح هذا الموضوع ومن الذي طرحه وإنهم سيسرحون قريباً. بلِّغ العقيد «الشيشكلي» بذلك.

عندما وصلنا بيروت قال: أخذت موعداً مع رئيس مجلس الوزراء وكان الأستاذ «سامي الصلح» لمقابلته في مكتبه. أجبته: لا يمكنني ذلك وأنا جئت لمقابلتك فقط ولا يجوز للعسكريين الاتصال برئيس الوزراء أو غيره. قال: لقد أخذت موعداً ولا يمكن التراجع عنه.

كانت رئاسة الوزراء في المبنى الفخم الذي كان يقيم فيه المفوض السامي الفرنسي سابقاً وهو في الطابق الأول. دخلنا على رئيس الوزراء وكان عنده بعض الوزراء، سرَّ كثيراً بهذه الزيارة لأني كنتُ معروفاً في لبنان بواسطة الصحف التي نشرت ما قمت به مع اللواء «سامي الحناوي» ثم مع العقيد «أديب الشيشكلي». وبعد السلام والجلوس قال الأمير «مجيد» إلى رئيس الوزراء: لقد جئتك برجل الانقلابات إذا كنت ترغب بانقلاب. ضحك الجميع وكان الحديث عادياً وبعد تناول القهوة ودعتُ الرئيس والوزراء وخرجت مع الأمير. وجدت أمام مكتب الرئيس حشداً من مراسلي الصحف وسألوا: إنك موفد من قبل العقيد «أديب الشيشكلي» ما هي المهمة التي تقوم بها؟ بينما تكهن آخرون بمهمات من بنات أفكارهم وقالوا: إنك تقوم بكذا وكذا. . . . .

قلت للأمير: هل أعجبتك هذه المفاجأة؟ أجابهم: ليس له من مهمة والعقيد «أبو عساف» صديقي وجاء لزيارتي بصورة خاصة وطلبت منه زيارة رئيس الوزراء زيارة خاصة أيضاً فلبى رغبتي ولا يوجد أيةُ مهمة. اقتنعوا.

عدتُ من زيارة رئيس الوزراء ونزلت في فندق بارون في ساحة البرج حيث زارني خلال إقامتي التي استمرت يومين الأستاذ «كمال جنبلاط» والأستاذ «بهيج تقي الدين» وبعض الأصدقاء والأقارب والضباط من رفاق دورتي في الكلية العسكرية.

في صباح اليوم التالي فاجأني الأمير بقوله أخذت موعداً من رئيس الجمهورية للزيارة. في بادىء الأمر رفضت ولكنه أصر وقال: من أجل أن تنجح مهمتك رغم أنها بقيت سراً معه فقط. اضطررت لتلبية طلبه وذهبنا إلى القصر الجمهوري. كان مرافق الرئيس العسكري العقيد «عبد القادر شهاب» من رفاق دورتي في الكلية العسكرية بحمص. استقبلنا على الباب الخارجي ثم دخلنا على فخامة رئيس الجمهورية الشيخ «بشارة الخوري» كانت الأحاديث عامة وعادية. تعرّفتُ على شخصيته القوية الجذابة التي توحي بالتقدير والاحترام وسعة الاطلاع. أهداني كتاباً من تأليفه وسجل الإهداء والتاريخ ووقعه. وكان مسروراً جداً لهذه الزيارة ثم ودعناه وذهبنا.

في هذين اليومين نشرت الصحف وعلى صفحاتها الأولى كثيراً من التعليقات والتكهنات المختلفة عن هذه الزيارات.

في اليوم الثاني بعد الظهر عدتُ إلى سوريا عن طريق ظهر البيدر. وعند وصولي (عاليه) عرّجتُ إلى (عبيه) لزيارة الأستاذ «عارف النكدي». سألني: ما هي مهمتك؟ أجبته: مأذوناً. قال: لماذا هذه الزيارات وتعليقات الصحف سوف تتحمل مسؤوليات جسيمة. أجبته: المسؤولون يعرفون سبب المأذونية ولا أتوقع تعرضي لمسؤولية ما.

وصلت إلى منزلي في معسكرات قطنا مساء ذلك اليوم. عند وصولي قالت لي زوجتي: طلبوك من الجبهة ويرغبون أن تتصل معهم فور وصولك.

طلبت رئيس أركان الجبهة وكانت المفاجأة. أخبرني أنه صدر أمر نقلي قائداً للمنطقة الشرقية واللواء الخامس في دير الزور. وعين العقيد «رسمي القدسي» لاستلام قيادة الجبهة وسيحضر غداً صباحاً.

قلت له: لا تذكر لأحد أنك بلغتني وغداً صباحاً بعد مقابلة رئيس الأركان لأخبره عن مهمتي أعود إلى الجبهة لأسلم قيادتها. أردتُ أن أعرف كيف سيتصرف العقيد «أديب»!.

إذن هذه المهمة كانت تغطية ليجري النقل أثناء غيابي. حتى ولو جرى بحضوري لم يخطر ببالي الاعتراض عليه حيث جرت تسريحات وتنقلات أخرى.

نقلي إلى دير الزور قائداً للمنطقة الشرقية

في الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي قابلت العقيد «أديب» في مكتبه وأخبرته أن الأمير «مجيد» وعد بإبعاد الضباط اليهود عن الجيش اللبناني. وأعلمته كيف وضعني تحت الأمر الواقع لمقابلة رئيس الوزارة ثم رئيس الجمهورية وموقف الصحف وتصرفها التي تعمل (من الحبة قبة). سأل: صحيح ماذا بحثتم؟ قلت له: لا شيء مطلقاً سلام ومجاملات. وقد فاجأتنا الصحافة أمام مكتب رئيس مجلس الوزراء وأكد لها الأمير «مجيد» أن الزيارة خاصة ولا تتعلق بالسياسة. أجاب: خير.... على فكرة هل تعلم أنا نقلناك؟ سألت: إلى أين؟ أجاب: إلى دير الزور وتابع قوله: في الجزيرة يوجد أقليات غير عربية كالآشوريين وغيرهم يجب أن يكون قائد تلك المنطقة من القوميين الموثوقين لذلك اخترناك لتستلم المنطقة الشرقية في دير الزور. اذهب وسلم خلفك

والتحق بمركزك الجديد فوراً.

أجبتُ: بكل سرور لم يسبق لي أن خدمت في دير الزور وليس لي من اعتراض على هذا النقل. لكن وجِّهتْ لي دعوة إلى حاصبيا من قبل الشيخ أبو علي «مهنا حسان» وأرغبُ في تلبية هذه الزيارة. أجاب: تسلِّم الجبهة اليوم وغداً تذهب بزيارتك. وبعد غد تلتحق بدير الزور.

عندما وصلتُ القنيطرة وجدتُ القائد الجديد العقيد «رسمي القدسي» قد وصل أمضيت ذلك اليوم معه زرنا مراكز الأفواج وبعض المخافر. وأمضيت آخر ليلة في القنيطرة.

في اليوم التالي ذهبت إلى حاصبيا وكنت قد أخبرتهم عن مجيئي. وجدتُ أهالي حاصبيا وعلى رأسهم رجالُ الدين بالانتظار. كانت لي معرفة سابقة مع الشيخ «حسان» بدأوا يبحثون بالدعوات وطلبوا أن أبقى عندهم أسبوعاً.

اختليت مع الشيخ «أبو علي» وقلت له: إني انتقلت من القنيطرة وعليّ أن أذهب غداً إلى دير الزور، يمكن إجراء زيارات محدودة اليوم وبعد تناول الطعام سأغادر فوراً. طلبتُ مساعدته بعدم الإحراج - أخبرهم بالواقع وارتحت من دعواتهم الملحّة الصادقة.

-التحاقي بمركز عملي الجديد-

بتاريخ / ٤/ ٦/ ١٩٥٢/ ذهبت إلى دير الزور مع عائلتي وأثاث بيتي واستلمتُ قيادتي. اللواء موزع كما يلي:

الفوج الثالث مع سرية مقر اللواء في دير الزور، الفوج السادس في الحسكة، الفوج التاسع عشر قيادته في القامشلي وهو موزع في مخافر على طول الحدود الشمالية. المنطقة الشرقية تشمل كل الأراضي السورية الواقعة شرق نهر الفرات في الشمال، أي محافظتي دير الزور والحسكة، الرقة كانت مديرية منطقة تابعة إلى دير الزور. وفي الوسط والجنوب يوجد أجزاء غربي النهر تابعة لهاتين المحافظتين، الحدود تبدأ من شرق جرابلس شرق النهر حتى الحدود العراقية شرقاً.

بعد زيارتي الأفواج في دير الزور والحسكة باشرتُ زيارة مخافر الحدود كلّها. المخافر التي لا يصلها الطريق زرتها راكباً على الحصان. اغتنمت هذه الفرصة حتى يكون عندي فكرة عن طبيعة الأرض على طول الحدود. كنتُ أول آمر لواء يزور كل المخافر حتى التي لا تصلها السيارة. في مهجع أحد المخافر وجدت صورة. . . للمرحوم المشير «حسني الزعيم» لا تزال معلقة بجانب سرير أحد الجنود. هذا يدل على عدم زيارات المسؤولين وأن زيارتي كانت مفاجئة. طلبت من آمر السرية أن يحقق عن سبب وجود هذه الصورة ولم يجد ما يستحق المسؤولية.

بعد الحدود التركية رغبت في التعرف على الحدود العراقية في منطقة القامشلي وبالقرب من عبور الخط الحديدي الأراضي السورية، عند خروجه من العراق الأراضي وراء الحدود أسهل منها في الأراضي السورية. توغلتُ قليلاً ووقفت على مرتفع أدرس الأرض وكان معنا سيارة. رأتنا صدفة دورية عراقية مؤلفة من سيارتين واتجهت نحونا بقينا في مكاننا. وعند وصولهم أوقفوا السيارات وترجّل آمر الدورية وهو برتبة رقيب أول قلت لهم: أهلاً بكم في سوريا. قالوا: بل أنتم في أرض العراق. قلت: بين الإخوة لا يوجد حدود، هذه الحدود المصطنعة وضعها الأجانب سواء كنتم عندنا أو كنا عندكم الحال واحد. انتهى الموضوع وانسحبنا إلى الأراضي السورية.

بعد هذه الجولة صار العمل روتينياً. مراقبة التدريب والقضايا الإدارية وهذا يختلف كثيراً عن مسؤوليات الجبهة ومراقبة العدو والرد على مفاجآته الكثيرة. صار بإمكاني الجلوس مع عائلتي وأولادي هادىء البال.

خلال شهر آب حصلت على مأذونيتي السنوية لمدة شهر وحضرت إلى الجبل. من عدة سنوات لم أحصل على مثلها؟.

في اليوم الذي كنت سأغادر فيه قريتي لألتحق بعملي توفيت خالة زوجتي بالسكتة القلبية وطلبت زوجتي مني أن تبقى أياماً ولأن المأذونية في نهايتها ذهبت إلى دمشق وقابلت العقيد «الشيشكلي» رئيس الأركان أخبرته عن الوضع المفاجىء. وافق على تمديد المأذونية ثلاثة أيام وسأل: إن شاء الله أن يكون الارث الذي ستناله العائلة محرزا!. أجبته: لا يوجد إرث وهذه العادة لم تطبق في الجبل حتى الآن.

عدت في نهايتها مع عائلتي إلى مركز عملي.

-الزعيم «فوزي سلو» يشكل الوزارة-

في أوائل حزيران /١٩٥٢/ شكل الزعيم «فوزي سلو» الوزارة على الوجه التالي:

الزعيم «فوزي سلو» رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للداخلية والدفاع.

السيد «ظافر الرفاعي» وزيراً للخارجية - السيد «سعيد الزعيم» وزيراً للمالية - السيد «منير غنام» وزيراً للعدل - السيد «سامي طبارة» وزيراً للمعارف - السيد «عبد الرحمن الهنيدي» وزيراً للزراعة - السيد«توفيق هارون» وزيراً للأشغال - السيد الدكتور «مرشد خاطر» وزيراً للصحة - العقيد «أديب الشيشكلي» وزيراً للدولة. وفي /٣/آب/١٩٥٢/ أصدر الزعيم «فوزي سلو» مرسوماً بتعيين العقيد «أديب الشيشكلي» نائباً لرئيس الوزراء.

-مشروع بناء نادي ضباط القامشلي ودير الزور-

عام /١٩٥٢/ كان المقدم «خطار حمزة» آمر فوج الحدود وقائد موقع القامشلي. وبما أنه لا يوجد نادي للضباط في ذلك الموقع اقترح إقامة حفلة ترفيه بواسطة فرقة فنية يحضرها أبناء المنطقة ويخصص ريعها لبناء النادي. بعد موافقة القيادة وتوزيع البطاقات أقيمت الحفلة في أواخر صيف /١٩٥٢/.

كانت الحفلة تحت رعاية رئيس الأركان العامة العقيد «أديب الشيشكلي» الذي أناب عنه قائد المنطقة الشرقية العقيد «أمين أبو عساف». جرت الحفلة وكان إقبال أبناء الجزيرة بارزاً. وقد بلغت حصيلة الحفلة «الصافي» خمسةً وستين ألف ليرة سورية وقد أخبرت السلطات المختصة بذلك.

بعد أيام اتصل العقيد «أديب الشيشكلي» مباشرة مع المقدم «خطار حمزة» وأمره أن يحضر مع المبلغ الى دمشق، وعند وصوله واجتماعه مع العقيد «أديب» طلب منه أن يعطيه المبلغ قرضاً لإحدى دوائر الجيش لوقت محدد. استلمه وتصرّف به ولم يُعِدْه.

ولما كان موقع القامشلي والفوج تابعان لقيادة المنطقة الشرقية سألت المقدم «خطار» رسمياً إلى أي مرحلة وصلت إجراءات بناء النادي؟ أخبرني بالواقع وأنه طالب العقيد «أديب» وتبين أن المبلغ قد صودر.

-مشروع نادي ضباط دير الزور-

في موقع دير الزور وهو مركز هام حيث توجد قيادة اللواء والمنطقة وعدد من الأفواج. وعلى طريق الجزيرة لا يوجد بناء لنادي الضباط. النادي الحالي في بناء قديم مستأجر من بلدية دير الزور وهو غير لائق.

ولتقوية معنويات ضباط المنطقة والموقع قررت قيادة المنطقة بناء نادٍ حديث يضمّ بالإضافة إلى صالات الطعام والتسلية والاستقبال قاعة محاضرات ومكتبةً ومسبحاً. وغُرفاً للنوم بالنسبة للضباط الذين يمرون من الموقع أو يصلون حديثاً إليه ريثما يجدون سكناً. وأن يكون على مستوى نادي ضباط دمشق وحلب.

الميزانية لن تلبي طلبنا في الوقت الحاضر. وبما أن مواسم الحبوب والقطن في الجزيرة والفرات تدرّ الأموال الطائلة وكرم السكان لا يحتاج إلى برهان.

اقترحتُ على القيادة ووافقتْ على إقامة حفلة ترفيه لأبناء الجزيرة والفرات تدعى إليها فرقة فنية (رقص وغناء) ويرصد ريعها إلى بناء نادٍ للضباط.

أقيمت الحفلة في خريف /١٩٥٢/ تحت رعاية رئيس الأركان العامة العقيد «أديب الشيشكلي» لم يحضر وأناب عنه قائد المنطقة الشرقية العقيد «أمين أبو عساف». وقد حضر الحفلة جمع غفير من أبناء الفرات والجزيرة وقد بلغ ريعها بعد المصاريف ثمانين ألف ليرة سورية. أخبرت بذلك السلطات المختصة. أُودِعَ هذا المبلغ أمانة باسم قائد المنطقة وتحت تصرف رئيس فرع الهندسة في دير الزور الملازم الأول «محمد الشاعر»

في إحدى المرات أثناء وجودي في دمشق بمهمة. طلب مني العقيد «أديب» أن أعطيه المبلغ قرضاً إلى نادي الضباط في دمشق لأنهم بحاجة إليه وسيعيده بعد مدة. أجبته: لن أتصرف بهذا المبلغ إلا من أجل الغاية التي جُبيَ من أجلها. لأننا إذا لم نبنِ

النادي ماذا يقول عنا أبناء الفرات والجزيرة الذين دفعوا المال.

العيد القومي الأول

بعد انقضاء عام على استقالة رئيس الجمهورية واستلامه الحكم قرر العقيد «أديب الشيشكلي» أن يكون اليوم الثالث من كانون الأول من كلّ عام عيد سوريا القومي بدلاً من /١٧/ نيسان عيد جلاء الجيوش الأجنبية والاستعمار والذي كان عيد سوريا القومي!. وقد جرت اتصالات رسمية بالدول العربية حتى تشارك بالعرض بقوات من جيوشها في هذه المناسبة القومية. وأرسلت لهذه الغاية مفارز اشتركت بالعرض.

في /٣/ كانون الأول /١٩٥٢/ جرى عرض كبير اشترك فيه أكبر عدد ممكن من الجيش (مدرعات - مدفعية - مشاة - طيران) شاركت فيه الدول العربية.

ولكن هذا العرض لم يمرّ بسلام إذ خرجت دبابة عن خط السير يقودها سائق (غر) حديث ليس لديه شهادة سوق وقد مشى فوق الناس المحتشدين على جانب الطريق لرؤية العرض وقد دهس اثنين وخمسين شخصاً في مجزرة رهيبة طحنتهم السلاسل طحناً قبل أن تقف الدبابة. وهذا يدل على سوء التدريب في الجيش وعدم وجود العدد الكافي من الأخصائيين والسواقين بصورة خاصة. انتهى العرض بهذه الكارثة.

في /١١/١٢/١٩٥٢/ قام العقيد «أديب» بزيارة القاهرة. احتفى به اللواء «محمد نجيب» باعتبارهما قائدي ثورتين تقدميتين وقضى أياماً سعيدة في القاهرة.

-مقابلة المقدم «عدنان المالكي»-

في /١٥/١٢/١٩٥٢/ حضرت من دير الزور بعد موافقة رئاسة الأركان لملاحقة قضايا معينة تتعلق بقطعات اللواء، ولم أكن أعلم بغياب العقيد «أديب» - عندما مَثُلْتُ في الأركان. أبلغني معاون رئيس الأركان العقيد «أمير شلاش» أن العقيد «شيشكلي» سيعود غداً. ويجب أن تكون في الاستقبال في المطار. أجبت: العقيد لا يعلم بوجودي هنا وليس من الضروري أن أكون في الاستقبال - قال: أنا بلغتك - قلت:

ولكن سأحضر جلسة في محكمة السويداء غداً صباحاً ولن أكون هنا - قال: سيكون حضوره بعد الظهر بإمكانك حضور الجلسة والعودة للاستقبال. لا أعلم لماذا أصرّ على ذلك وأنا لستُ متحمساً لاستقباله ولا يمكنني الرفض.

عند نزولي من مكتب العقيد «شلاش» إلى الطابق الأرضي الساعة /١٣،٢٠/ تقريباً وجدت المقدم الركن المجاز «عدنان المالكي» بانتظاري في الممشى. قال: أنا أنتظرك لزيارتي وتهنئتي بالوظيفة الجديدة والمكتب الجديد.

دخلتُ مكتبه وجدته مجهزاً أحسن تجهيز لأنه مكتب رئيس التفتيش وهنأته على نجاحه في دورته الأخيرة، دراسات عليا (مجاز) وعودته سالماً عسى أن يستفيد الجيش من هذه الدراسات.

تابع «المالكي» قائلاً لا يغشك المظهر فأنا لا أعمل شيئاً وليس لي صلاحيات أَمَلُّ من الجلوس ولا أعلم إذا كان قد وضع في هذا المكتب أجهزة تنصت ليسمعوا ما أتكلّم به مع زواري أو بالهاتف. وقد فتشت حتى الآن لم أرَ شيئاً ولكني لست مطمئناً. أشعر أني محاصر ومراقب. وتابع قوله: الذين يعملون هم الذين ينفذون رغبة «الشيشكلي» بدون مناقشة. حرام أن يتخصص الضابط ويجد نفسه بدون عمل لاعتبارات لا تمت إلى الخدمة بصلة مثل عدم الثقة وعدم الانسجام بالرأي. نرغب أن يكون القانون فوق الجميع والعمل بموجبه ولكن (تجري الرياح بما لا تشتهي السفن).

هنيئاً لمن هو بعيد عن الأركان ولا يعلم عن قرب كيف تسير الأمور هنا وكيف تسند المراكز لغير مستحقيها من الجواسيس والأتباع ولا تعلم إذا كان الشخص الذي يكلمك يتجسس عليك.

أثناء حديثه خرج مرتين ليرى إذا كان أحد يراقب. استوضحت عن بعض النقاط سَرَقَنا الحديث حتى الساعة /١٤،٤٥/ . خرجنا وجدنا الأركان ساكنه لأن الدوام ينتهي في الساعة الرابعة عشرة قال: بختك طيب لأن المراقبة انتهت قبل دخولك مكتبي.

إن دورات الأركان أي ضابط ركن هي لقيادة تشكيلات من لواء وما فوق أو لرئاسة أركان هذه التشكيلات أو العمل في شعب الأركان. بينما دورة المجاز هي دراسات

عليا يتبعها من تفوق من الضباط في دورة الأركان ونجح نجاحاً باهراً في المراكز التي أسندت إليه ويحضرِّونه لقيادة الجيوش.

عدت باليوم الثاني بعد الجلسة إلى الأركان وجدتهم قد ذهبوا إلى المطار ولم ألحق بهم.

-عودة رئيس الأركان المفاجئة من القاهرة-

واعتقال عدد من الضباط

قطع الزعيم زيارته وعاد فجأة بتاريخ /١٦/ ١٢/ وكانت الاستخبارات قد اتصلت به. وأخبرته عن اكتشاف مؤامرة لتلقي القبض عليه في المطار.

اتُخذت التدابير من قبل الشرطة العسكرية وألقي القبض على معظم الضباط الذين حضروا لاستقباله في المطار ومنهم المقدم «عدنان المالكي» وكان يعمل في هيئة التفتيش في الأركان. ولو كنت حاضراً لربما شملني التوقيف. جرى ذلك والعقيد «شلاش» لا يعلم شيئاً عن الموضوع لأن الاستخبارات تتصل مباشرة برئيس الأركان.

في /٢٤/ ١٢/ ١٩٥٢/ أعلن عن اكتشاف مؤامرة فأوقف وسجن عدد من الضباط والمدنيين. وهرب إلى لبنان عدد من المدنيين سيراً على الأقدام وبعيداً عن الطرق كي يتجنبوا المخافر ومنهم «ميشيل عفلق» و «صلاح البيطار» و «أكرم الحوراني».

طلب من لبنان تسليمهم وأغلقت الحدود لكن لبنان رفض تسليمهم ولكنهم تركوا لبنان فيما بعد وذهبوا إلى إيطاليا.

حفلة وداع الأستاذ «طرودي عامر»:

مساء /١٧/ ١٢/ ١٩٥٢/ أقيمت حفلة وداع في نادي الشرق. كان الأستاذ «طرودي عامر» منقولاً مديراً لمنطقة القامشلي وأقيمت الحفلة على شرفه حضرها كثيرون - بعد

انتهاء الحفلة طلب مني الأستاذ «طرودي» أن أرافقه بالطائرة غداً إلى القامشلي. أجبته: معي سيارة قال مازحاً: أنا أدفع أجرة الطائرة إذا رافقتنا - أجبته: الأجرة لا تهم ولكني لم أقابل العقيد «الشيشكلي» بعد ويجب أن أقابله قبل عودتي. وتفارقنا على أن يستقل الطائرة صباحاً.

في اليوم التالي قابلت «الشيشكلي» وسألني عن سبب مجيئي أخبرته بالتفصيل وقلت له: إني سأسافر غداً. أنهيت عملي في جميع الدوائر وفي المساء ذهبت إلى السينما. ولما عدت إلى الفندق في الساعة التاسعة مساءً، وجدت الخبر المفجع عن اصطدام الطائرة التي سافر على متنها الأستاذ «طرودي» ووجدت الرئيس «سعدو» في انتظاري لمساعدتهم على استلام الجثمان من المستشفى العسكري وأن الاستاذ «نجيب حرب» بانتظاري في مكتب الجريدة.

ذهبت مع الرئيس «سعدو عامر» إلى إدارة جريدة الجبل ومن هناك اتصلت بواسطة سنترال الأركان الذي يعرف مكان العقيد «أديب الشيشكلي» وكان في إحدى الحانات. أخبرته عن الحادث الذي جرى للأستاذ «طرودي». أعلن تأثره ووافق على منحي مأذونية لمرافقة الجثمان إلى الجبل وكلفني تقديم التعازي باسمه إلى آل الفقيد.

ذهبنا إلى المستشفى العسكري لاستلام الجثمان وجدنا الضحايا مجموعين في غرفة واحدة مقفلة بأمر الزعيم «فوزي سلو» رئيس الدولة لا تفتح إلا بأمره نهار الغد. اتصلت به هاتفياً وكنت أعرفه جيداً إذ كان مدرب دورتي في آخر سنوات الكلية العسكرية. وطلبت منه أن نستلم الجثمان اليوم لنتمكن في الصباح من نقله إلى الجبل. وافق وأعطى الأمر إلى المستشفى لإعطائنا جثمان المرحوم «طرودي عامر» ورفيقه المرحوم «جميل أبو كرم» وكانت الجثث مشوهة تعرف الأقارب على الجثث ووضعناها في توابيت وخصصت غرفة بقيت التوابيت فيها حتى الغد صباحاً. اتصل الموجودون في الجبل وأخبروهم عما جرى.

كيف جرى الحادث: في ذلك الصباح كان يُوجد ضباب والرؤيا سيئة في تلك المنطقة الجبلية. عندما وصلت الطائرة إلى الجهة الشرقية من النبك حيث الجبال الشاهقة ضرب جناح الطائرة الأيسر إحدى القمم وانشق عن جسمها وسقطت الطائرة واشتعلت فيها النيران ولم يتمكن أحد من فتح الباب. إنما الذين كانوا بالقرب من

الجناح المكسور رموا بأنفسهم من تلك الفجوة ومنهم المقدم «زهير الصلح» الذي كان من الركاب ورأيته في المستشفى فيما بعد.

قال لي: عندما رميت بنفسي انكسرت رجلي ولكني لم أفقد الوعي - حاولت الابتعاد عن الطائرة المشتعلة. ثم امتد الحريق إلى الأعشاب اليابسة التي تحيط بنا وبقيت أبتعد حتى فقدت الوعي وأتوا بي إلى هنا.

لم تتمكن فرق الإسعاف من الوصول إلى الطائرة إلا بصعوبة عند العصر لأن الحادث جرى بمنطقة جبلية صعبة بعيدة عن الطرق.

كشفت إحدى الطائرات مكان سقوطها وذهبت فرق الإسعاف مسافات كبيرة مشياً على الأقدام بعد أن تركت السيارات في آخر مكان أمكن الوصول إليه. ولم يتمكنوا من الوصول إلى دمشق إلا بعد المغرب والعودة بالضحايا والمصابين الأحياء الثلاثة إلا بعد الظلام.

في الصباح الساعة السابعة حضرنا إلى المستشفى وكان عدد كبير من السيارات قد حضرت من دمشق وجوارها ومن جبل العرب لمرافقة الجثمان في رتل بلغ المائة سيارة.

وعند المزرعة على مفرق شهبا وجدنا المحافظ مع الموظفين لاستقبال الجثمان وعدد كبير من السيارات أيضاً حيث انضموا إلى الرتل وذهبنا إلى شهبا.

كانت الأرض التي بها المشهد حالياً خالية من البناء ووجدنا الجبل كله بانتظار الجثمان ويزخر السهل كله بالبشر من كل الأنحاء آسفة على هذين الشابين اللذين لا يزالان في مقتبل العمر.

«إنا لله وإنا إليه راجعون»

-تنقلات للضباط غير المرغوب بهم وظهور حركات معارضة-

خارج سوريا

في مستهل عام /١٩٥٣/ نقل ضباط غير مرغوب فيهم في الداخل إلى المنطقة الشرقية ومنهم الرئيس «بشير صادق» الذي سجن ثم أفرج عنه لعدم ثبوت أي مسؤولية عليه. بلغني رسالة شفهية من المقدم «عدنان المالكي» يقول فيها: إنه يعتمد عليّ لإنقاذه من سجنه.

في أوائل هذا العام ظهرت في العراق حركات مثل «قوات سوريا الحرة» و «حكومة سوريا الحرة» قام بها العقيد «محمد صفا» مع بعض الضباط الذين كانوا في العراق مثل المقدمين: «محمد معروف» و «محمود الرفاعي» و «خالد جادا» و «عصام مريود» وغيرهم ومن المدنيين الأستاذ «أسعد طلس».

كانت الحكومة العراقية تشرف على هذه التشكيلات وتمولها وقد زودتها بالأسلحة والسيارات وكانت تهاجم الحكم القائم في سوريا وتتصل مع العسكريين وتشجع على الانضمام إلى صفوفها.

خلال شهر آذار طلب المقدم «فيصل الحسيني» آمر الفوج السادس في الحسكة من قيادة اللواء برقياً السماح له بالذهاب إلى دمشق لأمور تتعلق بالخدمة مع بيان الأسباب. لم تقتنع قيادة اللواء بهذه المهمة وأجابته برقياً مع عدم الموافقة.

في ذات اليوم بعد الظهر أتت برقية من الأركان تقول: سيروا المقدم «فيصل الحسيني» إلى دمشق لأمور تتعلق بالخدمة. أخبرني عامل المقسم على الهاتف أن المقدم «الحسيني» اتصل مع الأركان هاتفياً وأخبرها عن رفض طلبه من قبل قيادة اللواء.

راودني الشك في أمر هذا الضابط الذي يتصل بالأركان مباشرة عن غير طريق

التسلسل ويجابُ إلى طلبه. لربما كان مخبراً حتى يجرؤ على الاتصال. قررت بحث الموضوع مع رئيس الأركان في أول مقابلة والاحتجاج على هذا التصرف.

في أحد الأيام من شهر آذار أخبرني رئيس أركان اللواء المقدم «سليمان نصر» أنه تلقى بضعة رزم من المناشير فيها تشويق لعناصر الجيش للالتحاق بقوات سوريا الحرة أرسلها العقيد «محمد صفا» الذي طلب الاجتماع معي في المكان الذي أعينه في البادية.

أبدى المقدم رأيه أنه لا مانع من الاجتماع معه لمعرفة ما يريد. وأقترح أن نذهب معاً بدون سائق زيادة بالحيطة سألته: كيف وصلت هذه المناشير؟. أخبرني: أتت إليه مباشرة بواسطة سيارة مدنية. كنت لا أشك بإخلاصه حتى هذه اللحظة. قلت له: إن هذه القوات ليست حرة لأن الحكم في العراق ليس عربياً بل بريطانياً!.

«نوري السعيد» والوصي يخدمون بريطانيا أكثر مما يخدمون العروبة. ولن أمكّن العقيد «صفا» من الاتصال مع الضباط وإغراء بعضهم ولا حاجة لإعلام القيادة عن هذه المناشير. بل نتلفها كلها ونعطي تعليمات صارمة بعدم الاتصال مع قوات سوريا الحرة.

وهكذا أخذنا أنا والمقدم «نصر» السيارة إلى منزلي بعد الظهر وكان قد وضع المناشير فيها. وكنا قد حضّرنا حفرة وبعد وضع المنشور الذي أطلعني عليه أعدناه إلى الرزم وطلبت منه عدم الاحتفاظ بأي منه ووافق على ذلك واتلفناها كلها حرقاً.

في أول مقابلة مع رئيس الأركان رغبت في بحث موضوع المقدم «حسيني» واتصاله المباشر مع الأركان. قلت له: لستَ شمساً مشرقة حتى ترى كل شيء في المناطق. إن ما يجري فيها تعلمه بواسطة أعوانك قادة المناطق فإذا كنتُ غير موثوق أفضّلُ التسريح على أن أسمح لأحد من مرؤوسي أن يتصل بالأركان مباشرة عن غير طريق قيادة المنطقة. وكانت المفاجأة. أجاب: لا داعي للشك والريبة وتعقيد الأمور لربما كنت لا تعلم ذلك لقد أرسل لي المقدم «نصر» صورتين عن منشور من قبل «صفا» حصل عليها بوسائطه الخاصة.

اكتفيت بما سمعت - رغبت في وضع حدٍّ لتصرفات المقدم «حسيني» وإذ أفاجأ

بموضوع المقدم «نصر»! ليس من حق المقدم «نصر» قانوناً الاتصال مباشرة مع الأركان عن غير طريق التسلسل إذا كان له اعتراض عما جرى كان يجب عليه الإعلان عنه ومناقشته وإذا لم يقتنع وسارت الأمور على غير ما يرغب أن يوجه رأيه إلى الأركان عن طريقي ومن واجبي أن أحيل رأيه إلى الأركان مع بيان وجهة نظري. والسلطة العليا تبتّ بالأمر.

عندما سألت المقدم «نصر» لماذا فعل ذلك وعما قاله لرئيس الأركان رغم أنه اعترف بعدم إحتفاظه بأي من المناشير. أكد أنه أرسل المناشير ولم يعلق عليها ولم يعلمه بما جرى وأنه أخطأ بعمله هذا.

يجب على رئاسة الأركان ألا تقبل المراجعات عن غير طريق التسلسل ولكنها تشجع أو تطلب ذلك من أجل المصلحة الخاصة وضد المصلحة العامة.

وهكذا علمت أن رئيس أركان اللواء والمنطقة وآمر أحد الأفواج لهم صلة مباشرة مع العقيد «أديب» ولا أعلم إذا كان يوجد غيرهم يقومون بهذه المهمة وهي مراقبة قائد اللواء والمنطقة أخذت الاحتياطات لكي لا يتطلع هذان الضابطان على أفكاري.

- انتخاب «الشيشكلي» رئيساً للدولة ومقابلته -

وتقديم النصح له

السبت /١١/ تموز /١٩٥٣/ دعينا لحضور الاحتفالات والتهنئة بعد إعلان الاستفتاء على الدستور وانتخاب الزعيم «أديب الشيشكلي» رئيساً للجمهورية وكان استقبالاً عاماً حسب برنامج معد لهذه الغاية في القصر الجمهوري. بعد حضور هذه الحفلة كان من المفروض أن نعود إلى أماكن عملنا.

قررتُ أن أنصح الزعيم «أديب الشيشكلي» كي يحكم البلاد حكماً ديمقراطياً بعد أن وصل إلى غايته. وإذا أمكن حل الموضوع سلمياً رغم خطورة البحث بهذا الموضوع.

قلتُ: إذا قبل النصيحة وحتى لو انتقم مني أكون قمت بواجبي وهذا أصلح الحلول.

فمن الأصدقاء أخذت رأي الأستاذ «نجيب حرب» حيث قال: لا يؤمّن له ولا تعرّض نفسك للخطر بدون فائدة. ومن العسكريين أخذت رأي الملازم الأول «طلال أبو عسّاف» وقد أجاب: أخشى ألا يكون من ذلك فائدة ويبطش بك حبساً أو تسريحاً.

لم أقطع الأمل من التأثير عليه نظراً لما بيننا من مواقف مشتركة. رغم خطورة الموضوع وما ينجم عن بحثه من مسؤوليات كنت أرغب في راحة الضمير بكل الوسائل.

الأحد /١٢/تموز /١٩٥٣/ الساعة التاسعة والنصف وهو أول يوم دوام لسيادة الرئيس. وكنتُ أظن أني أول الزائرين، كنت في مكتب المقدم «محمود شوكت» رئيس مكتب رئيس الجمهورية وطلبت مقابلة سيادة الرئيس. أجابني عند الرئيس الآن وزير أمريكا المفوض عندما يخرج تدخل أنت.

هذه الزيارة الأولى والمبكرة لوزير أمريكا المفوض لا يمكن أن تكون عفوية وهذا يدل على النفوذ والتوجيه الأمريكي في سياسة «الشيشكلي».

في الساعة الحادية عشرة دخلت لمقابلة الرئيس وبعد المجاملات قلتُ:

رغبت في مقابلتكم منذ وقت طويل ولكن كنتم تعدون وتعملون من أجل قيام الحكم الرئاسي. الآن وقد تحقق ذلك ووصلتم إلى غايتكم رأيت من واجبي أن أعلنَ رأيي.

يا حبّذا لو تتخلوا عن الحكم العسكري وتحكموا البلاد حكماً ديمقراطياً وتطبقوا ما درجت عليه الدول الراقية. من أن رئيس الجمهورية فوق الأحزاب. ولا ينتمي لأي منها. بعد أن يجري انتخابه يستقيل من الحزب الذي ينتمي إليه.

وأن تطلقوا الحريات، وتجروا انتخابات حرّة ونزيهة في ظل حكومة حيادية وموثوقة وينجح من ينتخبه الشعب.

سأكون صريحاً وإلا ما نفع إبداء الرأي. إن تجربتكم في الحكومة السابقة وتشكيل حركة التحرير لم تكن ناجحة. ربما لم تطلعوا على الحقائق.

إن الوزراء وأعضاء حركة التحرير ليس لهم شعبية ولا يمثلون الرأي العام في مناطقهم وبدلاً من مساعدتهم كنتم تفرضونهم بالقوة وتتحملون مسؤولية ضعفهم وانعدام شعبيتهم وهذا يكلفكم جهوداً بدلاً من الاعتماد عليهم لتكوين قاعدة شعبية تدعم الحكم. لنأخذ مثلاً دير الزور عند زيارة الوزراء للمنطقة أو عودة المسؤولين في حركة التحرير. لا يكون أحد في استقبالهم إلا أشخاص قلائل لا قيمة لوجودهم. ولكن الصحف تكتب فصولاً عن حرارة الاستقبال الذي لم يحدث أصلاً هذا ما أردت تفصيله لكم. ومع ذلك أنا ليس لي غاية إلا أن ينجح حكمكم وترتاح البلد من المشاكل.

شكرني على آرائي القيمة وقال: إنه في سبيل تشكيل حكومة (تكنوقراطية) يكون الوزير ذا اختصاص في وزارته. وسيعمل على انتقاء وزراء يكونون موضع ثقة الجميع وسيعمل ما فيه خير الوطن. رغم صعوبة المسؤولية: اللهم إني بلّغت. وهذا أقصى ما يمكنني فعله في ذلك الوقت.

- مؤتمر حمص -

على أثر إعلان الدستور الجديد في أواخر حزيران وتحديد مراحل تنفيذه والاستفتاء عليه وانتخاب رئيس الجمهورية.

عقد في /٤/ تموز /١٩٥٣/ مؤتمر حمص الشهير برئاسة الرئيس «هاشم الأتاسي» رئيس الجمهورية السابق. اشتركت فيه جميع الأحزاب وعدد كبير من المستقلين. وبعد إذاعة الدستور وصل بعض المبعدين مثل «ميشيل عفلق» و «صلاح الدين البيطار» و «أكرم الحوراني» واشتركوا في المؤتمر ومَثَّلَ «سلطان باشا الأطرش» في هذا المؤتمر المجاهدان «يوسف العيسمي» و «حسين مرشد» وغيرهم.

لم يعترف المؤتمر بشرعية حكم «الشيشكلي» وأعلن السعي والوقوف بوجهه بكل الوسائل حتى يزول. وبدأت المقاومة من قبل الأحزاب والمحامين والأطباء والطلاب وكل أبناء الوطن يطالبون بتنفيذ مقررات المؤتمر. وفي كل مرة كانت السلطة تستعمل

العنف والشدة وتأمر باعتقال المسببين وسجنهم.

كل هذا لم يمنع «الشيشكلي» من تنفيذ مخططه وانتخابه رئيساً للجمهورية والموافقة على الدستور والحكم الرئاسي.

بعد أن تمّ انتخاب رئيس الجمهورية استقال اللواء «فوزي سلو» وأحيل على التقاعد وذهب إلى السعودية مستشاراً عسكرياً.

عين الزعيم «شوكت شقير» رئيساً لأركان الجيش السوري.

وصدرت مراسيم تشكيل الوزارة الجديدة حسب الدستور الرئاسي دون تسمية رئيس الوزراء من السادة:

١ - «خليل مردم بك» للخارجية

٢ - «نوري الأيبش» للداخلية

٣- اللواء «رفعت خانكان» للدفاع

٤ - «جورج شاهين» للمالية

٥- «أسعد محاسن» للعدل

٦ - «أنور ابراهيم باشا» للمعارف

٧ - «عبد الرحمن الهنيدي» للزراعة

٨ - «فتح الله اسيون» للأشغال العامة

٩ - «عون الله الجابري» للاقتصاد

١٠ - الدكتور «نظمي القباني» للصحة

وبدأ رئيس الجمهورية يحضّر للقضاء على معارضيه بصورة بعيدة عن الأخلاق والعرف والقانون.

-عرض عسكري بمناسبة العيد القومي-

عرض أسحلة - مؤتمر لرؤساء حركة التحرير.

بعد العرض العسكري الكبير في /٣/ كانون الأول /١٩٥٣/ والذي جعله «الشيشكلي» العيد القومي لسوريا وتشترك فيه مفارز من الجيوش العربية

١- عرض الأسلحة التي غنمها الجيش السوري أثناء حرب /١٩٤٨/ في معركتي قرية كعوش وحصن خان يردا وغيرهما. من الجيش الصهيوني، بعد أن سحبها من مستودعات الجيش، على أنها مصادرة من محافظة السويداء، وأن إسرائيل على اتصال مع الدروز في الجبل وقد زودتهم بهذه الأسلحة من أجل الثورة على الحكومة بدعم منها. زار هذا المعرض كل المتعاونين مع «الشيشكلي» والذين حضروا العرض العسكري الكبير.

٢- دعي لزيارة معرض الأسلحة الملحقون العسكريون للدول العربية. الزعيم «عبد المطلب الأمين» الملحق العسكري العراقي. علّق قائلاً: إن هذه الأسلحة قديمة وصدئة ولا يوجد انسجام بينها، وبعضعها غير صالح للاستعمال ويُشَكُّ في موضوع تسليمها إلى الدروز في وضعها الراهن.

٣ - بعد العرض العسكري وعرض الأسلحة. عقد مؤتمر لرؤساء فروع حركة التحرير العربي ووضعها في جو المعركة التي يحضّر لها.

وهكذا نرى كيف يضلل رئيس الجمهورية أعوانه بالدرجة الأولى ثم الرأي العام السوري والعربي والعالمي.

بعد أيام من عودة رئيس فرع حركة التحرير العربي من دمشق اتصلت معه وطلبت

منه أن يزورني. عندما حضر سألته عما جرى في المؤتمر الذي عقد في دمشق وما هي التوجيهات والقرارات؟. أخبرني عن كل ما جرى في المؤتمر حتى وصل بحديثه إلى محافظة السويداء وعلّق: بما أن المحافظة على حدود إسرائيل يوجد اتصالات واسعة معها وعدد كبير من ضعاف النفوس يتعاملون معها على المكشوف، وقد رأينا السلاح الذي صودر من المحافظة وهو بكميات ضخمة وعليه نجمة إسرائيل.

سألت: ما هي الإجراءات التي ستتخذ بحقهم؟ قال: سيتم نقلهم من المنطقة المجاورة لإسرائيل إلى الجزيرة وسيكون توزيعهم على مناطق مختلفة وبعيدة عن بعضها حتى لا يجري اتصال بينهم ولمنعهم من التكتل كما يفعلون حالياً.

لم يذكر كل التهم الباطلة التي حضرها رئيسهم ولا حرب الإفناء الذي جرد الجيوش من أجلها. لم أعد أحتمل أكثر من ذلك. وكان يجب السكوت حتى لا يشعر بأني أكذب «الشيشكلي» ويشك بأني لست من أتباعه. عند هذا الحد من حديثه وقفت وذهبت إلى خريطة سوريا المعلقة في صدر المكتب وبينت عليها حدود محافظة السويداء - وحدود فلسطين - ومحافظة درعا - والمملكة الأردنية الهاشمية.

١ يتضح أن محافظة السويداء بعيدة عن حدود إسرائيل من الغرب تجاورها محافظة درعا ومن الجنوب تجاورها المملكة الأردنية. فكيف يتم الاتصال؟ ألا تعرفون حدود بلادكم!؟.

٢ إن السلاح الذي عرض هو ما غنمه الجيش السوري في حرب /١٩٤٨/ في قرية كعوش وحصن خان يردا وبقية المواقع التي تمّ احتلالها بما فيها من أسلحة وذخيرة. وكنتُ من المشاركين في هذه المعركة.

لقد تسرعت بإعطاء هذه التفاصيل أمام رئيس الفرع لأنه لو أخبر «الشيشكلي» بذلك لما تركني حتى /٢٥/ شباط. لكنه لم يجرؤ على إعلامه حتماً لأنه قد أخطأ هو أولاً عندما أخبرني عما جرى في المؤتمر وهو يعتقد أني من أتباع «الشيشكلي».

وهكذا. رئيس دولة يخترع تهم الخيانة الكاذبة إلى رعاياه الأباة!. ولو لم يكن متعاملاً مع أمريكا وفرنسا لما وجّه مثل هذه التهم الباطلة - ولم تشفع لهذه المنطقة

المناضلة مواقفها الشجاعة في مقارعة الاستعمار من تركيا حتى فرنسا.

الأيام التي مرّت منذ مؤتمر حمص مليئة بالحوادث والمفاجآت في جميع المحافظات السورية. قامت مظاهرات من مختلف المهن تطالب بتنفيذ مقررات حمص. كانت النتائج دائماً قمع هذه المظاهرات بالقوة والقبض على المسببين وسجنهم.

- تعليمات تقضي بقمع المظاهرات-

صدرت أوامر تقضي بأن على المسؤولين من مدنيين وعسكريين التعاون لقمع المظاهرات بالقوة. عندما علمت أن الطلاب يحضرون لإضراب ومظاهرة، اتصلت مع مدراء المدارس في دير الزور طالباً إليهم السيطرة على طلابهم وعدم السماح بقيام الشغب.

بعد قليل اتصل معي مدير المدرسة الثانوية وكان بين طلابها ابن أخي الطالب في الصف الثاني عشر «عساف أبو عساف» وهو منتسب إلى حزب البعث العربي الاشتراكي ويقيم عندي في المنزل وقال: إن ابن أخيك «عساف» يحرّض الطلاب ولا يسمح لهم بدخول الصفوف. أجبته: لماذا توجه هذه التهمة إلى ابن أخي ومئات الطلاب من الدير ليس لهم موقف. أجاب: إنه يسيطر عليهم إذا دخل هو دخلوا جميعاً. إذا رغبت التكلم معه استدعيته على الهاتف. أجبت: لا بأس. وعندما حضر تكلّم معي. قلت له: لماذا لا تدخل إلى الدروس وتمنع رفاقك من الدخول إليها. أجاب: الطلاب كلهم يفعلون ذلك. أعطيته أمراً بدخول الصف ففعل واقتدى به الجميع. وبعد الدوام سألته لماذا فعل ذلك. أجاب: إن المظاهرات تعمّ كل المدن والمدارس في سوريا لماذا لا يكون في دير الزور؟.

قلت له: لتكن المبادرة من أبناء الدير لأنك يجب أن تقدّر مسؤوليتي ويجب أن تكون تابعاً لما يقوم به أبناء الدير.

بعد أيام وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل سمعت طرقاً شديداً على باب الدار التي أقطنها، فتحت الباب وإذا الشرطة المدنية، قالوا: اكتشفنا مجموعة من الطلاب يوزعون مناشير ضد الحكم، قبضنا على بعضهم وهرب البعض الآخر، أفاد الذين قبضنا

عليهم أن الطلاب الذين هربوا من بينهم ابن أخيك «عساف أبو عساف» ونحنُ نلاحقهم وقد ضيّعنا أثرهم، أتينا نخبركَ بالأمر، أجبت: كل مخالفة من قبل الطلاب تحملّون «عساف» مسؤوليتها! إنه ينام في غرفته منذ المساء مع ابن عمه، كانت غرفتهما خلف باب الدار مباشرة، أدخلتهم وفتحتُ باب الغرفة وأشعلت النور، شاهدوا سريرين عليهما شخصان نائمان. قلت: الذين قالوا إن «عساف» بين الذين هربوا غرروا بكم. اقتنعوا وذهبوا وأنا لا علمَ لي أن «عساف» يشترك بتوزيع المناشير.

بعد انتهاء الحوادث أخبرني «عساف» عن الحقيقة وإنّه كان يوزّع المناشير في تلك الليله وغيرها. وكان مع الذين طاردتهم الشرطة وعندما وصل إلى باب الدار ومعه المفتاح دخل بسرعة قبل أن يصلوا الشارع ولم يروه وهو يدخل - دخل الغرفة وقفز إلى السرير دون أن يخلع حذاءه وغطّى كل جسمه ورأسه وهو يسمع حديثنا وقلبه يدقّ من الركض لأنهم دخلوا في درقات فرعية حتى ضللّوا المطاردين ووصلوا إلى البيت.

ولو أننا كشفنا عنه الغطاء كنّا رأينا الحقيقة.

(إعلان الأحكام العرفية في بعض المناطق)

الأربعاء /٢٧/ كانون الثاني /١٩٥٤/

أُعلنت الأحكام العرفية في محافظات: - حلب - حماه - حمص - مدينة دمشق - السويداء.

اتصل معي الزعيم «أديب» وطلب منّي إذا كان من ضرورة لإعلانها في المنطقة الشرقيّة وتعييني نائباً للحاكم العسكري مثل باقي المحافظات. أجبته: إن التعاون تام مع محافظتي دير الزور والحسكة ولا ضرورة لإعلان الأحكام العرفية فيهما. تابع قوله: إذا رأيت حاجة إلى ذلك أخبرني. ولم يشملهما هذا النظام!.

على الأثر أوقف بعض السياسيين بسبب الإخلال بالأمن واجتماعات غير مرخّصة لأحزاب منحلّة. الموقوفون السادة: من حلب «رشدي الكيخيا» و «ناظم القدسي» و«احسان الجابري» ومن دمشق «صبري العسلي» و «شاكر العاص» و «علي بوظو» و

«ميشيل عفلق» و صلاح الدين البيطار» ومن حمص: «فيضي الأتاسي» و «ع
الأتاسي» ومن حماه: «أكرم الحوراني» ومن السويداء: الأمير «حسن الأطرش».

وفُرضت الإقامة الجبرية في المنزل على كلّ من: فخامة الرئيس «هاشم الأتاسي
«سلطان باشا الأطرش».

الفصل السادس

الانقلاب الرابع على حكم الزعيم «أديب الشيشكلي»

وعودة الحياة الدستورية إلى سوريا

-الاتصال مع الضباط للتحضير للانقلاب-

عندما تأكدت أن الرئيس «الشيشكلي» ركب رأسه وينفذ صنوف القهر والبطش مع السياسيين وضباط الجيش وكل من لم يتعاون معه، ولا لون وطني لحكمه مع تسريح أو سجن كل ضابط يعلن رأيه أو ينتقد أعماله اقتنعتُ أنه لا بدَّ من إزاحته والقضاء على حكمه الفاسد.

في أواخر عام /١٩٥٣/

عند مروري في حلب عائداً من دمشق قابلتُ المقدمّ «فيصل الأتاسي» رئيس أركان المنطقة الشمالية وهو من الضباط المثاليين وأعرِفهُ جيداً وأقدّر صفاته. درسنا معاً الأوضاع السياسية والأعمال الشاذة الذي يقوم بها عهد «الشيشكلي».

كان من رأيي أن الشعب لا يمكنه أن يتحمل من مساوىء الحكم والاضطهاد أكثر من ذلك. ولا يمكنه القضاء على هذا الحكم الجائر المتسلط.

الجيش وحده قادر على وضع حدٍّ لهذا التصرف الشاذ والحكم البوليسي الظالم. أيدني في كل ما قلته وذكر كثيراً من سيئات ذلك العهد وكان يعلق على آرائي قائلاً: كما تريد. كما ترغب - وعندما شعرت أنه لم يكن متحمساً أوقفنا البحث.

سألته عن وضع المنطقة. أجاب: الزعيم آمر المنطقة لا يهمه الأمر وينفذ الأوامر بدون تردد ويوجد بعض رؤساء الدوائر كرئيس الشرطة العسكرية ورئيس الأمن العام يؤيدون الوضع بكل قوة. وانتهى الاجتماع دون اتخاذ أي قرار.

اتصل معي في دير الزور المقدم «سليمان ناجي» وهو من موقع دمشق واستعرضنا

الوضع الراهن. كان من رأيي لا يمكن القيام بحركة خارج دمشق إلا من حلب نظراً لمركزها العسكري والسياسي ولوجود محطة للإذاعة فيها ليعلم المواطنون وضباط الجيش عن الحركة وينضموا إليها ويهبّوا لمؤازرتها.

كلفتُ المقدم «ناجي» الاتصال مع الزعيم «عمر خان تمر» قائد المنطقة الشمالية. الضابط القدير قوي الشخصية والمسيطر على كلّ مرؤوسيه وطلبت منه أن يكلمه باسمه دون الإشارة إلى أنه مرسل من قبلي أو يذكر له أي شخص يتعاون معنا في الحركة.

عاد المقدم «ناجي» وأخبرني أن الزعيم «عمر» لا يوافق على أي حركة ضد النظام القائم والقانون. ولكنه سيحاول مرة ثانية.

بعد أيام عاد وأخبرني أن الزعيم «عمر» راكب رأسه وهو مصرّ على رأيه السابق ولا مجال لاشتراكه. لنفتش عن طريق آخر. كما أخبرني أنه راجعه من نفسه قبل أن أكلفه ورفض هذه الفكرة. المقدم «سليمان ناجي» من ضباط الهندسة العسكرية ومهمتهم تقضي القيام بجولات عديدة على ثكنات الجيش وفي كل المناطق وكان تنقله طبيعياً لا يلفتُ الأنظار.

جاء من عرض عليّ أَن بغداد على استعداد لإذاعة البيانات حتى المساعدة وكل ما نطلبه رفضتُ هذا الاقتراح رفضاً قاطعاً. لا أقبل مساعدة من بغداد ولا من قوات سوريا الحرة. العراق تحت النفوذ البريطاني وكل شيء يأتي عن هذا الطريق يكون موجّه لمصلحة الاستعمار وفيه رائحة النفوذ البريطاني ولا يمكن أن نستعيض به عن الانتداب الفرنسي الزائل. المساعدات الخارجية غير واردة. يجب على أبناء سوريا داخلياً أن يحلّوا مشاكلهم بأنفسهم.

أخبار غامضة ودراسة حلول إدارية

المظاهرات التي ينظمها حزب البعث العربي وغيره من الأحزاب تعم كل المدن السورية وعلى كل المستويات وقد جرى في السويداء والقريّا كما جرى في غيرها من المدن توزيع مناشير ومظاهرات.

بعد إعلان الأحكام العرفية وتعطيل الصحف المعارضة للحكم لم نعد نعرف حقيقة ما يجري. في المدن الداخلية على خط دمشق - حمص - حماه - حلب كنا نعلم الأخبار من الحزبيين المعارضين العائدين من العاصمة عن بعض نشاطات هذه المدن والإجراءات المضادة. أما من السويداء فكانت الأخبار مشوهة وغير واضحة ومضللة.

وسائل الإعلام تذيع ما يريده الحكم ضمن منهاج مخطط وموجه. الحكم العسكري منع المراسلين الأجانب من دخول سوريا وبصورة خاصة محافظة السويداء. المراسلون السوريون رسائلهم مراقبة والرقابة شديدة على الصحف.

كنتُ أستمع إلى كلّ محطات الإذاعة التي تعطي أخبار سوريا ولكن أخبارها غير دقيقة. علمتُ أنه جرت معركة بسيطة في القريّا. وجرت حملة تفتيش عن السلاح في السويداء أما الأسباب فهي غامضة. وأن «سلطان باشا» ترك القريّا وهو يتجول في القضاء الجنوبي. ما هي الأسباب التي أجبرته على الخروج من القريّا؟. وأن الجيش احتل صلخد عن طريق بصرى وأخذ يتجول في القضاء الجنوبي. بينما قامت القوات المتمركزة بالسويداء باحتلال القريّا والكفر وحبران. لم أَرْتَحْ لهذه الأخبار الخطيرة المشوشة.

جاء ضباط إلى دير الزور سبق لهم الخدمة تحت قيادتي مكلفون من قبل الأركان لإعلامي بأنه لا يوجد شيء هام في محافظة السويداء وأن لا أصدق كل ما أسمع. إذاً يوجد أشياء أكثر مما يمكنني سماعه!

ماذا يمكنني أن أفعل في هذا الجو المكفهر الغامض من مكاني في دير الزور ولم أجد المساندة إلا من عدد قليل من الضباط. لا يمكننا القيام بأي عمل ذي فائدة.

فكرتُ في الوساطة مع الزعيم «الشيشكلي» لحلّ المشكلة بينه وبين «سلطان باشا» وأذكّره بأقواله أمام الجموع المحتشدة في كل من شهبا وهو بضيافة الأستاذ «طرودي عامر» وفي القريّا عند مقابلته «سلطان باشا» وفي ولغا وهو بضيافة السيد «داود أبو عساف» ولكني عدلتُ عن ذلك لأني خشيت أن ينكث بوعده كعادته. وماذا يكون موقفي تجاه «سلطان باشا» وآل الأطرش خاصة وأبناء الجبل عامّة إلاّ أن يعدّوني متآمراً معه. وبعد فوات الأوان الندم لا ينفع.

خطر على بالي أن أوسط سفير المملكة العربية السعودية السيد «عبد العزيز بن زيد» باسم الملك «سعود» بعد أخذ موافقته. أيضاً خفتُ من غدر «الشيشكلي» وخيانته التي ليس لها حدود وإن العاقبة ستكون سيئة وإني أتحملُ مسؤوليتها.

أتى من أخبرني أن صحة «سلطان باشا» ليست كما كانت في السابق وأن أمراض الشيخوخة والحرمان في الأيام التي قضاها في المنفى بعد ثورة /١٩٢٥/ بدأ تأثيرها. ولا يمكنه تحمّل النفي هذه المرّة.

لا بد من حلٍّ عسكري داخلي خالياً من كل تدخل خارجي وأنا في قيادتي الراهنة قبل أن تفوت الفرصة، من يعلم ماذا يحضّر لي الغد وما ينتظرني التسريح أو السجن أو الاغتيال؟ إذ كنت في اللائحة رقم (٢) التي كشفها العقيد «ناصر».

العقيد «فيصل الاتاسي» يوافق على الحل العسكري:

في ذلك الوقت العصيب أرسل لي العقيد «فيصل الأتاسي» أنه يرغب مقابلتي. أنا بصفتي قائد المنطقة يمكنني التحرك وهو لا يمكنه ذلك ذهبت إليه عن طريق دمشق. أي أذهب إلى دمشق بصورة قانونية بموافقة الأركان وأثناء عودتي أجتمعُ به قال: أنا تحت أمرك وتصرفك من أجل القيام بعمل عسكري يقضي على الوضع القائم وأن الذي أثار حماسه هو عمّه الرئيس «هاشم الأتاسي» الذي وجّه كلامه له ولضباط الجيش قائلاً: (هل مات الضباط... ما فيكم دم ترون «الشيشكلي» ينكل بأحرار البلاد وأنتم تتفرجون على أعماله بدون حراك). هذه الجملة أثارتني جداً وتذكرت اجتماعنا السابق وعرضك الحل العسكري. إن الشعور بالخطر قد أيقظك قبلنا أرجو أن تتصرف وتقود المعركة.

بعد تأمين رئيس أركان منطقة حلب كررنا الاتصال مع قائد المنطقة الغربية في اللاذقية العقيد «عبد الجواد رسلان» لم يوافق على الاشتراك في الحركة ولكنّ رئيس أركانه المقدم «كاظم زيتوني» انضم إليها.

أرسلنا من يتصل مع قائد المنطقة الوسطى في حمص العقيد «محمود شوكت» قال: أنا معكم ولكن أمهلوني بعض الوقت. طبعاً الرسول لا يذكر أسماء المشتركين إنما يتكلم بصورة عامة وعندما يوافق المرسل إليه ويقسم اليمين على الكتمان وتحمل

المسؤولية، يخبره عن حقيقة الحركة.

أجرينا مشاورات محدودة نحن الثلاثة: العقيد «أمين أبو عساف» والعقيد «فيصل أتاسي» والمقدم «كاظم زيتوني» كيف يكون التنفيذ وجرى نقاش على الخطة.

اقترح بعضهم تجميع قوة ومهاجمة دمشق. اعترضت على أي عمل يؤول إلى اصطدام يجري بين قطعات الجيش وإن الهجوم ليس موضوعاً للبحث. وإن الطريق طويلة لا تؤمن المفاجأة ومعرضة لقصف الطيران والمدفعية والمدرعات وندخل الجيش في معركة صدام وهو ما يجب تجنبه. وعلى الأخص أن القوة الثقيلة كلها في الجنوب: (المدفعية - والمدرعات موزعة بين دمشق ومعسكرات قطنا - القنيطرة والسويداء). والطيران كله في دمشق. ونحن هدفنا الوحيد القضاء على عهد «الشيشكلي» وتجنيب الجيش كارثة الاصطدام.

الحركات التي تمّت في الماضي عندما أوقفنا المشير «حسني الزعيم» واللواء «سامي حناوي» كانت القوة بيدنا. وأمّنا المفاجأة في دمشق وأنهينا الأمر بسرعة قبل أن نسمح لأي قطعة أن تتدخل. وهذا غير متوفر لنا في الوضع الراهن.

كلّ ما يمكن عمله هو إعلان العصيان العسكري والمدني في المناطق الثائرة واستلام الحكم فيها ونذيع بياناً بذلك نطلب إليه مغادرة البلاد حقناً للدماء وإلا سيحاكم عمّا اقترفت يداه. ونطلب المؤازرة من ضباط الجيش والقطعات والمدنيين على مختلف ميولهم. حتماً سنلقى تأييداً واسعاً.

بعد الانتهاء من تبادل الآراء وتبني الفكرة والاندفاع في طريق القضاء على النظام القائم عدنا للتقاليد العسكرية. واتفقنا على ما يلي: العقيد «أمين أبو عساف» صاحب المبادرة هو قائد الحركة يعطي التوجيهات والأوامر عن كيفية تنفيذ الخطة.

تعليمات تنفيذ الحركة:

وقد صدرت التعليمات الشفهية التالية مباشرة وبواسطة ضباط اتصال:

١ - مرحلة تحضيرية:

- يمنع منعاً باتاً الاتصال هاتفياً أو لاسلكياً مع أي كان بموضوع الحركة.

- يتم الاتصال ضمن الموقع مباشرة بواسطة لقاءات شخصية غير ملفتة للنظر مع المناطق والمواقع الأخرى بواسطة ضباط الاتصال.

- يسعى رئيس أركان المنطقتين الشمالية والغربية للاتفاق مع العدد الكافي من الضباط حتى يتمكن كل منهما في الوقت المناسب من السيطرة على قائد المنطقة وأعوانه.

- تجري التحركات والاتصالات بسرية تامة وعدم كشف الخطة إلاّ إلى الموثوقين بعد أخذ الضمانات بالمحافظة على السرية التامة.

- تقدير ميزان القوى بين الضباط الموثوقين وغيرهم يعود لرئيس أركان المنطقة وعلى مسؤوليته. ويجب ألاّ يكون بإمكان قائد المنطقة الحالي من القوة بحيث يتمكن من توقيف رئيس أركانه وتفشل الحركة.

- عندما يتأكد رئيس أركان المنطقة من سيطرته يعلم قيادة الحركة ويكون جاهزاً لتلقي أوامر التنفيذ.

- بناء على طلب رئيس أركان المنطقتين تكون المنطقة الشرقية جاهزة للدفاع عن الحدود بكاملها وبصورة خاصة مع العراق لمنع القوات العراقية أو قوات سوريا الحرة من الدخول إلى سوريا. وهي رغبتي أيضاً. ولكن طلب إليّ أن أبقى في المنطقة زيادة في الحيطة والاطمئنان.

٢ - مرحلة التنفيذ:

إن مهمة رئيس أركان منطقة حلب هي الأصعب نظراً لأهميتها وشخصية قائد المنطقة القوي والمسيطر، وما فيها من مصالح الجيش وقوى أمن مختلفة وقنصليات والإذاعة يجب أن تحظى بتحضير دقيق وشامل لذلك يجب أن تكون المبادرة بيده.

عندما يتأكد العقيد «فيصل الأتاسي» من قدرته على التنفيذ يعلم قائد الحركة ويباشر عمله. بعد اعتقال الزعيم قائد المنطقة وأعوانه يستلم قيادة المنطقة.

يجب السيطرة على الجيش وقوى الأمن والمحافظة وكل مرافق الاتصالات والإدارة المدنية ويعلم قيادة الحركة في دير الزور. ثم المقدم رئيس أركان المنطقة الغربية.

على المقدم «كاظم زيتوني» رئيس أركان المنطقة الغربية فور إلقاء القبض على قائد المنطقة وأعوانه أن يستلم قيادة المنطقة ويجب أن يسيطر على قوى الجيش والبحرية والأمن الداخلي والإدارة المدنية.

٣ - تطبيق التنفيذ عملياً:

كيفية توقيف آمري المناطق وأعوانهم وسجنهم تعود إلى رؤساء أركان هذه المناطق كلّ في منطقته.

دراسة أوضاع المحافظين وقوى الأمن الداخلي واتخاذ ما يلزم من إجراءات. قبل البدء بإجراء التوقيف يجب السيطرة على مقسم الهاتف الرئيسي ومنع الاتصالات كلياً.

٤ -تعليمات قائد الحركة:

فور البدء بتنفيذ الحركة على العقيد «فيصل الأتاسي» اتخاذ التدابير التالية:

- تقطع الاتصالات الهاتفية كلياً من وإلى حلب من دمشق والمناطق غير الثائرة ولا تعطى مخابرة لأحد حتى إشعار آخر

(مناطق دير الزور واللاذقية كانت تتصل عن طريق مقسم حلب) يوضع ضابط في مقسم الهاتف لتنفيذ الأمر.

- يبقى الاتصال الهاتفي بين المناطق الثائرة على حاله.

٥ - بعد السيطرة على المنطقة الوسطى

(حمص) و (حماه) يعهد إلى فخامة رئيس الجمهورية السيد «هاشم الأتاسي» إجراء

مشاورات مع رجال السياسة جميعهم لإعادة الحياة الدستورية الديمقراطية إلى البلاد بالطرق القانونية المتفق عليها وبدون تدخل من قبل الجيش.

- فور استقرار الوضع ينسحب الجيش إلى ثكناته ويمنع من التدخل في الأمور السياسية بصورة مطلقة.

وبينما كانت الاتصالات قائمة وقبل البت واتخاذ القرار حضر الرئيس «محمد الأطرش» وقال: لا يمكنني الانتظار أكثر من ذلك والتنكيل يجري في الجبل - وعمي «الباشا» مطارد.

إذا كنتم غير قادرين على القيام بعمل يردع «الشيشكلي» ويوقفه عند حده فإني أفكر بما يجب عليّ عمله وما يمكن تقديمه من مساعدة ومنها الالتحاق بقوات سوريا الحرة في العراق أو غير ذلك. أجبته: الالتحاق بقوات سوريا الحرة غير وارد ولا تفكر به مطلقاً. تمهّل وسيكون الحلّ هنا قريباً.

سألني العقيد «فيصل الأتاسي» رأيي عن إدخال الرئيس «مصطفى حمدون» المنقول حديثاً إلى حلب في الحركة أجبته بالإيجاب لأنه سبق لي معرفته عندما خدم في قطعات تحت إمرتي وهو ذو مبدأ وأخلاق.

تتبعت أخبار تنقلاته في الفترة الأخيرة وقد كان في الأركان من ضباط الشعبة الأولى - كان كلّ ضباط الجيش مراقبين حتى المقربين من «الشيشكلي» وتصله أعمالهم وأقوالهم فور صدورها. الذين يقومون بالمراقبة هم أيضاً مراقبون.

على أثر انتقادات الرئيس «مصطفى حمدون» لأعمال «الشيشكلي» نقل من الشعبة الأولى إلى كتيبة المدرعات الموجودة في أزرع. هنا أيضاً بدأ ينتقد «الشيشكلي» بأعماله التي لا تخدم مصالح الوطن. وخوفاً من تأثيره على الضباط في القطعات العاملة نقل إلى أركان منطقة حلب حيث لا نفوذ له ولا قوة بيده. كان الرئيس «حمدون» يعتبر من أعوان «الشيشكلي» وقد نقل مرتين خلال فترة قصيرة وبما أن العقيد «الأتاسي» لا يعرفه جيداً أو غير متأكد منه سألني عنه وهكذا أُدخلَ في الحركة قبل أيام من تنفيذها.

من الضباط الذين قاموا بمهمة الاتصال المقدم «محمد ذياب» جاء من حلب من أجل تبادل المعلومات بتاريخ /٢/ ٢/ ١٩٥٤/ .

في /١٣/ ٢/ ١٩٥٤/ أرسلتُ الرئيس «طلعت حسن» إلى حلب للاتصال وتبادل المعلومات.

الجمعة /١٩/ ٢/ ١٩٥٤/ حضر لمقابلتي الرئيس «طلعت حسن» والرئيس «محمد الأطرش» وأفاد عن وصول المقدم المتقاعد «زياد الأتاسي» رسولاً من المنطقة الشمالية بعد منتصف الليل الفائت ولم يتمكن من مقابلتي - كلفهما إعلامي أن الحركة ستبدأ في حلب صباح /٢٠/ ٢/ ١٩٥٤/ الساعة الخامسة صباحاً.

السبت /٢٠/ شباط /١٩٥٤/ مرت الساعات الأولى ولا علم من حلب. انتظار وقلق بسبب عدم قيام الحركة. وعندما مرّ اليوم التالي بدون علم أرسلتُ برقية إلى الأركان أطلب الموافقة على ذهابي إلى دمشق. لكي أتمكن من المرور بحلب وأعرف أسباب التأخير.

صباح الاثنين /٢٢/ ٢/ ١٩٥٤/ وصلني خبر مع ضابط، رسول خاص عن أسباب تأخير الحركة، وأنها ستتم خلال هذا الأسبوع.

وصلت موافقة الأركان على ذهابي إلى دمشق ولم يعد من مبرر لذلك.

- إعلان الانقلاب من حلب -

الخميس /٢٥/ ٢/ ١٩٥٤/

في الساعة /٠٤،٤٠/ الرابعة وأربعين دقيقة اتصل معي العقيد «فيصل الأتاسي» هاتفياً وأخبرني عن تنفيذ الخطة المتفق عليها - أوقف المعارضين لهذه الفكرة وأودعهم السجن وسيرسل الزعيم «عمر» إلى الدير موقوفاً. طلبتُ منه الاحتفاظ به في حلب فأبى. وافقته على طلبه. وأرسله مع حراسة.

وفي منطقة اللاذقية أوقف رئيس أركان المنطقة المقدم «كاظم زيتوني» العقيد «عبد الجواد رسلان» قائد المنطقة وأُودِعَ السجن مع المعارضين لهذه الحركة واستلم قيادة المنطقة وأخبرني بذلك.

في منطقة دير الزور الضباط الموثوقون يعلمون بهذه الحركة. استنفرت قطعات المنطقة ومصالحها ومواقعها وأعلنت الحركة. أيدها الجميع بدون معارضة ولم نوقف أحداً لا من العسكريين ولا من المدنيين. المحافظ السيد «رشدي الحامد» أيد الحركة منذ إبلاغه عنها أي عند اتصالي به.

اتصلت مع العقيد «محمود شوكت» قائد المنطقة الوسطى وأخبرته عما يجري في المناطق الثلاث وإذا كان يرغب الانضمام إليها وإعلان العصيان حتى أضع اسمه على البيان. أجاب: أنا معكم ولكن لا تضع اسمي الآن أمهلني بعض الوقت.

بعد أن تمت السيطرة على المناطق الثائرة الثلاث عممتُ التعليمات التالية:

برقية مهتوفة

إلى قيادة المناطق - الشمالية - الغربية - الشرقية:

- الأوامر الصادرة عن قيادة الحركة بقطع الاتصال الهاتفي في مقسم حلب مع الأركان العامة والمناطق غير المشتركة في حركة العصيان تبقى سارية المفعول حتى يصدر الأمر بإلغائها.

- تكون محطة الإذاعة في حلب تحت إشراف قائد المنطقة المباشر.

- تمنع أجهزة اللاسلكي عن البث ولا تجيب النداءات وتلتقط كل الأوامر والتعليمات التي تصدر عن رئاسة الأركان أو المناطق غير الثائرة لتبليغها حسب الأصول إلى قيادة مناطقهم. كما تتلقى برقيات التأييد وتبلغها.

- يتم الاتصال بين المناطق الثائرة بواسطة الهاتف والبريد.

-يوقف تسيير البريد إلى دمشق حتى إشعار آخر.

برقية إلى آمري أفواج اللواء الخامس

- تعزز وتشدد الحراسة على الحدود العراقية بصورة خاصة. وتمنع أي قوة من اجتياز الحدود سواء القوات العراقية أو قوات سوريا الحرّة.

- يتخذ آمروا الأفواج الإجراءات اللازمة وعلى مسؤوليتهم.

في الساعة /٠٦،٠٠/ السادسة طلب إليّ العقيد «فيصل الأتاسي» قائد المنطقة الشمالية أن يعلن العصيان باسمي وتوقيعي. أجبته: لا تضع أسماء بل ضع قادة المناطق: الشمالية - الشرقية - الغربية:

١ - حتى يعلم الجميع أن القيادة جماعية. ولكي نبعد الحركة عن الصبغة الطائفية.

٢ - يجب أن نضلل الخصم. إن ذكر اسمي بمفرده يوحي إلى القيادة أن الزعيم «عمر خان تمر» وهو الأعلى رتبة غير مشترك ولا بدّ من وجود أتباع له. وهو ضابط قوي وذو سلطة والعقيد «عبد الجواد رسلان» قائد المنطقة الغربية لم ينضم إلى الحركة. ذكر غير هذين الاسمين يضعف الحركة ويعطي فكرة عن وجود أعوان للحكم القائم. إن قائدي منطقتين من ثلاثة لم ينضما إلى الحركة، وعدم ذكر الأسماء أوقع البلبلة في صفوف القيادة وأوهمها أن جميع الضباط مع الحركة.

استهلت محطة حلب إذاعتها صباح الخميس بالبيان التالي وقد تلاه باسم قادة المناطق الشمالية والشرقية والغربية الرئيس «مصطفى حمدون».

البيان الأول

من قيادة المناطق الشمالية - والشرقية - والغربية... إلى جميع ضباط وأفراد الجيش السوري ليس هذا بيان أو نداء إنما هو عهد من ضباط وجنود الجيش السوري للشعب السوري الكريم.

لقد آلينا على أنفسنا أن نعود بالجيش إلى ثكناته بعد أن أخرجته عن تقاليده النبيلة أغراض شخصية.

وقد آلينا على أنفسنا أن نمحي ما لَحِقَ الجيش من عارات. نعيدُ إليه مزاياه الرفيعة ومناقبه ونعود بعدها إلى الثكنات ولن يكون لنا دخل بالسياسة

هذا نداء إلى رفاقنا في السلاح أن يحذوا حذونا بهذا الشأن لنتمكن من أن نعيد الأمور إلى نصابها وإلى أن يتحقق الهدف فإن المناطق الشمالية والشرقية والغربية تعلن عن انفصالها عن حكومة «الشيشكلي» وتناشده أن يغادر البلاد حقناً للدماء.

التوقيع قادة المناطق الشمالية - الشرقية - الغربية -

في الساعة الثامنة حضرتُ اجتماع ضباط موقع دير الزور وشرحت لهم الموقف ووضعتهم في الصورة الحقيقية للوضع السياسي في العهد البائد ومنها الحكم البوليسي ومصادرة الحريات وسجن أحرار البلاد. عدا عن اتصالات مشبوهة مع الاستعمار الأمريكي والفرنسي ثم الوضع العسكري الراهن وطلبت إليهم أن يكونوا مع جنودهم على استعداد لتنفيذ أي مهمة تطلب منهم.

اتصل معي العقيد «فيصل الأتاسي» وقال: أرجوا أن ترسل لي الضباط الآتية أسماؤهم لمساعدتي في حلب ولستَ بحاجة لهم في دير الزور، لأنه ليس عندك معارضة تذكر:

الرئيس «محمد الأطرش» لكي يستلم الشرطة العسكرية مكان رئيسها المسجون.

الرئيس «طلعت حسن» والملازم «أحمد ناصيف» ليسلمهما مراكز شاغرة وهامة بسبب اعتقال رئيسها، منها الشعبة الثانية. وقد أرسلتهم في الحال في سيارة عسكرية.

قامت مظاهرات حاشدة من الطلاب تأييداً للحركة وأمت قيادة المنطقة، وتكلم زعماء الطلاب وقد استقبلهم المقدم «سليمان نصر» ناظر الموقع ورئيس أركان اللواء نيابة عن قائد المنطقة. وقد شكرهم على عواطفهم وطلب إليهم التزام الهدوء وعدم

التسبب في تعكير صفو الأمن. ثم سارت المظاهرة إلى المحافظة حيث استقبلهم المحافظ وخطب فيهم داعياً إلى التزام الهدوء والسكينة.

زار قيادة المنطقة وفد كبير برئاسة الحاج «محمد الفتيح» ووجهاء دير الزور، قدموا التهاني والتأييد والشكر على ما قمنا به وأنقذنا البلاد من الديكتاتورية الغاشمة. شكرتهم على عواطفهم النبيلة. وإننا قمنا بواجبنا من أجل الوطن وأبنائِهِ وطلبت منهم المساعدة على عدم قيام مظاهرات وفوضى.

في الساعة التاسعة كان اجتماع أوجه المدينة في بناء البلدية. حضرتُ الاجتماع مع المحافظ درسنا موضوع التموين في المدينة والأقضية والقضايا المالية.

طلبت إلى الأهلين نبذ الأحقاد والاتحاد وعدم محاسبة أحد على ميوله السياسية السابقة لأن ذلك من اختصاص السلطات المسؤولة وتجنب الفوضى والخلود إلى الهدوء والسكينة.

في مراكز المحافظات والأقضية قامت مظاهرات شعبية من مختلف طبقات الشعب من أطباء ومحامين وأساتذة وطلاب ونقابات عمال وممثلي أحزاب وتوجهوا إلى قيادة المناطق حيث أعربوا عن تأييدهم المطلق لحركة الجيش المباركة وطيّرت البرقيات لمختلف الجهات أظهرت فيها شعروها وتضامنها مع رجال الجيش ومطالبة بإزالة عهد «الشيشكلي».

من أوائل برقيات التأييد التي وصلت من الضباط البرقية التالية:

إلى قيادة المنطقة الشمالية والشرقية

درعا وبصرى منفصلة منذ الصباح - نقوم بنفس الحركة وافونا بأخباركم.

التوقيع الرئيس «أمين الحافظ» - «أحمد الكزبري»

وقد أجيب عليها بالبرقية التالية:

إلى موقع درعا وبصري

ما شكَّ إخوانكم هنا لحظة في تلبيتكم نداء الواجب المقدس، حاولوا الاتصال بإخوانكم المنعزلين في السويداء. الوضع في غاية القوة - إخوانكم في المناطق الشمالية - الشرقية - الغربية يباركون انضمامكم لصفوفهم حباً لكم.

آمر المنطقة الشمالية

إلى قيادة المنطقة الشرقية

إن مجموعة القوى الجنوبية تؤيد حركة إخوانكم بحلب وتنضم إليهم.

التواقيع العقيد «شاويش». المقدمون «البيركلاجين» و «عبد الإله رسلان» - و «حسين الحكيم» - و «بارافي فايز القصري» الرؤساء «نصور» - «زينية» - «عظمة» - «زيادي» - «أسود» - «بيطار» - «سمان» - «نسيب المفتي» - «حمد حاتم» - «جميل أسعد».

أخبرني قائد المنطقة الشمالية بما يلي:

حلقت طائرتان مقاتلتان في سماء حلب آتية من دمشق. وشاهدت المظاهرات الكثيفة تملأ شوارع حلب - حطتا في مطار النيرب وحضر الضابطان الملازم الطيار «فؤاد كلاس» و «حلمي علوان» إلى قيادة المنطقة حيث تمثلا أمام قائدها وأعلنا انضمامهما إلى الحركة. وكان قد طلب منهما القيام بالقصف ولكن أبت عليهما وطنيتهما وشعورهما القومي من تنفيذ ذلك واستغلا قيامهما بمهمة دورية عادية ليضعا أنفسهما تحت تصرف قيادة الحركة. وبعد الدراسة شكرا على مبادرتيهما طلب إليهما العودة إلى مراكزهما للرد على اعتداءات العدو إن حدثت.

وصل الزعيم «عمر خان تمر» - استقبلته في مكتبي ودعوته أن يحلَّ ضيفاً عليّ. أبى وطلب إعطائه غرفة في نادي الضباط من الغرف المعدة لنزول الضباط فيها أثناء

مرورهم.

كان قائداً لهذه المنطقة قبل استلامه قيادة المنطقة الشمالية - لبيت طلبه وطلبتُ منه إلاّ يغادر النادي ولا يستقبل أحداً ولا يستعمل الهاتف - وأن ضابطاً سيكون في النادي للمراقبة.

إني أقدّر وأحترم الزعيم «عمر» نظراً لمزاياه العسكرية الرفيعة. لكن الواجب الوطني المقدس فوق كلّ الاعتبارات.

تلقينا البرقية التالية:

برقية رقم / ٤٠٤/ب م د/

إلى رئاسة الأركان العامة للإطلاع

قائد المنطقة الشرقية - الشمالية - الساحلية

نعلن تأييدنا وانضمامنا لحركة إخواننا في السلاح. أمّار المناطق الثلاثة: الشرقية - الشمالية - الساحلية.

قائد المنطقة الوسطى

العقيد «محمود شوكت»

البيان الثاني

أبلغتنا قيادة المنطقة الوسطى تضامنها مع قادة المناطق الشمالية والشرقية والغربية وبذلك أصبحت حلب وحماه وحمص واللاذقية والفرات والجزيرة صفاً واحداً ضدّ المغتصب الطاغية «أديب الشيشكلي» - وفي العمل على إنقاذ البلاد من طغيانه. وإننا نكرر عهدنا بأن ليس من هدف لنا إلاّ إنقاذ كرامة الشعب والبلاد.

-الإتصال مع رئيس الأركان هاتفياً وبرقياً-

حاول رئيس الأركان الزعيم «شوكت شقير» الاتصال هاتفياً مع حلب أو غيرها من المناطق لم يتمكن وأرسل برقيات إلى المناطق والمواقع الثائرة لم يجبه أحد وبقيت بدون جواب. وبناءً على إلحاحه.

سأل الضابط المكلف بمراقبة الهاتف العقيد «فيصل الأتاسي» إذا كان يرغب التكلم مع رئيس الأركان وأعطاه المكالمة. سأل رئيس الأركان: ما هي طلباتكم حتى يمكن بحثها مع الزعيم رئيس الدولة؟ أجابه: إن المسؤول عن ذلك هو قائد الحركة العقيد «أمين أبو عساف» سأطلب إليه الاتصال معكم ولا يمكنني بحث هذا الموضوع. لكن أرجو منكم أن تساعدوا ما أمكن على الحل وتنفيذ الإنذار بدون إراقة دماء.

بعد أن تأكدتُ من قوة الحركة والتأييد الشعبي المطلق الذي استقبلت به في المناطق الثائرة والتأييد من عدد كبير من الضباط. تحدثتُ مع رئيس الأركان العامة. سألني ما هي شروطكم حتى أسعى لتسوية الموضوع؟ أجبت: أن يتخلّى «الشيشكلي» عن الحكم ويغادر فوراً ويسقط حكمه نهائياً. نسلّم الحكم إلى المسؤولين المدنيين ونعود إلى ثكناتنا بعيداً عن السياسة. قال: في الساعة السابعة عشرة أعطيكم الجواب. طلبت أن يكون الحواب قبل ذلك الوقت وأسرع لم يوافق.

أمر بتشديد الحراسة على الحدود وأن لا أسمح اجتيازها لأي قوة. وأن أبقى في دير الزور من أجل هذه الغاية.

في الساعة /١٤،١١/ رقم بلا. . . . إلى قيادة المنطقة الشرقية. يطلب إليكم الاتصال مع رئيس الأركان العامة بأسرع ما يمكن وبأي طريقة كانت وإعلامنا برقياً عن الحالة لديكم فوراً.

التوقيع

رئيس الأركان العامة

كانت هذه البرقية قد عممت قبل ذلك ولم يجب عليها.

وقد أجبت عليها بالبرقية التالية:

إلى رئاسة الأركان العامة

ج. ب. رقم بلا. . . تاريخ /٢٥/ ٢/ ١٩٥٤/ الحالة سيئة جداً إذا لم ينفذ الإنذار. الضباط يؤيدون حركة الجيش بكل قواهم وآلوا على أنفسهم أن يخلصوا البلاد من مغتصب السلطة وحكمه الديكتاتوري - مظاهرات شعبية في كلّ المدن من مختلف طبقات الشعب من أطباء ومحامين وأساتذة وطلاب ونقابات عمال وممثلي أحزاب توجهوا إلى قيادات المناطق أعربوا عن تأييدهم المطلق لحركة الجيش المباركة. في دير الزور. حطمت الجماهير واجهة حركة التحرير وَنُهِبَ الأثاث. شددنا حراسة الحدود. كل تضحية تهون إزاء وحدة الجيش والمحافظة على الاستقلال.

آمر المنطقة الشرقية

قائد الحركة

البيان الثالث

وكان قد أذيع البيان الثالث:

إلى الشعب السوري الكريم

لم يدر في خلدنا أن الوثبات الجبارة الطاهرة التي قام بها جيش الشعب الباسل لإنقاذ الوطن مما كان يتخبط فيه من فساد وفوضى يمكن أن تؤول بالبلاد على يد طاغية في العهد الحاضر إلى ما آلت إليه من فساد وخراب وانهيار. لقد أرادها جيش الشعب انقلابات على الظلم والبغي والتعسف والإرهاب. أرادها انقلابات على المحسوبيات والرشوة والفساد واستغلال واستثمار السلطة.

لقد أرادها جيش الشعب انقلابات على الجهل والفقر والاستعمار والإقطاع. وأرادها انقلابات للبناء القومي الجديد، انقلابات للحياة والحرية والمجد الرفيع انقلابات لحماية الوطن المفدّى من كافة المؤامرات الاستعمارية والدسائس الأجنبية انقلابات تفسح المجال الواسع الحر أمام كل مواطن شريف في جو مشبع بالتكافؤ والتساوي الأكيد في الحقوق والواجبات.

وبالتالي أرادها جيش الشعب إنقلابات لإيجاد نظام جمهوري ديمقراطي شعبي حرّ سليم يسعى نحو حياة أفضل أو عدل يملك القوة والقدرة على تحرير فلسطين الشهيدة والمساهمة في إنقاذ وتحرير باقي أجزاء الوطن العربي الكبير وبعثه كالطود الراسخ والسعي لتحقيق وحدة الأمة العربية.

الاستئثار بالحكم

حين قبلنا بالانقلاب وافقنا عليه مضحين بكل شيء في سبيل سعادة الشعب. ما كان في منهاجنا ولن يكون أن نستأثر بالحكم الذي هو للشعب أو أن نجعل من أنفسنا مصدراً جديداً للسلطة التي لا مصدر لها سواك. ولكن ها إننا مع الأسف الشديد نقف على أنقاض سنة ونصف من هذا الحكم الأسود الذي استبدّ به طاغية الشعب «أديب

الشيشكلي». فماذا نرى؟ إننا لا نرى والألم يحزّ في قلوبنا غير الدماء والدموع ولا نرى غير الفوضى والدمار والجزع والجهل والمرض واليأس يعمّ كل بلدة وكل قرية وكل فرد من أفراد الشعب.

لقد زعم «الشيشكلي» مبرراً اعتداءه الأثيم على السلطات الشرعية في البلاد أنه يهدف إلى تبني مطالب الشعب وحماية البلاد من المؤامرات الأجنبية وإقامة نظام حكم جمهوري ديمقراطي حر، فماذا كانت النتيجة؟.

شنها حرباً على الشعب

كان أن شنّها حرباً ضارية على الشعب بكافة هيئاته وأحزابه وسائر أفراده وعماله وفلاحيه ومثقفيه وطلابه. فاستهلّ عهده بتعطيل الحريات العامة وداس أقدس مفاهيمها وحلّ الأحزاب الشرعية وعطل مكاتبها وصادر أموالها.

وقد احتكر لنفسه العمل السياسي وسخّر الصحف بالتهديد لخدمة أغراضه واحتكر جميع وسائل الدعاية والطباعة والنشر وأخضعها لرقابة قاهرة وكمّ الأفواه بالحديد والنار واستخدم أبشع وسائل القمع بهمجية ووحشية ضدّ كل من يرفع صوته أهرق بوحشية هائلة دماء العشرات من الطلاب والطالبات في ساحة الجامعة والمدارس الثانوية عند أقلّ بادرة احتجاج أو محاولة تظاهرة سليمة.

سجان الشعب

وأقام من نفسه سجّاناً مجرماً للشعب فحشد في سجونه الجميع من قادة البلاد وطلابها الأحرار ومثقفيها وعمالها وفلاحيها وأخضعهم جميعاً لأحطّ أنواع العذاب الجسدي بشكل يندى له جبين الإنسانية خجلاً ومنافٍ لأبسط قواعد الأخلاق. وسخّر الدولة بعد هذا لمطامعه ومطامع أفراد أسرته وأقاربه وأباح لنفسه ثروة البلاد.

نهب أموال الخزينة

وراح يغترف من خزانتها الملايين لمباذله وأسند الأمور الاقتصادية والمالية إلى أناس احترفوا الاستغلال الدنيء على حساب الشعب وأثقل كاهل صغار المكلفين بضرائب لا ترحم وابتكر بدعة التبرعات القهرية الدائمة حتى أربى ما جمعه باسم التبرع للتسلح بمائة مليون ليرة اقتطعها بالسوط!.

وصبّ الملايين منها في قريته شويحة التي اغتصب القسم الأكبر من أراضيها من صغار الملاكين المجاورين وسخر لها كافة وسائل الجيش ومعداته ووظف أمواله في المصارف الأجنبية في الخارج لليوم المحتوم وهو هذا اليوم. وأرغم محافظة دمشق على بناء قصر منيف لشخصه كلّف الخزينة ملايين الليرات.

وافتتح لأخيه أكبرَ حانة للدعارة والميسر، وأطلق يده في قيادة عصابة تهريب المخدرات للأقطار العربية الشقيقة وأرهق ميزانية الدولة بحفلاته ومآدبه ورحلاته المضللة ففي كلّ يوم استعراض وفي كلّ مناسبة مهرجان وأرهق ميزانية البلديات على حركة التحرير التي أنشأها على غرار الحركات الفاشية والبغيضة.

التجسس والافتراء

وراح يجمع كل فاجر موتور ليستخدمهم أُجراء له في التجسس على أبناء الشعب. وزرع الوطن بأوسع شبكة جاسوسية حتى فاقت ميزانية المكتب الثاني /٢٠/ عشرين مليون ليرة، وشوّه أبشع تشويه مهمة هذا المكتب وجعلها وسيلة للدس على أحرار البلاد والافتراء على مناضليهم بعد أن كانت مهمته السهر على اكتشاف الخونة ومعرفة أسرار العدو.

وراح بعد ذلك يُعمِل مِعولَ التهديم في الجيش ومزّق صفوفه شرّ ممزق. فسرّح وأبعد ونقل واعتقل كرام الضباط لمجرد الشبهات أو الدسائس الدنيئة والافتراءات ووضع الجميع تحت عيون جواسيسه ووضعهم جميعاً في جو مشحون بالبغضاء

والكراهية. الأمور التي انعدم معها كل انضباط عسكري وبات الضابط الكبير والقائد يخشى أصغر جندي ونفر من حراسه لئلا يكونوا جواسيس عليه. ولم يتورع عن محاولة إفساد ضمائر بعض الضباط المقربين إليه.

تلك كانت أخلاقه

تلك كانت أيها الشعب أخلاق «الشيشكلي» في الحكم وليست بغريبة عنك أنت الذي قاسيت الأمرّيْن خلال فترة حكمه الأسود ولا عجب أن تعكس أثرها الرهيب في سياسة البلاد الداخلية وأن تنهار معنويات الشعب وتتحطم اقتصاديات البلاد بعد أن فقدت أعظم مقوماتها وبدأت سوريا تعاني أكبر أزمة اقتصادية عرفتها في تاريخها. فقبرت المشاريع العمرانية وتعطّل الاقتصاد القومي وانتشرت الإفلاسات والأزمات وتفشت البطالة وساء دخل الفلاح وتوقفت حركة الثقافة والتعليم بشكل لم تشهد له البلاد مثيلاً وتشرّد الطلاب الذين أُقفلت المدارس في وجوههم. فهاموا في الأزقة والشوارع وأُلغيت البعثات العلمية ومنع القطع النادر عن الطلاب.

وقد اختلّ النظام الإداري وانتفى العدل الذي هو أساس الحكم وأصبح القضاء مسرحاً للتدخل والمساومات وأجبر القضاة على أن يحلفوا الأيمان المتناقضة الكاذبة بعد أن جُردوا من حصانتهم وانغمسوا بحمأة السياسة ويوجهوا العدل الوجهة التي أرادها الديكتاتور. بهذا الشكل أجاب «الشيشكلي» مطالب الشعب وبهذا الأسلوب الرهيب وقف بوجه المؤامرات الأجنبية.

تهريج بغيض

أما قضية الحكم الجمهوري الذي يزعمه الطاغية فكان فضلاً عن التهريج البغيض لم تشهد البلاد مثيلاً له وقد حاول أن يستغلّ حكم الحديد والنار ولكنه فشل أمام عزيمة الشعب الجبار ونضاله. وفشل بكلّ نيرانه ورصاصه وجلاديه وسجونه في قتل الروح العالية فاضطر «الشيشكلي» مرغماً بعد سنتين من المجازر والإرهاب وبعد أن افتضح أمره أن يعود مرغماً على زعمه إلى إقامة حكم دستوري وجمهوري ولكن ليس بإرادة الشعب بل بإرادته.

ولكن الشعب اليقظ على حريته واقفٌ له بالمرصاد فما أن أعلن عن رغبته في إقامة نظامه الرئاسي ودستوره واستفتاء الشعب فيه حتى وقف الشعب في جميع أنحاء البلاد وصاح به ((اغرب عنها أيها الطاغية واكفِ البلاد شرورك)). وتنادى قادتها وزعماؤها إلى مؤتمر عام عقد في حمص برئاسة الرئيس الجليل «هاشم الأتاسي» رغماً عن القوة والبطش وأصدروا بياناً يعلنون فيه إرادة الشعب العليا في هدم شرعية هذا الحكم الأسود وكان صدور مذكرة الشعب التاريخية صفعة أليمة في وجه «الشيشكلي».

تجاهل إرادة الشعب

ولكن رغم ذلك تجاهل «الشيشكلي» إرادة الشعب فأجرى استفتاء ببنادق الدرك وعصي الشرطة فأجابه الشعب بما يستحق وهو ((لا)) ولكنه تغاضى عن الحقيقة وزيف إرادة الشعب ونصّب نفسه رئيساً للجمهورية بالقوة وجمع بين يديه سائر الصلاحيات والسلطات وأتبع ذلك بانتخابات لم تشهد الحضارات مثل زيفها. وملأ البرلمان السوري بنواب لا يمثلون إلا إرادته.

ولكن الشعب ردّ مرة أخرى بميثاقه القومي الذي تألفت بموجبه جبهة وطنية ضمّت جميع الأحزاب السياسية والأحرار وأعلن الميثاق الجديد إرادة الشعب بعدم اعترافه بالوضع وما جرى على يد صاحبه ودعا الشعب دعوة صريحة إلى النضال ضد ديكتاتورية «الشيشكلي» والعودة بالبلاد إلى النظام الديمقراطي السليم.

تدمير المدن والقرى بالجبل

وهبّ الشعب ببسالة ضد الطغيان والظلم ونادى ((ليسقط «الشيشكلي» ومجلسه المزيّف)) حتى احتدمت ثورة الشعب مما طار له قلب «الشيشكلي» خوفاً وذعراً لذلك شرع بالتنكيل بأبناء البلاد وفتح السجون مرة أخرى للألوف وقذف بالزعماء والقادة ودمّر المدن والقرى في جبل الدروز وأهرق دماء المجاهدين وعطّل التدريس في الجامعة والمدارس الثانوية وأعلن أحكامه العرفية والبربرية في كل مكان. وأخيراً أراد «الشيشكلي» منّا نحن جنود البلاد أن نكون عبيداً له وأن نعمل على تقتيل أبنائنا وآبائنا وأمهاتنا وأخواتنا بكلّ بلد من بلدان الوطن السوري لنشبع له نهمه من دماء الشعب لأن

الشعب طالبه بحقوقه وحريته وسيادته.

تحقيق رغبة الشعب

وإننا نعلن باسم كافة أبناء الشعب مدنيين وعسكريين في حمص وحماه وحلب ودير الزور واللاذقية والجزيرة أن «الشيشكلي» معتدٍ غاصب وأن حكمه لا يتمتع بأية مشروعية وأنه يجب أن يتخلّى فوراً عن السلطة ويحول دون وقوع كارثة قومية في البلاد.

وإننا ندعو كافة رفاقنا في السلاح من ضباط وجنود أن يقفوا معنا صفاً واحداً في إعلاء إرادة الشعب ونعلن أن القضية التي نحن بصددها تتطلبها ضرورات الوضع الداخلي في البلاد فقط. وإننا نقتصر في حركتنا على تحقيق رغبة الشعب الإجماعية في إنهاء عهد «الشيشكلي» الأسود ودعوة الشعب إلى ممارسة سيادته ممارسة حرة مطلقة وإقامة نظام الحكم الجمهوري الشعبي ودعوة الجيش إلى مهمته المقدسة في الحفاظ على الوطن والسهر على حدوده.

-بعض البرقيات-

/ ٢٥/ ٢/ ١٩٥٤/ الساعة / ٠٨،٠٠/ رقم بلا...

إلى قيادة المناطق الشمالية والشرقية والغربية

منبج ترقص طرباً وما أن سمعت هذا الخبر الذي أثلج من أهلها الصدور حتى توافدت جميع جموع الشعب الغفيرة بمظاهرات الفرح والتأييد يتقدمها طلاب وطالبات مدارس منبج الثانوية منها والإعدادية إلى دار الحكومة حيث وقف السيد «عاكف هنانو» خطيباً يحيي تلك البادرة الطيبة من هذا الجمع وأعقبه قائمقام القضاء ندد فيها بأعمال العهد الأسود البائد وشكر الجموع المحتشدة طالباً منهم التريث والهدوء ريثما يتجلّى الموقف.

المحامي «حازم اللبني»

/ ٢٥/ ٢/ ١٩٥٤/ الساعة / ١٠،٠٠/ رقم بلا . . .

إلى إخواننا الضباط الأحرار

شعب حوران يؤيد حركتكم المباركة.

عشرات التواقيع من آل «المقداد»

و «الحجي» و «الرافعي» وغيرهم

/ ٢٥/ ٢/ ١٩٥٤ رقم بلا . . .

إلى قيادة المناطق الشمالية - الشرقية - الغربية

سكان قضاء منبج محامين وأساتذة وتجار ومزارعين وطلاب يؤيدون حركتكم الحرة المباركة وفقكم الله بالقضاء على ديكتاتورية «الشيشكلي» الغاشمة.

عشرات التواقيع

/ ٢٥/ ٢/ ٥٤/ رقم بلا . . .

إلى قيادة المناطق الشمالية - الشرقية - الغربية

أنقذتم سفينة الوطن من الغرق أوصلوها إلى شاطىء الأمان. نؤيدكم ونفديكم بدمائنا.

تل أبيض عشرات التواقيع

العقيد «أمين أبو عسّاف»

الساعة / ٩،٠٠/ التاريخ / ٢٥/ ٢/ ٥٤/ الرقم / ١٤٧/

حيّا الله جرأتكم تثأر للكرامات وتبعث من قبورها الحريات.

العقيد «غياث الدين الملا»

وقد وصلت برقيات من السلمية ومن كل مدن وعشائر الجزيرة والفرات وتعلن التأييد والسرور.

- تسيير قوة لاحتلال الثنايا -

وما أن انضمت المنطقة الوسطى إلى المناطق الثائرة حتى أصدرت قيادة الحركة الأمر التالي:

لاحقاً للاتصال الهاتفي

فكرة قائد الحركة

لتفادي المفاجأة قررت القيادة التمركز في موقع الثنايا الممر الإجباري المتعرّج لمنع أي قوة من اجتيازه باتجاه الشمال مع تحاشي الاصطدام بين قطعات الجيش من أجل ذلك:

١- تشكل جمهرة من القطعات التالية:

فوج مشاة وفوج الإسناد من المنطقة الشمالية.

فوج مشاة وفوج الإسناد من المنطقة الوسطى.

تتبع هذه الجمهرة إلى قيادة المنطقة الوسطى.

يعين قائد المنطقة الوسطى قائداً لهذه الجمهرة وتكون تحت قيادته. تتمركز الجمهرة دفاعياً في طلعة الثنايا الممر الإجباري المتعرج على طريق دمشق - حمص

شمالي دوما وجنوب القطيفة.

المهمة:

منع أي قوة آتية من دمشق من اجتياز هذا المضيق

٢ - تعيين مجموعة من سبعة ضباط بقيادة ضابط من القادة ومن المدربين في الكلية العسكرية للتمركز عند قرية دوما حتى إذا اقتربت منهم أية قوة باتجاه الشمال فاوضوا قائد هذه القوة والضباط الذي بإمرته لإقناعهم أن اصطدام الجيش كارثة لا يوافق عليها إلا من خان بلاده. ليحكّموا العقل ويلتحقوا بالمناطق الثائرة ويعلموهم أن كثيراً من الضباط والقطعات في محافظتي السويداء ودرعا قد أعلنوا تأييدهم للمناطق الثائرة.

يصدر قائد المنطقة الوسطى الأوامر المفصّلة إلى قائد الجمهرة وإلى مجموعة ضباط المساعي الحميدة. يتم التنفيذ بأسرع ما يمكن.

وما إن تحركت هذه القوة باتجاه الجنوب حتى علمت بها رئاسة الأركان. اتصل هاتفياً الزعيم «شوكت شقير» وسألني عن سبب تسيير هذه القوة باتجاه دمشق طالباً إيقافها فوراً وألاّ أتحمل مسؤولية تدمير الجيش السوري.

أجبته: إن القوة ستتخذ مراكز دفاعية جنوبي القطيفة لكي نتوقى المفاجأة من دمشق ولن تجتاز هذه المراكز مطلقاً - اطمأن ووافق على ذلك.

- إعلان استقالة «الشيشكلي» ومغادرته البلاد -

في السادسة عشرة اتصل معي رئيس الأركان طالباً أن يؤجل جواب «الشيشكلي» حتى الساعة الواحدة والعشرين. اعترضت على هذا التأجيل وكنا قد اتفقنا على أن يكون الجواب في تمام الساعة السابعة عشرة. أجاب: ألا تثق بي أنا لا أضللكم وأحقق مصلحة الجيش. أجبته: إن ثقتي بكم بدون تحفظ ولكن أخشى شيئاً يدبّر في الخفاء بدون معرفتكم يفاجئنا وإن المهلة التي أعطيت في الصباح كانت كافية لإعطاء الجواب.

أجاب: لا تخشى شيئاً وأنا أعمل للمصلحة العامة يجب أن توافق وفي الساعة التاسعة مساءً ستسمعون ما يسركم. وأخيراً وافقت على طلبه وأجل الجواب وبقي كل شيء على حاله من الترقب والانتظار. أعلمت قادة المناطق عن التأجيل الذي طرأ.

في تمام الساعة الواحدة والعشرين اتصل معي رئيس الأركان وأخبرني عن الخبر السار وهو استقالة «الشيشكلي» وذهابه بالسيارة إلى السفارة السعودية في بيروت ومعه أخوه «صلاح» ومرافقه وسيارة حماية من الشرطة العسكرية وبعد وداعه يزف إلينا هذه البشرى بالنبأ الخطير. ولكن يجب أن لا يذاع شيءٌ عن ذلك قبل الساعة الثالثة والعشرين وهذا ما وعدتُ به الزعيم «أديب الشيشكلي» حيث تعلن الاستقالة ومغادرته البلاد والإجراءات التي ستتخذ من الإذاعة السورية.

في الوقت المعين أذاعت محطة دمشق استقالة «الشيشكلي» الآتي نصها:

أيها الشعب الكريم

حقناً لدماء الشعب والجيش الذي أفتديه والوطن العربي الذي أردت أن أخدمه بتجرد وإخلاص أقدمُ استقالتي من رئاسة الجمهورية إلى الشعب السوري العزيز الذي انتخبني ومنحني ثقته الغالية راجياً أن يكون ذلك خدمة لبلادي سائلاً الله أن يقيها كل مكروه وأن يحقق وحدتها ومنعتها ويأخذ بيدها إلى قمة المجد والرفعة.

بعد إذاعة الاستقالة أذاع رئيس الأركان البيان التالي:

إن الشعب السوري قد علم الآن بنبأ استقالة فخامة الزعيم «أديب الشيشكلي» هذا الأمر الذي سيخلق انطباعات شتى في نفوس المواطنين.

أيها المواطن إنّ الجيش السوري يطلب إليك الإخلاد إلى السكينة وعدم القيام بأي مظاهرة كانت ويأمل أن تستجيب إلى هذا الطلب، واعلم أن الجيش وحدةٌ لا يتجزأ في سبيل الذود عنك وعن حياض هذا الوطن المفدى وأنهُ سيقوم بالمحافظة على الأمن والنظام الّلذَيْنِ هما دعامة صرح هذا الاستقلال.

رئيس الأركان العامة

الزعيم «شوكت شقير»

وفور إذاعة الاستقالة عممت رئاسة الأركان البرقية التالية: برقية رقم / ٣٨٩/ ٣ ب تاريخ/ ٢٥/ ٢/ ١٩٥٤/ الساعة / ٥٠ر٢٣/

تعميم

بعد أن اطلع رئيس الأركان العامة فخامة رئيس الجمهورية الزعيم «أديب الشيشكلي» على أحداث هذا اليوم وعلى رغبة الجيش تقدم فخامته باستقالته وغادر البلاد.

الإجراءات التي ستتخذ اعتباراً من /٢٦/ ٢/ ١٩٥٤/ :

١ - إطلاق سراح المعتقلين السياسيين.

٢ - الاجتماع مع رؤساء الأحزاب والسلطات القائمة لإقرار الخطوط المقبلة لمعالجة الوضع. يطلب إلى قادة المناطق إعادة القوات إلى ثكناتها والعودة إلى الحياة الطبيعية.

٣ - تمنع المظاهرات أياً كان نوعها. يحدد تاريخ اجتماع قادة المناطق والألوية والأسلحة مع رئيس الأركان العامة ببرقية لاحقة.

رئيس الأركان العامة

الزعيم «شوكت شقير»

بعد أن أذاع رئيس الأركان بيانه ذهب إلى سجن المزة حيث أصدر أمره بإخلاء سبيل الموقوفين السياسيين وأوعز إليهم بالذهاب إلى حمص حيث تجري المشاورات تحت إشراف فخامة رئيس الجمهورية السيد «هشام الأتاسي» وذهب إلى بيته ليرتاح من عناء هذا اليوم التاريخي الشاق. وقد أثمرت جهوده الصادقة وتجنب الجيش الاصطدام بين قطعاته.

- رئيس الأركان يشرح أحداث اليوم الأول -

فيما بعد سألتُ رئيس الأركان كيف جرت الأمور في ذلك اليوم يوم التمرد والعصيان أجاب: صباحاً علمت بالحوادث عند إذاعة البيان الأول ثم اتصل بي الزعيم «الشيشكلي» طالباً جمع المعلومات بأسرع ما يمكن والدعوة إلى اجتماع لضباط الأركان برئاسته.

إن المعلومات المتوفرة كانت البيان الذي أذيع فقط ولم يرد أحد على النداءات التي وجهتها هاتفياً أو برقياً - لكن بدأنا نلتقط برقيات التأييد.

في الاجتماع سأل: ما هو تقديركم للموقف. السؤال موجه لرئيس الأركان؟ أجبت: إن الحكم حتى الآن يقوم على تأييد الجيش لكم وبما أن الجيش قد تمرّد فمن الحكمة أن يجاب إلى طلبه خوفاً من إصطدام يحدث بين قطعاته ويؤدي إلى تدميره وبذلك تكون الكارثة قد حلّت بالوطن في حال الاشتباك.

ثم سأل الضباط اسمياً وحسب تسلسل الرتب والقدم. أيد جميع ضباط الأركان رأي رئيسهم عدا واحداً لم يكن من رأيهم وطلب القضاء على الحركة بالقوة مهما حدث ولم يشأ ذكر اسمه!.

بعد ذلك استدعى وزير الدفاع اللواء «رفعت خانكان» بحضور رئيس الأركان وكان وابه لا يختلف عن جواب رئيس الأركان وضبّاطه.

بعد هذين الاجتماعين استصوب رأيهما وطلب من رئيس الأركان أن يسعى لتهدئة الوضع ريثما يفكر في الأمر.

في المساء وعندما قرر الاستقالة ومغادرة البلاد أخذ عهد شرف على الزعيم «شقير» بحماية عائلته وبيته ثم تأمين سفرها إلى حماه وأن يبقى خبر الاستقالة وطريق وواسطة السفر سرّاً لا يعلم به أحد قبل الساعة الثالثة والعشرين مساءً وقد نُفّذت طلباته بحذافيرها.

- الاتجاه الآخر للزعيم «أديب الشيشكلي» وأعوانه -

فيما بعد حصلت على المعلومات الآتي ذكرها وقد جرت بدون معرفة رئيس الأركان.

إن الزعيم «الشيشكلي» اتبعَ اتجاهاً آخر مع مؤيديه من المدنيين والعسكريين عن غير طريق رئيس الأركان. وأجرى الاتصالات التالية:

١ - اتصل مع قائد سلاح الطيران المقدم «راشد كيلاني» وطلب إليه إرسال طائرات لتدمير قيادات وقطعات المناطق الثائرة، وعندما بلغ الضباط هذا الأمر رفضوا جميعاً تنفيذه إلاّ طائرتين تلقّى قائداهما الأمر بقصف حلب وعندما وصلا حلب وشاهدا المظاهرات تجوب شوارع حلب حطّا في مطار النيرب ووضعا نفسيهما تحت تصرف قائد المنطقة وقد أشير إلى ذلك.

وقد أعلم قائد سلاح الطيران رئيس الجمهورية بما حدث فأهمل الأمر ولم ينفّذ!.

٢ - في المدرعات له بعض الأعوان وكانوا على اتصال دائم به.

٣ - اتصل هاتفياً مع العقيد «محمود شوكت» قائد المنطقة الوسطى وطلب إليه أن يوافيه فوراً إلى دمشق وانتظر.

بعد ساعات ولما تأخر العقيد «شوكت» من الانضمام إلى المناطق الثائرة حضر لمكتبه المقدم «جادو عز الدين» والمقدم «جاسم علوان» من الكلية العسكرية وسألاه عن سبب عدم التأييد حتى الآن لأن موقف الكلية مؤيد.

أرسل قائد المنطقة الوسطى برقية التأييد إلى المناطق الثائرة واتصل هاتفياً مع الزعيم «شقير» قائلاً: أرجوا أن تبلغ «الشيشكلي» أني انضممت إلى المناطق الثائرة ولن أحضر إلى دمشق إلا عندما يغادرها.

أجابه رئيس الأركان: لماذا لا تخبره أنت عن ذلك؟ قال له: أرغب أن يكون

بواسطتك عن طريق التسلسل.

ذهب رئيس الأركان إلى «الشيشكلي»» وقال له: لقد انضمت المنطقة الوسطى إلى المناطق الثائرة ونقل إليه ما قاله العقيد «شوكت» أجابه: إنك تبالغ في أخبارك المحطمة للأعصاب وأنا بانتظار وصوله إلى هنا.

أجاب رئيس الأركان نقلت إليك نص رغبته حرفياً. هذا الهاتف اتصل به!.

طلبه «الشيشكلي» على الهاتف وكان المقدمان «عز الدين» و «علوان» ما زالا في مكتب العقيد «شوكت» وقال له: إني بانتظارك - أجابه: سيدي المصلحة تقضي أن تغادر البلاد وهي خدمة تسديها لنا جميعاً وللجيش بصورة خاصة وكما عودتنا دائماً يجب أن تضحي ولا يمكنني عمل غير ذلك وأقفل الزعيم الخط.

٤ - اتصل مع المقدم «عدنان مراد» آمر كتيبة المدرعات في السويداء وطلب إليه أن يحضر إلى دمشق مع كتيبته فوراً. باشر المقدم بتحضير الكتيبة ولكن صغار الضباط ومنهم الملازم «عدنان حمدون» نصحوه بعدم تنفيذ الأمر. ولما أصرّ على تنفيذه اتصلوا بموقع أزرع وكان قد انضمّ إلى الثوار وفيه أسلحة مضادة للدرع. أنذره الرئيس «أمين الحافظ» أنه لن يسمح لأي مدرعة أن تمر وأنه سيدمرها كلها إن هي أتت ولا يوجد طريق آخر وهكذا حيل دون وصوله إلى دمشق.

٥ - اتصل مع المقدم «فايز القصري» آمر فوج مدفعية في السويداء ثلاث مرات ولم يوافقه على طلبه. عندما يئس من التصرف بأي قوة عقد اجتماعاً مشتركاً مع رئيس مجلس النواب والوزراء والضباط المؤيدون وقرروا أن يستقيل ويذهب مؤقتاً خارج البلاد ريثما تهدأ الأمور - يقوم رئيس مجلس النواب بمهام رئيس الجمهورية ويدعو الضباط المتمردين إلى دمشق حيث يطوق مكان اجتماعهم ويلقي عليهم القبض كما جرى في طهران أثناء انقلاب «مصدق» على الشاه في إيران.

بعد ذلك يعود «الشيشكلي» ويستلم الحكم. كان من رأي بعض الضباط أن يبقى «الشيشكلي» دون أن يستقيل أو دون أن يترك البلاد فلم يوافق قائلاً؛ لن يحضر قادة المناطق الثائرون ما دمت لم أغادر البلاد!. وبقيت واسطة النقل وطريق مغادرة البلاد

مجهولةً لدى الجميع!!.

بتاريخ /٢٥/ ٢/ ومنذ الساعة الحادية والعشرين كان الضابطان «شحاذي» و «حدي» مع مصفحاتهما يحتلان المطار لمنع سفره إلى الخارج وهما لا يعلمان أنه سافر في تلك الساعة إلى بيروت. وعندما علما بسفره من الإذاعة بعد إعلان الاستقالة حضرا إلى السجن العسكري وأبطلا مفعول قرار رئيس الأركان. وأعادا إقفال السجن على الباقين الذين لم يتمكنوا من مغادرته تنفيذاً للأمر السابق.

كنا نعتبر الزعيم «شقير» يحمل جزءاً من مسؤولية تحريك القوى التى احتلت محافظة السويداء ونكلت بأبنائها. ولكن ما قام به في هذا اليوم وجرأته وصراحته وإتباعه الطريق القويم لمصلحة الجيش وعدم مسايرة «الشيشكلي» ونظراً للثقة التامة التي يتمتع بها في صفوف الجيش أمكنه من تجنب الكارثة وانتهى ذلك اليوم العصيب على خير وسلام. وعلمنا فيما بعد أن الأوامر كانت تصدر مباشرة من قبل «الشيشكلي» عندما احتل الجبل وقد تمكن الزعيم «شقير» من التأثير على بعض المواقف لمصلحة الوطن والجيش وكان تصرفه في كلا الموقفين سليماً ولا يمكن التصرف أفضل مما فعل.

الجمعة /٢٦/ ٢/ ١٩٥٤/ منذ صباح هذا اليوم واستناداً إلى برقية رئاسة الأركان العامة رقم /٣٨٩/ ٣ب/ أنهينا العمل بالتعليمات الاستثنائية التي صدرت في اليوم السابق. وطلبنا من المناطق والقطعات والمؤسسات والمصالح أن تعاود الاتصال بالسلطات العليا من سلكية ولاسلكية والبريد كالسابق. تعود القطعات إلى ثكناتها وتباشر الحياة الطبيعية - تبقى التدابير المتخذة على الحدود العراقية على حالها وتشدد المراقبة ويمنع دخول أو تسرب أي قوة أو أفراد إلى داخل الأراضي السورية بصورة غير مشروعة.

صدرت الأوامر برفع صورة رئيس الجمهورية السابق الزعيم «أديب الشيشكلي» من كافة المكاتب والمؤسسات والمصالح العسكرية فوراً.

أوقفنا البث من إذاعة حلب وأُلحقت كالسابق بإذاعة دمشق.

مكالمة هاتفية مع الزعيم «شقير» والدكتور «مأمون الكزبري»

منذ الصابح رغم المحاولات العديدة لم أتمكن من الاتصال مع الزعيم «شقير» مكتبه لا يجاوب. اتصل معي من دمشق الزعيم «أمير شلاش» معاون رئيس الأركان والعقيد «محمود بنيان» قائد قوى البادية والعقيد «زيد الأطرش» من الدرك للتهنئة والمباركة بنجاح الحركة.

في حوالي الساعة الحادية والعشرين وأنا أسأل عن رئيس الأركان أجابني الجندي العامل على مقسم الهاتف: سيّدي هو في المجلس النيابي هل أطلبه لك؟ أجبته بالإيجاب. وإذا بالزعيم «شقير» يردّ على الهاتف بلهجة غير عادية.

سألته: منذ الصباح نسأل عنك ولم نجدك ما الخبر؟ لم يجب. ماذا تفعل عندك في المجلس النيابي حتى يعلم أني أعرف مكان وجوده. أجاب: نتذاكر مع الإخوان. ثم قال: «مأمون بك» رئيس المجلس يرغب التكلم معك وأعطاني المخابرة.

بعد السلام الحار من قبل رئيس المجلس قال: المادة /٨٩/ من الدستور تنص على أن يمارس رئيس مجلس النواب صلاحيات رئيس الجمهورية بالنيابة حتى يتم انتخاب رئيس جديد للجمهورية خلال شهرين على الأكثر وهذا ينطبق على الوضع الحاضر ونحن ننتظر تشريفكم إلى دمشق أنتم ضباط الشمال حتى نقرر ما تريدون. سندعوكم إلى اجتماع وننفذ ما ترغبون ولم استطع سماع أكثر من ذلك.

أجبته: «مأمون بك» نحن لم نسحق الرأس حتى نمسك الذنب عهد «أديب يشكلي» يجب أن يزول كلياً من مجلس النواب إلى الوزراء وحتى حركة التحرير. اعتبرك مسؤولاً شخصياً عن كل شيء يحدث بعد ذهاب «الشيشكلي» وأقفلت الهاتف من الانفعال. عندما قال «الكزبري» سندعوكم إلى اجتماع في دمشق خطرت على بالي حوادث طهران.

ولم أتوقع أن يكون الزعيم «شقير» موقوفاً في المجلس النيابي حتى يؤيد فكرتهم ويذيع ما يرغبون.

بعد ذلك مباشرة اتصل معي هاتفياً ابن أخي الملازم الأول «طلال أبو عساف» وقال لي: إن أعوان «الشيشكلي» يسيطرون على المدرعات في القابون وقد تمكنتُ من الهرب بصعوبة حتى أتصل معك عندما استحال ذلك من داخل الثكنة. هل تذكر حوادث طهران؟ إنهم يحضّرون عملية مشابهة. إنّي مهدد بالتوقيف بين لحظة وأخرى ولا أعلم متى يلقون القبض عليّ وعلى كلّ من يشكّون به أنه مخالف لهم. وهم يسعون للسيطرة على الوضع من جديد ولا تلبّوا الدعوة في مثل هذه الظروف إلى اجتماع في دمشق.

أجبته: أعطِ هذه المعلومات إلى الزعيم «شقير» قال: لن أتمكن من الوصول إليه ولا أعلمُ وضعه في هذه الفوضى! سأحاول الوصول إلى حمص إذا لم يوقفوني في الطريق ولربما عند خروجي من هنا.

وصل إلى حمص مع عدد من الضباط الذين أيّدوا الحركة ضد «الشيشكلي» إفرادياً.

اعتقال رئيس الأركان - البيان المزور - تعيين «الكزبري» رئيساً بالنيابة - التدابير المتخذة من القيادة الشمالية

وبقينا بدون خبر من دمشق حتى فوجئنا مساءً بالبيان المزور التالي والصادر عن رئاسة الأركان.

إن رئاسة الأركان العامة ترجو مخلصة أن يوفق رئيس الجمهورية بالنيابة «مأمون الكزبري» بتحقيق الأغراض النبيلة الرامية الى توحيد الصفوف وإجماع الكلمة وهي تقاوم كل فكرة انقلابية في الحكم أو كل تعديل لا يأتي عن الطرق المشروعة وهي تعلن تأييدها التام لفخامة رئيس الجمهورية بالنيابة في أداء مهمته. يلي ذلك التعليق التالي:

إن قوات الشمال تُعْتَبَرُ خارجة عن القانون وإذا لم تلقِ السلاح وأصرّت على موقفها ستسَيَّرْ حملة لتأديبها، وإحالة الضباط المسؤولون فيها الى القضاء العسكري.

على أثر إذاعة البيان المزوّر اتُخِذت التدابير التالية من قبل القيادة الشمالية:

- تعود محطة الإذاعة بحلب إلى سيطرتها. تكون القيادة المتقدّمة في حمص منذ صباح السبت.

- يبقى العقيد «أمين أبو عساف» في دير الزور حتى لا نفاجأ باختراق الحدود العراقية. اجتمع المجلس النيابي صباح الجمعة وأقرّ البرنامج المتفق عليه مع «الشيشكلي» وبعد تلاوة الاستقالة أقرّ المجلس استلام الدكتور «الكزبري» رئاسة الجمهورية بالنيابة إلى أن يتمّ انتخاب رئيس جديد خلال مدة أقصاها شهرين من تاريخ اعتزال الرئيس السابق.

وصرح الرئيس الجديد أنه سيتصل فوراً بزعماء البلاد لأجل تأليف حكومة جديدة... الحكومة القائمة تبقى مسؤولة أمامه حتى يتم تأليف حكومة جديدة.

ذهبت قوة من المصفحات منذ الصباح إلى مطار المزّة تنتظر عودة الرئيس «الشيشكلي» بناءً على موعد هاتفي من بيروت.

عين الرئيس الجديد الزعيم «رسمي القدسي» رئيساً جديداً لأركان الجيش السوري وقد أذاع البيان المزور باسم الزعيم «شقير».

فيما بعد وصف لي الزعيم «شقير» كيف أوقفوه وحوادث هذ اليوم كما يلي:

في الصباح دخل إلى مكتبه في الأركان العامة مجموعة من الضباط تحمل السلاح وطلبوا منه أن يدعم خطتهم التي تقضي بأن يستلم رئيس مجلس النواب رئاسة الجمهورية بالنيابة بعد أن خلت بذهاب الزعيم «الشيشكلي» وأن يقتصر التغيير على استقالته فقط. ثم يجري انتخاب رئيس للجمهورية حسب نص الدستور. لم يوافق على طلبهم وقال لهم: إن ذهاب «الشيشكلي» كانت بداية لإنهاء عهده وهذا ما عملنا له بالأمس تلبية لمطالب المناطق الثائرة ولا يمكنني أن أغير ما اتفقنا عليه وجرت المفاوضات على أساسه.

وبعد مناقشات حادة وطويلة أخذوه عنوة إلى المجلس النيابي حيث رئيس المجلس ومكتبه والوزراء وبعض الضباط والنواب. طلب منه جميع هؤلاء أن يتبنّى الحلّ

الدستوري الذي يقضي باستلام رئيس مجلس النواب رئاسة الجمهورية بالنيابة حتى يتم انتخاب رئيس جديد للجمهورية خلال شهرين على الأكثر.

وعندما يتبنى هذ الاتجاه يذيع بياناً بذلك من الإذاعة يؤيد ويدعم رئيس الجمهورية وبعدها يدعون الضباط الثائرين إلى اجتماع ليقرروا هذه الأمور أو تسير إليهم قوة لتقضي عليهم.

لم يتمكن من إقناعهم أن استقالة «الشيشكلي» كانت مقدمة لزوال عهده ولا يمكنه تغيير موقفه. وأخيراً قال له الضباط: إذا لم تنفذ إرادة المسؤولين: رئيس المجلس النيابي والوزراء والنواب ستدخل السجن في القابون.

وعند إصراره على موقفه أخذوه إلى القابون وبوصولهم اشتبكوا مع رفاقهم المعارضين لفكرتهم وجرت معركة كلامية وأحياناً بالأيدي. ولما رأى هذا المشهد وقد غفلوا عن وجوده ركب سيارته وذهب إلى منزل أحد أصدقائه.

لم يتمكنوا من إجباره على تنفيذ رغباتهم. عين الرئيس الجديد الزعيم «رسمي القدسي» رئيساً للأركان وذهب بعد الظهر لاستلام مهامه - حين وصوله إلى الأركان أعلن أمام الضباط أنه تعين رئيساً للأركان من قبل رئيس الجمهورية بالنيابة. عندها غادر كل ضباط الأركان مكاتبهم وبقي وحيداً حتى المساء حيث ذهب إلى الإذاعة وأذاع بيانه المزور ولم يجرؤ على ذكر اسمه.

في صباح اليوم التالي عاد إلى مكتب رئيس الأركان. غادر الضباط الموجودون مكاتبهم بمجرد وصوله. وعندما يأتي أحد الضباط ويعلم بوجود رئيس الأركان الجديد يغادر فوراً. عندما رأى نفسه وحيداً عاجزاً عن عمل أي شيء قال: هل أنا رئيس أركان الحيطان! كيف يمكنني العمل بدون ضباط؟.

أخبر السلطة التي عينته بالواقع ولا يمكنه القيام بهذه المهمة وانسحب.

- عودة محطة حلب للبث - المظاهرات تقتحم المجلس النيابي -

الطلب إلى الزعيم «شقير» استلام المسؤولية وسيطرته على الموقف

السبت ٢٧/٢/١٩٥٤/ استهلت إذاعة حلب برامجها صباح هذا اليوم بعد صمت أكثر من /٣٦/ ساعة بالبيان التالي:

تأكد لدينا بصورة قاطعة أن البيان الذي أذاعته محطة دمشق باسم الزعيم «شوكت شقير» رئيس الأركان العامة هو بيان مزور ولا علاقة به للزعيم «شقير» الذي هو أعقل وأحكم من أن يذيع مثل هذا البيان.

صدر هذا التكذيب قبل أن نعلم وضع الزعيم «شقير» وهذا يدل على الثقة والتقدير الذي يكنه الجيش لقائده.

شعر الشعب بما يُدبّر له وكان ردّ الفعل سريعاً. في دمشق أصبحت المدينة مضربة وقامت فيها تظاهرات عظيمة اشترك الطلاب والأهلون على مختلف فئاتهم في كلّ أنحاء المدينة. ودخل بعضهم إلى المجلس النيابي بقصد احتلاله وأهانوا بعض النواب وهتفوا بسقوط المجلس.

لكن نائب رئيس المجلس السيد «سعيد إسحق» أقنع رؤساء المتظاهرين بعد أن أطلعهم على وثيقة حل المجلس موقعه من بعض النواب وهو في سبيل توقيعها من الباقين مما حال دون احتلال المجلس وذلك تحت ضغط الشعب.

كانت التظاهرات عامة. ودار الإذاعة أحيطت بحرس قوي رغم ذلك حاول المتظاهرون احتلالها. وأطلقت العيارات النارية والغاز المسيل للدموع وعندها قام قادة المتظاهرين بطلب عدم دخول دار الإذاعة كيلا يصطدموا بالحرس وحتى لا يحدث

تخريب وعندها ارتدّ المتظاهرون عنها.

وبدأت السفارات تطلب حمايتها من جماهير المتظاهرين الغاضبة وكذلك البنوك والمؤسسات طلبت أيضاً مضاعفة حمايتها وقوى الأمن الداخلي عاجزة عن تلبية هذه الطلبات والجيش بدون قيادة.

هذه الفوضى أقنعت الدكتور «الكزبري» بعدم قدرته على الاستمرار وتحمل المسؤولية في الحكم وخشي العاقبة الأسوأ.

اتصل هاتفياً بالزعيم «شقير» بعد أن علم مكان إقامته وطلب منه استلام المسؤولية وتهدئة الوضع وإنه ينسحب من الحكم بعد أن قرر النواب حلّ المجلس.

في ذلك الوقت كانت محطة حلب تذيع نداءات إلى الضباط والنقباء والجنود في سلاح المدرعات طالبة إليهم وضع حدٌ لتمرد بعض قادتهم الذين لا يتجاوز عددهم أصابع اليد وأن يمنعوا بذلك الاصطدام بين الجيش.

وبموافقة رئيس الأركان بعد عودته ألقت إحدى الطائرات مناشير صادرة عن قيادة حلب جاء فيها ما يلي: لقد حزم الجيش أمره وقام بحركته الباسلة المباركة ليخلص البلاد من الدمار المحقق ويعيد إلى الشعب النبيل حقه في الحياة الحرّة الأبية الدستورية ويحافظ على استقلاله الذي بذل في سبيل الحصول عليه ضحايا لم تجف دماؤها بعد على أديم الوطن المقدس. فإذا عهد الطاغية المستبد يتقوض من أركانه وإذا بالشعب الذي كبلته القيود وأثقل كاهله البغي والظلم ينتفض انتفاضة العزة والكرامة ويتطلع إلى مستقبل باسم زاهر تسوده الحرية والطمأنينة والاستقرار.

إلا أن شرذمة ضئيلة من ضباط المدرعات الذين لا يتجاوز عددهم الستة والذين كانوا عوناً للطاغية على الشعب أبت إلاّ أن تظلّ سادرة في طغيانها وغيّها وقد صعب عليها أن يزول ما كانت تتمتع به من نعم على حساب حقوق الشعب فانشقت عن الجيش وأخذت تحاول إفساد قدسية الحركة الاجتماعية التي آزرتها وأيدتها الأمة برمتها رامية من وراء ذلك إلى إشعال فتنة عمياء يقتل فيها الأخ أخاه وتهرق فيها دماء أبناء الأمة لا للذود عن حياض الوطن واستقلاله وإنما لتهرب هذه الشرذمة من مسؤولية

الجرائم النكراء التي اقترفتها فتتحاشى بذلك حساب الأمة العسير على الخيانات التي ارتكبتها.

فإلى ضباط الجيش ونقبائه وأفراده نتوجه لكي يبرهنوا للملأ والشعب أن الجيش السوري لم يكن يوماً حرباً على أمته وإنما كان وسيبقى إلى الأبد مستعداً لبذل دمه فداء لها.

التوقيع: الجيش السوري

استلم الزعيم «شقير» الأمن وسيطر على الموقف:

في هذه الأحوال الصعبة والدقيقة عاد الزعيم «شقير» ليستلم زمام المسؤولية فأحضر فوراً لواء بكامله من معسكرات قطنا وسلّمه مسؤولية حفظ الأمن. حيث أمنت حماية السفارات والبنوك وكل المؤسسات. وأذاع عن استلام الجيش مسؤولية الأمن في البلاد وأعلن حلّ المجلس النيابي وحركة التحرير. وبذلك تكون طلبات القوات الثائرة في الشمال قد نفذت كلّها وهو القضاء على عهد «الشيشكلي» بكامله. أما موضوع ابتداء العهد السياسي الجديد فهو من مسؤوليات رجال السياسة تحت إشراف فخامة رئيس الجمهورية في حمص.

لذلك يطلب إلى الشعب الكريم وقف التظاهرات كلياً والانصراف إلى أعمالهم العادية ليتيحوا بذلك إلى المسؤولين فرصةَ القيام بمهامهم والعودة إلى الحياة الدستورية.

وكان نفر من ضعاف النفوس قد بدأ يحاول فتح بعض المحلات التجارية للسرقة والنهب والفوضى.

وأخيراً تفرقت التظاهرات على أن يعود الطلاب إلى التظاهر إذا لم تحلّ القضية وفقاً لرغبات الشعب. أما مطالب الطلاب فتتلخص فيما يلي:

أولاً: تأييد حركة ضباط الثورة في الشمال.

ثانياً: اعتبار وضع «الشيشكلي» منذ انقلابه الأخير حتى اليوم غير شرعي.

ثالثاً: اعتبار الدستور الذي وضعته الجمعية التأسيسية عام /١٩٤٩/ قائماً.

رابعاً: اعتبار كل من فخامة «هاشم الأتاسي» والدكتور «معروف الدواليبي» رئيسين شرعيين للبلاد.

في دير الزور عقدتُ اجتماعاً للضباط في النادي وبيّنت لهم الحالة بالتفصيل. والتدابير المتخذة وإن كثيراً من رجال السياسة موجودون في حمص للتشاور بالإضافة إلى كثير من الضباط من قطعات دمشق بينما الجيش في السويداء ودرعا انضمّ بكامله إلى المناطق الثائرة. وعدد من ضباط الجبهة.

بعد استلام الزعيم «شقير» المسؤولية قررت قيادة حلب أن يتم التشاور لتشكيل الوزارة في حمص ويكون انتقال رئيس الجمهورية والوزارة بعد القضاء على تمرّد المدرعات وإبعاد الضباط المتمردين خارج سوريا وهدوء الحالة تماماً.

كانت قد روّجت إشاعات في دمشق بقصد التشويش أن قيادات الشمال مختلفة وهذا ما أخّر مجيئها وأخّر رئيس الجمهورية والوزراء من الوصول إلى العاصمة. سئل عن ذلك الزعيم «شقير» من بعض السفارات.

بعد أن هدأت الحالة في دمشق وأعطيت تعليمات منع التجول من الساعة /٢٠،٠٠/ حتى الساعة /٠٦،٠٠/ من اليوم التالي. حضر الزعيم «شقير» إلى حمص مساءً للتشاور واجتمع إلى الضباط وطلب منهم الذهاب إلى دمشق حيث تجري المشاورات لتشكيل الوزارة. وكانوا على اتفاق مع رجال السياسة أنهم لن يذهبوا إلا بعد انتهاء التمرّد في المدرعات.

اجتمع إلى رجال السياسة وأخذ نفس الجواب وأن استشارات موسعة ستجري قبل تشكيل الوزارة وأن بعض مندوبي المحافظات لم تصل بعد إلى حمص.

تم الاتفاق أن يتم تشكيل الوزارة في حمص وتذهب إلى دمشق مع فخامة الرئيس بعد هدوء الحالة تماماً.

وبعد ذلك يذهب الضباط إلى دمشق لدراسة أوضاع الجيش. عاد الزعيم ليلاً فور انتهاء محادثاته إلى دمشق وأذاع البيان التالي:

لما كانت الأسباب التي حالت دون استمرار الحكم الشرعي وقيام فخامة رئيس الجمهورية السيد «هاشم الأتاسي» بسلطاته الدستورية قد زالت. لذلك فإن رئاسة الأركان العامة للجيش السوري تعلن أن الأوضاع الشرعية قد عادت إلى مجراها الطبيعي منذ الآن. وإن الجيش الذي هو جيش الأمة وحامي ذمار البلاد ينسحب إلى ثكناته للقيام بواجباته المعينة في الدستور ويضع نفسه رهن خدمة سلطة رئيس الجمهورية وحكومته الدستورية.

وصولي إلى حمص

الأحد /٢٨/٢/ ١٩٥٤/ وصلتُ إلى حمص هذا الصباح وفور وصولي قابلت فخامة الرئيس «هاشم الأتاسي» وهنأته على استعادة العهد الدستوري في ظلّ قيادته الحكيمة وعدم رضوخه للقوة وتنفيذ طلبات «الشيشكلي» ثم ترؤسه لمؤتمر حمص مما شجع الشعب بكل فئاته للمطالبة بحقوقه.

وقد هنأني فخامة الرئيس وبارك العمل الذي قامت به قطعات الجيش في المناطق الشمالية والقضاء على عهد الظلم والاستبداد.

أجبتُ: إن الجيش قام بواجبه مثل باقي أفراد الشعب.

الحالة في حمص:

أكثر رجال السياسة في سوريا موجودون في حمص. كان أول الوافدين إليها سجناء المزّة الذين أطلق سراحهم نهار الجمعة وعدد كبير من دمشق بسبب الردّة التي جرت فيها.

وأيضاً عدد كبير من الضباط أكثرهم من قطعات دمشق. عقدنا اجتماعاً لهؤلاء الضباط ودرسنا أوضاعهم بالتفصيل ثم طلبنا إليهم الالتحاق بقطعاتهم فوراً.

في دمشق بدأت الحياة الطبيعية تعود إليها لكن السفارات لم تكن مطمئنة لوجود المسؤولين في حمص ولذلك أكد علي الزعيم «شقير» هاتفياً وجوب سرعة ذهاب فخامة الرئيس وأركان حكومته إلى العاصمة.

تلقيتُ هاتفاً من دمشق يوصي بعدم الركون إلى معلومات قيادة حمص وانتظار معلومات من دمشق (تضليل)!.

في الساعة / ٢١،٠٠/ أبلغني الزعيم «شقير» عن ذهاب كل من الرئيس عبد الحق شحاذي» و «حسين حدي» كملحقين عسكريين أحدهما إلى لندن والآخر إلى باريس وقد زال سبب تأخير فخامة الرئيس.

أجبته: إن الرئيس انتظر وصول بعض السياسيين ليتم تشكيل الوزارة وسيغادر نهار الغد وسأعلمكم فور تحديد ساعة الذهاب.

الاثنين / ١/آذار/ ١٩٥٤/ طلبني فخامة الرئيس لمقابلته صباحاً باعتباري قائد الحركة وكان يجري المشاورات لتشكيل الوزارة في منزله وبحثنا بعض الأمور وبالمناسبة فقد رغب الأستاذ «صبري العسلي» رئيس الوزراء المكلف بمقابلتي وكل من الأستاذ «ميشيل عفلق» والدكتور «عدنان الأتاسي» وكانوا جميعاً في منزل الرئيس.

أخذ رأيي إذا كان لي اعتراض على أن يكون الأمير «حسن الأطرش» وزيراً في هذه الوزارة. فلم أعترض وباركت. وقد درسنا مواضيع أخرى كابتعادِ الجيش عن السياسة وتعيينِ وزيرٍ للدفاع.

أكدت لهم أن حركتنا هدفها إبعاد الجيش عن السياسة كلياً وليس لنا شروط مطلقاً.

رئيس الجمهورية هو القائد الأعلى للجيش يتصرف كما تقضي المصلحة العامة. كما أن رئيس الأركان المسؤول الأول وهو الذي يؤخذ رأيه في القضايا التي تهم الجيش وقد أعلن عن رأيه في بيان سابق يقضي بانسحاب الجيش إلى ثكناته والانصراف إلى مهماته الأساسية وعدم التدخل بالسياسة.

قرر رجال السياسة المجتمعون في حمص اعتبار عهد «الشيشكلي» ودستوره وجميع

ذيوله غير شرعية كأنه لم يكن وبذلك يعود الرئيس «الأتاسي» رئيساً للجمهورية لإتمام ما تبقّى من ولايته. ثم يدعو الشخص الذي يختاره لتأليف الوزارة.

أما المجلس القديم فلا يعود إلى الاجتماع وتجري انتخابات خلال مدة ثلاثة أشهر على أساس دستور / ١٩٥٠/ ويعطى المجلس صلاحية تعديل الدستور. وعندما يجتمع المجلس الجديد وتكون ولاية الرئيس قد انتهت ينتخب الرئيس الجديد حسب الدستور.

- موكب «هاشم الاتاسي» رئيس الجمهورية يتحرك إلى دمشق -

كلف رئيس الجمهورية الأستاذ «صبري العسلي» بتشكيل الوزارة وتمّ الاتفاق على تأليفها من الحزب الوطني وحزب الشعب والمستقلين. أما حزب البعث العربي الاشتراكي فقد اعتذر عن الاشتراك بالوزارة مع تأييده لها.

وكانت وزارة السيد «العسلي» تضم السادة: «فاخر كيالي» - «بدوي الجبل» - «عفيف الصلح» - «فيضي الأتاسي» - «رشاد جبري» - «علي بوظو» - معروف الدواليبي» - «حسن الأطرش» - «عبد الرحمن العظم» - «منير العجلاني» - «عزة الصقال» - (وهي خالية من العسكريين).

عند الساعة الثانية عشر تحرك من حمص موكب فخامة رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والوزراء ورجال السياسة في موكب كبير. وجرى لرجال العهد الدستوري وحكامه الشرعيين أستقبالٌ رسمي وشعبي حافلٌ في دمشق رُفعت الأعلام وأقيمت الزينات.

جرت ترتيبات الاستقبال بإشراف رئيس الأركان العامة وقائد قوى الأمن الداخلي ومحافظ العاصمة. أدى الجيش التحية على مدخل المدينة وأمام القصر الجمهوري.

وصل إلى دمشق فجأة المقدم «إبراهيم الحسيني» الملحق العسكري في واشنطن. سَرَت إشاعات عن استدعائه منذ بدء الحركة من قبل الزعيم «الشيشكلي» وأعوانه.

عند التحقيق عن أسباب مجيئه لم يعترف أنه استدعى من قبل أحد بل إنه عندما سمع بحوادث سوريا أتى ليساهم مع المخلصين بتهدئة الأوضاع. ليس من دليل على استدعائه لدى المسؤولين، ولم يتخذ إجراءات بحقه.

- انتقال القيادة إلى دمشق - إبعاد أعوان الشيشكلي -

دراسة أوضاع الضباط المسرحين

الخميس / ٤/ آذار/ ١٩٥٤/

بعد انتقال فخامة رئيس الجمهورية إلى دمشق بقيت قيادة المناطق الثائرة في حمص تراقب الوضع خوفاً من وجود خدعة وعندما استتب الأمن وباشرت الوزارة عملها ذهبنا صباحاً إلى دمشق.

طلبتُ من العقيد «فيصل الأتاسي» أن يكون في الأركان العامة رئيس شعبة أو معاوناً لرئيس الأركان حتى ينفذ مخطط القيادات الثائرة والضباط الأحرار. أبى وقال: يكفيني أن أبقى قائداً للمنطقة الشمالية. ولكني أطلب منك أن تكون رئيساً للأركان أو معاونه حتى لا يعود أعوان الديكتاتوريات إلى العمل.

رفضت طلبه وقلتُ: لا أفكر في تغيير مركزي في الوقت الحاضر ولا أطلبُ مكافأة على عملي. رئيس الأركان الزعيم «شوكت شقير» خير من يتولّى قيادة الجيش ويجب مساعدته على مهمته الشاقة من المراكز التي يسندها لنا.

فور وصولنا قابلنا رئيس الأركان وطلبنا منه إصلاح الجيش وإبعاد العناصر التي كانت تعمل بوحي من الزعيم «أديب الشيشكلي».

أجاب الزعيم ««شقير» أرجو أن تجتمعوا مع رفاقكم في دمشق وتقترحوا ما تشاؤون حتى ندرسه ونقرر ما يمكن تنفيذه.

طلبَ مني أن أستلم سلاح المدرعات فوراً. أجبته: أنا لا أفكر بذلك يكفيني أن أبقى في مكاني قائداً للمنطقة الشرقية وآمراً للواء الخامس.

وبناء على إصراره تابعت إذا كانت المصلحة العامة تستوجب ذلك أرجو تأجيل النقل حتى آخر السنة الدراسية نظراً لصعوبة إيجاد بيت سكن فوراً ووجود أولادي في المدارس.

كان رئيس الأركان قد أعاد إلى الخدمة المقدم الركن المجاز «عدنان المالكي» ورُقّع إلى رتبة عقيدٍ اعتباراً من /١/٧/١٩٥٣/ أُسوة برفاقه في الخدمة واستلم رئاسة الشعبة الثالثة في الأركان العامة.

مخابرات «الشيشكلي» كانت قد ألقت القبض على المقدم «عدنان المالكي» في /١٦/١٢/١٩٥٢/ وأودِع السجن حتى /٢٠/٦/١٩٥٣/ تاريخ إذاعة الدستور وإقرار الحكم الرئاسي وقد صدر أمرٌ بالعفو عن المبعدين السياسيين وبعض السجناء شملَ المقدم «عدنان المالكي» ولكنه سرّح من الجيش.

باشرنا عقد الاجتماعات لدراسة أوضاع الجيش. حضر عدد من الضباط ومنهم العقيد «المالكي» درسنا أوضاع الجيش وكيفية إصلاحه ووضع حدٍّ للتجاوزات.

تمّ الاتفاق على نقل معاون رئيس الأركان ورؤساء الشعب جميعهم وبعض التنقلات في القيادات من الذين أساؤوا في عهد «الشيشكلي» وأن يعاد إلى الخدمة المسرحون من الضباط بصورة تعسفية.

كلفني المجتمعون باعتباري رئيس الجلسة أن أنقل رغبتهم إلى الزعيم رئيس الأركان العامة لأخذ موافقته.

وافق رئيس الأركان على تشكيل لجنة لدراسة أوضاع الضباط المسرحين تعسفياً وإعادة المسرح خلافاً للقانون.

ووافق على كلّ الطلبات الأخرى - استثنى منها فقط الرئيس «عبد الحميد السراج» رئيس الشعبة الثانية أصرّ أن يبقى في مكانه.

وافقته على طلبه بعد نقاش وقال: إذا أصريتم على نقله فإني أستقيل! . ووعدته أن يبقى الرئيس «السراج» مكانه في الأركان.

عند عرض هذه النتيجة في الاجتماع التالي ثار العقيد «المالكي» وحمّل الزعيم «شقير» بعض المسؤولية لتعاونه في البدء مع الزعيم «الشيشكلي» وإنه يجب تغييره أي رئيس الأركان.

أجبت: في البدء أكثرية ضباط الجيش تعاون مع «الشيشكلي» بعضهم عن جهل لما يخطط.

إن موقف الزعيم «شقير» والمساعدة التي أداها ونجح فيها خلال الانقلاب الأخير أدت إلى عدم إصطدام الجيش وتحطيمه - ويعود له وحده الفضل في إقناع «الشيشكلي» بعدم استعمال القوة - رغم توقيفه وتهديده بالسجن من قبل الضباط أعوان «الشيشكلي». لم يوافق على استلام «الكزبري» الحكم ليتم عهد «الشيشكلي» ويسمح له بالعودة فيما بعد - ورغم سوقه سجيناً إلى القابون لم يذع البيان المعد لهذه الغاية وقد عُين الزعيم «القدسي» رئيساً للأركان وأذاعه. وعندما قضى الشعب على أحلام بعض الضباط والدكتور «مأمون الكزبري» لاستلام الحكم. . . عاد وباشر مهامه واستلم الأمن وقضى على كل عناصر الشغب.

وبما أنه لبّى كل طلباتنا باستثناء طلب واحد يجب أن نوافقه عليه. أرى أنه خير من يقود الجيش بما له من صفات قومية وثقافية وعسكرية.

عاد العقيد «مالكي» إلى الكلام وقال: اثنان مؤهلان لرئاسة الأركان: الزعيم «آرام قرا مانوكيان» والعقيد «أمين أبو عساف».

الأول يتكلم العربية بصعوبة ولا يمكننا إرسال رئيس أركان لا يتكلم العربية إلى اجتماعات الجامعة العربية.

يبقى على العقيد «أمين أبو عساف» أن يكون رئيساً للأركان.

شعرت أنها مؤامرة على الزعيم «شقير» وقلتُ: إن الزعيم «شقير» يبقى رئيساً

للأركان نظراً لكفاءته والأكثرية تؤيده. موقفه في الانقلاب الأخير وتحمله المسؤولية ونجاحه يفوق ما قام به أي منا. أرجو أن يكون هذا الموضوع قد انتهى.

أيد بقاء الزعيم «شقير» رئيساً للأركان جميع الذين تكلّموا وهم الأكثرية. لا أعلم إذا كان بعض من سكت وهم قلّة عن إبداء الرأي يؤيد «المالكي».

ردّ «المالكي»: إذا حدث أنقلاب ونفذ لن أكون مسؤولاً. أجبته: لن نمكّن أحداً من القيام بانقلاب يجب احترام القانون وكل محاولة ستقمع بالقوة ضمن القانون ويعاقب فاعلوها أقصى عقاب وافعل ما تشاء.

بلّغتُ رئيس الأركان عما تمّ الاتفاق عليه وهو الموافقة على توجيهاته ولم أشرْ إلى اقتراح «المالكي» لأني قدّرت أن الموضوع قد انتهى.

لكنّ العقيد «مالكي» أخبر الزعيم «شقير» عمّا حدث بالتفصيل واعتذر عما بدرَ منه وقبل رئيس الأركان اعتذاره لأنه كان يقدّر كفاءته واندفاعه ونشاطه.

بعد يومين طلبني رئيس الأركان وسألني مازحاً: لماذا لا ترغب أن تكون رئيساً للأركان؟ سألته: كيف عرفت؟ هل أخبرك «المالكي»؟ أجاب: نعم أخبرني بكل شيء واعتذر وقبلت اعتذاره وطوي الموضوع.

استوضح عن بعض التفاصيل وجدها مطابقة لما قيل له.

استطردتُ قائلاً: إني أعمل في سبيل المصلحة العامة أطبّق القانون وما يوحيه ضميري لخدمة جيشنا ووطننا ولا أدعم رئيس الأركان وغيره في سبيل المصالح المتبادلة. إنما أجهرُ بالحق. وقلت: نتيجة لهذا النقاش أصبحتَ رئيساً للأركان بالانتخاب والتزكية وهذا ما يقوي مركزك - أدعو لك بالتوفيق في خدمة جيشنا المفدى.

فيما بعد بناء على قرار اللجنة وموافقة رئاسة الأركان عاد جميع الضباط الذين سرّحوا تعسفياً أو أحيلوا على التقاعد قبل بلوغ السن القانوني ومنهم العقيد «توفيق نظام الدين» والعقيد «عزيز عبد الكريم» بعد أن رفّعا إلى رتبة زعيم اعتباراً من /١/٧/

١٩٥٣/ تاريخ ترفيع رفاقهم.

كان العقيد «عزيز» بعد إحالته على التقاعد من الجيش قد استلم وظيفة مدنية حيث عُيّنَ محافظاً لريف دمشق - أُخِذَ رأيه وبناء على موافقته أعيد إلى الخدمة. تابعت اللجنة المعينة دراسة كيفية تعيين بعثات الضباط وصف الضباط وبصورة خاصة بعثات ضباط الأركان.

قررت اللجنة أن يطبق على دورات الأركان ما هو مطبق في الجيوش العريقة والحديثة أي أن يتبع دورة انتقاء لاتباع دورة ركن تضع رئاسة الأركان برامج الدورة كما هو متبع في الجيوش الراقية. يرسل الناجحون فقط حسب ترتيبهم على جدول النجاح.

باقي الدورات عن طريق الانتقاء النزيه ضمن شروط تضعها الشعبة المختصة في الأركان العامة لكل دورة.

يكون الترفيع لرتبة رئيس ومقدم بعد اتباع دورة ترفيع وبعد هذه الرتبة لمن نجح في دورة الأركان، يرفع الناجحون حسب درجة نجاحهم.

يطبق قانون الجيش حرفياً. لا يسرح الضابط إلا بحكم قضائي - أو الإحالة إلى مجلس التأديب - أو لأسباب صحيّة ويعرض على اللجان المختصة.

أخبرني الرئيس «بشير صادق» أن الأستاذ «ميشيل عفلق» يرغب مقابلتي. وحضرا في الوقت المعين. كانت لي معرفة سابقة وتعاون مع الأستاذ «عفلق» وحزب البعث.

طلب مني أن أسعى لإبعاد الجيش عن السياسة. وأن يكون الانقلاب الذي قضى على الحكم الدكتاتوري هو آخرها وأن نسعى ونراقب إجراء انتخابات حرّة ونزيهة ونترك السياسة. أجبت: هذا ما سيفعله المسؤولون في الجيش - كان رأي الزعيم «شقير» أن الأحزاب العقائدية إذا نجحت في الانتخابات وشاركت واستلمت الحكم هو خير ضمانه لمستقبل سوريا والأمة العربية ويقضي نهائياً على تدخّل المغامرين وزج الجيش في السياسة.

وصولي إلى الجبل لزيارة «سلطان باشا الأطرش»

عندما علمتُ بعودة «سلطان باشا» من شرق الأردن قررت الذهاب إلى عرينه القر للسلام عليه. وتهنئته مع رفاقه الأشاوس بعودتهم إلى الوطن والقضاء على الطاغية الذ كان السبب في إبعادهم.

بتاريخ / ١٤/ آذار ذهبت من دمشق إلى قرية «سُليم» وصلتها في أول السهرة. وه المرة الأولى التي أحضر فيها للجبل بعد الإنقلاب وما أن علم أهالي قريتي سلي بوصولي حتى تجمعوا شيبا وشبّاناً الشباب يهزجون ويرقصون على أنغام المجوز وكانت القرية منقسمة إلى فريقين متخاصمين لأسباب داخلية. الفريق الآخر يقاطع دار ولكنه حضر بعد ساعة من وصولي بعراضة رقص وغناء - قال كبيرهم كنا مختلفي بالرأي داخلياً لكن خلافنا لم ينتقل إلى خارج القرية وكنا صفا واحداً أمام المحـ ونحمد الله الذي أرسل الفرج عن طريق ابن سليم البار العقيد «أمين أبو عساف» سلي القميزي «محمد أبو عساف».

أمضى شيوخ القرية وشبابها سهرة طرب امتدت حتى آخر الليل. ولما علموا سبـ مجيئي قالوا: نحن أجلنا السلام على الباشا ورفاقه حتى تحضر. وقررنا أن يكو الذهاب إلى القريّا في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي. وهكذا كان قرار أهال قرية عتيل أيضاً.

في الصباح الباكر وصل أحد شباب السويداء على سيارة خاصة وقال: إني مرسل من قبل أوجه وشباب السويداء - كنا ننتظر وصولك لنقوم بواجب استقبال المنقذ ورغ أننا كنا نراقب مجيئك فقد وصلت فجأة وفي غفلة منا بدون أن نعلم رغم الاحتياطات التي اتخذناها.

الآن نرغب أن نعلم موعد وصولك السويداء لنقوم بالواجب ونحضِّر الاستقبال اللائق. أخبرته عن ساعة مغادرة قرية سليم.

في الساعة المقررة تحرّك الموكب من سليم - سيارة الخدمة العسكرية أركب فيه

مع بعض أوجه القرية وباص يحمل باقي الأوجه والشباب وبوصولنا إلى قرية عتيل وجدناهم بانتظارنا في أول القرية على الطريق العام وبعد الوقوف للسلام عليهم انضم إلى الموكب الباص الذي يحمل أوجه القرية وشبابها.

في مرتفع الريحاني على حدود السويداء عتيل وجدنا طلائع الاستقبال. حيث حضر عدد من الشباب على سيارات خفيفة - وقفنا وسلّمنا وهنأناهم بالعودة وهنؤوا بالقضاء على الطاغية وسرنا معاً حتى مدخل السويداء. هنا أترك الكلام لجريدة الجبل لوصف الاستقبال حيث قالت:

وصول العقيد «أبو عساف» إلى الجبل

الحفاوة به في السويداء وسفره للقريّا لتحية «سلطان»

وصل إلى السويداء العقيد «أمين أبو عساف» أحد كبار الضباط الأحرار الذين قضت حركتهم المباركة على طغيان الطاغية وأعادوا للشعب حريته، وأنقذوه من المهانة والذل والاستعباد.

السويداء تعرب عن تقديرها بحفاوتها بالعقيد «أبو عساف» وتهنئته للمجاهدين وتعزيته بالضحايا.

وبالفعل فقد خف الآلاف من الأهلين يتقدمهم الزعماء والمجاهدون والوجهاء والشباب والطلاب إلى شمال المدينة حيث اصطفت على مفارق الطرق تهزج الأناشيد الشعبية وعند الساعة العاشرة وصل العقيد «أبو عساف» ترافقه ثلاث سيارات أهل قرى (سليم وعتيل ولفا) فاستقبل بالهتاف والتصفيق ورفعته الجماهير على الأعناق من مدخل المدينة حتى الساحة العامة (الميدان) كما رفعت الجماهير المجاهدين الذين اشتركوا بالاستقبال وهم «حسين مرشد» - «جدعان أبو عسلي» - «حسين عبد الدين» - «هندي حمزة» - «فواز رضوان» - «حسين سجاع». وكانت الهتافات والأهازيج ترافق الموكب مدة نصف ساعة في مسافة لا تزيد عن خمسماية متر -وفي الميدان الفسيح كانت الألوف تنتظر وتهتف بحياة البطل «أبي عساف» وتستقبله بالتصفيق.

وفي موجة من الهتاف ألقى الأستاذ «حسين عبد الدين» كلمة حماسية ذكر فيها أن العقيد «أبو عساف» كان دوماً في طليعة العاملين لخدمة الوطن والعروبة عازفاً عن كلّ منصب وشهرة مكتفياً بما يوحيه إليه ضميره ووجدانه. وختم كلمته بالترحيب بالبطل الأمين، أمين الجيش، وأمين الشعب، وقدّم إليه تحية القائد العام والمجاهدين والشهداء.

وقد أجاب العقيد «أبو عساف» بكلمة شكَرَ فيها عواطف الجماهير واستقبالها الرائع له وإنه يعتبر هذه العواطف موجهة إلى كلّ ضابط وجندي في الجيش.

وإذا كان الجيش قام بانقلابه الأخير واشترك فيه المخلصون من القادة والضباط فإنما قام بواجبه بناء على رغبة الأمة وتحقيقاً لإرادة الشعب. ثم ألقى الأستاذ «محمود الجغامي» قصيدة حماسية.

وتوجه العقيد «أبو عساف» والجماهير الغفيرة إلى دار السادة آل الأطرش حيث قوبل بالحفاوة والترحيب ومنها إلى القريّا حيث قدّم تهانيه الحارة إلى عطوفة القائد العام.

جرى له استقبال حافل فى القريّا. وكان «سلطان باشا» يجيب على المتكلمين يجب توجيه التهنئة والتقدير والشكر إلى العقيد «أمين أبو عساف» ورفاقه الميامين الذين هالهم ما وصلت إليه البلاد من حجز الحريّات وظلم وطغيان وأنقذوها من حكم الطاغية.

ثم عاد إلى السويداء وقدم التعازي إلى أسر الشهداء وزار المجاهدين في بيوتهم فكان يقابَل بالحفاوة والترحيب. وفي اليوم الثاني غادر السويداء إلى دمشق.

- كيف جرت حوادث الجبل -

استناداً إلى أقوال الصحف وجريدة الجَبل وما سمعته من الأوجه الذين عاشوا جو المحنة وتقرير قاضي المذهب الأستاذ «سلام سلام» وقد طَلَبَتهُ السلطات منه بعد الانقلاب.

على أثر مؤتمر حمص الذي حضره جميع رجال السياسة من حزبيين ومستقلين والبدء بتنفيذ مقرراته من قبل الأحزاب والهيئات الشعبية قامت مظاهرات الطلاب في كلّ المحافظات السورية وكذلك مظاهرات العمال والأطباء والمحامين.

أوقفت السلطة رجال السياسة في كلّ المحافظات، وبعضهم فرّ هارباً خارج الحدود. فُرضت الإقامة الإجبارية على فخامة الرئيس «هاشم الأتاسي» و «سلطان باشا الأطرش». لم يشأ «الشيشكلي» إدخالهما السجن نظراً لكبر سنهما.

في أواخر كانون الثاني / ١٩٥٤/ أوقف رجال الأمن في السويداء السيد «منصور الأطرش» من شباب حزب البعث بتهمة حيازة نشرات فيها طعن بعهد «الشيشكلي» والدعوة لمقاومته حتى عودة الحياة الدستورية. هذه النشرات صادرة عن حزب البعث وصل مثلها إلى كلّ المحافظات ووزعت. أحيل السيد «منصور» إلى النيابة العامة التي حققت معه واعترفَ أمامها بأنه يتحمّل مسؤولية عمله.

بعد أيام قام طلاب المدارس في القريّا بتظاهرة سليمة احتجاجاً على اعتقال «منصور» عند مرورهم عند مخفر الدرك ادعى هؤلاء أَنهم سمعوا تهديداً بقيام مظاهرة مسلّحة غداً. وانتهت المظاهرة بسلام.

أبلغ «سلطان باشا» مدير المدرسة والطلاب وجوب عدم القيام بأي حركة تخل بالأمن. وأَن اعتقال نجله «منصور» هو أمر طبيعي ما دام يقوم بنشاط تعتبره السلطة مخالفاً لسياستها.

أثناء ذلك كان المحافظ في دمشق. أخبروه بالحادث هاتفياً. ثم استدعاه رئيس الجمهورية زوده بتعليماته وعاد فوراً.

في صباح اليوم التالي أرسلت قوة من الدرك والجيش لاعتقال الذين هددوا باستعمال السلاح. اصطدموا مع الأهلين وسقط عدد من الإصابات بين الفريقين. ولم تتمكن القوّة من توقيف أحد.

أُعلِنَت الأحكام العرفية - عُيّنَ العقيد «فؤاد الأسود» نائباً للحاكم العسكري واستلم

الجيش الحكم في البلاد.

عند وصول أخبار القريّا جرى تشويش في السويداء وبدأت دوريات الجيش والدرك تجوب شوارع المدينة.

الجيش يطوّق القريّا:

في ليل /٢٦-٢٧/ كانون الثاني /١٩٥٤/ طوقت قوة كبيرة من الجيش القريّا من كلِّ الجهات - تسللت قوة كبيرة إلى داخل القرية طوقت دار «سلطان باشا» ورابط قسم منها أمام الدار. شَعرَ بحركة غير طبيعية الأخوان «حسيب» و «ملحم الغريزي»، وهما لاجئان من لبنان وينامان في المضافة.

ظهرا خارجاً وسأل أحدهما الأشخاص الذين رآهم ولم يتبينهم جيداً في الظلام عمّا يريدون؟ فاجؤوه بإطلاق النار من رشيش سقط قتيلاً. كما أطلقوا النار على أخيه فأردوه قتيلاً أيضا.

وعلى أصوات الرصاص المنبعث من المدافع السريعة الطلقات هبَّ أهل الدار مذعورين. كما هبّ أهل القرية كلهم. كانت تباشير الصباح قد بدأت وبدا أن هناك قوات كبيرة من الجنود تطوّق القريّا وبصورة خاصة دار «سلطان باشا الأطرش» - خفّ كلّ واحد منهم إلى ما لديه من سلاح قديم يستعمله للدفاع عن النفس. دارت معركة صغيرة بين الفريقين نتيجة مؤامرة دبّرها الطاغية في ليل والناس نيام. سقط في هذه المعركة عدد من القتلى والجرحى من الفريقين. وانتهت بتراجع الجنود إلى المراكز التي ترابط فيها القوات الرئيسية من الجيش حول القريّا.

على ضوء الصباح تبين لأهل القريا أن قريتهم مطوقة من جميع الجهات بقوات كبيرة جداً من الجيش. وقد أقامت هذه القوات تحصيناتها في كل مكان.

كان صوت إطلاق النار كافياً لاستنفار القرى المجاورة. خفّ رجالها يستطلعون الخبر. ولما رأوا أمامهم قوات الجيش تطوّق القريّا هالهم الأمر! - فالتفوا حول الجيش وطوقوه من الخارج وكلّ قصدهم أن يحملوه على فك الطوق خشيةً من أن يتمكن من اعتقال «سلطان باشا».

عندما وصلت هذه الأخبار إلى السويداء بدأ النشاط من جانب آخر لتدارك ما قد يجره الاحتكاك بين الجيش والأهلين إذ برزت جبهة من رجال الدين وقاضي المذهب والوجوه غايتها التوسط بين الحاكم العسكري العقيد «فؤاد الأسود» و «سلطان باشا الأطرش».

طلب العقيد «الأسود» تسليم /١٨/ شخصاً من الطلاب المتظاهرين سجلت أسماؤهم وفكّ الحصار الخارجي عن الجيش حتى ينسحب. ذهبت الواسطة وعادت عدة مرات بين القريّا والسويداء وبعد مفاوضات شاقة حلّت الموضوع بكامله مع الحاكم العسكري و «سلطان باشا». لم تجد سوى عشرة أشخاص من المطلوبين سلمتهم إلى السلطة ومقابل ذلك انسحب الجيش من القريّا في /٢٨/ كانون الثاني/ وقسم منه اتجه نحو بصرى.

لم يرق هذا الحل للمقدم «فيصل الحسيني» وأثناء انسحابه جنوباً عن طريق قرية نمرة الحيص تحرش ببعض الشبان وطاردهم ودخل تلك القرية بعد أن حاصرها بالمصفحات التي أطلقت النار وفتّشها فوجد بعض الجرحى أجهزَ على الجرحى الذين جراحهم خطرة فقتل ستةً بمسدسه حتى فرغ المسدس وساق خمسة كأسرى منهم من كان جريحاً. أثناء الطريق صار أحد الجرحى يتألّم ويئن من الألم أوقف السيارة التي تنقله، أنزله منها وأطلق عليه النار من رشيش ورماه في الطريق. جرى كل ذلك أثناء الانسحاب بعد الاتفاق! . وكان قبلاً قد هدم بعض المنازل وقتل الشيوخ والنساء والأطفال في تلك القرية حتى بلغ عدد القتلى حوالي العشرين والجرحى أكثر من ذلك.

وصلت هذه الأخبار إلى السويداء.

في يومي /٢٩-٣٠/ تظاهر أهالي السويداء استنكاراً للأعمال الهمجية التي حدثت في نمره ولم يسبق للمستعمر أن قام بمثلها في الجبل.

جدد رجال الدين والأوجه مساعيهم في السويداء لتحاشي وقوع حوادث وتمكنوا مع العقيد «الأسود» من الكف عن إطلاق النار على أن تستأنف السويداء حياتها الطبيعية في اليوم التالي وكان قد فرض عليها نظام منع التجوّل مدة أربعة أيام.

- تغيير القيادة في الجبل وتعيين الزعيم «رسمي القدسي -

وصوله مع قوة كبيرة

لكنّ «الشيشكلي» ثار وغضب لهذه الحلول لأنه لم يصل إلى غايته فأمر بتنحية العقيد «الأسود» ونقل الزعيم «رسمي القدسي» من قيادة الجبهة على الحدود الفلسطينية ليقود جبهة جبل العرب ويستلم مكانه.

في / ٣١/ كانون الثاني قبل الظهر وصلت السويداء إلى القلعة وثكنات الجيش قوات كبيرة سُحِبَ أكثرها من الجبهة مشاة ومدرعات ومدفعية (سحبوا من هذه القطعات الجنود الدروز وأبقوهم في الداخل) وكانت هذه القوة بقيادة الزعيم «رسمي القدسي» وأُعطيَ صلاحيات واسعة بالإضافة إلى مهام نائب الحاكم العسكري وقائد المنطقة. وبعد وصوله اجتمع إلى قادة الجيش وحضر إلى مقر المحافظ حيث يتمتع بالصلاحيات المدنية والعسكرية.

تألف وفد كبير ضمّ شيوخ العقل وقاضي المذهب والوجوه وقابل الزعيم «القدسي» في مقر المحافظة فور وصوله إليها وعرض خدماته واضعاً نفسه تحت تصرف الحكومة. مؤكداً أن هذا البلد الذي طالما هزّ بكفاحه من أجل الوطن أعظم الدول. لا يقبل أن يسجّل على نفسه وصمة عار بالاشتراك في قتال مع أبناء وطنه وجيشه الذي يفديه بأعزّ ما لديه. كانت الحالة هادئة تماماً في السويداء وفي كلّ أنحاء المحافظة. لكنّ «القدسي» قائد المنطقة نائب الحاكم العسكري كان يضمر الشر المبيت للسويداء وسائر أنحاء الجبل تنفيذاً لأوامر الطاغية سيّده!. استقبل الوفد بابتسامة عريضة شاكراً له ما أبداه لخدمة الوطن. ثم أبلغهم أنه جاء للحفاظ على الأمن وأكد أنه لن تطلق بعد ذلك اليوم رصاصة واحدة من الجيش. وأنه سيقوم بنفسه بزيارة الأحياء التي يقيم بها المعارضون. ثم طلب أن يعود كلّ إلى منزله وأن على السويداء أن تطمئن لأنها في حماية الجيش والقانون نقل الوفد الأخبار إلى الأهلين وطمأنهم. بعد ساعتين فقط من حديثه هذا. وفي الساعة الواحدة بعد الظهر تحرّكت المصفحات أولاً تجوب شوراع

المدينة وتطلق النار عشوائياً على كلّ من تراه، وعلى الأبواب والنوافذ ثم تبعتها قوى الجيش من القلعة نحو المدينة وطوقتها وفجأة بدأ إطلاق النار من مختلف مراكز الجيش ومن مختلف الأسلحة: رشاشات هاون - مدفعية - المدرعات ومدفعية الميدان. ودامت المعركة خمس ساعات كانت مدفعية الميدان تدك بقنابلها المدينة وضواحيها لتمنع وصول النجدات من القرى المجاورة.

لكنّ النجدات وصلت من كلّ الاتجاهات وطوقت الجيش وكان بإمكانها أن تسبب كارثة وتقضي على كثير من المواقع إن لم يكن كلها. لكنّ أبناء الجبل كبيرهم وصغيرهم كانوا يدافعون عن النفس فقط ولم يكن بخَلَدِهم إفناء الجيش.

إن هذه المآسي والفواجع التي أرادها «الشيشكلي» شاء أن يتفوق بها وقد نفذها سفاح رهيب خدع الأهلين.

تحولت المعركة من حملة تأديب إلى مجزرة للتقتيل والسلب والنهب والترويع والتعذيب وقتل الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال. ينهبون ما يجدونه من حُلي ودراهم وثياب. يطلقون النار على أبواب الخُزُنْ بدلاً من الانتظار حتى يُؤْتَى بالمفتاح. سرقت بيوت كثيرة ومخازن كثيرة، كانوا يفتحون أبواب المخازن بواسطة الدبابات!.

أُوقِفَ عدد كبير من الرجال ومنهم رجال الدين والأوجه الذين سعوا بواسطة الخير ساقوهم بصورة غير لائقة إلى سجن القلعة وهم رافعو الأيدي إلى الأعلى كسائر الناس دون أن تراعى حُرْمَتُهم!.

إن الضربة التي وجهت إلى السويداء كانت شديدة للغاية وعامة. فقد أُهين الموظفون من أبناء الجبل وغيرهم من خارج الجبل وفُتِّشت بيوتهم ووصلت الإهانة أيضاً إلى المعلمات حتى اللواتي من خارج الجبل.

بعد تلك الكارثة التي حلّت بالسويداء توقف القتل والنهب، إنّما كان يجري تفتيش بعض البيوت واعتقال الأشخاص المشتبه بهم. والجدير بالذكر أن رئيس المكتب الثاني الملازم الأول «أسعد الحكيم» كان يقوم بأعمال من الإهانة والشتم والضرب للأهلين يندى لها الجبين!!.

مغادرة «سلطان باشا» ومسببي المظاهرات في السويداء:

عندما علم «سلطان باشا» بحوادث السويداء خرج من قريته القريّا باتجاه قرية السهوة ومنها إلى قرية الكفر. وقد تمكن مسببو المظاهرات من الإفلات من الطوق، وذهبوا إلى السهوة ثم إلى الكفر حيث التقوا مع «سلطان باشا» وظلوا معه.

دخول قوة من الجيش إلى صلخد - جولات تأديب

وفي ذلك الوقت دخلت قوة كبيرة من الجيش إلى صلخد في الجنوب عن طريق بصرى. وهي جبهة ثانية في الجبل. حتى يتمكنوا من حصار «سلطان» وصحبه.

ساد الجبل عهد من الإرهاب والإذلال. إذ بدأت مجموعات من الجيش تجوبُ القرى.

بتاريخ /٢/ شباط ذهبت مجموعة من الجيش قوامها مشاة محمولة ومصفحات بجولة إرهاب. دخلت القريّا بدون مقاومة وفتشت بيوتها، وأوقفت الأشخاص المطلوبين أرسلتهم إلى السويداء وتابعت سيرها إلى بكا - ذيبين - أم الرمان. وفي كل مرة يحتلون القرية ويفتشون بيوتها ويلقون القبض على المطلوبين وينقلونهم بسيارات الجيش إلى السجون في السويداء مع الإهانات والتخريب في القرية.

بتاريخ /٤/ شباط ذهبت مجموعة من الجيش من السويداء وجهتها الكفر، ومجموعة أخرى من صلخد وجهتها الكفر أيضاً، لكن «سلطان باشا» ورفاقه كانوا قد غادروها باتجاه الشرق. اصطدمت القوتان بالأهلين عند مفترق طرق الكفر - حبران. كان هدف الأهالي أن يؤخّروا تقدم الجيش حتى يتمكن «سلطان» ورفاقه من الابتعاد. ولم تكن معركة بل مناوشة تأخير. كان رد الجيش قاسياً ووقع عدد كبير من القتلى في صفوف السكان.

بعد انتهاء هذا الصدام، احتلت المجموعة الآتية من صلخد قرية حبران ودمرت بعض منازلها واقترفت أعمال شائنة من إهانات وتخريب أثناء عملية التفتيش. بينما احتلت المجموعة الآتية من السويداء الكفر فتشت ووجهت الإهانات. وحسب برنامج محضّر سُيّرت مجموعة من صلخد إلى عرمان تمركزت غربي القرية.

طلبوا وجهاء عرمان فلبوا الطلب بعد أن رفعوا الأعلام البيضاء «إشارة الاستسلام». احتفظوا بالوجهاء كرهائن ودخل الجيش القرية وفتش بيوتها وألقى القبض على عدد من المطلوبين الذين وجدهم وساقهم إلى قلعة صلخد وزجهم في السجن.

في اليوم التالي تابعت المجموعة سيرها إلى متان. جمعوا وجهاء القرية في الساحة العامة. هددوهم بتدمير القرية إذا قام أحد أفراد القرية بأي عمل واحتفظوا بهم كرهائن وفتّشوا القرية وألقوا القبض على بعض المطلوبين ومنهم الأمير «علي الأطرش» وساقوهم إلى السويداء - وقد نهبوا دار الأمير «علي الأطرش» وحطّموا ما لا يمكن حمله!.. كما نُهِبَ بيت المجاهد السيد «يوسف العيسمي» وبعض البيوت.

بعد ذلك أتى دور «ملح» وعندما وصلوا إليها جعلوها مركزاً ثابتاً. وبعد تفتيشها وتوقيف المطلوبين فيها. ذهبت قوة إلى «قيصما» حيث جمعوا الأوجه رهائن واحتلّوا القرية، وفتشوا ونهبوا وأحرقوا العديد من منازلها وساقوا عدداً كبيراً من سكانها إلى السجون. كما فعلوا الشيء نفسه في قرى: الهويّا - السّهوة - المشنّف - الغيضة. من تفتيش وإهانات وتوقيف المطلوبين.

دخول «سلطان باشا الأطرش» إلى الأردن»

بقيت قوات كبيرة تطارد «سلطان باشا» ورفاقه وتفاجىء القرى بعد تطويقها في سبيل القبض عليه وهو ينسحب أمامهم خِفية في القرى الجنوبية الشرقية حتى وصل «ملح» واتخذ قراره بمغادرة الجبل إلى شرق الأردن عسى أن يخفف عن الجبل آلامه وويلاته ويتوقف الجيش عن التنكيل بالسكان.

غادرَ ملح إلى مغارة جاوة حيث قضى جزءاً من الليل وغادرها عند منتصف الليل. عند الفجر حضرت قوة عسكرية وطوقت المكان وكانوا يرونهم بعد أن طلع النهار. ثم قصد المخفر الأردني يطلب اللجوء السياسي مع رفاقه الخمسة والأربعين. إنّها المرة الثالثة التي يدخل فيها إلى الأردن لهذه الغاية. ومع الأسف الشديد أن تكون هذه المرّة في عهد الاستقلال!.

- فتح جبهة ثالثة على حدود الجبل الشرقية-

بعد جبهتي السويداء وصلخد (وبعد انتهاء المقاومة في كل أنحاء الجبل).

بتاريخ /٨/ شباط حضر الرئيس «صلاح الشيشكلي» من قوى البادية إلى مخفر الهجانة في الزلف والحاره على حدود الجبل الشرقية وجمع رئيس عشيرة «الغياث» الشيخ «عايد المطلق» ورؤساء الأفخاذ وطلب إليهم نهب مواشي الدروز في قرى الحدود الشرقية من الجبل. ويأخذونها لأنفسهم وبعد ذلك نهب كل القرى الدرزية. ويقوم هو بتقدييم السلاح والذخيرة ووسائط النقل لهم من لواء البادية والدعم من وحدات الهجانة في المنطقة مع وضع أفراد من الهجانة باللباس المدني تحت تصرفهم.

طلب منهم أن يضايقوا الدروز ويسلبوهم ما يملكون. وأنّ أخاه «أديب» يدعمهم ويؤازرهم وعليهم ألاّ يخشوا أحداً طالما العهد يرعاهم.

عندما رأى الشيخ «عايد المطلق» أنه لا مفرّ من تنفيذ رغبة الرئيس «صلاح» وأن بعض رؤساء الأفخاذ قبلت ذلك. طلب مهلة يومين ليتصل بباقي العشيرة ومع رئيسها الأمير «فواز الشعلان» الذين ينتمون إليه لأخذ موافقتهم. أُجيب إلى طلبه.

كانت حيلة منه حتى يتسنّى له نقل خيمته ومواشيه إلى داخل الجبل. وفعل الشيء نفسه الشيخ «علي العشبان». إنها الصفات العربية الحقيقية. أي المحافظة على العهد بصدق وإيمان.

أما الآخرون فقد ذهبوا في الموعد المعين إلى قلعة الزلف والحارة وانتظروا وصول الباقين ولما يئسوا من وصولهم انتقى «صلاح» ستة أشخاص من الحاضرين منهم رؤساء عصابات السلب والنهب وهم: «زعل الصويطي» - «عبد الله الدله» - «طرقي محمد الأقرع» - «عايد الرمح» - «فريج الدكاك» - و «عواد الصويطي».

يتراوح عدد رجال العصابة من / ٢٥ - ٥٠/ شخصاً يرافق كلّ منها بعض جنود الهجانة مع أسلحتهم الرشاشة بألبسة مدنية بعد أن يخلعوا عنهم ألبستهم العسكرية وكان

في الطليعة ممن اشتركوا الرقيب «خلف النعير» رئيس مخفر الهجانة.

بتاريخ /١٢/ شباط تنفيذاً لهذه الخطة الدنيئة هجمت هذه العصابات على رعاة قرية الرشيدة وهجمت عصابات أخرى على قرى: رامي والعجيلات.

في /١٣/ شباط هجمت العصابات على رعاة قرى: طربا - دوما - عراجة.

في /١٤/ شباط هاجمت العصابات رعاة قرى: المشنّف والشريحي.

في كلّ مرة كان رجال العصابات يكبلون الرعاة ويجبرونهم على فرز مواشي الدروز عن مواشي الأعراب ثم يسوقون مواشي الدروز حيث يقتسمونها ويأخذ كلّ نصيبه. وقد بلغ ما سُلِبَ ألف رأس من الغنم والماعز.

عندما يتنادى أهل القرية لتخليص مواشيهم من السالبين يقابلونهم برصاص الرشاشات والبنادق وهم عزّل من السلاح يعودون إلى قراهم والألم يحزُّ في نفوسهم.

وقد حضرت وفود من هذه القرى أصحاب المواشي قابلوا الزعيم «القدسي» وأخبروه بالحالة فلم يجدوا آذاناً صاغية ولم يقبل شكاواهم ورفعوا عرائض إلى محافظ السويداء بالوكالة.

الأربعاء /٢٤/ شباط حضرت قوة من الهجانة مصفحات وجنود محمولة بقيادة الرئيس «صلاح الشيشكلي» إلى قرية الرشيدة حيث احتلتها وألقت القبض على ثلاثين شخصاً من أوجه القرية وساقتهم إلى سجن السويداء وقامت بحملة تفتيش فدخلت البيوت كلّها ونهبت أكثر محتوياتها ثم قامت بإشعال النار في أربع دور كبيرة ونسفتها.

أما الأثاث الذي لا يمكن نقله من باقي الدور فقد جُمِعَ في ساحة القرية وأشعلت فيه النيران.

تابع سيره إلى قرية /اسعنا/ المجاورة وبعد احتلالها ألقى القبض على عشرين رجلاً من الأوجه أرسلهم مخفورين إلى سجن السويداء. وقام بحركة تفتيش ونهب لبيوت القرية ودمّر أربع دور كبيرة فيها. أمّا الأثاث الذي لا يمكن حمله جمعه في

ساحة القرية وأشعل فيه النار.

-الانقلاب-

في /٢٥/ شباط توجه إلى قرية الشبكي ليقوم بالعمل نفسه. أثناء الطريق وقبل أن يصلها تلقى إشارة لاسلكية تأمره بالعودة وتخبره عن الانقلاب.

عاد إلى دمشق وعاد العسكريون إلى ثكناتهم بينما هرب الأعراب بالغنيمة التي حصلوا عليها ولم يكن أحد يعلم أسباب الانسحاب إلا بعد يومين من حصول الانقلاب.

يوم الخميس /٢٥/ شابط أعلنت إذاعة حلب خبر حدوث الانقلاب هرب «القدسي» منذ الصباح بناء على الأوامر التي تلقاها وعاد «الأسود» ليستلم مكانه ولم ينتشر الخبر في السويداء إلا بعد المغرب.

صباح يوم الجمعة بدأت المظاهرات والأهازيج في السويداء في غمرة عظيمة من الفرح والابتهاج الشديد يحملون صورة «سلطان باشا» ويهتفون للعقيد «أمين أبو عساف» ورفاقه الضباط الأحرار الذين حرروا الأمة. شاركهم بعض أفراد الجيش فرحتهم. وانتهى الأمر مع الأهالي دون تحميل الجيش المسؤولية.

- كيف تصرف أبناء الجبل مع الجيش-

إن رفاق «سلطان باشا» الذين دخلوا معه إلى شرق الأردن هم نخبة من رفاقه القدامى في الجهاد أثناء الثورة السورية الكبرى أو من شباب الجبل المناضل أبناء شهدائها طليعة الجيل المثقف ولهم مواقف مشرّفة مع رفاقهم. فقد رافقوا الحركات الوطنية وناضلوا داعين إلى الوحدة واندماج الجبل كلياً مع سورية الحبيبة بدون قيد أو شرط.

هؤلاء الأبطال غادروا الجبل أملاً في أن يوقف الجيش المجازر والإجراءات ضد

السكان. كان من المفروض أن الأهالي ليس لهم ذنب بعد أن غادر الجبل المسؤولون عن المظاهرات في القريّا والسويداء لكن حمَّلوهم المسؤولية مع قائدهم.

لكن استمرت المعركة بشراسة وتلقّى الصدمة من بقي من شيوخ الجبل المجاهدين وشبابه المناضل بكل فئاته من إهانات وسجن وتعذيب في سبيل تنفيذ مخطط الطاغية وهو إجلاء السكان عن تلك المنطقة لو تمكّن من ذلك.

مرحى لكم جميعاً وتحية من الأعماق إلى كلّ أبناء الجبل الشجعان. لقد تحملتم المحنة وصبرتم على الضيم وتدمير البيوت ونهب الأرزاق والجَلد والسجن وترويع النساء والأطفال ولم يخطر على بالكم الانتقام من جيشنا المفدّى.

هذا هو انتصاركم بل قمة الانتصارات. إنّ انتصاركم في هذه المعركة هو أعظم نصر في تاريخ جيلكم. إن انتصاركم هذا يفوق انتصارات آبائكم وأجدادكم السابقة كلها وحتى انتصاراتكم في الثورة السورية الكبرى وسيسجله التاريخ بأحرف من نور. إن صبركم على الضيم وعدم قتال جيش الوطن وقانا من كارثة كادت تقضي على جهادكم وجهاد آبائكم وأجدادكم. لو حدثت لن يمحوها التاريخ.

إنّ صبركم قد أثمر وقام جيش الوطن بواجبه وحرر المواطنين في كلِّ المحافظات السورية من الظلم.

كيف تصرّف رئيس الجمهورية وقادة الجيش في الجبل

أنا لا أتهم جيشنا المفدى ولا أحمله مسؤولية ما حدث في الجبل. أثناء هذه العمليات لم يكن الجيش معداً للقتال بل كان تحضيره للاحتفالات والاستعراضات - كان به مجندون لم يتمّوا تدريبهم بعد.

إن المسؤولية تقع على الزعيم «أديب الشيشكلي» والذين نفذوا أوامره من الضباط القادة وعلى قادة الجمهرة.

أعطيت الأوامر إلى العقيد «فؤاد الأسود» قائد المنطقة في السويداء وبدأ التنفيذ.

عندما استيقظ ضميره وقدّر العواقب توصل إلى حلٍّ إداري يحفظ كرامة الجيش بعد سجن مسببي الشغب.

لم يرقْ هذا الحل للقائد الأعلى ولم يوافق عليه بل أمر بإقصاء العقيد «الأسود» وأتى بالزعيم «رسمي القدسي» وكان خير منفِّذ!!.

إن هذا الضابط أساء إلى وطنه ومهنته الشريفة لأنه اتبع طريق الكذب والخداع مع مواطنيه. وهذه ليست صفات الضابط الشريف، نفّذ رغبة رئيسه من غدر ونهب وقتل وتشريد. النهب وقتل الأبرياء يُمنع تنفيذه حتى في بلاد الأعداء!.

إن جيش «القدسي» لم يكن أقوى من جيش الجنرال «ميشو» ولا الجيوش الأخرى التي خاضت المعارك في الجبل. لقد طُوِّقَ الجيش مرتين في القريّا وفي السويداء ولكن كل السكان عن قناعة رفضوا الاعتداء على جيش الوطن.

الحمد والشكر لله أن «سلطان باشا» وكل أبناء الجبل قاموا بواجبهم وقبلوا التحدي والهزيمة وترك الوطن ولم يقابلوا الجيش بالسلاح رغم شراسة المعاملة. وعند حدوث الانقلاب تسلل «القدسي» خلسة ليخدم سيده في مكان آخر.

عاد العقيد «الأسود» ليشاطر المواطنين فرحتهم بعد أن استقرت الأمور وهدأت الحالة وكانت القيادة الجديدة تقدّر موقفه النبيل. طلب إحالته على التقاعد وأصرّ حتى أجيب إلى طلبه لأن ضميره يؤنبه وعنده ضمير.

لم يكتفِ الزعيم «أديب الشيشكلي» بما فعله الجيش في السويداء والجهة الجنوبية من نهب وسلب وتدمير وإهانات وموقف بعض ضباطه بصورة خاصة المقدم «فيصل الحسيني» والملازم الأول «أسعد الحكيم».

وفي الجهة الشرقية أخوهُ «صلاح» الذي حرّض البدو أبناء الوطن الواحد وأمدهم بالسلاح ودعمهم برشاشات وجنود قوى البادية. فنهب مواشي القرى الشرقية وبدأ بتدمير قريتين بعد أن سجن الأوجه من أهلها قبل أن يضطرّ إلى الانسحاب بسبب الانقلاب. كانت خطته تقضي بتدمير الجهة الشرقية بكاملها.

ومع ذكل فإن مخطط «الشيشكلي» لم يتم لأنه يرغب القضاء على الجبل بكامله. أرسل من يتصل مع أهالي حوران / محافظة درعا/ من أجل الهجوم على الجبل من الغرب. كأن الجيش لا يكفيه وقد نفذ ما أمر به. بل أرادها حرباً أهلية شاملة. كان يعرض القتلى من الجيش في محافظة درعا ليحرّضهم على قتال الدروز. وأن الفرصة سانحة من أجل احتلال الجبل والتمتع بخيراته كما فعل بعض البدو من الشرق ولكنه فشل ولم يوافقه أحد من حوران على هذا العمل. وحافظوا على حسن الجوار ولم يلبّوا طلبه رغم الإلحاح الشديد.

وأخيراً وبما أنه يطبق سياسة الولايات المتحدة وموقفها واضح وصريح. فهي التي غرست إسرائيل في الجسم العربي وفي المكان المناسب إسفيناً يفصل عرب إفريقيا عن عرب آسيا. ولا تتقرب من دولة عربية إلا إذا كان فيه خدمة لإسرائيل.

الولايات المتحدة هذه بالاتفاق مع «الشيشكلي» أوعزت إلى إسرائيل أن تذيع ما من شأنه أن يدلّ على عطفها على الدروز وهكذا فعلت. وقع في الفخ من إخواننا العرب بعض الذين يجهلون بواطن الأمور ولم يصدقه الكثيرون.

رغم كلّ تدابير «الشيشكلي» وسوق الجيوش الجرارة وتطويق جبل العرب من كلّ الجهات وإغراء بعض البدو وتحريض جيران الجبل فشلت خطته بإجلاء سكان الجبل وقام جيش الوطن الباسل بإجلاء «الشيشكلي» نفسه عن الحكم والوطن.

زيارة أبناء لبنان إلى الجبل

اتصل معي هاتفياً في دير الزور الزعيم الركن «شوكت شقير» قائلاً: في / ٢١/ ٣/ سيحضر من لبنان وفد كبير للسلام على سلطان باشا ورفاقه وتهنئة الجبل بزوال المحنة. وقد اتصل معي وزير الدفاع اللبناني الأمير «مجيد أرسلان» وطلب أن تكون حاضراً في السويداء بناء على رغبته مع زعماء الوفود. لذلك أرسلت لك موافقة على مأذونية بإمكانك الحضور.

وصلتُ السويداء في اليوم السابق للزيارة واتفقت مع محافظ السويداء بالوكالة على برنامج الاستقبال وعممناه على جميع قرى الجبل.

أترك وصف هذا اللقاء التاريخي إلى جريدة الجبل وصاحبها الأستاذ «نجيب حرب»:

ألف سيارة ونيف...

حملت خمسة عشر ألفاً من لبنان إلى السويداء والقريّا

تلاقى الجبلان في أعظم مهرجان تاريخي

ضمّ أكثر من خمسين ألف رجل...

عندما وصلت طليعة الوفود إلى دمشق. عرّج فريق من الزعماء يتقدمهم سماحة شيخ العقل والأمير «مجيد أرسلان» والأستاذ «كمال جنبلاط» إلى القصر الجمهوري لزيارة فخامة الرئيس وتحيته وتقديم التهاني إليه بينما واصلت المواكب سيرها.

وقد استقبل فخامة الرئيس الزعماء فور وصولهم إلى القصر فحيوه وأعربوا عن ارتياحهم للتدابير التي اتخذتها الحكومة في سبيل تسهيل مرور الوفود ثم ألقى الشيخ «محمد أبو شقرا» الكلمة التالية:

باسم الدروز ووفد أحرار لبنان نهنىء بشخص فخامتكم القطر السوري الشقيق بنيل حريّته وبزوال الطاغية وطغيانه راجين من الله عز وجل أن يمتع سوريا العزيزة بنعمة السلام والاستقرار والازدهار وأن تسير الأمور فيها على ما يتمناه المخلصون الأحرار.

أما تهنئتنا لشخصكم فليست بتسلمكم كرسي الحكم - وهذا عارض زائل بل بما قدّمتم وتقدمون في كلّ مناسبة لبلادكم من خدمات جلّى مشفوعة بوطنية حقيقية صادقة ومن تضحيات ونضال وجهاد ثمنها هذه الثقة الاجتماعية الغالية من شعبكم وشعوب الأقطار العربية الشقيقة. وهذه السمعة الطيبة العاطرة لدى محبيكم ومقدري ماضيكم.

وهنالك قضية نلفت إليها أنظاركم الكريمة وأنظار إخواننا أحرار سوريا هي قضية إخواننا وإخوانكم في الجبل والتعويض عليهم عما خسروه بسبب غدر المجرم الهارب

وأعوانه. تعويضاً كاملاً سريعاً فيه التعزية وفيه التشجيع، ثم تقدير مواقفهم الوطنية المشرّفة فلا تُنْسى حقوقهم كما في السابق ولا ينسى جهادهم ولا يقلل من أهمية نضالهم المستمر في سبيل الوطن واستقلاله وصيانة حرّياته من عبث العابثين وكيد الكائدين والسلام عليكم.

وقد أجاب فخامته معرباً عن شكره لهذه الزيارة وعن عزم الحكومة على إيصال كل ذي حق إلى حقه، مؤكداً أن جهاد الجبل موضع تقدير الجميع ولا ينكره إلاّ الجاحدون.

- الاستقبال في الدور -

وعندما وصلت المواكب إلى قصر الدور كان في استقبالها حشد كبير من أهل الدور والقرى المجاورة. كما كان قد وصل من السويداء كبار المستقبلين والشباب وفي المقدمة وكيل محافظة الجبل الرئيس «إبراهيم السلطي» والعقيد «أمين أبو عساف» الذي قَدِمَ من دير الزور وكبار الموظفين وصاحب الجبل وغيرهم من الوجوه والشباب.

وقد ترجّل كبار رجال الوفد وتبادلوا التحية مع كبار المستقبلين بين الهتافات والتصفيق ودوي العراضات وأصروا على أن يكون معهم في نفس السيارة العقيد «أمين أبو عساف» ولبّى رغبتهم. ثم واصل الموكب سيره إلى مفرق «سميع» حيث كان قد احتشد وجوه أسرة نصر من سميع ونجران فاستقبلوا الوفود بالحفاوة والترحيب.

وعلى روابي المزرعة وفي بطاحها وقفت طلائع الموكب وترجّل الزعماء وغيرهم لتبادل التحية مع الهنيدات والفخور وأهالي المجدل والسجن وكفر اللحف الذين زحفوا إلى المزرعة تحت ظلال البيارق ووقفوا ينتظرون الضيوف القادمين في تلك البقعة التي توحي أروع ذكريات الجهاد حيث أُبيدَ جيش «ميشو» تحت ظلال سيوف آل معروف التي مزقته ونثرت أشلاءَهُ نثراً في تلك البطاح.

وقد رفع الشباب هناك الأمير «مجيد» والعقيد «أمين أبو عساف» على الأكف وكانت الهتافات والزغاريد تصمُّ الآذان وأخيراً شكر الزعماء للمستقبلين هذا الاستقبال الكريم ومضت المواكب في طريقها.

- الأستقبال في السويداء -

وعند مدخل السويداء كان بحر من الناس يتلاطم فترجّل زعماء الوفود الذين كانوا في سيارة واحدة وهم الشيخ «محمد أبو شقرا» والأمير «مجيد أرسلان» والأستاذ «كمال جنبلاط» والمقدم «علي مزهر» والأستاذ «فضل الله تلحوق» والعقيد «أمين أبو عساف» فحيوا الجماهير وساروا في وسط الحشد مشياً على الأقدام إلى ما قبل مفرق قنوات وهناك ركبوا سياراتهم وانطلقت مئات ومئات السيارات تعبر شوارع السويداء بين حشد ملأ الأرصفة والشرفات. وكانت العراضات والهتافات من القادمين والمستقبلين على السواء تصمّ الآذان.

وقد شاهدت السويداء ما لم تشهده منذ وُجِدَت في غابر العصور من المواكب البشرية وأرتال السيارات من كل نوع وقد تكدست في وسطها وعلى سطوحها كتل من الرجال ستخفها الطرب فذهبت كل مذهب من الهتاف والتصفيق والعراضات التي يقابلها المستقبلون بما هو أشد منها وكانت زغاريد النساء تكاد تعلو على ذلك وقد امتلأت بهن السطوح والشرفات.

وقد واصلت المواكب سيرها باتجاه القريّا فكانت تقابل في مفارق القرى باستقبالات عظيمة. ووصلت طلائع الوفود إلى القريّا بينما كان خط السيارات ما يزال آخره في السويداء والمسافة بينهما بضعة عشر كيلومترات.

كان الحشد في القريّا فوق ما يستطيع وصفه الواصفون إذ قدّر أبناء الجبل الذين احتشدوا فيها بأكثر من ثلاثين ألفاً فغصت بهم الساحات والطرق والسطوح حتى لم يبقَ فيها موطىء قدم.

كان «سلطان باشا» مع رفاقه في الاغتراب من السويداء وغيرها يستقبلون الوفود تحيط بهم الجماهير.

وقد عجزت لجنة التنظيم بسبب وفرة الحشد وضخامة الوفود عن القيام بمهمتها وفقدت كل سيطرة على الموقف مما أشاع الفوضى وأخذ الألوف يتدافعون بالمناكب

وغاية كلّ منهم الوصول إلى سلطان لتحيته وتهنئته. ولكنّ أكثر الناس عجزوا عن تحقيق ذلك وكفوا عن الخوض في هذا البحر البشري آسفين وارتدوا إلى بعيد يسمعون الخطب.

والجدير بالذكر أن الوفود منذ وصولها في الساعة الثانية أخذ الذين وصلوا أولاً يعودون من القريّا بينما يدخلها سواهم وكانت وفود كثيرة حتى الساعة الخامسة لم تدخل البلدة أضطرت لمغادرة سياراتها على مقربة من قرية العفينة والسير مشياً على الأقدام مسافة خمسة كيلومترات قطعوها ذهاباً وإياباً، إذا إنّ خط السيارات كان يمتدّ هذه المسافة وهو متلاصق وفي كثير من الأحيان كان مزدوجاً قائماً على جانبي الطريق.

نعود إلى الخطب التي كانت قد بدأت أمام دار «سلطان».

والجدير بالذكر أن الخطباء لم يستطيعوا الوصول إلى منبر الخطابة بسبب فوضى الازدحام إلاّ حملاً على الأكف.

رافق الوفود ثلاث فرق موسيقية إحداها من صليما والثانية من المتن والثالثة من مجد لبعنا.

الدور الكبير لدروز لبنان

(عن نشرات مشيخة العقل)

وما إن وصلت أخبار الغدر المبيت الذي قام به الطاغية «أديب الشيشكلي» وما رافقه من جور وظلم وتقتيل وتخريب. اهتم سماحة شيخ عقل الطائفة الشيخ «محمد أبو شقرا» وبالاتفاق مع الأستاذ «كمال جنبلاط» وغيرهم. عقدت الاجتماعات الموسعة لذوي الرأي حيث أذيعت الأنباء المروعة عن حوادث الجبل ومرامي «الشيشكلي» الخطرة.

أعلنت الجماهير ضرورة العمل على نصرة الأخوان المضطهدين بجميع الوسائل

الفعالة. تألفت اللجان لتنفيذ مقررات المؤتمر ووزعت الأعمال والمسؤوليات وتمّ إرسال النشرات إلى ديار الهجرة استنهاضاً للهمم من أجل إسعاف المنكوبين وإمداد المجاهدين. وشكلت لجنة التبرعات للوطن والمهجر.

أخذ المسؤولون بإعداد الرجال المغاوير لنجدة الأخوان المضطهدين في الجبل وعندما تسربت أنباء هذا الاستعداد إلى «الشيشكلي» أمر بإقفال الحدود. بينما وسطاء الخير يواصلون مساعيهم ويبذلون جهودهم لوقف العدوان وإعادة السكينة والاستقرار إلى البلاد غير أنهم كانوا دائماً يصطدمون بإصرار «الشيشكلي» على غيه وعدوانه.

كان دولة الأستاذ «سامي الصلح» والدكتور «يوسف حتي» من وسطاء الخير الذين فاوضوا «الشيشكلي» وقد وضع الطاغية شروطاً للصلح ووقف العدوان لتعرض على «سلطان باشا» وحدد موعداً للجواب / ٢٦/ شباط.

فشاء العلي القدير وغادر «الشيشكلي» سوريا تحت جنح الظلام هارباً مهزوماً ليل ٢٥ -٢٦/ شباط بالذات، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر.

ومن مقررات المؤتمر:

- الإبراق إلى المجلس النيابي اللبناني والجامعة العربية وملوك ورؤساء الدول العربية.

- الاتصال مع المسؤولين في الجمهورية اللبنانية والشخصيات الوطنية من الطوائف الشقيقة.

- الاتصال مع الصليب الأحمر اللبناني والدولي لإرسال بعثة طبية لمعالجة الجرحى والمصابين.

- تأليف لجنة تجمع المال للمنكوبين. وضع بيان إيضاحاً للحالة ينشر ويوزع
- الإبراق إلى هيئة الأمم إذا اقتضى الأمر.

- تأليف هيئة عليا تشرف على إنفاذ هذه المقررات وتفويضها باتخاذ أي قرار آخر

تقتضيه الحال.

وهذه الهيئة تألفت من سماحة شيخ العقل وأصحاب الفضيلة قضاة المذهب وحضرات النواب ومن شخصيات أخرىٰ.

بلغت قيمة المبلغ المحوّل من الشيخ «محمد أبو شقرا» ١١٢٣٠٤ مائة وإثنا عشر ألفاً وثلاثمائة وأربع ليرات سورية وهي تبرعات لبنان والمهجر.

شكلت لجنة توزيع التبرعات على منكوبي الجبل من السادة: الشيخ «سليمان نعيم» و «جدعان أبو عسلي» و «يحيى سرايا» وزعت هذه التبرعات على عائلات الشهداء وعددهم /٦٦/ شهيداً والجرحى وعددهم /٨٣/ جريحاً الجرحى المشوهون وعددهم /١٧/ مشوهاً، الذين هدمت منازلهم وعددهم /١٢/ منزلاً.

(نقلاً عن الكراس الذي أصدرته لجنة التوزيع)

- ترفيعي إلى رتبة زعيم وصدور أمر نقلي -

الترفيع في الجيش السوري أقتبس عن الجيش الفرنسي. يكون الترفيع العادي مرتين خلال العام في /١/١/ وفي /١/٧/ للذين أتموا الشروط المطلوبة بالانتقاء حسب مقدرة الضباط وسلوكه في الخدمة ونجاحه في قيادته وحسب آراء التسلسل وفي حال وجود شاغر.

عندما تصل ترشيحات المناطق والأسلحة إلى رئاسة الأركان تدرسها وتأخذ بعين الاعتبار آراء التسلسل وتبتّ بها. قادة المناطق والأسلحة يجري ترشيحهم من قبل رئاسة الأركان. بعد دراستها تُصدر جدولاً تبشيراً بالذين قررت ترفيعهم. الضابط الذي أدرج اسمه على جدول التبشير يرفّع حتماً إلا إذا اتهم بالخيانة العظمى أو أحيل إلى المحاكمة قبل صدور الترفيع.

في أواخر العام /١٩٥٣/ صدر جدول التبشير إلى رتبة زعيم ويضم ثلاثة أسماء: العقداء «طالب الداغستاني» و «أمير شلاش» و «أمين أبو عساف».

عندما صدر جدول الترفيع رفع الاثنان الأولان واستثنى الثالث!.

إن الضابطين اللّذيْنِ رُفِّعا هما الأقدم ولكنهما لم يقوما بأي عمل هام لخدمة الوطن. العقيد «طالب الداغستاني» وكان قائداً للجبهة لم يؤيد الانقلاب ضد «الشيشكلي». ولم يسمح لضباطه بتأييده. والعقيد «أمير شلاش» وكان معاوناً لرئيس الأركان الزعيم «أديب الشيشكلي» واستمر في وظيفته حتى الانقلاب حيث تقرر إقصاؤه ونقله مع رؤساء الشعب في الأركان على أنهم من أعوان «الشيشكلي» وللأخطاء التي اقترفوها في حقِّ الوطن.

أما الترفيع الاستثنائي يمكن أن يتمّ في أي وقت.

أثناء العمليات: النجاح في معركة من قبل القائد - فك الحصار عن موقع مطوق. إذا بَرَّزَ أحد الأعوان مع وحدته في المعركة - إذا نفّذ مهمة صعبة أسندتها له القيادة أو أي عمل جريء يجلب الفخر للجيش والوطن.

أثناء السلم: كل عمل جريء تكون نتيجته إعلاء شأن الوطن.

صدر قرار ترفيعي اعتباراً من /١/ نيسان /١٩٥٤/ لرتبة زعيم وفوجئت لأن الترفيع أستثنائي يشملني فقط ولم يحدث من قبل أن كافأني أي من رؤساء الأركان أو وزراء الدفاع وقد كنت على جدول التبشير في أواخر العام الماضي ولم يصدر ترفيعي!.

أكّد لي رئيس الأركان أن الفضل كله يعود إلى وزير الدفاع الوطني الدكتور «معروف الدواليبي» هو الذي طلب الترشيح واستصدر القرار. إنّ معرفتي بالوزير كانت محدودة. وقد نفّذ ما كان على القيادة أن تفعله في أكثر من مناسبة.

قال الزعيم «شقير» يجب أن تستلم سلاح المدرعات حتى أطمئن. أُترك عائلتك في دير الزور حتى انتهاء المدارس وتبقى في المنزل (المنزل يخص الجيش)

صدر أمر النقل اعتباراً من /١٥/٤/١٩٥٤/:

حضر السيد «محمد العايش» إلى دير الزور. كان رئيساً للمجلس النيابي وعلم بأمر النقل.

ذهبت للسلام عليه في منزله. سألني إذا كان عندي دار للسكن في دمشق ولما أجبته نفياً قال: أنا أقدم الدار. استفسرت إذا كان المنزل بالثمن أم لقاء إيجار؟ أجاب: كما ترغب - قلتُ: إني أفضّل الشراء ولكني لا أملك كلّ الثمن. وافق وقال: عندما تحضر إلى دمشق ننهي الموضوع.

في دمشق سألني عن المبلغ الذي يمكنني دفعه والباقي إلى وقت جني المواسم. أجبت: أدفع مبلغ /١٧،٠٠٠/ ليرة سورية حدد سعر البيت بثلاثين ألف ليرة وكان قيد الإنجاز في موقع الحواكير بالقرب من القصر الجمهوري. مكان مرتفع ومشرق مؤلف من صوفا وخمس غرف ومطبخ وحمام. لم يكن المبلغ الذي وعدت به جاهزاً. إنّما اعتمدت على قرض المؤسسة العسكرية وقرض من المصرف الزراعي في السويداء.

بعد مدة طلبت أن يخفض المبلغ الذي سيدفع فوراً لأني لم أتمكن من الحصول عليه. وافق على ما عرضته وهو ثلاثة عشر ألف ليرة سورية. دفعت له تسعة آلاف ليرة على الحساب.

إن قرض المؤسسة العسكرية لم يكن كما قدرت وكان ينقصني ألفا ليرة حتى أسدد القسط الأول.

انتهى البيت واستلمته ومكثت فيه شهراً. شغر بيت بالأجرة تشرف عليه قيادة الموقع. كان الموقع يضع يده على منازل الضباط المنقولين من دمشق لإعطائها لمن يحلّ مكانهم. في تلك الفترة وَضَعَ الموقعُ تحت تصرّفي بيتاً مناسباً في جادة عرنوس. هنا قدّرت أنه ليس بإمكاني الوفاء بما وعدت به حتى الآن ينقصني ألفا ليرة لدفع القسط الأول والموسم عندي محدود جداً لا يمكنه تسديد المطلوب.

ذهبت إلى السيد «العايش» وقلت له: أخشى أن لا أتمكن من الوفاء بوعدي لأنه يفوق إمكانياتي وقد حصلت على بيت مستأجر من قبل الجيش إذا أمكن أن يبطل مفعول البيع وإني مستعد أن أدفع إيجارَ المدة التي قضيتها في البيت، وإعادة المبلغ المدفوع.

حرر فوراً شيكاً بالمبلغ المدفوع - سامح بالمدة التي قضيتها في البيت وسلمني

الشيك وقال: لو وصلنا وقت الموسم ولم تتمكن من دفع المبلغ هل تتوقع أن أقيم دعوى؟ كنت أمهلتك حتى تتمكن من الدفع. أجبت: يصعب عليّ تغيير ما وعدت به.

فور خروجي من البيت باعه بخمسة وثلاثين ألف ليرة وبعد ثلاثة أشهر باعه صاحبه الذي اشتراه بخمسة وخمسين ألف ليرة. تركت الخدمة بالجيش ولم أشتر بيتاً أسكنه! . هذا ما حدث معي وبعض رجال السياسة والضباط يحصلون على أموال العراق والسعودية.

سلمت قيادة المنطقة واللواء إلى خلفي العقيد «عبد الجواد رسلان» تأثرت جداً لهذا النقل بعد أن نفذت جميع القطعات أوامري وآزرتني وبعد أن تعودتُ على هذه المنطقة الهادئة واطلعت على أخلاق أهلها وإخلاصهم في خدمة وطنهم. وثروتها الزراعية والحيوانية الهامة.

قلتُ أمام الضباط في حفلة الوداع التقليدية ستكون الخدمة هنا من الآن وصاعداً واجباً على كلّ الضباط أن يؤدّوه وليست إبعاداً.

وصلت دمشق أبلغني رئيس الأركان عن تعييني مع الوفد الذاهب إلى عمّان للمشاركة في احتفالات عيد الجيش الأردني الشقيق. كان الوفد برئاسة الزعيم «توفيق نظام الدين» معاون رئيس الأركان. وبعد العودة تستلم القيادة الجديدة. وكانت رحلة شيقة حضرها وفود عسكرية من دول الجامعة العربية.

استلامي قيادة سلاح المدرعات

الثلاثاء / ٢٠/ نيسان / ١٩٥٤/

استلمت قيادة سلاح المدرعات من العقيد «إبراهيم الأتاسي» وباشرتُ بدراسة أوضاع قطعاته بالتفصيل بعد أن زرتها تبين ما يلي:

١ - وجود ضباط مشاة غير مختصين يجهلون النواحي الفنية في سلاحهم.

٢ - نقص كبير في السائقين لكلّ أنواع الآليات (سيارات - ناقلات - مصفحات - دبابات - ديزل - ناقلة دبابة - ودراجات نارية).

٣- نقص في الرماة ومخابري اللاسلكي.

٤ - يوجد /٢٣٥/ ناقلة جنود مجنزرة لكل الأراضي ولا يوجد لها سوى أربعين سائقاً. وهي في العراء في معسكرات قطنا بدون عناية.

٥ - لا يوجد العدد الكافي الؤهل من الجنود لإجراء دورات اختصاص وسدّ هذه النواقص.

٦ - نسبة مجندي الخدمة الإلزامية عالية بالنسبة لقطعات آلية.

٧ - يجب أن تكون نسبة الجنود المتطوعين أعلى مما هي عليه. يرجى إجراء دراسات مفصلة وتحديد هذه النسب بالاتفاق مع سلاح المدرعات

٨ - إن شُعبَ الأركان تتدخل في كل شيء حتى إنها تفرض تعيين من ترغب في المكان الذي تختاره. يجب أن يكون ذلك من صلاحيات آمر السلاح وأركانه.

٩ - يوجد /٥٨/ ضابط اختصاص فرسان ومدرعات خارج اختصاصهم موزعين على المشاة ومصالح الجيش. بينما يوجد ضباط مشاة في سلاح المدرعات، يرجى الموافقة على ما يلي:

(١) لا يمكن لسلاح المدرعات بعد الآن أن يقبل في صفوفه ضباطاً غير مؤهلين. بالنسبة لضباط المشاة الذين يرغبون البقاء في المدرعات عليهم اتباع دورات اختصاص تفتح في السلاح. من ينجح فيها يبقى ويسجل على إضبارته الشخصية والآخرون يعودون إلى المشاة.

(٢) الموافقة على فتح باب التطويع لنتمكن من سد حاجة القطعات ونباشر فتح دورات لكل الاختصاصات. مع العلم أن الدورات ستبدأ فوراً حسب الإمكانيات المتوفرة.

وقد افتتحت في قطعات السلاح أول دورة سواقة سيارات في /٢٧/ ٤/ ١٩٥٤/ والدورة الثانية سواقة ناقلات في /١٧/ ٥/ ١٩٥٤/ وتتابعت الدورات لكل أنواع الآليات. وبعد تخريج هذه الدورات أعيد افتتاح دورات أخرى في العام ذاته.

لاحقاً لطلبي القاضي بافتتاح باب التطويع في قطعات المدرعات لإتمام ملاكاتها لا يخفى على القيادة أن عسكريي المدرعات ينتقون من ذوي الأجسام القوية والمعنويات العالية والشجاعة معرفة القراءة والكتابة نظراً لصعوبة مهماتهم وتنويعها وهذا يتحقق بالانتقاء أثناء التطويع.

بعد وصولهم إلى قطعاتهم يلزمهم التمرين الطويل ليتمكنوا من خدمة الآلية والأسلحة والأجهزة ويصبحوا أخصائيين. ولا يغرب عن البال أن الفرد الواحد في المدرعات يجب أن يتقن عدة اختصاصات.

لنأخذ المصفحة موضوعاً لبحثنا. تتألف سدنتها من /٣ - ٤/ أفراد رئيس المصفحة، سائق، رام ومخابر لاسلكي. لقد نصت الأنظمة أن يكون رئيس المصفحة قادراً على القيام بكلّ الاختصاصات ضمنها وكل سادن كذلك حتى نتمكن وبصورة خاصة أثناء القتال إذا أصيب أحد أفراد السدنة نجد من يحل مكانه حتى لا تتوقف هذه المصفحة الثمينة وبصورة خاصة نيرانها الفعالة. وهذا ينطبق على الدبابة.

هذا الوقت الطويل والضروري اللازم للسدنة حتى يتمّوا اختصاصاتهم يستوجب أن تكون الملاكات تامة لانتقاء العناصر ويستمر التدريب وتبقى قطعات المدرعات كلها جاهزة للقتال بكفاءة تامة في أي وقت.

إن قطعات السلاح تعاني كثيراً من النقص في ملاكها بسبب التسريح والنقل ويقدّر حالياً بسبعمائة جندي.

لا يمكن إتمام النقص الحاصل من المجندين لأنهم لا ينهون تدريبهم ويباشرون اختصاصهم حتى يأتي وقت تسريحهم قبل الاستفادة منهم.

هذا ما رغبت عرضه على القيادة لإعطاء الأمر بإكمال ملاك القطعات النظري

بواسطة التطوع. وعدم إجراء نقل من قطعات المدرعات إلاّ عند الحاجة القصوى.

افتتاح مدرسة المدرعات

عندما لاحظت حالة التدريب السيئة في قطعات السلاح، وإن الضابط خريج الكلية العسكرية يأتي إلى سلاح مدرعات بدون تحضير، معلوماته العسكرية لاختصاصه محدودة جداً. وليس لديه معلومات فنية مطلقاً عن معدات سلاحه (آليات - أسلحة) وهذا ينطبق على ضباط الاحتياط وصف الضباط والأفراد.

قررتُ تشكيل مدرسة المدرعات ونقل ما هو مطبق في مدرسة الفرسان والمدرعات في سومير فرنسا حيث اتبعت دورتها.

مهمتها: إعداد ضباط وصف ضباط وأفراد تعبوياً وفنيّاً يجيدون قتال المدرعات واستعمال معدّات وحدات سلاح المدرعات. من دبابات ومصفحات وكل أنواع الآليات والأسلحة على اختلاف أنواعها وأجهزة اللاسلكي.

تزويد هذه المدرسة بكلّ وسائل الإيضاح اللازمة مثل محرّك السيارة المفتوح وكل أنواع الأسلحة المعدّة للتدريب.

وبناءً على طلبي وافقت رئاسة الأركان على تشكيل هذه المدرسة وتجهيزها.

عيّن العقيد «عبد الرحمن شاويش» مديراً للمدرسة وفور الانتهاء من التشكيل وتعيين المدربين والإدارة باشرت أعمالها بالتتابع لافتتاح الدورات التالية:

- دورة ضباط الكلية العسكرية، عندما يتخرجون من حمص يأتي ضباط المدرعات إلى مدرسة المدرعات لاتباع دورة مفصّلة حسب منهاج المدرسة وتشمل ما يلي:

- العلوم التعبوية الخاصة بسلاح المدرعات بالتفصيل.

- العلوم الفنية: يجب على الضابط أن يقود سيارة ضمن اختصاصه والحصول على شهادة سواقة وإتقان صيانة هذه الآلية مدرّعة أو غيرها. وإصلاح بعض أعطالها. إجادة

استخدام مدفعية المدرعات وسائر أسلحتها والأجهزة اللاسلكية.

وهذا ينطبق على دورة ضباط الاحتياط والرتباء الاحتياط.

أما الدورات الباقية فإنها تتبع البرامج المقررة في المدرسة كلٌّ ضمن اختصاصه وهي: دورة الأغرار، دورة مسدد مدفعي، دورة عامل لاسلكي، دورة سواقة سيارات، دورة سواقة دبابات.

قامت مدرسة المدرّعات بواجبها خير قيام تطورت فيما بعد وأدت خدمات جليلة إلى قطعات المدرعات. زُوِّدت المدرسة فيما بعد بحقل رمي مغلق ومصغر بجوار المدرسة وهو مبتكر من قبل أحد الضباط لرماية مدافع الدبابات بعد دراسته والموافقة عليه من قبل رئاسة الأركان.

مناورات الجيش

في مكان ما من منطقة دمشق والمنطقة الجنوبية جرت مناورات الجيش السنوية في أواخر تموز وأوائل آب اشترك فيها كل قطعات الجيش: مدرعات - مدفعية - مشاة - هندسة - طيران. واستمرت عشرة أيام.

موضوع المناورة: هجوم مفاجىء تقوم به القوات الزرقاء على القوات الحمراء واختراق خطوط الدفاع لهذه القوات وتراجعها إلى أماكن معدّة سابقاً ثم القيام بهجوم معاكس ودحر القوات الزرقاء.

كنت مديراً للمناورة مع هيئة أركان تديرها وعدد من ضباط الحكم مع قوات الفريقين. وقد حضرها دولة الأستاذ «سعيد الغزي» رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والزعيم الركن «شوكت شقير» رئيس الأركان العامة في مراحل العمليات الرئيسية وقد اطلعا على الخطط والفرضيات وشاهدا طرق التنفيذ.

وبعد انتهاء المناورات جرت دراسة على الطبيعة لكل مراحل المناورة وكيفية التنفيذ لكلّ من الفريقين. جرى نقد الأخطاء التي ارتكبت مع بيان نجاح التنفيذ البارع لكلّ

وحدة ولكلّ قائد كما أعلنت الدروس المستفادة من هذه المناورات.

زيارة لبنان

عندما ذاع نقلي إلى دمشق زارني وفد كريم من عائلة آل المصري في لبنان على رأسه الشيخ «أبو سلمان فارس» وأوجه آل المصري. قالوا إن هدف الزيارة هو للسلام عليكم وتقديم التهاني على العمل الذي قمتَ به وأنقذت الوطن من الحكم الفردي الجائر ولندعوك لزيارة لبنان لأن الجميع يرغبون رؤيتك والتعرف عليك.

شكرت الوفد على عواطفه النبيلة ووعدته بقبول دعوته فيما بعد ولأن أشغالي كثيرة الآن لا تسمح لي بالتغيب.

بعد مدة أرسل الشيخ «فارس المصري» أحد وجهاء العائلة رسولاً خاصاً يذكّر بالزيارة ويطلب أن تكون في الصيف.

اتفقنا على موعد الزيارة وطلبت من رئيس الأركان مأذونية أقضيها في لبنان. تساءل الزعيم «شقير» هل هو الوقت المناسب لهذه الزيارة؟

أجبته: أنا بحاجة للترويح عن النفس لأني أشعر بإجهاد منذ فترة. طلبت أن أذهب بسيارة الخدمة العسكرية واحتفظ بها حتى عودتي. وافق على ما طلبته.

نهار الاثنين / ٣٠/ آب / ١٩٥٤/ لبيتُ الدعوة مع الأستاذ «نجيب حرب» صاحب جريدة الجبل والملازم الأول «طلال أبو عساف» ونزلنا بضيافة صاحبها الشيخ «فارس المصري» في القلعة ثم في صليما في دار الشيخ «شاهين المصري» ومنذ وصولي إلى لبنان (وكانوا يعرفون ويتابعون هذه الزيارة) بدأت الدعوات تنهال من كلّ قرى المتن والشوف.

وضع المضيف برنامجاً لهذه الزيارات أسبوعاً كاملاً مدة مأذونيتي لأنه قدّر وضعي ولم تلبَّ كلّ طلبات الذين دعوا لأن ذلك يستوجب وقتاً طويلاً. بقي برفقتنا خلال الزيارات التي قمنا بها إلى قرى المتن والشوف الدكتور «أسد المصري» وبعض الأوجه

من صليما و «رشيد فارس المصري» الذي سجّل شريطاً سينمائياً لهذه الزيارة بكاملها عُرض في صالات السينما وقتها.

كان الاستقبال حاراً في كل القرى من الشيوخ والشباب. أُقيمت الحفلات التكريمية وألقيت الخطب وأُخذت الصور التذكارية وكانت صوري مكبّرة في كل البيوت الكثيرة التي زرناها.

في بيت الدين زرنا السرايا لنشاهد المتحف الشعبي للأزياء وغيرها خلال حكم الأمير «فخر الدين المعني» وحيث يوجد القصر الجمهوري.

قال الشيخ «فارس» يجب أن نخبر موظفي القصر الجمهوري بهذه الزيارة. وما إن علم بها رئيس الجمهورية الأستاذ «كميل شمعون» حتى أعلن عن سروره باستقبالنا. زرناه في مكتبه وتبودلت الأحاديث ثم أمر بأخذ الصور التذكارية.

لا أنسى ما حييت هذه الزيارة والحفاوة التي قوبلنا بها في كلّ القرى ومن قبل جميع السكان والعواطف النبيلة التي أحطنا بها أثناء إقامتنا في لبنان. فلهم جميعاً جزيل شكري وامتناني.

تعميم من رئاسة الأركان العامة بمناسبة الانتخابات

في هذه الفترة التاريخية التي تجتازها بلادنا. والتي تطوى معها صفحة من صفحات الماضي ترنو أبصار المواطنين إلى المستقبل القريب، الذي ستقرر فيه أوضاعنا الداخلية بعد إجراء الانتخابات النيابية المرتقبة، والتي ستشترك فيها طبقات الشعب السوري لانتخاب مجلسه المقبل.

ولا شكّ أن العسكريين يشعرون بغبطة وارتياح لإيصال أمتهم إلى شاطىء السلامة خلال خضمّ من الشدائد والمصائب، ويدركون أنه قد حان الوقت لينصرفوا كلّياً وهم مطمئنون إلى مهماتهم العسكرية المقدسة وينصرفون إلى إعداد جنودهم، وإلى تنظيم قطعاتهم على الوجه الأكمل.

ولهذا فإن رئيس الأركان يحرص كلّ الحرص على أن يحافظ الجيش أثناء الفترة الانتخابية الحالية على الحياد التام، فلا يمالىء حزباً على حزب، ولا جماعة على جماعة ولا مرشحاً ضد مرشح، هذا وقد قطع رئيس الأركان العامة على نفسه وباسم الجيش عهداً بذلك.

إن العهد المقطوع ينسجم تماماً مع حرص الجيش على المصلحة العامة التي تتطلب أن يقوم كلّ ناخب سوري بدون ضغط ولا إكراه بممارسة حقوقه الانتخابية وبيان رأيه بتجرّد وحريّة وإن خير سبيل يسلك لهذه الغاية هو أن يترك لوعي الشعب وصدق وطنيته اختيار من يشاء كي يمثله.

وإن رئاسة الأركان العامة إذ تصدر هذه التعليمات تعتمد على حسن تفهم العسكريين للتطورات الجديدة التي ستطرأ على البلاد، وتثق بأنهم قد أوتوا من دواعي النضج وعناصر الإخلاص وتجارب الماضي، ما يجعلهم يقدرون الأوضاع الحرجة التي تمرّ بها البلاد حقّ قدرها، ويتضامنون جميعاً لتحقيق العهد المقطوع بما يمليه عليهم واجبهم، ويعملون جيمعاً بما تقتضيه مصلحة أمتهم وجيشهم. وبهذا تكون قد أُرسِيَت دعائم نظام ديمقراطي حر طالما تاق إليه هذا البلد.

تقرير الزعيم «أمين أبو عساف» عن الحالة التي وصل إليها سلاح المدرّعات».

من الأسباب التي عجلت بالقضاء على العهد الماضي هو وجود قيادات ضعيفة لها السلطة الاسمية فقط. محاطة بعناصر ذات نفوذ ومقرّبة من المسؤولين تدير الأمور، وقد تمثل ذلك في قيادة سلاح المدرعات بصورة واضحة. فقد كان آمرو وحداته يتصلون مباشرة مع شُعب الأركان وينقلون من وإلى وحداتهم ما يشاؤون حسب أهوائهم. فقد نقل من السلاح ضباط لهم اختصاص في المدرعات. ونقل إليه ضباط مشاة بدون اختصاص انتقاهم العهد من المقربين ضارباً عرض الحائط بالمصلحة العامة وتأثيرها على قدرة القطعات في القتال.

هذه الظروف الاستثنائية القاسية كادت أن تطيح بوحدة الجيش ولكن وطنية الضباط وشعورهم بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم كانت تحول دون الكارثة.

وهنا لا بدّ من معرفة الأسباب التي خلقت البلبلة والفوضى واللامبالاة للقضاء عليها والسير بجيشنا وهو يحمل على منكبيه أعظم وأخطر مسؤولية عرفها جيش عربي.

بعض هذه الأخطاء عرضت ودرست في الاجتماع الأول في شهر آذار / ١٩٥٤/ منها:

- إعطاء القيادة كامل صلاحياتها لتقوم بواجباتها.

- أخذ رأي هذه القيادات بكلّ ما يتعلق بالعسكريين الموجودين تحت إمرتها (ترفيع - بعثات - نقل).

- عدم السماح للمرؤوسين الاتصال المباشر مع شُعب الأركان.

- القضاء على الالتماسات والشفاعات الخ...

- تشكيل لجنة لتحديد صلاحيات رئاسة الأركان التي تحتكرها كلها وإعطاء آمري المناطق والأسلحة والألوية حقوقهم من هذه الصلاحيات كما هو معمول به في كل جيوش العالم وبعد أن ازداد تعداد الجيش وتشكيلاته.

ورغم أني كنت بعيداً عن سلاح المدرعات فقد تأثر هذا السلاح الناشىء إلى حدٍّ كبير بهذه التيارات، هذه التنقلات العديدة تجلب إليه عدداً من الضباط وصف الضباط من قطعات الجيش الأخرى لتحرمه من ضباط خدموا في صفوفه وتخصصوا على عتاده.

كانت قيادة السلاح لا حول لها ولا طول لأن الحكم الفردي تأميناً لاستمرار الأمور يضع حول كل قيادة مهما صغرت عناصر تخضع لسلطته وتنفذ أوامره عند اللزوم ولذا لم نحصل في ذلك الحين على وحدة القيادة إلاّ شكلياً.

وعلى أساس الإصلاح الجديد وتوجيهات رئاسة الأركان بدأنا بمرحلة جديدة وكلنا أمل أن نصل بها إلى كلّ ما يزيد جيشنا قوة ومنعة، فقد قررت رئاسة الأركان بناء على اقتراح قيادة سلاح المدرّعات أن تصفي أوضاع الضباط المشاة وذلك باتباع الراغبين

منهم دورة تطبيقات تسجل على سجلاتهم وتعطي الناجحين منهم نفس حقوق ضباط المدرعات من حيث القيادات والبعثات.

أما الذين لا يرغبون اتباع هذه الدورة يستغنى عنهم في كتائب المصفحات والدبابات، تخرجت الدورة الأولى بتاريخ.... بدأت الدورة الثانية بتاريخ.... وكان من أفرادها الملازم الأول «عبد الله الشيخ عطية». وقد وافق على اتباع هذه الدورة برضائه أمام آمر السلاح وبحضور آمر كتيبته وبعد إبلاغه عدم الاعتراف على دورة كان يدعي اتباعها، وهي غير مسجلة قانونياً.

فوجئت قيادة السلاح بأمر صادر عن رئاسة الأركان يقضي بفصله من الدورة وإعطائه الحق بتقديم الإمتحان.

وقد طلبت قيادة السلاح رسمياً إلغاء أمر الفصل الأول والثاني واتخاذ إجراءات انضباطية بحق المسؤول عن هذا الاتصال والتصرف فلم تحصل على جواب.

قدمت قيادة السلاح طلباً خطياً بنقل هذا الضابط إلى الفوج المحمول الأول ونتيجة لتداخلات أجهلها لم يُنَفَّذْ شَيْءٌ من اقتراحات قيادة السلاح. لقد وضع الملازم.... تحت تصرف قيادة السلاح فعين في كتيبة القيادة كوكبة الدفاع... ضد الدرع وإذ به ينقل إلى كتيبة الدبابات الثانية، مع العلم أن آمر السلاح قد طلب مراراً ضابطي مشاة لكوكبتين مشكلتين حديثاً.

لقد نقل مؤخراً الملازم... إلى الكتيبة الخامسة والعشرين وهو ضابط مشاة وليس له اختصاص ولا نعلم أسباب نقله ومن الذي اقترحه.

لقد تمّت كل هذه الأشياء بناء على تدخلات فردية وخلافاً لرأي آمر السلاح، إن قيادة سلاح المدرعات إذ تتألم من هذا الوضع الشاذ المشار إليه وهي تعلم أن اتصالات فردية تجري مع شُعب الأركان وقد طلبت في كتابها رقم.... وتاريخ..... إجراءات ولم تحصل على نتيجة.

كما وإن الواقع يشير إلى بعض ضباط المدرّعات على اطلاع بالقضايا التي تهم

السلاح قبل آمره، يرجى وَضْعُ حدٍ لهذه التصرفات الشاذة واتخاذ ما يلزم بحق المخالفين الذين لا يتقيدون بالتعليمات، إن كل هذه الأمور الشاذة بدأت وتمت أيام الزعيم «أديب الشيشكلي» وبمباركته شخصياً وكنت قد أشرت في فقرات سابقة عن مسايرته للضباط الصغار الرتبة واعتماده عليهم فهو يستطيع السيطرة والاعتماد عليهم كلياً كما أنه يرضي طموحاتهم الانتهازية بآن واحد، وهكذا زرع قلة الانضباط، وأصبح كل ضابط طموح يحلم بالوصول إلى المراكز العليا متخطياً الانضباط ورفاقه في آن واحد.

تقرير آمر سلاح المدرعات حول تدريب قادة وحداته وقطعاته

بعد افتتاح دورات سواقة لكلّ أنواع الآليات وبصورة خاصة ناقلات الجنود المجنزرة، المصفحات، الدبابات، وناقلات الدبابات وغيرها والتي افتتحت في القطعات.

وفي مدارس المدرعات افتتحت دورات الاختصاص للرماة والمخابرين ودورات الرتباء لرتبة رقيب وعريف متطوع واحتياط والدورات التطبقية لضباط المشاة ودورة الضباط خريجي الكلية العسكرية وضباط الاحتياط.

هذه الدورات أمنّت حاجة القطعات حالياً وبعض الاحتياط للتشكيلات الجديدة، وبعض هذه الدورات دائمة ويستمر عملها في المستقبل وبعضها عند الحاجة.

هذا ما أمكن لقيادة السلاح تأمينه بوسائطها الخاصة وهي الخطوة الأولى في تدريب أخصائيي السلاح من أفراد وصف ضباط وملازمين.

ننتقل الآن إلى الأعلى على مستوى الكوكبة والكتيبة والسلاح. إن إمكانيات آمري الكوكبات والكتائب محدودة رغم اندفاع هؤلاء الضباط الشباب تبقى معلوماتهم العسكرية ضعيفة لأنهم لم يتبعوا دورات اختصاص ولم يخدموا تحت قيادة ضباط لهم خبرة عملية في سلاح المدرعات لعدم وجود مثل هؤلاء في الجيش السوري، وبما أن القيادة تسعى لتحديث هذا السلاح وإبدال عتاده القديم الذي يختلف من كتيبة إلى أخرى وبصورة خاصة الحصول على دبابات حديثة.

يجب أن نحضِّر منذ الآن قادة مؤهلين يمكنهم تدريب مرؤوسيهم ونقل ما تعلموه للاستفادة الكلية من هذا العتاد الحديث أثناء السلم للتدريب وأثناء العمليات الحربية واستغلال كامل إمكانياته التعبوية والفنية.

إن هذا فوق إمكانيات السلاح لعدم وجود المدربين القديرين، لذا يجب أن يكون هناك دورات لآمر سريّة مؤهلة للترفيع يتبعها الضابط من رتبة ملازم أول ويكون الترفيع حسب تسلسل درجات النجاح.

دورة آمر كتيبة مؤهلة للترفيع يتبعها الضباط من رتبة رئيس يكون الترفيع حسب درجات النجاح.

لا يُرَفعّ إلا من اتبع دورة ونجح بها.

بعد ذلك تأتي دورات الأركان، يتبع الضباط من رتبة مقدم دورة خاصة وتخضع لفحص نظري وعملي وخطي ينجح من عنده الإمكانيات لدورة الأركان، وهذا عام لكل الجيش ومن مسؤوليات رئاسة الأركان.

الحل لهذا الموضوع هو إما أن نأتي بمدربين عرب أو أجانب للقيام بهذه المهمة بعد أن ندرس أسلوب البلد الذي نختاره، أو ترسل بعثات إلى الخارج بعد أن نختار وبعد دراسة أي البلدان أفضل.

إنّي الوحيد في الجيش السوري الآن الذي أتبع دورة ملازم في مدرسة الفرسان والمدرعات في فرنسا «سومير» لمدة عام من /١٩٣٨ - ١٩٣٩/ وهي أولى دورات الأختصاص.

عند تخرجي لم أخدم في قطعات بقيادة ضباط مدرّعات أكفاء لأستفيد من علمهم وتجاربهم وأنمّي معلوماتي لعدم وجود هذه التشكيلات في قطعات الشرق الخاصة.

قضت الظروف أن أقود كتيبة مصفحات استلمتها أثناء عمليات /١٩٤٨/ وبعدها وهذا لا يعني أني أجيد قياد كتيبة أو لواء أثناء السلم من أجل التدريب بكافة مراحله.

وفي القتال حتى لا أقع بأخطاء لربما تسبب كارثة.

أطلب أن أتبع دورات تؤهلني لقيادة السلاح على الأسس الحديثة، وإيجاد حلّ بأسرع ما يمكن لتخريج قإدة يحسنون استعمال هذا السلاح الحديث الفعال حتى لا تكون الجهود المبذولة والمال المدفوع بدون فائدة.

كان على القيادة أن تفكر بهذا الموضوع وتجد الحلول قبل اليوم بعد عشر سنوات من انتهاء الحرب العالمية الثانية التي غيّرت مفاهيم القتال وبعد جلاء المستعمر عن بلادنا، بعد تقديم هذا الطلب أخبرني الزعيم «شقير» أنه اهتمّ به كثيراً وهو يشكرني لاهتمامي بتأهيل ضباط السلاح ورقبائه وأفراده.

بالنسبة لي فقد طلب من الملحق العسكري الفرنسي رسمياً لكي يطلب من قيادته الموافقة على اتباعي دورة آمر فرقة، ثم دورة تطبيقات عملية في إحدى الفرق الفرنسية وباقي الطلبات تجري دراستها. ومرّت الأيام ولم ينفذ شيء.

محاولة انقلاب يقوم بها العقيد «محمد صفا»

الخميس / ١٧/ حزيران / ١٩٥٤/

اكتشفت قوى الأمن محاولة انقلاب خطط لها العقيد «محمد صفا» وقد تمكن من الفرار إلى لبنان وقد أُلقي القبض على بعض الضباط الذين تعاونوا معه بتهمة التحضير لانقلاب وقبض أموال من دولة أجنبية لهذه الغاية. وأحيلوا إلى التحقيق.

الخميس / ٧/ تشرين الأول / ١٩٥٤/ عقد اجتماع موسع لمجلس الدفاع العسكري حضره الأعضاء الدائمون مع قادة المناطق واتفق على تشكيل لجنة فرعية من الزعيم «توفيق نظام الدين»رئيساً والعقداء: «محمود شوكت» و «جمال فيصل» و «صبحي عبارة» و «بديع بشور» أعضاء.

مهمة اللجنة:

دراسة تشكيلات الجيش، تحديد صلاحيات قيادة المناطق والأسلحة والألوية -

قانون الجيش وسلوك الجيش.

ترفع اللجنة تقريرها فور انتهاء الدراسة.

افتتاح المسبح العسكري في دير الزور - ووضع حجر الأساس لنادي الضباط

الخميس /٢١/ تشرين أول /١٩٥٤/

أقلّت طائرة عسكرية خاصة الزعيم «شوكت شقير» وعدداً من كبار الضباط في طريقها إلى دير الزور لافتتاح المسبح العسكري الجديد ولوضع حجر الأساس لنادي الضباط الذي سيشيد هناك أيضاً.

كنت مع المدعوين نظراً لأن المشروعين: المسبح العسكري - ونادي الضباط كانا من الأموال التي جمعت عندما كنت قائداً للمنطقة الشرقية عام ١٩٥٢. وبعد أن تفقد رئيس الأركان المطار - الثكنات - والمستشفى العسكري وقيادة المنطقة توجه موكب رئيس الأركان إلى المسبح العسكري.

اشترك في هذا المهرجان بالإضافة إلى قائد وضباط المنطقة الشرقية محافظ دير الزور وقادة الدرك والشرطة فيها ومحافظ الحسكة ووجهاء المحافظتين وجمهور غفير من المواطنين.

في الساعة الرابعة عشرة افتتح الزعيم رسمياً المسبح، فقصّ الشريط التقليدي، الذي يمثل ألوان العلم السوري وعلى الأثر بدأت مباراة في السباحة.

وفي الساعة الخامسة عشرة والنصف توجه موكب رئيس الأركان إلى المنطقة التي تقرر أن يشيد عليها نادي الضباط الجديد.

أُلقيت كلمة باسم قائد المنطقة جاء فيها.

(إن بين جدران هذا النادي سينشأ جيل، ومن تحت سمائه سينبعث نور إخاء وعلم، إن أندية ضباط الجيش تختلف كثيراً عن الأندية الأخرى، إذ إنها جامعة لأسباب العلم كما هي جامعة لأسباب الترفيه....).

ثم ألقى رئيس الأركان العامة كلمة حيّا فيها مدينة دير الزور الباسلة، وحيّا أبناءها وأبناء المنطقة. ثم قال:

أمتنا العربية التي حملت في الماضي مشعل الحضارة والفكر في العالم والتي تشق طريقها الآن لتلعب دوراً رئيساً بين أمم العالم الكبرى. الأمة التي لا تستنشق الهواء إلاّ إذا كان حرّاً صافياً لا تدنسه أنفاس معتد غاضب.

والجيش الذي يشكّل الآن الدرع الفولاذي القوي لسلامة شعبنا وهناءةِ هذا الجيش الذي وهب أرواح أبنائه رخيصة في سبيل الذود عن حياض الوطن الغالي والدفاع عن ثغوره...

فليكن ناديكم الجديد رمزاً للمثل العليا التي يدافع عنها الجيش. وليكن شعاره الدائم ضمان التآخي بين الشعب والجيش في سبيل بناء سوريا عربية حرة كريمة.

جريمة من جرائم «أديب الشيشكلي»

- محاكمة الزعيم «أديب الشيشكلي» والرئيس «عبد الحق شحاذة» - لقتلهما رقيباً بالتعذيب

عندما كنتُ قائداً للمنطقة الشرقية طلب مقابلتي والد الرقيب المتوفى «محمد ناجي بحري» من دير الزور وقال: إن ولده توفي في مركز عمله في مدينة دمشق ويحيط الغموض أسباب الوفاة. واستطرد قائلاً: كان ولدي يتمتع بصحة جيدة طيلة حياته لم يشكُ من مرض ما وهو معيلي الوحيد مع زوجتي وإخوته الصغار. فوجئت بإشعاري عن وفاته وسمعتُ إشاعات كثيرة غير واضحة أنّ وفاته غير طبيعية أطلب المساعدة.

أجبته: إسأل آمر فوجه ومن واجبه المحافظة على أرواح مرؤوسيه أو رفاقه لمعرفة الحقيقة.

أجاب: آمر فوجه يقول إن الوفاة طبيعية إستناداً إلى شهادة الوفاة الرسمية. أما رفاقه من دير الزور فلا أحد يتكلم. ذهبت إلى دمشق لأستطلع الخبر وفي المقهى الذي يجتمع فيه أبناء دير الزور عندما شاهدوني تركوا القهوة وتفرقوا وقالوا لا نعلم شيئاً وكلهم يتهرب مني!.

أجبته: بماذا تريد أن أساعدك وأنت لا تعرف شيئاً سوى أن الوفاة طبيعية بموجب تقرير طبي. ولم أكن أتصور في ذلك الحين هذه الجريمة النكراء تنفذها بالذات أعلى سلطة في الحكم!.

بعد سقوط حكم «أديب الشيشكلي» تمكّن المطلعون من قول الحقيقة وهي أن الرقيب «محمد ناجي بحري» لفظ أنفاسه تحت الضرب والتعذيب.

أقام والد الرقيب المتوفى الدعوى على الزعيم «أديب الشيشكلي» والرئيس «عبد الحق شحاذة» والدكتور «نعيم الحكيم».

شكُلت المحكمة للنظر بهذه القضية من الأستاذ «عبد اللطيف الأسطواني» رئيساً - الزعيم «عزيز عبد الكريم» والزعيم «أمين أبو عساف» أعضاء وممثل النيابة العامة الرئيس «محمد الجراح».

باشرت المحكمة جلساتها في أواخر العام / ١٩٥٤ - ١٩٥٥/ وبتت بها خلال ثلاثة أشهر.

كيف تسلسلت الأمور

كان الرقيب «محمد ناجي» يرغب بانتقاله إلى دير الزور. نصحه أحد رفاقه أن يذهب إلى بيت الزعيم «أديب الشيشكلي» ويطلب مساعدته على النقل لأنه الوحيد لأبويه وإخوته الصغار.

ذهب إلى السبع بحرات حيث كان بيت «الشيشكلي» وسأل من وجده هناك ـ على البيت وكان هذا الشخص هو الرئيس «حسين حده» سأله: لماذا تسأل عن بيت الزعيم؟ أجابه إنه يرغب النقل إلى بلده دير الزور ويريد مساعدة الزعيم. قال الرئيس «حده»: أنت كاذب حتماً يوجد مؤامرة لإغتيال الزعيم، من أرسلك من الضباط لتتعرف على البيت؟. أجاب: لم يرسلني أحد وقلت لك الحقيقة كاملة. لم يقتنع الرئيس «حده» وساقه وسلمه إلى الرئيس «عبد الحق شحاذة» رئيس الشرطة العسكرية الذي حقق معه. كرر الرقيب أقواله بينما أصرّ رئيس الشرطة العسكرية أنّ في الأمر مؤامرة،. يجب أن يذكر الرقيب أسماء الضباط الذين أرسلوه.

زجّه في السجن وأخبر الزعيم بما حدث وإنه اكتشف بداية مؤامرة.

جاء الزعيم مساءً إلى السجن العسكري في المزة مع رئيس الشرطة العسكرية وطلبا الرقيب وحققا معه وهدداه بالضرب والتعذيب إن لم يقل الحقيقة ويعلن أسماء الضباط. كرر أقواله وقال: إني أقول الحقيقة ولم أُرسل من قبل أحد كيف تريدون أن أختلق أسماء ضباط لا وجود لهم.

عندئذ بدؤوا بضربه وتعذيبه ربطوا رجليه بالفلق مسكهما جنديان ورفعوهما وبدأ الضرب المبرح كان الزعيم والرئيس يتناوبان الضرب عندما يتعبان... والذي يتلقّى الضرب يصرخ ويستغيث وعندما يتضايق من شدة الضرب يطلب إيقافه.... حتى يقول لهم وهو إنّما يقول ذلك لالتقاط أنفاسه وبعد هنيهة يسألونه أن يفشي بأسماء المتآمرين. يكرر أقواله ويقول لم يرسلني أحد كيف تريدون مني تسمية ضباط ليس لهم علم!؟.

يعودون لضربه ثانية وثالثة يتركونه لليوم التالي. بعد أن يعطوا تعليماتهم من جهة الأكل والنوم.

في اليوم الثاني كرروا ظلمهم وكرر أقواله. وفي اليوم الثالث عند بدء التعذيب صار يغيب عن الوعي تحت الضرب يوقفون الضرب ويرشون الماء حتى يصحو ويعاودون الضرب وفي المرة الأخيرة أسلم الروح ولم يتمكن الماء من إعادته إلى الحياة!.

رحم الله هذا الشهيد الذي تحمّل الظلم حتى الموت ولم يظلم بريئاً؟.

طُلبَ إلى ناظر موقع دمشق العقيد «قاسم الخليل» أن يؤمّن شهادة وفاة قانونية وأنه مات منتحراً عندما رمى بنفسه من فوق السطح. نفّذ ناظر الموقع الأمر واشترك بالجريمة. رفعوا القتيل إلى سطح المخفر ورموه على الأرض وادعوا أنّه رمى نفسه عن السطح بقصد الانتحار. أتوا برئيس أطباء الموقع ليعطي شهادة الوفاة وشهدوا أمامه بأنه سجين وبرروا صعوده إلى السطح حيث مى بنفسه بقصد الانتحار.

عندما فحصه الطبيب ظهرت الحقيقة قال لهم: لقد فارق الحياة قبل سقوطه عن السطح والكسور التي أصيب بها هي بعد وفاته. ولا أعطي تقريراً مزوراً!. هدده ناظر الموقع بالسجن أو النقل لم يغيّر الطبيب موقفه ونُقِلَ من مركزه. ثم أتوا بالدكتور «نعيم الحكيم» نفّذ طلبهم وأعطى الشهادة المزورة.

صدر الحكم غيابياً بحقّ الزعيم «أديب الشيشكلي» والرئيس «عبد الحق شحاذة» أما العقيد «قاسم الخليل» وقد (كان مريضاً ولم يتمكن من حضور الجلسات وفارق الحياة بعد أيام في المستشفى العسكري).

وحضورياً بحقّ الطبيب «نعيم الحكيم».

وهكذا لم يحكم على «أديب الشيشكلي» بسبب اغتصابه السلطة ومصادرة الحريّات ويحكم عليه بجناية القتل الفردي.

تشكيل لواءَيْن مدرّعين (جمهرة مدرعة)

في مستهل العام /١٩٥٥/ عين كل من العقيد «بديع بشور» والعقيد الركن المجاز «سهيل عشي» كآمري لواءَيْ مدرعات. شكلت لجنة لدراسة تشكيل الألوية برئاسة الزعيم «أمين أبو عساف» آمر السلاح وعضويتهما.

إن الجمهرة المدرعة في الجيش الفرنسي هي الفرقة التي تتشكل من ثلاثة ألوية يمكن تجزئتها إلى ثلاث جميهرات وليس بإمكان الجيش السوري الآن تشكيل أكثر من لواءَيْن ولكنها بداية.

درست اللجنة على ضوء وطبيعة أراضي المعركة في فلسطين المحتلة المحصنة تحصيناً قوياً مترابطاً والعمليات الكبرى لتطويق وعزل وإبادة.

وتمشياً مع الأنظمة الحديثة التي نتجت عن الحرب العالمية الثانية فيما يتعلق باستعمال المدرعات والتي نصت في أكثريتها على ضرورة تشكيل وحدات مختلطة عنصرها الأساسي السلاح المدرّع.

قررت اللجنة تهيئة قيادتين تعبويتين مستقلتين مرتبطتين بقيادة السلاح (التي ستكون بمثابة قيادة فرقة مدرّعة) قادرتين على حسن سير التدريب والاستعداد للحرب في وقت السلم وتلقي وتنفيذ مهمات رئيسية أثناء الحرب بوسائطها الخاصة.

خلق روح التعاون والانسجام في العمل منذ وقت السلم بين القطعات التي ستدعى للأشتراك معاً ودائماً في عمليات متوقعة أثناء الحرب.

تشكيل اللواء:

- أركان اللواء - كوكبة مقر اللواء - كتيبة دبابات - فوج مشاة محمول - فوج مدفعية ميدان محمول عيار/ ١٠٥/ مم.

إن اللواء المدرّع أو (الجميهرة المدرّعة) يضم الوحدات التي ذكرناها أما بقية الأسلحة المساندة والخدمات المساعدة كالهندسة والنقل والمخابرات ووحدات التصليح والصحة والتموين وتنظيم السير فقد شكلت وحداتها وربطت مباشرة بقيادة السلاح لصالح التدريب وضبط الوحدة مع إمكانية تجزئتها إلى وحدات ومفارز يمكن إلحاقها بكل لواء عند الحركة وحسب المهمة.

وضعت الملاكات بالتفصيل وأحيلت إلى القيادة للموافقة عليها. وفور الموافقة بوشر بتشكيل اللواءيْن وكانت معسكرات قطنا مقراً لهما.

شُكِّلت كوكبتا مقر وكتيبتا دبابات متوسطة وحديثة وفوج مشاة محمول وفوج مدفعية محمول فوراً من العناصر الجاهزة.

وبوشر بتشكيل فوج مشاة محمول آخر ولم تكن كل العناصر جاهزة. وتحضير عناصر لفوج المدفعية المحمول ريثما تصل المدافع.

إنّها المرّة الأولى في تاريخ الجيش السوري تدخل هذه الدبابات الحديثة بدرعها المتين وسلاحها الفعّال وعلى هذا المتسوى.

زود سلاح المدرعات الوحدات التي شكلت بكل الإخصائيين من سواقين ورماة ومخابرين ورؤساء دبابات ومحاسبين الخ....

وقد رفعت اللجنة التقرير التالي إلى رئاسة الأركان:

صدرت الأوامر الأخيرة بتشكيل الألوية المدرّعة. وقد فُهم أن هناك فكرة بتبديل قيادات الأسلحة إلى مفتشيات. إنّ هذه الآونة سيئة الانتقاء بالنسبة إلى تشكيل الألوية المدرّعة. فيجب في هذه المناسبة أن نناقش ما يلي:

١ - تشكيل الألوية المدرعة يحتاج إلى عناية قيادة السلاح التي يجب أن تتمتع بصلاحيات واسعة يمكنها معها أن تخرج إلى حيز الوجود، هذه التشكيلات الجديدة وأن تنسجم مع المهمات التعبوية التي توكل إليها سواء كانت منعزلة أم مرتبطة بقيادات تعبوية عملياً.

٢ - نرى أن وجود قيادة السلاح المدرّع ضروري طالما لم يطرأ على التفكير إمكانية تدخل اللواءين المدرّعين مجتمعين في جبهة واحدة وحاجة هذين اللواءين إلى قيادة تعبوية.

إن هذا التدخل بلواءين في العمليات هو الشكل المنتظر من حيث استخدام المدرّعات. كما أنه من الطبيعي التفكير في وجود هذه القيادة بشكل مسبق حتى تستكمل كل كفاءتها من حيث قيادة الوحدات المدرعة دون أن نصبح في حين من الأحيان مضطرين لارتجال قيادة لا تستطيع الاضطلاع بأعباء المعركة.

٣ - إن بقاء قيادة السلاح المدرع جزء من الانسجام العسكري والأتحاد بين

الجيوش العربية وخاصة مصر حيث نجد في مصر قيادة لهذا السلاح موجودة ولا مانع من تبني كيانها وصلاحياتها كما هي فيما إذا وجدت القيادة العامة ذلك مناسباً.

إنه يمكن لقيادة السلاح أن توجد اللواء الثالث المدرّع بما لديها من عتاد مخزون (P Z ١٧) بعد تحضير جميع العناصر في مدارس السلاح. وهكذا تتقرب التشكيلات من الفرقة المدرعة التي هي غاية ما نرمي إليه في الوقت الحاضر.

٥ - إمكانية الإشراف على الوحدات المدرعة المستقلة والمتناثرة الموضوعة تحت تصرف باقي الأسلحة.

٦ - إمكانية الإشراف التام على المدارس الفنية وتموين الوحدات المدرّعة بالأخصائيين اللازمين.

٧ - إمكانية تبني قواعد السلاح الإدارية كمرجع أعلى لجميع الوحدات المدرّعة (رحبات - هندسة ثقيلة - نقل ثقيل).

٨ - ضرورة تمتع قيادة السلاح بجميع الصلاحيات وأن تكون المرجع الوحيد لجميع وحداتها مما يساعد على إعادة الانضباط إلى صفوف عسكريي السلاح الذين ابتعد بعضهم عن جادة الصواب بمناسبات لا تخفى على أحد وأصبح تجاوز سلسلة القيادة أمراً هيناً ومألوفاً لديهم.

ومن الطبيعي أن تشمل هذه الصلاحيات نقل وترفيع كافة العسكريين على أن تصدر أخيراً باسم القيادة العامة للجيش والقوى المسلحة.

جريمة اغتيال العقيد «عدنان المالكي»

الجمعة / ٢٢/ نيسان / ١٩٥٥/

بينما كنّا نشاهد مباراة في كرة القدم على أرض الملعب البلدي في دمشق بين فريق شرطة الجيش السوري وفريق حرس السواحل المصري تحت رعاية رئيس الأركان العامة

الزعيم الركن «شوكت شقير» وحضور سفير مصر في سوريا الأميرالاي «محمود رياض» واللواء آمر حرس الشواطىء ومعاون رئيس الأركان وكبار الضباط. وفي تمام الساعة / ١٦،٢٠/ فوجئنا بإطلاق النار من الوراء. كان الجاني من شرطة الجيش وبلباسه العسكري الرسمي وهو الرقيب الأول «يونس عبد الرحيم» مهمته حراسة المنصة.

أطلق النار من مسدس إيطالي الصنع (بريتا) على العقيد الركن المجاز «عدنان المالكي» فأصابه في مؤخرة الرأس والخاصرة وفارق الحياة فوراً. التفتُ إلى الوراء وكان «المالكي» في الصف الذي خلفنا مباشرة رأيته يتخبط بدمائه وبدأ يميل عن الكرسي، بينما كان الجاني يحاول إطلاق عيارات أخرى فلم يتمكن لحدوث استعصاء. لقّم المسدس ثانية وأطلق الرصاص على نفسه قبل أن يصل إليه أحد وفارق الحياة دون أن يتكلم ولم يمس مسدسه الرسمي.

هل كان الجاني عندما حاول إطلاق النار مرّة أخرى يريد أن يغتال ضباطاً آخرين؟.

تجمهر الضباط حول الجاني وحول «المالكي» وأنا معهم. وفي ذات الوقت رأيت الجموع الغفيرة في الملعب تتجه نحو المنصة من كل الاتجاهات بدلاً من الخروج والتفرق في أنحاء الملعب. خشيت من مؤامرة مبيتة للقضاء على المسؤولين في المنصة وفيها كلّ ضباط القيادة.

ذهبت إلى رئيس الأركان وطلبت منه أن يأمر بإيقاف هذا السيل الزاحف نحو المنصة وأن الوضع غير طبيعي. وأنّي ذاهبٌ إلى القابون لاستنفار الطوارىء وسأبقى هناك بانتظار أوامره إذا لزم الأمر وكنت في أول سيارة تركت الملعب.

ذهبت إلى البيت أخبرت عائلتي عمّا حدث وارتديت البزة العسكرية وذهبت إلى القابون. استنفرت رعيل الطوراىء ليكون حاضراً للحركة فور تلقي الأمر. كان الضباط والعسكريون لا يعلمون شيئاً عما حدث قبل أن أخبرهم به.

حضر الأستاذ «منصور الأطرش» إلى منزلي يستطلع الأخبار، ولما سأل زوجتي عن مكان وجودي وهي لا تعرفه شخصياً إنما تعرف اسمه سألَته: من حضرتكِ؟ أجاب: «منصور الأطرش».

أخبرتُه بالواقع عمّا حدث في الملعب وأني في مركز عملي في القابون. بقيتُ في القابون أكثر من ساعتين. عدتُ إلى رئاسة الأركان بعد أن أعطيت أمراً إلى آمر رعيل الطوارىء أن لا ينفذ إلاّ أوامري أو أوامر الزعيم «شقير».

من التحقيق تبين أن الجاني ينتمي إلى الحزب القومي السوري الذي سلّحه لارتكاب جريمته الشنعاء.

عُثِرَ على مناشير في بيت الجاني. ولدى مداهمة مكتب الحزب القومي السوري كان الرئيس وأكثر الأعضاء قد تمكنوا من الهرب، أُلقي القبض على السيد «عصام المحايري» وفي ذات الوقت أضرم بعض أعضاء الحزب النار في مطبعة جريدة البناء جريدة الحزب. يقال إن ذلك العمل لإخفاء وثائق تدين الحزب. وهي تدابير مؤامرة اغتيالات واسعة في الجيش يستلم الحزب وأعوانه الحكم على أثرها بتشجيع وأموال أميركا.

تبين أن بعض الضباط وصف الضباط في الجيش الذين ينتمون إلى الحزب مشتركون في المؤامرة لكي يستلم الحزب الحكم ويسيطر الضباط على الجيش. ألقي القبض على بعضهم وتمكّن آخرون من الفرار خارج سوريا.

وسيكشف التحقيق أبعاد وتفاصيل هذه المؤامرة ومدى اتساعها. وإنّ اغتيال «المالكي» هو جزء منها وأسباب وقوفها عند هذا الحد وفشلها.

تشييع جثمان العقيد الركن المجاز «عدنان المالكي»

السبت / ٢٣/ نيسان / ١٩٥٥/

شيعت دمشق جثمان المغفور له المرحوم العقيد الركن المجاز «عدنان المالكي» وقد مشى في الجنازة بالإضافة إلى أهل الفقيد رئيس الأركان وضباط الجيش ومندوب فخامة رئيس الجمهورية ودولة رئيس مجلس الوزراء والوزراء وأعضاء السلك الدبلوماسي وعشرات الألوف من المشيعين. وقد أبّنه رئيس الأركان العامة بكلمة مؤثرة.

تقرر قبول التعازي في نادي الضباط.

بعدَ انتهاء فترة التعزية وانصراف المعزين كان حماس الضباط ظاهراً وطلبوا معرفة التدابير المتخذة وإصراراهم على معاقبة الفاعلين. واتخاذ تدابير صارمة ضد الحزب والخونة. وقد بلغ بهم الحماس أن اقترحوا مجلس ثورة أو نوعاً آخر من الحكم العسكري.

وقد طمأنهم رئيس الأركان بأنه سيتخذ ما يلزم من تدابير للضرب بيد من حديد على أيدي الخونة الجناة وحماية الجيش من الدسائس التي تحاك له. وإنّ الاعتقالات مستمرة والتحقيقات جارية ليل نهار.

تعزية في النادي

الأحد / ٢٤/ نيسان / ١٩٥٥/

بعد انصراف المعزين وذوي الفقيد طلب الضباط معرفة نتائج التحقيق وكان احتجاجهم بشكل جماعي وتلفظ البعض بكلام غير لائق مع ثورة غضب ظاهرة وصياح. وقد تكلّم معهم كلٌ من العقيد «جمال فيصل» والعقيد «نوفل شحم» والمقدم «عفيف البزري» بقصد تهدئتهم والحد من ثورتهم بدون فائدة.

طلب منهم رئيس الأركان تشكيل وفد لمقابلته في مكتبه وإنه لا يقبل بهذه الفوضى وطلب من بعض الضباط مرافقته وذهبنا إلى الأركان.

تشكّل وفد لمقابلة رئيس الأركان مؤلف من المقدم «بشير طباع» والمقدم «عفيف البزري» والرؤساء «نامق كمال» و «فؤاد ملاطيه لي» و «مصطفى شاكر».

ولدى حضورهم إلى مكتب رئيس الأركان وبحضوري مع العقداء «شحم» و «جمال» و «عز الدين». قال لهم رئيس الأركان: إنه يستقبلهم ليبلغهم أنه غير مستعد لقبول ملاحظات أو توجيه منهم. وإن الذي قاموا به مخالف للانضباط العسكري ومن المؤسف أن من قام به هم الضباط ويجب ألاّ يعودوا إليه مرّة أخرى.

إن رئاسة الأركان مهتمة بالأمر ولا يمكنها أن تُفْضي بما توصل إليه التحقيق حفظاً على سريته. إن رئاسة الأركان هي التي خسرت العقيد «مالكي» ويجب أن يقف المنتقدون عند هذا الحد. وأنتقد «طباع» إسمياً على ما تفوه به. دافع عن نفسه بأن ما قاله للعقيد «جمال» ردده على لسان غيره وقصد بذلك أن يعرف رئيس الأركان ماذا يُقال؟. فوجه له ملاحظة أخرى - إن الذي قاله: هو مرؤوس لك كان من واجبك إيقافه عند حدّه. فأجاب: إنّ الرئيس «طلعت حسن» قال ذلك أمام الزعيم «أمير شلاش».

قال الوفد: إنّ الضباط يرغبون الاطلاع فقط ويرجون من رئيس الأركان أن يقدّر وضعهم وهم لا ينتقدون ولا يفرضون آراءهم.

بعد ذلك انسحب الوفد مع العقيد «شحم» إلى النادي وبلغوا الضباط جواب الأركان. عاد العقيد «شحم» بعد انصراف جميع الضباط من النادي وأخبر رئيس الأركان أن الموضوع قد انتهى.

-إجتماعي مع ضباط المدرّعات في قطنا والقابون

الاثنين / ٢٥/ نيسان / ١٩٥٥/

في الصباح الباكر ذهبتُ إلى معسكرات قطنا وإجتمعت إلى آمري كتيبتي الدبابات والفوج المحمول الرؤساء «أحمد حنيدي» و «جاد عز الدين» و «وهيب الرفاعي» وسألتهم رأيهم بالموقف بالنسبة لإغتيال العقيد «المالكي». قالوا إنّهم يطلبون الشدّة في الأحكام حتى لو ذهب من الضحايا أبرياء بنسبة / ٣٠٪/ نظراً لأن القضية تتعلق بأمن البلاد وقلب نظام الحكم. إنّه نزق الشباب!!.

قلت: إننا في بلد ديمقراطي تسير أحكامه ضمن القانون. يجب أن ينتهي التحقيق أولاً ثمّ تشكّل محكمة عسكرية للنظر بهذه القضية الخطيرة وأن لا يسمح لضباط الجيش على كلّ المستويات فرض إرادتهم. بل يترك الأمر لرئاسة الأركان التي تتابع التحقيق وهي تعرف واجبها وستطلب الحكم القاسي ويبقى ضباط الجيش يقومون بواجبهم كالعادة.

ثم بينتُ لهم ما حدث في نادي الضباط يوم أمس والفوضى التي نتجت وقلة الانضباط. وأننا كقادة لا يمكن أن نقبل أن يتحكم نادي الضباط أو الشارع في شؤون الأركان. يجب أن نترك لرئاسة الأركان متابعة العمل وهذا واجبها. وإن الاقتصاص من المجرمين يجري بالطرق الشرعية. وإن بعض عناصر الشغب تستغلُّ هذه الإجتماعات لنشر الفوضى.

استنكروا العمل الذي تمّ في النادي وهم لم يشاهدوا سوى الرئيس «وهيب» الذي كان حاضراً. واتفقنا على اتخاذ التدابير لعدم انعقاد مثل هذه الاجتماعات.

عدتُ من قطنا إلى القابون واجتمعت مع الضباط مدير المدرسة العقيد «عبد الرحمن شاويش» وآمري كتائب الاستطلاع الرؤساء «جاسم علوان» و «عبد الله جومه» و «مصطفى شاكر» و باقي الضباط الرئيس «توفيق الشوا» والملازم الأول «طاهر دبلان» وأعدنا دراسة الموضوع كما جرى في معسكرات قطنا. كانت الآراء متفقة على أن رئاسة الأركان تتابع الموضوع ولا يحقّ لأي ضابط التدخّل. أخبرت رئيس الأركان ومعاونه عن موقف ضباط المدرعات. كما واتصلت بعدد من كبار الضباط خارج السلاح لوضع حدٍّ لهذه الأشياء غير المعقولة - انتهت أيام التعازي في النادي.

- إفتتاحية جريدة صوت العرب -

فيما يلي افتتاحية جريدة صوت العرب / أيار/ ١٩٥٥/ لصاحبها «عبد القادر القواص»:

الزعيم «شقير» استحق شكر الوطن...

الرجل الذي يبدد الأزمات بالحكمة ثم بالاتزان...

يقف الزعيم «شوكت شقير» رئيس الأركان العامة اليوم من الأحداث الجارية موقفاً قوياً رصيناً رائعاً يستحق التقدير والإعجاب.

وليس بدعاً فللزعيم «شقير» مواقف متشابهة وقوية ومحمودة وحاسمة. فمنذ انتقل

هذا الضابط الكبير إلى الجيش السوري ناقماً على موقف بعض زعماء العرب الذين جمّدوا الجيوش العربية في معركة فلسطين وخسروها وهو يعمل من الوجهة المسلكية لتقوية الجيش السوري وتسليحه تسليحاً عصرياً وبثّ روح النظام والطاعة فيه ليكون جيشاً عربياً أسبرطياً متماسكاً يستطيع أن يدافع عن حياض الوطن السوري الغالي، وأن يسطّر لوحات من الأمجاد والفخار في دنيا العروبة.

وقد يكون موقف الزعيم «شوكت شقير» من الزعيم «أديب الشيشكلي» دكتاتور سوريا - يوم قامت ألوية الجيش في حلب والفرات وحمص وحوران بثورتها تطلب إليه التنازل عن الحكم والسفر إلى خارج البلاد من أروع وأنبل المواقف التاريخية الحاسمة في تاريخ سوريا الحديث، فلقد كان لموقفه الحاسم بعدم استعمال القوة ومقابلة الألوية الثائرة بالسلاح ونصيحته «للشيشكلي» بأن يضرب مثلاً بالتضحية وإنكار الذات ما وفّر على سوريا هزات «الله يعلم عواقبها» ومذابح تذهب بخيرة ضباط وجنود هذا الجيش الفتي وحرب أهلية لا تبقي ولا تذر تسفك فيها الدماء على مذهب الأطماع والشهوات.

وها هو اليوم يقف موقفاً كلّه شهامة ومروءة. . . . موقفاً لا يقل عن مواقفه السابقة في شيء.

لقد هزّ اغتيال الشهيد العقيد الركن «عدنان المالكي» ضمير ضباط الجيش وثار الشباب منهم تدفعهم فورة الدم طالبين القصاص الفوري من المتهمين في هذه الجريمة. . . ولكنّ الزعيم «شوكت شقير» وقف كالطود الراسخ أمام ثورة هؤلاء الشباب يقول لهم:

«لن أسمح لكم القيام بأيّة حركة مهما كانت قبل أن تدوسوا على جسدي»!.

لقد هبطت حرارة الشباب وفكروا ملياً بقول زعيمهم واضطروا إلى النزول على رغبة قائدهم بإنتظار الإجراءات الحاسمة التي تتخذها الحكومة من أجل تأمين سير العدالة والقصاص من المجرمين الحقيقيين وإطلاق سراح الأبرياء.

هذان الموقفان التاريخيان اللذان وقفهما الزعيم «شوكت شقير» في مناسبتين مختلفتين وتاريخيتين يكفيان لستجّل لهذا الضباط الكبير هذه الصفحات النقية البيضاء

ولنتقدم إليه باسم جماهير هذا الشعب. بل باسم الشعب السوري بكافة طبقاته بتجاره وصنّاعه ومزارعيه وأرباب المهن بأحراره وأحزابه بالشكر الجزيل اعترافاً منّا بالجميل والإحسان.

عن جريدة (صوت العرب) أيار /١٩٥٥/ لصاحبها «عبد القادر القواص».

مناورات الجيش

كانت مناورات الجيش هذا العام للضباط القادة يتبعها آمروا الألوية ورؤساء أركانهم وقادة الأفواج والكتائب على دفعتين.

هدف الدورة: استكمال تدريب الضباط القادة في قيادة الجمهرات التعبوية والجمهرات المدرعة سواء كانت منعزلة أو ضمن نطاق الفرقة وذلك في أحوال عديدة للقتال وعلى أراضٍ مختلفة.

وتتضمن هذه الدورة بصورة خاصة تعاون الوحدات المدرّعة مع باقي الأسلحة. إضافة إلى استعمال وحدات الاستطلاع وتعاون القوى الأرضية مع القوى الجوية. ثم إيضاح الدفاع عن السواحل واستعمال وحدات المغاوير.

مكان الدورة: منطقة دمشق - المنطقة الساحلية - المنطقة الجنوبية الغربية.

هيئة التدرب: مدير الدورة الخبير الزعيم «كريبل»

مساعده العقيد «إبراهيم أتاسي» في الدورة الأولى

مساعده الزعيم «أمين أبو عساف» في الدورة الثانية

مدة الدورة الأولى من /١٢/ ٣-٢٨/ ٣/ ١٩٥٥/ ضمناً.

مدة الدورة الثانية من /١/ ٦-٢٣/ ٦/ ١٩٥٥/ ضمناً.

اشترك في الدورة الأولى من سلاح المدرّعات:

العقيد «صبحي عبارة» آمر اللواء المدرّع الحادي عشر - والعقيد «إبراهيم أتاسي» آمر اللواء المدرّع العاشر مع الرئيس «مصطفى شاكر» رئيس أركان السلاح. الدورة الثانية اشترك فيها الزعيم «أمين أبو عساف» آمر سلاح المدرّعات والرؤساء «أحمد حنيدي» آمر كتيبة الدبابات الثانية - و «توفيق الشوا» آمر فوج المدفعية المدرع الثامن. و «عبد الله جسومه» آمر كتيبة الاستطلاع الثانية.

اجتماع رئيس مجلس الوزراء السيد «صبري العسلي» مع رئيس الأركان وكبار ضباط موقع دمشق

في أواخر شهر حزيران من عام / ١٩٥٥/ شكا رئيس الأركان العامة الزعيم «شوكت شقير» إلى رئيس مجلس الوزراء الأستاذ «صبري العسلي» أن الضباط منزعجون من اتصالات المدنيين مع بعضهم رؤساء أو مرؤوسين بقصد استمالتهم إلى صفوفهم وتأثير ذلك على الانضباط والمعنويات.

رغب دولة الرئيس الاجتماع إلى هؤلاء الضباط في نادي الضباط.

في الوقت المعين اجتمع كبار ضباط موقع دمشق وطلب رئيس الأركان إليّ أن أعرض الموضوع. وكان قد نبهني في اليوم السابق بأنني سأكلف بعرضه.

لخّصت ما جاء في التقرير التالي:

منذ بدأت الانقلابات في سوريا لم يكن غرض الجيش منها استلام الحكم. كان هدف الانقلاب الأول القضاء على الفوضى والاستئثار ومخالفة القوانين والدستور. عندما نجح الانقلاب ولقي التأييد التام من الشعب اختلف رجال السياسة على الخطوة الثانية. ولما وجد قائد الانقلاب من شجعه من المدنيين وساعده على تخطيط حكم يلبي رغباته استأثر به وجعله حكماً عسكرياً دكتاتورياً.

قضى على الحكم القائم وشتت رجال السياسة المخالفين للحكم الفردي سجناً أو تشريداً. بالنسبة للجيش لم يتمكن «الزعيم» من تنفيذ مخططه حتى أبعد وسرّح ونقل

الضباط الذين لا يوافقونه. سلّم المراكز الحساسة لأعوانه الذين ينفذون أوامره بدون تفكير. كان من الممكن لهذا الحكم أن يدوم طويلاً لأنه ارتكز على القوة والبطش. وقد قضى على كلّ محاولات الشعب الأعزل بما اتخذ من تدابير قاسية (وكانت خطيئة السلطات المدنية الأولى التي لا تغتفَر هي انتقاء «حسني الزعيم» لقيادة الجيش ثم إبقاءه في هذا المركز رغم المخالفات التي ارتكبها).

تنبه الضباط المخلصون واتخذوا القرار التالي:

لما كان الضباط هم السبب الذي مكن قائد الجيش من استلام السلطة ضدّ إرادتهم عليهم أن ينحوه عنها بالقوة كما أوصلوه إليها ولا يمكن لغيرهم القيام بهذا الدور قبل أن يسرحوا أو ينقلوا من قياداتهم التي تمكنهم من ذلك.

تلبية لنداء الواجب نفّذ هؤلاء الضباط انقلابهم الخطير رغم ما فيه من مجازفة وخطر عليهم وعلى عائلاتهم... كان النجاح حليفهم وصفّوا دكتاتورية المشير «حسني الزعيم».

وكما هو مقر قبل تنفيذ الانقلاب طلبوا من الرئيس السابق السيد «هاشم الأتاسي» مع نخبة من رجال السياسة من كلّ المحافظات ومن كلّ الاتجاهات ليدرسوا ويقرروا كيفية استلام الحكم آخذين بعين الاعتبار أخطاء الحُكمين السابقين بدون شروط من قبل الجيش.

قرر رجال السياسة بمخض إرادتهم وبحريّة تامة حكماً مؤقتاً ودستورياً جديداً وانتخابات يتبعها حكم دستوري، وساروا بهذه الخطة واستلموا الحكم.

بعد أن أدى الجيش واجبه عاد إلى ثكناته وانصرف إلى واجباته الأساسية.

لم يَرُقْ هذا الحل لبعض المدنيين من ذوي النفوذ وقائد الانقلاب الثاني وبعض الضباط الذين كانوا قد تبنّوا خطة سريّة قبل الانقلاب وهي استلام الأموال لإقامة عرش جديد في سوريا ونفوذ بريطاني عن طريق الاحتلال العراقي (العراق مقيد بمعاهدة مع بريطانيا).

بناء على تحريض المدنيين الذين يريدون هذه السياسة قرر اللواء «سامي حناوي» إلقاء القبض على معارضيه من الضباط، علم بها ذوو العلاقة وفشلت قبل تنفيذها. عندئذٍ عاجله هؤلاء وألقوا القبض عليه مع أربعة من أعوانه. أودِعوا السجن لإحالتهم إلى المحاكمة. نجا من القبض الدكتور «أسعد طلس» أمين عام وزراة الخارجية وعديل «سامي حناوي» لأنه لولب الحركة باتصالاته الحميمة مع العراق. يتضح من هذا كيف كان المدنيون يوجهون قائد الجيش.

أعلمنا رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء عمّا حدث استنكراه. بررنا عملنا أنه يتعلق بأمن واستقلال الوطن ولا يمكن السكوت عليه حتى يتم.

ونحن نقف عند هذا الحد ونسلّم الأمر إلى السلطات المدنية ليكشف التحقيق العادل دور المدنيين والعسكريين في هذه المؤامرة وأخيراً وافقوا على الإجراء الذي تمّ ولم يُجروا لا تحقيقاً ولا محاكمة.

بقي الحكم يمارس صلاحياته واستقرت الأمور وابتعد العسكريون عن السياسة بموجب وثيقة خطية وقعها أعضاء المجلس العسكري مع رئيس الوزراء الدكتور «ناظم القدسي» في شهر آب / ١٩٥٠/ حتى لا يستمرّ العقيد «أديب الشيشكلي» يتكلم باسمهم لأنه أقدمهم. وكلنا أمل أن هذه الوثيقة وضعت حداً لعمل الضباط الجماعي القانوني، وإن أي عمل بعد اليوم يعتبر فردياً ويعاقب عليه بموجب القانون.

كيف عاد العقيد «الشيشكلي» إلى دوره السياسي

في شهر نيسان / ١٩٥١/ استصدر السيد «خالد العظم» رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع أمراً نقل بموجبه الزعيم «أنور بنود» رئيس الأركان العامة ملحقاً عسكرياً في تركيا وأسند رئاسة الأركان إلى العقيد «أديب الشيشكلي».

أذكر ذلك لأبين أخطاء رجال السياسة ومسؤوليتهم عما سيحصل. ولو فعل العكس أي سرح العقيد «أديب الشيشبكلي» أو أرسله ملحقاً عسكرياً كان وفّر انقلاباً على البلاد!!.

كان ذلك قرار السلطات المدنية ولم يكن لضباط الجيش رأي بذلك!.

بصفته رئيساً للأركان استغلّ خلاف المدنيين على السلطة وأخذ يتدخل من الباب الواسع. قبل نهاية العام اغتصب العقيد «أديب الشيشكلي» السلطة بمفرده بعد أن نقل وسرّح وسجن من لا يوافقه على عمله. ونكّل بالمدنيين أيضاً. أودعهم في السجون والتجأ بعضهم إلى الخارج.

سنّ الدستور وشكّل حركة التحرير ونصّب نفسه رئيساً للجمهورية وجرت انتخابات لمجلس النواب وسير الجيوش ورجال الأمن للقضاء على كلٍّ معارضة.

عندئذٍ رأى الجيش أن واجبه يحتّم عليه القضاء على الحكم الدكتاتوري وليس بإمكان غيره القيام بهذا العمل. إن ضباط الجيش لم ينصبّوا يوماً دكتاتوراً بل كانوا يقضون على حكمه الجائر. وكان الانقلاب الأخير الذي أعاد السلطة إلى أصحابها الشرعيين ليقرروا ما يرونه مناسباً بدون شروط.

شكلت وزارة من أعضائها من خرج من السجن لاستلام الوزارة. وانصرف الجيش إلى التدريب الذي كان قد أهمل وبدأ يجدد أسلحته ويحدث تشكيلات جديدة على مستوى العصر لأنه اعتبر تشكيل الوزارة في حمص عهد شرف بين المدنيين والعسكريين على أن لا يتدخل أي طرف في صلاحيات الثاني بعد اليوم إلا بصورة قانونية.

إن كلّ الانقلابات نفذها الجيش وتحمل مسؤوليتها دون المدنيين.

إن الانقلاب على «حسني الزعيم» وتنحية «سامي الحناوي» والانقلاب على «أديب الشيشكلي» كان لمصلحة الوطن ولم يستغله أحدٌ من الضباط. وسلّم الحكم إلى السلطة المدنية تسيره على هدى الدستور.

- إن كلّ الضباط لم يوافقوا يوماً على الحكم العسكري.

- أثناء الحكم العسكري لقي الأحرار من الضباط من التعسف والقمع أكثر من المدنيين سجن - وتسريح - ونقل.

- إن كلّ حكم دكتاتوري وجد من بعض المدنيين التأييد والمساعدة المالية والتشجيع من الاستعمار.

- إن القضاء على الحكم الدكتاتوري تمّ بواسطة الجيش فقط.

- عاد الجيش إلى ثكناته بعد أن قوّم أخطاء بعض قادته وسلم الحكم إلى المدنيين.

- لذلك لا يصحّ أن يطلق على الجيش ((جيش انقلابات)) وينسى ما قام به عندما انسحب عام / ١٩٤٥/ من سلطات الانتداب وأثناء العمليات وتصحيح الأوضاع.

- بعد الانقلاب الأخير كان الجيش صادقاً بابتعاده عن السياسة وعدم التدخل من قائده أو ضباطه.

ولكن مع الأسف الشديد بدأنا نشعر أن كل فئة سياسية حزباً كان أو كتلةً أو مجموعةً من المستقلين داخل الحكم وخارجه يرغبون استمالة قسم من ضباط الجيش وكأن الجيش غنيمة للتوزيع. يتصلون مع الضباط ويوجهون وينتقدون. إننا نناشد السلطات المدنية أن يتركوا الجيش وشأنه وأن يحولوا دون هذه المخالفات.

يوجد اتصالات من قبل الأحزاب والنواب والوزراء مع الضباط لإغرائهم بالانضمام إليهم. بعض هذه الاتصالات نتج عنها تشكيل خلايا كشف النقاب عنها وأحيل المخالفون إلى المحاكمة. بعض الاتصالات فشلت لأن الضباط الشرفاء لم يقبلوا بذلك رفضوا التعاون وأعلموا القيادة.

يكفي ما جرى حتى الآن من انقلابات، اتركوا الجيش وشأنه ليقوم بواجبه الوطني. وأن يقوم المدنيون بواجبهم أيضاً ولا يتدخلون بأمور الجيش إلا بموجب الدستور.

أجاب رئيس الوزراء: إنّه يقدّر عالياً مواقف الجيش في المراحل السابقة ولن نحمله مسؤولية من اغتصب الحكم من قادته وقد قام بواجباته خير قيام وإن ما نسعى إليه هو تقوية الجيش وتسليحه لاسترجاع ما احتلّ من الوطن.

وسنقوم بوضع حدٍّ لكلّ المخالفات من قبل المدنيين وليس لنا أي اعتراض على موقف الجيش حالياً وعلى رأسه الزعيم الركن «شوكت شقير» فله وللجيش شكري وشكر الوطن وتقديره.

الفصل السابع

إنتخاب «شكري القوتلي» رئيساً للجمهورية

- عودة الرئيس «شكري القوتلي» وإنتخابه رئيساً للجمهورية -

السبت /٧/ آب/ ١٩٥٤/

دعى رئيس الأركان العامة الزعيم الركن «شوكت شقير» قائد منطقة دمشق وقادة الأسلحة ومعاونه للاجتماع في مكتبه.

قال: غداً سيعود إلى البلاد فخامة رئيس الجمهورية السابق السيد «شكري القوتلي» بعد نفي استمرّ عدة سنوات منذ الانقلاب الأول. وبما أن الجيش لا يشتغل بالسياسة يجب أن يعلم هو وغيره من رجال السياسة أنه ليس لنا سياسة معينة نحوه أو نحو غيره وإننا على الحياد.

أرى أن نكون في إستقباله في المطار.

وافق الجميع على الاقتراح بدون اعتراض.

في /٨/ آب/ حضر الوفد العسكري برئاسة رئيس الأركان العامة وقائد منطقة دمشق وقادة الأسلحة إلى المطار واستقبل السيد «شكري القوتلي» مع المستقبلين. وقد جرى له استقبال حاشد لم يتدخل الجيش مطلقاً لا في الانتخابات النيابية عام /١٩٥٤/ ولا في إنتخابات رئاسة الجمهورية عام /١٩٥٥/ .

في شهر آب /١٩٥٥ ترشح لانتخابات رئاسة الجمهورية كلٌّ من السيد «شكري القوتلي» والسيد «خالد العظم».

فاز السيد «شكري القوتلي» بالاقتراع الثاني.

وفي /٦/ أيلول تاريخ إستلام فخامة الرئيس سلطاته الدستورية. ذهب رئيس

الأركان العامة يرافقه وفد لتقديم التهاني أي مرّ كل شيء بصورة طبيعية من قبل الجيش.

منذ وصوله إلى سوريا حتى إنتخابه رئيساً للجمهورية وأثناء ممارسته لسلطاته الدستورية كان موقف الجيش ثابتاً كما كان دائما منذ انقلاب عام /١٩٥٤/ .

بعد عودة الرئيس «القوتلي» إلى الحكم للمرة الثانية وإستلام سلطاته الدستورية عاد إلى سياسته الأولى قبل الإنقلاب الأول. بدأ السياسيون على اختلاف ميولهم الاتصال مع بعض ضباط الجيش على أكثر من إتجاه لتشكيل كتل تستلم الجيش وتتعاون معها لتطبيق سياستها. وبصورة خاصة الحزب الوطني والمقربون من رئيس الجمهورية.

وقد نفذت قيادة الجيش وكبار ضباطه على كلّ المستويات العهد الذي أخذوه على أنفسهم منذ الانقلاب على المشير «حسني الزعيم» بالأبتعاد عن السياسة والانصراف إلى التدريب.

أثمرت مساعي السياسيين مع بعض صغار الضباط حيث جرى التحضير لمحاولة انقلاب اكتشفها الملازم الأول «فهد الشاعر» وأعلم القيادة عنها.

بعد التحقق وثبوت مسؤولية بعض الضباط أحيل الذين أدينوا إلى القضاء. ثبت الشروع في محاولة انقلاب، صدر الحكم ومنه التسريح من الجيش.

القبول في مدارس الرقباء

عندما كنت قائداً لمعسكرات قطنا بعد تشكيل ألوية وتمركزها في المعسكرات. وكانت مدارس الرتباء في أحد هذه المعسكرات وهي تابعة لقيادة المعسكرات من الناحية الانضباطية فقط وتابعة لرئاسة الأركان العامة من حيث انتقاء وقبول الطلاب وتدريبهم وتخرجهم.

أثناء فحص انتقاء الطلاب لدورة رقباء عام /١٩٥٥/ قبل عدد محدود جداً من محافظة السويداء رغم كثرة عدد المتقدمين.

راجعت رئيس الأركان بهذا الموضوع في مكتبه. طلب رئيس الشعبة المختص وكان المقدم «جمال فيصل» وناقشنا الموضوع.

قال المقدم «فيصل» أخذنا من محافظة السويداء نفس العدد الذي أخذناه من محافظة مدينة دمشق رغم الفرق الكبير في عدد السكان.

أجبت: إن هذا التشبيه غير وارد لأن أبناء مدينة دمشق ليس لهم ميول إلى الخدمة العسكرية وهم يعملون في التجارة والصناعة المتوفرة في مدينتهم بالإضافة إلى العمل في المقاهي والمطاعم والفنادق وهذا غير متوفر في الأرياف. مثل محافظة السويداء قليلة الموارد حيث يقبل الشباب على الجندية بكثرة وهم ميالون إلى الخدمة في الجيش.

ومع ذلك أودُّ أن أعلم عدد الذين تقدموا من مدينة دمشق للقبول في مدارس الرتباء وعدد الذين تقدموا من محافظة السويداء لكي نتأكد أن القبول بالنسبة لمجموع عدد السكان غير صحيح.

لم يجب. تابعت... إن القبول في مدارس الرتباء يجب إلا يخضع لنسبة عدد سكان كل محافظة ولا لأي نسبة. بل يجب أن يؤخذ الناجحون صحياً وثقافياً حسب درجات نجاحهم. كما هو مطبق بالنجاح في الشهادات العامة مثل شهادة الكفاءة وشهادة التحصيل الثانوي وغيرها. حيث يمنح المواطن الشهادة التي يستحقها دون تفريق بين المواطنين والمحافظات.

قال رئيس الأركان: بالنسبة لهذه الدورة إنتهى الأمر تبقى على حالها. ستصدر رئاسة الأركان تعليمات مفصلة للدورات القادمة.

إنني عندما أناقش مثل هذا الموضوع لا أنطلق مطلقاً من دوافع طائفية بل من المصلحة العامة وفهمي للواجب. فعندما يرى الإنسان الخطأ يجب عليه أن يسعى لإصلاحه بكلّ وسيلة ولن أقبل أبداً السكوت عن خطأ خوفاً من اتهامي بالطائفية وما إليها. لأن السكوت عن مثل هذا الخطأ إنما هو جبنٌ لا أرضاه لنفسي أبداً وأصر دائماً على إصلاح خطأ حسب قناعتي للخطأ والصواب مهما كانت النتائج.

الرشاوى المعروضة

في شهر آذار من عام /١٩٥٤/ وكنت أنزل في فندق أوريان بالاس قال لي أحد زعماء الجبل وهو يقيم في نفس الفندق:

إنّ العراق على استعداد أن يدفع إلى الضباط السوريين نفس الراتب الذي يتقاضونه في سوريا أنت ومن ترغب من الضباط.

أرجوا إعطائي أسماءهم حتى يصلهم هذا الراتب شهرياً.

سألته: وماذا يريدون مقابل هذا الراتب؟. أجاب: لا شيء ثم أستدرك إذا طلب منكم شيء يجب تنفيذه.

أجبته: إن هذا غير ممكن ولا يوجد ضابط في الجيش السوري يقبل به. الضابط الذي أقسم يمين الولاء للوطن والنظام الجمهوري لا يمكن أن يخون. وكنت أعلم أن الشعبة الثانية في الأركان على علم بما يجري بين العراق وبعض رجال السياسة والضباط.

في ربيع عام /١٩٥٥/ دعاني أحد زعماء الجبل لمقابلته في (أوريان بالاس) وعند حضوري قال لي:

إن العراق يوزع المال وقد أخذ منه كثير من السياسيين المسؤولين من المدنيين والعسكريين، رغبتُ أن لا يفوتكم ذلك مع العسكريين من الجبل، لكَ معي خمسون ألف دولار أمريكي تستلمها وقت تشاء.

أجبته: أنا لم أُوكلْ أحداً لاستلام رشاوى باسمي! ومسؤوليتنا كعسكريين حماية الوطن والمحافظة على نظامه وحدوده من كل إعتداء.

بعد فترة وفي إحدى المناسبات تقابلتُ مع نائب حماه السيد «حسني البرازي» وهو دعاة الوحدة مع العراق وقبض المال وقد كان رئيس وزراء ووزير سابق سألني: ما

هو مقدار مواسمك السنوية؟. أجبته: شيء بسيط لا يذكر. قال: إذاً أنت تعتمد على الراتب فقط. ما رأيك بفيلا تطلّ على العاصي في منطقة مشجرة إلى الشمال من الرستن وسيارة خاصة أمامها ومبلغ محترم من المال لمصاريفك؟. سألت: من أين كلّ هذا؟ أجاب: الأرض منّي والفيلا والسيارة والمال من العراق. أجبته: ليعلم العراق ومن يشتغل له أنّ الضابط السوري لا يشترى بالمال ولا يخون وطنه وأنهم لن يدخلوا سوريا إلاّ على أجسادنا.

في خريف ذلك العام أتاني الأستاذ «وديع تلحوق» وكان سابقاً مديراً لمعارف الجبل والآن من موظفي الجامعة العربية.

طلبَ مني أن أنضمّ إلى طلاب الوحدة مع العراق وأن أسمح للجيش العراقي الدخول إلى سوريا بدون مقاومة.

أجبتُ: إن هذا خيانة لا يمكن أن أقبل بها.

قال: في الوقت المعين تأخذ إجازة ولا تكون حاضراً أو تطلب نقلك أو إحالتك على التقاعد ولديك من المال ما يكفيك.

لم أوافق على شيء من طلباته. سألني: ما هو المبلغ الذي عرض عليك سابقاً؟. أجبته: خمسون ألف دولار. قال: نعطيك شيكاً مفتوحاً لتضع المبلغ الذي تطلبه والذي تريد. أجبتُ: ليس الخلاف على مقدار المبلغ. لن أخون وأبيع وطني بمال الدنيا. وليعلم العراق وأعوان العراق أنهم لن يدخلوا سوريا إلاّ على أجسادنا.

وقلت لنفسي بصوت منخفض: كيف يعيش المرء بين إخوانه ورفاقه وقد باع وطنه؟ وكيف يكون موقفه من تأنيب الضمير؟.

سألني: ماذا قلت؟ وقد سمعني أتكلم. رددت له ما قلته.

أجاب: أنت غير مضطر أن تبقى هنا. تأخذ مبلغاً يمكّنك من العيش في الخارج في سويسرا في أمريكا. وتكون إقامتك مع عائلتك إذا شئت.

كررتُ الرفض. وأخيراً ودّعني بعد أن أعطاني عنوانه وطلب مني أن أتصل به ثانية
إن غيرت أو لم أغيّر رأيي حتى نتناقش. ولم أتصل به مرة أخرى.

الحريّة لا يمكن أن تشترى بالقصور والمرتبات والامتيازات!.

- ((الدفاع عن الشرق الأوسط وحلف بغداد)) -

إن الإستعمار يخطط دائماً إلى المدى البعيد. وقد هاله ما حدث في مصر. لم يتمكّن من احتواء الثورة كما كان يفعل في عهد الملكية من فرض إرادته حين يشاء.

رأى أن أهداف الثورة هي القضاء على الاستعمار، وإيجاد التكتل العربي، وتطوير أقتصاده وأتباع سياسة عربية مستقلة بدون توجيه استعماري.

استقلّت سوريا بعد جلاء الفرنسيين. وبدأ التيار القومي التقدمي يسيطر على سياستها وقد تلاقت مع سياسة مصر.

برز الرئيس «جمال عبد الناصر» كزعيم عربي متحرر يناصب الإستعمار العداء، يسعى لتوحيد العرب والقضاء على التخلّف لكي يستطيع العرب أن يُجاروا العصر. وتشكيل قوة عسكرية وإقتصادية كفيلة بإعادة حقوقهم المسلوبة إليهم.

فقدان السيطرة على الجامعة العربية كما في السابق والتي تسعى لتكتل العرب حول مصالحهم.

منذ العام /١٩٥٤/ وأمريكا تسعى إلى فرض مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط ضد التوسع الشيوعي. تنضمّ إليه مصر ودول الشرق الأوسط.

يقضي المشروع تشكيل قيادة تنضم إليها دول المنطقة بما فيها تركيا للدفاع عن الشرق الأوسط ضد التوسع الشيوعي.

تسلّح هذه الجيوش من قبل أميركا، على ألاّ يستعمل السلاح في فلسطين مع مساعدات مالية لهذه الدول.

وقد أرسلت الوفود لإقناع دول المنطقة. رفضته مصر وبعض الدول العربية. درست الجامعة العربية المشروع. كان القرار أن تحلّ القضية الفلسطينية أولاً ثم يُنظر في الأحلاف الأخرى فيما بعد وأن لا تشارك دولة عربية منفردة بأي حلف!. خالفت العراق القرار.

رأى الاستعمار أن الفرصة سانحة لشقّ الجامعة العربية وعزل مصرَ عن دول الجامعة العربية في آسيا.

تبنّى العراق وتركيا هذه المهمة على أمل أن تؤيده سوريا لأن للعراق أتباعاً فيها ويطمح لقيادة العالم العربي بدلاً من مصر.

دعمت أميركا وبريطانيا هذا المشروع على أن يشمل: (تركيا - العراق - سوريا - لبنان - الأردن - والسعودية).

خلال شهر كانون الثاني /١٩٥٥/ تمّ عقد الحلف بين تركيا والعراق وسمي بحلف بغداد وطُلِبَ من دول المنطقة الانضمام إليه.

رفضته سوريا رفضاً قاطعاً لأنه مشروع إستعماري هدفه إعادة السيطرة على البلدان المستقلّة ورفضته السعودية أيضاً أما باقي الدول فقد تريثت حتى تعطي الجواب!. وقد دخلته بريطانيا فيما بعد لأن قيادة الحلف ستكون بريطانية.

خلال شهر آذار أعلنت مصر - سوريا - والسعودية عن اتفاقهم على تشكيل القيادة الموحدة للدفاع الجماعي وهي مفتوحة أمام الدول العربية

من أجل الضغط على سورية حشدت تركيا قوات على الحدود السورية ووجهت إنذاراً إلى الحكومة السورية تدعوها به للانسحاب من الاتفاق مع مصر والإنضمام إلى حلف بغداد.

أجابت سوريا: إنّ الاتفاق مع مصر موجه ضد إسرائيل وليس ضد تركيا!.

التقرب من الاتحاد السوفييتي - الدفاع المشترك بين مصر وسوريا والعربية السعودية.

ولمجابهة منع تصدير السلاح من الغرب والحصار الإقتصادي أجرت حكومتا مصر وسورية إتصالات مع الاتحاد السوفييتي وعلى أعلى المستويات من أجل الحصول على السلاح، وتنسيق التعاون الاقتصادي الذي يتحكّم بهما الغرب.

وبما أن الحلف الذي ترفضه مصر والسعودية وسوريا هو في الأساس ضدّ الشيوعية، اغتنم الاتحاد السوفييتي هذه الفرصة التي تحدث لأول مرّة لأن الاستعمار كان يسيطر على السياسة الخارجية لهذه الدول ويمنعها من الاتصال مع الدول الشيوعية. خفف من قيود وشروط المساعدة التي كان يطبقها على دول شرق أوروبا وخارجها وهو تشجيع انتشار المبدأ الشيوعي.

قدّم المساعدات لمصر وسوريا بدون شروط وزودهما بأحدث الأسلحة وتسهيلات في الدفع تقسيطاً على عدة سنوات واستيفاء الثمن من منتجات البلدين ومنها القطن السوري.

كانت السلطات المصرية تلاحق الشيوعيين الذين يخالفون القانون دون أن يؤثر ذلك على العلاقات الطيبة مع الاتحاد السوفييتي.

وهكذا تمّ فك الحصار الاقتصادي وحصار التسليح. وبدأ التعاون مع الكتلة الشرقية وصار الاتحاد السوفييتي يدعم القضايا العربية.

خلال شهر تشرين الأول / ١٩٥٥/ عندما أعلن عن توقيع معاهدة الدفاع المشترك بين سوريا ومصر والعربية السعودية مع قيادة موحدة بقيادة الفريق «عبد الحكيم عامر» بدأت الاعتداءات على سوريا من قبل إسرائيل وتركيا في آنٍ واحد من أجل الضغط على سوريا لتغيير موقفها.

في أوائل تشرين الثاني قصفت القوات الإسرائيلية مواقع السوريين في منطقة طبريا.

دخلت دوريات تركية إلى قريتين داخل الحدود السورية.

حلّق الطيران الإسرائيلي والتركي فوق الأراضي السورية.

في / ١٢ تشرين الثاني/ توغّلت قوة إسرائيلية مدعمة بالأسلحة الثقيلة في قطاع بانياس واحتلت بعض المخافر الأمامية موقعة خسائر جسيمة بجنودها وبالمجاهدين في المنطقة وأُجبرت على الأنسحاب فيما بعد.

معركة النقيب العربية وجنوب شرق البطيحة

(أُخذَتْ هذه المعلومات من رئاسة الأركان)

حشدت إسرائيل خلسة اللواء «جولاني» في مستعمرة عين كيف الإسرائيلية. وهي منطقة محرّمة حسب شروط الهدنة وتليها منطقة منزوعة السلاح، تحت إشراف لجنة الهدنة وليس فيها سوى مخافر مراقبة.

ليل / ١١-١٢/ كانون الأول / ١٩٥٥/ هاجمت هذه القوة وبصورة مفاجئة قرية النقيب العربية إلى الشمال من عين كيف على ضفة بحيرة طبريا الشرقية ومخافر المراقبة السورية شرق البحيرة في آن واحد.

تمكنّوا من احتلال القرية التي لم يكن فيها إلاّ بعض المجاهدين الذين استشهدوا أو أُسروا. كما طوقت مخافر المراقبة وقتلت وأسرت من فيها.

أعطى آمر القطاع الأمر باحتلال خط الدفاع الأول ومنع الإسرائيليين من التقدّم. بعد الظهر وقبل المغرب وجد أن قوته غير كافية نظراً لتفوق العدو قرر الانسحاب إلى أول المرتفعات حيث يمكنه الدفاع بصورة أقوى. ولغّم المنطقة التي بقيت تحت نيران أسلحته.

أثناء الليل وفي اليوم التالي تابع العدو هجومه لاحتلال قيادة القطاع في المرتفعات وهو لا يعلم وجود الألغام وما أن توغّلت قوته حتى بدأت الألغام تنفجر ونيران المواقع السورية المتحكمة تحصد الجنود في العراء، والظلام يمنعه من اكتشاف الألغام التي

فاجأته وقد سقط كثير من الضحايا. عندما طلع الصباح شاهد جنودنا من مواقعهم هذه المجزرة.

هنا تدخلت لجنة الهدنة لوقف إطلاق النار وتأمين انسحاب القوات المهاجمة مع القتلى والجرحى بينما لم تتمكن في اليوم الأول من القيام بواجبها.

وكانت إسرائيل قد أذاعت كعادتها أن الهجوم يقوم به اللواء الدرزي. إن هذا اللواء يضمّ بين صفوفه عدداً محدوداً من جنود الأقليات كما يسمونها هناك. الذين بقوا في إسرائيل ومنهم الدروز اضطر بعضهم إلى الخدمة في سبيل العيش وبقاء أسرهم في إسرائيل وهم أفراد بدون ثقافة أو توجيه، واجبهم يقضي بعدم الخدمة في جيش إسرائيل.

زيارة الفريق «عبد الحكيم عامر» إلى سوريا

بعد تشكيل القيادة المشتركة بين مصر وسوريا والعربية السعودية ومركزها القاهرة، زار سوريا قائدها الفريق «عبد الحكيم عامر» مع بعض أركان قيادته. اطلع على إمكانيات الجيش السوري وتشكيلاته المختلفة وحضروا بعض التمارين العسكرية منها مناورة لتشكيل دبابات وكنتُ أقود المناورة في ضواحي معسكرات قطنا.

أعطى القائد العام تعليماته التي تقضي أن يتبادل الجيشان المصري والسوري الزيارات التي تشمل المدارس والقطعات لكلّ أسلحة الجيش للاطلاع على مناهج التدريب في كلٍ من الجيشين وكيفية التطبيق.

بعد هذه الدراسة المفصلة والدقيقة يجري تشكيل لجان لتوحيد مناهج التدريب بين الجيشين لأن سوريا تطبق المنهاج الفرنسي ومصر المنهاج الإنكليزي يجب الوصول إلى منهاج عربي موحد يتجاوب مع العصر الحديث يطبق على كلٍ من الجيشين.

- زيارة مصر من قبل بعثة سورية تمثل كافة الأسلحة -

خلال شهر شباط من عام /١٩٥٦/ أصدرت القيادة في الجيش السوري أمراً بتشكيل بعثة لزيارة تشكيلات الجيش المصري قوامها آمرو الأسلحة ومديرو المدارس ووفد عن المشاة ومدير مدارس الرتباء وأربعة من آمري القطعات ومدير الكلية العسكرية. مدتها عشرة أيام.

بتاريخ /١٧/ ٢/ ١٩٥٦/ ذهبت هذه البعثة والتي تمثّل كلّ أسلحة الجيش السوري:

(مشاة - مدرعات - مدفعية - هندسة - مخابرات - طيران) ومدير الكلية العسكرية مع رئيس فرع التدريب لزيارة أسلحة الجيش المصري والاطلاع على تشكيلاتها وكيفية التدريب فيها.

إن تشكيل الأسلحة في الجيش السوري كان حديثاً نسبياً فألوية المشاة بقيت مرتبطة بالأركان العامة مع مدارس الرتباء مباشرة بدون قيادة سلاح. بينما في مصر يوجد سلاح المشاة ومدارسه مثل باقي الأسلحة.

زار قادة الأسلحة الفريق «عبد الحكيم عامر» القائد العام للقيادة المشتركة. وقد رحّبَ بنا بحرارة وقال: إنكم تزورون بلدكم مصر ويمكنكم الاطلاع على كل شيء في الجيش المصري.

إن ضباط الجيش السوري مندفعون باتجاه الوحدة مع مصر ويسعون إليها أرغبُ منكم تشويق زملائكم المصريين لهذه الوحدة المباركة ونأمل أن تكون نواة الوحدة العربية الشاملة.

بعد ذلك تقدمنا مع كافة أفراد البعثة السورية إلى رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري اللواء «محمد إبراهيم» وبعد أن رحّب بنا أعلمنا بأنه يمكننا المشاهدة والاطلاع على كلّ ما نرغبه كل في اختصاصه. إذ ليس هناك أسرار بين ضباط الجيش السوري والجيش المصري. وإنه قد أعطى أوامره لمختلف صنوف الأسلحة لتلبية رغباتنا وأتبعنا

برنامجاً مفصلاً.

غادرنا قيادة الأركان المصرية وذهب وفد المدرّعات مع مرافق إلى مديرية سلاح الفرسان. بقيت هذه تسميته رغم أن كلّ قطعاته مدرعة ولكنها اتخذت مكان الفرسان.

استقبلنا من قبل الآميرالاي «يوسف السباعي» معاون مدير السلاح نائباً عنه لغيابه وباشرنا عملنا منذ هذه اللحظة.

مهمة مديرية سلاح الفرسان في الجيش المصري هي قيادة كافة وحدات هذا السلاح والإشراف على حسن تدريبها وتأمين كافة جاجياتها بواسطة مختلف الفروع التابعة لهذه القيادة.

يتفرّع عن هذه القيادة:

١ - أركان سلاح الفرسان بكلّ فروعه وترتبط به كل القطعات المحاربة. إن وحدة القتال هي المجموعة:

يدخل في تشكيل المجموعة الدبابات بأنواعها (الخفيفة - المتوسطة - والثقيلة - مع المشاة المدرّعة والمدفعية والهندسة والإشارة) وكل المصالح التابعة لها.

يمكن للمجموعة أن تخوض المعركة بمفردها أو ضمن الفرقة حسب تعليمات القائد. تتألف الفرقة: من أركان الفرقة والقطعات التابعة لها.

آلاي استطلاع الفرقة (دبابات خفيفة) - مدفعية الفرقة على سلاسل - آلاي مدرّع ثقيل (دبابات ثقيلة) - ثلاث مجموعات قتال.

المجموعة الأولى: ترابط هذه المجموعة في صحراء سيناء بالقرب من مطار الجفجافة وقد زرناها في مكان تواجدها. حيث وضعت تحت تصرفنا طائرة لهذه الغاية.

آ - تعتبر هذه المجموعة بتشكيلها الحالي من أضخم المجموعات في الجيوش العربية وبصورة خاصة قوة نارها الضاربة وهي جاهزة للمعركة.

ب - إن ما شاهدناه من حسن التدريب والتنظيم والمعنوية الفولاذية التي يتحلّى بها أُمّار وحدات هذه المجموعة وضباطها ومقدرتهم في اختصاصهم وروحهم الوثابة زادتنا قناعة بقوة الجيش المصري وحسن إعداده للمعركة الفاصلة.

المجموعة الثانية: وقد زرناها أيضاً لم يمضِ على تشكيل هذه المجموعة سوى ثلاثة أشهر وهي مرابطة خارج القاهرة على بعد أربعة وثلاثين كيلومتراً في الصحراء قيد التدريب الجماعي.

المجموعة الثالثة: قيد التشكيل.

٢ - مراكز التدريب في سلاح الفرسان: وقد زرناها بصورة مفصّلة:

آ - مركز الأساس: بعد أن يتمّ انتقاء عناصر وحدات المدرعات من قبل لجنة طبية سيكولوجية وعزل المجندين والمتطوعين على السواء في مركز العزل التابع للجيش لمدة شهرين لتجهيزهم بالألبسة العسكرية ومعالجتهم. يُساق هؤلاء إلى مركز الأساس الذي يقوم بتدريبهم التدريب الفردي الكامل لمدة أربعة أشهر يُساقون بعدها إلى مركز التدريب المهني.

ب - مركز التدريب المهني: في هذا المركز يتبع كل منهم الاختصاص المقرر له: سائق على اختلاف أنواعه - مدفعي - مخابر لاسلكي - مصلح أجهزة لاسلكية - صيانة وتصليح بعض أعطال الأسلحة. وفقاً لميوله ونشاطه واستعداده النفساني والجسماني وذلك لمدة ستة أشهر، يمكن تخفيض هذه المدة لبعض الاختصاصات مثال ذلك المخابر اللاسلكي الرامي.

تمكّن هذه المراكز (آ - ب) مدير سلاح الفرسان من إمداد وحداته بصورة دائمة بعناصر كافة الاختصاصات وفقاً لجداول موجودة لدى السلطة المذكورة والتي يلبى طلبات القطعات بموجبها.

وبهذه الصورة يتفرغ أمّار القطعات للتدريب الجماعي فقط وتكون جاهزة في أي وقت لدخول المعركة.

ملاحظة: عندما تسرّح دورة مجندين تتلقى القطعات في مصر عناصر كاملة التدريب ومن كلّ الاختصاصات. بينما في سوريا في ذلك الحين كانت تستدعى الدورة بعد تسريح الدورة السابقة حيث تستقبل القطعات دورة أغرار يجب إعطائها التدريب الفردي ثم الاختصاص وهذا يتطلب وقتاً تكون فيه القطعة غير جاهزة للقتال.

ج - مدرسة المدرّعات:

١ - تقوم المدرسة بإعداد الضباط خريجي الكليّة العسكرية باختصاصاتهم كضباط في سلاح الفرسان حيث تزودهم بكافة المعلومات الفنية وأحدث أساليب القتال ينطبق ذلك على ضباط الاحتياط.

٢ - تدريب الضباط القدامى في دورات تعبوية غايتها تزويد هؤلاء الضباط بأحدث المعلومات الفنية وأحدث أساليب القتال.

٣ - تدريب العناصر المتفوقة الذين ترشحهم الوحدات لاختصاصات معينة يتخرج هؤلاء صف ضباط أخصائيين ومعلمين أخصائيين إذ يتبع كل من هؤلاء اختصاص واحد لمدة معينة (حسب البرامج المعدة لكل دورة).

ملاحظة: إن الضباط فقط خريجي الكلية العسكرية الجدد يتبعون مختلف الدورات من سواقة وصيانة ومدفعية ولاسلكي وتعبوي. أما ما تبقى من طلاب المدرسة المذكورة فيتبعون اختصاصاً واحداً أو اثنين على الأكثر. وهذه الدورات تؤهل المعلمين وصف الضباط للترفيع لمختلف الرتب من رتبة عريف حتى مساعد أول.

قسم مساعدات التعليم (من أقسام مدرسة المدرعات الهامة) مهمته: يقوم هذا القسم بإعداد وتجهيز وسائل فعالة لتقديم كافة المساعدات للتدريب من:

آ - نماذج حقيقية - ب - نماذج مبتكرة - جـ - صندوق رمل - د - لوحات - هـ - خرائط - و - إيضاحات مصوّرة - ز - سينما وأفلام تدريبية - ح - صور منزلقة الخ...

إن المدرسة غنية بالأبنية وكذلك وسائل الإيضاح غناء يشبه الإسراف كما وتعتبر

اليد اليمنى لآمر السلاح بحيث يعتمد عليها لإعداد جهاز التدريب الخاص بوحداته لِذا لَها أفضلية مطلقة في طلباتها.

إن مستوى ثقافة المدربين في المدرسة عالٍ وحَسَنٌ جداً ومنهم من اتبع دورات في فرنسا وأنكلترا وأميركا. ونظراً لما للمدرسة من إمكانيات واسعة فإن الطالب يحصل دوماً على أكبر فائدة ممكنة في كلا الناحيتين النظرية والعلمية.

هذه الرحلة كانت ممتعة ومفيدة. تبين لنا أن الجيش المصري استفاد من الخبرات التي مرّت عليه وبصورة خاصة من الحرب العالمية الثانية. وقد أعاد تشكيل قطعاته على أسلوب علمي حديث وبدأ بالمدربين بعد انتقائهم بصورة دقيقة من ذوي الإمكانيات يتبعون دورات في الخارج ثم يعودون لتطبيقها في الجيش المصري.

إنّ الكفاءة هي التي تحدد المكان الذي يشغله الضباط. إن القيادة في الجيش لا تفرّق بين ضابط وآخر إلاّ بالعمل ولا يوجد شفاعات أو نزوات خاصة عند القادة لتقريب أو إبعاد من يشاؤون.

بالإضافة إلى برنامج زيارة القطعات والمدارس التي كانت تتم أثناء الدوام - رافقه برنامج مفصّل لزيارة معالم القاهرة والضواحي بعد الدوام.

الأماكن التي زرناها هي:

- قصر عابدين: أحد القصور الملكية سابقاً وهو الآن تابع للآثار وفيه من التحف والبذخ الشيء الكثير.

- حديقة الحيوان: وفيها كلّ أنواع الحيوانات المفترسة ضمن أقفاص وغيرها من الحيوانات.

أهرامات الجيزة: دخلنا إلى الهرم الأكبر حيث اكتشف ممر في داخله يؤدي إلى غرفة في وسطه تحوي ضريح «خوفو».

- نادي الجزيرة - المتحف الحربي - ومنطقة القلعة.

- مديرية التحرير - المتحف المصري - القناطر الخيرية.

- وضع الجيش والوضع السياسي -

في النصف الأول من عام /١٩٥٦/ كان الجيش السوري بكلّ أسلحته قد وصل إلى أوج قوته تدريباً وتسليحاً بعد أن اكتمل تدريب قطعاته تعبوياً على السلاح الحديث المستورد من الاتحاد السوفييتي. ولم يسبق له أن وصل إلى هذه الدرجة من القوة والاستعداد.

استغنى عن السلاح القديم الذي كان يقدمه الغرب وهو بمجمله فرنسي وبعض المصفحات الإنكليزية والطائرات الأمريكية. خرجنا من دائرة تحكّم الغرب الذي كان يقوم بتوريد السلاح والذخيرة وقطع الغيار حسب مزاجه وبالوقت الذي يشاء وهو يحدد الكميات التي يعطيها. كان يحدث كثيراً وجود طائرات لا يمكنها العمل بسبب فقدان قطع الغيار أو أسلحة بدون ذخيرة.

من الناحية الانضباطية سيطرت الأركان على الجيش وابتعد ضباطه عن السياسة وانصرفوا إلى التدريب. أما المخالفات التي كان يقوم بها بعضهم بتشجيع من السياسيين كانت فردية ومحدودة أمكن القضاء عليها قبل انتشارها.

الوضع السياسي

أما من الناحية السياسية فقد بقيت أوضاع الوزارات غير مستقرة. صعوبة في تشكيل الوزارة، وسرعة إسقاطها. منذ عهد الرئيس «الأتاسي» كان الرئيس «القوتلي» يدعو السياسيين إلى الاتفاق على سياسة متفق عليها. وأخيراً اتفق كلّ من حزب الشعب - والحزب الوطني - وحزب البعث - والكتلة الديمقراطية يرأسها السيد «خالد العظم» - الكتلة الدستورية يرأسها الدكتور «منير العجلاني» على ميثاق قومي هذه مقدمته:

الميثاق القومي

اجتمع ممثلو الأحزاب والكتل النيابية وتدارسوا أوضاع البلاد الخارجية والداخلية والظروف الدقيقة التي تكتنفها وما يحيط بها من خطر داهم فرأوا أن الواجب القومي والمصلحة الوطنية تفرض عليهم الاتفاق على هذا الميثاق.

- في السياسة الخارجية
- في سياسة الدفاع
- في السياسة الداخلية

وبعد كلّ من هذه العناوين والتفاصيل الدقيقة المتفق عليها. وضمن الشروط تمكّن الأستاذ «صبري العسلي» من تشكيل وزارة وحدة وطنية بتاريخ / ١٤/ حزيران / ١٩٥٦/ اشترك فيها الأحزاب والكتل الموقعة على الميثاق:

- «صبري العسلي»	رئيساً لمجلس الوزراء ووزير المالية	الحزب الوطني
- «محمد العايش»	وزير دولة	الكتلة الديمقراطية
- «مجد الدين الجابري»	وزيراً للأشغال العامة والمواصلات	الحزب الوطني
- «عبد الباقي نظام الدين»	وزيراً للصحة والإسعاف العام	الكتلة الديمقراطية
- «أحمد قنبر»	وزيراً للداخلية	حزب الشعب
- «عبد الوهاب حومد»	وزيراً للمعارف	حزب الشعب
- «رشاد جبري»	وزيراً للزراعة	حزب الشعب
- «مصطفى الزرقا»	وزيراً للعدل	الكتلة الدستورية

- «صلاح الدين البيطار»	وزيراً للخارجية	حزب البعث
- «خليل كلاس»	وزيراً للاقتصاد الوطني	حزب البعث
- «عبد الحسيب رسلان»	وزيراً للدفاع	الكتلة الدستورية

- استقالة رئيس الأركان -

السبت /٧/ تموز /١٩٥٦/

في الساعة /١٨،٠٠/ حضرتُ اجتماع مجلس الدفاع. عند انتهاء الاجتماع الساعة /٢١،٠٠/ سألني رئيس المجلس الزعيم «توفيق نظام الدين» وقد كان معاوناً لرئيس الأركان. تساءل ألم تعلم؟ لقد استقال الزعيم «شقير» رئيس الأركان. سألته: متى استقال ولماذا؟ أجاب: أتى لمقابلته الزعيم «طالب الداغستاني» حوالي الساعة الحادية عشرة. وبقي عنده فترة من الوقت وبعد ذهابه كتبَ الزعيم «شقير» استقالته وأرسلها إلى الوزير وترك الأركان إلى منزله ولا أعلم لماذا؟!.

هذا جواب معاون رئيس الأركان. لم يكلّف نفسه السؤال عن أسباب استقالة رئيسه المباشر وهو بحكم وظيفته أقرب المقربين إليه، أم أنه يعرف الأسباب! ومقابلة «الداغستاني» مخطط لها من قبل عسكريين ومدنيين.

الزعيم «طالب الداغستاني» كان مرافقاً للرئيس «شكري القوتلي» رئيس الجمهورية أثناء ولايته الأولى. وزير الدفاع السيد «عبد الحسيب رسلان» من الكتلة الدستورية، ورئيس مجلس الوزراء الأستاذ «صبري العسلي» من الحزب الوطني. ووزارة الوحدة الوطنية تضمّ كل الأحزاب والكتل في المجلس النيابي.

ذهبتُ فوراً إلى منزل الزعيم «شقير»، وأنا أصعد الدرج قابلتُ الأستاذ «أكرم الحوراني» نازلاً ووجدت... أخبرني أن الزعيم «شقير» يصرُّ على الاستقالة. تابعتُ وجدتُ الزعيم بمفرده في صالون الاستقبال.

سألته عن الأسباب التي دعته إلى الاستقالة؟. أجاب: إنّي أتحمّل المسؤولية السياسية والعسكرية وحدي. رجال السياسة يتناحرون ويتدخلون في شؤون الجيش وأنا لا أنام الليل لأتحاشى المؤامرات الداخلية والدولية.

قلتُ: تعيينك رئيساً للأركان بعد ذهاب «الشيشكلي» يشبه الإنتخاب. لا يحقّ لك أن تستقيل دون أن تُعلم الضباط الذين انتخبوك عن الأسباب حتى نتدارس الأمر ونشارك في القرار. قال: قدّمت الاستقالة وانتهى الأمر.

أجبته: أنا أتكفل بسحب الاستقالة. سأل: كيف ستتصرّف وما هو الأسلوب الذي ستتبعه؟. أجبت: أتلفن إلى القصر الجمهوري وأطلبُ عدمَ قبول الاستقالة.

لم يوافق على ذلك وقال: لقد قدّمت استقالتي بمحض إرادتي وأترك رئاسة الأركان مرتاح الضمير لما قمتُ به حتى الآن ثم لوجود وزارة وحدة وطنية بموجب ميثاق خطي. منهاج العمل متفق عليه يمثّل كلّ الاتجاهات السياسية ويحدث للمرّة الأولى في تاريخ سوريا.

لم أتهرّب من المسؤولية. وهذا أنسبَ ظرف لا أرغب أن يتدخل الضباط من أجل بقائي في الخدمة. وهذا ما نفذته حتى الآن إبعاد الجيش عن السياسة. أستغل الفرصة السانحة لأنسحب ومصير الوطن بأيدٍ أمينة. وسأغادر سوريا إلى لبنان فور معرفتي بقبول الاستقالة.

عند هذا الحد دعا المقدم «عبد الحميد السراج» لينضمّ إلينا وكان في غرفة ثانية حتى لا يحضر اجتماعه مع السياسيين، وقال: أنتَ و «عبد الحميد» متفقان في الرأي بعدم الاستقالة. أمضينا فترة بسيطة علّق خلالها المقدم «السرّاج» على أن الاستقالة في غير محلّها. بقي الزعيم «شقير» على إصراره ودّعته وانصرفت.

في نشرة أخبار الساعة / ٢٣،٠٠/ قُبِلَت استقالة الزعيم «شقير»!. وفور سماعه النبأ ذهب إلى لبنان.

رئيس أركان الجيش يقدم استقالته بعد الظهر يَبُتُّ بها وزير الدفاع ومجلس الوزراء

ورئيس الجمهورية خلال ساعات!؟.

هذا انقلاب اتفق عليه السياسيون جميعهم بمعرفة بعض العسكريين الذين لهم مصلحة بذلك ولكلّ فئة هدفها الخاص!.

بعد ذهاب الزعيم «شقير». كلّ فئة علّقت أملها على استمالة عدد من الضباط وتتخلص من سيطرة القيادة وتنفذ مخططها:

- الحزب الوطني وبعض المستقلين: المحافظة والاستمرار على الوضع الراهن في ظلّ حكم الرئيس «القوتلي».

- حزب الشعب والكتلة الدستورية: الالتحاق بالعراق حتى ولو كان الثمن التضحية بالجمهورية في سبيل العرش!.

- حزب البعث العربي الاشتراكي والكتلة الديمقراطية ترغبان تطوير الحكم إلى الأفضل. والقضاء على سياسة الطبقة المحافظة، ولكنها غير قادرة على تحقيق ذلك بوسائلها الخاصة وبالانتخابات. لم تتمكن من الاستعانة بالضباط الحزبيين لأن قيادة الجيش مسيطرة ولا تسمح بذلك.

هؤلاء الأحزاب والكتل يشكلون المجلس النيابي. وكلهم ممثلون في حكومة الوحدة الوطنية جميعهم سعوا أو باركوا قبول استقالة الزعيم «شقير».

أما الذين قاموا بالدور البارز هم حسب تسلسل أدوارهم. الزعيم «طالب الداغستاني» بلّغ الرسالة إلى الزعيم «شقير» وهو ينطق باسم رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء. ووزير الدفاع السيد «عبد الحسيب رسلان» وهو يمثّل الكتلة الدستورية ولها ذات أهداف حزب الشعب وقد تبنّى قبول الاستقالة وبتّ فيها مع رئيس مجلس الوزراء وعلى قمتهم جميعاً رئيس الجمهورية.

إن هؤلاء جميعاً فضلوا مصلحتهم الخاصة على الصالح العام.

نفّذوا مخططاتهم ولم يستيقظ ضميرهم رغم أنهم يعلمون أن الزعيم «شقير» وكبار

ضباط الجيش الذين يتحملون المسؤولية آنذاك كانوا السبب في عودة الحكم الشرعي المدني الدستوري والقضاء على الحكم العسكري الدكتاتوري أكثر من مرّة!.

إن الزعيم «شقير» عقد الآمال على عودة الرئيس «القوتلي» قائلاً: إذا كان بإمكانه السير في البلاد إلى الأفضل فليفعل وينقذها من الفوضى التي استمرت أكثر من خمس سنوات. ولم تتحقق أمنياته؟.

أتت البادرة من رئيس الأركان. ذهب إلى المطار على رأس وفد عسكري من كبار الضباط لاستقبال الرئيس «القوتلي» العائد من الخارج.

حاول بعض الضباط الحزبيين انتقاد هذا العمل. أقنعتهم القيادة أن الجيش لا يشتغل في السياسة وتمنعهم من ذلك. وإن استقبال رئيس سابق يدّل على الحياد الذي ينتهجه الجيش وليس أكثر.

الزعيم «شقير» لا ينتمي إلى حزب سياسي. كان تفكيره مع التقدميين أي مع حزب البعث العربي الاشتراكي دون أن يمكنهم من استغلال ضباط الجيش وهو ضد الوحدة مع العراق لأنها مشروطة بعرش جديد وتدخل إنكليزي بسبب المعاهدة العراقية البريطانية وتخطيط أمريكي، وبعض سياسي العراق والوصي يتبعون سياسة الاستعمار وهذا أيضاً ضد رغبة حزب الشعب والحزب الوطني والكتلة الدستورية.

إنّ استقالته تفسح المجال أمام ضباط يتعاطفون مع الكتلة الديمقراطية لإستلام المسؤلية في الجيش.

إنّ الزعيم «شقير» هو الوحيد بين رؤساء أركان الجيش السوري الذي يترك مركزه الرفيع مقدماً استقالته. وبالإضافة إلى مواقفه القومية عمل على تقوية الجيش السوري وإبعاده عن السياسة وإعادة الانضباط إلى صفوفه وتدريبه وتسليحه تسليحاً عصرياً وصل إلى درجة من حيث القوة والتنظيم والعدد لم يصلها من قبل.

سألتُهُ مرة: لماذا لم ترفّع إلى رتبة لواء وأنت تشغل أعلى مركز في الجيش وتفسح المجال أمام باقي الضباط للترفيع خصوصاً وأنت ضمن شروط الترفيع؟.

أجاب: لقد عرضَ عليّ الأستاذ «سعيد الغزي» رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع ورفضته لأنني أرغب أن أعطي المثل بنفسي لضباط الجيش بنكران الذات! . هذا الضابط الكبير يترك الخدمة دون أن يوجّه إليه كلمة شكر اعترافاً بالخدمات الجليلة التي أداها لوطنه وأمته!! ويغادر حتى دون حفلة تكريم!؟.

كيف وصل الزعيم الركن«شوكت شقير» إلى هذا المركز الهام

إنّ الزعيم «شوكت شقير» كان معروفاً في الوسط العربي وقد مثّل لبنان في قيادة قوى الانقاذ. قال عنه الفريق «طه الهاشمي» مفتش قوى الانقاذ إلى رياض الصلح رئيس وزراء لبنان: ((إن شوكت ضابط قدير ووطني وهو مفخرة)) من مذكرات «طه الهاشمي» الجزء الثاني - صفحة /٢٢٨/ .

كذلك فالقيادة المصرية تعرف عنه الشيء الكثير.

ومن مواقفه القومية:

- عندما تمّ تسليح الجيش السوري بالسلاح الروسي الحديث سعى ونفّذ إرسال الأسلحة الفرنسية بكاملها التي كان يستخدمها الجيش إلى إخواننا الثوار في الجزائر من بنادق ورشيشات ثقيلة وهاون ومدفعية مع كامل ذخيرتها وقطع الغيار.

إنّ ميزة هذه الهديّة بأن أبناء الجزائر يتقنون استخدامها نظراً لخدمتهم في الجيش الفرنسي مما ساعد على تحقيق النصر للثورة الجزائرية.

- انتسب الطالب «شوكت شقير» اللبناني الجنسية إلى الكلية العسكرية في حمص عام /١٩٣٠/ عندما كانت هذه الكلية تابعة لقوات الشرق الخاصة لكلّ من سوريا ولبنان. وبقيت كذلك حتى جلاء الفرنسيين وكان الضباط جميعهم يخدمون في كلا البلدين.

- تخرّج عام /١٩٣٢/ برتبة ملازم وهو من دورة الملازم «أديب الشيشكلي». تابع خدمته في لبنان. تخرّج من مدرسة الأركان في فرنسا. وعمل في قيادة مديرية قطعات الشرق الخاصة وهي مشتركة بين سوريا ولبنان.

وعندما شكلت القيادة العربية المشتركة لقوى الإنقاذ، وفيما بعد للجيوش العربية، مثّل لبنان في هذه القيادة المقدم الركن «شوكت شقير» وكان مجال عمله يشمل الجبهة في سوريا ولبنان.

كان القائد العام لقوى الإنقاذ الفريق «إسماعيل صفوت» والمفتش الفريق «طه الهاشمي».

سنحت الفرصة لرئيس أركان الجيش السوري الزعيم «حسني الزعيم» التعرف على الضابط الشاب المقدم «شقير» وكان ناجحاً في عمله. أعجب بصفاته وإمكانياته العسكرية - شجاعته - وجرأته.

عندما صُفيت قوى الإنقاذ طلب منه «الزعيم» أن يستقيل من الجيش اللبناني ويأتي إلى الجيش السوري ويأخذ الجنسية السورية ويكون له نفس الحقوق ويتحمّل نفس الواجبات كرفاقه ضباط هذا الجيش.

أغرى هذا العرض المقدم الركن «شوكت شقير» نظراً لأن إمكانيات الجيش السوري أفضل من إمكانيات الجيش اللبناني حيث المجال أوسع ويتمكن من إعطاء مردود أكبر في خدمة العروبة.

قدّم استقالته من الجيش اللبناني متنازلاً عن جميع حقوقه. وقدِمَ إلى سوريا حسب الاتفاق حيث حصل على الجنسية السورية ودخل في الجيش برتبته وراتبه.

منذ وصوله عُيّن المقدم الركن «شوكت شقير» معاوناً إدارياً لرئيس أركان الجيش السوري وقام بعمله خير قيام. - نُقِلَ قائداً للمنطقة الوسطى.

ترقّع لرتبة عقيد ثم لرتبة زعيم بتاريخ /١/٧/١٩٥٣/ بعد مرور المدة المؤهّلة للترفيع مع رفاقه في الجيش السوري.

في /١٠/٧/١٩٥٣/ عُيّن الزعيم «شوكت شقير» رئيساً لأركان الجيش السوري من قبل الزعيم رئيس الدولة «أديب الشيشكلي» وبقي بهذه الوظيفة حتى استقالته.

تعيين الزعيم «توفيق نظام الدين» رئيساً للأركان العامة

في اليوم التالي بعد استقالة الزعيم «شقير» صدر الأمر بتعيين الزعيم «توفيق نظام الدين» رئيساً لأركان الجيش السوري. وهو ضابط لم يستلم قيادة فوج ولا سرية أثناء العمليات. بل تخصص في المحاسبة وهو زعيم معتمد كان يشغل مدير محاسبة الإدارة حتى عام /١٩٤٩/ قبل تعيينه معاوناً لرئيس الأركان.

كما عُيّنَ الزعيم «عزيز عبد الكريم» معاوناً لرئيس الأركان وهو من ضباط المدفعية البارزين قاد فوج مدفعية أثناء عمليات /١٩٤٨/ ثم سلاح المدفعية فيما بعد.

منذ تعيين «الزعيم» توفيق نظام الدين» رئيساً للأركان توقف العمل الجماعي عن طريق مجلس الدفاع ولم يعد يدعى للاجتماع. أُهمِلَ الاتصال مع آمر سلاح المدرعات ولم أعد أطلع على أمور الجيش وأمنه إلا من الصحف والإذاعات.

اكتشاف المؤامرة الأولى لإسقاط الحكم

خلال تشرين الأول /١٩٥٦/ أعلنت رئاسة الأركان عن اكتشاف مؤامرة وألقي القبض على بعض النواب وغيرهم من المشتركين الذين بقوا في سورية بعد أن رفعت الحصانة عن النواب. كان أكثر المسؤولين الذين خططوا لهذه المؤامرة قد غادروا سوريا إلى الخارج. وقد أحيلوا جميعاً إلى القضاء وأذيعت ونشرت هذه التفاصيل.

خلال الصيف الماضي عقد اجتماع في بيروت حضره «أديب الشيشكلي» وبعض رجال السياسة من سوريا ومنهم وزراء سابقون ونواب وغيرهم وضباط دخلوا على الشبكة بمعرفة الشعبة الثانية وضباط مسرحون تحت إشراف مسؤولين عراقيين وبتوجيه من أميركا وبريطانيا.

قرروا غزو سوريا وإسقاط الحكم الحالي واستلامه من قبل المتآمرين السوريين ثم طلبْ تدخّل العراق. وحددوا ما يلزم ذلك من مال وسلاح على أن يقدّم من أميركا

والعراق.

تقضي الخطة أيضاً بالإضافة إلى تحضير المتطوعين الذين يتسللون إلى دمشق لتنفيذها. قيام تمرّد في محافظتي اللاذقية والسويداء.

خلال شهر تشرين الأول وصلت شحنات من الأسلحة إلى محافظة السويداء من العراق عن طريق البادية السورية باسم الأمير «حسن الأطرش» و «هايل السرور». استلمها على حدود المحافظة «شكيب وهاب» و «فارس دويعر». تمَّ اكتشافها ومصادرتها من قبل قوى الأمن التي تابعت تحرّك هذه الشحنة المتفق عليها في بيروت.

كان مقرراً أن يبدأ تنفيذ المؤامرة عندما يُشنّ الهجوم على مصر من قبل إسرائيل - وبريطانيا - وفرنسا - كما هو مخطط من قبل بريطانيا.

الهجوم الثلاثي على مصر (إسرائيل - بريطانيا - فرنسا)

الاثنين /٢٩/ تشرين الأول /١٩٥٦/ بعد الظهر هاجم الجيش الإسرائيلي مصِرَ مِنْ صحراء سيناء ومن عدة محاور. استولى على مخافر المراقبة الحدودية مطوقاً قطاع غزة الذي لم يكن فيه قوة من الجيش بل مجاهدون محليون.

وعندما وصل إلى مراكز الدفاع المصرية لم يتمكّن من اختراقها خلال يومين. قاوم الدفاع المصري رغم كثرة عدد القوات المهاجمة.

أثبت الطيران المصري تفوقه على طيران العدو وسيطر على ساحة المعركة وأسقط بعض الطائرات وقصف أهدافاً في عمق إسرائيل.

منذ بدء الهجوم طلبت القيادة السورية والأردنية الهجوم من مواقعها على إسرائيل وأعادت الطلب!.

منعتهما القيادة العامة من التدخل وأعادت تأكيد المنع.

عندما كانت القيادة المصرية تحشد وتحضّر لدخول الجيش إلى سيناء من غرب

القناة. أكتُشفت المؤامرة. مساء /٣١/١٠/ دخل الطيران البريطاني والفرنسي المعركة وكانت م.دمة لدخول جيوشهما وقطع الطريق على الجيش المصري والقضاء عليه في سيناء وإعادة احتلال مصر. وكانت طائرات بريطانية قد أغارت على أهداف في القاهرة.

غيّرت القيادة المصرية خطتها. أعطت الأوامر إلى قطعاتها في سيناء بالانسحاب. وإتلاف العتاد الذي لا يمكن سحبه. ثم الانسحاب في ليل /٣١/١/ وفي ليل /١-٢/ ١١/١٩٥٦/ وهكذا تسلل المدافعون بسبب تدخل الجيوش البريطانية والفرنسية وتمركز الجيش المصري دفاعياً غرب قناة السويس.

إنّ الجيش المصري بمفرده كان متفوقاً على جيش إسرائيل عتاداً وتدريباً ولا يمكن لإسرائيل أن تشنّ هجوماً لولا تواطؤها مع بريطانيا وفرنسا.

نشر قائمة الاتهام بحقّ المتآمرين على الحكم في سوريا

السبت /٢٤/ كانون لأول/١٩٥٦/

نشرت قائمة الاتهام وتضم /٤٧/ متهماً منهم الذين اشتركوا في اجتماعات بيروت وهم /٢٤/ سورياً و /٣/ ثلاثة عراقيين.

هذه أسماؤهم: «عدنان الأتاسي» - «منير العجلاني» - «سامي كبارة» - «عدنان العائدي» - «مخائيل اليان» - «صبحي العمري» «هايل سرور» - «حسن الأطرش» - «فيصل العسلي» - «فرزت المملوك» - «محمد سليمان الأحمد» - «نوري بن مهيد» - «عدنان العجلاني» - «فضل الله جربوع» - «حامد منصور» - «جورج عبد المسيح» - «وديع الشيشكلي». ومن الضباط المسرحين «أديب الشيشكلي» - «صلاح الشيشكلي» - «محمد معروف» - «محمد صفا» - «حسين الحكيم» - «عبدو وهبه» - «عز الدين الجراح» - «برهان باش أعيان» وزير خارجية العراق - الزعيم «غازي الداغستاني» رئيس المخابرات العراقية - والعقيد «صالح مهدي السامرائي» الملحق العسكري العراقي في لبنان - أحيلوا إلى القضاء وبدأ التحقيق معهم.

عندما نشرت قائمة الاتهام وتبين اشتراك أعضاء من حزب الشعب ورئيس الكتلة

الدستورية وبعض أعضائها. و«مخائيل اليان» من الحزب الوطني ولكنه اعتبر منشقاً وكثير غيرهم.

طلب النواب رسمياً من رئيس الوزراء إبعاد أعضاء الوزارة من حزب الشعب والكتلة الدستورية لاشتراكهما في المؤامرة.

قدّم الأستاذ «صبري العسلي» استقالة وزارة الوحدة الوطنية. وفي /٣١/ ١٢/ ١٩٥٦/ صدرت مراسيم تشكيل وزارة ائتلافية أبعد عنها حزب الشعب والكتلة الدستورية.

من السادة:

«صبري العسلي»	رئيساً للوزراء وزيراً للداخلية
«خالد العظم»	وزير دولة ووزيراً للدفاع بالوكالة
«هاني السباعي»	وزيراً للمعارف
«حامد الخوجة»	وزيراً للزراعة
«فاخر الكيالي»	وزيراً للأشغال العامة والمواصلات
«مأمون الكزبري»	وزيراً للعدل ووزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية بالوكالة
«أسعد هارون»	وزيراً للصحة والإسعاف العام
«صلاح الدين البيطار»	وزيراً للخارجية
«خليل الكلاس»	وزيراً للاقتصاد الوطني
«أسعد محاسن»	وزيراً للمالية
«صالح عقيل»	وزير دولة

علاقة المؤامرة بإحالة الزعيم «شقير» على التقاعد

كشف ذهاب الزعيم «شقير» المفاجىء الذي لم يكن أداة طيعة في يد أحد تفكك الضباط وتسلل مختلف الأحزاب والفئات السياسية إلى صفوفهم. وسعى فريق منهم للسيطرة على المراكز الحساسة بتخطيط من السياسيين.

تأكد أن عملية إقصاء الزعيم «شوكت شقير» عن رئاسة الأركان مخطط لها من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانية ونفذها السياسيون السوريون الذين يسيرون في ركابهم بالاتفاق مع بعض ضباط الجيش.

إن هذه المؤامرة الخطيرة على سوريا واشتراك هذا العدد الكبير /٤٧/ سبعةٍ وأربعين متهماً الذين أدانهم التحقيق بينهم الوزير والنائب والوجيه وكبار الضباط المسرحين مثل «أديب الشيشكلي» رئيس دولة سابق و «محمد صفا» و «غسان جديد» وغيرهم من ضباط الحزب القومي السوري للاستيلاء على الحكم في سوريا وتصفية خصومهم السياسيين وضباط الجيش المعارضين لهم بتوجيه ودعم الاستعمار ومساعدة العراق المادية والعسكرية.

تُشكّلْ في سوريا حكومة بزعامة «عبد الإله» و «نوري السعيد» لتنفيذ سياسة بريطانيا.

ظهر فيما بعد في محاكمات بغداد على أثر الانقلاب العراقي عام /١٩٥٨/ أن كثيراً من السياسيين والعسكريين لم تذكر أسماؤهم كانوا مشتركين أيضاً ويتقاضون الرواتب من العراق.

إن الذي اكتشف هذه المؤامرة وجنّب البلاد شرورها هو المقدم «عبد الحميد السراج» رئيس الشعبة الثانية.

مؤامرة بريطانيا على مصر وسوريا

من جهة ثانية كانت بريطانيا تخطط للقضاء عى استقلال مصر وسوريا في آن واحد. اتفقت مع فرنسا وإسرائيل على مهاجمة سيناء وإعادة احتلال مصر وقناة السويس.

إن تزامن هاتين المؤامرتين... هدفهما القضاء على استقلال مصر وسوريا وجيوشهما نهائياً.

ومن حسن الحظ أن مصر اكتشفت المؤامرة في الوقت المناسب، وتجنبت الفخ المحضر لها ولجيشها. ومنعت الجيش السوري والجيش الأردني من التدخل وسحبت جيشها من سيناء.

وجّهت بريطانيا إنذاراً إلى مصر أنها ستتدخّل لمنع إسرائيل من الوصول إلى القناة. رفضت مصر الإنذار. كان الطيران البريطاني قد تدخّل فعلاً، وتدخّلت بكل قواها البحرية والجوية والأرضية.

أنزلت قواتها في بورفؤاد وبور سعيد مع القوات الفرنسية وبينما كان الطيران الفرنسي يدعم التقدم الإسرائيلي. كان الطيران البريطاني يواصل غاراته الكثيفة على الأهداف المصرية من مطارات ومعامل وسكك حديدية وجسور وغيرها من قواعده في جزيرة قبرص وحاملات الطائرات في المتوسط.

قدّمت مصر شكوى إلى مجلس الأمن ضد القوات المعتدية إسرائيل وبريطانيا وفرنسا. تدخّل الاتحاد السوفييتي سياسياً بقوة ووجه الرئيس «بولغانين» إنذاراً إلى الحكومة البريطانية وهدد بقصفها بالقنابل الذرية إن لم تسحب قواتها من مصر وكذلك الرئيس «إيزنهاور» رئيس الولايات المتحدة الأمريكية لم يكن على علم بهذا التخطيط ولم يوافق عليه.

فرض مجلس الأمن على القوات الغازية لكل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل العودة

إلى مراكز الانطلاق.

أرسلت قوات دولية لمراقبة التنفيذ وقد تمّ ذلك بسرعة بما أن العملاقين لم يوافقا على هذا الاعتداء. انسحبت الجيوش الغازية وأسدلَ الستار على هذه المؤامرة.

إن من أسباب اشتراك فرنسا بالهجوم على مصر هي المساعدة والدعم التي تقدمه الحكومة المصرية للثورة الجزائرية واستقبال أعضاء حركة التحرير الوطنية. كما فعلت سوريا أيضاً ولم يعرف كيف يكون الاقتصاص من سوريا فيما بعد لو نجح الهجوم على مصر؟.

الترفيع إلى رتبة لواء

في مستهل العام /١٩٥٧/ صدرت لائحة الترفيعات العادية. رفّع إلى رتبة لواء كلّ من الزعيم «توفيق نظام الدين» رئيس الأركان العامة. ومعاون رئيس الأركان الزعيم «عزيز عبد الكريم» - والزعيم «طالب الداغستاني» - والزعيم «أمير شلاش».

فوجئتُ لأني ضمن شروط الترفيع وأشغلُ مكان لواء في سلاح المدرّعات وقمت بخدمات جليلة ولا أزال!. أنشأته وجعلت منه سلاحاً عالي المستوى بتدريبه وانضباطه وجاهزاً للمعركة في أي وقت.

فضلاً عن خدماتي في القضاء على الحكم العسكري مرتين وإعادة الحياة البرلمانية إلى البلاد!.

ومما يذكر أن أياً من الضباط الأربعة الذين رُفّعوا لم يشتركوا في الانقلابات. أما رئيس الأركان ومعاونه فكانا مسرحين أثناء الانقلابين على «حسني الزعيم» و «أديب الشيشكلي» وأُعيدا إلى الخدمة فوراً. وفي المرّة الأخيرة رفعا لرتبة زعيم مثل رفاقهما في الخدمة... اعتباراً من /١/٧/١٩٥٣/ رغم وجودهما خارجها.

أما في الحركة ضد «سامي الحناوي» فقد انسحبا في آخر لحظة دون معرفة الأسباب الحقيقية. رغم أننا كنّا مُتفقين على مبدأ واحد منذ مدة ولم يحاسبا على

استنكافهما.

في أحد الاجتماعات تساءل الوزير «عبد الباقي نظام الدين» لماذا لم ترفّع؟ أجبته: إطرح السؤال على أخيك. وتابع قائلاً: (والله ما معهم حق) كررها أكثر من مرّة. (أخوه هو رئيس الأركان).

كانت صدمةً لي من قبل ضباط أعتبرهم أصدقاء ومدينين لي بمراكزهما السامية في قيادة الجيش أو رتبهما بعد أن أُعيد إلى الخدمة الفعلية مرتين. كان عليهما الاعتراف بفضل من كان السبب في وصولهما إلى مراكزهما ووفاء المعروف بدل الجحود والإساءة.

لم أراجعهما في هذا الموضوع وَسَيّمرُ / ١/ ٧/ ١٩٥٧/ وهما في مكانهما ولم أرفع ثم / ١/ ١/ ١٩٥٨/ ولم أرفع أيضاً وكانا قد أحيلا على التقاعد قبل ذلك وليس مسؤولين عن تأخير ترفيعي هذه المرّة.

نعم أنا أعترف أني قمت بواجبي بالانقلاب على «حسني الزعيم» و «أديب الشيشكلي» وتنحية «سامي الحناوي». تحمّلت المسؤوليات الجسام من أجل إقصاء الحكم العسكري الغاشم وإعادة الحكم الديمقراطي والحريّات إلى الوطن. ورفع الظلم عن الشعب بكامله ومنهم ضباط الجيش المسرحين تعسّفياً!.

لم يبقَ من الذين تعاونت معهم في تنفيذ هذه المهمات الخطيرة أحد. لأنهم كانوا يشتركون بالتنفيذ دون أن يراعوا اتفاق تسليم الحكم إلى المدنيين بل يطمعوا في الاستئثار به بعد إبعادي ثم يسقطهم الجيش.

محاكمة المتهمين بالمؤامرة وصدور الحكم

الثلاثاء / ٨/ كانون الثاني / ١٩٥٧/

شكلت المحكمة العُرفية لمحاكمة المتهمين المتآمرين على سلامة الدولة برئاسة العقيد «عفيف البزري» وجرت جلساتها على مدرّج جامعة دمشق.

بتاريخ /٢٧/ شباط/ صدرت الأحكام العرفية وتقضي بإعدام /١٨/ ثمانية عشر متهماً وأكثريتهم حُكموا غيابياً لوجودهم خارج سوريا وأحكام مختلفة لباقي المتهمين الذين ثبتت إدانتهم حسب الدور الذي قام به كلّ منهم.

لم تنفذ أحكام الإعدام لأن السلطات المختصة لم تصدّقها بل حوّلتها إلى السجن المؤبّد بحق الموقوفين الذين حكموا حضورياً.

وفيما بعد أثناء الوحدة صدر العفو عن كلّ هذه الجرائم.

شراء أرض في مبيا

منذ أواخر /١٩٥٦/ عندما شعرتُ أنّ أمور الجيش تتردّى بسبب عدم كفاءة المسؤولين عن قيادته واتباعهم منهاجاً بعيداً عن العدالة وتقريبهم الأتباع والمحاسيب ونقلهم الكفاءات التي لا ترضخ لسيطرتهم إلاّ ضمن القانون. وعدم دراسة الأمور التي تهم الجيش في مجلس الدفاع العسكري لإيجاد الحلول المناسبة لها. انتشرت الفوضى في الجيش وخارجه.

اقتنعتُ أن طلب إحالتي على التقاعد وارد حتى لا أتحمّل مسؤولية هذه المخالفات الخطيرة وليس بإمكاني إصلاحها. قررتُ شراء قطعة أرض وغرسها والعمل فيها، وأبتعد عن هذا الجو.

كلفتُ الصديق الشيخ «علي العريان» أن يجدَ لي الأرض المناسبة بالقرب من طريق (دمشق - بيروت) بعد ميسلون بحدود خمسة عشر ألف ليرة سورية لأتمكّن من إنشاء مشروع عليها وحفر بئر من أجل الماء وغرس هذه الأرض بالأشجار المثمرة.

في أوائل /١٩٥٧/ عرض عليّ الشيخ «علي» شراء ملكية «جورج نخلة» ثلث مزرعة مبيّا التي تبعد إلى الشمال من قطنا مسافة ثلاثة كيلومترات. قائلاً: هذا أفضل ما وجدت... الثمن: / خمسون ألف ليرة سورية نقدي. وهي تشمل:

أولاً: الأرض المروية مساحتها /٦٤/ دونماً مع حصتها من المياه الجارية، مزروع فيها

عدد من أشجار الزيتون والحور والفواكه كالمشمش والدراق وغيرها. . .

ثانياً: الأرض البعل مساحتها /٣٣٥٠/ دونماً على الشيوع وهي تلال ووديان – الأرض الصالحة للزراعة تعادل الربع تقريباً والباقي يستخدم للرعي.

أحضرتُ خبيراً من جرمانا لإعطاء رأيه ومتابعة تسجيل هذه الأرض باسمي. طلبتُ منه أن يعمل على تخفيض الثمن خمسة آلاف ليرة. وعندما شاهد الأرض لم يوافق على طلبي بالتخفيض وقال: سنأخذها بالمبلغ الذي طلبه. لأن الحور بعد ثماني سنوات تعادل قيمته ضعف ثمن المزرعة أو أكثر قليلاً. لأن المزارع يحسب الثمن كالآتي: كل سنة يزيد ثمن القضيب الواحد ليرة سورية بعد ثماني سنوات يكون ثمن الحور فقط من /١٠٠ – ١٢٠/ ألف ليرة سورية وبعد ثلاث سنوات وكون عندك موسم فواكه وفير بالإضافة إلى الزيتون بعد الاعتناء به.

ليس معي من المبلغ سوى ثمانية عشر ألف ليرة سورية كنت أجمعها لشراء شقة لسكني. دفعت المبلغ الموجود معي لقاء تسجيل البعل على اسمي في السجل العقاري. استلمتُ عليه بعد أيام قرضاً قيمته خمسة عشر ألف ليرة سورية من المصرف الزراعي في قطنا مُقسّطاً على عشر سنوات. وأخذت مثل هذا المبلغ من مصرف السويداء على اسمي واسم أصدقائي لمدة خمس سنوات.

بعد تسديد كامل ثمن الأرض سجّلتُ الأرض السقي والبيت على اسمي. اتفقت مع «حسن صفا» من قلعة جندل ومعه شخص آخر على إدارة المشروع.

في عام /١٩٥٨/ قدّمت بيانات تنفيذاً لقانون الإصلاح الزراعي ولم يشملني لارتفاع سقف الملكية.

تحققت أمنيتي أُحلتُ على التقاعد واشتغلت بالزراعة. في عام /١٩٦٠/ حدث جفاف وقحط عام بسبب قلة الأمطار في سوريا ويَبس كلّ الشجر لعدم إمكان سقايته عدا أشجار الزيتون الذي قاوم الجفاف.

خسرتُ مواسم الغراس المثمرة والحور التي عللنا النفس بالحصول عليها وهكذا انهارت الأحلام التي حسبت. حتى موسم الحبوب لم يعطِ شيئاً، أعطيتُ تعويضاً

للعمال الزراعيين. في عام /١٩٦٣/ صدر تعديل لقانون الإصلاح الزراعي وصودر من ملكيتي ألف وثمانون دونماً.

لم أخسر في هذه الصفقة رغم كلّ هذه العوامل لكن رافقتني صعوبات مادية استمرت مدة طويلة من الزمن سيأتي ذكرها.

وكنا أثناء تدخّلنا في السياسة قبل الوحدة قد عملنا من أجل إصدار بعض القوانين لمصلحة الفلاح والعامل والعدالة الاجتماعية مثل: قانون الضرائب التصاعدية - عدم جواز طرد الفلاحين من العمل تعسّفياً - دفع تعويض العمل للعمال الزراعيين وغيرها.

وأخيراً بسبب شراء هذه الأرض أدرج اسمي مع الإقطاعيين ذوي الملكيات الواسعة الذين شملهم قانون الإصلاح الزراعي.

استلام قيادة منطقة دمشق

بتاريخ /١٥/٣/١٩٥٧/ صدر أمر نقلي من قيادة سلاح المدرعات إلى قيادة منطقة دمشق. أسندت قيادة سلاح المدرعات إلى العقيد «بديع بشور». التحقتُ بمقر عملي الجديد فور انتهاء عملية التسليم.

إن قيادة المنطقة هامة جداً. لكنّ في سوريا ليس لها صلاحيات تذكر لأن الأركان العامة تحتكرها - وهي مكان للمسنين الذين أنهكهم العمل حتى يصلوا إلى سنِّ التقاعد.

ومن الملفت للنظر نقل المقدم «عبد الحميد السراج» الذي اكتشف المؤامرة ضد سلامة الدولة، على نفس اللائحة وغيره من الضباط.

إن معرفتي مع قائد الجيش اللواء «توفيق نظام الدين» قديمة منذ أيام الكلية العسكرية. عند قبولي فيها عام /١٩٣٣/ في السنة الأولى كان هو في السنة الثالثة حيث تخرّج في آخر العام الدراسي.

وبعد عودته إلى الخدمة بانتهاء عهد «أديب الشيشكلي» عين الزعيم «توفيق نظام الدين» معاوناً لرئيس الأركان، كان لي الرأي الأول في هذا التعيين. باعتباري أقدم ضباط الانقلاب، الذي طالب بتنظيف الأركان من أعوان «الشيشكلي» وكنّا دائماً على وفاق.

عندما استلم رئاسة الأركان سعى إلى تكييفها حسب مصلحته، كما فعل «حسني الزعيم» و «أديب الشيشكلي» لغايةٍ في نفسه.

وكأن قيادة الجيش حقل تجارب لكلّ قائد يستلم هذا المركز الهام! بدلاً من استمرار العمل وبقاء الكفاءات مكانها للاستفادة من خبرتها وعدم النقل إلاّ لأسباب تتعلق بصالح الخدمة.

عندما نقلت إلى سلاح المدرعات في نيسان / ١٩٥٤/ وكتبت التقارير عن الحالة التي كان عليها السلاح (سجّلتُ هنا التقارير التي وجدتُ مسوداتها) وطلبت المساعدة من الأركان لكي نعيد تشكيله وتدريبه. وكنت أخبر القيادة عن الأخطاء ومراحل تطوره. وقد دعمت القيادة وساعدت قيادة السلاح وبذلت الجهود حتى وصل سلاح المدرعات إلى ما هو عليه من كفاءة وانضباط.

كان الزعيم «توفيق نظام الدين» معاوناً لرئيس الأركان واطلع على عملي من خلال التقارير التي رفعتها إلى القيادة.

بدأتُ أشكّ الآن أن إدعاءه المرض عندما قررنا إلقاء القبض على «سامي الحناوي» وإلغاء الزعيم «عزيز» الاجتماع المقرر في بيته برضائه، والتخلّي عن الوعود التي قطعناها إلى العقيد «محمود بنيان» المعرّض للإعدام! إنما هو تغيير جذري لموقفهما.

- هل انضما إلى صفّ «سامي الحناوي»؟ هذا ما أشكّ به والله أعلم!!. وإن نقلي من سلاح المدرعات مخطط لنجاح عمليات الانقلاب التي سيأتي ذكرها.

«تمرد في معسكرات قطنا وتعيين زعماء المتمردين»

رؤساء لشعب الأركان

الأحد / ٢/ حزيران / ١٩٥٧/ في الصباح الباكر جاء إلى منزلي العقيد «نبيه صباغ» وأخبرني أن عدداً من الضباط في معسكرات قطنا أعلنوا العصيان مع قطعاتهم على القيادة. وأنهم يرغبون أن أتولّى قيادتهم وكلفوه رسمياً إبلاغي ذلك وهو يرجو مني إجابة طلبهم. أجبته: لا يمكنني قيادة حركة لم أخطط لها بعد قناعتي بأهدافها. قال: إن الأهداف مشروعة وسيطلعوك عليها بالتفصيل وستوافق عليها حتماً. أرجو تأجيل قرارك حتى يتمّ ذلك.

أجبته: لا يمكنني القبول بهذا العرض مطلقاً - وانصرف. ذهبتُ فوراً إلى قيادة المنطقة لأطلع على الوضع - لم نبلّغ رسمياً بشيء. عناصر المنطقة، بعضهم يعلم عن الوضع بصورة خاصة.

عندما حضر رئيس الأركان اللواء «نظام الدين» إلى مكتبه ذهبتُ إليه فوراً وقلتُ له: علمتُ أنه يوجد تمرّد في قطعات معسكرات قطنا وإنّي تحت تصرّفه إذا شاء لحلّ هذا الموضوع كما يرغب!.

أجاب: أبداً لا يوجد شيء والأمور طبيعية. قدّرتُ أن رئيس الأركان لا يرغب إشراكي في الموضوع.

عدتُ إلى قيادة المنطقة، وانتشر خبر العصيان. أتى من أخبرني أن الضباط المتمردين في معسكرات قطنا منعوا دخول سيارات الجنود إليها. والقطعات المتمرّدة مستنفرة مع كامل أفرادها منذ الصباح حتى تحقق رئاسة الأركان مطالبها. وأنا لا أعلم ما هي هذه المطالب؟.

علمتُ أن قطعات موقعي درعا- السويداء هددت بالهجوم على معسكرات قطنا

انتصاراً لرئاسة الأركان.

أرسلَ رئيس الأركان الوفود للمفاوضة وإنهاء التمرّد في معسكرات قطنا ومنع باقي القطعات من التدخّل. حوالي الظهر حضر وفد لعرض شروط المتمردين على رئيس الأركان برئاسة العقيد «عفيف البزري» وعضوية كلٍّ من المقدمين «عبد الحميد السراج» و «أمين النفوري» و «مصطفى حمدون».

لا أعلم إِن كان العقيد «البزري» معهم منذ بدء الحركة وتحضيرها أم أنه انضمّ إليهم واستلم القيادة التي عرضت عليّ ورفضتها.

علمت فيما بعد أن أسباب الخلاف تعود إلى تنقلات بعض الضباط لم ينفذوها من القطعات المتمرّدة إلى خارج البلاد كملحقين عسكريين منهم العقيد «نبيه الصباغ» والمقدمون «عبد الحميد السراج» و «أمين النفوري» و «مصطفى حمدون» وغيرهم. ليحلّ محلهم ضباط من الحاشية.

وأخيراً سويَ الأمر بالتفاوض وحلّ الضباط الأربعة في شعب الأركان ووزعت وظائفهم كما يلي:

بقي اللواء «نظام الدين» رئيساً للأركان ومعاونه في قيادتيهما واستلم العقيد «عفيف البزري» رئاسة الشعبة الأولى – وعاد المقدم «عبد الحميد السراج» لاستلام الشعبة الثانية – والمقدم «أمين النفوري» استلم الشعبة الثالثة والمقدم «مصطفى حمدون» استلم الشعبة الرابعة بدلاً من الذين كانوا يشغلون هذه المراكز من أعوان «نظام الدين» وبذلك تمكنوا من مراقبة رئيس الأركان ومنع التصرف غير المشروع وألغيت كل التنقلات التي كانت قد صدرت.

ولكن هل هذه هي الأسباب الحقيقية كلها أم أن العقيد «البزري» يشك في صلة رئيس الأركان أثناء المحاكمة التي أجراها في المؤامرة ولو تلميحاً والشك دائماً لصالح المتهم كما تقضي العدالة حتى لا يدان بريء.

وعودة المقدم «سرّاج» إلى الشعبة الثانية ولم يغب عنها سوى /٤٧/ يوماً. ولماذا

كان يقصد نقله إلى الخارج؟ الأيام ستجيب عن كلّ هذه الأمور.

إن عمل الأركان ليس بريئاً وضد مصلحة الجيش والوطن. تمرّد ضباط معسكرات قطنا وشقّ عصا الطاعة لا ينطبق عليه القانون العسكري. وهذه مواقع درعا والسويداء تعلن دعمها للأركان ولا نعلم موقف باقي المناطق والمواقع. إنها فوضى.

أما أنا فقد بقيت على الحياد. رفضتُ استلام قيادة التمرّد. ورفض رئيس الأركان عرضي القيام بالمساعي الحميدة وكتم عني خبر التمرّد ولم يصارحني.

لستُ نادماً على موقفي هذا نظراً لأن كل الأمور ليست واضحة بل غامضة وأكثر غايتها شخصية.

«محاولة الانقلاب الثاني تحضّره الولايات المتحدة»

بقيادة «الشيشكلي»

استمرت الولايات المتحدة الأمريكية تتابع تحضير المؤامرات والانقلابات. وترغب أن تسير كل دول العالم حسب مشيئتها. ولا يكفيها السيطرة الاقتصادية والمالية على الأسواق العالمية وفرض الدولار على التجارة الخارجية. وسيطرتها شبه المطلقة على منظمة الأمم المتحدة. بل تتدخّل في الشؤون الداخلية لكل دولة. وتفرض عليها الحصار الاقتصادي وتمنع عنها السلاح لحماية نفسها، وتحرّض على الثورات الداخلية، والهجوم المسلّح من الدول المجاورة حتى يتمّ لها تشكيل حكومة من أتباعها يبيعون الوطن بالمال. وتسيطر على سياستها كليّاً وتضيفها إلى الدول التابعة لها.

ولم يكفها السيطرة على مقدرات سوريا عندما أوصلت «حسني الزعيم» إلى الحكم وسيرته في ركابها لتنفيذ رغباتها. وقد أوشكت أن تصل عن طريقه إلى غاياتها. ثم دعمها «أديب الشيشكلي» لاستلام الحكم واتباع سياستها.

كانت آخر مؤامراتها التي اكتشفت عام /١٩٥٦/ وثبوت تدخلها بحكم قضائي

عادل شمل كثيراً من السياسيين والضباط المسرحين صدر في شباط /١٩٥٧/ .

بالنسبة للدول العربية غرست إسرائيل في فلسطين وزودتها بأحدث الأسلحة من طائرات ودبابات ومدفعية وكل أنواع الأسلحة حتى تُمكّنَها من مهاجمة كل الدول العربية مجتمعة أو الوقوف أمامها. تحميها في الأمم المتحدة رغم مخالفاتها الكثيرة!.

تستخدم الفيتو ضد أي قرار يدينها أو يفرض العقوبات الاقتصادية عليها. ساءها أن تتمكن سوريا من كسر طوق استيراد السلاح الحديث لحماية نفسها وفك الحصار الاقتصادي.

وقد اتجهت نحو الاتحاد السوفييتي لهذه الغاية. عقدت الاتفاقات لتنسيق التبادل التجاري والحصول على القروض والمساعدات الفنية لكي تتمكن من إقامة المشاريع الإنمائية: كالسدود المائية، والسكك الحديدية، والتنقيب عن المعادن.

جرى كل ذلك بعد أن وصلت سوريا إلى الطريق المسدود مع الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا.

حرّضت الولايات المتحدة جيران سوريا: إسرائيل - تركيا - العراق - لبنان - الأردن - السعودية. بدعوى أن سورية أصبحت شيوعية وخطراً يهدد الأمن في هذه الدول يجب القضاء عليها قبل أن يستفحل خطرها.

كيف تمّ التحضير لمحاولة الانقلاب

أعطاني هذه المعلومات العقيد «خطار حمزه» آمر أحد الألوية الذي كان مكلفاً من قبل الشعبة الثانية في الأركان للانخراط في التنظيم والكشف عن المؤامرة.

من أجل التحضير للانقلاب في سوريا نقلت الولايات المتحدة الأمريكية إلى سفارتها في دمشق خبير الانقلابات «هوارد ستون» كسكرتير ثانٍ وكان قد نجح في تنفيذ انقلاب إيران ضد «مصدق» وانقلاب غواتيمالا وغيرها.

وُضِعَ المال الوفير تحت تصرّفه وتعاون معه الملحق العسكري «روبرت مالوي» ونائب القنصل «فرانسيس جيتون» ومنازل موظفي السفارة والسيارات الرسمية للاجتماعات والتنقل تحت تصرفه.

جرت اجتماعات عديدة مع عملائهم في الجيش وكلفوا هؤلاء بالاتصال برفاقهم الذين يثقون بهم. أحياناً كانوا يعينون من يجب الاتصال به لأنهم يعرفون كل ضباط الجيش وميولهم. ومع ذلك خاب ظنهم. أخبر الضباط الشرفاء الشعبة الثانية بالأمر وقد أوعزت إليهم بمتابعة المهمة وأوصت بإدخال غيرهم من الضباط على الشبكة.

كانت الاجتماعات تجري في مكان ما مع الملحق العسكري في إحدى السيارات مرة أو مرتين يقابل بعدها «ستون» حيث يبحث الوضع السياسي والعسكري ثم وضع الضابط الخاص ومن يتعاون معه من الضباط وصف الضباط والمهمة التي يمكنه تنفيذها وعندما يتعهد بذلك يُدفع له ولأعوانه المبالغ المتفق عليها.

أُعلم العقيد «خطار حمزة» وهو آمر لواء أن حامية أزرع مؤمنة بقيادة العقيد «عبد الله الشيخ عطية» ومعسكرات قطنا أيضاً وكانت مهمته قطع طريق (حمص - دمشق).

كانت المؤامرة هذه المرّة بقيادة عميل أميركا الأول «أديب الشيشكلي» يعاونه العقيد «إبراهيم الحسيني» حيث كان لا يزال في الخدمة ملحقاً عسكرياً في إيطاليا. كانا قد وصلا إلى سوريا بواسطة سيارات السفارة الدبلوماسية وحلا في منازل موظفي السفارة الأمريكية.

في الاجتماع الأخير في منزل أحد موظفي السفارة في شارع أبو رمانة فوجىء العقيد «خطار حمزة» بالعقيد «إبراهيم الحسيني» كان يعتمر برنيطة قش مع شاربين ولحية مستعارة نزعها عندما اجتمع إليهم. قال «الحسيني»: إنّ أميركا وعدت بإعطاء مساعدات إلى سوريا من /٣٠٠ - ٤٠٠/ مليون دولار لقاء التخلص من الوضع الحالي.

ثم اجتمعوا في مكان آخر مع «أديب الشيشكلي» وعينوا تاريخ التنفيذ ولائحة بالشخصيات العسكرية والمدنية التي يجب اغتيالها في الوقت المناسب. وغادرا المكان

بينما بقي المجتمعون في أماكنهم. خلال ساعة كان «الشيشكلي» و «الحسيني» قد اجتازا الحدود.

عند هذا الحد وخشية من بدء عملية الاغتيالات طلبت السلطات السورية من الولايات المتحدة إبعاد السكرتير الثاني في السفارة «هوارد ستون» والملحق العسكري «روبرت مالوي» ومعاون القنصل «فرانسيس جيتون» إذ أنهم غير مرغوب فيهم في سوريا لتدبيرهم المؤامرات ضد الحكم القائم.

نفّذ الطلب وبالمقابل أبعد من واشنطن السفير السوري الدكتور «فريد زين الدين» وكلّ أعضاء السفارة. ومثلما أعقبت استقالة الزعيم «شوكت شقير» المؤامرة الأولى!.

أعقبت نقلي من سلاح المدرعات المؤامرة الثانية!. التخطيط واحد لنفس الهدف.

«إحالة اللواء «توفيق نظام الدين» على التقاعد» - وتعيين اللواء «عفيف البزري» رئيساً للأركان

نتيجة لهذه المؤامرة أقصيا من مركزيهما وأحيلا على التقاعد اللواء «توفيق نظام الدين» ومعاونه اللواء «عزيز عبد الكريم» وبعض الضباط الكبار.

عُيّن العقيد «عفيف البزري» رئيساً لأركان الجيش السوري بعد ترفيعه إلى رتبة لواء والمقدم «أمين النفوري» معاوناً لرئيس الأركان ورُفّع إلى رتبة زعيم. أي رُفِّع كل منهما رتبتين.

إن تعيين رئيس الأركان تمّ بصورة قانونية من حيث الشكل لأنه جرى من قبل وزير الدفاع ورئيس الجمهورية ولكنه مخالف للقانون إذ يوجد ضباط أعلى رتبة وأقدم خدمة من العقيد «البزري» وبذلك يكون ترفيعه وترفيع معاونه جرى بصورة غير قانونية ومخالف لقانون الجيش. لكنّ السلطة الشرعية وافقت رغم المخالفات!.

إنّ هذه المخالفات كانت قد أوقفت قانوناً عام /١٩٤٩/ بسبب سوء تصرف الزعيم «حسني الزعيم» وتلاعبه بمصير الضباط بعيداً عن الحق والعدالة.

وقد أصبح الترفيع والتسريح يجري بصورة قانونية حسب قانون الجيش. يكون الترفيع عندما يتم الضابط المدة الصغرى وحسب آراء التسلسل يرفع رتبة واحدة فقط.

أما التسريح الاستثنائي يجب أن يكون بموجب حكم تصدره المحكمة العسكرية أو من قبل مجلس تأديبي يعين لهذه الغاية وبعد دراسة التهم الموجهة لهذا الضابط.

لقد عادت المخالفات والتحكم بمصير الوطن والجيش وضباطه من قبل فئة معينة محدودة من الضباط تنفذ رغباتها بالاتفاق مع بعض السياسيين وعن طريق السلطات المدنية وبموافقتها.

منذ تاريخ /٢/ حزيران لم أقابل أي مسؤول في الأركان ولم أدعَ لمقابلة أحد!

لم تعمم أو تدرس الأسباب التي استوجبت هذه التغييرات الهامة في قيادة الجيش.

اكتشاف مؤامرة أميركية (المحاولة الثالثة)

خلال النصف الأول من تشرين الأول /١٩٥٧/ ألقت قوى الأمن القبض في محافظة اللاذقية على بعض أعضاء الحزب القومي السوري المبعدين عن سوريا، الذين وصلوا إلى ساحل اللاذقية وتسللوا إليها بواسطة السلطات التركية.

تبين من التحقيق أنهم الطليعة لغزو تركي كاسح من الشمال والهجوم على سوريا من كلّ الجهات من قبل إسرائيل والعراق والأردن حضّرته الولايات المتحدة الأمريكية.

كانت هذه العناصر وضمنها ضباط وصف ضباط مسرحون من الجيش قد تلقوا تدريباً خاصاً حتى يقوموا بمهمة (الطابور الخامس). عليهم أن يتغلغلوا في كلّ أنحاء سوريا وتجنيد أعوانهم.

عندما يتلقون الإشارة المتفق عليها ينفذون عمليات الاغتيالات والتخريب حسب الخطة المحضّرة المدروسة والمعينة.

أما هدف الهجوم الآساسي فهو إسقاط الحكم القائم في سوريا وإبداله بحكم

عميل. اتخذت القيادة العامة الاحتياطات لحماية الحدود والداخل من كل اعتداء. انتشرت قطعات الجيش على الحدود واحتلّت مواقع القتال. أرسلت القيادة المصرية تعزيزات إلى الحدود الشمالية وبعض قطع الأسطول إلى مرفأ اللاذقية.

تنظيم الدفاع عن العاصمة

استدعي الجيش الشعبي في كلّ أنحاء سوريا واستلم الأسلحة للقيام بواجبه مع الجيش والقوات المسلحة لحماية الوطن.

كانت مهمة قيادة منطقة دمشق تنظيم الدفاع عن العاصمة والضواحي بالتعاون مع أمين العاصمة ومّحافظ لواء دمشق. شملت الدراسة كلّ القرى المحيطة بدمشق وبصورة خاصة الأماكن التي بها المرافق العامة: -مصلحة مياه عين الفيجة (رأس النبع مستودعات المياه) - الإذاعة (الصبورة - دمشق - خرابو) -شركة الكهرباء بكل أقسامها - الطرق - الخطوط الحديدية - الجسور.

بالإضافة إلى الدفاع الجوي الثابت عن العاصمة: قيادة - مطار - دوائر الحكومة - محطة الإذاعة - وضعت بعض الوحدات العسكرية تحت تصرف قيادة المنطقة مع الدرك والشرطة والمقاومة الشعبية.

عُيّن العقيد «صلاح البزري» قائداً للمقاومة الشعبية. افتتحت مكاتب لتسجيل المتطوعين. تتألف المقاومة الشعبية من:

١- المتطوعين من المحالين على التقاعد أو المسرحين (ضباط - صف ضباط - جنود).

٢- الذين أدّوا خدمة العلم ولم يستدعوا للخدمة (كل الفئات).

٣- كلّ من يرغب من المواطنين في أداء هذه الخدمة.

وضع تحت تصرف قائد المقاومة الشعبية عدد من الضباط العاملين وصف الضباط

للإدارة وقيادة القطعات.

وُضع تحت تصرف قائد الدفاع المدني (فتيان وفتيات /٤٥٠٠/ وطلاب /١٥٠٠/).

أسبوع التحصين

الأحد /٢٧/ تشرين الأول/ ١٩٥٧/

كانت اللجان المختصّة قد فرضت يوم عمل على كلّ شخص، أو مبلغ معين من المال للذين لا يمكنهم العمل، بموجب إيصالات رسمية، وسمّي بأسبوع التحصين في أماكن الدفاع المختلفة.

حضر قائد المقاومة الشعبية مكان العمل الرئيسي مع أدوات العمل.

وصل فخامة رئيس الجمهورية السيد «شكري القوتلي» يرافقه رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع - رئيس الأركان العامة - أمين العاصمة - محافظ لواء دمشق - ورؤساء الأحزاب.

كان في استقباله قائد منطقة دمشق وقائد المقاومة الشعبية وجمهور غفير من الوجهاء والتجار والعمال. حيث أدت التحية العسكرية لفخامة الرئيس سريّة من المقاومة الشعبية.

وبعد إلقاء الخطب التوجيهية التي تحث الجماهير على حماية الوطن. افتتح فخامة الرئيس أسبوع التحصين بأول ضربة معول وتبعه المسؤولون وتتابع العمل وحفرت الخنادق وأماكن القتال حتى انتهى كما هو مقرر. ثم أمنت الاتصالات الهاتفية مع قيادات القطاعات.

كانت الروح القومية والمعنويات عالية جداً في سبيل الدفاع عن تراب الوطن وحمايته من كل غاصب.

تعليمات الدفاع عن العاصمة

جرت دراسة تعاون قائد المقاومة الشعبية مع مدير الدفاع المدني - قيادة الدرك - وقيادة الشرطة المدنية.

صدرت الأوامر تعين أسس هذا التعاون.

أقرّ مبدأ تطابق تقسيمات الدفاع المدني على قطاعات الدفاع العسكري.

كيفية مراقبة المشبوهين.

تبقى حراسة مياه عين الفيجة على عاتق القوات النظامية. يجب اليقظة وعدم تمكين أحد من الوصول إليها من أجل تسميمها أو إلقاء بذور الحشرات وجراثيم الأمراض السارية الفورية أو البطيئة.

- جرى التنسيق مع مدير صحة دمشق من أجل التعاون مع هذه السلطات وتوزيع سيارات الإسعاف وإخلاء الجرحى.

- صدرت أوامر تعليمات الإنارة وتبييض المنعطفات.

- جرت تجربة صفارات الإنذار - تحضير المخابىء والإعلام عنها.

تمارين إشعال الحرائق ومكافحة الانفجارات:

أشعلت الحرائق في ثلاثة أماكن لمعرفة ردّ الفعل عند المسؤولين وتصرّف مصلحة الإطفاء.

جرى تفجير في أربعة أماكن مختلفة لدراسة كيفية التحرك للقضاء على مسببيها وتصليح الأخطاء.

الدعاية: طُلِبَ إلى مدير الدعاية والأنباء تحضير الشعب معنوياً ونفسياً بواسطة

الإذاعة والصحافة. الاتصال مع المسؤولين وإعطاء التوجيه اللازم من أجل الخطب في المساجد والكنائس. الاتصال مع المخاتير ورؤساء الأحياء والنقابات وإعطاء التوجيه اللازم لإذاعته بين المواطنين.

الصحة: دُرِسَت إمكانية المستشفيات الحكومية والخاصة في العاصمة والضواحي. شكلت لجنة صحية من مندوب عن: وزارة الصحة - صحة الجيش - الدفاع المدني - لدراسة أوضاع الأدوية في كلِّ المدن السورية وعرض نتيجة أعمالها.

التموين: شُكلِّت لجنة من ممثلين عن: وزارة الاقتصاد - مكتب الحبوب. وزارة الداخلية - أمانة العاصمة - لدراسة وضع المدينة التمويني وبصورة خاصة الحبوب إذا كانت الكميات الموجودة غير كافية - تأمين نقل اللازم إلى دمشق.

المحروقات: جرت الدراسة مع مديري شركتي (سوكوني وأسّو) عن كمية استيعاب مستودعاتها من مواد: (البنزين - المازوت - الكاز) على أن تكون هذه ملأى بصورة دائمة.

صدرت التعليمات أن تكون مستودعات كلّ المعامل ملأى بصورة دائمة.

الأمور المالية من التبرعات: تمّ تشكيل لجنة مالية عليا، تشرف على شؤون الجباية وتحدد الأسس التي يتم بموجبها تحصيل المبالغ من المتبرعين.

تشرف على صرف المبالغ المحصلة بصورة قانونية.

عندما توفرت الأدلّة عن الاعتداء الذي تقوده وتخطط له الولايات المتحدة الأمريكية. وتنفذه كل من تركيا وإسرائيل والعراق وغيرها والتحشدات على الحدود السورية وإرسال المتسللين.

تقدمت سوريا بشكوى إلى الأمم المتحدة.

كان لموقف الاتحاد السوفييتي وإنذاره تركيا بالتدخُل على حدودها الشمالية إن هي حاولت الاعتداء على سوريا.

ثمّ دعم الاتحاد السوفييتي في الأمم المتحدة وبعض الدول العربية ودول عدم الانحياز حال دون وقوع الكارثة.

وأخيراً جرى الحل عن طريق الأمين العام للأمم المتحدة الذي وضع حدّاً لهذه الأزمة الخطيرة وانتهت بسلام.

«رئيس الأركان ومجموعة من الضباط تزور القاهرة»

الاثنين /١٣/كانون الثاني /١٩٥٨/ علمتُ كما علمَ الشعب أن مجموعة من الضباط برئاسة رئيس الأركان اللواء «عفيف البزري» قد غادرت دمشق في اليوم السابق على متن طائرة عسكرية إلى القاهرة للاجتماع مع الرئيس «جمال عبد الناصر» من أجل تحقيق الوحدة.

اشترك في هذه المجموعة مع رئيس الأركان رؤساء شُعب الأركان جميعهم وبعض قادة القطعات المدرّعة بدون معرفة قائد السلاح وغيرهم من الضباط! . تضمّ هذه المجموعة كلاً من: اللواء «عفيف البزري». المقدمون «مصطفى حمدون»، «أحمد عبد الكريم»، «أحمد حنيدي»، «طعمة العودة الله»، «حسين حدة»، «عبد الغني قنوت»، «محمد النسر»، «ياسين فرجاني»، «عبد الله جسومة»، «جادو عزالدين»، «مصطفى رام حمداني»، «أكرم الديري»، «جمال الصوفي». بقي معاون رئيس الأركان الزعيم «أمين النفوري» والمقدم «عبد الحميد السرّاج» في دمشق حيث أعلما وزير الدفاع في اليوم التالي.

اجتمعت الوزارة عندما علمت بالأمر برئاسة رئيس الجمهورية، درست الوضع وقررت إرسال وزير الخارجية السيد «صلاح البيطار» للاشتراك في المباحثات وتوجيهها.

طلب الضباط من الرئيس «عبد الناصر» أن يوافق على الوحدة فوراً. استمرت المباحثات حتى /٢١/١/١٩٥٨/ بالاشتراك مع وزير الخارجية.

عاد الوفد إلى دمشق لعرض المشروع على الحكم في سوريا لأخذ موافقته بينما

يكون الرئيس «عبد الناصر» قد حضّر مشروع دستور الوحدة الموقت وأجّل الاجتماع إلى /٣١/١/١٩٥٨/ .

فرض الرئيس الشروط التالية:

- وحدة اندماجية تامة، مع حكم رئاسي.

- حلّ الأحزاب.

- حلّ مجلس النواب.

- بعد مدة تجرى انتخابات للاتحاد القومي في الإقليمين ويشكل مجلس الأمة للجمهورية العربية المتحدة.

- ابتعاد الجيش عن السياسة وبصورة خاصة الكتلة التي حضرت إلى مصر. كما جرى في مصر حيث شكل الضباط الذين نفذوا الانقلاب مجلس قيادة الثورة ثم اشتركوا في الوزارة والوظائف الإدارية. بعد إحالتهم على التقاعد.

اجتمعت الوزارة برئاسة رئيس الجمهورية وعرض وزير الخارجية مشروع الوحدة مع مصر. بعد الدراسة أرسلت الحكومة اثنين من الوزراء يقترحان أن تكون الوحدة على أسس فيدرالية ودراسة بعض التفاصيل بصورة أوفى فلم يوافق الرئيس «عبد الناصر» وأجاب: إمّا أن تكون وحدة تامة أو لا شيء.

-«تعييني مع تسعة ضباط لاتباع دورة ضباط عظام»-

الثلاثاء /٢٨/ كانون الثاني /١٩٥٨/ عيّنتُ مع تسعة ضباط لاتباع دورة ضباط عظام في مصر. في آخر دوام هذا اليوم تلقيت البرقية التالية:

برقية رقم /٢٢٦/ت/٣ب/ **عاجل جداً - تبلّغ فوراً**

تاريخ /٢٨/١/١٩٥٨/

إلى قيادة المنطقة الوسطى - قيادة منطقة دمشق - مديرية التفتيش - قائد معسكرات قطنا - المقاومة الشعبية - ناظر موقع دمشق - مركز التدريب الثاني - سرية خدمات منطقة دمشق - فوج القيادة - قيادة المنطقة الشمالية.

للإطلاع ش١ - ش٢ - ش٤.

على الضباط الآتية أسماؤهم التقدم إلى فرع التدريب في القيادة العامة بتاريخ / ٢٩/١/١٩٥٨/ الساعة الثامنة صباحاً تمهيداً لإيفادهم إلى مصر بتاريخ / ٣٠/ ١/ ١٩٥٨/ لاتباع دورة ضباط عظام.

الزعيم «أمين أبو عساف» والعقيد «عمر قارصلي» والعقيد «سري الرباط» العقيد «زهير الصلح» العقيد «نهاد داؤودي» العقيد «ممدوح برافي» العقيد «خطار حمزة» المقدم «فرحان جرمقاني» المقدم «محمد نصرت الرفاعي» المقدم «طاهر بنيات».

على الجميع أن يصطحبوا معهم التجهيزات المحددة بتعميمنا رقم / ٥٥٥٩/ ت/ ٣١٣/ وتاريخ / ١٢/٦/١٩٥٧/ والأوراق المطلوبة بتعميمنا رقم /١٩١٧/ ت/ ٣١٣/ وتاريخ / ١٦/ ١٠/ ١٩٥٧/ وملحقاته.

فوجئنا بهذا التعيين وهي المرّة الأولى التي يرسل الجيش السوري بعثة لاتباع هذه الدورة.

معهد الضباط العظام في مصر يتبعه الضباط الذين لم ينجحوا في فحوص دورات الأركان وبرهنوا عن كفاءة ومقدرة وتفوق في قيادة قطعاتهم يتبعون هذه الدورة حتى يمكن ترفيعهم لرتب عالية في حال نجاحهم. لكن الضباط المعينين يعملون في مصالح الجيش ولا يقودون قطعات قتال!.

لماذا هذه السرعة؟ وكيف يمكن تسليم قيادات هؤلاء الضباط إلى من يخلفهم. وبصورة خاصة الذين هم خارج دمشق!.

إن الهدف الحقيقي من هذه الدورة غير مفهوم ولا منطقي. كنت قد طلبت منذ وقت بعيد أن تكون دورات الأركان بالانتقاء بعد فحص. كما يجري في الجيوش

الحديثة. وتبدأ بالقدماء حتى يمكن الاستفادة منهم وهم على رأس قطعاتهم. لكن مصلحة رؤساء الأركان الشخصية قضت بإرسال صغار الضباط.

وبعد استلامي قيادة سلاح المدرعات وعندما تمّ تشكيله وفتحنا مدرسة المدرعات ووضعت أسس تدريب ضباط المدرعات بعد تخرّجهم من الكلية العسكرية، وصف الضباط والجنود وكيفية تخصصهم في الميكانيك والسلاح والأجهزة اللاسلكية طلبتُ خطياً اتباع دورة اختصاص لهذه القيادة العليا وعرضت حاجة ضباط المدرعات آمري الكتائب إلى دورات تخصص في سلاحهم ولم أُجَبْ إلى طلبي!.

أما الآن وقد أُبعدتُ عن كلّ القيادات واستلمتُ قيادة منطقة دمشق وهو عمل إداري. أُدعى مع هؤلاء الضباط وأنا أقدمهم لاتباع دورة ضباط عظام. وكم سنبقى في الخدمة بعدها؟ وما فائدة التدريب وأنا بعيد عن قطعات القتال؟!.

تبقى هذه الأسئلة بدون جواب حتى يجيب عليها المستقبل. خصوصاً وأن الضباط المعينين لهذه الدورة ليس لهم نشاط سياسي معيّن ولا ينتمون إلى كتل أو أحزاب سياسية.

وقد مضى على آخر انقلاب شارك به الزعيم «أمين أبو عساف» أربع سنوات وطبّق التدابير التي اتخذت بابتعاد الجيش عن السياسة والانصراف إلى التدريب.

وصلنا القاهرة نهار الخميس /٣٠/ ١/ ١٩٥٨/ ومثلنا أمام مدير مدرسة المشاة. أعطانا مهلة يومين نهار الجمعة والسبت لنؤمن السكن وصادف نهار الأحد عطلة بمناسبة إذاعة دستور الجمهورية العربية المتحدة المؤقت.

حضرنا حفلة السفارة السورية في القاهرة التي أقامتها بهذه المناسبة السعيدة. وحضرها الرئيسان «جمال عبد الناصر» و «شكري القوتلي» وكل المسؤولين المصريين والسوريين والسلك السياسي العربي والأجنبي.

الفصل الثامن

قيام الجمهورية العربية المتّحدة وعملي العسكري والمدني خلالها

«قيام الجمهورية العربية المتحدة»

الجمعة /٣١/ كانون الثاني /١٩٥٨/ انتقل إلى القاهرة رئيس الجمهورية والوزارة مع كامل أعضائها والضباط. وبوصولهم عقدوا الاجتماعات ووافقوا على دستور الوحدة المؤقت.

في /١/ شباط كلّف الرئيس «عبد الناصر» رئيس وزراء سوريا السيد «صبري العسلي» بإذاعة دستور الوحدة المؤقّت بين مصر وسوريا التي سمّيت الجمهورية العربية المتحدة.

وتتألف من الإقليم الشمالي (سوريا) والإقليم الجنوبي (مصر). رئيس واحد. حكم رئاسي، جيش واحد - علم واحد - تمثيل خارجي واحد.

من قصر القبة وبحضور الرئيس «جمال عبد الناصر» و «شكري القوتلي» والوزراء والضباط. وأمام الحشود الغفيرة المحتشدة أمام القصر لهذه المناسبة السعيدة - أذاع الأستاذ «صبري العسلي» نص دستور الوحدة المؤقت بين هتافات الجماهير وتهليلها.

الأربعاء /٥/ شباط /١٩٥٨/ عُرض دستور الوحدة المؤقت من قبل الرئيس «جمال عبد الناصر» في مجلس الأمة المصري. ومن قبل الرئيس «شكري القوتلي» في المجلس النيابي السوري ووُفِقَ عليه بالإجْماع. تغيّب عن الجلسة في المجلس السوري النائب «خالد بكداش».

الجمعة /٢١/ شباط /١٩٥٨/ جرى الاستفتاء على دستور الوحدة المؤقت. وافق عليه الشعب العربي في مصر وسوريا بأكثرية ساحقة. كما انتخب الشعب الرئيس «جمال عبد الناصر» أول رئيس لدولة الوحدة.

في /٢٢/ شباط أُعلِنَ رسمياً قيام الجمهورية العربية المتحدة واعتبر هذا اليوم عيداً

قومياً.

الخميس /٦/ آذار /١٩٥٨/ شكّل الرئيس «عبد الناصر» أول حكومة في الجمهورية العربية المتحدة على الوجه الآتي:

- نواب رئيس الجمهورية أربعة: السادة «عبد اللطيف البغدادي» - المشير «عبد الحكيم عامر» «أكرم الحوراني» (وكان رئيساً لمجلس النواب السوري) - «صبري العسلي» (وكان رئيس مجلس الوزراء).

شُكلت وزارةٌ مركزية مقرها القاهرة اشترك فيها وزراء من القطرين ووزارتان قطريتان من أبناء القطر تقيم إحداهما في القاهرة والأخرى في دمشق.

اشترك بعض الضباط من الإقليم الشمالي في الوزارة المركزية ووزارة القطر الشمالي واستلم آخرون وظائف مدنية.

رُفّع اللواء «غفيف البزري» إلى رتبة فريق وعُيّن قائداً للجيش الأول أي الجيش السوري وأخذ الجيش المصري اسم: الجيش الثاني.

دورة في مدرسة المشاة

الاثنين /٣/ شباط /١٩٥٨/ بدأنا العمل في مدرسة المشاة. اعتبرت دورة تحضيرية من أجل الدخول إلى معهد الضباط العظام. الذي يبدأ أعماله في أواخر شهر نيسان. أمّنا السكن في مصر الجديدة وفي أماكن متجاورة.

باعتباري رئيساً للبعثة وبرتبة زعيم وضعت مديرية المدرسة تحت تصرفي سيارة خفيفة مع سائق. ووضع بيك آب مغلق ذو مقاعد من أجل باقي أفراد البعثة. تأتي السيارات لتنقلنا إلى المدرسة صباحاً وتعيدنا بعد انتهاء الدوام.

كان مسموحاً لي باستخدام السيارة بعد الدوام أو أيام العطل إذا أعطيت السائق أمراً بذلك. كنت أستخدمها أيام العطل أحياناً لزيارة معالم القاهرة مع من يرغب مرافقتي من

ضباط الدورة.

استغرب الضباط المصريون إرسالنا إلى هذه الدورة التي يتبعها من الجانب المصري ضباط برتبة صاغ وبكباشي (أي رئيس أول ومقدم). وهي في الأساس دورة اجتياز رتبة بينما رتب أفراد البعثة السورية زعيم وعقيد ومقدم.

إن مدرسة المشاة هذه تشبه مدرسة الفرسان التي زارتها بعثة المدرعات عام / ١٩٥٦/ مع بعثات باقي الأسلحة.

أما مواضيع الدراسة كانت جديدة علينا ومفيدة وشيّقة، تابعناها باهتمام شديد. القيمين عليها ضباطٌ إختصاصيون ثقافتهم وبصورة خاصة العسكرية جيدة جداً. لأن التدريب مهنتهم وقد اتبعوا دورات في الخارج وكان انتقاؤهم من الناجحين المبرزين.

في الجيش المصري كما في الجيوش العصرية تدرس المعارك الهامة بدقّة. قوة فريقي المعركة وإجراءاتهما ومناقشة الصواب والخطأ في تصرفات كل منهما واستنتاج الدروس المفيدة التي يجب اتباعها في الحالات المماثلة.

تجرى هذه الدراسة من قبل شعبة العمليات وتناقش من قبل ضباط مختصين وعلى أعلى مستوى، وتعمم الدروس المستخلصة.

دراسة معركة النقيب والبطيحة

في أحد الأيام جاء ضابط مدرب منتدب من الشعبة الثانية ليشرح لنا معركة النقيب والبطيحة التي جرت في أواخر العام / ١٩٥٥/ في المنطقة المنزوعة السلاح. على الحدود السورية الفلسطينية بين القوات الإسرائيلية المهاجمة والمدنيين الفلسطينيين ومخافر المراقبة في الجيش السوري. وكنت قد دونت سابقاً مجريات هذه المعركة. وكانت الدورة مجتمعة بإحدى صالات الدرس وبها ستون ضابطاً مصرياً وعشرة ضباط سوريين. كتب على اللوح الأسود:

معركة النقيب والبطيحة

سكان فلسطين: عرب: أسلام ومسيحيون. إسرائيليون: يهود – الدروز

وقفت أستوضح سائلاً وأقصد تصحيح المعلومات:

الدروز إلى أي فئة ينتمون؟ لم تذكرهم مع العرب. مع أي فئة هم إذاً؟

أجاب: هؤلاء يا فندم ليسوا عرباً وليس لهم دين وهم يعبدون. . . وتوقف بسبب التشويش الذي بدأ من قبل الضباط السوريين وإعطاء الإشارات بصوت منخفض أنني درزي. منعته المفاجأة من متابعة الدرس. ترك الصالة فوراً وانصرف إلى كبير هيئة التدريس أخبره بما جرى.

قلتُ للضباط مسببي الفوضى والتشويش: لماذا فعلتم ذلك؟ كنتُ أقصد المناقشة لكي يفهم من هم الدروز.

بعد فترة طلبني مدير المدرسة القائمقام (الزعيم) أركان حرب «محمد طلعت خيري» بعد أن علم بالحادث. اعتذر عن جهل المدرب لحقيقة الدروز وكفاحهم ضد المستعمر وماضيهم وحاضرهم الذي يعتز به العرب والمسلمون في جميع أقطارهم.

أجبت: إذا كنت أغفر لهذا الضابط جهله ومعلوماته المزورة فإني لا أغفر إلى المسؤولين تعيينه لهذه المهمة. فلو لم أكن حاضراً كان أعطى المحاضرة وفهم أكثر الحاضرين إن لم يكن كلهم أن الدروز ليسوا عرباً وليسوا إسلاماً! . لأن الضباط الطلاب تعودوا أن يسمعوا من المدرّب الحقيقة فقط.

إننا ننتمي الآن إلى جمهورية واحدة. وجود ضباط مدرب يجهل حقيقة أبناء وطنه خطيئة لا تغتفر!.

إن الدروز عرب ينتمون إلى قبائل يمنية اعتنقت الإسلام منذ ظهوره وهاجرت إلى العراق – شكّل القائد «خالد بن الوليد» جيشه في العراق من هذه القبائل العربية المسلمة وسار به إلى سوريا وفلسطين لنجدة الجيوش العربية فيها. وتحريرها من الحكم

الأجنبي. وعندما تمّ تحرير هذه البلاد. استقرت بقايا هذه الحملة في جهات حلب ومعرة النعمان ثم تبعتها قبائلها وأقاموا معهم في تلك الديار.

أثناء الخلافة العباسية كان لبنان الجبل والشاطىء لا يزال يسكنه غير العرب.

أرسل الخليفة المنصور قبائل اللخميين - والتنوخيين وغيرهم من معرة النعمان قرب حلب لاحتلال الجبل والشاطىء. تشكلت في جبل لبنان إمارة عربية مسلمة على أنقاض السكان القدماء من المردة والبيزنطيين. سمحت الخلافة للمسيحيين العرب بالانتقال إلى شمال لبنان والانتشار فيه.

عندما ظهرت الدعوة الفاطمية في القاهرة وأُرسل الدعاة إلى جميع الأنحاء. اعتنقتها القبائل العربية المسلمة في لبنان كلها وبعضها في حلب وجوارها. أُطلق عليهم لقب الدروز نسبة إلى اسم أحد الدعاة. إنّما هم يعرفون باسم بني معروف أو الموحدون. وتاريخهم حافل بالدفاع عن القومية العربية.

في النصف الأول من القرن الماضي لم يمكّنوا «إبراهيم باشا المصري» من احتلال البلاد لأنه لم يكن من أجل العروبة.

قاوموا الاستعمار التركي في كلّ مراحله حتى جلائه.

ثم الثورة السورية الكبرى ضد الفرنسيين عام /١٩٢٥/ اشترك فيها كلّ أبناء.... الجبل، إذ أُسندت القيادة العامة إلى ابن الجبل «سلطان باشا الأطرش» من قبل زعماء سوريا.

عام /١٩٤٥/ المنطقة الأولى في سوريا التي قضت على الفرنسيين واعتقلتهم هي محافظة السويداء. عزاءُ بني معروف أن أمير الشعراء «أحمد شوقي» يعرفهم وقد مدحهم في شعره. ورجال السياسة والصحف المصرية ذكروا الكثير عن جهاد الدروز.

كان الاستعمار يستغل الطائفية ليفرّق بين السكان.

وقد انضمت حكومة جبل الدروز إلى سوريا بدون شروط. وفي أول برلمان سوري

أُنتخب ولم يكن للفرنسيين سلطة عليه. أصدر قانوناً أُلغِيَتْ بموجبه الطائفية السياسية ويحدد عدد النواب بالنسبة للدين فقط (مسلم أو مسيحي) بدون ذكر الطائفة.

كانت طوائف الإسلام في سوريا هي: (سنّي - علوي - درزي - إسماعيلي).

كما أطلق البرلمان اسم جبل العرب على المنطقة بدلاً من جبل الدروز بناء على رغبة أبنائها.

الدراسة في مدرسة المشاة

إن مدرسة المشاة ومكانها القاهرة لها ملاك دائم وتقسم إلى جناحين هما: آ - جناح الأسلحة -ب- جناح التكتيك وتقوم بتدريب ضباط ونقباء المشاة.

أما دورات الضباط فهي ثلاثة:

آ- دورة فرقة الأساس - يتبعها الضباط من رتبة ملازم لزيادة ثقافتهم العسكرية، وتعتبر بالوقت ذاته دورة اجتياز رتبة.

ب- الدورة الراقية: ويتبعها الضباط من رتبة ملازم أول ويوزباشي وهي دورة مؤهلة لقيادة سرية ودورة اجتياز رتبة إلى رتبة (صاغ).

ج- دورة قادة كتائب (أفواج) يتبعها الضباط من رتبة صاغ وبكباشي وهي دورة اجتياز رتبة أيضاً (الدورة التي نتبعها حالياً).

ابتدأت الدورة بتاريخ / ١٠/ ١/ ١٩٥٨/ والتحقت البعثة السورية بها في / ٣/ ٢/ ١٩٥٨/.

البرنامج: إعطاء المعلومات التفصيلية التي تؤهل الضابط لقيادة كتيبة (فوج) في أوقات الحرب والسلم. من أجل القتال بصورة عامة وفيما يختص بالكتيبة بصورة تفصيلية.

خواص وواجبات الأسلحة المعاونة (مدرعات - مدفعية - هندسة - طيران) ومدى تعاون هذه الأسلحة مع المشاة.

إمكانية قيادة مجموعة كتيبة (أي كتيبة مدعومة بباقي الأسلحة المشار إليها أو بعضها) أو قيادة لواء أو مجموعة لواء عند الضرورة أو القيام بمهام أي ضابط في قيادة. لواء.

انتسبت البعثة إلى دورة قادة الكتائب باعتبارها دورة تمهيدية لمعهد الضباط العظام.

الطريقة المتبعة: تدريب نظري - وعلى صندوق الرمل.- وعملي - مع جنود وبدون جنود - ومعركة تلفونية.

إن جميع الضباط المشاة في الجيش المصري يتبعون الدورات الثلاث. عدا الضباط الذين ينجحون في امتحان كلية الأركان فإنهم لا يتبعون الدورة الأخيرة أي دورة آمر كتيبة بل يتبعون دورة الأركان ودورات أخرى.

يحصل الضابط أثناء هذه الدورات على مجموعات مطبوعة من المدرسة تعتبر المراجع الرسمية للضباط. بالإضافة إلى نشرات تدريبية تصدر عن مديرية تدريب الجيش وبعض الأنظمة تسلّم إلى كلّ ضابط مصري كعهدةٍ شخصية وبرقم خاص مسجل على اسمه موقع عليه ومطبوع على الكتاب. استمرت الدورة حتى /١٧/ ٤/ ١٩٥٨/ .

كان من المقرر أن تبدأ الدورة في معهد الضباط العظام اعتباراً من /٢٦/ ٤/ ومدة الدراسة فيه ثلاثة أشهر ونصف.

لكن صدرت الأوامر بإلغاء الدورة نهائياً لهذا العام وعودة الضباط إلى سوريا.

إننا نترك مدرسة المشاة حاملين أجمل الذكريات وأوفى المعلومات وأدقها عن المواضيع التي بحثت بإتقان أثبتت كفاءة المدربين وهي موضع إعجابنا وتقديرنا.

سنذكر الرعاية الخاصة التي أحاطنا بها سيادةُ المدير والمدرسون.

«إحالة الفريق «عفيف البزري» على التقاعد»-

وتعيين اللواء «جمال فيصل» قائداً للجيش الأول

سمعنا من الإذاعة قبول استقالة الفريق «عفيف البزري» وإحالته على التقاعد.

أخبرني فيما بعد العقيد «سري الرباط» وهو من دورة الفريق في الكلية العسكرية – ويتبع الدورة معنا – كيف تمت الاستقالة أثناء أحد اجتماعات القيادة في القاهرة بحثوا موضوعاً لم يوافق عليه الفريق وقال: (أستقيل ولا أوافق عليه) وترك الجلسة.

بعد ساعتين من هذا الحادث أي في الساعة /٢٣/ أعلنت الإذاعة قبول الاستقالة.

ذهب المشير عبد الحكيم عامر مع قيادته إلى دمشق ودرس وضع ضباط الجيش السوري من منظار صغار الضباط السوريين والضباط المصريين الذين يجهلون كل شيء عن الجيش السوري وعين الزعيم «جمال فيصل» قائداً للجيش الأول بعد ترفيعه إلى رتبة لواء. وعين البكباشي «أحمد زكي» من الإقليم الجنوبي كاتم أسرار أي معاوناً له.

وبسبب وجود ضباط أعلى رتبة وأقدم من قائد الجيش لذلك أحالوا على التقاعد /٤٥/ ضابطاً شمل هذا العدد جميع الضباط الذين هم أقدم من الزعيم «جمال فيصل» وغيرهم من الضباط الذين هم أقل قدماً ولكن أرادوا التخلص منهم ليحلّ صغار الضباط مكانهم بعد أن ترفعوا لرتب أعلى بصورة استثنائية.

إن إحالة هؤلاء الضباط على التقاعد غير قانوني مخالف لقانون الجيش. وكذلك الترفيع الاستثنائي.

لم يبق أقدم من الزعيم «جمال فيصل» في الخدمة سوى الزعيم «أمين أبو عساف» وهو يتبع دورة في القاهرة وتأخر ترفيعه إلى رتبة أعلى أكثر من سنتين.

إن أول ترفيع لهذين الضابطين جرى على النحو التالي:

رُفّع الطالب الضابط «أمين أبو عساف» إلى رتبة ملازم في /١/٩/١٩٣٦/ .

رُفّع المرشح «جمال فيصل» إلى رتبة ملازم في /١/٧/١٩٤٠/ وبقي هذا الفرق بينهما أي أربع سنوات تقريباً أي رتبة أعلى حتى هذا الوقت. أي قبل الترفيع الأخير إلى رتبة لواء.

«مقابلة المشير «عبد الحكيم عامر» وشرح وضع ضباط»

الجيش السوري - ووضعي الخاص

الأربعاء /٣٠/ نيسان /١٩٥٨/ عندما علمت بهذه التشكيلات طلبتُ مقابلة المشير القائد العام للجيش والقوات المسلّحة. جرت المقابلة في القيادة العامة وفي مكتب المشير في القاهرة على النحو التالي:

أهنئكم بالوحدة المباركة بين القطرين المصري والسوري. أرجو أن تكون هذه الوحدة خيراً وبركة وبداية لوحدة عربية شاملة على أيديكم. ونحن في الجيش الأول فرحتنا مزدوجة لأن مقدرات هذا الجيش وضعت تحت قيادتكم الحكيمة وفي أيدٍ أمينة.

أولاً: لمحة عن مواقف الجيش السوري الوطنية:

بصفتي أقدم ضابط في الجيش السوري بعد التسريحات التي جرت منذ أيام. وفي مستهل هذا العهد الوحدوي الجديد رأيتُ من واجبي أن أصارحكم عن الماضي الناصع لهذا الجيش الفتي. لأن أكثرية الضباط الذين يتصرفون بمقدراته الآن كانوا قد بدؤوا خدمتهم في الكلية العسكرية في أواخر عام ١٩٤٥/ وما بعد ولا يعرفون أو يتجاهلون ما قامت به قطعات الشرق الخاصة من أعمال مجيدة في خدمة الوطن ومقاومة الاستعمار.

منذ وقت طويل ننتظر هذه الوحدة المباركة حتى يسود القانون ويُقضى على التجاوزات والفوضى، ويفرض الانضباط والتدريب في صفوف الجيش وبصورة خاصة بين صغار الضباط الذين يتصرفون بشؤون الجيش منذ /٢/ حزيران /١٩٥٧/ بعيداً عن القانون.

إن الجيش السوري لا يشبه الجيش المصري قبل ثورة /٢٣/ يوليو المجيدة والذي كان آلة بيد الملك يوجّهه كيفما يشاء وقد أصلحته الثورة.

بينما ضباط قطعات الشرق الخاصة قاموا بواجبهم الوطني إذ تمرّدوا على أوامر الاستعمار وانضمّوا إلى القوى الوطنية وساهموا في تحقيق الجلاء والاستقلال.

أُبينُ فيما يلي حدثين قوميين هامين نفذهما الضباط السوريون:

١- عام /١٩٤١/ بعد احتلال سوريا من قبل الجيش البريطاني وقوات فرنسا الحرّة. وبعد الهدنة حيث استلمت قوات فرنسا الحرة صلاحيات الانتداب بدلاً من حكومة فيشي.

اجتمع الجنرال «ديغول» رئيس فرنسا الحرة إلى الضباط السوريين من كلّ الرتب في موقع حمص حيث حشد العديد من قطعات الشرق الخاصة. وشدّد على اعتماد فرنسا على هذه القوات. وعرض أن تكون هذه القوات جزءاً من الجيش الفرنسي يمكن استعمالها في كلّ ميادين القتال خارج سوريا. مثل جيوش المستعمرات الأفريقية والآسيوية مع تحسين ملموس في الأوضاع المادية والمعنوية (أى زيادة الرواتب واختصار مدّة الترفيع).

طلب الضباط السوريون مهلة لإعطاء الجواب واجتمعوا لدراسة العرض. علموا أن ضابطين أو ثلاثة فقط يرغبون الخدمة مع فرنسا.

في اليوم التالي حضر الاجتماع الجنرال «كوله» لاستلام الجواب.

قرر الضباط رفض طلب الجنرال وعدم استعدادهم مع قطعاتهم الاشتراك أو القيام بأي عمل باسم الجيش الفرنسي في الخارج طالما سوريا تحت الانتداب.

عندما تستقل سوريا وتكون حكومتها مسؤولة عن السياسة الخارجية وترتبط بها قطعات الشرق الخاصة لتشكل الجيش الوطني سيكون للحكومة السورية آنذاك أن تقرر ما تراه مناسباً (الاشتراك أو عدمه).

تبقى المبادرة الفردية واردة إذا رغب أحد الضباط الاشتراك بمفرده.

هددوا بحلّ هذه القطعات. وصدر الأمر القاضي بإنهاء خدمتها يوم /٣١/٧/ ١٩٤١/. بوشر بتسليم الأسلحة والسروج إلى المستودعات خلال يومي /٢٨ - ٢٩/ ٧/ ولم يغير الضباط موقفهم.

وأخيراً أُلغيَ الأمر القاضي بتسليم العتاد مساء /٢٩/٧/١٩٤١/ وبقي كل شيء على حاله.

٢- في /٨/ أيار /١٩٤٥/ أعلنت الهدنة وانتهت الحرب العالمية الثانية واستسلمت ألمانيا إلى الحلفاء.

قام الشعب السوري بكلّ فئاته بمظاهرات يطالب بالاستقلال واستلام الجيش وهذا ما كانت قد وعدت به سلطات الانتداب.

طلب الفرنسيون من قطعات الشرق الخاصة قمع المظاهرات التي تقوم بها طبقات الشعب في المدن السورية. رفض الضباط ولم ينفذوا الأمر.

كان الفرنسيون يساومون السلطات السورية على تسليم قطعات الشرق الخاصة ويفرضون شروطاً قاسية تمس بالاستقلال مثل عقد معاهدة بشروط تفرضها فرنسا وبقاء قواعد بريّة - وبحريّة - وجويّة لها في سورية ولبنان. ويقنعون بريطانيا أن قوات الشرق الخاصة تفضل البقاء مع فرنسا وأنها ستسحبها معها إلى لبنان.

عندها قرر قسم كبير من الضباط الانسحاب من الخدمة وفي كلّ المواقع والالتحاق بالحكومة الوطنية والدفاع عن الوطن. ولكي تعلم بريطانيا أن قوات الشرق الخاصة هي مع وطنها وليست مع فرنسا.

كانت فرنسا مسيطرة والشرطة العسكرية بإمكانها توقيف أي كان وعقوبة هذا الانسحاب الإعدام الفوري نظراً لحالة الحرب. رغم الخطر الذي يتهددهم لبّى عدد كبير من الضباط نداء الواجب والتحقوا بالحكومة السورية واضعين أنفسهم تحت تصرفها طالبين تشكيل فصائل تهاجم مواقع الاستعمار. وشاركوا بصورة فعالة في ثورة الشعب حتى وصلت البلاد إلى أهدافها.

وكان عام الحسم تقرر فيه مبدأ الجلاء وبدأ تنفيذه على مراحل وعندما تمّ الجلاء نهائياً في /١٧/ نيسان /١٩٤٦/ اعتبر هذا اليوم عيداً قومياً وجرى عرض عسكري كبير اشتركت فيه فصائل من الجيوش العربية.

نفذت فرنسا تهديدها خلال شهر حزيران، سحبت قطعات الشرق الخاصة السورية إلى لبنان. عندها وجدت أن استخدامها غير مجدٍ بعد انسحاب أكثرية الضباط وبعض ضباط الصف والأفراد. وتمّ تسليم الجيش إلى السلطات السورية في /١/٨/١٩٤٥/ حضّر الاستعمار الفرنسي قطعات الشرق الخاصة للسيطرة على الوطن والحكم من خلالها لكنها خيبت آماله وقامت بواجبها الوطني في الوقت المناسب.

جرى كلّ هذا قبل دخول كثير من الضباط الذين يسيطرون الآن على مقدرات الجيش إلى الخدمة. فكيف يحقّ لهم التحكّم بمصير هؤلاء الضباط القدامى الذين ضحّوا بخدماتهم وأرواحهم في سبيل وطنهم!.

ثانياً: وضع الضباط الذين أحيلوا على التقاعد وضعي الخاص:

كنّا ننتظر الوحدة مع الشقيقة مصر حتى يعود الانضباط إلى الجيش السوري ويسود القانون العادل.

فوجئنا بإحالة عدد كبير من الضباط على التقاعد بدون مبرر. وهم لا يستحقون ذلك وأكثريتهم نفذوا الأعمال الوطنية التي جاء ذكرها.

قسم من هؤلاء الضباط أقدم وأعلى رتبة من الزعيم «جمال فيصل» أحيلوا على التقاعد لإتاحة تعيينه قائداً للجيش الأول بعد ترفيعه إلى رتبة لواء بصورة استثنائية.

القسم الآخر حتى يتمكن الضباط الشباب الذين رُفّعوا بصورة استثنائية وغير قانونية أيضاً، من استلام القيادات التي كان يشغلها الضباط الذين أُحيلوا على التقاعد.

كنتُ أفضلُ أن أكون مع المحالين على التقاعد على أن أخدم تحت قيادة قائد الجيش الأول وكنتُ أقدم منه دائماً وبيننا في كثير من الأحيان رتبة.

في ظلِّ رئاسة أركان ضعيفة ومتآمرة سنحت الفرصة لهؤلاء الضباط من فرض إرادتهم وتعيين من يشاؤون بعيداً عن القانون.

إن الفوضى تعمّ الجيش قبل هذا التاريخ ودورات الأركان توزع كيفياً دون شروط الكفاءة والفحص والانتقاء - وقانون الجيش لا يفرض دورات حتى يتم الترفيع. لربما قيل عنّي إِني ضابط انقلابات. نعم قمت بواجبي ونفّذت الانقلاب على حكم المشير «حسني الزعيم».

نحينا اللواء «سامي الحناوي» عن مركزه وبعض أعوانه. ونفذنا الانقلاب على الزعيم «أديب الشيشكلي».

كان ذلك لمصلحة الوطن. في المرتين الأولى والثالثة سلّمنا الحكم إلى السلطات المدنية المختصة وفي المرة الثانية بقي الحكم المدني على حاله.

في المرات الثلاث كان الاستقلال على وشك الزوال بسبب تدخل الاستعمار وعلى رأسِهِ الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد شغلتُ مراكز هامة في الجيش وقمت بالخدمات التي يفرضها الواجب وأقبل بتحقيق عادل يحاسبني على كلّ أعمالي منذ دخولي الخدمة في الكلية العسكرية حتى الآن. لم أشتغل في السياسة ولا أنتمي إلى حزب أو كتلة بل انصرفت كلياً إلى واجباتي العسكرية.

الضباط السوريون الذين يديرون شؤون الجيش حالياً غير مؤهلين لإعطاء رأيهم في خدماتي وقد خدم بعضهم مرؤوساً تحت قيادتي المباشرة.

إن الترفيع الأخير استثنائي وشمل عدداً من الضباط غير المستحقين لا يمكن ترفيعهم بموجب القانون ولم يشملني وأنا أستحقه منذ سنوات!.

إنّ السفارة الأمريكية في دمشق كانت تعلم بلائحة تنقلات الضباط وتتدخل وتوجّه.

عندما نقلتُ من قيادة سلاح المدرعات في /١٩٥٧/٣/١٥/ كان على لائحة النقل المقدم «عبد الحميد السراج» الذي اكتشف المؤامرة في أواخر عام /١٩٥٦/ والتي كانت تقضي بالقضاء على الحكم الدستوري وإستلامه من قبل الذين حضّرهم الاستعمار من عملائه لاحتلال سوريا وكان النقل تمهيداً لنجاح محاولة المؤامرة الأميركية الثانية.

في /١٩٥٧/٦/٢/ عاد المقدم «السراج» إلى الشعبة الثانية ليكتشف مؤامرة صيف /١٩٥٧/ وخريف ذلك العام ولهما نفس أهداف المؤامرة السابقة.

جواب المشير «عبد الحكيم عامر»

لستَ مجهولاً من قبلي وأنا أعرفكَ شخصياً. هل نسيتَ مناورة الدبابات التي قدتها أمامي في ضواحي معسكرات قطنا؟ لم نحيلك على التقاعد نظرا لخدماتك. ولأننا نرغب الاحتفاظ بك في القاهرة لتمثيل الجيش الأول في القيادة العامة. وإن تعيين اللواء «جمال فيصل» قائداً للجيش الأول لا يؤثر على حقوقك ولا ينقص منها. أما من جهة الترفيع فستصل إلى حقوقك كاملة. فتش عن منزل في القاهرة وأحضر عائلتك إلى هنا، وليغادر أفراد البعثة إلى الإقليم الشمالي ليلتحقوا بقطعاتهم.

كان يحضر هذه المقابلة كاتم أسرار المشير الذي سجّل تفاصيل المقابلة وتعليماته. أخذ هذا المسؤول عنواني ورقم الهاتف حيث أقيم في القاهرة. وأصدر أوامر عودة باقي أفراد البعثة إلى سوريا وبقيتُ في القاهرة تنفيذاً لهذه الأوامر.

إن جواب المشير كان مقنعاً ومطمئناً ويوحي بالثقة بالنسبة لوضعي الخاص آنياً. ولم يجب عمّا قدّمه ضباط الجيش من خدمات أيام الانتداب. حتى وعده لي لم ينفذ؟!. وتجاهل الوضع العام في الجيش ووضع باقي الضباط الذين سرّحوا خلافاً لقانون الجيش.

ونظراً لأن المشير يتمتع بصلاحيات واسعة. نائباً لرئيس الجمهورية وينوب عنه بمنصب القائد العام للجيش والقوات المسلحة وقد استلم هذا المنصب عن جدارة منذ ثورة / ٢٣/ يوليو. وهو موضع ثقة واحترام وتقدير.

من جهتي وبعد تفكير قررتُ إبقاء عائلتي في دمشق من أجل دراسة أولادي. بقيت في القاهرة تحت تصرف المشير ريثما تصدر تشكيلات القيادة العامة.

تعييني قائداً للمنطقة الشمالية (حلب)

السبت /٧/أيار/١٩٥٨/

إستدعاني رئيس شعبة العمليات - القيادة العامة - القاهرة - وأبلغني ما يلي:

يوجد تحشدات تركية على الحدود الشمالية. اختارتك القيادة لهذه المهمة. استلام قيادة المنطقة الشمالية في حلب وتحضير الدفاع عنها. على أن يكون ذلك بموافقتك ورضائك. أجبت: أنا جندي أنفِّذ أوامر القيادة.

أضاف القائمقام عندما طرح الاقتراح على المشير أصرّ أن يكون التعيين بعد أخذ رأيك وموافقتك.

خطر على بالي حدثان هامان في التاريخ:

١- القائد العربي الكبير «خالد بن الوليد» بينما كانت الجيوش العربية تخوض معركة اليرموك أتى رسول الخليفة «عمر بن الخطاب» وقد استلم الخلافة حديثاً يحمل رسالة بتنحية «خالد بن الوليد» من قيادة الجيوش العربية وتسليمها إلى «أبو عبيدة بن الجراح».

كانت المعركة محتدمة بين الجيوش العربية وجيوش البيزنطيين. احتفظ «أبو عبيدة» بالرسالة حتى انتهت المعركة لصالح المسلمين وسلّمها إلى «خالد بن الوليد» منفذ الأمر. وقال:

(إننا نقاتل كي يرضى الجهاد بنا   ولا نقاتل كي يرضى بنا عمر)

٢- القائد الفرنسي الكبير الجنرال «فوش» عام /١٩١٤/ قبيل الحرب العالمية الأولى كان الجنرال «فوش» رئيساً لأركان الجيش الفرنسي وصل حدود السن لإحالته على التقاعد - عين مكانه رئيساً لأركان الجيش الجنرال «جوفر».

قال الجنرال «فوش» بعد أن سلّم القيادة إلى خلفه: أطلبُ أن أبقى في الخدمة حتى ولو كنتُ آمر فرقة حتى يتسنّى لي الاشتراك في المعركةفي سبيل فرنسا.

بقي في الخدمة واستلم قيادة أحد الجيوش السبعة التي زجّتها فرنسا في المعركة. رغم أن رئيس الأركان الحالي كان مرؤوساً له!.

عام /١٩١٧/ عندما دخلت أميركا الحرب إلى جانب فرنسا وبريطانيا وشكلوا قيادة الحلفاء المشتركة. وقع الاختيار على الجنرال «فوش» ليكون القائد العام لجيوش الحلفاء.

حقق النصر واستسلمت ألمانيا. وفي مكتبه فرضت شروط الاستسلام ووقعت الهدنة.

بعد هذا الانتصار استحقّ الجنرال «فوش» لقب مارشال فرنسا.

أنا لا أطمح إلى استلام قيادة عليا أو لقب ما. ولكن أرغب في خدمة وطني وقد سنحت الفرصة يجب عدم تفويتها.

أجبت: أن المعركة تفرض نفسها على كلّ الاعتبارات. فكيف يمكن لضابط يعرض عليه خوض المعركة للدفاع عن وطنه ويرفضها؟. إن الرفض فرار من الواجب ولن أرفض؟.

أوافق على قيادة المنطقة الشمالية برضائي وبدون تحفظ. وأشكر القيادة التي انتدبتني لهذه المهمة.

الاثنين /١٩/أيار /١٩٥٨/ وصلتُ دمشق اتصلت بالبكباشي «أحمد زكي» كاتم أسرار قائد الجيش الأول وطلبتُ منه أن أبقى في دمشق مأذوناً لمدة أسبوع إذا أمكن.

لأن استلامي قيادة المنطقة سيتم في /١/٦/١٩٥٨/ وافق على ذلك.

بتاريخ /٢٥/٥/١٩٥٨/ بلغت أمر الالتحاق برقياً عن طريق فوج الشرطة العسكرية. إنها المرة الأولى في حياتي العسكرية أتبلغ فيها عن طريق الشرطة. في سوريا ومنذ أيام الفرنسيين كان الضباط يتبلغون مباشرة وينفذون. في حال التأخير يتحمّل الضابط مسؤولية نتيجة عمله من رؤسائه. تبين فيما بعد أن هذه الأمور استحدثت بعد الوحدة وهذا يسيء لكرامة الضباط!.

وصلتُ حلب بالتاريخ المعين وباشرت الاستلام من الزعيم «عمرخان تمر». بعد جولة على المواقع والقطعات وقعنا محاضر التسليم والاستلام في /٢٩/ أيار/١٩٥٨/ .

تحضير الدفاع عن حلب والحدود الشمالية

فور استلامي قيادة المنطقة باشرت دراسة الأراضي على الطبيعة مع رئيس الشعبة الثالثة وآمري القطعات ذوي العلاقة وقائد المقاومة الشعبية. بعد ذلك أصدرتُ أمر عمليات يحدد المهمات والأماكن لكل وحدة أو موقع.

تنفيذاً لتعليمات القيادة القاضية بالدفاع عن المنطقة ومنع العدو من الاختراق والتقدم في الأراضي السورية وإلحاق الخسائر الفادحة بين صفوفه والدفاع في العمق (الأماكن الاستراتيجية والمدن) احتفظت باحتياط يمكن استخدامه حسب الظروف قسّمتُ المنطقة إلى قطاعات وكذلك المدينة. وضعتُ تحت تصرف آمر القطاع القوة اللازمة.

جهزتُ غرفة عمليات وزودتها بما يلزم، وصندوق رمل يمثّل طبيعة الأرض وتمركز القطعات.

وصلت البيانات من الوحدات تبين كيفية التمركز وتنفيذ المهمات وقد جرت دراستها على الطبيعة وصححت الأخطاء.

كانت الإمكانيات محدودة لأن الولايات المتحدة وبريطانيا حرّضت كلّ الدول المجاورة لحشد قواتها على الحدود السورية: إسرائيل - تركيا - العراق - الأردن -

وحتى من لبنان. كان يمكن للاستعمار أن يتدخّل في أي وقت.

حرصتُ على أن يتمّ التدريب والتحصين في وقت واحد. لزيادة كفاءة الوحدات والمقاومة الشعبية. أما المعنويات فكانت عالية جداً في صفوف الجيش والمدنيين.

تمكنت عناصر الجيش من استيعاب أسلحة الدعم الحديثة التي استلمتها. وكذلك المقاومة الشعبية تدربت على الأسلحة الحديثة التي سُلّمت لها.

حضرت لجنة رسمية من قبل القيادة العامة لدراسة وسائل الدفاع. وهي تضم بالإضافة إلى ضباط القيادة المختصين خبيراً أجنبياً يرافقها وعن قيادة الجيش الأول العقيد «توفيق شاتيلا».

زارت هذه اللجنة قيادة المنطقة الوسطى في حمص وقيادة المنطقة الغربية في اللاذقية واطلعت على خطط الدفاع في هذه المناطق قبل وصولها إلى المنطقة الشمالية في حلب. اطلعت على التحضيرات ومخططات الدفاع في غرفة العمليات وعلى صندوق الرمل. وناقشت بعض الأمور واستفسرت عن أخرى وزارت بعض الوحدات على الأرض يرافقها قائد المنطقة خلال يومين ثم أنهت أعمالها.

أخبرني العقيد «شاتيلا» أن اللجنة سرّها ما شاهدته في المنطقة الشمالية من تنظيم ودقة في التحضير أكثر من باقي المناطق التي زارتها.

في دمشق طلبت القيادة رؤساء شعب العمليات في المناطق لدراسة نتيجة جولة اللجنة ولإعطاء التوجيهات اللازمة.

طلب المشير «عامر» الرئيس «فواز محارب» رئيس شعبة العمليات في المنطقة الشمالية وأعلن له عن ارتياحه لخطة الدفاع عن المنطقة الشمالية نتيجة لتقرير اللجنة الرسمية التي درست وسائل الدفاع وطلب منه أن يبلّغ ذلك إلى قائد المنطقة.

ومضى شهر حزيران والعمل متواصل بإرادة وتصميم لتحقيق الدفاع عن أرض الوطن.

ترفيعي إلى رتبة لواء - إحالة على التقاعد

استدعاء لدورة تدريبية

السبت /٢٨/ حزيران/١٩٥٨/ تبلغنا لائحة الترفيع وتقضي بترفيع الزعيم «أمين أبو عساف» إلى رتبة لواء اعتباراً من /١/٧/ وإحالته على التقاعد بتاريخ /٢/٧/١٩٥٨/ استمريت في العمل ولم نتلقَّ أمراً بتعيين قائد المنطقة الجديد. في /١/٧/١٩٥٨/ حوالي الساعة الثانية عشرة اتصلت هاتفياً مع قائد الجيش الأول، وهي المرّة الأولى التي يتمّ فيها اتصال مباشر بيننا. أجاب مبتدِئاً الكلام: أهلين سلامات، وأجبته ثم تابعتُ قولي: لم تعينوا من يستلم قيادة المنطقة، لمن ترغبون أن أسلمها؟.

أجاب: تبقى قائداً للمنطقة. استدعيناك لدورة تدريبية وستصلك الأوامر.

بتاريخ /٢/٧/١٩٥٨/ تلقينا البرقية التالية:

رقم /٥٦٠/٢٤/٧

إلى المنطقة الشمالية

يدعى لدورة تدريبية كلّ من اللواء الاحتياطي «أمين بن حمد أبو عساف» والعقيد الاحتياطي «سليمان محمود» اعتباراً من /٢/٧/. الأمر يتبع.

لا يمكن لهذه البرقية أن تصدر قبل هذا التاريخ حتى أكون قد أُحلتُ على التقاعد. مثل هذا الاستدعاء يكون لضباط مضى عليهم وقت طويل في التقاعد. يعودون لتجديد معلوماتهم. وليس لضباط في الخدمة الفعلية.

جرت العادة في الجيش أن يكون التخطيط بعيد المدى وبصورة خاصة القيادات الهامة لا تسند إلى ضابط إلا إذا كان سيشغلها لمدة طويلة.

من المؤسف أن يكون هذا الاستثناء في مستهل الوحدة وفي ظلّ قيادة قوية واعية. هل درست قضية استدعائي لدورة تدريبية عندما تمّ تسريحي! وإذا كانوا بحاجة إليّ لماذا أحالوني على التقاعد!؟. أما كان من الأفضل إلغاء أمر الإحالة على التقاعد حفظاً للكرامة وإبقائي في الخدمة!.

لماذا كلّ هذه الإجراءات؟ عندما عُينتُ قائداً للمنطقة الشمالية هل كان ذلك فخّاً حتى أرفض ويحيلوني على التقاعد؟. ووعود المشير القاضية بإيصالي إلى حقوقي كاملة! ولماذا غيّر رأيه؟.

أنا طلبت إحالتي على التقاعد مع الضباط الذين أحيلوا خلال شهر نيسان. لم أطلب حقوقي في الترفيع إلاّ بعد أن أجاب المشير أنّهم لم يسرحوني نظراً لخدماتي. كلّها أمور يسودها الغموض!.

طلب مقابلة المشير «عامر» ومقابلة مندوبه

تقدمت بطلب خطي إلى قيادة الجيش الأول أطلب به مقابلة المشير عندما يأتي إلى دمشق. وكثيراً ما كان يأتي ويقيم أياماً ولم يطلبني.

بعد أيام حضر كاتم أسرار الجيش الأول البكباشي «أحمد زكي» وقال: إنه موفد من قبل المشير لينوب عنه في استماع الشكوى، لأن المشير لم يتمكن من ذلك. (بكباشي ينوب عن المشير ليستمع إلى شكوى لواء)!.

قُلتُ عندما قابلت المشير طلبت منه أن يصلح الأوضاع الشاذة في الجيش ويضع لها حدّاً. وعد بإيصالي إلى حقوقي. وإذا بي أتعرّضُ لأسوأ إهانة لحقتني أثناء خدمتي - إحالة على التقاعد - ودعوة لدورة تدريبية. هل هذه هي الحقوق التي وعد بها المشير؟. وهل وافق على ما جرى ولماذا هذه المعاملة الشاذة؟ ألم يكن بالإمكان أن تجري الأمور على صورة تحفظ الكرامة.

أجاب: سأعرض هذا على المشير ولم أتلقَّ جواباً على ذلك مطلقاً!.

لكنني أنهي خدمتي مرتاح الضمير لما قدمته في سبيل وطني. كنتُ دائماً أنتدب

للمهمات الصعبة. ونجحتُ بكلّ ما طلب مني وما أوحاه ضميري وواجبي وخدمت باندفاع وأمانة وإخلاص.

مقابلة نائب رئيس الجمهورية السيد «أكرم الحوراني»

خلال شهر آب /١٩٥٨/ قابلت نائب رئيس الجمهورية الأستاذ «أكرم الحوراني» بناء على طلبي.

حدد الموعد في مكتبه بالقصر الجمهوري بدمشق. كنا على اتصال دائم منذ الانقلاب على «حسني الزعيم» نظراً لاتفاق وجهتي نظرنا على الأمور السياسية في ذلك الوقت والخطوات التي نفذناها أوصلتنا إلى الوحدة المباركة مع مصر.

أخبرته أني أحلتُ على التقاعد واستدعيت لدورة تدريبية لم تحدد مدتها ولا أعلم متى تنتهي وبقيت قائداً لمنطقة حلب. ولكنّي إذا وجدت عملاً مناسباً وكانت شروط الخدمة في الجيش فيها مسٌّ بكرامتي سأطلبُ إنهاء الدورة.

عرضتُ عليه وضعي المادي وأني أعاني من أزمة مالية بسبب شرائي أرض في مزرعة «مبيا» بجوار قطنا حتى أتمكن من استثمارها بعد إحالتي على التقاعد.

عاكستني الظروف ولم أسدد كلّ الديون. إحالتي على التقاعد تحرمني من الراتب الذي أعتمد عليه ويساعدني لأسدد ديوني إلى البنوك والأصدقاء.

إني بحاجة إلى وظيفة تدرّ عليّ بعض المال. على أن لا أكون مرؤوساً وفي مركز مرموق يحفظ كرامتي كضابط وصل إلى هذه الرتبة. طلبتُ أن يكون عملي في إحدى الشركات أو المشاريع التي تحدثها الدولة. وبإمكانه مساعدتي وهي المرّة الأولى التي أطلبُ بها المساعدة!.

أجاب نائب رئيس الجمهورية: من واجب الدولة إيجاد عمل لمن خدمها وأفنى حياته في سبيلها خصوصاً أمثالك ممن لهم أيادٍ بيضاء ولأكثر من مرّة في إعادة الحياة الدستورية إلى البلاد.

يسعدني أن أساعدك لتفريج أزمتك وتأمين راحتك المعنوية والمادية حتى لو لم تكن تمرّ بأزمة. أعطني مهلة حتى أدرس الموضوع ولربما وجدت لك عملاً مناسباً في مديرية الجمارك أو غيرها وسيحلّ الموضوع بما يحقق رغباتك. وسأبلغك عندما أجد وظيفة مناسبة. طلبت منه إذا كان لا يرغب مساعدتي حتى لا أراجعه مرة ثانية. أجاب: من حقك علينا أن تحصل على عمل مناسب وإني مستعد لتلبية طلباتك كلما دعت الحاجة. ودّعته وانصرفت.

زيارة مديري الكليات والمعاهد إلى حلب

زار الإقليم الشمالي ووصل إلى حلب من أجل التعارف والاستطلاع وفد عالي المستوى من الإقليم الجنوبي يتألف من: اللواء «نظمي منقريوس» مدير كلية أركان حرب - اللواء «صلاح فؤاد» مدير معهد الضباط العظام - واللواء «عبد الفتاح فؤاد» مفتش المقاومة الشعبية - واللواء «محمد فوزي» مدير الكلية الحربية - اللواء «حامد أحمد صالح» مديرالمتحف الحربي. ترافقهم دورة ضباط كلية الأركان حرب التي ستتخرّج هذا العام.

كان استقبال أهالي حلب لأعضاء هذا الوفد حاراً أينما حلّوا. تجولوا في شوارع المدينة والأسواق والمقاهي. زار الوفد بالإضافة إلى معالم المدينة بعض مواقع الحدود الشمالية خلال يومين قضوها في المنطقة. تخلّف اللواء «عبد الفتاح فؤاد» حيث تفقد مواقع المقاومة الشعبية.

زار حلب أيضاً طلاب كلية الشرطة في القاهرة. أعلن مدير الكلية عن سروره لهذه الزيارة وعن الاستقبال الحار الذي قوبل به طلاب كلية الشرطة من قبل أبناء حلب وعما شاهدوه في تلك المدينة التاريخية من آثار وتقدم ورقي.

الاثنين /١٤/تموز/١٩٥٨/
«انقلاب في العراق»

جرى انقلاب في العراق يرأسه اللواء «عبد الكريم قاسم».

إعدام الملك «فيصل الثاني» وولي العهد عبد الإله.

إلغاء النظام الملكي. وإعلان النظام الجمهوري. تشكيل مجلس سيادة ريثما يُنتَخب رئيسٌ للجمهورية - تشكيل مجلس الوزراء.

نصّب الملك «حسين» نفسه رئيساً للاتحاد الفيدرالي الهاشمي بدلاً من الملك «فيصل» وعيّن «الرفاعي» رئيساً للوزارة ووزيراً للخارجية والدفاع.

/ ١٥/ منه - بناء على طلب رئيس جمهورية لبنان «كميل شمعون» أنزل الأمريكيون في بيروت خمسة آلاف جندي من رماة البحرية في الأسطول السادس.

- إعدام «نوري السعيد» رئيس الوزراء السابق في العراق. قبض عليه متخفياً بلباس امرأة مغطاة الوجه ويقصد الفرار - كان قد توارى عن الأنظار نهار الانقلاب.

- اجتماع لمجلس الأمن لبحث موضوع العراق إبدال مندوب العراق في مجلس الأمن.

/ ١٦/ منه - انسحب العراق رسمياً من الاتحاد الفيدرالي الهاشمي.

التحاق الرتل العراقي الموجود في الأردن ووصوله داخل الحدود العراقية. (كان هذا الرتل قد أرسل في العهد السابق لدعم الجيش الأردني وتطويق سوريا والهجوم عليها من عدة جبهات. التحشدات التركية جزء من هذه العملية).

/ ١٧/ منه - بناء على طلب الملك «حسين» وحكومته نقلت قوات أميركية وتركية جواً ونزلت في عمان عن طريق إسرائيل.

/ ١٨/ منه - وصل الرئيس «جمال عبد الناصر» إلى دمشق قاطعاً زيارته إلى الاتحاد السوفييتي ويوغسلافيا.

/ ١٩/ منه - اتفاق بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية.

/ ٢١/ منه – وصول الرئيس «جمال عبد الناصر» إلى القاهرة.

أرجو أن يكون الانقلاب فاتحة خير على العراق والأمة العربية. وأن يتمكن المسؤولون التخلص من سيطرة الاستعمار والقضاء عليه. أن يحقق الحرية والعدالة الاجتماعية والتقدم الاقتصادي لأبنائِهِ. أن يتبع سياسة متحررة تؤدي إلى الوحدة مع الأقطار العربية.

إن ثورة العراق أحبطت المخطط الأمبريالي الأمريكي – البريطاني – الصهيوني. ومما لا شك فيه أن خروج العراق عن سيطرة الاستعمار قلب تخطيطه رأساً على عقب. وكسر الطوق عن الإقليم الشمالي.

لقد بدأ الاستعمار يحشد قواته في الأردن خوفاً على النظام الملكي من الانهيار. وفي لبنان حتى لا يتمكن المعارضون من القضاء على حكم الرئيس «شمعون» الرجعي.

«تجديد الثكنات في المنطقة الشمالية»

في مدينة حلب كانت الثكنات قديمة بعضها من أيام الأتراك والأخرى بناها الفرنسيون خارج المدينة ولكن التوسع في البناء تجاوزها وطوقها ولم يعد التدريب ممكناً حول الثكنات يجب الذهاب بعيداً للوصول إلى المكان المناسب.

الذخيرة كانت تحفظ في المغارة رقم (١ -٢ – ٣) كمستودعات. خلال فصل الشتاء تتعرض للرطوبة يجب نقلها إلى أماكن حديثة لحفظها من التلف.

ونظراً لأهمية المنطقة وزيادة القطعات والمصالح المتمركزة فيها. ولأن حلب ستكون مركز تموين قطعات المنطقة الشرقية والغربية بدلاً من دمشق اختصاراً للمسافات.

كان قادة المنطقة السابقون قد تقدموا باقتراحات لإنشاء ثكنات خارج المدينة وبيع بعض الثكنات الواقعة ضمن المخطط والتي لم تعد صالحة للاستعمال.

لاحقنا تنفيذ هذه المقترحات. شكلت لجنة من قبل الجيش والمنطقة والمصالح هندسة - شؤون إدارية مهمتها:

إعادة النظر في كافة التقارير المرفوعة إلى قيادة الجيش وتبني حل جديد ينفذ على مراحل.

بشأن الثكنات القديمة تقرر اللجنة ما يجب بيعه أو الاحتفاظ به.

إنشاء ثكنات حديثة في الأماكن التي تعينها اللجنة لاستيعاب القطعات المتمركزة في المدينة.

تحديد منطقة شؤون إدارية - مستودعات عامة: تموين تجهيز - أسلحة - ذخيرة - هندسة - محروقات.

بناء قيادة منطقة بدلاً من القيادة الحالية المستأجرة - بناء مستشفى.

بناء نادي للضباط بدلاً من النادي الحالي المستأجر أيضاً.

«منتخب الجيش العراقي يتبارى مع منتخب الجيش الأول»

إنه حدث بالغ الأهمية أن يتبارى فريق الجيش العراقي لكرة القدم مع فريق الجيش الأول للجمهورية العربية المتحدة. جرت المباراة خلال شهر أيلول في مدينة حلب تحت رعاية قائد المنطقة الشمالية.

كان استقبال الفريق العراقي حاراً من قبل الأهالي والسلطات العسكرية. وأقامت قيادة المنطقة حفلة تكريم على شرف الفريق الضيف.

منذ العام /١٩٤٩/ كان الاستعمار وأعوانه يحضرون الجيش العراقي لاحتلال سوريا والقضاء على استقلالها. ولما قاومت حرض الاستعمار كل جيرانها لاقتسامها.

ومنذ الانقلاب الأخير تحرر العراق وقضى على الرجعية التي كانت تنفذ أوامر

الاستعمار. أضحت العلاقات طبيعية بين العراق والجمهورية العربية المتحدة ومنها الإقليم الشمالي المجاور للعراق.

لقد كانت سياسة الاستعمار الدائمة أن يباعد بين الأشقاء ويغذّي الفرقة ويدخل في روعنا أن الجيش العراقي سيقضي على استقلال سوريا ووحدة الأقطار العربية الأخرى. لكن خاب ظنهم وفشلت مخططاتهم وما دروا أن الجيوش العربية ومنها الجيش العراقي جيوش وطنيّة بالدرجة الأولى ومن صميم الشعب ومن واجباتها تحرير الوطن والمحافظة على وحدته واستقلاله.

لا يمكن أن تعتدي على دولة عربية أخرى وهي تعرف أعداءَها جيداً: الاستعمارَ والصهيونيةَ اللّذيْن يحتلاّن أراضيها.

تبرعات معونة الشتاء

تنفيذاً للأمر الإداري الصادر عن قيادة الجيش الأول. أصدرت قيادة المنطقة الشمالية التعليمات التالية:

رغبة من قيادة المنطقة الشمالية في المساهمة مع بقية المناطق في أسبوع معونة الشتاء للعمل على رفع معنويات مجاهدي وسكان القرى الأمامية الذين يقفون سداً منيعاً أمام أعداء الوطن العربي والذين يبذلون في سبيل ذلك كلّ غالٍ ونفيس لحماية الحدود متحملين الأخطار التي تحيق بهم وبأسرهم كل وقت، ولتأمين الكساء الذي يقيهم قرّ الشتاء ولتخفيف حدة العوامل الجوية والطبيعية عنهم وعن نسائهم وأولادهم.

ونظراً لما في هذا العمل من واجب قومي وإنساني فقد ارتأت القيادة دعوة أكبر عدد من المواطنين للمساهمة في هذا المشروع النبيل. وتحقيقاً لهذا الغرض فقد دعت القيادة إلى اجتماع عام حضرة مندوبون عن الدوائر الحكومية ورجال الأعمال والجمعيات الخيرية والنسائية وقررت نتيجة لهذا الاجتماع تأليف لجنة رئيسية ولجان فرعية.

اللجنة الرئيسية لأسبوع معونة الشتاء لعام /١٩٥٨/ .

(١) – لجنة قيادة المنطقة الشمالية برئاسة قائد المنطقة اللواء «أمين أبو عساف» رئيساً للجنة العامة.

(٢) – ثلاث ممثلات عن اللجنة النسائية.

(٣) – ممثل غرفة الصناعة.

(٤) – ممثل غرفة التجارة.

(٥) – ممثل غرفة الزراعة.

(٦) – ممثل الشرطة والأمن.

(٧) – ممثل عن المحافظة.

(٨) – ممثل عن الدعاية والأنباء.

(٩) – ممثل عن مديرية التربية والتعليم.

(١٠) – ممثل عن الإذاعة.

(١١) – ممثل عن اتحاد نقابات العمال.

(١٢) – ممثل عن البلدية.

(١٣) – ممثل عن الهلال الأحمر.

اجتمعت اللجنة بتاريخ /١٣/ ١٠/ ١٩٥٨/ وقررت مهمات اللجنة الرئيسية واللجان الفرعية.

مهمة اللجنة الرئيسية:

١- وضع خطة لتنظيم التبرعات في المدينة ومراكز المناطق الإدارية والدعاية

اللازمة لها.

٢- تشكيل اللجان الفرعية وتحديد مهماتها.

٣- تأمين المستودعات اللازمة والمحاسبين ووسائل النقل والحراسة وذلك بمعرفة قيادة المنطقة والهلال الأحمر.

٤- تكليف الشعبة الثانية في المنطقة لطبع الإيصالات اللازمة حسب النموذج المقرر للتبرعات العينية والمادية.

٥- الإشراف العام على بقية اللجان الفرعية وسير العمل.

٦- التصرف بالتبرعات النقدية لشراء الألبسة الضرورية بواسطة لجنة شراء تعين في حينها.

٧- تجتمع اللجنة كلما دعت الضرورة لذلك للإشراف على سير العمل.

بدأ العمل وقد سارت الأمور على أحسن وجه. قامت اللجان بواجبها وأقبل الأهالي جميعهم على التبرع باندفاع واضح.

بعد انتهاء أسبوع معونة الشتاء دعت قيادة المنطقة أعضاء اللجنة الرئيسية ورؤساء اللجان في مدينة حلب الذين يمثلون كل النشاطات الاقتصادية والمهنية والزراعية والتجارية والبالغ عددها أكثر من أربعين لجنة إلى حفلة تكريم تقام على شرفهم وقد ألقى اللواء قائد المنطقة الكلمة التالية:

سادتي الاكارم

يسعدني أن ألتقي بكم في هذه الحفلة المتواضعة التي تقام تقديراً وتكريماً لكم على الجهود التي بذلتموها خلال أسبوع معونة الشتاء لأنكم تمثلون كلّ من ساهم مادياً ومعنوياً لإنجاح هذا المشروع.

إن البذل والعطاء كان وما يزال من صفات العربي أينما وجد. فلقد غذّى مواطنونا خلال مراحل التاريخ الثورات الكثيرة بالمهج والأرواح والمال سعياً وراء حريتهم واستقلالهم ووحدتهم ولا تمرّ تجربة ويطلب إلى المواطنين واجب ما حتى يهبوا ويبذلوا ما تجود به نفوسهم الخيّرة وتصل إليه أيديهم الكريمة عن طيبة خاطر كما جرى في أسبوع معونة الشتاء.

يسرني أن أذكر بعض الأمثلة البسيطة في مظهرها والعميقة في مغزاها والتي تدل على ما وصل إليه الوعي عند المواطنين.

فهذا بائع السوس يستوقف أعضاء إحدى اللجان ويصرّ على تقديمه لهم شراباً مما يحمل. ولكي لا يجرحوا شعوره لبوا دعوته الصادقة والحارة مجبرين ظناً منهم أن هذا كل ما يمكنه التبرع به - ولما ردوا إليه الكؤوس مودعين وشاكرين استوقفهم وقدم إليهم حصيلته البالغة ثماني ليرات وأصرّ على دفعها. وقد حاولت اللجنة إعادة المبلغ أو جزءاً منه فلم تفلح.

وذلك العامل الذي رمى بردائه عن كتفيه متبرعاً به. وتلك الطفلة التي زادت على تبرعات ذويها من ثيابها الخاصة.

هذا جزء يسير من أمثلة كثيرة جرت. إنها أدلة واضحة على الوعي الذي استيقظ بين صفوف أمتنا بأجمعها وسار نحو أهدافه ومن المستحيل إيقافه دونها وبهذا التصميم يقوم بكلّ واجبه. فالجندي في الخطوط الأمامية وسكان قرى الحدود يبذلون دماءَهم وهم يعلمون أن الأبصار ترمقهم والقلوب تهفو إليهم. ليوفروا الطمأنينة والجو الهادي للإنتاج والعمل.

فالمزارع والعامل والموظف يقوم بدوره في معركة الإنتاج. معركة الحرية والكرامة ذات الهدف الموحد. فلكل دوره فيها. ما دمنا نقوم بواجبنا بهذه المهمة والنشاط فالنصر لنا في معركتنا هذه بعون الله وسيقضي على عدونا الغادر بفضل هذا التعاون.

فإلى أبناء محافظة حلب الكرام في المدن والأرياف شيوخاً وشباباً وأطفالاً أقدم جزيل الشكر والامتنان باسم قائد الجيش الأول اللواء أركان حرب «جمال فيصل»

والسلام عليكم.

أعلمتنا القيادة فيما بعد عندما تمّ فرز وإحصاء التبرعات أن المنطقة الشمالية كانت أكثر المناطق سخاءً وقد احتلت المرتبة الأولى بينها.

توحيد الرتب في الجيوش العربية

دونت في مذكراتي بعض الرتب التي أُلغيت خلال هذا العام بعد ظهور الجمهورية العربية المتحدة. حتى يدرك القارىء ذلك والرتب التي حلّت مكانها. وجدت من المناسب تسجيل هذا الحدث الهام.

كانت الرتب العسكرية في الجيوش العربية تختلف كثيراً بين جيش وآخر وأكثرها غير عربية. وإذا كان قد حصل ذلك في ظل الاستعمار لا يجوز أن يبقى بعد زواله.

ظهرت هذه الفوارق جلية أيام الوحدة في الجمهورية العربية المتحدة. في جيش الإقليم الشمالي والإقليم الجنوبي.

وبما أن الجيوش العربية مدعوة للعمل معاً ضد العدو المشترك إن لم يكن من أجل الوحدة. وكان قد جرى ذلك في بعض جيوش الغرب الذين تجمعهم الأحلاف ولهم قوميات ولغات مختلفة.

قرر المسؤولون إجراء دراسات مفصّلة عن طريق الجامعة العربية لتشمل كلّ الجيوش العربية.

شكلت لجنة فنية رفيعة المستوى في الجامعة العربية ضمت مندوبي الدول العربية ودرست تسميات الرتب في جيوش الفتح الإسلامية العربية وما استجدّ عليها حتى العصر الحاضر.

التعديل الذي تمّ حسب قانون الجيش السوري (الجيش الأول)

حلّ تعبير صف الضباط بدلاً من «النقباء» - «مساعد» بدلاً من «وكيل» - «مساعد أول» بدلاً من «وكيل أول».

بالنسبة للضباط: «نقيب» بدلاً من «رئيس»

«رائد» بدلاً من «رئيس أول»

«عميد» بدلاً من «زعيم»

والباقي بدون تغيير.

«إنهاء الدورة التدريبية»

صدر الأمر بإنهاء الدورة التدريبية في /٣٠/١١/١٩٥٨/ وعند إعداد الأمر لإنهائها اقترح أحد أصدقائي في قيادة الجيش الأول أن أبقى مدة أطول وعلى الأقل حتى آخر السنة. أجاب قائد الجيش: إذا بقي حتى آخر العام سوف يستحق تعويضات التسريح وهذا لا أسمح به. يجب إنهاء خدمته فوراً.

إن إحالتي على التقاعد جرت بصورة كيدية. وعند استدعائي إلى دورة تدريبية كان من الممكن إلغاء أمر الإحالة على التقاعد لو رغبت القيادة حفظ حقوق الضابط وكرامته كانت وفّرت هذه التعويضات التي يحرص عليها قائد الجيش إذا بقيت في الخدمة مدة أطول. ولو أني تلقيت جواباً من نائب رئيس الجمهورية السيد «أكرم الحوراني» كنت طلبتُ إنهاء خدمتي قبل هذا التاريخ.

انتهت الدورة التدريبية بعد خدمة تزيد قليلاً عن خمسة وعشرين عاماً قضيتها في خدمة الوطن بجد ونشاط.

لم أدخل المستشفى يوماً واحداً بسبب المرض إلا عندما جرحتُ في الجبهة. وقمت بواجبي خير قيام.

أصلحت الوحدات التي قدتها وكانت علاقتي مع الجنود وصف الضباط وفيما بعد الضباط جيدة جداً. لم أوقع أو أفرض عقوبة إلاّ بعد تحقيق دقيق منذ تخرجي من الكلية العسكرية واستلامي المسؤولية. سعيتُ لإيصال كل ذي حقٍّ إلى حقه باتباع الدورات والترفيع.

حافظت على عتاد الجيش من خيول وأسلحة وآليات وألبسة وتموين الجنود. لم أنقل مرة بسبب تقصير أو إهمال، ولم أبعد بسبب سوء تصرف.

بعد الانقلابات التي نفّذتها أعدتُ إلى الخدمة كل الضباط المسرحين ظلماً. وأعدت لهم حقوقهم في الترفيع. ولم يخطر على بالي استلام سلطة أو فرض ترفيع استثنائي. احترمت القانون وطبقته حرفياً.

طلبت من المشير «عبد الحكيم عامر» تشكيل لجنة تحاسبني على كلّ أعمالي منذ دخولي الخدمة. كنت صادقاً في طلبي. لأن المشير وأركانه لم يرافقوني ويراقبوا أعمالي عن كثب أثناء خدمتي.

لقد سُرّحَ بعض رؤساء أركان الجيش بصورة مأساوية. وعدد من الضباط أحيلوا إلى القضاء بسبب سرقات أو إهمال أو قضايا سياسية مختلفة، تآمر أو استلام المال وبيع الوطن.

لم أترك مناسبة دون تلبية نداء الوطن. رغم الصعوبات والأخطار إنّي أتركُ الخدمة مرتاح الضمير لما قدّمته في سبيل وطني.

«حفلة وداع إنهاء الخدمة وكلمة المحتفى به»

أصرّ ضبّاط المنطقة الشمالية على إقامة حفلة الوداع التقليدية في نادي الضباط وعلى شرف اللواء المتقاعد «أمين أبو عساف» بمناسبة تركه الخدمة وقد ألقى الكلمة

التالية:

إخواني ضباط المنطقة الشمالية.

يسعى المرء أثناء حياته أن يكون عنصرا فعالا في خدمة وطنه ويرد جزءاً مما عليه لهذا الوطن من واجبات، فالمال والدماء والأرواح يقدمها المواطن رخيصة في سبيله، ولهذا رأينا أفواج الفداء تمّر تارة شنقاً وتارة أخرى شهداء في ساحات الجهاد.

ورغم ذلك تفتحت أعيننا والأجنبي يحتل بلادنا ويتحكم بمقدراتها. وكانت معركة طويلة شاقة حصلنا خلالها على استقلالنا.

ثم كانت الجمهورية العربية المتحدة نتيجة لجهود شعبنا المناضل الذي وجد بين صفوفه قائداً حكيماً عاش آلام أمته.

ذلك القائد بقيت الأمة تنتظره قروناً عديدة حتى ظهر في الوقت المناسب. حدد الهدف وحمل شعلة الحرية ينير الطريق لكل الشعوب العربية. التي قضت في كثير من أقطارها على الاستعمار وأعوانه وعلى الحكم الرجعي وسارت في الطريق التي رسمها لها رئيسنا الملهم المفدى «جمال عبد الناصر» طريق النصر بإذن الله.

نعم سلخت من حياتي خمسة وعشرين عاماً في خدمة الجيش والوطن. أحببت هذه المهنة حتى صارت الحياة العسكرية جزءاً من نفسي.

بدأتُ الخدمة في جيوش الشرق الخاصة التي كانت آلة في يد الاستعمار. وكانت خطة المخلصين أن تغير هذا الاتجاه. ظهرت النتائج في عام /١٩٤٥/ إذ كان الانتداب يعلق آماله على هذه الوحدات للقضاء على ثورة الشعب. فخذلته وكانت للشعب سنداً وعضداً وقضت على الانتداب.

في فلسطين قاتلت في صفوف جيشنا الباسل قليل العدة والعدد. راعنا ضعفه وعدم إعداده لهذه المعركة. كانت انتفاضات ومعاكسات وكفاح حتى وصلنا إلى ما نحن به من نعمة الحريّة وخير الوحدة.

الآن أترك الخدمة مطمئناً ومرتاحاً لكفاءة وقدرة القوات المسحلة في جمهوريتنا الفتية. تلك الجيوش التي يرهبها العدو ويفاخر بها الصديق.

أتركه بين أيدٍ أمينة قوية بثقافتها وإيمانها وثقتها بقيادتها الحكيمة. معتزاً بالثقة التي منحتني إياها هذه القيادة خلال خدمتي وأعدكم بأنني سأثابر على القيام بالواجب المطلوب مني كمواطن في صفوف الاحتياط، في صفوف الشعب.

أشكركم على الجهود الجبارة التي تبذلونها لإعلاء شأن وحداتكم والمعونة الصادقة التي قدمتموها لي أثناء قيادتي للمنطقة الشمالية، وعلى هذه الحفلة اللطيفة التي أتاحت لي هذه الفرصة. متمنياً لكم جميعاً التوفيق والنجاح في خدمة وطننا العزيز. والسلام عليكم.

نشاطي في الحياة المدنية

إن إحالتي على التقاعد في /٣٠/ ١١/ ١٩٥٨/ لم تكن طبيعية ولا قانونية. إنني لم أصل إلى سنّ التقاعد، وأتمتع بصحة جيدة. وقد تمّ اختياري قائداً للمنطقة الشمالية بالانتقاء. حيث كنت بمهمة في الإقليم الجنوبي، أنهيت المهمة بسرعة وعدت لاستلام قيادتي عندما تعرضت حدود سوريا الشمالية لخطر الاحتلال من قبل تركيا التي حشدت جيوشها على الحدود. تنفيذاً للسياسة الأميركية البريطانية لأن سوريا لم تدخل في حلف بغداد ضدّ الشيوعية مع العراق وتركيا وإيران والأردن ولبنان.

عندما بدأ التحضير لانتخابات الاتحاد القومي في الجمهورية العربية المتحدة الذي سيضع أسس وحدة القطرين في البداية ليشمل الوحدة العربية فيما بعد كما كنا نأمل.

وبعد أن تأكدتُ من جدية هذا الاتجاه الديمقراطي السليم بين قطرين عربيين تحررا من الاستعمار بدون شروط. ومن حرية الإنتخابات التي ستشمل كل طبقات الشعب وفئاته.

رغبتُ أن أشارك في العمل السياسي لهذه الوحدة. وأخدم وطني في المكان المناسب مثلما خدمته بصفتي ضابطاً في الجيش السوري.

في النصف الثاني من عام / ١٩٥٩/ جرت الانتخابات للاتحاد القومي في الجمهورية العربية المتحدة بإقليميها الشمالي والجنوبي.

تقدمتُ للمعركة الانتخابية وخضتها منذ بدايتها في وحدة قرية سليم بالانتخاب العام. حصلتُ على أكثرية الأصوات ثم انتخبتُ من قبل زملائي رئيساً للوحدة. وهي اللجنة التنفيذية في القرية.

كان على اللجان التنفيذية في القرى أن ينتخبوا أعضاء اللجنة التنفيذية للمنطقة وفزتُ بعضوية اللجنة.

اجتمع أعضاء اللجان التنفيذية للمناطق والأقسام في محافظة السويداء لانتخاب أعضاء اللجنة التنفيذية في المحافظة وعددهم اثنا عشر عضواً من الفائزين.

اجتمع أعضاء اللجنة لانتخاب مكتب اللجنة التنفيذية في المحافظة والمؤلف من: رئيس، ونائب رئيس، وأمين السر، وأمين الصندوق.

فزتُ بأكثرية الأصوات حيث انتخبت رئيساً للجنة التنفيذية في المحافظة وبذلك أصبحتُ من أعضاء مكتب اللجنة التنفيذية في المحافظة ومع مكاتب اللجان التنفيذية في باقي المحافظات نشكل اللجنة التنفيذية للاتحاد القومي في الإقليم الشمالي. وهي جزء من اللجنة التنفيذية للاتحاد القومي في الجمهورية العربية المتحدة. وبذلك تمّ تشكيل الاتحاد القومي في الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة.

في / ٢٠/ شباط / ١٩٦٠/ ذهب أعضاء اللجنة التنفيذية للاتحاد القومي في الإقليم الشمالي إلى القاهرة برئاسة أمين سر الاتحاد السيد «عبد الحميد السراج» حيث عقدت الاجتماعات مع اللجنة المماثلة في الإقليم الجنوبي.

جرى تشكيل قيادة الاتحاد القومي العام في الجمهورية العربية المتحدة. ثم وضعت أسس العمل الموحد بين الإقليمين وخطة التحضير للمؤتمر العام.

عدنا إلى دمشق حيث وضعت الخطة المفصلة. وعدنا إلى محافظاتنا لتطبيق ما اتفق عليه.

بدأت المؤتمرات اعتباراً من اللجنة التنفيذية للقرية حيث سجلت طلبات الوحدات.

نهار الخميس /٢٨/ نيسان عقد اجتماع لجان مدينة السويداء ومنطقة السويداء.

الجمعة /٢٩/ نيسان عقد اجتماع لجان منطقة صلخد.

السبت /٣٠/ نيسان عقد اجتماع لجان منطقة شهبا.

بتاريخ /١٦/ ٦/ ١٩٦٠/ عقد المؤتمر العام لمحافظات الإقليم الشمالي برئاسة المشير «عبد الحكيم عامر» بعد الاطلاع على الحاجات الحقيقية للأهالي نتيجة تقارير اللجان التنفيذية في المحافظات التي رفعت إلى أمانة السر في الإقليم.

جرت دراسة هذه الطلبات بالتفصيل وبعد تدقيقها وتنسيقها من قبل اللجان المختصة جرى تقديمها باسم الإقليم الشمالي إلى المؤتمر العام للاتحاد القومي للجمهورية العربية المتحدة في القاهرة.

المؤتمر العام الأول للإتحاد القومي في الجمهورية العربية المتحدة

الثورة تضع سلطات الحكم في يد الشعب – المؤتمر العام للاتحاد القومي هو أعلى سلطة في الدولة.

إن الاتحاد القومي في الجمهورية العربية المتحدة وهو الشعب بعد تنظيم صفوفه يعالج الحاجات الحقيقية للأهالي على ضوء الواقع بالاشتراك مع الحكومة لبناء الأمة بناءً سليماً من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية وذلك للمساهمة في إقامة مجتمع اشتراكي ديمقراطي تعاوني متحرر يتمتع بالاستقلال.

وهو يحمل بقيادة زعيمه وقائده الرئيس «جمال عبد الناصر» رسالة القومية العربية داعماً القضايا العربية أينما وجدت.

أصدر الرئيس «جمال عبد الناصر» بوصفه رئيساً للاتحاد القومي قراراً بتكوين

المؤتمر العام للاتحاد القومي للجمهورية. وقد نص القرار على تكوين اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد من عشرين عضواً وهي أعلى سلطة تنفيذية للاتحاد.

عقد في القاهرة مؤتمر الاتحاد القومي للجمهورية برئاسة الرئيس «جمال عبد الناصر» من /٩/ إلى /١٦/ تموز /١٩٦٠/ قام بإلقاء بيانات أمامه كل من السيد «عبد اللطيف البغدادي» نائب الرئيس عن خطة التنمية الاقتصادية لمضاعفة الدخل في عشر سنوات. والمشير «عبد الحكيم عامر» نائب رئيس الجمهورية عن سياستنا العسكرية. والسيد «محمود فوزي» وزير الخارجية عن السياسة الخارجية.

بعد ذلك تمّ تشكيل اللجان المختلفة. لكل لجنة هيئة مكتب تتكون من: مقرر أول، ومقرر ثانٍ، وأربعة أعضاء من أعضاء اللجنة وأمين سر.

يقوم رؤساء اللجان التنفيذية - بإقليمي الجمهورية - باختيار مقرر أول ومقرر ثانٍ لكل لجنة من لجان المؤتمر من بين أعضائها ويتولى الأول تنظيم جلسات اللجنة، والإشراف على سير المناقشات فيها والتوقيع على محاضرها.

وقد تمّ اختياري مقرراً ثانٍ للجنة الدفاع. ونظراً لمرض المقرر الأول استلمتُ وظيفته.

عند زيارة اللجنة من قبل سيادة الرئيس «جمال عبد الناصر» قدّمت له التقرير التالي:

(يشرفني أن أرحب باسم أعضاء لجنة الدفاع وباسمي بسيادة زعيمنا ورئيسنا المفدّى. إن هذه الزيارة وتوجيهاتكم هما مصدر إلهام وقوة لنا تبعث فينا النشاط وتزيد انتباهنا إلى الواجبات الملقاة على عاتقنا.

لقد فجّرتم يا سيدي الرئيس إمكانيات شعبنا ودليلنا هذا المؤتمر الذي يجمع ممثلي الأمة بكلّ إمكانياتها وفئاتها المختلفة تتعاون لرفع مستوى وطننا الغالي على كل المستويات. فسيروا وفقكم الله ونحن جنودكم المخلصون).

إن هذه اللجنة قد درست في جلساتها السابقة البيانات التي قدّمت إليها من سيادة المشير نائب رئيس الجمهورية ووجهت إليه الأسئلة وناقشتها كما ناقشت اقتراحات

الأعضاء وختمت أعمالها بتوصيات رفعتها إلى لجنة التنسيق.

هذا وقد أصدر المؤتمر العام كثيراً من القرارات والتوصيات واجبة التطبيق تمثل إرادة الشعب أهمها:

- التصميم على الدفاع عن حقوق عرب فلسطين - استنكار السكوت على جرائم الصهيونية والاستعمار - الوقوف مع شعب الجزائر، ومع شعب الخليج العربي، ومع شعوب أفريقيا دفاعاً عن الحرية والكرامة والرخاء - الوقوف ضد الاستعمار والصهيونية وضد التفرقة العنصرية، وضدّ التجارب النووية، وضد الحرب الباردة.

- المساواة في إعفاءات الضرائب، توحيد فئاتها، تصفية المنازعات الضريبية.

وبما أن الاتحاد القومي قد شكل بانتخابات اشترك فيها الشعبُ بكامله. تقرر أن يشكل مجلس الأمة في الجمهورية العربية المتحدة من رؤساء اللجان التنفيذية في المحافظات وبعض أعضائها لتمثيل المدن والمناطق مع مراعاة نسبة تعداد السكان.

نهار الخميس /٢١/ تموز/ اقتتحت الجلسة الأولى لدور الانعقاد الأول لمجلس الأمة بالجمهورية العربية المتحدة.

بعد أن حلف السادة أعضاء المجلس جميعهم اليمين الدستورية وانتخاب السيد «أنور السادات» رئيسا للمجلس. وانتخاب مكتب المجلس.

أدى السيد رئيس الجمهورية «جمال عبد الناصر» القسم ثم القى بيان الافتتاح. ومما جاء فيه:

«لقد بزغ أمل هذا الشرق. إن دولة جديدة تنبعث في قلبه.

لقد قامت دولة كبرى في هذا الشرق، ليست دخيلة فيه ولا غاصبة، ليست عادية ولا مستعدية. دولة تحمي ولا تهدد، تصون ولا تبدد، تقوّي ولا تضعّف، توحد ولا تفرق، تسالم ولا تفرط، تشد أزر الصديق، تردّ كيد العدو، لا تتحزّب ولا تتعصب، لا تنحرف ولا تنحاز، تؤكد العدل، تدعم السلام، توفر الرخاء لها ولمن حولها، للبشر

جميعاً، بقدر ما تتحمل وتطيق».

وعند تعيين لجان المجلس عينت في لجنة الدفاع وانتخبت رئيسا لها. وعينت أيضا بناءً على طلبي في لجنة الشؤون العربية.

باشرنا عملنا وقمنا بواجبنا. وقد وجدتُ بين أوراقي مسودة هذا السؤال الذي وجّهته إلى وزير الخارجية وهذا نصه:

سؤال موجه إلى السيد وزير الخارجية من العضو «أمين أبو عساف» عن مدى تغلغل إسرائيل الاقتصادي في الدول الأفريقية والذي يؤول دائماً إلى السيطرة السياسية وطرق مكافحتها.

إن الصهيونية بمساعدة الاستعمار حليفها الدائم قد سهّل لإسرائيل التغلغل الاقتصادي، وتقديم الخبرة الفنية في كثير من الأقطار الأفريقية التي استقلت حديثاً أو هي في الطريق إلى الحرية. وهذا يؤدي إلى السيطرة السياسية:

ما هي الخطوات التي اتخذت من قبل حكومة الجمهورية العربية المتحدة لمنع إسرائيل من السيطرة على اقتصاديات هذه البلدان أو الحدّ منها؟.

وبالمقابل ما هي السياسة التي تتبعها الحكومة لإبعاد إسرائيل عن هذا المجال الحيوي في أفريقيا مع تأمين ما قد تحتاج إليه هذه الدول الناشئة من خبرة فنية أو غيرها من الدول العربية أو من مصادر أخرى غير خطرة على استقلالنا ووجودنا؟.

القاهرة ٢٣/١٠/١٩٦٠م

بقيت أقوم بعملي في مجلس الأمة مع واجباتي كرئيس اللجنة التنفيذية في محافظة السويداء مثل باقي رؤساء اللجان في المحافظات.

الإثنين في /٢٦/ حزيران /١٩٦١/ ذهب وفد من مجلس الأمة إلى يوغسلافيا برئاسة رئيس مجلس الأمة السيد «أنور السادات» وكنت من أعضائه لرد الزيارة لوفد نيابي يوغسلافي كان قد زار الجمهورية العربية المتحدة.

بعد الاجتماعات الرسمية مع المسؤولين في المجلس النيابي اليوغسلافي وزيارة رئيس مجلس الاتحاد اليوغسلافي المارشال «جوزيف بروز تيتو».

زرنا معالم بلغراد العاصمة والمعامل والمدن الهامة وحضرنا حفلات النصر والاستقلال الرسمية والشعبية.

ثم قمنا بجولة ترفيه على الحدود الشمالية مع النمسا وشاهدنا إحدى البحيرات الطبيعية الجبلية تحيطها القمم، وتمخرها القوارب حاملة السياح وهي مكان سياحي معروف. وبعدها زرنا بعض جزرها الرائعة الخضراء على البحر الأدرياتيكي (يبلغ عدد الجزر ١٥٠٠) ومنها جزيرة بريوني حيث يمضي الرئيس «تيتو» فيها عطلاته. وفي الجزيرة التي اجتمع فيها أقطاب الحياد الإيجابي عام /١٩٥٦/ وهم: («تيتو» - «عبد الناصر» - «نهرو»).

إن الاتحاد اليوغسلافي يتشكل من ست جمهوريات مساحتها ٤/٥ جبال وغابات و ١/٥ سهول ضحايا الحرب العالمية الثانية بلغ /٨/ ملايين نسمة.

أحملُ أجمل الذكريات عن هذه الزيارة.

بقيت أتحمل المسؤولية وأقوم بواجبي مثل باقي زملائي حتى ٢٨/٩/١٩٦١ حيث جرى انقلاب الانفصال في دمشق وقضى على وحدة الجمهورية العربية المتحدة. وأعادَ الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل الوحدة.

انقلاب الانفصال

الأحد ٢٨/ أيلول / ١٩٦١ ، رغم أني ختمت مذكراتي في نهاية خدمتي عام ١٩٥٨م رغبت تسجيل هذا الحدث.

هذا الصباح قام بعض ضباط الجيش على رأس قطعاتهم بانقلاب عسكري في دمشق.

احتلوا المواقع العسكرية في المدينة والإذاعة والهاتف وأوقفوا المشير «عبد الحكيم عامر» وقائد الجيش الفريق «جمال فيصل» ورئيس المجلس التنفيذي السيد «عبد الحميد السراج».

إنها كارثة الانفصال في الجمهورية العربية المتحدة لوحدة دامت ثلاث سنوات وسبعة أشهر وستة أيام. كانت الوحدة قد أعلنت في /٢٢/ شباط ١٩٥٨م.

ماذا ينفع البكاء انهارت الوحدة بصورة مأسوية وهي في ريعان شبابها بعد نضال طويل من قبل الشعب لتحقيقها.

مهما كانت الأسباب، إن هذا الانقلاب إجرام بحقّ الوطن.

كانت العادة أن تقوم الانقلابات لصالح الوطن: لتصحيح وضع شاذ أو حكم فردي مستبد وإبعاد تدخل استعماري.

وهذا لا ينطبق على الوحدة وتشكيلاتها التي استندت على الشرعية منذ قيامها.

جرى استفتاء شعبي عام اشترك فيه الشعب بكل طبقاته. وافق على دستور الوحدة ونظامها الرئاسي.

بعد الاستفتاء مباشرة والذي أسفر عن انتخاب الرئيس «جمال عبد الناصر» رئيساً للجمهورية العربية المتحدة. عيّن الرئيس أربعة نواب لرئيس الجمهورية وألّف وزارة موسّعة تمثل القطرين.

لا يوجد تدخل استعماري لأن الأستعمار حارب الوحدة وهو يعمل ضدها.

فيما بعد جرى انتخاب الاتحاد القومي من قبل الشعب ويمثّل كل طبقات الأمة وشكل منه مجلس الأمة.

وإن كانت سياسة الحكم موجهة فهي تقوم على قواعد يمكن إصلاحها من الداخل.

من هم المستفيدون من زوال الوحدة:

آ- بالنسبة للسياسيين والمدنيين، إنه الاقطاع والبرجوازية. إن قانون الإصلاح الزراعي قضى على الإقطاع لصالح الفقراء والمعدمين.

والاقتصاد الموجه وتأميم الشركات قضى على أصحابها القلائل وعلى مجموعات الأفراد من ذوي النفوذ التي تسيطر على الإنتاج الداخلي والتجارة الخارجية لصالح الدولة والشعب بكامله. يضاف إلى ذلك سيئات الحكم البوليسي!.

ب- من الناحية العسكرية: إن هؤلاء الضباط الذين نفذوا الانقلاب كانوا في وضع يحسدون عليه. لأن تسريح العدد الكبير من الضباط القدماء قبل وقت التقاعد سمح لهم باستلام مراكز هامة واستفادوا من الترفيع الاستثنائي.

كان بإمكانهم السعي لتصحيح الأخطاء التي حدثت في الجيش بصورة مشروعة. عن طريق التقارير الدورية. أو المقابلات مع الرؤساء أثناء جولات التفتيش الرسمية أو طلب المقابلة لو كانت النوايا سليمة. لم يفعلوا ذلك ونفذوا رغبة الإقطاع والبرجوازية.

ومن المؤسف أنه لم تتحرك ولا فئة من الشعب ضد الانقلاب. بل تحركت الفئات الموالية، إن الأسباب التي أوصلتنا إلى هذا الوضع كثيرة ومتشعبة:

١- تسريح عدد من كبار الضباط الأكفاء.

٢- نقل عدد من الضباط السوريين إلى الإقليم الجنوبي وإعطائهم مراكز ثانوية.

٣- نقل عدد كبير من الضباط المصريين إلى الإقليم الشمالي واستلامهم مراكز حساسة.

٤- الذين استلموا القيادات العليا في الإقليم الشمالي لم يكونوا على مستوى مسؤولياتهم.

عندما أنتهت الدورة التدريبية استأجرت منزلاً وأقمتُ في دمشق من أجل تعليم

أولادي. وكان أكبرهم في الصف الثالث ابتدائي.

كان يأتي لزيارتي أحياناً بعض الضباط الذين خدموا تحت قيادتي وكذلك بعض صف الضباط. كنتُ أسألهم عن الأحوال؟ وعندما يأتي ذكر الجيش عرفت منهم ما يلي:

إن أكثرية الضباط المصريين معاملتهم لزملائهم ومرؤوسيهم من صف الضباط والأفراد وحتى لرؤسائهم السوريين أحياناً سيئة. وكأنهم من طبقة أعلى من هؤلاء وأتوا إلى الإقليم الشمالي لحكمه، ويروون حوادث واقعية من إهانات وبذاءة لسان، ربما لأنهم معتادون في مصر على إهانة جنودهم وصف الضباط، بينما العسكريون في سوريا يعتزون بكرامتهم ولا يتقبلون الكلام البذيء والإهانات من رؤسائهم. منذ أيام الفرنسيين كانت كرامة الفرد مصانة، بعد ذهابهم، كنتُ أوصيهم أن يخبروا القيادة عن طريق رؤسائهم عن طريق التسلسل.

هؤلاء الضباط لم يتلقوا من القيادة التوجيه اللازم لفهم نفسية السوريين. ولم تؤخذ التدابير المناسبة للقضاء على هذه المخالفات في القطعات.

وقد جرت حوادث عنف فردية. وفرضت عقوبات دون القضاء على أسبابها.

كان على قيادة الجيش أن تضع الحلول المناسبة وإعطاء التوجيه اللازم من دورات ومحاضرات وأوامر توجيهية لتلافي هذه الأخطاء ووضع حد صارم لها.

في الإقليم الشمالي يتحمل المشير «عبد الحكم عامر» المسؤولية كاملة مع معاونيه لأنه استلم السلطات العليا من مدنية وعسكرية وانتقى معاونيه:

من الناحية السياسية يعاونه رئيس المجلس التنفيذي السيد «عبد الحميد السراج» ومن الناحية العسكرية قائد الجيش الأول الفريق «جمال فيصل».

لن أتحدث إلاّ عن الجيش: الفريق «جمال فيصل» ابن سوريا وابن الجيش يعرف تفكير رفاق السلاح ومرؤوسية من أبناء سوريا. لماذا أبتعد عنهم؟ ولم يتعرف إلى مطالبهم وشكاواهم وإصلاح الخطأ طيلة أيام الوحدة. لو قام بواجبه لما جرت الأمور

من وراء ظهره وفوجيء بالانقلاب، وهيأ لهم بإهماله تحطيم الوحدة.

النتيجة: أقلت طائرة عسكرية المشير «عبد الحكيم عامر» وقائد الجيش الفريق «جمال فيصل» إلى القاهرة.

أوقف رئيس المجلس التنفيذي، أوقف الضباط المصريون حتى يعود الضباط السوريون، وقضي على الوحدة بهذه السهولة.

الملاحق

الجمهورية السورية

الجيش

محضر جلسة

بناء على رغبة دولة رئيس مجلس الوزراء اجتمع في الساعة الثانية عشرة من السابع من آب عام ١٩٥٠ العقداء التالية أسماؤهم:

- العقيد أديب الشيشكلي	معاون رئيس الأركان العامة
- العقيد عزيز عبد الكريم	قائد سلاح المدفعية
- العقيد شوكت شقير	المعاون الأداري
- القعيد توفيق نظام الدين	مدير المحاسبة والإدارة
- العقيد محمود بنيان	آمر لواء البادية
- العقيد عمر خان تمر	آمر اللواء الثاني
- العقيد أمين أبو عساف	آمر اللواء الأول

وتداولوا في قضية الساعة التي تتعلق بسلامة الجيش ووحدته، وبعد التداول تقرر بالإجماع ما يلي:

أولاً: أن لا يتدخل الجيش بعد اليوم في أي شأن من الشؤون السياسية الداخلية منها والخارجية ويرى من الضروري أن تصدر رئاسة الأركان العامة بلاغا بهذا الصدد ليكون الرأي العام السوري على علم بذلك.

ثانياً: إعادة تنظيم وتشكيل الشعبة الثانية في الأركان العامة.

ثالثاً: إذاعة بلاغ على عموم وحدات الجيش لتحذير العسكريين عن أن كل تدخل في الشؤون السياسية أو الحزبية سيقمع بأقصى الشدة وسيحيل المتدخلين إلى المحاكم بموجب المادة ٢٠٠ من قانون الجيش.

رابعاً: تعميم بلاغ على جميع الضباط لتحذيرهم من الأخذ بالشائعات والدعايات المغرضة التي ترمي إلى تفسخ الجيش وانقسامه.

خامساً: القيام بمناورات لقطعات الجيش وخصوصاً المتمركزة منها في منطقة دمشق بقصد إبعادها عن جو السياسة والشائعات وتطبيق خطط الدفاع المرسومة.

سادساً: معالجة جميع القضايا الهامة في الجيش أمام مجلس الدفاع العسكري.

سابعاً: اتخاذ الإجراءات اللازمة لسلامة التحقيق في قضية اغتيال المرحوم العقيد محمد ناصر من تشكيل لجنة للإشراف على سير التحقيق إذا أجازت القوانين ذلك وتبديل العناصر التي تقوم بإدارة وحراسة السجن العسكري وغيرها من الإجراءات التي نرى أنها ضرورية.

ثامناً: فقد اقسم المجتمعون اليمين على تنفيذ هذه المقررات بكل أمانة وإخلاص وعلى العمل للوئام والتضامن في صفوفهم وصفوف الجيش.

العقيد أديب الشيشكلي — العقيد عزيز عبد الكريم

العقيد شوكت شقير — العقيد توفيق نظام الدين

العقيد محمود بنيان — العقيد عمر خان تمر

العقيد أمين أبو عساف

٢٤٠٠ الجريدة الرسمية للجمهورية السورية - العدد ٣٢ تاريخ ١٩ تموز ١٩٥١ وزارة الدفاع الوطني

مرسوم رقم ١٠٢٠

بموجب المرسوم رقم ١٠٢٠ تاريخ ١٩٥١/٧/١١

يمنح العسكريون المبينة أسماؤهم الوسام الحربي حسب الدرجة المذكورة أدناه تقديراً للشجاعة والبسالة التي أبدوها عند قيامهم بالواجب في العمليات الحربية.

آ - الوسام الحربي من الدرجة الأولى بعد الممات:

السيد	المرحوم أسعد عمير	ملازم أول	فوج المشاة الأول
٥٤٦١٦٤	زازو كاوه	وكيل	كتيبة الاستطلاع
٢٩٥٠٨	طه كلاس	مجند	كتيبة الاستطلاع
٣٦٣٨٦	محمد حداد ديب	مجند	كتيبة الاستطلاع
٣٦٣٦٩	أحمد عيسى حسن	مجند	كتيبة الاستطلاع
٢٢٦٦٩	صالح الحاج عبد الله	رقيب	فوج المشاة الأول
٢٠٩١٩	يونس أسعد العيسى	مجند	فوج المشاة الأول
٢٣٠٨٩	عبده صالح عيسى شعبان	مجند	فوج المشاة الأول
٢٠٢١٢	علي بن محسن محسن	مجند	فوج المشاة الأول

ب - الوسام الحربي من الدرجة الثانية:

السيد	جميل زهر الدين	مقدم	فوج المشاة الأول
٣٠٣١١	سليم عيسى عبيد	رقيب أول	فوج المشاة الأول
السيد	نبيه صباغ	مقدم	سرية مقر اللواء الأول
-	واصف جيوشي	ملازم	فوج المشاة الأول
٤٢٢١	محيد ديوب	وكيل	الفوج السادس عشر

ج - الوسام الحربي من الدرجة الثالثة:

السيد	شهير دربعيج	ملازم أول	فوج المشاة الأول
-	جواد عبد الرحيم	ملازم	كتيبة الاستطلاع
٥٣٧٩١	حيدر أحمد	رقيب	كتيبة الاستطلاع
٨١٢٢	ناظم علي دوغوظ	رقيب	كتيبة الاستطلاع
٢٢٩٥١	إبراهيم الأحمد	رقيب	فوج المشاة الأول
٢٤٨٠٧	محمد نعامة	رقيب أول	فوج المشاة الأول
٢٥١٧٥	جبرائيل حداد	رقيب أول	فوج المشاة الأول
٣٠٣٢٧	يوسف إبراهيم	رقيب	فوج المشاة الأول
٤٨٥٢	نايف جرمقاني	وكيل	الفوج السادس عشر
٦٨٠٢	عادل أبو فخر	عريف	الفوج السادس عشر
٦٩٣٤	مجلي الرباع	عريف ا	لفوج السادس عشر
٨٤٣٥	حسين نعيم	جندي أول	الفوج السادس عشر
٢٨٩٦٨	محمد إسماعيل عمر	جندي	الفوج السادس عشر
٥٤٤٢٣	جدوع الساير	جندي	الفوج السادس عشر
٥٤٤٢٧	مفلح مصبح		

١٠٤٢ الجريدة الرسمية للجمهورية السورية - العدد ١٣ ت تاريخ ١٩ تموز ١٩٥١ وزارة الدفاع الوطني

مرسوم رقم ١٠٢١

بموجب المرسوم رقم ١٠٢١ تاريخ ١١/ ٧/ ١٩٥١

يمنح العسكريون المبينة أسماؤهم أدناه وسام الجرحى نظراً لإصابتهم أثناء قيامهم بالواجب في منطقة العمليات الحربية.

الأسم والشهرة	الرتبة	القطعة
مكان تل المطلة بتاريخ ٥/ ٥/ ١٩٥١		
واصف جيوشي	ملازم	فوج المشاة الأول
محمد سليمان محمد	رقيب	فوج المشاة الأول
محمد ديوب	وكيل	الفوج السادس عشر
عادل أبو الفخر	عريف	الفوج السادس عشر
محمد إسماعيل العمر	جندي	الفوج السادس عشر
محمد ساجر	جندي	الفوج السادس عشر
علي المحمد	مجند	الفوج السادس عشر
محمد خالد المصري	مجند	الفوج السادس عشر
عباس محمود سليمان	مجند	الفوج السادس عشر
محمد نعامة	رقيب أول	فوج المشاة الأول
يوسف إبراهيم	رقيب	فوج المشاة الأول
خليل عيسى	رقيب	فوج المشاة الأول
جبرائيل حداد	رقيب أول	فوج المشاة الأول
محمد بن علي	عريف	فوج المشاة الأول
مرشد حسن	جندي أول	فوج المشاة الأول
محمد سلهب	جندي	فوج المشاة الأول
نظير علي عيسى	مجند	فوج المشاة الأول
محمد عباد الأبرش	مجند	فوج المشاة الأول
معنز اسكندر معلا	مجند	فوج المشاة الأول
مصطفى خليل	مجند	فوج المشاة الأول
نديم خالد الطبال	مجند	فوج المشاة الأول
محمد احمد علي حسن	مجند	فوج المشاة الأول
سليمان محمد سليمان	مجند	فوج المشاة الأول
إبراهيم مخول يعقوب	مجند	فوج المشاة الأول
قاسم كعدان	مجند	فوج المشاة الأول
يوسف اسعد رجب	مجند	فوج المشاة الأول
يوسف محمد غنيم	مجند	فوج المشاة الأول
علي محمد علي	مجند	فوج المشاة الأول
محمود علي مقرر	مجند	فوج المشاة الأول
محمد الريس	مجند	فوج المشاة الأول
داود محمود عيسى	مجند	فوج المشاة الأول
نبيل عمران	مجند	فوج المشاة الأول
مجد إبراهيم	مجند	فوج المشاة الأول
سليمان ساوي	مجند	فوج المشاة الأول

رسالة عن تاريخ العائلة

السيد جبر الصغير من أقاربنا في عرمان، اشترك في الثورة السورية الكبرى وكان من أبطالها، عندما سيطر الفرنسيون على كل أنحاء الجبل اضطر إلى الدخول إلى الأردن مع سلطان باشا وغيره من ابطال الثوار. ومن هناك سافر إلى فنزويلا وأقام فيها.

على أثر الانقلاب الذي جرى في سوريا على «الشيشكلي» نشر مقالا في إحدى المجلات التي تصدر في فنزويلا باللغة العربية يتعلق بالذين برزوا من «آل أبو عساف» منذ سكنوا جبل حوران وكيف وصلوا إليه. وأرسل المجلة التي نشرت المقال وهذا نصّه:

ينتمي العقيد «أمين أبو عساف» إلى عائلة استوطنت الجبل نازحة من حلب إلى لبنان ثم إلى حوران. وقد نال رجالها شهرة واسعة في الحروب التي مرت على الجبل. أشهرهم «حسين أبو عساف» الذي تولى قيادة فرسان الدروز عام ١٢٥٣ هـ أثناء حرب «إبراهيم باشا» وانتصر على عدة حملات ومحاولات للاستيلاء على اللجاه حيث حاصر الدروز.

تولى بعده رئاسة الأسرة ولده «محمد أبو عساف» الملقب «بالقميزي» ويعود سبب هذا اللقب إلى الحادث الآتي:

من عادة فرسان الدروز أن يهجموا على مركز مقاومة بعدد من الفرسان بصورة مفاجئة وبسرعة والذي يصل يقضي على أفراد المركز بالسيف.

وحدث أن انقض «الشيخ محمد أبو عساف» مع نخبة من فرسانه على بطارية مدفعية تركية في معركة اسمها «صاري عسكر» عام ١٢٦٩ هـ وعندما وصل إلى مركز الدفاع قفز الجواد فوق عربة المدفع ليصل إلى السدنة فعلقت يدا الجواد في عجل المدفع وكبا فقفز على الأرض دون أن ينتظر وأفنى المدافعين بحد سيفه قضى على المقاومة ومكن الدروز من النصر، فلقب بالقميزي نظراً لجرأته، ويعرف أولاده وأحفاده بهذا اللقب حتى اليوم «أولاد القميزي».

واشترك بنجاح في معارك ١٢٧٣ هـ وفي عام ١٢٩٦ هـ قام بحركة التفاف بارعة مع فرسانه على ميمنة الجيش التركي بقيادة «جميل باشا» أدت إلى انكسار الجيش التركي وكسب معداته.

ولإفرداها جولات مشهورة في كافة ثورات الجبل لا مجال لذكرها الآن.

الفهرس

الفصل الثامن

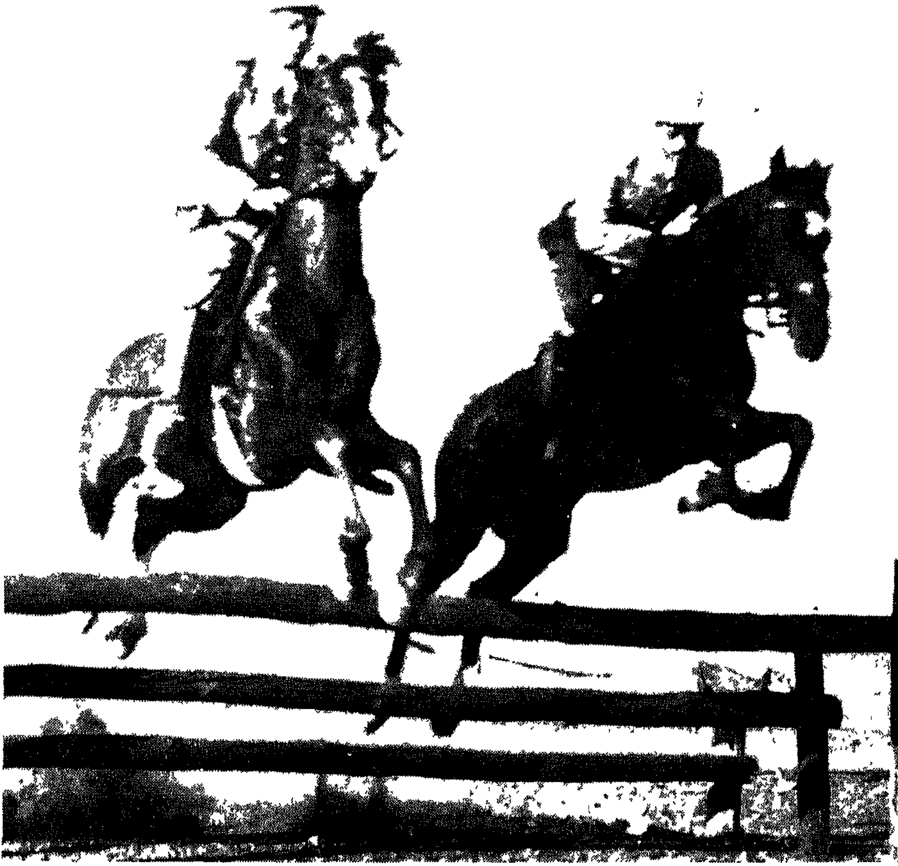
قيام الجمهورية العربية المتحدة - وعملي العسكري والمدني خلالها



احدى القفزات عن الحواجز لصاحب المذكرات اثناء التدريب



صورة تذكارية لحفلة التخرج من الكلية الحربية عام ١٩٣٦ . ويظهر في الصورة مدير الكلية في الوسط الكولونيل «برن» والمدربون جلوساً والطلاب وقوفاً. صاحب المذكرات جالساً على الأرض امام مدير الكلية يحيط به رفاقه الأربعة الفرسان.



القفزة الثنائية على الحواجز تنفيذ الضابطان أمين أبو عساف ومحمود بنيان.



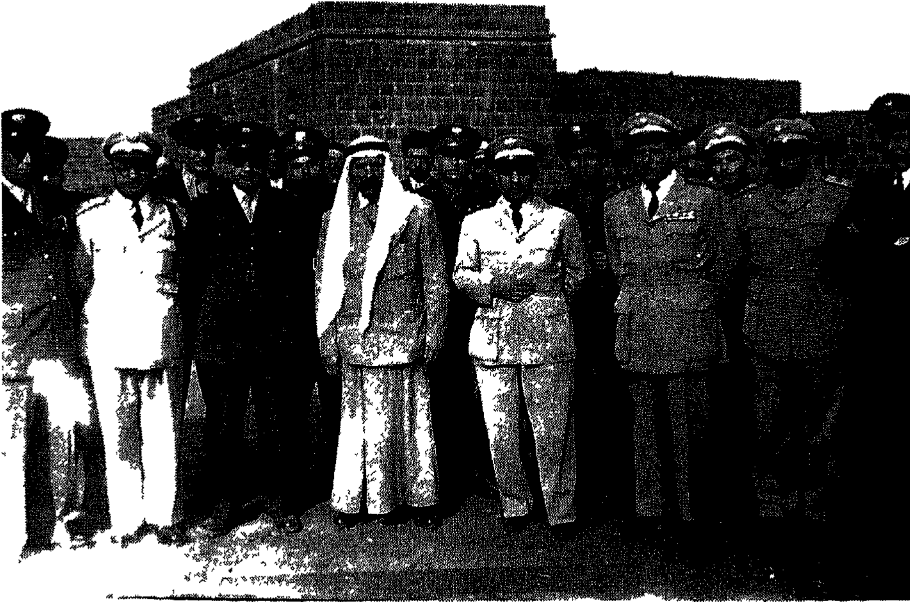
السيد عبد الرحمن عزام الأمين العام لجامعة الدول العربية وإلى يمينه الزعيم حسني الزعيم والزعيم سامي الحناوي والعقيد أمين أبو عساف أثناء زيارته للجبهة عام ١٩٤٩ .



الزعيم سامي الحناوي في الوسط وعلى يساره المقدم أمين أبو عساف فالملازم الأول مصطفى كمال مالكي والملازم حسين حده وعلى يمينه العقيد علم الدين القواص فالرئيس تحسين الميداني فالملازم الأول مصطفى الدواليبي.



العقيد أمين أبو عساف بين الزعيم رفعت خانكان والزعيم أنور بنود عام ١٩٥٠ .



سلطان باشا الأطرش وعلى يساره العقيد اديب الشيشكلي والعقيد محمود بنيان فالعقيد سعيد حبي وعلى يمينه العقيد عزيز عبد الكريم فصاحب المذكرات مع لفيف من الضباط اثناء زيارة «القريا» عام ١٩٥٣ .



المرحوم داود أبو عساف اثناء زيارة اديب الشيشكلي له في قرية «ولنا» وعلى يمينه صاحب المذكرات عام ١٩٥٣ .



في احدى المناورات العسكرية - العقيد اديب الشيشكلي يتحدث إلى أحد الخبراء الألمان ومعهم قائد المناورة العقيد أمين أبو عساف.



فخامة الرئيس المرحوم هاشم الأتاسي يحيط به صاحب المذكرات وعدد من السياسيين الذين تشاور معهم حول تشكيل الحكومة عام ١٩٥٤ بعد القضاء على حكم الدكتاتور أديب الشيشكلي.



من الشمال الى اليمين حسني البرازي، العقيد أمين أبو عساف سلطان باشا الأطرش، ميخائيل الياسن وراءهم الاستاذ عادل العجلاني فالنائب السابق السيد سليم الداود.



صاحب المذكرات مع الرئيس كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية بمكتبه في بيت الدين عام ١٩٥٤.



صاحب المذكرات الرابع عن اليمين وعلى يساره المرحوم الاستاذ كمال جنبلاط وعلى يمينه الدكتور أسد المصري فالملازم طلال أبو عساف في المختارة عام ١٩٥٤ .



السيد سعيد الغزي رئيس الوزراء وزير الدفاع اثناء حضوره لمناورات الجيش صيف عام ١٩٥٤ صاحب المذكرات الثاني عن يمينه.



فخامة الرئيس شكري القوتلي يلقي خطاباً بأحدى المناسبات الوطنية ويجلس في الصف الأول من اليسار إلى اليمين الزعيم عزيز عبد الكريم فالزعيم توفيق نظام الدين والزعيم آرام كرمنو لكيان فالزعيم شوكت شقير والزعيم أمين أبو عساف عام ١٩٥٥ .



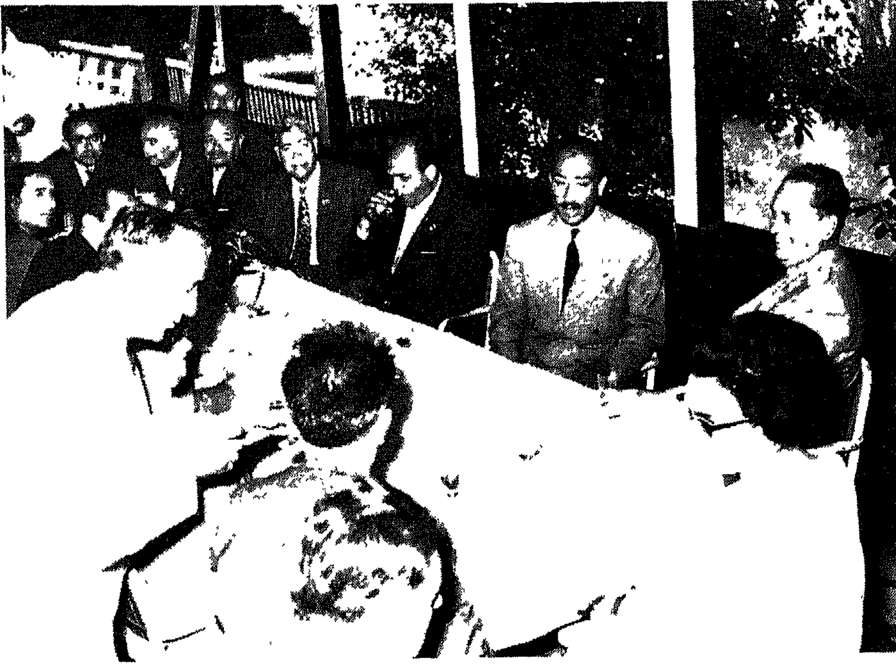
دورة الكلية العسكرية (اختصاص مدرعات) عام ١٩٥٤ - ١٩٥٦ مع قائد سلاح المدرعات الزعيم أمين أبو عساف وعلى يمينه مدرب الدوره وعلى يساره الزعيم الأول بعد اتباعهم دورة تطبيقات في مدرسة المدرعات.



صورة تذكارية اثناء الاحتفال بتشكيل ألوية سلاح المدرعات. قائد السلاح صاحب المذكرات في الوسط وعلى يمينه العقيد صبحي عبارة قائد اللواء المدرع الحادي عشر وعلى يساره العقيد بديع بشور قائد اللواء المدرع العاشر مع بقية ضباط السلاح.



صاحب المذكرات مع رئيس الوزراء الأسبق المرحوم خالد العظم.



لقاء الماريشال جوزيف بروز تيتو رئيس جمهورية يوغسلافيا الاتحادية مع وفد مجلس الأمة للجمهورية العربية المتحدة ويرىٰ صاحب المذكرات الرابع على يمين المارشال.



رئيس مجلس الأمة أنور السادات وعلى يساره صاحب المذكرات أثناء وضع اكليل من الزهور على ضريح الجندي المجهول بيوغسلافيا.